حاشية الصاوي

على تفسير الجلالين

مذيلاً

بلباب النقول في أسباب النزول للسيوطي

طبعة جديدة منقحة

الجزء الثالث

قدم له وأشرف على تصحيحه
صدقي محمد جميل

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[١٨] ـ سورة الكهف(*)

[مكية إلا ﴿واصبر نفسك﴾ الآية وهي مائة وعشر آياتٍ أو وخمس عشرة آية]

﴿الحَمْدُ﴾ : هو الوصف بالجميل ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ : تعالى وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول الآخر الباطن الظاهر والصلاة والسلام على سيدنا محمد الطاهر الفاخر وعلى آله وأصحابه ذوي العلا والمفاخر ـ وبعد ـ فلمّا انتهى الكلام على تكملة الجلال السيوطي فلنشرع الآن في الكلام على تأليف شيخه الجلال محمد بن أحمد المحلي نفعنا الله بهما وبعلومهما في الدنيا والآخرة ونسأل الله تعالى الإعانة على البدىء والختام والموت على كمال الايمان والاسلام . قال نفعنا الله به :

سورة الكهف مكية

إلا ﴿واصبر نفسك﴾ الآية، وهي مائة وعشر آيات أو وخمس عشرة آية

سميت بذلك لذكر قصة أصحاب الكهف فيها، من باب تسمية الشيء باسم بعضه، و[سورة] مبتدأ، و[مكية] خبر أول، و[مائة] الخ، خبر ثان. قوله: [ثابت] قدره إشارة إلى أن الجار والمجرور في ﴿لله﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدإ، والمراد بالثبوت الدوام والاستمرار أزلاً وأبداً، فحصل الفرق بين حمد القديم والحادث، فوصف القديم بالكمالات أزلي مستمر، وكمال الحادث عارض. قوله: [الاعلام بذلك] أي الإخبار بأن وصفه الكمالي أزلي فتكون الجملة خبرية لفظاً ومعنى، والمقصود منها، كونها عقيدة للعباد، وشرطاً في إيمانهم، والمخبر بالحمد حامد. قوله: [أو الثناء به] أي إنشاء الثناء بمضمون تلك الجملة، لا إنشاء المضمون، فإنه ثابت أزلاً يستحيل إنشاؤه، فتكون على

(*) قال رسول الله ﷺ: «مَن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال» رواه مسلم من صحيحه عن أبي الدرداء.

أسباب نزول سورة الكهف

أخرج ابن جرير من طريق ابن اسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر ابن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة فسألا أحبار اليهد عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره وبعض قوله، فقالوا لهما: سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، سله عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه كان لهم أمر عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو؟ فأقبلا حتى قدما على قريش فقالا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاؤوا رسول الله ﷺ فسألوه فقال: أخبركم غداً بما سألتم عنه ولم يستثن، فانصرفوا ومكث =

احتمالات أفيدها الثالث ﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾: محمد ﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ﴾: أي فيه ﴿عِوَجاً﴾[١]: اختلافاً والجملة حال من الكتاب ﴿قَيِّماً﴾: مستقيماً حال ثانية مؤكدة ﴿لِيُنْذِرَ﴾: يخوف بالكتاب

هذا خبرية لفظاً إنشائية معنى، كأنه قال: أحمد وأنشيء حمداً لنفسي بنفسي، لعجز خلقي عن كنه حمدي. ولذا حكي عن أبي العباس المرسي، أنه سأل ابن النحاس النحوي عن أل في الحمد لله، هل هي جنسية أو عهدية؟ فقال: يقولون إنها جنسية، فقال: لا بل هي عهدية لأن الله لما علم عجز خلقه عن كنه حمده، حمد نفسه بنفسه، وأبقاه لهم يحمدونه به. قوله: [أو هما] أي الاعلام والثناء، ويكون هذا من باب استعمال الجملة في الخبر والانشاء، على سبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز، فاستعمالها في الخبر حقيقة، واستعمالها في الانشاء مجاز، وحينئذ فيكون المقصود من هذه الجملة أمرين: الاعلام للإيمان والتصديق، وإنشاء الثناء. قوله: [أفيدها الثالث] أي أكثرها فائدة لدلالته على أمرين مقصود كل منهما بالذات، إن قلت: إن انشاء الثناء يستلزم الاعلام، والاعلام يستلزم انشاء الثناء. قلنا: نعم، لكن فرق بين الحاصل المقصود، والحاصل الغير المقصود، فتحصل أنه إذا جعلت الجملة خبرية فقط، كان الثناء حاصلاً غير مقصود، وان جعلت انشائية فقط، كان الإيمان بها حاصلاً غير مقصود، وان استعملت فيهما كان كل مقصوداً لذاته. قوله: ﴿الذي أنزل﴾ تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية، كأنه قال: الحمد لله لأجل انزاله الخ، وانما جعل الإنزال سبباً في الحمد، لأنه أعظم نعمة وجدت دنيا وأخرى، إذ به تنال سعادة الدارين، إذ فيه صلاح المعاد والمعاش، قال تعالى ﴿وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾. قوله: ﴿على عبده﴾ الإضافة لتشريف المضاف، ولذا قال القاضي عياض:

وممــا زادنــي شــرفـاً وتـيـهـاً	وكــدت بـأخـمـصـي أطـأ الـثـريـا
دخـولـي تـحـت قـولـك يـا عـبـادي	وأن صـيـرت أحـمـد لـي نـبـيـا

قوله: ﴿ولم يجعل له﴾ الجملة اما معطوفة على قوله: ﴿أنزل﴾ فتكون من جملة المحمود عليه، أو حال كما قال المفسر. قوله: [اختلافاً] أي في اللفظ، والمعنى، والعوج بالكسر الفساد في المعاني، وبالفتح في الأجسام. قوله: [تناقضاً] نعت لاختلافاً على حذف مضاف، أي ذا تناقض. قوله: ﴿قيماً﴾ إن أريد به الاستقامة في المعنى كان حالاً مؤكدة كما قال المفسر، وإن أريد به الاستقامة مطلقاً، كان حالاً مؤسسة. قوله: [مستقيماً] أي معتدلاً قائماً بمصالح العباد دنيا وأخرى، فهو مصلح لصاحبه دنياه وآخرته، من حيث إنه يؤنسه في قبره ويتلقى عنه السؤال، ويكون نوراً على الصراط، ويوضع في الميزان، ويرقى به درجات الجنة، وهذا للعامل به، وقائم على غير العامل به، بمعنى أن يكون حجة عليه، أو المعنى قيماً حسن الألفاظ والمعاني لكونه في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة. فإن قلت: ما فائدة التأكيد؟ قلنا: دفع توهم أن نفي العوج عن غالبه، لأن الحكم للغالب.

= رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحياً، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف قول الله ﴿ويسألونك عن الروح﴾.

وأخرج بان مردويه عن ابن عباس قال: اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام النضر بن الحارث وأمية بن خلف والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأبو البحتري في نفر من قريش، وكان رسول الله ﷺ قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه إياه، وانكارهم ما جاء به من النصيحة فأحزنه حزناً شديداً فأنزل الله ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم﴾ الآية. وأخرج ابن مردويه أيضاً عن ابن عباس قال: أنزلت ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة﴾ فقيل يا رسول الله: سنين أو شهوراً؟ فأنزل الله ﴿سنين وازدادوا تسعاً﴾.

الكافرين ﴿بأساً﴾: عذاباً ﴿شديداً من لدنه﴾: من قبل الله ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً﴾[٢] ﴿ماكثين فيه أبداً﴾[٣]: هو الجنة ﴿وينذر﴾: من جملة الكافرين ﴿الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾[٤] ﴿ما لهم به﴾: بهذا القول ﴿من علم ولا لآبائهم﴾: من قبلهم القائلين له ﴿كبرت﴾: عظمت ﴿كلمة تخرج من أفواههم﴾ كلمة تمييز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالذم محذوف أي مقالتهم المذكورة ﴿إن﴾: ما ﴿يقولون﴾: في ذلك ﴿إلا﴾: مقولاً ﴿كذباً﴾[٥] ﴿فلعلك باخع﴾: مهلك ﴿نفسك على آثارهم﴾: بعدهم أي بعد توليهم عنك ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾: القرآن ﴿أسفاً﴾[٦]: غيظاً وحزناً منك لحرصك على إيمانهم ونصبه على المفعول له ﴿إنا جعلنا ما على الأرض﴾: من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زينة لها

قوله: ﴿لينذر﴾ متعلق بأنزل، وهو ينصب مفعولين، قدّر المفسر الأول بقوله: [الكافرين] والثاني هو قوله: ﴿بأساً﴾، وقوله: ﴿وينذر﴾ معطوف على قوله: ﴿لينذر﴾ الأول، وحذف مفعوله الثاني لدلالة ما هنا عليه، وذكر مفعوله الأول، ففي الكلام احتباك، حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر. قوله: [الكتاب] هو فاعل ﴿ينذر﴾ وفي بعض النسخ [بالكتاب] وحينئذ فيكون فاعل الانذار إما ضمير عائد على الله، أو على محمد.

قوله: ﴿الذين يعملون الصالحات﴾ نعت للمؤمنين، وقوله: ﴿أن لهم﴾ أي بأن لهم، وإنما ذكر المفعولين معاً لعدم النظير لهم، بخلاف أهل الانذار فأنواعهم مختلفة. قوله: ﴿ماكثين﴾ أي مقيمين فيه. قوله: [هو الجنة] أي الأجر الحسن. قوله: [من جملة الكافرين] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وينذر﴾ معطوف على ﴿ينذر﴾ الأول، عطف خاص على عام، والنكتة التشنيع والتقبيح عليهم، حيث نسبوا لله الولد، وهو مستحيل عليه، قال تعالى: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾.

قوله: ﴿الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ أي مولوداً ذكراً أو أنثى، فيشمل النصارى واليهود ومشركي العرب. قوله: ﴿ما لهم به من علم﴾ أي لاستحالته عليه عقلاً. قوله: [بهذا القول] هذا أحد أوجه في مرجع الضمير، والثاني أنه راجع للولد، أي أنهم نسبوا له الولد، مع عدم علمهم به لاستحالته وعدم وجوده، الثالث أنه راجع لله، أي ليس لهم علم بالله، إذ لو علموه لما نسبوا له الولد. قوله: [من قبلهم] بفتح الميم بدل من آبائهم، أي فالمراد بآبائهم من تقدمهم عموماً، وليس المراد بهم خصوص من لهم عليهم ولادة.

قوله: ﴿كبرت كلمة﴾ كبر فعل ماض لانشاء الذم، والتاء علامة التأنيث، والفاعل مستتر تقديره هي، و[كلمة تمييز] له والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله: [مقالتهم] وهذه الجملة مستأنفة لانشاء ذمهم، ونظيرها قوله تعالى ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾. قوله: ﴿تخرج من أفواههم﴾ أي من غير تأمل وتدبر فيها، بل جرت على ألسنتهم من غير سند. قوله: [في ذلك] أي في هذا المقام، وهو نسبة الولد لله. قوله: ﴿إلا كذباً﴾ صفة لموصوف محذوف، قدره المفسر بقوله: [مقولاً]. قوله: ﴿فلعلك باخع﴾ الخ لعل تأتي للترجي وللاشفاق وكل ليس مقصوداً هنا، بل المراد هنا النهي، والمعنى لا تبخع نفسك، أي لا تهلكها من أجل أسفك وغمك على عدم إيمانهم. قوله: [بعدهم] تفسير لآثارهم، أي فالآثار جمع أثر، والمراد منه البعدية. قوله: ﴿إن لم يؤمنوا﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، والتقدير فلا تهلك، والمقصود منه تسلية النبي ﷺ، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم حزناً يؤدي لإهلاك نفسك، وأما أصل الحزن والغم فهو شرط في الإيمان لا ينهى عنه، لأن الرضا وشرح الصدر بالكفر كفر. قوله: [لحرصك] علة للعلة. قوله: [ونصبه على المفعول] أي والعامل فيه باخع.

﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾: لنختبر الناس ناظرين إلى ذلك ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ ٧ فيه أي أزهد له ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً﴾: فتاتاً ﴿جُرُزاً﴾ ٨: يابساً لا ينبت ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾: أي ظننت ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾: الغار في الجبل ﴿وَالرَّقِيمِ﴾: اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم وقد سُئل ﷺ عن قصتهم ﴿كَانُوا﴾ في قصتهم ﴿مِنْ﴾: جملة ﴿آيَاتِنَا عَجَباً﴾ ٩ خبر كان وما قبله حال أي كانوا عجباً دون باقي الآيات أو أعجبها ليس الأمر كذلك اذكر ﴿إِذْ

قوله: ﴿إنا جعلنا﴾ كالتعليل لما قبْله فهو من جملة تسليته ﷺ، وجعل إن كانت بمعنى صَيَّر فزينة مفعول ثان، وإن كانت بمعنى خلق، فزينة حال أو مفعول لأجله، وعلى كل فقوله: ﴿ما على الأرض﴾ مفعول. قوله: [وغير ذلك] أي من باقي النعم التي خلقها الله للعباد، كالذهب والفضة والمعادن. قوله: ﴿زينة لها﴾ أي يتزين بها ويتنعم، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ للناس حبُّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾ الآية. قوله: [لنختبر الناس] أي نعاملهم معاملة المختبر. قوله: [ناظرين إلى ذلك] حال من الناس، أي لنختبر الناس في حال نظرهم إلى الزينة.

قوله: ﴿أيهم﴾ مبتدأ، و﴿أحسن﴾ خبر و﴿عملاً﴾ تمييز، والجملة في محل نصب، سدت مسد مفعولي نَبْلُو.

قوله: [أي أزهد له] تفسير لقوله: ﴿أحسن﴾، والمعنى نميز بين حسن العمل وسيئه بتلك الزينة، فمن زهدها كان من أهل الحسن، ومن رغب فيها كان بضد ذلك فتدبر. قوله: ﴿لجاعلون﴾ أي مصيرون، و﴿صعيداً﴾ مفعول ثان. قوله: [فتاتاً] بضم الفاء مصدر كالحطام والرفات أي تراباً. قوله: ﴿جرزاً﴾ نعت لصعيداً، والمعنى إنا لنعيد ما على وجه الأرض من الزينة، تراباً مستوياً بالأرض، كصعيد أملس لا نبات به. إن قلت: إن قوله: ﴿ما عليها﴾ صريح في أن الأرض تستمر، فيكون منافياً لقوله في الآية الأخرى ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ أجيب: بأنه خص ما على الأرض من الزينة، لأنه الذي به الغرور والفتنة.

قوله: ﴿أم حسبت﴾ ﴿أم﴾ منقطعة وفيها ثلاثة مذاهب: مذهب الجمهور تفسر ببل والهمزة، وعند طائفة تفسر بالهمزة وحدها، وعليه درج عند طائفة أخرى تفسر ببل وحدها. قوله: [أي أظننت] الاستفهام إنكاري، أي لا تظن أن قصة أهل الكهف عجيبة دون باقي الآيات، فإن غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله، كالليل والنهار والسماوات والأرض أعجب منها. قوله: ﴿الكهف﴾ مفرد، وجمعه كهوف وأكهف. قوله: [الغار في الجبل] أي وإن لم يكن متسعاً وهو قول، وقيل إن الكهف الغار المتسع، فإن لم يتسع سمي غاراً فقط. قوله: ﴿والرقيم﴾ هو بمعنى مرقوم. قوله: [اللوح] أي وكان من رصاص، وقيل من حجارة، وهو مدفون عند باب الغار تحت البناء الذي عليه، وقيل: إن الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وقيل اسم للقرية، وقيل اسم الجبل وقيل اسم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى، وقيل دراهمهم التي كانت معهم، وقيل كلبهم. قوله: [فيه أسماؤهم] أي ففيه فلان بن فلان، من مدينة كذا، خرج في وقت كذا، من سنة كذا. قوله: [في قصتهم] أي وكانت بعد عيسى عليه الصلاة والسلام. قوله: [ليس الأمر كذلك] أي ليست أعجبها، ولا هي عجب دون غيرها، بل هي من جملة الآيات العجيبة.

قوله: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ أي نزلوه وسكنوه. وحاصل قصتهم كما قال محمد بن إسحاق: لما طغى أهل الإنجيل، وكثرت فيهم الخطايا، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا لها، وبقي فيهم من هو على دين عيسى، متمسكين بعبادة الله وتوحيده، وكان بالروم ملك يقال له دقيانوس، عبد الأصنام، وذبح للطواغيت، وكان يحمل الناس على ذلك، ويقتل من خالفه، فمر بمدينة أصحاب الكهف، وهي مدينة من الروم يقال لها أفسوس، واسمها عند العرب طرسوس، فاستخفى منه أهل الإيمان، فصار يرسل أعوانه، فيفتشون عليهم ويحضرونهم له، فيأمرهم بعبادة الأصنام، ويقتل من يخالفه، فلما عظمت هذه الفتنة، ورأى الفتية ذلك، حزنوا حزناً شديداً، وكانوا من أشراف الروم، وهم ثمانية، وكانوا

. . . .

على دين عيسى ، فأخبر الملك بهم وبعبادتهم ، فبعث اليهم ، فأحضروا بين يديه يبكون ، فقال : ما منعكم أن تذبحوا لآلهتنا وتجعلوا أنفسكم كأهل المدينة؟ فاختاروا إما أن تكونوا على ديننا ، وإما أن نقتلكم ، فقال له أكبرهم : إن لنا إلهاً عظمته ملء السماوات والأرض ، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً ، اصنع ما بدا لك ، وقال أصحابه مثل ذلك . فأمر الملك بنزع لباسهم ، والحلية التي كانت عليهم ، وكانوا مسورين ومطوقين ، وكانوا غلماناً مرداً حساناً جداً ، وقال : سأتفرغ لكم وأعاقبكم ، وما يمنعني من فعل ذلك بكم ، إلا أني أراكم شباباً ، فلا أحب أن أهلككم ، وإني قد جعلت لكم أجلاً ، تدبرون فيه أمركم ، وترجعون الى عقولكم ، ثم إنه سافر لغرض من أغراضه ، فخافوا أنه إذا رجع من سفره ، يعاقبهم أو يقتلهم ، فاستشوروا فيما بينهم ، واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه ، يتصدق ببعضها ويتزود بالباقي ، ففعلوا ذلك ، وانطلقوا إلى جبل قريب من مدينتهم يقال له ينجلوس فيه كهف ، ومروا في طريقهم بكلب فتبعهم ، فطردوه فعاد ، ففعلوا ذلك مراراً ، فقال لهم الكلب : أنا أحب أحباب الله عز وجل ، فناموا وأنا أحرسكم فتبعهم ، فدخلوا الكهف وقعدوا فيه ، ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ، وجعلوا نفقتهم تحت يد واحد منهم اسمه تمليخا ، كان يأتي المدينة يشتري لهم الطعام سراً ، ويتجسس لهم الخبر ، فلبثوا في ذلك الغار ما شاء الله ، ثم رجع الملك دقيانوس من سفره الى المدينة ، وكان تمليخا يومئذ بالمدينة يشتري لهم طعاماً ، فجاء وأخبرهم برجوع الملك وأنه يفتش عليهم ، ففزعوا وشرعوا يذكرون الله عز وجل ، ويتضرعون اليه في دفع شره عنهم ، وذلك عند غروب الشمس ، فقال لهم تمليخا : يا إخوتاه ، كلوا وتوكلوا على ربكم ، فأكلوا وجلسوا يتحدثون ويتواصون ، فبينما هم كذلك ، إذ ألقى الله عليهم النوم في الكهف ، وألقاه أيضاً على كلبهم ، وهو باسط ذراعيه على باب الكهف ، ففتش عليهم الملك فدل عليهم ، فتحير فيما يصنع بهم ، فألقى الله في قلبه أن يسد عليهم باب الغار ، وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية للناس ، وأن يبين لهم أن الساعة آتية ، وأنه قادر على بعث العباد من بعد الموت ، فأمر الملك بسده وقال : دعوهم في كهفهم يموتوا جوعاً وعطشاً ، ويكون كهفهم الذي احتاروه قبراً لهم ، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم ، وقد توفى الله أرواحهم وفاة نوم ، ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما ، شرعا يكتبان قصة هؤلاء الفتية ، فكتبا وقت فقدهم وعددهم وأنسابهم ودينهم ، وممن فروا في لوحين من رصاص ، وجعلاهما في تابوت من نحاس ، وجعلا التابوت في البنيان وقالا : لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة ، فيعرفوا من هذه الكتابة خبرهم ، ثم مات الملك دقيانوس هو وقومه ، ومر بعده سنون وقرون ، وتغايرت الملوك ثم ملك تلك المدينة رجل صالح يقال له بيطروس ، واختلف الناس عليه ، فمنهم المؤمن بالساعة ، ومنهم الكافر بها فشق ذلك عليه ، حيث كان يسمعهم يقولون : لا حياة إلا حياة الدنيا ، وإنما تبعث الأرواح دون الأجساد ، فجعل يتضرع ويقول : رب أنت تعلم اختلاف هؤلاء ، فابعث لهم آية تبين لهم أمر الساعة والبعث ، فأراد الله أن يظهره على الفتية أصحاب الكهف ، ويبين للناس شأنهم ، ويجعلهم آية وحجة عليهم ، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، فألقى الله في قلب رجل من أهل تلك الناحية ، أن يهدم ذلك البناء الذي على باب الكهف ، ويبني بحجارته حظيرة لغنمه ، فهدمه وبني به حظيرة لغنمه ، فلما انفتح باب الكهف ، بعث الله هؤلاء الفتية ، فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة نفوسهم ، وقد حفظ الله عليهم أبدانهم وجمالهم وهيئتهم ، فلم يتغير منها شيء ، فكانت هيئتهم وقت أن استيقظوا ، كهيئتهم وقت أن رقدوا ، ثم أرسلوا تمليخا الى المدينة ليشتري لهم الطعام ، فذهب فرأى المدينة قد تغير حالها وأهلها وملكها ، وقد أخذه أهل المدينة وذهبوا به الى ذلك الملك المؤمن ، فأخبره تمليخا بقصته وقصة أصحابه ، فقال بعض الحاضرين : يا قوم لعل هذه آية من آيات الله ، جعلها الله لكم على يد هذا الفتى ، فانطلقوا بنا حتى يرينا أصحابه ، فانطلق أريوس وأسطيوس من عظماء المملكة ، ومعهم جميع أهل المدينة ، كبيرهم وصغيرهم ، نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم ،

أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾: جمع فتى وهو الشاب الكامل خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾: من قبلك ﴿رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾: أصلح ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾ ١٠: هداية ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾: أي أنمناهم ﴿فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾ ١١: معدودة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾: أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾: علم مشاهدة ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَى﴾: أفعل بمعنى أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوا﴾: للبثهم متعلق بما بعده ﴿أَمَداً﴾ ١٢: غاية ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾: نقرأ ﴿عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِٱلْحَقِّ﴾: بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ١٣ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: قويناها على قول الحق ﴿إِذْ قَامُوا﴾: بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام

فأول من دخل عليهم، فهذان العظيمان الكبيران، فوجدا في أثر البناء تابوتاً من نحاس، ففتحاه فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما قصتهم، فلما قرؤها عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية تدلهم على البعث، ثم أرسلوا قاصداً الى ملكهم الصالح بيدروس، أن عجل بالحضور الينا، لعلك ترى هذه الآية العجيبة، فإن فتية بعثهم الله وأحياهم، وكان قد توفاهم ثلاثمائة سنة وأكثر، فلما جاءه الخبر، ذهب همه وقال: أحمدك رب السماوات والأرض، تفضلت علي ورحمتني، ولم تطفىء النور الذي جعلته لآبائي، فركب وتوجه نحو الكهف، فدخل عليهم وفرح بهم واعتنقهم ووقف بين أيديهم، وهم جلوس على الأرض يسبحون الله ويحمدونه، فقالوا له: نستودعك الله، والسلام عليك ورحمة الله، حفظك الله وحفظ ملكك، ونعيذك بالله من شر الإنس والجن، فبينما الملك قائم، إذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا، وتوفى الله أنفسهم، فقام الملك اليهم، وجعل ثيابهم عليهم، وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب، فلما أمسى ونام أتوه في منامه فقالوا له: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة، ولكنا خلقنا من التراب والى التراب نصير، فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب، حتى يبعثنا الله منه، فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه، وأمر أن يبنى على باب الكهف مسجد فيه، ويسد به باب الغار فلا يراهم أحد، وجعل لهم عيداً عظيماً، وأمر أن يؤتى كل سنة اهـ ملخصاً من الخازن. قوله: [جمع فتى] أي كصبي وصبية. قوله: [أصلح] أي أو يسر. قوله: [هداية] أي تثبيتاً على الإيمان، وتوفيقاً للأعمال الصالحة.

قوله: ﴿فضربنا على آذانهم﴾ مفعوله محذوف تقديره حجاباً مانعاً لهم من السماع، وهذا هو المعنى الحقيقي، وليس مراداً بل المراد أنمناهم، ففي الكلام تجوز، حيث شبه إلقاء النوم بضرب الحجاب، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الضرب ضربنا بمعنى أنمنا، استعارة تصريحية تبعية. قوله: [معدودة] أشار بذلك الى أن عدداً مصدر بمعنى معدوده نعت لسنين، وسيأتي عدها في الآية. قوله: [علم مشاهدة] جواب عما يقال: كيف قال تعالى ﴿لنعلم﴾ مع أنه تعالى عالم بكل شيء أزلاً، فأجاب بقوله: [علم مشاهدة] والمعنى ليظهر ويشاهد ويحصل لهم ما تعلق به علمنا أزلاً من ضبط مدتهم. قوله: [الفريقين المختلفين] قيل المراد بالفريقين أصحاب الكهف، لافتراقهم فرقتين: فرقة تقول يوم، وفرقة تقول بعض يوم، وقيل هم أهل المدينة، افترقوا فرقتين في قدر مدتهم بالتخمين والظن. قوله: [فعل] أي ماض وليس اسم تفضيل لأنه لا يبنى من غير الثلاثي. قوله: [للبثهم] أشار بذلك الى أن ما مصدرية مراعى فيها اعتبار المدة، وقوله: [متعلق بما بعده] أي حال منه، و﴿أمداً﴾ مفعول ﴿أحصى﴾.

قوله: ﴿نحن نقص عليك نبأهم﴾ أي نفصل لك يا محمد خبرهم. قوله: ﴿بالحق﴾ الباء للملابسة، والجار والمجرور حال من نبأ. قوله: ﴿إنهم فتية﴾ أي شبان كانوا من عظماء أهل تلك المدينة، وأحدهم كان وزيراً للملك. قوله: ﴿آمنوا بربهم﴾ أي صدقوا به وانقادوا لأحكامه. قوله: [قويناها على قول الحق] أي حيث خالفوا الملك، ولم يحصل لهم منه رعب ولا خوف. قوله: ﴿إذ قاموا﴾ ظرف لربطنا، أي ربطنا على قلوبهم وقت قيامهم. قوله: [بين يدي

﴿فقالوا: رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ﴾: أي غيره ﴿إِلَٰهاً لَّقَدْ قُلْنَآ إِذاً شَطَطاً﴾ ١٤: أي قولاً ذا شطط أي إفراطاً في الكفر إنّ دعونا إلهاً غير الله فرضاً ﴿هَٰؤُلَآءِ﴾: مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾: عطف بيان ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا﴾: هلا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾: على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾: بحجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾: أي لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾ ١٥: بنسبة الشريك إليه تعالى قال بعض الفتية لبعض: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً﴾ ١٦: بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس ما ترتفقون به من غداء وعشاء ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ﴾: بالتشديد والتخفيف تميل ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبتة ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ﴾: دلائل قدرته ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً﴾ ١٧ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾: لو رأيتهم ﴿أَيْقَاظاً﴾: أي منتبهين لأن أعينهم منفتحة جمع يقظ بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: نيام جمع راقد ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ

ملكهم] أي واسمه دقيانوس. قوله: ﴿فقالوا﴾ أي خطاباً لملك ثلاث جمل، وآخرها قوله: ﴿شططاً﴾. قوله: ﴿لن ندعو﴾ أي نعبد. قوله: [أي قولاً ذا شطط] أشار بذلك إلى أن شططاً منصوب على المصدرية، صفة لمحذوف على حذف مضاف، أي إفراط في الكفر، أي مجاوزة الحد فيه.

قوله: ﴿هؤلاء قومنا﴾ هذه جمل ثلاث، قالوها فيما بينهم بعد خروجهم من عند الملك، وآخرها قوله: ﴿كذباً﴾. قوله: [عطف بيان] أي أو بدل. قوله: ﴿اتخذوا﴾ خبر المبتدإ. قوله: [هلا] أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض، والمقصود من ذكر هذا الكلام فيما بينهم تذاكر التوحيد وتقوية أنفسهم عليه. قوله: [على عبادتهم] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي. قوله: [قال بعض الفتية لبعض] قدره إشارة إلى أن ﴿إذ﴾ ظرف منصوب بمحذوف، أي قال بعضهم لبعض وقت اعتزالهم. قوله: ﴿وما يعبدون إلا الله﴾ ﴿ما﴾ موصولة أو مصدرية، والمعنى وإذ اعتزلتموهم والذي يعبدونه غير الله، أو معبوداتهم غير الله. قوله: ﴿ينشر لكم﴾ أي يبسط ويوسع. قوله: [وبالعكس] أي فهما قراءتان سبعيتان، وأما الجارحة فبكسر الميم فقط. قوله: [من غداء وعشاء] أي وغير ذلك.

قوله: ﴿وترى الشمس﴾ الخطاب للنبي أو لكل أحد، والمعنى لو كنت هناك عندهم واطلعت على كهفهم، لرأيت الشمس إذا طلعت الخ. قوله: [بالتشديد] أي فأصله تتزاور، قلبت التاء زاياً وأدغمت في الزاي. قوله: [والتخفيف] أي بحذف إحدى التاءين، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [ناحيته] أشار بذلك الى أن ذات اليمين وذات الشمال ظرف مكان، بمعنى جهة اليمين وجهة الشمال، والمراد يمين الداخل للكهف وشماله، وذلك أن كهفهم مستقبل بنات نعش، فتميل عنهم الشمس طالعة وغاربة لئلا تؤذيهم بحرها، ولا ينافي هذا ما تقدم في القصة أنه سد باب الكهف وبني عليه مسجد، لأن الكهف له محل منفتح من أعلاه جهة بنات نعش. قوله: ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي وسطه والجملة حالية. قوله: [المذكور] أي من نومهم وحمايتهم من إصابة الشمس لهم.

قوله: ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ جملة معترضة في أثناء القصة لتسليته ﷺ. قوله: ﴿فلن تجد له ولياً﴾ أي معيناً. قوله: ﴿مرشداً﴾ أي هادياً. قوله: ﴿وتحسبهم﴾ خطاب للنبي أو لكل أحد. قوله: [بكسر القاف] أي كفخذ وأفخاذ. ويضم أيضاً كعضد وأعضاد. قوله: ﴿ونقلبهم﴾ الخ قيل يقلبون في كل سنة مرة وفي يوم عاشوراء، وقيل

﴿الشِّمَالِ﴾: لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾: يديه ﴿بِالْوَصِيدِ﴾: بفناء الكهف وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ١٨: بسكون العين وضمها منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾: أيقظناهم ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾: عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول ثم ﴿قَالُوا﴾: متوقفين في ذلك ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾: بسكون الراء وكسرها بفضتكم ﴿هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: يقال إنها المسماة الآن طرسوس بفتح الراء ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: أي أي أطعمة المدينة حل

يقلبون مرتين، وقيل تسع سنين، والمقلب لهم قيل الله، وقيل ملك يأمره الله تعالى. قوله: ﴿وكلبهم﴾ وكان أصفر اللون، وقيل أسمر، وقيل كلون السماء، اسمه قطمير، وقيل ريان، وهو من جملة الحيوانات التي تدخل الجنة، وبهذا تعلم أن حب الصالحين والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم. قوله: ﴿ذراعيه﴾ منصوب بباسط، وهو ليس بمعنى الماضي المنقطع بل المستمر، وقولهم اسم الفاعل لا يعمل إن كان بمعنى الماضي لا بمعنى المستقبل. قوله: [بفناء الكهف] أي رحبته، وقيل المراد بالوصيد العتبة، وقيل الباب، وقيل التراب.

قوله: ﴿لو اطلعت عليهم﴾ الخطاب للنبي أو لكل أحد. قوله: ﴿فراراً﴾ منصوب على المصدر من معنى الفعل قبله أو على الحال أي فاراً. قوله: ﴿رعباً﴾ أي فزعاً. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية نحو الروم، فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء نظرنا إليهم، فقال ابن عباس: قد منع من ذلك من هو خير منك ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً﴾، فبعث معاوية ناساً فقال: اذهبوا فانظروا، فلما دخلوا الكهف، بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم. قوله: [بسكون العين وضمها] ظاهره أن القراءات أربع، وليس كذلك بل ثلاث فقط سبعيات، لأن اللام إن خففت جاز في العين السكون والضم، وإن شددت تعين في العين السكون فقط. قوله: [كما فعلنا بهم ما ذكرنا] أي من إلقاء النوم عليهم تلك المدة الطويلة، فيكون إيقاظهم آية أخرى يعتبر بها هم وغيرهم. قوله: ﴿ليتساءلوا﴾ اللام للسببية أو للعاقبة والصيرورة.

قوله: ﴿قال قائل منهم﴾ أي واحد منهم وهو كبيرهم ورئيسهم مكسلمينا. قوله: ﴿كم لبثتم﴾ ﴿كم﴾ منصوبة على الظرفية ومميزها محذوف تقديره كم يوماً. قوله: ﴿أو بعض يوم﴾ أو للشك منهم لترددهم في غروب الشمس وعدمه. قوله: [لأنهم دخلوا الكهف] الخ ظاهره أنهم ناموا في يوم دخولهم، وتقدم أنهم مكثوا مدة في الكهف قبل نومهم، يتعبدون ويأكلون ويشربون، فكان المناسب أن يقول لأنهم ناموا طلوع الشمس الخ.

قوله: ﴿قالوا﴾ أي بعضهم لبعض. قوله: [متوقفين في ذلك] أي في قدر مدة لبثهم. قوله: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ هذا تفويض منهم لأمر الله احتياطاً وحسن أدب. قوله: ﴿فابعثوا﴾ أي أرسلوا. قوله: ﴿أحدكم﴾ أي وهو تمليخا. قوله: ﴿بورقكم﴾ قيل الورق الفضة المضروبة، وقيل الفضة مطلقاً، وتحذف فاء الكلمة فيقال رقة. قوله: [بسكون الراء وكسرها] سبعيتان قوله: ﴿هذه﴾ أي الدراهم التي كانت معهم من بيوت آبائهم، فإنهم أنفقوا بعضها قبل نومهم، وبقي بعضها معهم، فوضعوه عند رؤوسهم حين ناموا، وكان محليها اسم ملكهم دقيانوس، وكان الواحد منها بقدر خف ولد الناقة الصغير. قوله: [الآن] أي في الإسلام، وأما في الجاهلية فكانت تسمى أفسوس، وقيل أفسوس من أعمال طرسوس. قوله: [أحل] أي أحل ذبيحة لأنهم كان منهم من يذبح للطواغيت، وكان فيهم قوم يخفون إيمانهم، فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين.

﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً[١٩] إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً﴾: أي إن عدتم في ملتهم ﴿أَبَداً[٢٠] وَكَذَلِكَ﴾: كما بعثناهم ﴿أَعْثَرْنَا﴾: أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾: قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوا﴾: أي قومهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللهِ﴾: بالبعث ﴿حَقٌّ﴾: بطريق أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهَا إِذْ﴾: معمول لأعثرنا ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾: أي المؤمنون والكفار ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُوا﴾: أي الكفار ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ﴾: أي حولهم ﴿بُنْيَاناً﴾: يسترهم ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾: أمر الفتية وهم المؤمنون ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: حولهم ﴿مَسْجِداً﴾[٢١]: يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف ﴿سَيَقُولُونَ﴾: أي المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي أي يقول بعضهم هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾: أي بعضهم ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: والقولان لنصارى نجران ﴿رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾: أي ظناً في الغيبة عنهم وهو راجع إلى القولين معاً ونصبه على المفعول له أي لظنهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي المؤمنون ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: الجملة من مبتدأ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو وقيل تأكيد أو دالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف

قوله: ﴿وليتلطف﴾ أي يترفق في ذهابه ورجوعه لئلا يعرف. قوله: ﴿ولا يشعرن بكم أحداً﴾ أي لا يفعلن ما يؤدي الى شعور أحد بكم. قوله: ﴿إنهم﴾ أي أهل المدينة. قوله: ﴿إن يظهروا عليكم﴾ أي يغلبوكم ويطلعوا عليكم. قوله: ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي يصيروكم اليها. قوله: ﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ أي لن تظفروا بمطلوبكم لو وقع منكم ذلك ولو كرهاً. إن قلت: كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعود في ملتهم، مع الإكراه المستفاد من قوله: ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ الخ، مع أن المكره غير مؤاخذ بما أكره عليه؟ أجيب: بأن هذا مخصوص بشريعتنا، وأما من قبلنا فكانوا يؤاخذون بالإكراه بدليل قوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

قوله: ﴿وكذلك﴾ أي كما أنمناهم وبعثناهم. قوله: [قومهم والمؤمنين] قدر ذلك إشارة الى أن مفعول ﴿أعثرنا﴾ محذوف. قوله: [أي قومهم] أي ذرية قومهم، لأن قومهم قد انقرضوا قوله: [بلا غذاء] أي قوت. قوله: ﴿وأن الساعة﴾ أي القيامة. قوله: [معمول لأعثرنا] المناسب جعله ظرفاً لمحذوف تقديره اذكر، أو لقوله: ﴿قال الذين غلبوا﴾. قوله: [أي المؤمنون والكفار] أي فقال المؤمنون: نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا، وقال الكفار: نبني عليهم بيعة لأنهم من أهل ملتنا.

قوله: ﴿ربهم أعلم بهم﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله، أو من كلام المتنازعين. قوله: [وهم المؤمنون] أي الذين كانوا في زمن الملك بيدروس الرجل الصالح. قوله: [وفعل ذلك على باب الكهف] أي وبقي ظهر الكهف منفتحاً كما تقدم. قوله: [أي المتنازعون] أي وهم النصارى والمؤمنون. قوله: ﴿ثلاثة﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله: [هم]. قوله: ﴿رابعهم كلبهم﴾ مبتدأ وخبر، والجملة صفة لثلاثة، وكذا يقال في قوله: ﴿ويقولون خمسة﴾ ﴿ويقولون سبعة﴾. قوله: [نجران] موضع بين الشام واليمن والحجاز. قوله: ﴿رجماً بالغيب﴾ أي ظناً من غير دليل ولا برهان. قوله: [أي المؤمنون] أي قالوا ذلك بأخبار الرسول لهم عن جبريل عليه الصلاة والسلام. قوله: [بزيادة الواو] أي من غير ملاحظة معنى التوكيد. قوله: [وقيل تأكيد] أي زائدة للتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، وحكمة زيادتها الإشارة الى تصحيح هذا القول دون ما قبله. قوله: [ودلالة على لصوق الصفة] الخ، العطف للتفسير على ما قبله، فهما قولان فقط.

الأوَّلَيْن بالرجْم دون الثالث دليلٌ على أنه مَرْضيٌّ وصحيح ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: قال ابن عباس: أنا من القليل وذكرهم سبعة ﴿فَلَا تُمَارِ﴾: تجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾: بما أُنزل عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾: تطلب الفتيا ﴿مِّنْهُمْ﴾: من أهل الكتاب اليهود ﴿أَحَدًا﴾ ٢٢: وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال: أخبركم به غداً ولم يقل إن شاء الله فنزل ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾: أي لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ ٢٣: أي فيما يستقبل من الزمان ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: أي إلا ملتبساً بمشيئة الله تعالى بأن تقول إن شاء الله ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ﴾: أي مشيئته معلّقاً بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾: التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره ما دام في المجلس ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾: من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿رَشَدًا﴾ ٢٤:

قوله: ﴿قل ربي أعلم بعدتهم﴾ أي من غيره. قوله: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾ أي وهو النبي ومن سمع منه. قوله: [وذكرهم سبعة] أي وهم: مكسلمينا وتمليخا ومرطونس ونينوس وساريولس وذونوانس وفليستطيونس وهو الراعي، واسم كلبهم قطمير، وقيل حمران، وقيل ريان، قال بعضهم: علموا أولادكم أسماء أهل الكهف، فإنها لو كتبت على باب دار لم تحرق، وعلى متاع لم يسرق، وعلى مركب لم تغرق. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خواص أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء: للطلب، والهرب، ولطفء الحريق تكتب على خرقة وترمى في وسط النار تطفأ بإذن الله، ولبكاء الأطفال، والحمى المثلثة، وللصداع تشد على العضد الأيمن، ولأم الصبيان، وللركوب في البر والبحر، ولحفظ المال، ولنماء العقل، ونجاة الآثمين اهـ. قوله: ﴿إلا مراء ظاهراً﴾ أي غير متعمق فيه، بل نقص عليهم ما في القرآن، من غير تجهيل لهم وتفتيش على عقائدهم. قوله: [بما أنزل اليك] أي وهو القرآن.

قوله: ﴿ولا تستفت فيهم منهم أحداً﴾ أي لا تسأل أحداً عن قصتهم، فإن فيما أوحي اليك الكفاية. قوله: [اليهود] المناسب عدم التقييد بذلك، بل يقيد بالنصارى، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام سأل نصارى نجران عنهم فنهي عن ذلك. قوله: [وسأله أهل مكة] أي بتعليم اليهود لهم حيث قالوا لهم: سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وعن ذي القرنين، فسألوه عنها فقال: أبقوني غداً أخبركم، ولم يقل إن شاء الله، فأبطأ الوحي بضعة عشر يوماً وأربعين حتى شق عليه، وتمارت قريش في ذلك. قوله: [فنزل] أي بعد انقضاء تلك المدة تعليماً لأمته الأدب، وتفويض الأمور الى الله تعالى، فإن الإنسان لا يدري ما يفعل به، فإذا كان هذا الخطاب لرسول الله وهو سيد الخلق، فما بالك بغيره؟ قوله: [أي لأجل شيء] أي تهتم به وتريد القدوم عليه. قوله: ﴿إني فاعل ذلك﴾ المراد بالفعل ما يشمل القول. قوله: [أي فيما يستقبل من الزمان] أشار بذلك إلى أن المراد بالغد ما يستقبل، كان في يومك أو بعده بقليل أو كثير، لا خصوص اليوم الذي بعد يومك. قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناء من عموم الأحوال، كأنه قال: لا تقولن لشيء في حال من الأحوال، إلا في حال تلبسك بالتعليق على مشيئة الله. قوله: [ويكون ذكرها بعد النسيان] الخ، أي لما روي أنه ﷺ لما نزلت الآية قال: إن شاء الله. قوله: [قال الحسن وغيره ما دام في المجلس] أي ولو انفصل عن الكلام السابق، وقال ابن عباس: يجوز انفصاله إلى شهر، وقيل إلى سنة، وقيل أبداً، وقيل إلى أربعة أشهر، وقيل إلى سنتين، وقيل ما لم يأخذ في كلام آخر، وقيل يجوز بشرط أن ينوي في الكلام، وقيل يجوز انفصاله في كلام الله تعالى لأنه أعلم بمراده، لا في كلام غيره، وعامة المذاهب الأربعة على خلاف ذلك كله، فإن شرط حل الأيمان بالمشيئة أن تتصل وأن يقصد بها حال

---

* أسباب نزول الآية ٢٣: وأخرجه ابن جرير الضحاك، وأخرجه ابن مردويه أيضاً عن ابن عباس قال: حلف النبي ﷺ على يمين، فمضى له أربعون ليلة، فأنزل الله ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾.

هدايةً وقد فعل الله ذلك ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾: بالتنوين ﴿سِنِينَ﴾: عطف بيان لثلثمائة وهذه السنون الثلثمائة عند أهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين وقد ذكرت في قوله ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ ٢٥: أي تسع سنين فالثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع قمرية ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾: ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي علمه ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾: أي بالله هي صيغة تعجب ﴿وَأَسْمِعْ﴾: به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه وهما على جهة المجاز والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَهُمْ﴾: لأهل السماوات والأرض ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: ناصر ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ٢٦: لأنه غني عن الشريك ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ٢٧: ملجأ ﴿وَاصْبِرْ

اليمين، ولا يضر الفصل بتنفس أو سعال أو عطاس، ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل، وربما أداه ذلك للكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر. قوله: ﴿وقل﴾ أي لأهل مكة. قوله: ﴿أن يهدين﴾ أي يدلني. قوله: [في الدلالة] متعلق بأقرب. قوله: ﴿رشدا﴾ إما مفعول مطلق ليهديني لموافقته له في المعنى واليه يشير المفسر بقوله: [هداية]، ويصح أن يكون تمييز الأقرب، أي لأقرب هداية من هذا. قوله: [وقد فعل الله تعالى ذلك] أي هداه لما هو أعجب، وأطلعه على ما هو أغرب، حيث شاهد ما شاهد في ليلة الإسراء، وأعطاه علوم الأولين والآخرين، وفاق عليهم بعلوم لم يطلع عليها أحد سواه، وأشار المفسر بذلك، إلى أن الترجي في كلام الله بمنزلة التحقق. قوله: ﴿ولبثوا في كهفهم﴾ هذا رد على أهل الكتاب، حيث اختلفوا في مدة لبثهم. قوله: [عطف بيان] أي لأن تمييز المائة في الكثير مفرد مجرور، وفي قراءة بالإضافة، وعليها فتكون من القليل، قال ابن مالك:

ومائة والألف للفرد أضف ... ومائة بالجمع نزراً قد ردف

قوله: [تسع سنين] أي لأن كل ثلاث وثلاثين سنة وثلث سنة شمسية تزيد سنة قمرية. قوله: [أي تسع سنين] أشار بذلك إلى أن حذف المميز من الثاني لدلالة الأول عليه. قوله: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ إن قلت: ما فائدة الإخبار بذلك بعد أن بين الله ذلك؟ أجيب بأوجه: أحدها: أن المعنى قل الله أعلم بأن الثلاثمائة سنة والتسع قمرية لا شمسية، خلافاً لزعم بعض الكفار أنها شمسية. ثانيها: أن المعنى الله أعلم بحقيقة لبثهم وكيفيته. ثالثها: أن المعنى الله أعلم بمدة لبثهم قبل البعث وبعده. واعلم أنه اختلف في أصحاب الكهف، هل ماتوا ودفنوا، أو هم نيام وأجسامهم محفوظة؟ والصحيح أنهم نيام، ويستيقظون عند نزول عيسى، ويحجون معه، ويموتون قبل يوم القيامة، حين تأتي الريح اللينة، كما قال ﷺ: «ليحجن عيسى ابن مريم ومعه أصحاب الكهف فإنهم لم يحجوا بعد» ذكره ابن عيينة، وفي رواية: مكتوب في التوراة والإنجيل أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، وأنه يمر بالروحاء حاجاً ومعتمراً، ويجمع الله له ذلك، فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم، فيمرون حجاجاً فإنهم لم يحجوا ولم يموتوا اهـ. قوله: [أي علمه] أي علم السماوات والأرض وما غاب فيهما. قوله: [على جهة المجاز] أي لأن التعجب استعظام أمر خفي سببه وعظم وصف الله ظاهر بالبرهان لا يخفى، فإحاطته بالموجودات سمعاً وبصراً وعلماً أمر ثابت بالبرهان، وصار كالضروري، وإنما المقصود ذكر العظمة لا حقيقة التعجب. قوله: ﴿من ولي﴾ إما مبتدأ مؤخر أو فاعل بالظرف. قوله: ﴿في حكمه﴾ أي قضائه.

قوله: ﴿واتل ما أوحي اليك﴾ أي ولا تعتبر بهم. قوله: ﴿لا مبدل لكلماته﴾ أي لا يقدر أحد أن يغير شيئاً من

نَفْسَكَ﴾: احبسها ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾: بعبادتهم ﴿وَجْهَهُۥ﴾: تعالى لا شيئاً من أعراض الدنيا وهم الفقراء ﴿وَلَا تَعْدُ﴾: تنصرف ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: عبّر بهما عن صاحبهما ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾: أي القرآن هو عيينة بن حصن وأصحابه ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: في الشرك ﴿وَكَانَ

القرآن، فلا تخش من قراءتك عليهم تبديله بل هو محفوظ من ذلك، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى يوم القيامة. قوله: [ملجأ] أي تلتجىء إليه وتستغيث به عند النوازل والشدائد غير الله تعالى. قوله: ﴿واصبر نفسك﴾ في هذه الآية أمر للنبي ﷺ بمراعاة فقراء المسلمين والجلوس معهم، وهي أبلغ من آية الأنعام؛ لأن تلك إنما نهي فيها عن طردهم؛ وهكذه أمر بحبس نفسه على الجلوس معهم، وكأن الله يقول له: احبس نفسك على ما يكرهه غيرك، من رثاثة ثياب الفقراء ورائحتهم الكريهة، ولا تلتفت لجمال الأغنياء وحسن ثيابهم، فإن حسن الظاهر مع فساد الباطن غير نافع. قال الشاعر:

جمال الوجه مع قبح النفوس ... كقنديل على قبر المجوس

قوله: ﴿مع الذين يدعون ربهم﴾ أي يعبدونه. قوله: ﴿بالغداة والعشي﴾ المراد بالغداة أوائل النهار وأواخر الليل، وبالعشي أوائل الليل وأواخر النهار، وحينئذ فقد استغرقوا أوقاتهم في العبادة. قوله: ﴿يريدون وجهه﴾ أي يقصدون بعبادتهم ذات ربهم ورضاه عليهم. قوله: [لا شيئاً من أعراض الدنيا] أي ولا شيئاً من نعيم الجنة، وهذا مقام الكمل، والصحابة به أحرى. قوله: [تنصرف] ﴿عيناك عنهم﴾ هو كناية عن الإعراض عنهم، أي لا تعرض عنهم، بل أقبل عليهم، وهو جواب عما يقال كان مقتضى الظاهر ولا تعد عينيك بالنصب لأنه فعل متعد، مع أن التلاوة بالرفع لا غير، فأجاب المفسر بأنها وإن كانت بالرفع، إلا أنها ترجع لمعنى النصب؛ لأن الفعل مسند للعينين، وهو في الحقيقة مسند لصاحبهما، ولذلك عبّر بتنصرف لتصحيح رفع العينين دون تصرّف.

قوله: ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ الجملة حال من الكاف في ﴿عيناك﴾ والشرط موجود، وهو كون المضاف جزءاً من المضاف إليه، والمعنى لا تنصرف عيناك عنهم، حال كونك طالباً زينة الدنيا، بمجالسة الأغنياء، وصحبة أهل الدنيا، والخطاب للنبي، والمراد هو وغيره، وإنما خوطب النبي وإن كان معصوماً من ذلك، تسلية للفقراء وتطميناً لقلوبهم. قوله: [وهو عيينة بن حصن] أي الفزاري أتى للنبي ﷺ قبل أن يسلم، وعنده جماعة من الفقراء، منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها، وبيده خوص يشقه وينسجه، فقال عيينة للنبي: أما يؤذيك ريح هؤلاء؟ ونحن سادات مضر وأشرافها، إن أسلمنا تسلم الناس، وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء، فنحهم عنك حتى نتبعك، أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً، وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان في حنين من المؤلفة قلوبهم، فأعطاه النبي ﷺ منها مائة بعير، وكذا أعطى الأقرع بن حابس، وأعطى للعباس بن مرداس أربعين بعيراً. وقيل: نزلت في أصحاب الصفة، وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ، لا يخرجون إلى تجارة ولا زرع ولا ضرع، يصلون صلاة وينتظرون

---

* أسباب نزول الآية ٢٨ قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك﴾ الآية، تقدم سبب نزولها في سورة الأنعام في حديث خباب، قوله تعالى: ﴿ولا تطع﴾ الآية. أخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، ذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه الله: من طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: حدثنا أن النبي ﷺ تصدى لأمية بن خلف وهو ساه غافل عما يقال له فنزلت. وأخرج عن أبي هريرة قال: دخل النبي ﷺ تصدى لأمية بن لف وهو ساه غافل عما يقال له فنزلت. وأخرج عن أبي هريرة قال: دل عيينة بن حصن على النبي ﷺ وعنده سلمان، فقال عيينة: إذا نحن أتيناك فأخرج هذا وأدخلنا، فنزلت.

﴿أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ٢٨: إسرافاً ﴿وَقُلِ﴾: له ولأصحابه هذا القرآن ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾: تهديد لهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾: أي الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: ما أحاط بها ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾: كعكر الزيت ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾: من حره إذا قرب إليها ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾: هو ﴿وَسَاءَتْ﴾: أي النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ ٢٩: تمييز منقول عن الفاعل أي قبح مرتفقها وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة وحسنت مرتفقاً وإلا فأي ارتفاق في النار ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ٣٠: الجملة خبر إن الذين وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى أجرهم أي نثيبهم بما تضمنه ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾: قيل من زائدة وقيل للتبعيض وهي جمع أسورة كأحمرة جمع سوار ﴿مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾: ما رق من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: ما غلظ منه وفي آية الرحمن

أخرى، فلما نزلت قال النبي ﷺ: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم. قوله: ﴿فرطاً﴾ مصدر فرط سماعي، أي متجاوزاً فيه الحد.

قوله: ﴿وقل﴾ [له] أي لعيينة بن حصن. قوله: ﴿الحق﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله: [هذا القرآن]. قوله: [تهديد لهم] أي تخويف وردع لا تخيير وإباحة، لذكره الوعد الحسن على الإيمان، والوعيد بالنار على الكفر، فالعاقل لا يرضى بفوات النعيم واختيار العذاب. قوله: ﴿إنا أعتدنا﴾ راجع لقوله: ﴿ومن شاء فليكفر﴾، وقوله: [إن الذين آمنوا] راجع لقوله: ﴿فمن شاء فليؤمن﴾ فهو لف ونشر مشوش. قوله: ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ صفة لنار، أو السرادق، كناية عن الصور وهو نار أيضاً لما ورد أن أرضها من رصاص، وحيطانها من نحاس، وسقفها من كبريت، ووقودها الناس والحجارة، فإذا أوقدت فيها النار، وصار الكل ناراً، أجارنا الله منها بمنه وكرمه.

قوله: ﴿يغاثوا﴾ فيه مشاكلة لقوله: ﴿إن يستغيثوا﴾ وتهكم بهم إذ لا إغاثة فيه، لأنه لا ينقذ من المهالك. قوله: [كعكر الزيت] بفتحتين هو اسم لما يبقى في إناء الزيت بعد أخذ الصافي منه، وهو تشبيه في الصورة، وإلا فهو نار كما وصفه بقوله: ﴿يشوي الوجوه﴾. قوله: [أي قبح مرتفقا] أي فحول الأسناد إلى النار، ونصب ﴿مرتفقاً﴾ على التمييز، لأن ذكر الشيء مبهماً، ثم مفسراً أوقع في النفس. قوله: [وهو مقابل] أي ذكر على سبب المقابلة والمشاكلة لما سيأتي في الجنة. قوله: [وإلا] أي إلا نقل أنه مشاكلة بل على سبيل الحقيقة. قوله: [وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر] أي وهو الرابط، لأنه بمعنى الموصول الذي هو اسم أن، على حد: سعاد الذي أضناك حب سعادا. قوله: [أي نثيبهم] تفسير لقوله: ﴿لا نضيع﴾. قوله: [بما تضمنه] أي بثواب تضمنه ﴿أولئك﴾ إلى قوله: ﴿وحسنت مرتفقا﴾، وقد اشتملت هذه الآية على خمسة أنواع من الثواب: الأول جنات عدن، الثاني تجري من تحتهم الأنهار، الثالث يحلون فيها، الرابع ويلبسون ثياباً، الخامس متكئين الخ.

قوله: ﴿تجري من تحتهم﴾ أي تحت مساكنهم. قوله: [قيل من زائدة] أي بدليل آية ﴿هل أتى﴾ ﴿وحلوا أساور﴾. قوله: [وهي جمع أسورة] أي فأساور جمع الجمع. قوله: ﴿من ذهب﴾ جاء في آية أخرى من فضة، وفي أخرى من ذهب ولؤلؤ، فيلبس كل واحد الأساور الثلاثة، لما ورد أنه يسور المؤمن في الجنة بثلاث أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وفي الصحيح تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء. قوله: ﴿من سندس وإستبرق﴾ جمع سندسة واستبرقة، قيل ليسا بجمعين. قوله: [من الديباج] أي الحرير. قوله: [بطائنها] أي الفرش.

بطائنها من إستبرق ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: جمع أريكة وهي السرير في الحجلة وهي بيت يزين بالثياب والستور للعروس ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾: الجزاء الجنة ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ٣١ ﴿وَاضْرِبْ﴾: اجعل ﴿لَهُم﴾: للكفار مع المؤمنين ﴿مَثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾: بدل وهو بعلمه، وما تفسير للمثل ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾: الكافر ﴿جَنَّتَيْنِ﴾: بستانين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ ٣٢: يقتات به ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾: كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ ﴿آتَتْ﴾: خبره ﴿أُكُلَهَا﴾: ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾: تنقص ﴿مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا﴾: أي شققنا ﴿خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ ٣٣:

قوله: ﴿متكئين فيها﴾ حال عاملها محذوف، أي يجلسون متكئين. قوله: [جمع أريكة] أي كسفينة، ولا يقال له أريكة، إلا إذا كان في داخل الحجلة وبدونها سرير، وتقدم أن السرير عليه سبعون فراشاً، كل فراش عليه زوجة من الحور العين. قوله: [في الحَجَلة] بفتحتين في محل نصب على الحال. قوله: [للعروس] يستعمل في الرجل والمرأة، لكن الجمع مختلف، فيقال رجال عُرُس ونساء عرائس. قوله: [الجنة] قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف. قوله: ﴿مرتفقاً﴾ أي منتفعاً ومسكناً.

قوله: ﴿واضرب لهم مثلاً﴾ قيل نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم وهما: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسود وكان مؤمناً، وأخوه الأسود بن عبد الأسود وكان كافراً، فشبههما الله برجلين من بني إسرائيل أخوين، أحدهما مؤمن واسمه يهوذا وقيل تمليخا، والآخر كافر واسمه قبطوس، وهما اللذان وصفهما الله في سورة الصافات بقوله: ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ الآيات، وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراساني قال: كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها، فاشترى أحدهما أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم إن فلاناً قد اشترى أرضاً بألف دينار، وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار، فقال هذا: اللهم إن فلاناً بنى داراً بألف دينار، وإني اشتريت منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم إن صاحبه تزوج امرأة وأنفق عليها ألف دينار، فقال هذا: اللهم إني أخطب اليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم إن صاحبه اشترى خدماً ومتاعاً بألف دينار، فقال هذا: اللهم إني أشتري منك خدماً ومتاعا في الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم اصابته حاجة شديدة فقال: لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف، فجلس على طريق حتى مر به في خدمه وحشمه فقام اليه، فنظره صاحبه فعرفه، فقال: فلان؟ قال: نعم، قال: ما شأنك؟ قال: ما أصابتني حاجة بعدك، فأتيتك لتعينني بخير، قال: فما فعل بمالك، وقد اقتسمنا مالاً وأخذت شطره؟ فقص عليه قصته فقال: وإنك لمن المصدقين بهذا؟ اذهب فلا أعطيك شيئاً فطرده، فقضي عليهما فتوفيا فنزل فيهما ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ الخ، وليس هذا مخصوصاً بأبي سلمة وأخيه، بل هو مثل لكل من أقبل على الله وترك زينة الدنيا، ومن اغتر بالدنيا وزينتها، وترك الاقبال على الله. قوله: [بدل] أي ويصح أن يكون مفعولاً ثانياً لأن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنين.

قوله: ﴿وحففناهما بنخل﴾ أي جعلنا النخل حولهما ومحيطاً بكل منهما. قوله: ﴿وجعلنا بينهما زرعاً﴾ أي ليكون جامعاً للأقوات والفواكه. قوله: [مفرد] أي باعتبار لفظه، وقوله: [يدل على التثنية] أي باعتبار معناه، فاعتبر اللفظ تارة فأفرد. والمعنى أخرى فثنى. قوله: [مبتدأ] أي وهو مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، منع من ظهورها التعذر، و﴿كلتا﴾ مضاف، و﴿الجنتين﴾ مضاف اليه، وهذا إعرابه إن أضيف لظاهر، فإن أضيف لضمير، كان ملحقاً بالمثنى فيعرب بالحروف. قوله: ﴿آتت أكلها﴾ الخ، هذا كناية عن نموها وزيادتها، فليست كالأشجار يتم ثمرها في بعض السنين وينقص في بعض.

يجري بينهما ﴿وَكَانَ لَهُ﴾: مع الجنتين ﴿ثَمَرٌ﴾: بفتح الثاء والميم وبضمهما وبضم الأول وسكون الثاني وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب وبدنة وبدن ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾: المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾: يفاخره ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ٣٤: عشيرة ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾: بصاحبه يطوف به فيها ويريه أثمارها ولم يقل جنتيه إرادة للروضة وقيل اكتفاء بالواحد ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾: بالكفر ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾: تنعدم ﴿هَٰذِهِ أَبَدًا﴾ ٣٥ ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾: في الآخرة على زعمك ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ ٣٦: مرجعاً ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾: يجاوبه ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾: لأن آدم خلق منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مني ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ﴾: عدلك وصيرك ﴿رَجُلًا لَّٰكِنَّا﴾: أصله لكن أنا نقلت حركة الهمزة إلى النون أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها ﴿هُوَ﴾: ضمير الشأن تفسيره الجملة بعده والمعنى أنا أقول ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ٣٨ ﴿وَلَوْلَا﴾: هلا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾: عند إعجابك بها هذا ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: في الحديث من أعطي خيراً من أهل

قوله: ﴿وفجرنا﴾ أي شققنا. قوله: [يجري بينهما] أي ليسقي أرضه ومواشيه بسهولة. قوله: ﴿وكان له﴾ أي لأحدهما. قوله: ﴿ثمر﴾ المراد به أمواله التي هي من غير الجنتين، كالنقد والمواشي، وسمي ثمراً لأنه يثمر أي يزيد. قوله: [بفتح الثاء والميم] الخ القراءات الثلاث سبعية. قوله: [وهي جمع ثمرة] أي بفتحتين، وهذا على كل واحد من الأوجه الثلاثة، فالمفرد لا يختلف، وإنما الاختلاف في الجمع، فقوله: [كشجرة] الخ لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿فقال لصاحبه﴾ حاصل مقالات الكافر لصاحبه المؤمن ثلاث، وكلها شنيعة، الأولى ﴿أنا أكثر منك﴾ الخ، الثانية ﴿ودخل جنته﴾ الخ، الثالثة ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ الخ. قوله: [يفاخره] أي يراجعه بالكلام الذي فيه الافتخار. قوله: ﴿أنا أكثر منك مالا﴾ الخ ﴿انا﴾ مبتدأ، و﴿أكثر﴾ خبره، و﴿منك﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿مالا﴾ و﴿مالا﴾ تمييز محول عن المبتدأ، والأصل مالي اكثر منك، فحذف المبتدأ، واقيم المضاف اليه مقامه فانفصل، وجعل المبتدأ في الأصل تمييزاً، ويقال في قوله: ﴿وأعز نفراً﴾ ما قيل فيما قبله. قوله: [ويريه آثارها] أي بهجتها وحسنها، وفي نسخة أثمارها وهي ظاهرة. قوله: ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿دخل﴾. و﴿لنفسه﴾ مفعوله واللام زائدة. قوله: ﴿قائمة﴾ أي كائنة وحاصلة. قوله: [على زعمك] دفع بهذا ما يقال إنه ينكر البعث، فكيف يقول ذلك؟ فأجاب بأنه مجاراة له في زعمه. قوله: [مرجعاً] أشار بذلك إلى أن ﴿منقلبا﴾ تمييز وهو اسم مكان من انقلاب بمعنى الرجوع، والمراد عاقبة المآل.

قوله: ﴿قال له صاحبه﴾ أي وهو المؤمن، وقد رد المقالات الثلاث على طريق اللف والنشر المشوش. قوله: ﴿أكفرت﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، والمعنى لا ينبغي ولا يليق منك الكفر بالذي خلقك الخ، وهذا رد للمقالة الأخيرة. قوله: ﴿رجلا﴾ مفعول ثان لسواك لأنه بمعنى [صيرك] كما قال المفسر. قوله: ﴿لكنا﴾ استدراك على قوله: ﴿أكفرت﴾ كأنه قال: أنت كافر بالله، لكن أنا مؤمن، واختلف القراء في وصل ﴿لكنا﴾ فبعضهم يثبت ألفاً بعد النون، وبعضهم يحذفها، وفي الوقف تثبت قولا واحداً لثبوتها في الرسم. قوله: [أو حذفت الهمزة] أي من غير نقل، فقوله: [ثم أدغمت النون] أي بعد تسكينها بالنسبة للنقل، وعلى الثاني فهي ساكنة فتدغم حالا. قوله: [ضمير الشأن] أي فهو مبتدأ، والجملة بعده خبر، ولا تحتاج لرابط لأنها عينه في المعنى، وهو معها خبر عن [أنا] والرابط الياء من ﴿ربي﴾. قوله: ﴿ولا أشرك بربي أحداً﴾ مراده لا أكفر به لأن إنكار البعث كفر.

قوله: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ هذا رد للمقالة الثانية ﴿ولولا﴾ تحضيضية داخلة على قلت، و﴿إذ﴾ ظرف لقلت

أو مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾. في الحديث من أعطى خيراً من أهل أو مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم ير فيه مكروهاً ﴿إن ترن أنا﴾: ضمير فصل بين المفعولين ﴿أقل منك مالاً وولداً﴾ ٣٩ ﴿فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك﴾: جواب الشرط ﴿ويرسل عليها حسباناً﴾: جمع حسبانة أي صواعق ﴿من السماء فتصبح صعيداً زلقاً﴾ ٤٠: أرضاً ملساء لا يثبت عليها قدم ﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾: بمعنى غائراً عطف على يرسل دون تصبح لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ ٤١: حيلة تدركه بها ﴿وأحيط بثمره﴾: بأوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلكت ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾: ندماً وتحسراً ﴿على ما أنفق فيها﴾: في عمارة جنته ﴿وهي خاوية﴾: ساقطة ﴿على عروشها﴾: دعائمها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم ﴿ويقول يا﴾: للتنبيه ﴿ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾ ٤٢ ﴿ولم تكن﴾: بالتاء والياء ﴿له فئة﴾: جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾: عند هلاكها ﴿وما كان منتصراً﴾ ٤٣: عند هلاكها بنفسه ﴿هنالك﴾: أي يوم القيامة ﴿الولاية﴾: بفتح الواو النصرة وبكسرها الملك ﴿لله الحق﴾: بالرفع صفة الولاية وبالجر صفة الجلالة ﴿هو خير ثواباً﴾: من ثواب غيره لو كان يثيب ﴿وخير عقباً﴾ ٤٤: بضم القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين ونصبهما على التمييز ﴿واضرب﴾: صير ﴿لهم﴾: لقومك ﴿مثل الحياة الدنيا﴾: مفعول أول ﴿كماء﴾: مفعول ثان ﴿أنزلناه من السماء فاختلط به﴾: تكاثف بسبب

مقدم عليه، وجملة ﴿ما شاء الله﴾ خبر محذوف قدره المفسر بقوله: [هذا] قوله: [لم ير فيه مكروهاً] أي لم يصب فيه بمصيبة. قوله: ﴿إن ترن﴾ هذا رد للمقالة الأولى. قوله: [ضمير فصل] أي و﴿أقل﴾ مفعول ثان وقرئ بالرفع، فيكون خبراً عن أنا، و﴿مالاً وولداً﴾ تمييزان، وقوله: ﴿فعسى﴾ الخ جواب الشرط. قوله: ﴿أن يؤتين﴾ يحتمل أن يكون في الدنيا أو الآخرة. قوله: [جمع حسبانة] أي فهو اسم جنس جمعي، يفرق بينه وبين واحده بالتاء. قوله: [بمعنى غائراً] أي ذاهباً في الأرض. قوله: [لأن غور الماء] الخ أي ويقال إنه يفسر الحسبان بالقضاء الإلهي، وهو عام يتسبب عنه: إما إصباح الجنة ﴿صعيداً زلقاً﴾ أو ﴿ماؤها﴾ وعلى هذا فيكون معطوفاً على ﴿يصبح﴾. قوله: ﴿وأحيط بثمره﴾ أي أمواله، بدليل قول المفسر [مع جنته]. قوله: [بأوجه الضبط] أي الثلاثة. قوله: ﴿وهي خاوية﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿على عروشها﴾ جمع عرش وهو بيت من جريد أو خشب، يجعل فوقه الثمار قوله: [دعائمها] جمع دعامة وهي الخشب ونحوه، الذي ينصب ليمد الكرم عليه.

قوله: ﴿ويقول يا ليتني﴾ أي تحسراً وندماً على تلف ماله لا توبة، بدليل قوله: ﴿ولم تكن له فئة﴾ الخ. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ينصرونه﴾ أي يدفعون عنه الهلاك. قوله: ﴿وما كان منتصراً﴾ أي قادراً على ذلك. قوله: ﴿هنالك﴾ يصح أن يكون خبراً مقدماً و﴿الولاية﴾ مبتدأ مؤخر، أو تكون هذه الجملة مستقلة، أو معمولاً لمنتصراً، وقوله: ﴿الولاية لله﴾ مبتدأ وخبر. قوله: [الملك] أي القهر والسلطنة. قوله: [بالرفع] راجع لفتح الواو وكسرها، وكذا قوله: [وبالجر] فالقراءات أربع سبعيات. قوله: ﴿خير ثواباً﴾ أي إثابة قوله: [لو كان يثيب] أي فاسم التفضيل على بابه، على فرض أن غير الله يثيب. قوله: ﴿وخير عقباً﴾ أي إن عاقبة طاعة المؤمن خير من عاقبة طاعة غيره. قوله: [بضم القاف وسكونها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [صير] أي شبه.

قوله: ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ أي صفتها وحالها وهيئتها. قوله: ﴿كماء﴾ أي كصفة وحال وهيئة ماء الخ، وهذه الآية نظير قوله تعالى ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما﴾. قوله: [تكاثف] أي غلظ

نزول الماء ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾: أو امتزج الماء بالنبات فروى وحسن ﴿فَأَصْبَحَ﴾: صار النبات ﴿هَشِيمًا﴾: يابساً متفرقاً أجزاؤه ﴿تَذْرُوهُ﴾: تنشره وتفرقه ﴿ٱلرِّيَٰحُ﴾: فتذهب به، المعنى: شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقته الرياح وفي قراءة الريح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ ٤٥: قادراً ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: يتجمل بهما فيها ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر زاد بعضهم ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ٤٦: أي ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ تُسَيَّرُ ٱلْجِبَالُ﴾: يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثاً وفي قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾: نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ٤٧ ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾: حال أي مصطفين كل أمة صف ويقال لهم ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ

والتف بعضه على بعض. قوله: [أو امتزاج الماء بالنبات] أشار بذلك إلى أنه تفسير ثان لاختلط، ومن المعلوم أن الامتزاج من الجانبين، فصح نسبته إلى النبات، وإن كان في عرف اللغة والاستعمال أن الباء تدخل على الكثير الغير الطارئ، وقد دخلت هنا على الكثير الطارئ، مبالغة في كثرة الماء، حتى كأنه الأصل. قوله: [فروي] بفتح الراء وكسر الواو ارتوى. قوله: ﴿هشيماً﴾ أي مهشوماً مكسوراً. قوله: [وتفرقه] عطف تفسير. قوله: [المعنى] أي معنى المثل. قوله: [شبه] فعل أمر، وفاعله مستتر عائد على النبي ﷺ، و﴿الدنيا﴾ مفعوله. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿وكان الله﴾ أي ولم يزل. قوله: [قادراً] المناسب أن يقول كامل القدرة كما يؤخذ من الصيغة. قوله: ﴿المال﴾ أي وهو الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث. قوله: ﴿زينة﴾ هو مصدر بمعنى اسم المفعول بدليل قوله: [يتجمل بهما فيها] ولذا صح الإخبار به عن الاثنين. قوله: [هي سبحان الله] الخ، أي وتسمى غراس الجنة، أي أن بكل واحدة من هذه الكلمات، تغرس له شجرة في الجنة، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وقيل إن المراد بالباقيات الصالحات الصلوات الخمس، وقيل أركان الإسلام، وقيل كل ما يثاب عليه العبد في الدار الآخرة وهو الأتم، وإنما خص المفسر [سبحان الله] الخ، بالباقيات الصالحات، لمزيد فضلها وثوابها، ولذا أوصى رسول الله عمه العباس بصلاة التسابيح، ولو في العمر مرة، وأوصى الخليل رسول الله، بأن يأمر أمته أن يكثروا من غراس الجنة، كما في حديث الإسراء. قوله: ﴿خير عند ربك﴾ التفضيل ليس على بابه، لأن زينة الدنيا ليس فيها خير، ولا يرد علينا أن السعي على العيال من الخير، لأنه من حيز الباقيات الصالحات، لا من حيز الزينة، أو يقال إنه على بابه بالنسبة لزعم الجاهل. قوله: [ويرجوه] عطف تفسير.

قوله: ﴿ويوم تسير الجبال﴾ هذا كالدليل لكون الدنيا فانية ذاهبة. قوله: [هباء] أي غباراً. قوله: [منبثاً] أي مفرقاً كما في سورة الواقعة. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿وترى الأرض﴾ أي تبصرها. قوله: [ولا غيره] أي من بناء وشجر وبحار وغير ذلك. قوله: ﴿وحشرناهم﴾ أتى به ماضياً، إشارة إلى أن الحشر مقدم على تسيير الجبال والبروز، ليعاينوا تلك الأهوال العظام، كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك، وعلى هذا، فتبديل الأرض يحصل وهم ناظرون لذلك، ووقت التبديل يكون الخلق على الصراط، وقيل على أجنحة الملائكة كما تقدم.

قوله: ﴿فلم نغادر﴾ عطف على قوله: ﴿حشرناهم﴾ والمغادرة من جانب، ولذا فسرها بقوله: [نترك]. قوله: [حال] أي من الواو في ﴿عرضوا﴾، و﴿صفاً﴾ مفرد وقع موقع الجمع، فالمعنى جميعاً، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثم ائتوا

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾: أي فرادى حفاة عراة غرلاً ويقال لمنكري البعث ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ﴾: مخففة من الثقيلة أي أنه ﴿لَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ ٤٨: للبعث ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين وفي شماله من الكافرين ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾: عند معاينتهم ما فيه من السيئات ﴿يَٰ﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَتَنَا﴾: هلكتنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: من ذنوبنا ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾: عدها وأثبتها تعجبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾: مثبتاً في كتابهم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ٤٩: لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن ﴿وَإِذْ﴾: منصوب باذكر ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾: سجود انحناء لا وضع جبهة تحية له ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل هو منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم

صفاً﴾ أي جميعاً، أو المراد صفوفاً، لما ورد: أهل الجنة مائة وعشرون صفاً، أنتم منها ثمانون، وورد أن النبي ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى ينادي بصوت رفيع غير فظيع: يا عبادي، أنا الله، لا إله إلا أنا، أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، يا عبادي، لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، أحضروا حجتكم، ويسروا جوابكم، فإنكم مسؤولون محاسبون، يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب». قوله: [ويقال لهم] أي توبيخاً وتقريعاً. قوله: [أو فرادي] أي مفردين عن المال والبنين. قوله: [غرلاً] جمع أغرل أي غير مختونين.

قوله: ﴿بل زعمتم﴾ أي قلتم قولاً كذباً. قوله: [أي أنه] أي الحال والشأن. قوله: ﴿موعداً﴾ أي مكاناً تبعثون فيه. قوله: ﴿ووضع الكتاب﴾ هو بالبناء للمفعول في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بالبناء للفاعل، وهو الله أو الملك. قوله: [في يمينه] أي فحين يقرؤه يبيض وجهه ويقول ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾، إلى آخر ما في الحاقه. قوله: [وفي شماله من الكافرين] أي فحين يقرؤه يسود وجهه ويقول ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ الخ. قوله: [هلكتنا] أي هلاكنا، والمقصود التحسر والتندم، وقيل الياء حرف نداء و﴿ويلتنا﴾ منادى تنزيلاً لها منزلة العاقل، فكأنه يقول: يا هلاكي احضر فهذا أوانك. قوله: [وهو مصدر] أي الويل، وقوله: [لا فعل له من لفظه] أي بل من معناه وهو هلك. قوله: ﴿مال هذا الكتاب﴾ ما استفهامية مبتدأ، ولهذا الكتاب خبره، أي أي شيء ثبت لهذا الكتاب؟ قوله: ﴿لا يغادر﴾ الجملة حالية من الكتاب. قوله: [تعجبوا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام للتعجب. قوله: [منه] أي الكتاب. قوله: [في ذلك] أي الاحصاء المذكور.

قوله: ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ أي لا يعامله معاملة الظالم، بحيث يعذبه من غير ذنب، أو ينقص من أجره. قوله: [منصوب باذكر] أي فإذ ظرف لذلك المقدر. والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قولنا للملائكة الخ، والمراد اذكر لهم تلك القصة، وقد كررت في القرآن مراراً لأن معصية إبليس أول معصية ظهرت في الخلق. قوله: [سجود انحناء] جواب عما يقال: إن السجود لغير الله كفر، وتقدم الجواب بأن السجود لله وآدم كالقبلة، أو أن محل كون السجود لغير الله كفراً، إن لم يكن هو الآمر به وإلا فالكفر في المخالفة.

قوله: ﴿فسجدوا﴾ أي جميعاً. قوله: [قيل هم نوع من الملائكة] أي وعلى هذا القول، فهم ليسوا معصومين كالملائكة، بل يتوالدون ويعصون. قوله: [وإبليس أبو الجن] هذا توجيه لكونه منقطعاً وهو الحق، وعليه فالجن نوع آخر غير الملائكة، فالجن من نار، والملائكة من نور. قوله: [فله ذرية] تفريع على كونه أباً إذ الأب يستلزم ابناً. قوله: ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ أي تكبر وحسد.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: أي خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾: الخطاب لآدم وذريته والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾: تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: أي أعداء حال ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ٥٠: إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة الله ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ﴾: أي إبليس وذريته ﴿خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾: أي لم أحضر فكيف تطيعونهم ﴿وَيَوْمَ﴾: منصوب باذكر ﴿يَقُولُ﴾: بالياء والنون ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾: الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾: لم يجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾: بين الأوثان وعابديها ﴿مَّوْبِقًا﴾ ٥٢: وادياً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً وهو من وبق بالفتح هلك ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾: أي أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾: أي واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ ٥٣: معدلاً ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بينا ﴿فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: صفة لمحذوف أي مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا

قوله: ﴿أفتتخذونه﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والاستفهام توبيخي، والمعنى أبعد ما حصل منه ما حصل يليق منكم اتخاذه؟ الخ. قوله: ﴿وذريته﴾ عطف على الضمير في تتخذونه، قال مجاهد: من ذرية إبليس، لاقس وولهان، وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما، ومن ذريته مرة وبه يكنى: وزلنبور وهو صاحب الأسواق، يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع. وبتر وهو صاحب المصائب، يزين خدش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب. والأعور وهو صاحب الزنا، ينفخ في إحليل الرجل وعجيزة المرأة، ومطروس وهو صاحب الأخبار الكاذبة، يلقيها في أفواه الناس، لا يجدون لها أصلاً. وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله دخل معه اهـ. قاله القرطبي: واختلف هل لإبليس أولاد من صلبه؟ فقال الشعبي: سألني رجل فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إن ذلك عرس لم أشهده، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم. وقال مجاهد: إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه، فباض خمس بيضات، فهذه أصل ذريته. وقيل: إن الله خلق له في فخذه اليمنى ذكراً، وفي فخذه اليسرى فرجاً، فهو ينكح هذه بهذا، فيخرج له يوم عشر بيضات، يخرج من كل بيضة سبعون شيطاناً وشيطانة، فهو يفرخ ويطير، وأعظمهم عند أبيهم منزلة، أعظمهم في بني آدم فتنة. وقال قوم: ليس له أولاد ولا ذرية، وإنما المراد بذريته أعوانه من الشياطين.

قوله: [تطيعونهم] أي بدل طاعتي. قوله: [حال] أي من مفعول تتخذون. قوله: ﴿للظالمين﴾ متعلق ببدلاً، الواقع تمييزاً للفاعل المستتر، وقوله: [إبليس وذريته] بيان للمخصوص بالذم المحذوف، والأصل بئس البدل إبليس وذريته. قوله: [أي إبليس وذريته] تفسير للضمير في ﴿أشهدتهم﴾ فالمعنى لم أحضرهم حين خلقت السماوات والأرض، ولا حين خلقت أنفسهم، فكيف تتخذونهم أولياء تطيعونهم.

قوله: ﴿وما كنت متخذ المضلين﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر. قوله: ﴿عضداً﴾ هو في الأصل العضو الذي هو من المرفق إلى الكتف، ثم أطلق على المعين والناصر، والمراد هنا مقدماً لهم في مناصب خير، بل هم مطرودون عنها، فكيف يطاعون؟ قوله: [بالياء والنون] أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿الذين زعمتم﴾ أي زعمتموهم شركاء، فالمفعولان محذوفان. قوله: [ليشفعوا لكم] متعلق بنادوا. قوله: ﴿وجعلنا بينهم﴾ أي مشتركاً. قوله: [وادياً من أودية جهنم] قال أنس بن مالك، هو واد في جهنم من قيح ودم. قوله: [من وبق بالفتح] أي كوعد.

قوله: ﴿ورأى المجرمون النار﴾ أي عاينوها من مسيرة أربعين عاماً. قوله: ﴿مصرفاً﴾ أي مكاناً يحلون فيه غيرها. قوله: [من جنس كل مثل] أي معنى غريب بديع، يشبه المثل في غرابته. قوله: [خصومة في الباطل] هذا هو

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾: أي الكافر ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ٥٤: خصومة في الباطل وهو تمييز منقول من اسم كان المعنى وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾: أي كفار مكة ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾: مفعول ثان ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾: القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: فاعل أي سنتنا فيهم وهي الإهلاك المقدر عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قِبَلًا﴾ ٥٥: مقابلة وعياناً وهو القتل يوم بدر وفي قراءة: بضمتين جمع قبيل أي أنواعاً ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾: للمؤمنين ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾: مخوفين للكافرين ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾: بقولهم أبعث الله بشراً رسولاً ونحوه ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ﴾: ليبطلوا بجدالهم ﴿الْحَقَّ﴾: القرآن ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾: أي القرآن ﴿وَمَا أُنْذِرُوا﴾: به من النار ﴿هُزُوًا﴾ ٥٦: سخرية ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: أي من أن يفهموا القرآن أي فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلاً فلا يسمعونه ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا﴾: أي بالجعل المذكور ﴿أَبَدًا﴾ ٥٧ ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ﴾: في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾: فيها ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾: وهو يوم القيامة ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ ٥٨: ملجأ ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾: أي أهلها كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾: لإهلاكهم وفي قراءة: بفتح الميم أي لهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾ ٥٩ ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾: هو ابن عمران ﴿لِفَتَاهُ﴾: يوشع بن نون كان يتبعه

معنى الجدل هنا، وفيه إشارة إلى أن المؤمن ليس كثير الجدل في الباطل، بل هو شديد الخصومة في الحق. قوله: ﴿ويستغفروا﴾ عطف على ﴿أن يؤمنوا﴾. قوله: ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ الكلام على حذف مضاف، أي إلا انتظارهم وطلبهم إتيان مثل سنة الأولين بقولهم ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ الآية. قوله: [وهو الاهلاك] أي الذي يستأصلهم. قوله: [المقدر] أي في الأزل. قوله: [عليهم] أي الأولين. قوله: ﴿أو يأتيهم﴾ أي الناس. قوله: [مقابلة وعياناً] تفسير لقبلاً بكسر ففتح. قوله: [أي أنواعاً] تفسير لقبلاً بضمتين، فكل من القراءتين له معنى يخصه. قوله: [القرآن] المناسب أن يقول: أي جميع ما جاءت به الرسل. قوله: ﴿آياتي﴾ المناسب تفسيرها بمعجزات الرسل لا خصوص القرآن لأنه في كل كافر من هذه الأمة وغيرها.

قوله: ﴿وما أنذروا﴾ ﴿ما﴾ موصولة، والعائد محذوف أي الذي أنذروا به، أو مصدرية أي إنذارهم. قوله: ﴿هزواً﴾ يقرأ بالهمزة والواو سبعيتان. قوله: ﴿فأعرض عنها﴾ أي لم يتدبرها وقت تذكيره بها. قوله: ﴿إنا جعلنا﴾ بمنزلة التعليل لقوله: ﴿فأعرض﴾. قوله: ﴿فلا يسمعونه﴾ أي سماع نفع وانتفاع. قوله: ﴿لعجل لهم العذاب﴾ أي المستأصل لهم. قوله: [وهو يوم القيامة] أشار بذلك إلى أن المراد بالموعد الزمان المعد لهم، ويصح أن يراد به المكان. قوله: ﴿لن يجدوا من دونه﴾ أي العذاب. قوله: ﴿موئلاً﴾ الموئل المرجع من وأل يئل أي رجع، ويقال للملجأ أيضاً، يقال وأل فلان إلى فلان إذا لجأ إليه، والمعنى لن يجدوا غير العذاب ملجأ يلتجئون إليه كناية عن عدم خلوصهم منه. قوله: [أهلها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿أهلكناهم﴾ أي في الدنيا كما قال تعالى ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ الخ. قوله: ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ أي لهلاكهم المذكور وقتاً معيناً نزل بهم فيه، فكذلك قومك لهم وقت ينزل بهم فيه، وهو معنى قوله: ﴿موعداً﴾. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، وتحتها قراءتان فتح اللام وكسرها، فمجموع القراءات السبعية ثلاثة: ضم الميم مع فتح اللام، وفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها. قوله: ﴿و﴾ [اذكر] قدره إشارة إلى أن إذ ظرف

ويخدمه ويأخذ منه العلم. ﴿لا أبرح﴾: لا أزال أسير ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾: ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق أي المكان الجامع لذلك ﴿أو أمضي حقباً﴾ ٦٠: دهراً طويلا في بلوغه إن بعد ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾: بين البحرين ﴿نسيا حوتهما﴾: نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى تذكيره ﴿فاتخذ﴾: الحوت ﴿سبيله في البحر﴾: أي جعله بجعل الله ﴿سرباً﴾ ٦١: أي مثل السرب وهو الشق الطويل لا نفاذ له وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جري الماء فانجاب عنه فبقي كالكوة لم يلتئم وجمد ما تحته منه ﴿فلما جاوزا﴾: ذلك

لمحذوف، والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قول موسى لفتاه الخ، والمراد اذكر لهم قصته وما وقع له مع الخضر عليهما السلام. قوله: [هو ابن عمران] أي رسول بني إسرائيل، من سبط لاوى بن يعقوب، وهذا هو الصحيح الذي أجمعت عليه الآثار الصحيحة، ولا يقدح فيه كونه يتعلم من الخضر، لأن الكامل يقبل الكمال، سواء قلنا إن الخضر نبي أو ولي، فاستفادته منه لا تقدح في كونه أفضل منه، لأن تلك مزية، وهي لا تقتضي الأفضلية، يدل على ذلك أن رسول الله ﷺ مع كونه أعلم الناس، أمره الله بالاستزادة من العلم بقوله: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ خلافاً لمن زعم أنه موسى بن ميشا بـن يوسف بن يعقوب، وادعى أنه نبي قبل موسى بن عمران، محتجاً بأن الله بعد أن أنزل على موسى بن عمران التوراة، وكلمه بلا واسطة، وأعطاه المعجزات العظيمة الباهرة، يبعد أن يستفيد من مطلق نبي أو ولي، وهذا القول خلاف الصحيح. قوله: [يوشع بن نون] هو ابن أفرائيم بن يوسف، أرسله الله بعد موسى، فقاتل الجبارين وردت له الشمس، وتقدمت قصته في المائدة. قوله: [كان يتبعه] هذا بيان وجه إضافته إلى موسى، وكان ابن أخته، وقيل كان عبداً له وهو بعيد، لأن شرط النبي الحرية.

قوله: ﴿لا أبرح﴾ هي من أخوات كان، اسمها مستتر وجوباً، وخبرها محذوف قدره المفسر بقوله: [أسير] أي لا أبرح سائراً. قوله: [ملتقى بحر الروم] الخ أي وملتقاهما عند البحر المحيط. قوله: [مما يلي المشرق] أي وذلك بإفريقية. قوله: [دهراً طويلا] وقيل الحقب ثمانون سنة، وقيل سنة واحدة بلغة قريش، وقيل سبعون، ويجمع على أحقاب، كعنق وأعناق. قوله: [إن بعد] أي إن لم أدركه، والمعنى لا بد من سيري إلى أن أبلغ مجمع البحرين، أو أسير زمناً طويلاً حتى أيأس من الوصول. قوله: [بين البحرين] أشار بذلك إلى أن [بين] ظرف وهو الموضع الذي وعد موسى أن يجتمع فيه بالخضر.

قوله: ﴿نسيا حوتهما﴾ قيل كان مشوياً، وقيل كان مملحاً، وقد أكلا منه زمناً طويلاً، قبل أن يدركا الصخرة. قوله: [نسي يوشع حمله] هذا يقتضي أنه كان موجوداً على البر حين نسيه يوشع، ولكن الموجود في القصة أن موسى ويوشع لما وصلا الصخرة التي عندها عين الحياة ناما، ثم استيقظ يوشع، فتوضأ من تلك العين، فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء، فهذا يقتضي أنه نسي إخبار موسى بما رأى، فالمناسب للمفسر أن يقول: نسي يوشع أن يخبر موسى بما شاهده من الأمر العجيب. إن قلت: إن شأن الأمر العجيب عدم نسيانه. أجيب: بأنه أدهش من عظيم ما رأى من قدرة الله وعظمته، للحكمة التي ترتبت على ذلك.

قوله: ﴿فاتخذ سبيله﴾ هذا الاتخاذ قبل النسيان، فيكون في الآية تقديم وتأخير، والأصل فأدركته الحياة فخرج من المكتل وسقط في البحر فاتخذ سبيله. قوله: ﴿سرباً﴾ مفعول ثان لاتخذ. قوله: [وذلك] أي سبب ذلك. قوله: [فانجاب] أي انقطع الماء وانكشف. قوله: [فبقي] أي صار. قوله: [كالكوة] هي بالفتح نقب البيت، والجمع كوى بكسر الكاف ممدوداً ومقصوراً. قوله: [لم يلتئم] أي يلتصق حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه. قوله: [ما تحته] أي

المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قَالَ﴾: موسى ﴿لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾: هو ما يؤكل أول النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ ٦٢: تعباً وحصوله بعد المجاوزة ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾: أي تنبه ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ بذلك المكان ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾: يبدل من الهاء ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾: بدل اشتمال أي أنساني ذكره ﴿وَاتَّخَذَ﴾: الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ ٦٣: مفعول ثان أي يتعجب منه موسى وفتاه لما تقدم في بيانه ﴿قَالَ﴾: موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي فقدنا الحوت ﴿مَا﴾: أي الذي ﴿كُنَّا نَبْغِ﴾: نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿فَارْتَدَّا﴾: رجعا ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمَا﴾: يقصانها ﴿قَصَصًا﴾ ٦٤: فأتيا الصخرة ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾: هو الخضر ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾: نبوة في قول وولاية في آخر وعليه أكثر العلماء ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾: من قبلنا

فجعل الحوت لا يمس شيئاً في البحر إلا يبس. قوله: [ذلك المكان] أي مجمع البحرين. قوله: ﴿من سفرنا هذا﴾ أي الذي وقع بعد مجاوزتهما الموعد. قوله: ﴿نصبا﴾ مفعول بلقينا. قوله: [وحصوله بعد المجاوزة] إنما كان حصول النصب بعد المجاوزة، لحصول السفر مع الانتظار والتشوق، وأما سفرهما قبل الوصول لمجمع البحرين فكان مقصوداً دفعة، فلا مشقة فيه. قوله: [أي تنبه] أي تذكر واستمع لما ألقيه إليك من شأن الحوت.

قوله: ﴿فإني نسيت الحوت﴾ أي نسيت إخبارك بما شاهدته منه كما تقدم. قوله: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ إن قلت: إن الشيطان لا تسلط له على الأنبياء. أجيب: بأنه أضاف النسيان إليه هضماً لنفسه. قوله: [أي يتعجب منه موسى وفتاه] أي حيث أكلا من الحوت شقه الأيسر، ثم حيي بعد ذلك. قوله: [لما تقدم في بيانه] أي وهو قوله: [وذلك أن الله أمسك عن الحوت جري الماء] الخ. قوله: [من نطلبه] وهو الخضر. قوله: ﴿فوجدا عبدا﴾ قيل دخل السرب مكان الحوت، فوجداه جالسا على جزيرة في البحر، وقيل وجداه عند الصخرة مغطى بثوب أبيض، طرفه تحت رأسه، والآخر تحت رجليه، فسلم عليه موسى، فرفع رأسه واستوى جالساً وقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل، فقال له موسى: ومن أخبرك أني نبي بني إسرائيل؟ فقال: الذي أدراك بي ودلك علي، ثم قال: لقد كان لك في بني إسرائيل شغل، قال موسى: إن ربي أرسلني إليك لأتبعك وأتعلم منك.

قوله: ﴿من عبادنا﴾ الإضافة لتشريف المضاف، أي من عبيدي الخصوصية. قوله: [هو الخضر] بفتح الخاء مع كسر الضاد أو سكونها، وبكسر الخاء مع سكون الضاد، ففيه ثلاث لغات، وهذا لقبه، واسمه بليا بفتح الباء وسكون اللام بعدها ياء تحتية آخره ألف مقصورة، ومعناه بالعربية أحمد بن ملكان، وكنيته أبو العباس، قال بعض العارفين: من عرف اسمه واسم أبيه وكنيته ولقبه مات على الإسلام، ولقب بالخضر لأنه جلس على الأرض فاخضرت تحته، وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله، وهو من نسل نوح، وكان أبوه من الملوك. قوله: [نبوة في قول] أي وقد صححه جماعة، والجمهور على أنه حي إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة، يجتمع به خواص الأولياء ويأخذون عنه، قال العارف السيد البكري صاحب ورد السحر في توسلاته:

بنقيبهم في كل عصر الخضر أبي الـ ... ـعباس من أحيا بماء وصاله
حي وحقك لم يقل بوفاته ... إلا الذي لم يلق نور جماله
فعليه مني كلما هب الصبا ... أزكى سلام طاب في إرساله

وقد اجتمع برسول الله ﷺ وأخذ عنه فهو صحابي. قوله: ﴿من لدنا﴾ أي مما يختص بنا، ولا يعلم بواسطة معلم

﴿عِلْماً﴾ ٦٥ : مفعولٌ ثانٍ أي معلوماً من المغيبات روى البخاري حديث أنّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسُئِل أيّ الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمّ فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا إلى قوله: ﴿واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ قال: وكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً الخ ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ ٦٦ : أي صواباً أرشد به وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين وسأله ذلك لأن الزيادة في العلم مطلوبة ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ ٦٧ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ

من أهل الظاهر. قوله: [خطيبا] أي واعظا يذكر الناس، حتى فاضت العيون ورقت القلوب، وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القبط، ورجوع موسى إلى مصر. قوله: [إذ لم يرد العلم إليه] أي فكان عليه أن يقول مثلاً: الله أعلم، وهذا من باب عتاب الأحباب تأديباً لموسى، وإلا فالواقع أن موسى أعلم من الخضر. قوله: [هو أعلم منك] أي في خصوص علم الكشف والوقائع المخصوصة، وهو بالنسبة للعلم الذي أوحاه الله إلى موسى قليل، فلذلك رغب موسى في حيازته. قوله: [فكيف لي به] أي فلما سمع موسى هذا، تشوقت نفسه الزكية وهمته العلية لتحصيل علم ما لم يعلم. قوله: [قال تأخذ معك حوتا] لعل الحكمة في تخصيصه ما ظهر بعد من حياته ودخوله في البحر. قوله: [فتجعله في مكتل] هو الزنبيل بكسر الزاي من خوص النخل، ويقال له القفة تسع خمسة عشر صاعا. قوله: [فهو ثم] أي هناك. قوله: [جرية الماء] بكسر الجيم. قوله: [مثل الطاق] هو البناء المقوس كالقنطرة. قوله: [أن يخبره بالحوت] أي بما حصل من أمره. قوله: [قال موسى] أي بعد أن صليا الظهر من اليوم الثاني. قوله: [قال] أي النبي ﷺ في شأن تفسير الآية.

قوله: ﴿قال له موسى﴾ أي بعد أن تلاقيا وحصل الوصول. قوله: ﴿هل أتبعك﴾ استفهام تعطف رعاية للأدب في حق المعلم، وبذلك الأدب يحصل النفع والسؤدد. قوله: ﴿على أن تعلمني﴾ أي ليس لي قصد في اتباعك إلا تعليمك إياي، لا شيئاً من الأغراض غير التعليم. قوله: ﴿رشداً﴾ مفعول ثان لتعلمني، أي لتعلمني صوابا من الذي علمكه. قوله: [وفي قراءة] أي وعليها فيكون من باب قتل، وقياس مصدره بفتح الراء، فيكون بضمها اسم مصدر، وعلى الأولى فيكون من باب طرب. قوله: [وسأله ذلك] جواب عما يقال: إن موسى من أولي العزم، ونبي ورسول جزما، وأسمعه الله كلامه، وأعطاه التوراة، وهو أفضل من الخضر، فكيف يسعى إليه ويتعلم منه؟ فأجاب: بأن الزيادة في العلم مطلوبة، على أن علم الخضر لا يحتاج إليه موسى في شرعه، وإنما هي مزية خص بها الخضر، وأمر الله موسى أن يأخذها عن الخضر ويكتمها، لتكمل له جميع المزايا، ولا يقتضي أن الخضر أعلم منه، لأن موسى كامل في علمه، لا يحتاج إلى شيء من علم الخضر، وإنما علمه من مزية خصه الله بها لا يقتدي به فيها.

قوله: ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ أي لما ترى من مخالفة شرعك ظاهرا، لأن المتعلم قسمان: متعلم ليس عنده شيء من العلوم، ولم يمارس الاستدلال، وهذا تعليمه سهل، ويقبل كل ما ألقي عليه، ومتعلم مارس الاستدلال وحصل العلوم، غير أنه يريد أن يزداد علما على علمه، وهذا تعليمه شاق شديد، لأنه إذا رأى شيئا أو سمع

تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾ ٦٨: في الحديث السابق عقب هذه الآية يا موسى إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه وقوله: خبراً مصدر بمعنى لم تحط أي لم تخبر حقيقته ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي﴾: أي وغير عاص ﴿لَكَ أَمْراً﴾ ٦٩: تأمرني به وقيد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يثقوا إلى أنفسهم طرفة عين ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي﴾: وفي قراءة: بفتح اللام وتشديد النون ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾: تنكره مني في علمك واصبر ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾ ٧٠: أي أذكره لك بعلته فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم ﴿فَانْطَلَقَا﴾: يمشيان على ساحل البحر ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾: التي مرت بهما ﴿خَرَقَهَا﴾: الخضر بأن اقتلع لوحاً أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللجج ﴿قَالَ﴾: له موسى ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾: وفي قراءة: بفتح التحتانية والراء ورفع أهلها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ ٧١: أي عظيماً منكراً روي أن الماء لم يدخلها ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ ٧٢ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾: أي غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾: تكلفني ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾ ٧٣: مشقة في صحبتي إياك أي عاملني فيها بالعفو واليسر ﴿فَانْطَلَقَا﴾: بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً﴾: لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهاً ﴿فَقَتَلَهُ﴾: الخضر بأن ذبحه بالسكين مضطجعاً أو اقتلع

كلاماً، عرضه على ما عنده، فإن وافقه وإلا ناقش فيه. قوله: ﴿وكيف تصبر﴾ الاستفهام تعجبي. قوله: [إني على علم] أي وهو علم الكشف. قوله: [وأنت على علم] أي وهو علم ظاهر الشريعة. قوله: [مصدر] أي مفعول مطلق مؤكد لعامله في المعنى، لأن [لم تحط] بمعنى [لم تخبر] والخبر بالضم معناه العلم، والأوضح أنه تمييز نسبة، أي لم تحط به من جهة العلم. قوله: [أي وغير عاص] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ولا أعصي﴾ معطوف على ﴿صابراً﴾ ولا بمعنى [غير]. قوله: [لأنه لم يكن على ثقة من نفسه] أي فكأنه قال: ستجدني صابراً إن وافق شرعي، أو أوحى الله إلي في شأنه، فأنا لا أدري ما يفعله الله، ولم يقل الخضر إن شاء الله لأن الله أطلعه على أن موسى لا يصبر على أمر يخالف شرعه، فحينئذ جزم بأنه لا يستطيع معه صبراً. قوله: [أن لا يثقوا إلى أنفسهم] ضمنه معنى يميلوا ويركنوا فعداه بإلى.

قوله: ﴿فلا تسألني﴾ أي لا تبادرني بالسؤال عن حكمته، بل اصبر حتى يظهر لك ما فيه من الباطن. قوله: [بفتح اللام] أي مع الهمز، وهما قراءتان سبعيتان، وبدون الهمز مع تشديد النون لغير السبعة. قوله: [في علمك] أي بحسب ظاهر علمك. قوله: [واصبر] قدره إشارة إلى أنه المغيا بحتى. قوله: [بعلته] أي حكمته وسببه. قوله: ﴿فانطلقا﴾ أي ومعهما يوشع، وإنما لم يذكر في الآية لأنه تابع، والمقصود ذكر موسى والخضر، وقيل لم يكن معهما، بل رده موسى حين التقى مع الخضر. قوله: [يمشيان على ساحل البحر] أي يطلبان سفينة، فوجدا سفينة فركباها، فقال أهلها: هؤلاء لصوص، لأنهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع، فقال صاحب السفينة: ما هم بلصوص، ولكني أرى وجوه الأنبياء، وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «مرت بهم سفينة، فكلموا أهلها أن يحملوهم فعرفوا الخضر بعلامة، فحملوهم بغير نول أي عوض». قوله: [بفأس] بالهمزة جمعه فؤس أي القدوم. قوله: [لما بلغت اللجج] اللج بالضم جمع لجة وهو الماء الغزير. قوله: [وفي قراءة] أي وهما سبعيتان. قوله: [روي أن الماء لم يدخلها] وقيل إن موسى لما رأى ذلك، أخذ ثوبه فجعله في الخرق.

قوله: ﴿بما نسيت﴾ أي بالأمر الذي غفلت عنه لقيام حمية الشرع بي، وقيل أراد بالنسيان الترك. قوله: ﴿عسراً﴾ مفعول ثان لترهقني. قوله: ﴿غلاماً﴾ قيل كان اسمه شمعون. قوله: [لم يبلغ الحنث] يطلق الحنث على

رأسه بيده أو ضرب رأسه بالجدار أقوال وأتى هنا بالفاء العاطفة لأن القتل عقب اللقي وجواب إذا ﴿قَالَ﴾: له موسى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً﴾: أي طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفي قراءة: زكية بتشديد الياء بلا ألف ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: أي لم تقتل نفساً ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ ٧٤: بسكون الكاف وضمها أي منكراً ﴿قَالَ: أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٧٥: زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا ولهذا ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾: أي بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾: لا تتركني أتبعك ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي﴾: بالتشديد والتخفيف من قبلي ﴿عُذْرًا﴾ ٧٦: في مفارقتك لي ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: هي أنطاكية ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾: طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾: ارتفاعه مائة ذراع ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾: أي يقرب أن يسقط لميلانه ﴿فَأَقَامَهُ﴾: الخضر بيده ﴿قَالَ﴾: له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ﴾: وفي قراءة: لاتخذت ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ٧٧: جعلا حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام ﴿قَالَ﴾: له الخضر ﴿هَٰذَا فِرَاقُ﴾: أي وقت فراق ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾: فيه إضافة بين إلى غير متعدد سوغها تكريره بالعطف بالواو ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾: قبل فراقي لك ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ ٧٨ ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾: عشرة ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾: بها مؤاجرة لها طلباً للكسب ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ

المعصية وعلى مخالفة اليمين، والمراد لم يبلغ حد التكليف، من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم. قوله: [مع الصبيان] أي وكانوا عشرة. قوله: [أو اقتلع رأسه بيده] أي بعد أن لوى عنقه. قوله: [لأن القتل عقب اللقى] أي بخلاف السفينة، فإن الخرق لم يكن عقب ركوبها فلذا لم يأت بالفاء. قوله: [وفي قراءة] وهما سبعيتان. قوله: ﴿بغير نفس﴾ أي من غير استحقاقها للقتل، والجار والمجرور متعلق بقتلت.

قوله: ﴿لقد جئت﴾ أي فعلت. قوله: ﴿نكراً﴾ هو أعظم من الأمر لأن فيه القتل بالفعل، بخلاف خرق السفينة، فإنه يمكن تداركه، وقيل بالعكس لأن الأمر قتل أنفس متعددة بسبب الخرق، فهو أعظم من قتل الغلام وحده. قوله: [بسكون الكاف وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [لعدم العذر هنا] لأنه لم يبد هنا عذراً. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان، والنون للوقاية أتي بها لتقي الفعل من الكسر، كما أتى بها في من وعن محافظة على تسكين النون. قوله: ﴿إذا أتيا أهل قرية﴾ أي وكان إتيانهم لها بعد الغروب، والليلة باردة ممطرة. قوله: [هي انطاكية] بتخفيف الياء. قوله: [طلبا منهم الطعام] روي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما، واستضافاهم فلم يضيفوهما، فأطعمتهم امرأة من أهل بربرة، فدعوا لنسائهم، ولعنا رجالهم، وعن قتادة: شر القرى من لا تضيف الضيف. قوله: [مائة ذراع] أي عرضه خمسون، وامتداده على وجه الأرض خمسمائة ذراع. قوله: ﴿فأقامه﴾ [الخضر بيده] قيل مسه بها فاستقام، وقيل أقامه بعمود، وقيل نقضه وبناه.

قوله: ﴿قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾ أي كان ينبغي لك أخذ جعل منهم على فعلك، لتقصيرهم فينا مع حاجتنا، فقد فعلت المعروف مع غير أهله. قوله: [وفي قراءة] أي بإظهار الذال وإدغامها في التاء، على كل فتكون القراءات أربعاً سبعيات. قوله: ﴿بتأويل﴾ أي تفسير هذه الآيات التي وقعت لموسى مع الخضر، وحكمة تخصيص الخضر لموسى بتلك الثلاثة، حيثما ورد أنه لما أنكر خرق السفينة، نودي: يا موسى أين كان تدبيرك هذا، وأنت في التابوت مطروحاً في اليم؟ فلما أنكر أمر الغلام قيل له: أين إنكارك هذا، من وكزك القبطي وقضائك عليه؟ فلما أنكر إقامة الجدار نودي: أين هذا من رفعك حجر البئر لبنتي شعيب دون أجر؟

قوله: ﴿أما السفينة﴾ شروع في وفاء ما وعد الخضر به موسى، على سبيل اللف والنشر المرتب، والسفينة تجمع

﴿وَرَاءَهُمْ﴾ إذا رجعوا أو أمامهم الآن ﴿مَلِكٌ﴾: كافر ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾: صالحة ﴿غَصْبًا﴾ ٧٩: نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ٨٠: فإنه كما في حديث مسلم طبع كافراً ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه في ذلك ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً﴾: أي صلاحاً وتقى ﴿وَأَقْرَبَ﴾: منه ﴿رُحْمًا﴾ ٨١: بسكون الحاء وضمها رحمة وهي البر بوالديه فأبدلهما تعالى جارية تزوجت نبياً فولدت نبياً فهدى الله تعالى به أمة ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ﴾: مال مدفون من ذهب وفضة ﴿لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾: فحفظا بصلاحه في

على سَفين وسفائن، ويُجمع السفين على سُفُن بضمتين مأخوذة من السَّفْن، كأنها تسفن الماءَ أي تقشره، وصاحبها سفّان. قوله: ﴿لمساكين﴾ [عشرة] أي وكانوا إخوة ورثوها عن أبيهم، خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحر، وقيل بكل واحد زمانة ليست بالآخر، فأما العمال منهم فأحدهم مجذوم، والثاني أعور، والثالث أعرج، والرابع آدر، والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم. والخمسة الذين لا يطيقون العمل: أعمى، وأصم، وأخرس، ومقعد، ومجنون، وكان البحر الذين يعملون فيه ما بين فاس إلى الروم.

قوله: ﴿فأردت أن أعيبها﴾ أي فإذا رآها الملك معيبة تركها، فإذا جاوزوه أصلحوها وانتفعوا بها. قوله: ﴿وكان وراءهم﴾ الجملة حالية على إضمار قد. قوله: [إذا رجعوا] من المعلوم أنه إذا كان وراءهم وقت رجوعهم فبالضرورة يكون في حال توجههم أمامهم، فقد اتحد هذا القول مع ما بعده. وقد يجاب: بأن قوله: ﴿وكان وراءهم﴾ أي في حال توجههم، لكنهم في حال رجوعهم يمرون عليه، وحينئذ فلا يكون أمامهم الآن، أي ووراء بمعنى أمام، قال تعالى ﴿من ورائه جهنم﴾ قوله: ﴿ملك﴾ [كافر] أي وكان ملك غسان واسمه جيسور. قوله: [صالحة] أي صحيحة. قوله: ﴿فخشينا﴾ أي أن الله أعلم الخضر بوقوع ذلك من الغلام إن لم يقتله. قوله: ﴿أن يرهقهما﴾ أي يكلفهما ويوقعهما في الكفر. قوله: [طبع كافراً] أي خلق مجبولاً على الكفر، وحينئذ فيكون مستثنى من حديث «كل مولود يولد على فطرة الإسلام». قوله: [لمحبتهما له] علة لإيقاعه لهما في الكفر. قوله: [بالتشديد والتخفيف] قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿خيراً منه﴾ اسم التفضيل ليس على بابه، إذ لم يكن في الغلام خيراً وعلى بابه باعتبار زعمهما. قوله: ﴿زكاة﴾ تمييز، وكذا قوله: ﴿رحماً﴾. قوله: [جارية] أي بنتاً. قوله: [فولدت نبياً] وقيل اثني عشر نبياً، وقيل ولدت سبعين نبياً، وما فعله الخضر من قتل الغلام، إنما هو جار على شرعه لا على شرعنا، فإنه لا يجوز قتل الصبيان الكفار، إلا أن يقاتلوا بالسلاح في الحرب، ولو اطلع شخص على ما اطلع عليه الخضر، فلا يجوز له قتل الغلمان، وقد أرسل بعض الخوارج لابن عياض يسأله: كيف قتل الخضر الغلام الصغير، وقد نهى النبي ﷺ عن قتل أولاد الكفار، فضلاً عن أولاد المؤمنين؟ فكتب اليه على سبيل المجاراة والتسليم لدعواه: إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتلهم. وروي أن موسى لما قال للخضر: ﴿أقتلت نفساً زكية﴾ الآية؟ غضب الخضر، واقتلع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه، وإذا فيه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبداً.

قوله: ﴿فكان لغلامين﴾ اسم أحدهما أصرم والآخر صريم. قوله: ﴿في المدينة﴾ هي المعبر عنها أولاً بالقرية تحقيراً لها، لكون أهلها لم يضيفوهما، وعبر عنها بالمدينة تعظيماً لها، من حيث اشتمالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما. قوله: [مال مدفون من ذهب وفضة] هذا أحد أقوال في تفسير الكنز، وقيل كان علماً في صحف مدفونة، وقيل كان لوحاً من ذهب مكتوب في أحد جانبيه بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن؟ عجبت لمن

أنفسهما ومالهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾: أي إيناس رشدهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: مفعول له عامله أراد ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾: أي ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِي﴾: أي اختياري بل بأمر إلهام من الله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ٨٢: يقال اسطاع واستطاع بمعنى أطاع ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة في فأردت فأردنا فأراد ربك ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾: أي اليهود ﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾: اسمه الإسكندر ولم يكن نبياً ﴿قُلْ سَأَتْلُو﴾: سأقص ﴿عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾: من حاله ﴿ذِكْرًا﴾ ٨٣: خبراً ﴿إِنَّا

يؤمن بالرزق كيف يتعب؟ عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح؟ عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل؟ عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها؟ لا إله إلا الله محمد رسول الله. وفي الجانب الآخر مكتوب: أنا الله، لا إله إلا أنا وحدي، لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه.

قوله: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ قيل إنه أبوهما مباشرة، وقيل هو الأب السابع، وقيل العاشر، وكان يسمى كاشحاً، واسم أمهما دنيا، وفيه دليل على أن تقوى الأصول تنفع الفروع. قوله: [أي إيناس رشدهما] أي حتى يبلغا أن يعلم إيناس أشدهما، أي قوتهما وكمالهما. قوله: ﴿ويستخرجا كنزهما﴾ أي من تحت الجدار، ولولا فعلا ذلك لضاع. قوله: [بل بأمر إلهام من الله] لم يقل بوحي لعدم الجزم بنبوته. قوله: ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من الأجوبة الثلاثة. قوله: [ونوعت العبارة] أي أن هذا التغاير تنويع في العبارة، وبعضهم أبدى حكمة في اختلاف التعبير، وهي أن الأولى لما كان ظاهرها إفساداً محضاً، أضافه لنفسه حيث قال: فأردت، أدباً مع الله وإن كان الكل منه. والثاني لما كان فيه نوع إصلاح ونوع إفساد، عبر فيه بقوله: [فأردنا]. والثالث لما كان إصلاحاً محضاً، أضافه لله بقوله: [فأراد ربك] قيل إن الخضر لما أراد أن يفارق موسى، قال له موسى: أوصني، قال: كن بساماً ولا تكن ضحاكاً، ودع اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تعب على الخطائين خطاياهم، وابك على خطيئتك يا ابن عمران.

قوله: ﴿ويسألونك﴾ أي المشركون بأمر اليهود، فاليهود سبب في السؤال، وإن لم تقع منهم المباشرة له، فصح قول المفسر لليهود. قوله: ﴿عن ذي القرنين﴾ لقب بذلك لما قيل: إن له قرنين صغيرين في رأسه، وقيل لأنه أعطي علم الظاهر والباطن، وقيل لأنه ملك فارس والروم. قوله: [اسمه الاسكندر] أي وهو الذي بنى الاسكندرية وسماها باسمه. قوله: [ولم يكن نبياً] أي على الصحيح، وإنما كان ولياً فقط، وما يأتي مما يوهم نبوته فمؤول ومحمول على الالهام والإلقاء في القلب، وذلك غير مخصوص بالأنبياء، واسكندر هذا من أولاد سام بن نوح، وكان ابن عجوز ليس لها غيره، وكان أسود اللون، وكان على شريعة إبراهيم الخليل، فإنه أسلم على يديه ودعا له، وأوصاه بوصايا، وكان يطوف معه، وكان الخضر وزيره وابن خالته، وكان يسير معه على مقدمة جيشه، وهذا بخلاف ذي القرنين الأصغر، فإنه من ولد العيص بن إسحاق، وكان كافراً، عاش ألفاً وستمائة سنة، وكان قبل المسيح بثلاثمائة سنة، وفي القرطبي قال وهب بن منبه: كان ذو القرنين رجلاً من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه اسكندر، فلما بلغ كان عبداً صالحاً، قال الله تعالى، أي على لسان نبي كان موجوداً أو بإلهام: يا ذا القرنين إني باعثك، أي سلطاناً إلى أمم الأرض، وهم أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، وهم أصناف: أمتان بينهما طول الأرض كلها، وأمتان بينهما عرض الأرض كلها، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج، فأما اللتان بينهما عرض الأرض، فأمة في قطر الأرض تحت الجنوب ويقال لها هاويل، وأمة في قطر الأرض الأيسر ويقال لها تاويل، وأما اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند مطلع الشمس يقال لها منسك، وأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك، فقال ذو

﴿مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾: بتسهيل السير فيها ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه ﴿سَبَباً﴾ ٨٤: طريقاً يوصله إلى مراده ﴿فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾ ٨٥: سلك طريقاً نحو المغرب ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾: موضع غروبها ﴿وَجَدَهَا

القرنين: إلهي لقد ندبتني لأمر عظيم، لا يقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم، بأي قوة أكاثرهم، وبأي صبر أقاسيهم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ وكيف لي بأن أفقه لغتهم وليس لي قوة؟ فقال الله تعالى: سأظفرك بما حملتك، أشرح لك صدراً فتسمع كل شيء، وأثبت لك فهماً فتفقه كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة، فيكونان جنداً من جنودك، يهديك النور من أمامك، وتحفظك الظلمة من ورائك، فلما قيل له ذلك، سار بمن اتبعه، فانطلق إلى الأمة التي عند مغرب الشمس، لأنها كانت أقرب الأمم منه، وهي ناسك، فوجد جنوداً لا يحصيها إلا الله، وقوة وبأساً لا يطيقه إلا الله تعالى، وألسنة مختلفة، وأهواء مشتتة، فكاثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاث عساكر من جنود الظلمة، قدر ما أحاط بهم من كل مكان، حتى جمعهم في مكان واحد، ثم دخل عليهم بالنور، فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته، فمنهم من آمن به، ومنهم من صد عنه، فأدخل على الذين تولوا الظلمة، فغشيتهم من كل مكان، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وأعينهم وبيوتهم، وغشيتهم من كل مكان، فتحيروا وهاجروا وأشفقوا أن يهلكوا، فعجوا إلى الله بصوت واحد: إنا آمنا، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة ودخلوا في دعوته، فجند من أهل المغرب أمماً عظيمة، فجعلهم جنداً واحداً، ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور أمامه يقوده ويدله، وهو يسير في ناحية الأرض الأيمن، وهي هاويل، وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره، فلا يخطئ إذا عمل عملاً، فإذا أتوا مخاضة أو بحراً، بنى سفناً من ألواح صغار أمثال النعال، فيضمها في ساعة، ثم يحمل عليها من معه من تلك الأمم، فإذا قطع البحار والأنهار، فتقها ودفع إلى كل رجل لوحاً فلا يكترث بحمله، فانتهى إلى هاويل، ففعل بهم كفعله بناسك فآمنوا، فأخذ جيوشاً منهم، فانطلق إلى ناحية الأرض الأخرى، حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجند منها جنوداً، كفعله في الأولى، ثم كر مقبلاً، حتى أخذ بناحية الأرض اليسرى يريد تاويل، وهي الأرض التي تقابل هاويل، بينهما عرض الأرض ففعل فيها كفعله فيما قبلها، ثم عطف على الأمم التي في وسط الأرض، من الإنس والجن ويأجوج ومأجوج، فلما كان في بعض الطريق، مما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت أمة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين، إن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله كثيرين، ليس فيهم مشابهة للإنس، وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب، ويفترسون الدواب والوحش كما تفترسها السباع، ويأكلون دواب الأرض كلها، من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق تنمي نماءهم في العام الواحد، فإذا طالت المدة، سيملأون الأرض ويخرجون أهلها منها، فهل نجعل لك خرجاً، على أن تجعل بيننا وبينهم سداً، إلى آخر ما يأتي في الآية، وبالجملة فقد ملكه الله ومكنه ودانت له الملوك، فقد روي أن الذين ملكوا الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، والاسكندر. والكافران: نمروذ، وبختنصر، وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدي.

قوله: ﴿إنا مكنا له في الأرض﴾ أي بالتصرف فيها حيث شاء. قوله: [طريقاً] أي كآلات السير وكثرة الجند. قوله: [إلى مراده] أي وهو جميع الأرض. قوله: ﴿فأتبع سبباً﴾ بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان. قوله: [موضع غروبها] أي فالمراد أنه بلغ آخر العمارة من الأرض ووصل إلى ساحل البحر المحيط، فلما لم يبق قدامه شط بل مياه لا آخر لها، رأى الشمس كأنها تغرب فيه، وسماه الله عيناً لأنه بالنسبة إلى ما هو أعظم منه في علم الله كالعين، وإن كان

﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: ذات حمأة وهي الطين الأسود وغروبها في العين في رأي العين وإلا فهي أعظم من الدنيا ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾: أي العين ﴿قَوْمًا﴾: كافرين ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾: بإلهام ﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ﴾: القوم بالقتل ﴿وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ٨٦ بالأسر ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾: نقتله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ ٨٧: بسكون الكاف وضمها شديداً في النار ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾: أي الجنة والإضافة للبيان وفي قراءة بنصب جزاء وتنوينه قال الفراء ونصبه على التفسير أي لجهة النسبة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ ٨٨: أي نأمره بما يسهل عليه ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ٨٩: نحو المشرق ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾: موضع طلوعها ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: هم الزنج ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾: أي الشمس ﴿سِتْرًا﴾ ٩٠: من لباس ولا سقف لأن أرضهم لا تحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي الأمر كما قلنا ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾: أي عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما

تعظيما في نفسه. قوله: ﴿حمئة﴾ بالهمز بدون ألف، وبألف بعدها ياء قراءتان سبعيتان، فأما الأولى فهي من الحمأة، وهي الطين الأسود، وأما الثانية فهي اسم فاعل من حمى يحمي. والمعنى في عين حارة، ولا تنافي بين القراءتين لأن العين جامعة بين الوصفين: الحرارة وكون أرضها من طين. قوله: [وغروبها في العين] الخ، جواب عما يقال: إن الشمس في السماء الرابعة، وهي قدر كرة الأرض مائة وستين مرة، فكيف تسعها عين في الأرض تغرب فيها؟ فأجاب: بأن هذا الوجدان باعتبار ما رأى لا حقيقة، كما يرى راكب البحر الشمس طالعة وغاربة فيه. قوله: [كافرين] أي وكانوا في مدينة لها اثنا عشر ألف باب، كانت على ساحل البحر المحيط، وقوتهم ما يلفظه البحر من السمك، وكان لباسهم جلود الوحوش.

قوله: ﴿قلنا﴾ أي بإلهام. قوله: [بالأسر] أي وسمي إحساناً بالنسبة للقتل. قوله: ﴿أما من ظلم﴾ أي استمر على ظلمه. قوله: ﴿ثم يرد﴾ أي في الآخرة. قوله: [بسكون الكاف وضمها] أي فهما سبعيتان. قوله: [أي لجهة النسبة] أي نسبة الخبر المقدم، وهو الجار والمجرور، إلى المبتدأ المؤخر وهو الحسنى، والتقدير فالحسنى كائنة له من جهة الجزاء.

قوله: ﴿وسنقول له﴾ أي لمن آمن. قوله: [موضع طلوعها] أي الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولاً، قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة، وقيل أقل لأنه سخر له السحاب، وطويت له الأسباب. قوله: [هم الزنج] بفتح الزاي وكسرها. قوله: ﴿ستراً﴾ هو بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، وهو في الآية بالكسر. قوله: [وسقف] أي ولا أشجار لأن أرضهم رخوة لا تحمل بناء لعدم الجبال فيها، فتميد بأهلها ولا تستقر. قوله: [ويظهرون عند ارتفاعها] أي مغيبها يسعون في تحصيل مهمات معاشهم، وحالهم بالضد من أحوال الخلق، فما دامت الشمس طالعة فهم في السراديب، وإذا غربت خرجوا لتكسباتهم. قوله: [أي الأمر] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كذلك﴾ خبر لمحذوف. قوله: ﴿وقد أحطنا﴾ الخ الجملة مستأنفة من كلام الله، وفائدة الأخبار بذلك الاعتناء بشأن ذي القرنين، وأن الله معه بالنصر والعون أينما حل.

قوله: ﴿ثم أتبع﴾ تقدم أنه يقرأ بالتشديد والتخفيف. قوله: ﴿سبباً﴾ أي طريقاً آخر توصله لجهة الشمال، لأن يأجوج ومأجوج، وإن كانوا في وسط الأرض، إلا أنهم لجهة الشمال، لأن أرضهم واسعة جداً تنتهي إلى البحر المحيط، قال بعضهم: مسافة الأرض بتمامها خمسمائة عام، ثلاثمائة بحار، ومائة وتسعون مسكن يأجوج ومأجوج،

﴿خُبۡرٗا﴾ ٩١: علماً ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾: بفتح السين وضمها هنا وبعدهما جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الإسكندر ما بينهما كما سيأتي ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾: أي أمامهما ﴿قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾ ٩٣: أي لا يفهمونه إلا بعد بطء وفي قراءة: بضم الياء وكسر القاف ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾: بالهمز وتركه هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا ﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: بالنهب والبغي عند خروجهم إلينا ﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾: جعلاً من المال وفي قراءة خراجاً ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾ ٩٤: حاجزاً فلا يصلون إلينا ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾: وفي قراءة بنونين من غير إدغام ﴿فِيهِ رَبِّي﴾: من المال وغيره ﴿خَيۡرٞ﴾: من خرجكم الذي تجعلونه لي فلا حاجة بي إليه وأجعل لكم السد تبرعاً ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: لما أطلبه منكم ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ

تبقى عشرة، للحبشة منها سبعة، وثلاثة لجملة الخلق غيرهم. قوله: [هنا وبعد] أي في هذه الآية وفي قوله الآتي ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾، وفي يس ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ فهذه المواضع تقرأ بالفتح والضم سبعيتان. قوله: [جبلان] أي عاليان جداً أملسان. قوله: [بمنقطع] بفتح الطاء أي آخر بلاد الترك. قوله: [سد الاسكندر ما بينهما] أي الفتحة التي بين الجبلين، وقدرها مائة فرسخ، ومسيرة الفرسخ ساعة ونصف، فتكون مسيرته مائة وخمسين ساعة، مسيرة اثني عشر يوماً ونصف، فتبلغ مسافته نحو العقبة من مصر. قوله: [أي أمامهما] أي بقربهما. قوله: ﴿قوماً﴾ أي وهم الترك والروم. قوله: ﴿لا يكادون يفقهون قولاً﴾ أي لغرابة لغتهم وبطء فهمهم. قوله: [وفي قراءة] أي وهما سبعيتان، والمعنى لا يفهمون غيرهم لشدة عجمتهم، فكلامهم مغلق.

قوله: ﴿قالوا﴾ أي قال مترجمهم، لأنهم من أولاد يافث بن نوح، وذو القرنين من أولاد سام، فلا يفهم لغتهم، وإنما كان لهم مترجم يفهم كلاً من اللغتين، وقيل خاطبوه بأنفسهم وفهم لغتهم كرامة لما تقدم أن الله جعل له فهماً يفقه به كل شيء، وهو الأقرب. قال أهل التواريخ: أولاد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث، فسام: أبو العجم والعرب والروم، وحام: أبو الحبشة والزنج والنوبة. ويافث: أبو الترك والبربر وصقالبة ويأجوج ومأجوج. قال ابن عباس: هم عشرة أجزاء، وولد آدم كلهم جزء.

قوله: ﴿إن يأجوج ومأجوج﴾ روي أنه كلاً من الجبلين اشتمل على أربعة آلاف أمة، لا يموت الواحد منهم، حتى ينظر ألف ذكر من صلبه، كلهم قد حمل السلاح، وهم أصناف: صنف منهم طوله عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع، وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، والجميع كفار، دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان ليلة الإسراء فلم يجيبوا. قوله: [بالهمز وتركه] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أعجميان] أي لا اشتقاق لهما، ومنعا من الصرف للعلمية والعجمة. قوله: [بالنهب والبغي] فكانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم: فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه وأدخلوه أرضهم. قوله: [عند خروجهم] أي من هذه الفتحة. قوله: [وفي قراءة خراجاً] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [وفي قراءة بنونين] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [وغيره] أي كالملك. قوله: [وأجعل لكم السد تبرعاً] روي أنه قال لهم: أعدوا لي الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم، فانطلق حتى توسط بلادهم، فوجد طول الواحد منهم، مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخاليب وأضراس كالسباع، ولهم شعر يواري أجسادهم، ويتقون به من الحر والبرد، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان، يفترش إحداهما، ويلتحف بالأخرى، يصيف في واحدة، ويشتي في الأخرى، يتسافدون تسافد البهائم، فلما عاين ذو القرنين ذلك، اهتم بالسد، فبنى

﴿وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ ٩٥: حاجزاً حصيناً ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾: قطعه على قدر الحجارة التي يبنى بها فبني بها وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثاني أي جانبي الجبلين بالبناء ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾: فنفخوا ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ﴾: أي الحديد ﴿نَاراً﴾: أي كالنار ﴿قَالَ: آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ ٩٦: هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لإعمال الثاني فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصارا شيئاً واحداً ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾: أي يأجوج ومأجوج ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: يعلو ظهره لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ ٩٧: خرقاً لصلابته وسمكه ﴿قَالَ﴾: ذو القرنين ﴿هَذَا﴾: أي السد أي الإقدار عليه ﴿رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾: نعمة لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾: بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾: مدكوكاً مبسوطاً ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾: بخروجهم وغيره ﴿حَقّاً﴾ ٩٨: كائناً قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم خروجهم ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: أي القرن للبعث ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾: أي الخلائق في مكان واحد يوم القيامة

الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب، فلما وصل إلى ظاهر الأرض، بنى بقطع الحديد، وأفرغ عليه النحاس المذاب، ولا يشكل هذا على ما تقدم من أنهم أصناف؛ لأنه رأى صنفاً من الأصناف.

قوله: ﴿آتوني﴾ بفتح الهمزة وكسرها مع المد، فيهما قراءتان سبعيتان، فزبر على الفتح منصوب على المفعولية، وعلى الكسر منصوب بنزع الخافض. قوله: ﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ جمع زبرة كغرف وغرفة. قوله: [بضم الحرفين] الخ، أي فالقراءات السبعية ثلاث. قوله: [بالبناء] متعلق بساوى. قوله: [ووضع المنافخ] جمع منفخ كمنبر، ويقال منفاخ كمفتاح، ويجمع على منافيخ. قوله: [فنفخوا] أي وهذه كرامة لذي القرنين، حيث منع الله حرارة النار عن العملة الذين ينفخون ويفرغون النحاس، مع أنه أصعب من النار مع قربهم من ذلك. قوله: [وحذف من الأول] أي وهو ضميره لأنه فضلة، والأصل آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً. قوله: [بين زبره] أي مكان الحطب والفحم الذي كان بينها، فلما أكلته النار، بقي ما بينها خالياً، فأفرغ فيه النحاس المذاب فامتزج بالحديد. قوله: [لارتفاعه] أي فكان ارتفاعه مائتي ذراع. قوله: [وملاسته] أي فكان لا يثبت عليه قدم ولا غيره.

قوله: ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ أي خرقاً بالفعل. كما يشهد له ما روى الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنهم يحضرونه كل يوم، حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، قال: فيعيده الله كأشد مما كان، حتى إذا بلغ مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم إلى الناس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، قال: فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه، فيخرجون منه إلى الناس فيستقون المياه وتنفر الناس منهم.

قوله: ﴿فإذا جاء وعد ربي﴾ أي وقت وعده. قوله: [بخروجهم] أي فيخرجون على الناس فينفرون منهم، فيرمون بسهام إلى السماء، فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض ومن في السماء، فيزدادون قوة وقسوة. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أن كلام ذي القرنين تم عند قوله: ﴿حقاً﴾ وهذا من كلام الله. قوله: ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ أي لشدة الازدحام عند خروجهم، وذلك عقب موت الدجال، فينحاز عيسى بالمؤمنين إلى جبل الطور فراراً منهم، ثم يسلط الله عليهم دوداً في أنوفهم فيموتون به، فتنتن الأرض منهم، فتأتي طيور ترميهم في البحر بدعاء عيسى عليه السلام، ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس، ولا يصلون إلى من تحصن بورد أو ذكر. قوله: [لكثرتهم] أي وضيق الأرض، فإن أرضنا بالنسبة لأرضهم ضيقة جداً.

﴿جَمْعاً﴾٩٩ ﴿وَعَرَضْنَا﴾: قرّبنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً﴾١٠٠ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾: بدل من الكافرين ﴿فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾: أي القرآن فهم عمي لا يهتدون به ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾١٠١: أي لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلو عليهم بغضاً له فلا يؤمنون به ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾: أي ملائكتي وعيسى وعزيراً ﴿مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: أرباباً مفعول ثان ليتخذوا والمفعول الثاني لحسب محذوف المعنى أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾: هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلاً﴾١٠٢: أي هي معدة لهم كالمنزل المعد للضيف ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾١٠٣ تمييز طابق المميز وبيّنهم بقوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾: يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾١٠٤:

قوله: ﴿ونفخ في الصور﴾ أي النفخة الثانية، بدليل التعقيب في قوله: ﴿فجمعناهم﴾ وأما النفخة الأولى، فعندها تخرج روح كل ذي روح، واختلف في القدر الذي بين النفختين، والصحيح أنه أربعون عاماً. قوله: [أي القرن] وهو بيد إسرافيل عليه السلام. قوله: [قربنا] أي أظهرنا بحيث يكونون مشاهدين لها. قوله: ﴿يومئذ﴾ إن كان المراد به يوم الموقف، فالعرض على حقيقته بمعنى التقريب والإظهار، وإن كان المراد بعد انفضاضه، فالمراد بالعرض امتزاجها بهم، فيكون كناية عن دخولهم فيها وتعذيبهم بها، وفائدة التأكيد على الأول، الإشارة إلى أنه لم يكن بينهم وبينها حجاب. قوله: ﴿أعينهم﴾ أي بصائرهم. قوله: [لا يهتدون به] أي لا يتعظون ولا يؤثر في قلوبهم. قوله: ﴿لا يستطيعون سمعاً﴾ أي سماع قبول وفهم، لوجود الحجاب المانع لهم من ذلك.

قوله: ﴿أفحسب الذين كفروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أكفروا فحسبوا الخ، والاستفهام للتوبيخ والتقريع. قوله: [أي ملائكتي وعيسى وعزيراً] أشار بذلك إلى تنوعهم في الكفر، فالمشركون يعبدون الملائكة، والنصارى يعبدون عيسى، واليهود يعبدون العزير. قوله: [وعزيراً] هذا لقبه، واسمه قطفير، أو أطفير. قوله: ﴿من دوني﴾ أي غيري وهو صادق بكونهم يشركونهم معه في العبادة، أو خصوهم بالعبادة دونه. قوله: [مفعول ثان ليتخذوا] أي والأول قوله: ﴿عبادي﴾ فمفعولا اتخذ مذكوران. قوله: [والمفعول الثاني لحسب محذوف] أي والأول قوله: ﴿أن يتخذوا﴾ الخ، والتقدير أظن الكافرون اتخاذهم عبادي من دوني أرباباً لا يغضبني، بل هو مغضب لي وأعاقبهم عليه، وبتفسير الأولياء بالأرباب، اندفعت شبهة من يزعم أن محبة الأولياء وزيارتهم إشراك، واستدلوا بمثل هذه الآية، فيقال: إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرون الخلق وينفعونهم بذواتهم، فمسلم أنه إشراك، وأما إن كان على سبيل أنهم عباد، اختاروا خدمة ربهم وعبادته، فاختارهم وأحبهم، فهذا الاعتقاد منج من المهالك. ومورث للفوز بصحبتهم ومرافقتهم في دار السلام لما ورد: المرء مع من أحب. قوله: [كلا] هي كلمة ردع وزجر.

قوله: ﴿إنا أعتدنا﴾ أي هيأنا وأحضرنا. قوله: [هؤلاء] أي الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيراً. قوله: [وغيرهم] أي من بقية الكفار. قوله: [كالمنزل المعد للضيف] أي فهو استهزاء وسخرية بهم، من حيث سمى محل عذابهم نزلاً، والنزل اسم لمكان الضيف أو لما يهيأ له. قوله: ﴿بالأخسرين﴾ جمع أخسر، إما بمعنى أشد الناس خسراناً، أو بمعنى خاسر. قوله: [طابق المميز] جواب عما يقال: كيف جمع التمييز مع أن أصله الافراد؟ ولم جمع المصدر مع أنه لا يثنى ولا يجمع؟ فأجاب: بأنه جمع لمشاكلة مميزه. قوله: ﴿الذين ضل سعيهم﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي هم الذين الخ. قوله: [بطل عملهم] أي لأن شرط الثواب الإسلام، والكفر لا تنفع معه طاعة. قوله:

عملاً يجازون عليه ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾: أي وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بطلت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ ١٠٥: أي لا نجعل لهم قدراً ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره وابتدأ ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ ١٠٦: أي مهزواً بهما ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾: في علم الله ﴿جَنَّاتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾: هو وسط الجنة وأعلاها والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾ ١٠٧: منزلاً ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ١٠٨: يطلبون تحولاً إلى غيرها ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾: أي ماؤه ﴿مِدَادًا﴾: هو ما يكتب به ﴿لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾: الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾: في كتابتها ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾: بالتاء والياء تفرغ ﴿كَلِمَاتُ

﴿وهم يحسبون﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿ضل﴾. قوله: [أي وبالبعث] أي فالمراد بلقاء الله لقاء بعثه وحسابه الخ. قوله: ﴿فحبطت﴾ أي فبسبب ذلك. قوله: [أي لا نجعل لهم قدراً] أي منزلة، وإنما قال ذلك لأن الكفار على التحقيق توزن أعمالهم، وبعضهم أجاب بأن الآية فيها حذف النعت، والتقدير وزناً نافعاً.

قوله: ﴿ذلك﴾ [أي الأمر] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ذلك﴾ خبر لمحذوف. قوله: [الذي ذكرت] تفسير لاسم الاشارة. قوله: [وابتدأ] أشار بذلك إلى أن جملة ﴿جزاؤهم جهنم﴾ مستأنفة، وهو صادق بأن يكون ﴿جزاؤهم﴾ مبتدأ، و﴿جهنم﴾ خبر، أو بالعكس، ويصح أن يكون ذلك مبتدأ أول، وجزاؤهم مبتدأ ثان، وجهنم خبر الثاني، وهو وخبره خبر الأول. قوله: ﴿بما كفروا﴾ الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب كفرهم واتخاذهم. قوله: [في علم الله] أي قبل أن يخلقوا، وهو جواب عما يقال: إنهم يدخلونها في المستقبل فلم عبر بالماضي؟ فأجاب: بأن المراد ثبتت واستقرت لهم قبل خلقهم، فهو نظير قوله تعالى ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ الآية. قوله: [هو وسط الجنة] إما بسكون السين بمعنى أنها متوسطة بين الجنات، أو بفتحها بمعنى خيارها، قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والفردوس الجنة من الكرم خاصة، أو ما غالبها كرم، واختلف فيه فقيل هو عربي، وقيل أعجمي، وقيل هو رومي، وقيل فارسي، وقيل سرياني. قوله: [منزلا] أي وقيل ما يهيأ للضيف. قوله: ﴿خالدين﴾ حال مقدرة. قوله: ﴿لا يبغون﴾ حال أخرى. قوله: [تحولا] أي انتقالا عنها إلى غيرها، لأن فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

قوله: ﴿قل لو كان البحر مداداً﴾ سبب نزولها: أن اليهود قالت: يا محمد إنا قد أوتينا التوراة، وفيها علم كثير، فكيف تقول ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ وقصدهم بذلك الإنكار عليه، وإثبات الفضل لهم. قوله: ﴿أي ماؤه﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿لكلمات ربي﴾ أي النفسية القائمة بذاته، ويصح أن يراد بها الكلمات القرآنية الحادثة، ويكون المراد بعدم تناهيها باعتبار مدلولاتها. قوله: ﴿لنفد البحر﴾ أي فرغ. قوله: ﴿قبل أن تنفد﴾ إن قلت: إن الآية تدل على نفاد الكلمات وفراغها لأن مقتضي قوله: ﴿قبل أن تنفد كلمات ربي﴾ أنها تفرغ بعد فراغ المداد. وأجيب: بأن قبل بمعنى غير. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [لنفد] قدره إشارة إلى أن لو شرطية جوابها محذوف ويوضح هذه الآية قوله تعالى في سورة لقمان ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام

---

* أسباب نزول الآية الآية ١٠٩ قوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر﴾ الآية أخرج الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل؟ فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه، فنزلت ﴿ويسألنك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وقال اليهود: أوتينا علماً كثيراً: أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾ الآية.

رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾: أي البحر ﴿مَدَدًا﴾ ١٠٩: زيادةً فيه لنَفِد ولم تفرغ هي، ونصبه على التمييز ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾: آدمي ﴿مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: أنّ المكفوفة بما باقية على مصدريتها والمعنى يوحى إلي وحدانية الإله ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾: يأمل ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾: أي فيها بأن يرائي ﴿أَحَدًا﴾ ١١٠.

والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾. قوله: [ونصبه] أي مداداً، وقوله: [على التمييز] أي لمِثل. قوله: [باقية على مصدريتها] أي فما وإن كفتها عن العمل لا تخرجها عن المصدرية. قوله: [والمعنى] أي المأخوذ من التركيب. قوله: ﴿عملاً صالحاً﴾ أي بشروطه وأركانه. قوله: [بأن يرائي] هذا قدر زائد على التوحيد والعمل، وحينئذ فيكون بياناً للإيمان الكامل، الذي يرقى به صاحبه المراتب العلية واللقى الخاص، وإلا فالمراتب ثلاث: من أراد بعمله الحظ الفاني فهو في أدنى المراتب، ومن أراد به الخوف من العذاب والفوز بجزيل الثواب فهو أعلى منه، ومن أراد وجه الله فهو في أعلى المراتب.

---

* أسباب نزول الآية ١١٠ قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص عن طاوس قال: قال رجل: يا رسول الله إني أقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني، فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ مرسل، وأخرجه الحاكم في المستدرك موصولاً عن طاوس عن ابن عباس وصححه على شرط الشيخين. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان رجل من المسلمين يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه، فأنزل الله ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ الآية.

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر في تاريخه من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قال جندب بن زهير إذا صلى الرجل أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له فزاد في ذلك المقالة الناس له، فنزلت في ذلك ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ الآية.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[١٩] - سورة مريم

[مكيّة أو إلا سجدتها فمدنية أو إلا ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ الآيتين فمدنيتان وهي ثمان أو تسع وتسعون آية]

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

﴿كهيعص﴾ [١]: الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾: مفعول رحمة ﴿زَكَرِيَّا﴾ [٢]: بيان له

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم مكية

إلا سجدتها فمدنية أو إلا ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ الآيتين فمدنيتان وهي ثمان أو تسع وتسعون آية

سميت بذلك لذكر قصتها فيها، على عادته تعالى من تسمية السورة باسم بعضها، وفي بعض النسخ عليها السلام ولا ضرر فيها، وإن كان المقصود ذكر اسم لا العَلَم المشهور، ولم تذكر امرأة باسمها صريحاً في القرآن إلا مريم، فذكرت فيه في ثلاثين موضعاً، وحكمة ذلك التبكيت لمن يزعم من الكفار، أنها زوجة الله لأن العظيم يأنف من ذكر زوجته باسمها، فكأن الله يقول لهم: لو كان ما تزعمون حقاً ما صرحت باسمها. قوله: [أو إلا ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾] الخ، تحصل أن الأقوال ثلاثة: قيل مكية بتمامها، وقيل المدني منها آية السجدة فيها، وقيل المدني منها آيتان، قوله ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ إلى قوله ﴿شيئاً﴾.

قوله: ﴿كهيعص﴾ اعلم أن الكاف والصاد يمدان مداً لازماً باتفاق السبعة، وهو قدر ثلاث ألفات، والهاء والياء يمدان مداً طبيعياً باتفاقهم وهو قدر ألف، ويجوز في العين المد اللازم المذكور والقصر بقدر ألفين قراءتان سبعيتان، ويتعين في النون من عين أخفاؤها في الصاد وغنتها وفتح العين، ويجوز في الدال الإظهار والإدغام في ذال ذكر، والقراءتان سبعيتان. قوله: [الله أعلم بمراده بذلك] هذا هو الحق، وللسلف أقوال أخر، منها ما قاله ابن عباس: إنه قسم من أسماء الله تعالى، وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو اسم الله الأعظم، ولذا يذكره العارفون في أحزابهم، كالسيد الدسوقي، وأبي الحسن الشاذلي، وقيل هو اسم السورة، وقيل قسم أقسم الله به، وعن الكلبي: هو ثناء أثنى الله به على نفسه، وقيل معناه كاف لخلقه، هاد لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده، فكل حرف يشير لمعنى من هذه المعاني، وقيل غير ذلك قوله: [هذا] قدره إشارة إلى أن ذكر خبر لمحذوف.

قوله: ﴿ذكر رحمة﴾ هو مصدر مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف أي ذكر الله رحمته عبده زكريا. قوله: [مفعول

﴿إِذْ﴾: متعلق برحمة ﴿نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً﴾: مشتملاً على دعاء ﴿خَفِيًّا﴾ [٣]: سراً جوف الليل لأنه أسرع للإجابة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾: ضعف ﴿الْعَظْمُ﴾: جميعه ﴿مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾: مني ﴿شَيْبًا﴾: تمييز محول عن الفاعل أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾: أي بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ [٤]: أي خائباً فيما مضى فلا تخيبني فيما يأتي ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾: أي الذين يلونني في النسب كبني العم ﴿مِنْ وَرَائِي﴾: أي بعد موتي على الدين أن يضيعوه كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾: لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾: من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ [٥]: ابناً ﴿يَرِثُنِي﴾: بالجزم جواب الأمر وبالرفع صفة ولياً ﴿وَيَرِثُ﴾: بالوجهين ﴿مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾: جدي العلم والنبوة ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [٦]: أي مرضياً عندك قال تعالى في إجابة طلبه الابن والحاصل به رحمته ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾: يرث كما سألت

رحمة] أي ورحمته من إضافة المصدر لفاعله، وهذه التاء لا تمنع عمل المصدر، لأنها من بنية الكلمة لا للوحدة، ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها لعبده زكريا، بمعنى عاملة بالرحمة والنعمة، لا بالغضب والنقمة، وليس المراد بالذكر حقيقته، وهو ضد النسيان لأنه مستحيل. قوله: [متعلق برحمة] أي على أنه ظرف له، أي رحمة الله إياه وقت أن ناداه. قوله: [مشتملاً على دعاء] أي وهو قوله: ﴿رب إني وهن العظم﴾ إلى قوله: ﴿واجعله رب رضياً﴾ فجملة النداء ثمان جمل، والدعاء منه هو قوله: ﴿فهب لي من لدنك﴾ الخ. قوله: [جوف الليل] أي في جوفه. قوله: [لأنه أسرع للاجابة] أي ما ذكر من كونه مخفياً حاصلاً في جوف الليل، فتحصل أن إخفاء الدعاء والذل والتواضع والانكسار فيه من أسباب الإجابة، سيما إذا كان في جوف الليل.

قوله: ﴿قال رب﴾ أي يا مالكي ومربي. قوله: ﴿وهن﴾ من باب وعد، بفتح الهاء للسبعية، وقرىء بضمها وكسرها. قوله: [جميعه] أشار بذلك إلى أن أل في العظم للاستغراق. قوله: [أي انتشر] أشار بذلك إلى أن في ﴿اشتعل﴾ استعارة تبعية، حيث شبه انتشار الشيب باشتعال النار في الحطب، واستعير الاشتعال للانتشار، واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر، والجامع أن كلا يضعف ما نزل به، وأعاد الضمير على الرأس مذكراً لأنها تذكر لا غير. قوله: [وإني أريد أن أدعوك] تمهيد لقوله: ﴿ولم أكن﴾ الخ. قوله: [أي بدعائي إياك] أشار بذلك إلى أن دعاء مصدر مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف. قوله: [فيما مضى] أي أنت قد أجبتني في الزمان الماضي حال شبوبيتي، وعودتني منك بالإحسان والإجابة، فلا تخيبني فيما يأتي في حال شيخوختي.

قوله: ﴿وإني خفت الموالي﴾ جمع مولى وهو العاصب. قوله: [كبني العم] أي لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل، فخاف أن يبدلوا دينهم. قوله: ﴿من ورائي﴾ متعلق بمحذوف، أي جور الموالي من ورائي. قوله: [على الدين] متعلق بخفت. قوله: [من تبديل الدين] بيان لما. قوله: ﴿وكانت امرأتي﴾ أي وهي أشاع أخت حنة، كلتاهما بنت فاقود، فولد لأشاع يحيى، ولحنة مريم. قوله: [لا تلد] أي لم تلد أصلاً لا في صغرها، ولا في كبرها. قوله: [وبالرفع صفة ولياً] هي سبعية أيضاً، وهي أظهر معنى لأنها تفيد أن هذا الوصف من جملة مطلوبة. قوله: [العلم والنبوة] أي لا المال لأن الأنبياء لا يورثون درهماً ولا ديناراً. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله، ولا ينافيه ما تقدم في سورة آل عمران من أنه من كلام الملائكة لأنه يمكن أن يكون الخطاب وقع مرتين، أو المعنى على لسان الملائكة. قوله: [والحاصل به] نعت للابن.

قوله: ﴿إنا نبشرك بغلام﴾ بين هذه البشارة، ووجود الولد في الخارج بالفعل ثلاث عشرة سنة. قوله: ﴿اسمه

﴿اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [٧]: أي مسمّى بيحيى. ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾: كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [٨]: من عتا يبس أي نهاية السن مائة وعشرين سنة بلغت امرأته ثمانياً وتسعين سنة وأصل عتي عتو وكسر التاء تخفيفاً وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم فيها الياء ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾: من خلق غلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: أي بأن أرد عليك قوة الجماع وأفتق رحم امرأتك للعلوق ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [٩]: قبل خلقك ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾: أي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾: عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾: أي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾: أي بأيامها كما في آل عمران ثلاثة أيام ﴿سَوِيًّا﴾ [١٠]: حال من فاعل تكلم أي بلا علة ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾: أي المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على العادة ﴿فَأَوْحَى﴾: أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا﴾: صلوا ﴿بُكْرَةً

يحيى﴾ إنما سماه بذلك؛ لأن رحم أمه حيي به بعد موته بالعقم، أو لحياة القلوب به، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وتقول في تثنيته يحييان رفعاً، ويحيين نصباً وجراً، وتقول في جمعه السلامة يحيون رفعاً، ويحيين نصباً وجراً. قوله: [أي مسمى بيحيى] أي لم يسم بيحيى قوله: [كيف] اسم استفهام سؤال عن جهة حصول الولد لا استبعاد ذلك، بحسب العادة لا بحسب القدرة الإلهية، أو استفهام تعجب وسرور في هذا الأمر العجيب.

قوله: ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ أي ولم تزل. قوله: [يبس] بالياء المثناة بعدها باء موحدة من اليبس، يقال عتا العود بمعنى يبس وجف، ومعناه هنا يبس العظم والعصب والجلد. قوله: [عتو] هو بضمتين وواوين. قوله: [كسرت التاء] الخ، اشتمل كلامه على أربع إعمالات في الكلمة، غير كسر التاء وقلب الواو الأولى ياء، وقلب الثانية كذلك لاجتماعها مع الواو، وسبق إحداهما بالسكون وإدغام الياء في الياء وهذا على غير قراءة حفص، وأما على قراءته من كسر العين إتباعاً للتاء، ففيه خمس أعمالات. قوله: [الأمر] قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف.

قوله: ﴿قال ربك﴾ أي على لسان ملك أو بإلقاء في قلب، وأما الخطاب جهراً مشافهة، فلم يكن لغير موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام. قوله: [وأفتق] من باب نصر أي أشق. قوله: [للعلوق] بفتح العين أو المني ويصح ضمها مصدر علق. قوله: ﴿وقد خلقتك﴾ الجملة حالية. قوله: [ولما تاقت نفسه] أي تطلعت وتشوقت، وأشار بذلك إلى أن قوله: ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ مرتب على محذوف. قوله: [إلى سرعة المبشر به] أي بعلامة تدل على حصوله بالفعل، وليس عند زكريا شك في إجابة الله دعاءه، بل قصد تعجيل المسرة ليزداد فرحاً وشكراً. قوله: [أي تمنع] أي قهراً بلا آفة. قوله: [أي بأيامها] أشار بذلك إلى وجه الجمع بين ما هنا وبين آية آل عمران. وحكمة ذكر الليالي هنا، أن الليل سابق على النهار، وهذه السورة مكية، والمكي مقدم على المدني وآل عمران مدنية، فأعطى السابق للسابق، والمتأخر للمتأخر. قوله: [حال من فاعل تكلم] أي ينعدم منك الكلام حال كونك سليماً، لم يطرأ عليك آفة ولا علة تمنعك من الكلام، ويصح أن يكون صفة لثلاث، أي ثلاثاً كاملات لا نقص فيهن.

قوله: ﴿فخرج على قومه﴾ أي متغير اللون، عاجزاً عن الكلام، فأنكروا ذلك عليه وقالوا له: ما لك؟ فأشار إليهم أن صلوا بكرة وعشياً. قوله: ﴿من المحراب﴾ يطلق على الغرفة، وصدر البيت، وأكرم مواضعه، ومقام الإمام من المسجد، والموضع ينفرد به الملك وعلى المسجد جميعه، فالمحراب المعروف الآن يوافق اللغة قديماً. قوله: [أي المسجد] أي موضع الصلاة. قوله: [وكانوا ينتظرون فتحه] أي فكان مقيماً به، ولا يفتحه إلا وقت الصلاة، ولا

﴿وَعَشِيًّا﴾: أوائل النهار وأواخره على العادة فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له ﴿يَا يَحْيَى خُذِ ٱلْكِتَابَ﴾: أي التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجد ﴿وَآتَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ﴾: النبوة ﴿صَبِيًّا﴾ [١٢]: ابن ثلاث سنين ﴿وَحَنَانًا﴾: رحمة للناس ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾: من عندنا ﴿وَزَكَاةً﴾: صدقة عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [١٣]: رُوي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهمّ بها ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾: أي محسناً إليهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾: متكبراً ﴿عَصِيًّا﴾ [١٤]: عاصية لربه ﴿وَسَلَامٌ﴾: منا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [١٥]: أي في هذه الأيام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها فهو آمن فيها ﴿وَاذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ﴾: القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾: أي خبرها ﴿إِذِ﴾: حين ﴿ٱنْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا

يدخلونه إلا بإذنه. قوله: [أشار] ﴿إليهم﴾ أي بأصبعه وقيل كتب لهم. قوله: [أوائل النهار وأواخره] أي فالمراد بالصلاة في هذين الوقتين، صلاة الصبح وصلاة العصر، والمعنى صلوا صلاتكم على عادتكم، ولا تنتظروني أكلمكم، بل دعوني وحالي. قوله: [فعلم] أي زكريا. قوله: [وبعد ولادته] الخ قدر ذلك إشارة إلى أن قوله: ﴿يا يحيى﴾ الخ، مرتب على محذوف. قوله: [قال تعالى له] أي على لسان الملك. قوله: ﴿خذ الكتاب﴾ أي أعمل بأحكامه، وليس المراد اشتغل بحفظه في المكتب مثلاً، لأن الله ألقاه على قلبه بمجرد قوله: ﴿خذ الكتاب﴾. قوله: ﴿بقوة﴾ أي بجد واجتهاد، وإنما أمر بذلك لأن كلام الله عظيم جليل القدر، فيحتاج للاهتمام به والاجتهاد فيه، ومن هنا ينبغي لطالب العلم الجد والاجتهاد فيه، ولا يتراخى في طلبه، فإنك إن أعطيت العلم كلك، أعطاك بعضه، وإن أعطيته بعضك، لم يعطك شيئاً منه، ولذا قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

أخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عنها مخبراً ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... نصيحة أستاذ وطول زمان

ولم يأمر الله سيدنا محمداً بتلقي ما أوحي بقوة، لأن الله أعطاه عزماً وقوة عظيمة، فلم يحتج للأمر، بل قيل له ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾. قوله: [ابن ثلاث سنين] أي فأحكم الله عقله وقوى فهمه، وقولهم النبوة على رأس الأربعين محله في غير يحيى وعيسى على ما يأتي، وقيل المراد بالحكم فهم التوراة وقراءتها، وأما النبوة فتأخرت للأربعين كغيره. قوله: ﴿حناناً﴾ أي رحمة ورقة في قلبه، وتعطفاً على الناس. قوله: [صدقة عليهم] أي توفيقاً للتصدق، وقيل المراد بالزكاة طهارته من الأوساخ، أو طهارة من اتبعه، أو المراد أن الله تصدق به على والديه. قوله: ﴿وكان تقياً﴾ أي مجبولاً على التقوى، ومن جملة تقواه، أنه كان يتقوت بالعشب، وكان كثير البكاء، فكان لدمعه مجار على خده. قوله: [ولم يهم بها] أي لم تخطر بباله، ولا خصوصية له بذلك، بل جميع الأنبياء كذلك. قوله: [عاصياً لربه] أشار بذلك إلى أن المبالغة ليست مرادة، بل المنفي أصل العصيان لا المبالغة فيه.

قوله: ﴿وسلام عليه﴾ أي أمان له من المخاوف ونكرها، وعرف في قصة عيسى، لأن ما هنا حاصل من الله، والقليل منه كثير، وما ذكر في قصة عيسى أل فيه للعهد أي السلام المعهود، وهو الكائن من الله. قوله: ﴿يوم ولد﴾ أي من أن يناله الشيطان بمكروه. قوله: ﴿ويوم يموت﴾ أي من عذاب القبر. قوله: ﴿ويوم يبعث حياً﴾ أي من هول الموقف، ولا ينافي هذا ما ورد أن الأنبياء يوم القيامة يجثون على الركب ويقولون: رب سلم سلم، لأن جلال الله محيط بهم، فهم خائفون من هيبته وجلاله، لا من عذابه وعقابه، لصدق وعد الله في تأمينهم، فلا يخلف وعده. بقي شيء آخر وهو أنه ورد أن يحيى قتل في حياة والده، فكيف ذلك مع طلبه ولداً يرثه، وإجابة الله له بقوله: ﴿كذلك هو علي هين﴾ أجيب: بأن هذه الرواية ضعيفة، والحق أنه عاش بعد أبيه الزمن الطويل، وحينئذ فقد سقط السؤال والجواب.

قوله: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ أي قصة ولادتها لعيسى وحملها به، فإنها من الآيات الكبرى، وتقدم أن معنى

﴿شَرْقِيًّا﴾ ١٦: أي اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾: أرسلت ستراً تستتر به لتفلي رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾: بعد لبسها ثيابها ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ١٧: تام الخلق ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ ١٨: فتنتهي عني بتعوذي ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ١٩ بالنبوة ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: بتزوج ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ٢٠:

مريم العابدة خادمة الرب. قوله: [القرآن] أشار بذلك إلى أن أل في الكتاب للعهد. قوله: ﴿إذ انتبذت﴾ ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله: [أي خبرها] وهو بدل اشتمال، وليس المراد خصوص الخبر الواقع في وقت الانتباذ، بل هو وما بعده إلى آخر القصة. قوله: [أي اعتزلت في مكان] أشار بذلك إلى أن مكاناً منصوب على الظرفية، ويصح أن يكون مفعولاً به؛ على أن معنى ﴿انتبذت﴾ أتت مكاناً. قوله: [من الدار] أي دار زوج خالتها، وهو زكريا القيم عليها، وفي بعض النسخ أو شرق بيت المقدس، أي فقوله في الآية ﴿شرقياً﴾ يحتمل أن يكون شرقياً من دارها، أو من بيت المقدس. قوله: [أو تغتسل من حيضها] أي أنها كانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت، وتعود إليه إذا طهرت، وقد حاضت قبل حملها بعيسى مرتين. قوله: ﴿روحنا﴾ سمي بذلك لأن الله أحيا به القلوب والأديان، كما أن الروح به حياة الأجساد، أو كناية عن محبة الله له، كما يقول الإنسان لمن يحبه أنت روحي.

قوله: ﴿فتمثل لها﴾ اختلف في كيفية تمثل الملك في غير صورته الأصلية، هل تنعدم بقية أجزائه الزائدة أو تنفصل، مع كونها باقية، أو لا تنفصل؟ وإنما تخفى عن الرائي، وهو الذي ندين الله به؛ لأن لهم قدرة على التشكلات بالصور الجميلة ولا تحكم عليهم. قوله: [بعد لبسها ثيابها] جواب عما يقال: إن الملك لا يدخل على امرأة مكشوفة الرأس، فضلاً عن كونها مكشوفة البدن، فكيف أتى مريم وهي تغتسل؟ فأجاب المفسر: بأنه إنما تمثل لها بعد أن لبست ثيابها.

قوله: ﴿بشراً سوياً﴾ أي بصورة شاب أمرد معتدل الخلقة لتأنس بكلامه، ولعله يهيج شهوتها، فتنحدر نطفتها إلى رحمها، ولا يقال إن النظر المهيج للشهوة حرام، لأن ذلك إذا كان مع اختيار، وأما الميل الطبيعي فلا يؤاخذ به الإنسان. قوله: ﴿بالرحمن﴾ خصته بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه، لعدم المغيث لها من الخلق. قوله: ﴿إن كنت تقياً﴾ أي عاملاً بمقتضى تقواك وإيمانك. قوله: [فتنتهي عني] هو جواب الشرط، وقدره فعلاً مضارعاً مقروناً بالفاء، فهو على تقدير المبتدأ، ليكون الجواب جملة اسمية، حتى يسوغ اقترانه بالفاء، أي فأنت تنتهي عني.

قوله: ﴿رسول ربك﴾ أي جبريل، وقولهم إن الوحي لم ينزل على امرأة قط أي برسالة، وأما بغيرها فلا مانع منه.

قوله: ﴿ليهب لك﴾ بالياء والهمزة قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى الإسناد لله، وعلى الثانية الإسناد لجبريل، لكونه سبباً فيه. قوله: ﴿غلاماً زكياً﴾ فيه مجاز الأول؛ لأنه حينئذ لم يكن غلاماً. قوله: [بتزوج] دفع به ما يقال إن قولها ﴿ولم يمسسني بشر﴾ يدخل تحته ﴿ولم أك بغياً﴾ فأجاب: بأن المس عبارة عن النكاح في الحلال، والزنا ليس كذلك، بل يقال فجر بها وما أشبه. قوله: ﴿بغياً﴾ لم يقل بغية لأن بغياً غالب في النساء، فأجروه إجراء حائض وطامث وعاقر، أو يقال إن أصله بغوياً بوزن فعول، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، وكسرت الغين لتصح الياء، وحيث كان بزنة فعول فلا تلحقه التاء، كما قال ابن مالك:

ولا تلي فارقة فعولا ... أصلاً ولا المفعال والمفعيلا

زانية ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾: من خلق غلام منك من غير أب ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: أي بأن ينفخ بأمري جبريل فيك فتحملي به ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾: لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾: خلقه ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [٢١]: به في علمي فنفخ جبريل في جيب درعها فأحست بالحمل في بطنها مصوراً ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ﴾: تنحت ﴿بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [٢٢]: بعيداً من أهلها ﴿فَأَجَآءَهَا﴾: جاء بها ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾: وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: لتعتمد عليه فولدت والحمل والتصوير والولادة في ساعة ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى﴾: للتنبيه ﴿لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾: الأمر ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [٢٣]: شيئاً متروكاً لا يعرف ولا يذكر ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾: أي جبريل وكان أسفل منها ﴿أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [٢٤]: نهر ماء كان انقطع ﴿وَهُزِّىٓ

وهذا ليس استبعاداً منها لقدرة الله، وإنما هو تعجب من مخالفة العادة. قوله: [الأمر] قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف. قوله: ﴿قال ربك﴾ بمنزلة العلة كأنه قيل: الأمر كذلك لأنه علينا هين ولنجعله الخ. قوله: [على قدرتنا] أي كمال قدرتنا على أنواع الخلق، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى. قوله: ﴿أمراً مقضياً﴾ أي لا يتغير ولا يتبدل. قوله: [فنفخ جبريل] أي نفخة وصلت إلى فرجها ودخلت منه جوفها، وليس المراد أنه نفخ في فرجها مباشرة. قوله: [درعها] أي قميصها. قوله: ﴿مكاناً قصياً﴾ أي بعيداً من أهلها، وهو بيت لحم فراراً من تعيير قومها بولادتها من غير زوج.

قوله: ﴿فأجاءها المخاض﴾ أي ألجأها. قوله: [لتعتمد عليه] أي فاعتمدت عليه، وقيل حضنته وكان يابساً فاخضر وأثمر لوقته. قوله: [فولدت] أي ببيت لحم، فخافت عليه، فجاءت به إلى بيت المقدس، فوضعته على صخرة، فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد، وهي الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس، ثم بعد أيام توجهت به إلى بحر الأردن فغمسته فيه، وهو اليوم الذي يتخذه النصارى عيداً ويسمونه يوم الغطاس، وهم يظنون أن المياه في ذلك اليوم تقدست، فلذلك يغطسون في كل ماء. قوله: [في ساعة] هو الصحيح، وقيل حملته في ساعة، وصور في ساعة، ووضعته في ساعة، وقيل كانت مدة حملها تسعة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، وقيل ستة أشهر، وسنها إذ ذاك عشر سنين، وقيل ثلاث عشرة سنة، وقيل ست عشرة سنة. قوله: ﴿ليتني مت قبل هذا﴾ إنما تمنت الموت لئلا تقع المعصية بمن يتكلم في شأنها بسوء، وإلا فهي راضية بما بشرت به. قوله: ﴿وكنت نسياً﴾ بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان، وقوله: ﴿منسياً﴾ تأكيد لنسياً.

قوله: ﴿فناداها﴾ أي لما شق عليها الأمر وعلمت أنها تتهم، ولا بد لعدم وجود بينة ظاهرة تشهد لها، قيل أول من علم بها يوسف النجار، وكان رفيقاً لها يخدمان المسجد، ولا يعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة واجتهاداً منهما، فبقي متحيراً في أمرها، ثم قال لها: قد وقع في نفسي من أمرك شيء، وقد حرصت على كتمانه، فغلبني ذلك، فرأيت أن أتكلم به أشفي صدري، فقالت: قل قولاً جميلاً، قال: أخبريني يا مريم، هل ينبت زرع بغير بذر؟ فقالت: نعم، ألم تعلم أن الله أنبت الشجر بالقدرة من غير بذر ولا غيث؟ أو تقول: إن الله تعالى لا يقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباتها؟ قال يوسف: لا أقول هذا، ولكني أقول: إن الله يقدر على ما يشاء، يقول له كن فيكون، قالت مريم: ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى، فعند ذلك زال ما في نفسه من التهمة، وكان ينوب عنها في خدمة المسجد مدة نفاسها.

قوله: ﴿من تحتها﴾ بفتح الميم وكسرها قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى الفاعل هو الموصول وتحتها صلته،

إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: كانت يابسة والباء زائدة ﴿تَسَّاقَطْ﴾: أصله بتاءين قلبت الثانية سيناً وأدغمت في السين وفي قراءة تركها ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا﴾ تمييز ﴿جَنِيًّا﴾ ٢٥: صفته ﴿فَكُلِي﴾: من الرطب ﴿وَٱشْرَبِي﴾: من السري ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾: بالواو تمييز محول من الفاعل أي لتقر عينك به أي تسكن فلا تطمح إلى غيره ﴿فَإِمَّا﴾: فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿تَرَيِنَّ﴾: حذفت منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾: فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾: أي إمساكاً عن الكلام في شأنه وغيره من الأناسي بدليل ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ ٢٦: أي بعد ذلك ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾: حال فرأوه ﴿قَالُوا

وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر، والجار والمجرور متعلق بنادى. قوله: [أي جبريل] تفسير لمن على الفتح، والضمير المستتر في نادى على الكسر، وقيل المنادي لها عيسى، ومعنى كونه تحتها أسفل ثيابها، وحينئذ فيكون قوله: ﴿أن لا تحزني﴾ إلى قوله: ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ أول كلام عيسى. قوله: [وكان أسفل منها] أي كان جبريل في مكان أسفل من مريم.

قوله: ﴿ألا تحزني﴾ يحتمل أن تكون ﴿أن﴾ مفسرة وقد وجد شرطها، وهو تقدم ما هو بمعنى القول، و﴿لا﴾ ناهية وحذفت النون للجازم، أو ناصبة ولا نافية، وحذفت النون للناصب. قوله: [نهر ماء] أي وجمعه سريان كرغيف ورغفان، ويطلق السري على الشريف الرئيس، وأصله سريو، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء كسيد، ويكون المراد به عيسى، وما مشى عليه المفسر أظهر لمناسبة قوله: ﴿فكلي واشربي﴾. قوله: [كان انقطع] أي ثم جرى وامتلأ ماء ببركة عيسى وأمه. قوله: [والباء زائدة] أي ويصح أن تكون أصلية، والمفعول محذوف، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لرطباً، والتقدير وهزي إليك رطباً كائناً بجذع النخلة. قوله: [وفي قراءة بتركها] أي التاء مع تخفيف السين وفتح القاف وبقي قراءة سبعية أيضاً وهي ضم التاء مع كسر القاف بمعنى تسقط فرطباً مفعول به. قوله: [تمييز] أي على القراءتين اللتين ذكرهما المفسر لا على الثالثة. قوله: ﴿جنياً﴾ أي تاماً نضجه صالحاً للاجتناء.

قوله: ﴿وقري عيناً﴾ العامة على فتح القاف من قر يقر، بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع من باب تعب، وقرئ شذوذاً بكسر القاف، وهي لغة نجد بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع من باب ضرب. قوله: [أي تسكن] أي فهو من القرار بمعنى عدم الحركة، ويصح أن يكون من القر وهو البرد، لأن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها بارداً، وإذا حزن كان دمعها حاراً، كأنه قال: اتركي الحزن وافرحي بما أعطاك ربك. قوله: [حذفت منه لام الفعل] أي وأصله ترأيين، بهمزة عين الكلمة وياء مكسورة، هي لامها، وأخرى ساكنة هي ياء الضمير، والنون علامة الرفع، نقلت حركة الهمزة إلى الراء فسقطت الهمزة، فتحركت الياء وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً فالتقى ساكنان حذفت لالتقائهما، ثم أكد بالنون وحرك بالكسر، ففيه ست إعمالات، نقل الحركة وسكون الهمزة وقلب الياء ألفاً وحذفها وتأكيد بالنون وتحريكه بالكسر، وإن نظرت لحذف نون الرفع للجازم كانت سبعة، أفاد المفسر منها خمساً، ولم يرتبها كما يعلم بالتأمل. قوله: [فسألك عن ولدك] جواب عما يقال إن قولها: ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ كلام فقد حصل التناقض، فأجاب: بأن المراد إذا رأيت أحداً من البشر، وسألك عن أمرك فقولي الخ، ويكون إنشاء النذر من حين قولها للسائل تلك المقالة. قوله: ﴿صوماً﴾ قيل كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد، صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام، فلا يتكلم حتى يمسي، وفي هذا دلالة على ترك مجادلة السفهاء والتكلم معهم فإنه أغيظ لهم. قوله: [مع الأناسي] أي لا

﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ ٢٧: عظيماً حيث أتيتِ بولد من غير أب ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾: هو رجل صالح أي يا شبيهته في العفة ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾: أي زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ ٢٨: زانية فمن أين لك هذا الولد ﴿فَأَشَارَتْ﴾: لهم ﴿إِلَيْهِ﴾: أن كلموه ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾: أي وجد ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ ٢٩ قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾: أي الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ٣٠ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾: أي نفاعاً للناس إخبار بما كتب له ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾: أمرني بهما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ٣١ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾: منصوب بجعلني مقدراً ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾: متعاظماً ﴿شَقِيًّا﴾ ٣٢: عاصياً لربه ﴿وَالسَّلَامُ﴾: من الله ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ٣٣: يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾ بالرفع خبر مبتدأ

مع الله كالذكر ولا مع الملائكة لما ورد أنها كانت تكلم الملائكة، ولا تكلم الإنس، والأناسي بفتح الهمزة جمع إنسي أو إنسان، وأصله على هذا أناسين، قلبت النون ياء وأدغمت في الياء. قوله: [أي بعد ذلك] أي بعد قولها ﴿إني نذرت للرحمن صوما﴾.

قوله: ﴿فأتت به﴾ أي في يوم وضعه، وقيل بعد أربعين يوما لما طهرت من نفاسها. قوله: [فرأوه] أي أبصروه. قوله: ﴿قالوا﴾ أي أهلها وكانوا أهل بيت صالحين، بمصدوق قوله تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض﴾. قوله: ﴿لقد جئت﴾ أي فعلت وأتيت. قوله: ﴿فريا﴾ من فريت الجلد قطعته، أي شيئاً قاطعاً وخارقاً للعادة، ومقطعاً للعرض. قوله: [هو رجل صالح] أي في بني إسرائيل، شبهت به في عفتها وصلاحها، قيل إنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً من بني إسرائيل، كلهم يسمون هارون سوى سائر الناس. قوله: ﴿ما كان أبوك﴾ أي عمران. وقوله: ﴿وما كانت أمك﴾ أي حنة.

قوله: ﴿فأشارت اليه﴾ أي وحينئذ غضب القوم وقالوا: أتسخرين بنا؟ ثم قالوا: ﴿كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾. قوله: [وجد] أشار المفسر إلى أن ﴿كان﴾ تامة، وحينئذ فصبياً حال، ويصح أن تكون ناقصة وصبيا خبرها. قوله: ﴿في المهد﴾ قيل المراد به حجرها، وقيل هو المهد بعينه، وورد أنه لما أشارت إليه ترك الرضاع، واتكأ على يساره، وأقبل عليهم؛ وجعل يشير بيمينه وقال: ﴿إني عبد الله﴾ الخ. قوله: ﴿عبد الله﴾ وصف نفسه بذلك لئلا يتخذ إلهاً، وكل هذه الأوصاف تقتضي براءة أمه، لأن هذه أوصاف الكاملين المطهرين من الأرجاس. قوله: ﴿وجعلني نبياً﴾ أي في الحال، وقيل المراد سيجعلني بعد الأربعين قولان للعلماء، والله أعلم بحقيقة الحال. قوله: [أي نفاعاً للناس] أي لأنه يبرىء الأكمة والأبرص ويحيي الموتى ويهدي من ضل. قوله: [إخبار بما كتب له] أي فالماضي بمعنى المستقبل، وقيل على حقيقته. قوله: [أمرني بهما] أي بفعلهما. قوله: ﴿وبراً﴾ العامة على فتح الباء وقرىء بكسرها، إما على حذف مضاف أي ذا بر، أو مبالغة. قوله: [متعاظما] أي بل جعلني متواضعاً، ومن تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر، ويجلس على التراب، ولم يتخذ له مسكناً.

قوله: ﴿والسلام﴾ أل فيه للعهد، أي السلام الحاصل ليحيى حاصل لي، فلا يقال إن يحيى سلم عليه ربه، وعيسى سلم على نفسه، بل هو حاك السلام عن الله. قوله: ﴿ويوم أبعث حيا﴾ هذا آخر كلامه، ثم سكت بعد ذلك، فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الأطفال. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله تعالى، وأما كلام عيسى فقد انتهى إلى قوله: ﴿حيا﴾. قوله: ﴿ذلك﴾ أي المذكور بتلك الأوصاف، واسم الإشارة مبتدأ، و﴿عيسى﴾ خبره، و﴿ابن مريم﴾ صفته، و﴿قول الحق﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي قول ابن مريم قول الحق، وهو من

مُقَدَّر أي قولَ ابن مريم وبالنصب بتقدير قلت والمعنى القول الحق ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ٣٤: من المرية أي يشكّون وهم النصارى قالوا إن عيسى ابن الله كذبوا ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾: أي أراد أن يحدثه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٣٥: بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن ومن ذلك خلق عيسى من غير أب ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: بفتح أن بتقدير اذكر وبكسرها بتقدير قل بدليل ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم ﴿هَذَا﴾: المذكور ﴿صِرَاطٌ﴾: طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ ٣٦: مؤد إلى الجنة ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾: أي النصارى في عيسى أهو ابن الله أو إله معه أو ثالث ثلاثة ﴿فَوَيْلٌ﴾: فشدة

إضافة الموصوف للصفة، أي القول الحق، والمعنى أن الموصوف بما ذكر من الأوصاف، هو عيسى ابن مريم، وقوله: القول الحق أي الصدق المطابق للواقع. قوله: [وبالنصب] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بتقدير قلت] أي فهو مصدر مؤكد لعامله. قوله: [والمعنى] أي على كل من القراءتين، فعلى الرفع يكون المعنى قول عيسى القول الحق، وعلى النصب يكون المعنى قلت حاكياً عن عيسى القول الحق، والقائل ذلك هو الله تعالى.

قوله: ﴿الذي فيه يمترون﴾ خبر لمحذوف أي هو عيسى الذي فيه يترددون ويتحيرون. قوله: [قالوا إن عيسى ابن الله] أي وقالوا غير هذه المقالة كما في قوله: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ وإنما اقتصر على هذه هنا لأنها التي يتضح إبطالها بقوله: ﴿ما كان لله﴾ الخ. قوله: ﴿ما كان الله﴾ أي لا يمكن ولا يتأتى لأنه مستحيل، لا تتعلق به القدرة. قوله: ﴿أن يتخذ من ولد﴾ ﴿أن﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر اسم كان، والمعنى ما كان اتخاذ الولد من صفته بل هو محال، قال تعالى: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولد﴾. قوله: [عن ذلك] أي اتخاذ الولد.

قوله: ﴿إذا قضى أمراً﴾ هذا كالدليل لما قبله كأنه قال: إن اتخاذ الولد والسعي في أسبابه، شأن العاجز الضعيف المحتاج الذي لا يقدر على شيء، وأما القادر الغني الذي يقول للشيء ﴿كن فيكون﴾ فلا يحتاج في اتخاذ الولد إلى إحبال الأنثى، وحيث أوجده بقول ﴿كن﴾ لا يسمى ابناً له، بل هو عبده ومخلوقه، فهو تبكيت والزام لهم بالحجج الباهرة. قوله: [بتقدير أن] أي بعد فاء السببية الواقعة بعد الأمر. قوله: ﴿وإن الله ربي وربكم﴾ هذا من كلام عيسى، سواء قرئ بكسر إن أو فتحها، فهو من تعلقات قوله: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾ الخ. قوله: [بتقدير اذكر] أي اذكر يا عيسى أن الله الخ. قوله: [بتقدير قل] أي وإن تكسر بعد القول. قوله: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ من كلام عيسى أيضاً. قوله: [المذكور] يعني القول بالتوحيد ونفي الولد.

قوله: ﴿فاختلف الأحزاب﴾ أي أن النصارى تحزبوا وتفرقوا في شأن عيسى بعد رفعه إلى السماء أربع فرق: اليعقوبية والنسطورية والملكانية والإسلامية لما روي أنه اجتمع بنو إسرائيل، فأخرجوا منهم أربعة نفر، من كل قوم عالمهم، فامتروا في شأن عيسى حين رفع، فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض، فأحيا من أحيا، وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم اليعقوبية، فقالت الثلاثة: كذبت. ثم قال اثنان منهم للثالث: قل فيه، قال: هو ابن الله، وهم النسطورية، فقال الاثنان: كذبت. ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه، فقال: هو ثالث ثلاثة، الله إله وهو إله، وأمه إله، وهم الملكانية. فقال الرابع: كذبت. بل هو عبد الله ورسوله وكلمته، وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال، فاقتتلوا وظهروا على المسلمين، وكفر الفرقة الأخيرة بعدم اتباعهم لنبينا ﷺ من حين البعث، وأما الذين اتبعوه منهم، فهم الذين يعطون أجرهم مرتين، كالنجاشي وأتباعه، وهم الذين قال تعالى فيهم: ﴿ولتجدن أقربهم مودة

عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بما ذكر وغيره ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ٣٧: أي حضور يوم القيامة وأهواله ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾: بهم صيغتا تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾: في الآخرة ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ﴾: من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿الْيَوْمَ﴾: أي في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٣٨: أي بيّن به صمّوا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره أي أعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وأبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صمّاً عمياً ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾: خوّف يا محمد كفار مكة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾: هو يوم القيامة يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾: في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾: عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٣٩: به ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾: تأكيد ﴿نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾: من العقلاء وغيرهم بإهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ ٤٠: فيه للجزاء ﴿وَاذْكُرْ﴾: لهم ﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾: أي خبره ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾: مبالغاً في الصدق ﴿نَّبِيًّا﴾ ٤١: ويبدل من

للذين آمنوا﴾ الآيات. قوله: [فشدة عذاب] وقيل: المراد بالويل واد في جهنم، يأكل الحجارة والحديد، قوتهم فيه الجيف. قوله: ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ يطلق المشهد على الشهادة وعلى الحضور، وهو المراد هنا، وسمي بذلك لشهادة الأعضاء عليهم بما كسبوا، قال تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾.

قوله: ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ هو فعل ماض جاء على صورة الأمر، ومعناه التعجب، وإعرابه: أسمع فعل ماض للتعجب، والباء زائدة، والضمير فاعله، وأبصر مثله، وحذف بهم من الثاني لدلالة الأول عليه، وليس المراد التعجب من المتكلم وهو الله لاستحالته عليه، بل المراد التعجيب، وهو حمل المخاطب على التعجب، أي اعجبوا يا عبادي، من شدة سمعهم وبصرهم في ذلك اليوم. قوله: [من إقامة الظاهر مقام المضمر] أي أشار إلى أن من اتصف بصفاتهم يسمى ظالماً. قوله: ﴿في ضلال﴾ أي خطأ وعدم اهتداء للحق. قوله: [به صموا] أي بسبب الضلال حصل لهم الصمم الخ في الدنيا، فالعجب منهم في الحالتين، شدة الأسماع والأبصار في الآخرة؛ وضدهما في الدنيا. قوله: [يوم القيامة] أي وله أسماء كثيرة منها: يوم الدين، ويوم الجزاء، ويوم الحساب، والحاقة، والقارعة، واليوم الموعود، وغير ذلك. قوله: [يتحسر فيه المسيء] الخ أي والمحسن على ترك الزيادة في الإحسان، كما في الحديث.

قوله: ﴿إذ قضي الأمر﴾ أي حكم وأمضي، وذلك أنه ورد: إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، يؤتى بالموت في صورة كبش، فيذبح بين الجنة والنار، وينادي المنادي: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، فعند ذلك يزداد أهل النار حسرة على حسرتهم، وأهل الجنة فرحاً على فرحهم. قوله: ﴿وهم في غفلة﴾ الجملة حالية، وكذا قوله: ﴿وهم لا يؤمنون﴾ وهذا الإنذار لكل مكلف، وإنما خصه المفسر بأهل مكة لأنهم سبب نزولها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: [بإهلاكهم] أي فلا يبقى حي سوى الله تعالى لما ورد: أن الله تعالى ينادي بعد انقراض الدنيا بأهلها: لمن الملك اليوم؟ فيجيب نفسه بقوله: لله الواحد القهار. قوله: ﴿وإلينا يرجعون﴾ أي يردون فيجازي كل أحد بما قدمه من خير وشر.

قوله: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ يحتمل أنه معطوف على قوله: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ والمعنى واذكر لأهل مكة قصة إبراهيم، لعلهم يعتبرون فيؤمنوا، ويحتمل أنه معطوف على قوله: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ عطف قصة على قصة، وهو الأقرب. قوله: [مبالغاً في الصدق] أي في أقواله وأفعاله وأحواله. قوله: ﴿نبياً﴾ وصف خاص، لأن كل نبي صديق ولا عكس، وبين الولاية والصديقية عموم وخصوص مطلق أيضاً، فكل صديق ولي ولا عكس، لأن الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة. قوله: [ويبدل منه] أي بدل اشتمال، وحينئذ فقوله: ﴿إنه كان صديقاً نبياً﴾ معترض

خبره ﴿إذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾: آزر ﴿يَا أَبَتِ﴾: التاء عوض عن ياء الإضافة ولا يجمع بينهما وكان يعبد الأصنام ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ﴾: لا يكفيك ﴿شَيْئًا﴾ ٤٢: من نفع أو ضر ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا﴾: طريقاً ﴿سَوِيًّا﴾ ٤٣: مستقيماً ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾: بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ ٤٤: كثير العصيان ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾: إن لم تتب ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ ٤٥: ناصراً وقريناً في النار ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾: فتعيبها ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾: عن التعرّض لها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرني ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ ٤٦: دهراً طويلاً ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾: مني أي لا أصيبك بمكروه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ ٤٧: من حفي أي باراً

بين البَدَل والمُبدَل منه. قوله: ﴿لأبيه﴾ قيل حقيقة، وهو ما مشى عليه السيوطي في سورة الأنعام تبعاً للمفسِّر هنا، ولا يضرّ كفر أصول الأنبياء، فإن الله يخرج الحي من الميت، ولا ينافية قوله ﷺ: «ما زلت أنتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الفاخرة» لأن المعنى الطاهرة من سفاح الجاهلية، وإن كانوا كفاراً، أو يقال إن آزر لم يتحقق كفره إلا بعد بعثة إبراهيم، وحينئذ فقد انتقل منه النور المحمدي إلى ولده، وهو في حالة الفترة، وقيل هو عمه، واسم أبيه تارخ، وسمي أباً على عادة الأكابر، من تسمية العم أباً، وعليه فلا يرد الحديث المتقدم، وهما قولان للمفسرين. قوله: [التاء عوض عن ياء الإضافة] أي فأصله أبي، فيقال في إعرابه: يا حرف نداء، وأب منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والتاء عوض عن الياء. قوله: [ولا يجمع بينهما] أي فلا يقال يا أبتي، لأن فيه الجمع بين العوض والمعوّض، ويقال يا أبتا، لأن الألف عوض عن الياء أيضاً، ففيه جمع بين عوضين.

قوله: ﴿لم تعبد ما لا يسمع﴾ أي لأي سبب تعبد ما لا سمع فيه ولا بصر. قوله: [أو ضر] أي أو دفع ضر. قوله: ﴿من العلم﴾ أي العلم بالتوحيد والشرع. قوله: ﴿فاتبعني﴾ أي امتثل أمري فيما آمرك به. قوله: [مستقيماً] أي لا اعوجاج فيه. قوله: [بطاعتك إياه] أي فالمراد بعبادته امتثال أمره في عبادة الأصنام، حيث حسّنها لك بوسوسته. قوله: ﴿عصياً﴾ أي وطاعة العاصي عصيان. قوله: ﴿إني أخاف أن يمسك عذاب﴾ أي في المستقبل إن لم ترجع، وإنما عبّر بالخوف لأنه لم يكن قاطعاً بموته على الكفر، بل كان مترجياً إيمانه، وقيل المراد بالخوف العلم والأقرب الأول، لأنه لو علم عدم هدايته ما خاطبه بهذا الخطاب اللطيف. قوله: [ناصراً وقريناً] المناسب الاقتصار على تفسيره بالقرين، لأنه بعد الدخول في العذاب، لا يتأتى معاونة ولا مناصرة.

قوله: ﴿أراغب﴾ مبتدأ و﴿أنت﴾ فاعل سد مسد الخبر، وسوّغه اعتماده على الاستفهام، وهو أولى من جعله خبراً مقدماً، و﴿أنت﴾ مبتدأ مؤخراً لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل وهو ﴿أراغب﴾ والمعمول وهو ﴿عن آلهتي﴾ بأجنبي وهو أنت لأن المبتدأ غير معمول للخبر. قوله: ﴿لئن لم تنته﴾ الخ قابل التعطف واللطافة في الخطاب بالفظاظة والغلظة، فناداه باسمه وصدّر كلامه بالانكار وهدّده بقوله: ﴿لئن لم تنته لأرجمنّك﴾. وكل إناء بالذي فيه ينضح. قوله: [بالحجارة] أي حتى تموت أو تخلي سبيلي. قوله: [أو بالكلام القبيح] أي الشتم والذم. قوله: [فاحذرني] قدّره إشارة إلى أن قوله: ﴿واهجرني﴾ معطوف على محذوف ليحصل التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه، فإن جملة ﴿اهجرني﴾ إنشائية، وجملة ﴿لئن لم تنته﴾ الخ خبرية، ولا يصح عطف الانشاء على الخبر. قوله: ﴿ملياً﴾ إما منصوب على الظرفية، وإليه يشير المفسر بقوله: [دهراً طويلاً] أو على الحال من فاعل اهجرني، أي اعتزلني سالماً لا يصيبك مني مضرة. قوله: [أي لا أصيبك بمكروه] أي فهو سلام متاركة ومقاطعة.

فيجيب دعائي وقد وفي بوعده المذكور في الشعراء واغفر لأبي وهذا قبل أن يتبين له إنه عدو لله كما ذكره في براءة ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا﴾: أعبد ﴿رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي﴾: بعبادته ﴿شَقِيًّا﴾ ٤٨: كما شقيتم بعبادة الأصنام ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾: ابنين يأنس بهما ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا﴾: منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ ٤٩ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾: للثلاثة ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾: المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ ٥٠: رفيعاً هو الثناء الحسن في جميع أهل الأديان ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾: بكسر اللام وفتحها من أخلص في عبادته وخلصه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ٥١ ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾: بقول يا موسى إني أنا الله ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: اسم جبل ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾: أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ ٥٢: مناجياً بأن أسمعه الله تعالى كلامه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾:

قوله: ﴿سأستغفر لك ربي﴾ أي أطلب غفرانه لك، المترتب على هدايتك وإسلامك. قوله: ﴿حفيا﴾ أي مبالغاً في إكرامي، واللطف بي، والاعتناء بشأني، ويطلق الحفي على المستقصي في السؤال، ومنه قوله تعالى: ﴿كأنك حفي عنها﴾. قوله: [وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله] هذا جواب عما يقال: كيف يجوز الاستغفار للكفار؟ فأجاب: بأنه استغفر له قبل علمه أنه عدو لله، فلما علم ذلك تبرأ منه، وبهذا تعلم أنه يجوز الدعاء بالمغفرة للكافر، إن قصد بها هدايته وإسلامه، فإن قطع بكفره فلا يجوز. قوله: ﴿وأعتزلكم﴾ أي أرتحل من أرضكم وبلادكم، وقد فعل ذلك.

قوله: [بأن ذهب] أي من بابل العراق إلى الأرض المقدسة. قوله: [يأنس بهما] استفيد منه أنه رأى يعقوب وهو كذلك، لما تقدم أنه بشر بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وقد عاش إبراهيم مائة وخمساً وسبعين سنة، وبينه وبين آدم ألفا سنة، وبينه وبين نوح ألف سنة.

قوله: ﴿إسحاق ويعقوب﴾ خصهما لأنه سيذكر إسماعيل بمزايا تخصه. قوله: [للثلاثة] أي إبراهيم وولديه. قوله: [المال والولد] أي فبسط لهم الدنيا، ووسع لهم الأرزاق، وأكثر لهم الأولاد، فجميع الأنبياء الذين جاؤوا بعده من ذريته. قوله: [في جميع أهل الأديان] أي فكل أهل دين، يترضون عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ويذكرونهم بخير إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿واذكر في الكتاب موسى﴾ معطوف على قوله: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ عطف قصة على قصة. والحاصل: أن الله تعالى ذكر في هذه السورة أسماء عشرة من الأنبياء: زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل وموسى وهارون وإدريس، وذكر لكل أوصافاً ومناقب يجب الإيمان بها، تنبيهاً على عظيم شأنهم، وتعليماً للأمة المحمدية ليقتدوا بهم، وكذا يقال في جميع قصص الأنبياء المذكورة في القرآن. قوله: [بكسر اللام وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [من أخلص في عبادته] أي لم يلتفت لغير مولاه، وهذا راجع لقراءة الكسر. قوله: [وأخلصه الله] أي صفاه وبقاه، وهو راجع لقراءة الفتح، فيكون لفاً ونشراً مرتباً، فموسى عليه السلام صفاه مولاه، واختاره لخدمته ومحبته، فتسبب عن ذلك إخلاصه في عبادته.

قوله: ﴿وكان رسولاً نبياً﴾ أي ثبت واستقر أزلاً في علمنا نبوته ورسالته، وإلا فرسالته في الخارج حين المناداة. قوله: [بقوله يا موسى] أي في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله﴾ الآيات. قوله: [اسم جبل] هو معروف بين مدين ومصر. قوله: [يلي يمين موسى] هذا صريح في أن المراد به الطور الذي عند بيت المقدس، لا الطور الذي عند السويس، لأنه على يسار المتوجه من مدين إلى مصر، كما هو مشاهد، والأيمن صفة

نعمتنا ﴿أخاه هٰرون﴾: بدل أو عطف بيان ﴿نبيًّا﴾ ٥٣: حال هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه وكان أسن منه ﴿واذكر في الكتاب إسمٰعيل إنه كان صادق الوعد﴾: لم يعد شيئاً إلا وفى به وانتظر من وعده ثلاثة أيام أو حولاً حتى رجع إليه في مكانه ﴿وكان رسولاً﴾: إلى جرهم ﴿نبيًّا﴾ ٥٤ ﴿وكان يأمر أهله﴾: أي قومه ﴿بالصلوٰة والزكوٰة وكان عند ربه مرضيًّا﴾ ٥٥: أصله مرضوو قلبت الواوان ياءين والضمة كسرة ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾: هو جد أبي نوح ﴿إنه كان صديقاً نبيًّا﴾ ٥٦ ﴿ورفعناه مكاناً عليًّا﴾ ٥٧: هو حي في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة أو

للجانب، بدليل تبعيته له في الإعراب في قوله تعالى ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ والمعنى أنه سمع النداء في ذلك المكان بجميع أجزائه من كل جهة.

قوله: ﴿وقربناه﴾ أي تقريب شرف ومكانة لا مكان. قوله: [من كل جهة] أي جارحة قوله: [بدل أو عطف بيان] أي و﴿أخاه﴾ مفعول به، وقوله: ﴿من رحمتنا﴾ أي من أجل رحمتنا. قوله: [هي المقصود بالهبة] جواب عما يقال: ما معنى هبته له مع كونه أسن منه، والموهوب يكون متأخراً عن الموهوب له؟ فأجاب: بأن المراد جعله نبياً يعينه ويشد عضده. قوله: [إجابة لسؤاله] تعليل لقوله: ﴿ووهبنا﴾ حيث قال ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾. قوله: [وكان أسن منه] أي بسنة، وقيل بأربع سنين. قوله: ﴿إسماعيل﴾ أي ابن إبراهيم، وكان من هاجر جارية سارة التي وهبتها له، فلما ولدت له إسماعيل نقلها إلى الحجاز قبل بناء البيت، فتربى إسماعيل بين جرهم عرب من اليمن فزوجوه، فلما كبر أرسله الله اليهم، كما قال المفسر، ثم تناسلت منه العرب الذين منهم رسول الله ﷺ، وكفاه بهذا فخراً، ولما كان أعظم مزية من أولاد إبراهيم، أفرده بالذكر والثناء. قوله: ﴿صادق الوعد﴾ خص بهذا الوصف، وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء لأنه المشهور بين خصاله. قوله: [وانتظر من وعده] أي شخصاً وعده إسماعيل، وكان عليه إبراز الضمير لأن الصلة جرت على غير من هي له، والمعنى أن إسماعيل وعد شخصاً أن ينتظره في مكان ليذهب الرجل ويأتي له، فمكث ثلاثة أيام أو حولاً.

قوله: ﴿وكان رسولاً﴾ أي بشريعة أبيه. قوله: [قلبت الواوان] الخ أي فوقعت الواو الثانية متطرفة، قلبت ياء فاجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وهذا الوصف جامع لكل خير، لأن من كانت أفعاله مرضية لربه، لا يصدر عنه إلا كل بر وإحسان، ولا شك أن الأنبياء كذلك، لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته. قوله: ﴿إدريس﴾ هذا لقبه، واسمه أخنوخ بن شيث بن آدم، ولقب بذلك لأنه أول من درس الكتب، لأن الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة، قيل هي التي نزلت على أبيه وقيل غيرها، وهو أول من خط القلم، وخاط الثياب، واتخذ السلاح، وقاتل الكفار، ونظر في علم النجوم والحساب. قوله: [هو جد أبي نوح] أي لأن نوحاً بن لمك، بفتح اللام وسكون الميم ابن متوشلخ بن إدريس. قوله: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ اختلف المفسرون في المكان العلي، فقيل المراد به المكان المعنوي، وهو الرفعة وعلو المنزلة، وقيل المراد به المكان الحسي، وعليه فقيل هو السماء الرابعة، وقيل الجنة، واختلفوا في سبب رفعه، فقيل إنه كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة، مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه، فعجب منه الملائكة، واشتاق اليه ملك الموت، فاستأذن ربه في زيارته فأذن له، فأتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره، دعاه إلى طعامه، فأبى أن يأكل معه، ففعل ثلاث ليال، فأنكره إدريس وقال له في الليلة الثالثة: إني أريد أعلم من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، استأذنت ربي أن أصحبك، فقال إدريس: لي اليك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تقبض روحي، فأوحى الله اليه أن اقبض روحه، فقبضها وردها اليه في ساعة، فقال له ملك الموت: ما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال: لأذوق الموت وغمته، فأكون أشد استعداداً، ثم

في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيي ولم يخرج منها ﴿أُولَٰئِكَ﴾: مبتدأ ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: صفة له ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾: بيان له وهو في معنى الصفة وما بعده إلى جملة الشرط صفة للنبيين فقوله ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾: أي إدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: في السفينة أي إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: أي إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَ﴾: من ذرية ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: وهو يعقوب أي موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾: أي من جملتهم وخبر أولئك ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾٥٨ جمع ساجد وباك أي فكونوا مثلهم وأصل بكي بكوي قلبت الواو ياء والضمة كسرة ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا

قال له إدريس: إن لي اليك حاجة، قال: وما هي؟ قال ترفعني إلى السماء، لأنظر اليها والى الجنة والنار، فأذن الله له فرفعه، فلما قرب من النار قال: لي اليك حاجة، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكاً حتى يفتح أبوابها ففعل، فقال له: كما أريتني النار فأرني الجنة، فذهب به إلى الجنة، فاستفتح ففتح أبوابها، فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك، فتعلق بشجرة وقال: ما أخرج منها، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما، فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وقد ذقته، وقال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وقد وردتها، وقال: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ ولست أخرج، فأوحى الله إلى ملك الموت: بإذني دخل الجنة، وبأمري لا يخرج منها، فهو حي هناك، وقيل سببه أنه نام ذات يوم، فاشتد عليه حر الشمس فقال: اللهم خفف عن ملك الشمس وأعنه، فإنه يمارس ناراً حامية فأصبح ملك الشمس، وقد نصب له كرسي من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه، ومثلها عن يساره، يخدمونه ويتولون عمله من تحت حكمه، فقال ملك الشمس: يا رب، من أين لي هذا؟ قال: دعا لك رجل من بني آدم يقال له إدريس فقال: يا رب اجعل بيني وبينه خلة، فأذن له في ذلك، فصار يتردد على إدريس فقال له: إنك أكرم الملائكة عند ملك الموت، فاشفع لي عنده ليؤخر أجلي فأزداد عبادة وشكراً، فقال الملك: لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، فرفعه في مكانه، ثم أتى ملك الموت فقال له: صديق من بني آدم يتشفع بي اليك لتؤخر أجله، فقال: ليس ذلك إلي، ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت فيقدم لنفسه، قال: نعم، فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان يموت الساعة عند مطلع الشمس، قال: إني أتيتك وتركته هناك، فانطلق فوجده قد مات ثم أحياه الله، فهو يرفع في الجنة تارة، ويعبد الله مع الملائكة في السماء الرابعة تارة أخرى، قال العلماء: أربعة من الأنبياء أحياء، اثنان في الأرض وهما الخضر والياس، واثنان في السماء وهما عيسى وإدريس.

قوله: ﴿أولئك﴾ اسم الاشارة عائد على الأنبياء المذكورين في هذه السورة وهم عشرة، أولهم زكرياء وآخرهم إدريس كما تقدم. قوله: [صفة له] أي لاسم الاشارة، أي أولئك الموصوفون بإنعام الله عليهم، وذلك أن الله لما وصف كلاً من الأنبياء بأوصاف تخصه أولاً، ذكر ثانياً لهم صفة تعمهم. قوله: [بيان لهم] أي للمنعم عليهم. قوله: [أي إدريس] تفسير للذرية، أي إن إدريس من ذرية آدم لأنه تقدم أنه ابن شيث بن آدم. قوله: ﴿وممن حملنا﴾ أي ومن ذرية من حملنا. قوله: [أي إبراهيم] تفسير لبعض ذرية من حمل مع نوح، لأن من حمل معه أولاده الثلاثة، وإبراهيم من ذرية أحدهم وهو سام، لكن بوسائط، فإن بين إبراهيم ونوح عشرة قرون. قوله: [وعيسى] أي فأولاد البنات من الذرية، والحاصل أن من ذرية آدم لصلبه إدريس، ومن ذرية نوح بوسائط إبراهيم ومن ذريته إسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن ذرية يعقوب موسى وهارون ويحيى وعيسى.

قوله: ﴿وممن هدينا﴾ عطف على ﴿من ذرية آدم﴾ زيادة في تمجيدهم. قوله: ﴿خروا سجداً وبكياً﴾ أي أن الأنبياء إذا سمعوا آيات الله التي خصهم بها في الكتب المنزلة عليهم سجدوا وبكوا خضوعاً وخشوعاً. قوله: [وباك]

﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: بتركها كاليهود والنصارى ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: من المعاصي ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾٥٩: هو واد في جهنم أي يقعون فيه ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: ينقصون ﴿شَيْـًٔا﴾٦٠: من ثوابهم ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾: إقامة بدل من الجنة ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾: حال أي غائبين عنها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ﴾: أي موعوده ﴿مَأْتِيًّا﴾٦١: بمعنى آتيا وأصله مأتوي أو موعوده هنا الجنة يأتيه أهله ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: من الكلام ﴿إِلَّا﴾: لكن يسمعون ﴿سَلَـٰمًا﴾: من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾٦٢: أي على قدرهما في الدنيا وليس في الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبداً ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ﴾: نعطي وننزل ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾٦٣: بطاعته. ونزل لما تأخر الوحي أياماً وقال

أي على غير قياس، وقياسه بكاة كقاض وقضاة. قوله: [فكانوا مثلهم] أي في السجود والخشوع والخضوع والبكاء عند تلاوة القرآن كما في الحديث: «اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا». قوله: ﴿فخلف من بعدهم﴾ أي وجد من بعد النبيين. قوله: ﴿خلف﴾ هو بالسكون في الشر، وبالفتح في الخير، يقال خلف سوء وخلف صدق. قوله: [هو واد في جهنم] أي تستعيذ من حره أوديتها.

قوله: ﴿إلا من تاب﴾ قدر المفسر لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع، لأن المستثنى المؤمنون والمستثنى منه الكفار. قوله: [بدل من الجنة] وقال بعضهم: إنه بدل كل من بعض، لأن الجنة بعض الجنات، ورد بأن أل في الجنة جنسية، فهو بدل كل من كل. قوله: [أي غائبين عنها] أي غير مشاهدين لها، لأن الوعد حاصل في الدنيا، ومن فيها لا يشاهد الجنة. قوله: [أي موعوده] أي الذي وعد به من الجنة وغيرها له. قوله: [بمعنى آتيا] أي فاسم المفعول بمعنى اسم الفاعل. قوله: [أو موعوده] الخ أشار لتفسير آخر، وعليه فاسم المفعول باق على ما هو عليه، وحينئذ فيكون المراد بالموعود خصوص الجنة. قوله: ﴿لغوا﴾ هو الكلام الزائد المستغنى عنه. قوله: [لكن يسمعون] ﴿سلاما﴾ أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن السلام ليس من جنس اللغو. قوله: [وليس في الجنة نهار ولا ليل] وإنما يعرفون الليل بإرخاء الحجب وغلق الأبواب، والنهار بفتحها ورفع الحجب كما روي، وليس معرفة الليل للاستراحة فيه والنوم، إذ لا نوم ولا تعب فيها، بل ذلك على عادة الملوك في الدنيا، من تهيئة تحف في الصباح والمساء ليتم نظامهم.

قوله: ﴿تلك الجنة﴾ اسم الاشارة عائد على الجنة في قوله: ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ وأتى باسم الاشارة البعيد إشارة لعلو رتبتها ورفيع منزلتها. قوله: ﴿نورث من عبادنا﴾ عبر بالميراث إشارة إلى أنهم يعطونها عطاء لا يرد ولا يبطل، كالميراث. قوله: ﴿من كان تقياً﴾ أي سعيداً، وهو من مات على كلمة الاخلاص، ولو مصراً على الكبائر فماله للجنة، وإن أدخل النار وعذب فيها بقدر جرمه، لأن الجنة جعلت مسكناً للموحدين، والنار جعلت مسكناً للمشركين، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة فاطر ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه﴾ إلى أن قال ﴿جنات عدن يدخلونها﴾. وقوله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر» ولكن الجنة مراتب ودرجات، على حسب التفاوت في الأعمال الصالحة. قوله: [بطاعته] أي ولا بمجرد الإسلام. قوله: [ونزل لما تأخر الوحي] أي حين سأله اليهود، عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فقال: أخبركم غداً، ولم يقل إن شاء الله، فتأخر الوحي حتى شق على النبي ﷺ، ثم نزل بعد أربعين يوماً، وقيل خمسة عشر، فقال له رسول الله ﷺ: أبطأت علي حتى ساءني واشتقت اليك، فقال جبريل: إني كنت أشوق، ولكني عبد

النبي ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا» ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: أي أمامنا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: من أمور الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: أي ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة أي له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ٦٤: بمعنى ناسياً أي تاركاً له بتأخير الوحي عنك هو ﴿رَبُّ﴾: مالك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾: أي اصبر عليها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ٦٥: أي مسمى بذلك لا ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ﴾: المنكر للبعث أبي بن خلف أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية ﴿أَئِذَا﴾: بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى ﴿مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ٦٦: من القبر كما يقول محمد

مأمور، إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست. قوله: [أكثر مما تزورنا] هذا عتاب من رسول الله ﷺ لجبريل، كأنه قال له: إن شوقي إليك في ازدياد، فكان الرجاء فيك الزيارة لا الهجر.

قوله: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ هذا على لسان جبريل، أمره الله تعالى بذلك اعتذاراً لرسول الله ﷺ، وجواباً لسؤاله المذكور، والتنزل النزول شيئاً فشيئاً. قوله: [من أمور الآخرة] بيان لما، ويصح أن تهمل. قوله: ﴿ما بين أيدينا﴾ على ما يأتي، وقوله: ﴿وما خلفنا﴾ على ما سبق، وقوله: ﴿وما بين ذلك﴾ على الحالة الراهنة. قوله: [له علم ذلك جميعه] أي تفصيلاً، وأما علم بعضه إجمالاً، فيكون لبعض الخواص، كالأنبياء والأولياء بإلهام من الله تعالى، ومع ذلك فيكتمونه، ولا يفشون منه إلا ما أذن لهم فيه، إذا علمت ذلك، فالتشدق بالتجري على المغيبات من الضلال المبين، لأنه لو استند لقواعد فهي كاذبة، ولو صادفت الحق بمصداق قوله ﷺ: «كذب المنجمون ولو صدقوا» وإن استند لكشف، فصاحبه لا يطلع إلا على بعض جزئيات، ومع ذلك هو مأمور بكتمها، لأن الله قال لنبيه على لسان جبريل ﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك﴾ فكيف بغيره من آحاد الخلق. قوله: [أي تاركاً لك] أي إن عدم التنزل لحكمة يعلمها الله لا تركاً لك وهجراناً، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾. قوله: [هو] قدره إشارة إلى أن رب خبر لمحذوف.

قوله: ﴿فاعبده﴾ أي دم على عبادته، ولا تحزن بإبطاء الوحي واستهزاء الكفر. قوله: [أي مسمى بذلك] أي بلفظ الجلالة وبرب السماوات والأرض، وقيل معنى سمياً مثلاً يستحق أن يسمى إلهاً واحداً يسمى بالله. فإن المشركين وإن سموا الصنم إلهاً، لم يسموه الله قط، لظهور أحديته وأنه ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ قال تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾. وقد ورد أن امرأة سمت ولدها الله، فنزلت عليه نار فأحرقته. قوله: [المنكر للبعث] أشار بذلك إلى أن المراد بالإنسان، خصوص الكافر المنكر للبعث. قوله: [أو الوليد] أو لتنويع الخلاف في المراد بالإنسان الذي قال تلك المقالة، وفي الحقيقة كل من الشخصين قد قالها.

قوله: ﴿أءذا﴾ منصوبة بقوله: ﴿أخرج حياً﴾ ولا يقال إن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها، لأن ذاك في لام الابتداء، وأما هذه فهي زائدة كما قال المفسر. قوله: [وإدخال ألف بينها] أي الثانية، وقوله: [وبين الأخرى] أي

---

* أسباب نزول الآية ٦٤ قوله تعالى: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ أخرج البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، فنزلت ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: أبطأ جبريل في النزول أربعين يوماً فذكر نحوه. وأخرج ابن مردويه عن أنس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أي البقاع أحب إلى الله وأبغض إلى الله؟ فقال: ما أدري حتى أسأل، فنزل جبريل وكان قد أبطأ عليه، فقال: لقد أبطأت علي حتى ظننت أن ترى علي موجدة، فقال ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ الآية. وأخرج ابن اسحاق عن ابن عباس: أن قريشاً لما سألوا عن أصحاب الكهف مكث خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً، فلما نزل جبريل قال له: أبطأت. فذكره.

فالاستفهام بمعنى النفي أي لا أحيا بعد الموت وما زائدة للتأكيد وكذا اللام ورد عليه بقوله تعالى: ﴿أَوَ لَا يَذَّكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾: أصله يتذكر أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ٦٧: فيستدل بالابتداء على الإعادة ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: أي المنكرين للبعث ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾: أي نجمع كلا منهم وشيطانه في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾: من خارجها ﴿جِثِيًّا﴾ ٦٨: على الركب جمع جاث وأصله جثوو أو جثوي من جثا يجثو أو يجثي لغتان ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾: فرقة منهم ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ ٦٩: جراءة ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾: أحق بجهنم الأشد وغيره منهم ﴿صِلِيًّا﴾ ٧٠: دخولاً واحتراقاً فنبدأ بهم وأصله صلوي من صلي بكسر اللام وفتحها ﴿وَإِنْ﴾: أي ما ﴿مِنْكُمْ﴾: أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾: أي داخل جهنم ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ٧١: حتمه وقضى به لا يتركه ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾: مشدداً ومخففاً ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: الشرك والكفر منها ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾: بالشرك والكفر ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ ٧٢: على

الأولى، وكان المناسب أن يقول وتركه، فتكون القراءات أربعاً، وهي سبعيات. قوله: ﴿أولا يذكر﴾ الاستفهام للتوبيخ. قوله: ﴿وفي قراءة﴾: أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿من قبل﴾ أي من بعثه. قوله: [فيستدل بالابتداء على الإعادة] أي لأنها أهون، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. قوله: ﴿فوربك﴾ أضاف اسمه تعالى إليه ﷺ تشريفاً وتعظيماً. قوله: ﴿لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ أي وهو الموقف. قوله: [وأصله جثوو] أي بواوين قلبت الثانية ياء لتطرفها، فاجتمعت مع الواو الساكنة، قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء. قوله: [أو جثوي] أي بياء بعد الواو، قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، وعلى كل كسرت الثاء لتصح الياء. قوله: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ أي من كل أمة. قوله: ﴿أيهم﴾ موصولة بمعنى الذي، بنيت على الضم لإضافتها، وحذف صدر صلتها، وقوله: ﴿أشد﴾ خبر لمحذوف، والجملة صلتها، وهي وصلتها في محل نصب مفعول ﴿لننزعن﴾، و﴿عتيا﴾ تمييز محول عن المبتدأ المحذوف، أي عتوه أشد. والمعنى أنه يميز طوائف الكفار، فيطرح الأعتى فالأعتى على الترتيب، لأن عذاب الضال المضل يكون فوق عذاب من يضل تبعاً لغيره، وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب المقلد. قوله: ﴿صليا﴾ بضم الصاد وكسرها، قراءتان سبعيتان، جمع صال، كجثيا جمع جاث. قوله: [فنبدأ بهم] أي بالذين هم أولى بها. قوله: [من صلي بكسر اللام] أي كرضي، وقوله: [وفتحها] أي كرمى.

قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ أي مسلماً أو كافراً. والحاصل أنه اختلف المفسرون في المراد بالورود، فقيل الدخول، وقيل الحضور معها في الموقف، والذي عول عليه الأشياخ أن المراد به المرور على الصراط، وهو على ظهرها أحد من السيف، وأرق من الشعرة، ويتسع للمؤمن بقدر عمله، ومن هنا تقول النار للمؤمن: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي، وهم في المرور مختلفون، لما في الحديث «يرد الناس النار ثم يصدون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البصر، ثم الريح، ثم كعدو الفرس، ثم كالراكب المجد، ثم كشد الرجل في مشيه». قوله: [أي داخل جهنم] أي وتكون على المؤمنين، ولو ماتوا عصاة، غير من تحقق فيهم الوعيد برداً وسلاماً لدخولهم فيها وهي خامدة، فلا يشعرون بها. قوله: ﴿كان﴾ أي الورود. قوله: ﴿حتما مقضيا﴾ أي بمقتضى حكمته لا بإيجاب عليه.

قوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ أي نخرجهم منها من غير أن يمسهم عذابها، وهم من لم ينفذ فيهم الوعيد، أو بعد العذاب، وهم من نفذ فيهم الوعيد. قوله: ﴿ونذر الظالمين﴾ أي نتركهم فيها على سبيل الخلود، وقوله: ﴿جثيا﴾

الركب ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: أي المؤمنين والكافرين ﴿آيَاتُنَا﴾: من القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: نحن وأنتم ﴿خَيْرٌ مَقَاماً﴾: منزلاً ومسكناً بالفتح من قام وبالضم من أقام ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيّاً﴾ ٧٣ بمعنى النادي وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه يعنون نحن فنكون خيراً منكم قال تعالى: ﴿وَكَمْ﴾: أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: أي أمة من الأمم الماضية ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً﴾: مالاً ومتاعاً ﴿وَرِئْياً﴾ ٧٤: منظراً من الرؤية فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾: شرط جوابه ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾: بمعنى الخبر أي يمد ﴿لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾: في الدنيا يستدرجه ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾: كالقتل والأسر ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾: المشتملة على جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً﴾ ٧٥: أعواناً أهم أم المؤمنون وجندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم الملائكة ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ

حال من الظالمين. قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم﴾ الخ، أي حين نزلت على النبي ﷺ آيات القرآن، وتلاها على المؤمنين والكافرين، وعجزوا عن معارضتها، أخذ أغنياء الكفار في الافتخار على فقراء المؤمنين، بما لهم من حظوظ الدنيا، حيث قالوا لهم: انظروا إلى منازلنا، فتروها أحسن من منازلكم، وإلى مجالسنا، فتروها أحسن من مجالسكم، نجلس في صدر المجلس، وتجلسون في طرفه الحقير، فإذا كان ذلك لنا في الدنيا، فنحن عند الله خير منكم، ولو كنتم على خير لأكرمكم كما أكرمنا، وقصدهم بذلك فتنة فقراء المدينة بزينة الدنيا، قال تعالى: ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾.

قوله: ﴿قال الذين كفروا﴾ أي أغنياؤهم. قوله: ﴿للذين آمنوا﴾ أي الفقراء منهم. قوله: [نحن وأنتم] بيان للفريقين. قوله: [بالفتح والضم] أي فهما قراءتان سبعيتان، فالفتح على أنه من قام ثلاثياً، والضم على أنه من أقام رباعياً، وكل يحتمل أن يكون اسم مكان، أو اسم مصدر. قوله: [قال تعالى] أي رداً عليهم. قوله: ﴿هم أحسن﴾ مبتدأ وخبر، والجملة صفة لقرن و﴿أثاثاً ورئياً﴾ تمييز. قوله: ﴿ورئياً﴾ أي مرئياً كالذبح بمعنى المذبوح، وقوله [منظراً] أي هيئة وصورة. قوله: ﴿قل﴾ أي للكفار المفتخرين على فقراء المؤمنين. قوله: ﴿في الضلالة﴾ أي الكفر والغفلة عن عواقب الأمور. قوله: [بمعنى الخبر] أي وأتى به على صورة الأمر إعلاما بأنه يحصل ولا بد بمقتضى حكمته، كما أنه ألزم نفسه بذلك. قوله: [أي يمد] ﴿له الرحمن﴾ إنما ذكر الرحمن إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه. قوله: [يستدرجه] أي بأن يطيل عمره ويكثر ماله، ويمكنه من التصرف فيه.

قوله: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ غاية في قوله ﴿فليمدد له الرحمن﴾. قوله: ﴿وإما الساعة﴾ إما حرف تفصيل، وهي مانعة خلو تجوز الجمع والعذاب والساعة بدلان من ما، والمعنى يستمرون في الطغيان، إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هو شر مكاناً وأضعف جنداً. قوله: ﴿فسيعلمون﴾ جواب ﴿إذا﴾، وقوله: ﴿من هو شر مكاناً﴾ راجع لقوله: ﴿خير مقاماً﴾، وقوله: ﴿وأضعف جنداً﴾ راجع لقوله: ﴿وأحسن ندياً﴾ على طريق اللف والنشر المرتب. قوله: [أهم أم المؤمنون] أشار بذلك إلى أن من استفهامية، ويصح كونها موصولة مفعول يعلمون. قوله: [عليهم] متعلق بجنداً لتضمينه معنى المعاونين، وذلك كما وقع لهم في بدر، فالكفار كان جندهم إبليس وأعوانه، جاؤا اليهم ليعينوهم ثم انخذلوا عنهم، والمؤمنون كان جندهم الملائكة التي قاتلت معهم، كما تقدم في الأنفال وآل عمران.

قوله: ﴿ويزيد الله﴾ هذه الجملة مستأنفة أو معطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول، وكأنه قال: قل لهم من

﴿ٱهْتَدَوْا﴾: بالإيمان ﴿هُدًى﴾: بما ينزل عليهم من الآيات ﴿وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ﴾: هي الطاعة تبقى لصاحبها ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ ٧٦: أي ما يرد إليه ويرجع بخلاف أعمال الكفار والخيرية هنا في مقابلة قولهم أي الفريقين خير مقاماً ﴿أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾: العاصي بن وائل ﴿وَقَالَ﴾: لخباب بن الأرت القائل له تبعث بعد الموت والمطالب له بمال ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾: على تقدير البعث ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ ٧٧: فأقضيك قال تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾: أي أعلمه وأن يؤتى ما قاله واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ ٧٨: بأن يؤتى ما قاله ﴿كَلَّا﴾: أي لا يؤتى ذلك ﴿سَنَكْتُبُ﴾: نأمر بكتب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ ٧٩: نزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾: من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾: يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ ٨٠: لا مال له ولا

كان في الضلالة، الخ، وقل لهم يزيد الله الذين اهتدوا، الخ. قوله: [بما ينزل عليهم من الآيات] أي فكلما نزلت عليهم آية من القرآن، ازدادوا بها هدى وإيماناً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾. قوله: [هي الطاعة] تقدم أن هذا أحد تفاسير في الباقيات الصالحات، وهو الأحسن. قوله: ﴿خير عند ربك﴾ أي من زينة الدنيا التي يتنعم بها الكفار. قوله: [بخلاف أعمال الكفار] أي فإنها شر مركاً، لكونهم يردون إلى جهنم، فتحصل أن الأعمال كلها باقية لأصحابها، فالمؤمنون تبقى لهم الأعمال الصالحة، فيتنعمون بها في الجنة، والكفار تبقى لهم الأعمال السيئة، فيعذبون بها في النار، فالعاقل يختار لنفسه أي العملين يبقى له؟ قوله: [والخيرية] الخ، أي فأفعل التفضيل، ذكر على سبيل المشاكلة للكلام السابق، فاندفع ما يقال: إن أعمال الكفار لا خير فيها أصلاً، فكيف تصح المفاضلة؟

قوله: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ الاستفهام تعجبي، أي تعجب يا محمد من مقالة هذا الكافر الشنيعة. قوله: [العاص بن وائل] هو أبو سيدنا عمرو، الذي فتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وهو والد عبد الله أحد العبادلة المشهورة. قوله: [لخباب بن الأرت] هو بدري من فقراء الصحابة، وذلك أن خباباً كان صائغاً، فصاغ للعاصي حلياً، ثم طالبه بأجرته فقال له: لم أقضك حتى تكفر بمحمد، فقال خباب: لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت، فسوف أعطيك إذا رجعت إلى مال وولد. قوله: [واستغنى بهمزة الاستفهام] الخ، أي فأصله أأطلع، حذفت همزة الوصل تخفيفاً.

قوله: ﴿كلا﴾ ذكر النحويون في هذه اللفظة ستة مذاهب، أحسنها أنها حرف ردع وزجر، والثاني أنها حرف تصديق بمعنى نعم، الثالث بمعنى أنها حق، الرابع أنها رد لما قبلها، الخامس أنها صلة في الكلام بمعنى أي، السادس أنها حرف استفتاح، وذكرت في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً، وكلها في النصف الثاني منه، في خمس عشرة سورة، كلها مكية، ترجع إلى ثلاثة أقسام: قسم يجوز الوقف عليها وعلى ما قبلها فيبتدأ بها، وذلك في خمسة مواضع، اللتان في هذه السورة، واللتان في الشعراء، وواحدة في سبأ. وقسم اختلف فيه، هل يجوز الوقف عليها، أو يتعين على ما قبلها؟ وذلك في تسعة مواضع: واحدة في المؤمنون، واثنتان في سأل سائل، والأولى والثالثة في المدثر، والأولى في سورة القيامة، والثانية في سورة ويل للمطففين، والأولى في سورة الفجر، والتي في سورة ويل لكل. وقسم لا يجوز الوقف عليها باتفاق، وهو التسع عشرة الباقية. قوله: ﴿سنكتب ما يقول﴾ أي نظهره له ونعلمه أنا كتبناه، فاندفع

---

* أسباب نزول الآية ٧٧ قوله تعالى: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ الآية، أخرج الشيخان وغيرهما عن خباب بن الأرت قال: جئت العاصي بن وائل السهمي أتقاضاها حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيتك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث، قال: فإني لميت ثم لمبعوث؟ فقلت: نعم، فقال: إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيك، فنزلت: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾.

وَلد ﴿وَٱتَّخَذُوا﴾: أي كفار مكة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: الأوثان ﴿ءَالِهَةً﴾: يعبدونهم ﴿لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ٨١: شفعاء عن الله بأن لا يعذبوا ﴿كَلَّا﴾: أي لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾: أي الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾: أي ينفونها كما في آية أخرى ما كانوا إيانا يعبدون ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ٨٢: أعواناً وأعداء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ﴾: سلطناهم ﴿عَلَى ٱلْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ﴾: تهيجهم إلى المعاصي ﴿أَزًّا﴾ ٨٣ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾: الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿عَدًّا﴾ ٨٤: إلى وقت عذابهم اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: بإيمانهم ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ ٨٥: جمع وافد بمعنى راكب ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: بكفرهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ ٨٦: جمع وارد بمعنى

ما يقال: إن الكتابة لا تتأخر عن القول، قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾. قوله: [نزيد بذلك عذاباً] الخ أي لما تقدم أن كل من كان أشد كفراً، كان أعظم عذاباً.

قوله: ﴿ونرثه ما يقول﴾ أي نسلبه ونأخذه منه، بأن يخرج من الدنيا خالياً من ذلك. قوله: ﴿فرداً﴾ أي منقطعاً من ماله وولده بالكلية، فلا يلقى مالاً ولا ولداً أصلاً لا في البعث، ولا في النار، لانقطاع الأسباب بينهم وبين أولادهم، بل وبين ما يشتهون، كما قال تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ وأما المؤمنون وإن كانوا يبعثون فرداً، إلا أنهم يلاقون أحبابهم وأولادهم وما يشتهونه. قوله: ﴿واتخذوا﴾ حكاية عما وقع للكفار عموماً. قوله: [الأوثان] هو مفعول أول و﴿آلهة﴾ مفعول ثان. قوله: ﴿سيكفرون﴾ الخ في معنى التعليل. قوله: ﴿ضداً﴾ أي أضداداً، وإنما أفرده، إما لكونه مصدراً في الأصل، أو لأنه مفرد في معنى الجمع. قوله: ﴿على الكافرين﴾ أي وأما المؤمنون فليس للشياطين عليهم سبيل، قال تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾. قوله: [تهيجهم إلى المعاصي] أي تغريهم بتزيين الشهوات لهم. قوله: ﴿أزاً﴾ مفعول مطلق لتؤزهم، والأز يطلق على الغليان، وعلى الحركة الشديدة، وعلى التهيج والازعاج وهو المراد هنا.

قوله: ﴿فلا تعجل عليهم﴾ أي لتستريح أنت والمؤمنون من شرهم، وتطهر الأرض من فسادهم لأن لهم أياماً محصورة وأنفاساً معدودة، يعيشونها ثم يردون إلى عذاب. قوله: ﴿إنما نعد لهم عداً﴾ أي نضبط ما يقع منهم، ولا نهمل منه شيئاً ليؤاخذوا به. قوله: [أو الأنفاس] تفسير ثان. قوله: [إلى وقت عذابهم] أي وهو موتهم، لأن بموتهم تصير قبورهم حفرة من حفر النار، فيعذبون فيها إلى قيام الساعة، فيعذبون في النار.

قوله: ﴿يوم نحشر﴾ ظرف معمول لمحذوف، قدره المفسر بقوله: [اذكر] أي اذكر يا محمد لقومك هذا اليوم العظيم، فإنه يوم الفصل بين أهل الجنة وأهل النار. قوله: [بمعنى راكب] هذا المعنى ليس مأخوذاً من معنى الوفد لأن الوفد في اللغة الجماعة الذين يقومون على الملوك للعطايا، من غير تقييد بركوب؛ بل هو مأخوذ من قرينة مدح المتقي، لما ورد أنهم يحشرون ركباناً، على نجائب سرجها من ياقوت، وعلى نوق رحالها من ذهب، وأزمتها من زبرجد، واختلف في وقت ركوبهم، فقيل من أول خروجهم من القبور، وقيل من منصرفهم من الموقف، وعلى كل، فيستمرون راكبين حتى يقرعوا باب الجنة، وجمع بأنهم يركبون من أول خروجهم من القبور حتى يأتوا الموقف، ثم بعد انقضاء الموقف، يركبون حتى يدخلوا الجنة، وعن ابن عباس: من كان يحب ركوب الخيل، وفد إلى الله تعالى على خيل لا تروث ولا تبول، لجمها من الياقوت الأحمر، ومن الزبرجد الأخضر، ومن الدر الأبيض، وسرجها السندس والاستبرق، ومن كان يحب ركوب الإبل فعلى نجائب، لا تبعر ولا تبول، أزمتها من الياقوت والزبرجد، ومن كان يحب ركوب السفن، فعلى سفن من زبرجد وياقوت، قد أمنوا الغرق، وأمنوا الأهوال، وورد أيضاً: يحشر الناس يوم القيامة على

ماش عطشان ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾: أي الناس ﴿ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ ٨٧: أي شهادة أن لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿وَقَالُوا﴾: أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ ٨٨: قال تعالى لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ ٨٩: أي منكراً عظيماً ﴿تَكَادُ﴾: بالتاء والياء ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَنفَطِرْنَ﴾: بالنون وفي قراءة: بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق ﴿مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ ٩٠: أي تنطبق عليهم من أجل ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ ٩١: قال تعالى: ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ٩٢: أي ما يليق به ذلك ﴿إِن﴾: أي ما ﴿كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا آتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ ٩٣: ذليلا خاضعاً يوم القيامة منهم عزير وعيسى ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ٩٤: فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ

ثلاث طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير. قوله: [بكفرهم] أشار بذلك إلى أن المراد بالمجرمين الكفار. قوله: ﴿وردا﴾ أي مشاة عطاشا، قد تقطعت أعناقهم من العطش، ومع ذلك يحملون أوزارهم على ظهورهم، لما ورد: أن المؤمن إذا خرج من قبره، استقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ريح، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الصالح، طالما ركبتك واتبعتك في الدنيا، اركبني اليوم، وإن الكافر يستقبله عمله في أقبح صورة وأنتنها ريحا، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك السيء، طالما ركبتني وأتعبتني في الدنيا، وأنا اليوم أركبك، قال تعالى ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾.

قوله: ﴿لا يملكون﴾ أي الخلق عموماً، مؤمنهم وكافرهم، وقوله: ﴿الشفاعة﴾ أي كونه يشفع لغيره أو يشفع غيره فيه. قوله: ﴿إلا من اتخذ﴾ مستثنى من العموم المتقدم وهو متصل. قوله: ﴿عند الرحمن﴾ كرر لفظ الرحمن في هذه السورة ست عشرة مرة، إشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه. قوله: [أي شهادة أن لا إله إلا الله] أي مع عديلتها، وهي محمد رسول الله. ﴿قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله﴾ في رواية والتبري من الحول والقوة لله وعدم رجاء غيره. قوله: [ومن زعم أن الملائكة بنات الله] أي وهم مشركو العرب، وهذا رجوع لذكر قبائح الكفار، إثر بيان عاقبتهم وعاقبة المؤمنين. قوله: [قال تعالى] أي تقريعاً وتوبيخاً. قوله: [منكراً عظيماً] أي فظيعاً شديداً.

قوله: ﴿تكاد السموات﴾ الخ بيان لكون ذلك الشيء منكراً عظيماً. قوله: ﴿يتفطرن﴾ أي يتفتتن ويتقطعن. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، وظاهره ان القراءات أربع وليس كذلك، بل هي ثلاث فقط لأن في قراءة التاء من تكاد وجهين: التاء والنون من ينفطرن، وفي قراءة الياء وجهاً واحداً وهو التاء من يتفطرن، والثلاث سبعيات. قوله: ﴿وتنشق الأرض﴾ أي تنخسف بهم. قوله: [من أجل] ﴿ان دعوا للرحمن ولدا﴾ المعنى أن هذه المقالة منهم، موجبة للغضب عليهم، الذي ينشأ عنه نزول السماء قطعاً قطعاً عليهم، وخسف الأرض بهم، وسقوط الجبال عليهم، لولا حلمه وسبق رحمته، أو المعنى: أن هذه المقالة من عظمها وشناعتها تفزع منها السماوات والأرض والجبال، وتتمنى أنها لو أهلكت من تفوه بها، لولا رحمة الله. قوله: [قال تعالى] أي رداً عليهم.

قوله: ﴿وما ينبغي للرحمن﴾ أي لا يليق به ذلك ولا يتأتى، لاستحالته عليه عقلاً ونقلاً لأن الولد علامة الضعف والحدوث. قوله: ﴿لقد أحصاهم﴾ أي أحاط بهم علمه. قوله: ﴿وعدهم عدا﴾ أي عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم، فلا يخفى عليه شيء من أمورهم. قوله: [مبلغ جميعهم] راجع لقوله: ﴿وعدهم﴾ وقوله: [ولا واحد منهم] راجع لقوله: ﴿أحصاهم﴾ فكأنه قال: أحاط بهم علمه جمعاً وفرادى. قوله: ﴿فرداً﴾ أي منفرداً.

﴿الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ٩٥: بلا مالٍ ولا نصيرٍ يمنعه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ ٩٦: فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾: أي القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾: العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾: الفائزين بالإيمان ﴿وَتُنذِرَ﴾: تخوف ﴿بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ ٩٧: جمع ألدّ أي جدل بالباطل وهم كفار مكة ﴿وَكَمْ﴾: أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾: أي أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾: تجد ﴿مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ ٩٨: صوتاً خفياً لا فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

قوله: ﴿سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ أي في الدنيا والآخرة، والتنوين للتعظيم، أي وداً عظيماً، فكلما عظمت طاعاتهم، عظم ودهم لربهم ولأحبابه، وعبر بالرحمن لعظم تلك النعمة، فإن المحبة رأس الإيمان وأساسه، لما في الحديث: «ألا لا إيمان لمن لا محبة له» فمن أعطي المحبة لله ولأحبابه، فقد أعطي خير الدنيا والآخرة، لأن المحبة حكمة إيجاد الخلق، لما في الحديث القدسي «فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني» وبالجملة فالمحبة أمرها عظيم، ولذا كان تنافس العارفين فيها، فكل من عظمت معرفته، ازداد محبة وشغفاً، وعبر بأداء الاستقبال، لأن المؤمنين كانوا بمكة في مبدإ الإسلام مفترقين، فوعد الله رسوله، بأن يؤلف بين قلوب المؤمنين، ويضع فيها المحبة، فهذه الآية نزلت في مبدإ الإسلام تسلية له ﷺ، و﴿وداً﴾ بضم الواو للسبعة، وقرىء بفتحها وكسرها فهو مثلث.

قوله: ﴿فإنما يسرناه﴾ أي أنزلناه ميسراً. قوله: [العربي] أي فالمراد باللسان اللغة العربية. قوله: [جمع ألد] أي شديد الخصومة. قوله: ﴿وكم أهلكنا﴾ الخ، تخويف لهم وتسلية له ﷺ. قوله: ﴿هل تحس﴾ بضم التاء وكسر الحاء من أحس رباعياً، والاستفهام إنكاري، كما أشار له بقوله: [لا]، وقرىء شذوذاً بفتح التاء وضم الحاء أو كسرها. قوله: ﴿منهم﴾ حال من ﴿أحد﴾ لأنه نعت نكرة قدم عليها. قوله: [صوتاً خفياً] أي والمعنى استأصلناهم بالهلاك جميعاً، حتى لا يرى منهم أحد، ولا يسمع له صوت خفي.

---

* أسباب نزول الآية ٩٦ قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا﴾ أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر إلى المدينة وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة: منهم شيبة وعتبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف. فأنزل الله ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ قال: محبة في قلوب المؤمنين.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٢٠] ـ سورة طه

[مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية أو وأربعون أو واثنتان]

﴿طه﴾[١]: الله أعلم بمراده بذلك ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾: يا محمد ﴿لِتَشْقَىٰ﴾[٢]: لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل أي خفف عن نفسك ﴿إِلَّا﴾: لكن أنزلناه ﴿تَذْكِرَةً﴾: به ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾[٣]:

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة طه مكية

وهي مائة وخمس وثلاثون آية أو وأربعون أو واثنتان

أي كلها، وقيل إلّا ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ الآية، وهذه السورة نزلت قبل إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت سبباً فيه. قوله: [وأربعون] الخ، أي فالخلاف في سبع آيات أو خمس. قوله: [الله أعلم بمراده بذلك] أشار بذلك إلى أن ﴿طه﴾ حروف مقطعة استأثر الله بعلمها، وقيل إن ﴿طه﴾ اسم من أسماء رسول الله ﷺ حذف منه حرف النداء، وقيل إنه فعل أمر، وأصله طاها، والمعنى طأ الأرض بقدميك معاً؛ خوطب به لما كان يشدد على نفسه في تهجده، حيث كان يقوم الليل كله، ويقف على إحدى رجليه، ويريح الأخرى من شدة التعب، فأمره الله بالتخفيف على نفسه، فكان يصلي وينام ويقوم على رجليه معاً. قوله: [من طول قيامك] بيان لما، وقيل إن معنى ﴿لتشقى﴾ لتتعب نفسك بتأسفك على كفر من كفر، فإنما عليك البلاغ، فأرح نفسك من هذا التعب، فإنا أنزلنا القرآن لمن يذكر ويخشى، وقيل إنه رد وتكذيب للكفرة، حيث قالوا لما رأوا كثرة عبادته وتهجداته: إنك لتشقى بترك ديننا، وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به. قوله: [لكن] أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن التذكرة ليست من جنس الشقاء. قوله: ﴿تذكرة﴾ مفعول لأجله ولتشقى كذلك، وإنما نصب الثاني دون الأول لأن فاعل الذكرى والانزال هو الله، بخلاف الأول.

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان أول ما أنزل عليه الوحي يقوم على صدور قدميه إذا صلى، فأنزل الله ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾. وأخرج عبد الله بن حميد في تفسيره عن الربيع ابن أنس قال: كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه ليقوم على كل رجل حتى نزلت ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾. وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: قالوا لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾.

يخاف الله ﴿تنزيلاً﴾: بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾[٤]: جمع عليا ككبرى وكبر هو ﴿الرحمن على العرش﴾: وهو في اللغة سرير الملك ﴿استوى﴾[٥]: استواء يليق به ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما﴾: من المخلوقات ﴿وما تحت الثرى﴾[٦]: هو التراب الندي والمراد الأرضون السبع لأنها تحته ﴿وإن تجهر بالقول﴾: في ذكر أو دعاء فالله غني عن الجهر به ﴿فإنه يعلم السر وأخفى﴾[٧]: منه أي ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به فلا تجهد نفسك بالجهر ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾[٨]: التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الأحسن ﴿وهل﴾: قد ﴿أتاك حديث موسى﴾[٩] ﴿إذ رأى ناراً فقال

قوله: ﴿لمن يخشى﴾ أي لمن في قلبه رقة يتأثر بالمواعظ. قوله: [بدل من اللفظ] أي عوض من التلفظ والنطق بفعله المقدر، والأصل نزلناه تنزيلاً، فحذف الفعل وجوباً، لنيابة المصدر عنه في المعنى والعمل. قوله: [هو] قدره إشارة إلى أن ﴿الرحمن﴾ خبر لمحذوف، وحينئذ فيكون نعتاً مقطوعاً قصد به المدح. قوله: [سرير الملك] أي الذي يجلس عليه الملك، قال تعالى في حق بلقيس ﴿قال نكروا لها عرشها﴾. قوله: [استواء يليق به] هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى، ومن ذلك جواب الإمام مالك رضي الله عنه، عن معنى الاستواء على العرش في حقه تعالى، حيث قال للسائل: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أخرجوا عني هذا المبتدع، وأما الخلف وهم من بعد الخمسمائة، فيؤولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى فيقولون: إن المراد بالاستواء، الاستيلاء بالتصرف والقهر، فالاستواء له معنيان، الركوب والجلوس، والاستيلاء بالقهر والتصرف، وكلا المعنيين وارد في اللغة، يقال استوى السلطان على الكرسي، بمعنى جلس واستوى على الأقطار، بمعنى ملك وقهر، ومن الثاني قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وحينئذ، فالمتعين إطلاقه عليه تعالى بهذا المعنى هو الثاني. قوله: [من المخلوقات] بيان للثلاثة. قوله: [هو التراب الندي] أي الذي فيه نداوة، فإن لم يكن ندياً فهو تراب، ولا يقال له ثرى. قوله: ﴿وإن تجهر بالقول﴾ المقصود منه النهي عن الجهر لغير أمر شرعي، كأنه يقول: إن الله غني عن الجهر، فلا تجهد نفسك به، فالجهر بالذكر أو الدعاء أو القراءة بقصد إسماع الله تعالى، إما جهل أو كفر، وأما لغرض آخر، كإرشاد العباد، وحضور القلب، ودفع الشواغل والوسوسة فهو مطلوب. قوله: [فالله غني] الخ، قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فإنه يعلم السر﴾ الخ، تعليل لذلك المحذوف. قوله: ﴿وأخفى﴾ هو أفعل تفضيل، أي والذي هو أخفى من السر. قوله: [أي ما حدثت به النفس] الخ، هذا أحد أقوال في تفسير السر وأخفى، وقال ابن عباس: السر ما أسره ابن آدم في نفسه، وأخفى ما أخفي على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلمه، فالله يعلم ذلك كله، وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد، وجميع الخلائق في علمه كنفس واحدة. قوله: [فلا تجهد] بفتح التاء والهاء، أو ضم التاء وكسر الهاء من جهد وأجهد، أي لا تتعب نفسك بالجهر، بقصد إسماع الله تعالى، وهذا نهي له ﷺ، والمراد به غيره. قوله: [والحسنى مؤنث الأحسن] أي فهو اسم تفضيل، يوصف بها الواحد من المؤنث والجمع من المذكر الغير العاقل كما هنا.

قوله: ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ استفهام للتشويق والتقرير في ذهن السامع، والجملة مستأنفة، خطاب لسيدنا محمد ﷺ، كأن الله يقول له: إنا أرسلناك بالتوحيد، ولا غرابة في ذلك، فإنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء، كابراً عن كابر، وقد خوطب به موسى حيث قيل له ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ وبه ختم موسى مقالته حيث قال ﴿إنما

﴿لِأَهْلِهِ﴾: لامرأته ﴿امْكُثُوا﴾: هنا وذلك في مسيره من مَدْيَن طالباً مصر ﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾: أبصرت ﴿نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾: شعلة في رأس فتيلة أو عود ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ ١٠: أي هادياً يدلني على الطريق وكان أخطأها لظلمة الليل وقال: لعل لعدم الجزم بوفاء الوعد ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾: وهي شجرة عوسج ﴿نُودِيَ يَا مُوسَى﴾ ١١ ﴿إِنِّي﴾: بكسر الهمزة بتأويل نودي بقيل وبفتحها بتقدير الباء ﴿أَنَا﴾: تأكيد لياء المتكلم ﴿رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾: المطهر أو المبارك ﴿طُوًى﴾ ١٢: بدل أو عطف بيان بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العلمية ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾: من قومك ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ ١٣: إليك مني ﴿إِنَّنِي

إلهكم الله الذي لا إله إلا هو﴾ فالمقصود من الاستفهام تشويق السامع ليتلقى ما ذكر بتطلع والتفات وحضور قلب، لا حقيقته، فإنه مستحيل عليه تعالى، أو أن ﴿هل﴾ بمعنى [قد] كما قال المفسر. قوله: ﴿إذ رأى ناراً﴾ ظرف لحديث. قوله: [امرأته] أي وهي بنت شعيب واسمها صفورا، وقيل صفوريا، وقيل صفورة، واسم اختها ليا، وقيل شرفا، وقيل عبدا، واختلف في التي تزوجها، فقيل هي الصغرى، وقيل الكبرى، وتقدم ذلك.

قوله: ﴿امكثوا﴾ إنما أتى بجمع الذكور، وإن كان الخطاب لامرأته تعظيماً أو مراعاة لمن معها من الخدم والأولاد. قوله: [وذلك في مسيره] الخ، روي أنه عليه السلام، استأذن شعيباً عليه السلام في الخروج إلى أمه وأخيه بمصر، فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق، مخافة من ملوك الشام، فلما وافى وادي طوى، وهو الجانب الغربي من الطور الذي هو بفلسطين، لأنه هو الذي على يمين المتوجه من مدين، وقيل هو الذي بين مصر وأيلة، ورد بأنه على يسار المتوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد، وقد قال تعالى ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية باردة، وكانت ليلة الجمعة، وقد أخطأ الطريق، وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده، وقدح زنده فلم يخرج ناراً، فبينما هو في ذلك، إذ رأى عن يسار الطريق من جانب الطور ناراً، فأمر أهله بالمكث، لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب إلى النار كما هو المعتاد، لا لئلا ينتقلوا إلى موضع آخر، فإنه مما لا يخطر بالبال، فلما وصل إلى تلك النار التي أبصرها، خاطبه الله وأرسله إلى فرعون، وخلف أهله في الموضع الذي تركهم فيه، فلم يزالوا مقيمين فيه، حتى مر بهم راع من أهل مدين، فعرفهم فحملهم إلى شعيب، فمكثوا عنده، حتى جاوز موسى ببني إسرائيل البحر، وغرق فرعون وقومه، فبعثهم شعيب إلى موسى بمصر.

قوله: ﴿إني آنست﴾ من الإيناس وهو الإبصار، ومنه إنسان العين لأنه يبصر الأشياء. قوله: ﴿أو أجد على النار هدى﴾ أو مانعة خلو يجوز الجمع، وعلى بمعنى عند، أي عند النار. قوله: [وكان أخطأها] أي لأنه سار على غير الطريق، مخافة من ملوك الشام. قوله: [لعدم الجزم بوفاء الوعد] لأنه لا يدري ما يفعل الله به. قوله: ﴿فلما أتاها﴾ أي النار التي آنسها. قوله: [وهي شجرة عوسج] هذا أحد أقوال فيها، وقيل عليق، وقيل عناب. قوله: ﴿نودي يا موسى إني أنا ربك﴾ هذا أول المكالمة بينه وبين الله تعالى، وآخرها قوله فيما يأتي ﴿أن العذاب على من كذب وتولى﴾ وهذا بالنسبة لهذه الواقعة، وإلا فله مكالمات أخر، وسمع الكلام بكل أجزائه من جميع جهاته، حتى أن كل جارحة منه كانت أذناً. قوله: ﴿فاخلع نعليك﴾ أي تواضعاً لله، ومن ثم كان السلف يطوفون بالكعبة حفاة، وقيل أمر بخلعهما لنجاستهما، لأنهما كانا من جلد حمار ميت لم يدبغ، روي أنه خلعهما وألقاهما خلف الوادي. قوله: [بالتنوين وتركه] هما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وأنا اخترتك﴾ أي للنبوة والرسالة، وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة، كما سيأتي عند قوله تعالى ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾.

﴿أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي﴾ ١٤: فيها ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾: عن الناس ويظهر لهم قربها بعلاماتها ﴿لِتُجْزَىٰ﴾: فيها ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ ١٥: به من خير أو شر ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾: يصرفنك ﴿عَنْهَا﴾: أي عن الإيمان بها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: في إنكارها ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ ١٦: أي فتهلك إن انصددت عنها ﴿وَمَا تِلْكَ﴾: كائنة ﴿بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ ١٧: الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا﴾: أعتمد ﴿عَلَيْهَا﴾: عند الوثوب والمشي ﴿وَأَهُشُّ﴾: أخبط ورق الشجر ﴿بِهَا﴾: ليسقط ﴿عَلَىٰ غَنَمِي﴾:

قوله: ﴿إنني أنا الله﴾ بدل مما يوحى، وهو إشارة للعقائد العقلية، وقوله: ﴿فاعبدني﴾ إشارة للأعمال الفرعية، وقوله: ﴿إن الساعة آتية﴾ إشارة للعقائد السمعية، فقد اشتمل ذلك على جملة الدين. قوله: ﴿وأقم الصلاة﴾ خصها بالذكر، وإن كانت داخلة في جملة العبادات لعظم شأنها واحتوائها على الذكر، وشغل القلب واللسان والجوارح، فهي أفضل أركان الدين بعد التوحيد. قوله: ﴿لذكري﴾ [فيها] أي لتذكرني فيها، لأنها مشتملة على كلامي وغيره من أنواع الذكر.

قوله: ﴿إن الساعة آتية﴾ أي حاصلة ولا بد، وسميت ساعة لأنها تأتي في ساعة، أي قطعة من الزمان. قوله: ﴿أكاد أخفيها﴾ أي أريد إخفاء وقتها، والحكمة في إخفاء وقتها وإخفاء الموت، أن الله تعالى، حكم بعدم قبول التوبة عند قربها وفي الغرغرة، فلو عرف الخلق وقتهما، لاشتغلوا بالمعاصي إلى قرب ذلك الوقت، ثم يتوبون فيتخلصون من عقاب المعصية، فتعريف وقتهما كالإغراء بفعل المعاصي. قوله: [بعلاماتها] أي أماراتها، وأول العلامات الصغرى بعثة رسول الله ﷺ، وآخرها ظهور المهدي. قوله: ﴿لتجزى﴾ إما متعلق بأخفيها أو بآتية، وقوله: ﴿أكاد أخفيها﴾ جملة معترضة بين المتعلق والمتعلق. قوله: ﴿بما تسعى﴾ ما موصولة، وجملة ﴿تسعى﴾ صلته، والعائد محذوف قدره المفسر بقوله: [به] وقوله: [من خير وشر] بيان لما قوله: ﴿فلا يصدنك﴾ الخطاب لموسى، والمراد غيره، والفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. قوله: ﴿فتردى﴾ منصوب بفتحة مقدرة على الألف، بأن مضمرة بعد فاء السببية في جواب النهي.

قوله: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ أي بعد أن خلع عليه خلعة النبوة والرسالة، بسط له الكلام، ليزداد حباً وشغفاً، ويؤيده بالمعجزات الباهرة، و﴿ما﴾ اسم استفهام مبتدأ و﴿تلك﴾ اسم إشارة خبر، وقوله: ﴿بيمينك﴾ متعلق بمحذوف حال، والعامل فيه معنى الإشارة، وهذا أحسن من جعل تلك اسماً موصولاً بمعنى التي، وبيمينك صلتها، لأنه ليس مذهب البصريين. قوله: [الاستفهام للتقرير] أي فحكمة الاستفهام كون موسى يقر ويعترف بصفات تلك العصا، فيمنحه فوق ما يعلم منها، وليس المراد حقيقة الاستفهام الذي هو طلب الفهم، فإنه مستحيل عليه تعالى لعلمه بها.

قوله: ﴿قال هي عصاي﴾ أي وكانت من آس الجنة، نزل بها آدم منها، ثم ورثها شعيب، فلما زوجه ابنته، أمرها أن تعطيه عصا يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصا الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم، فأخذها موسى بعلم شعيب، وإنما زاد في الجواب، لأن المقام مقام مباسطة وخطاب الحبيب، ولا شك أن الزيادة في الجواب في هذا المقام مما يريح الفؤاد، وإلا فكان يكفيه أن يقول هي عصاي. قوله: [عند الوثوب] أي النهوض للقيام. قوله: ﴿وأهش﴾ بضم الهاء، من هش يهش، بمعنى خبط الشجر ليسقط ورقه، وأما هش يهش بكسر الهاء فيقال على اللين والاسترخاء وسرعة الكسر والبشاشة.

فتأكله ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ﴾: جمع مأرب مثلث الراء أي حوائج ﴿أُخْرَى﴾ ١٨: كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام زاد في الجواب بيان حاجاته بها ﴿قَالَ: أَلْقِهَا يَا مُوسَى ١٩ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾: ثعبان عظيم ﴿تَسْعَى﴾ ٢٠: تمشي على بطنها سريعاً كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان المعبّر به فيها في آية أخرى ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾: منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾: منصوب بنزع الخافض أي إلى حالتها ﴿الْأُولَى﴾ ٢١: فأدخل يده في فمها فعادت عصا وتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتيها وأرى ذلك السيد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ﴾: اليمنى بمعنى الكف ﴿إِلَى جَنَاحِكَ﴾: أي جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها ﴿تَخْرُجْ﴾: خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: أي برص تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر

قوله: ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ أجمل في هذا الجواب، إما حياء من الله تعالى لطول الكلام، أو اتكالاً على علمه تعالى. قوله: [كحمل الزاد] أشار بالكاف إلى أن لها منافع أخرى، فكان يستقي بها الماء من البئر، فيجعلها موضع الحبل، وكل شعبة من شعبتيها تصير دلواً ممتلئاً، وكانت تماشيه وتحادثه، وكان يضرب بها الأرض، فيخرج له ما يأكله يومه، ويركزها فيخرج الماء، فإذا رفعها ذهب الماء، وكان إذا اشتهى ثمرة ركزها، فتغصن غصنين، فصارت شجرة وأورقت وأثمرت، وكانت شعبتاها تضيئان بالليل كالسراج، وإذا ظهر له عدو كانت تحاربه. قوله: ﴿فألقاها﴾ أي طرحها على الأرض. قوله: ﴿فإذا هي حية تسعى﴾ عبر عنها بالحية، وفي آية أخرى بثعبان، وفي أخرى بأنها كالجان، ووجه الجمع أشار له المفسر بقوله: [تمشي على بطنها سريعاً كسرعة الثعبان] الخ. والحاصل أن تسميتها حية باعتبار كونها ثعباناً عظيماً، وجاناً باعتبار سرعة مشيها. قوله: [المسمى بالجان] أي وهو الثعبان الصغير، وأما الجن فهو النوع المعروف.

قوله: ﴿قال خذها ولا تخف﴾ إنما حصل له الخوف، لأن صورتها هائلة، فشعبتاها صارتا شدقين لها، والمحجن عنقها، وعيناها تتقدان ناراً تمر بالشجرة العظيمة فتلقمها، وتقطع الشجرة العظيمة بأنيابها، ويسمع لأنيابها صوت عظيم، فظن أنها سطوة من الله عليه، فولى مدبراً ولم يعقب، فلما قال الله له ﴿خذها ولا تخف﴾ تبين له أنها نعمة لا نقمة. قوله: [فأدخل يده] أي مكشوفة، وقيل كان عليه مدرعة صوف، فلما قال له خذها، لف كم المدرعة على يده، فأمره الله أن يكشف يده وقال: أرأيت لو أذن الله لها، أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً؟ قال: لا، ولكني ضعيف، من الضعف خلقت، فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية. قوله: [وتبين] هو فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على موسى أي علم. قوله: [أن موضع] الخ في محل المفعول به. قوله: [موضع مسكها] أي الاتكاء عليها، والمعنى أنه لما وضع يده في فمها، وانقلبت عصا ويده بحالها، رأى محل يده هو ما بين الشعبتين، فالشعبتان صارتا شدقين، وصار ما تحتهما وهو محل مسكها بيده عنقاً لها. قوله: [وأرى ذلك] أي بصره الله موسى قلبها حية في ذلك الوقت لئلا يجزع، الخ. قوله: [لدى فرعون] أي عنده. قوله: [بمعنى الكف] أي لا بمعنى حقيقتها، وهي من الأصابع إلى المنكب. قوله: [تحت العضد] بيان للمراد من الجنب، وقوله: [إلى الإبط] أي من المرفق منتهياً إلى الإبط. قوله: [من الأدمة] أي السمرة.

قوله: ﴿من غير سوء﴾ متعلق بتخرج، وهذا يسمى عند أهل البيان احتراساً وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم غير المراد لأن البياض قد يراد به البرص والبهق. قوله: [تضيء كشعاع الشمس] أي فكان إذا أدخل يده اليمنى في جيبه، وأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها، كان لها نور ساطع، يضيء بالليل والنهار، كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءاً، ثم

﴿آيَةً أُخْرَى﴾ ٢٢: وهي وبيضاء حالان من ضمير تخرج ﴿لِنُرِيَكَ﴾: بها إذا فعلت ذلك لإظهارها ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾: الآية ﴿الْكُبْرَى﴾ ٢٣: أي العظمى على رسالتك وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه كما تقدم وأخرجها ﴿اذْهَبْ﴾: رسولاً ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: ومن معه ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ ٢٤: جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية ﴿قَالَ: رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ٢٥: وسّعه لتحمل الرسالة ﴿وَيَسِّرْ﴾: سهل ﴿لِي أَمْرِي﴾ ٢٦: لأبلغها ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ ٢٧: حدثت من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير ﴿يَفْقَهُوا﴾: يفهموا ﴿قَوْلِي﴾ ٢٨: عند تبليغ الرسالة ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾: معيناً عليها ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ ٢٩ ﴿هَارُونَ﴾: مفعول ثان ﴿أَخِي﴾ ٣٠: عطف بيان ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ٣١: ظهري ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ ٣٢: أي الرسالة والفعلان بصيغتي الأمر والمضارع المجزوم وهو جواب

إذا ردها إلى جيبه، صارت إلى لونها الأول. قوله: [الآية] ﴿الكبرى﴾ قدره إشارة إلى أن ﴿الكبرى﴾ صفة لمحذوف مفعول ثان لقوله نريك، والكاف مفعول أول، والكبرى اسم تفضيل، والمعنى التي هي أكبر من غيرها، حتى من العصا لأنها لم تعارض أصلاً، وأما العصا فقد عارضها السحرة.

قوله: ﴿اذهب إلى فرعون﴾ أي بهاتين الآيتين، وهما العصا واليد، روي أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: اسمع كلامي، واحفظ وصيتي، وانطلق برسالتي، فإنك بعيني وسمعي، وإن معك يدي ونصري، وإني ألبسك جبة من سلطاني، تستكمل بها القوة في أمرك، أبعثك إلى خلق ضعيف من خلقي، بطر نعمتي، وأمن مكري، وغرته الدنيا، حتى جحد حقي، وأنكر ربوبيتي، أقسم بعزتي، لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار، ولكن هان علي وسقط من عيني، فبلغه رسالتي، وادعه إلى عبادتي، وحذره نقمتي، وقل له قولاً ليناً، لا يغتر بلباس الدنيا، فإن ناصيته بيدي، لا يطرف ولا يتنفس إلا بعلمي، فسكت موسى سبعة أيام لا يتكلم، ثم جاءه الملك فقال له: أجب ربك فيما أمرك، فعند ذلك قال ﴿رب اشرح لي صدري﴾ الخ. قوله: [وسعه لتحمل الرسالة] أي فإنك كلفتني بأمر عظيم، لا يقوى عليه إلا من شرحت صدره وقويته.

قوله: ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ أي لكنة حاصلة فيه، وقد أجيب بحلها، فعاد لفصاحته الأصلية، وهذا هو الأحسن، وقيل زال بعضها بدليل قوله هو أفصح مني لساناً، وقول فرعون ولا يكاد يبين، ورد بأن معنى هو أفصح أنه لم يطرأ عليه لكنة، وقول فرعون باعتبار ما يعهده منه. قوله: [بجمرة وضعها] الخ أي وذلك أن موسى لاعبه فرعون ذات يوم، فنتف لحيته ولطمه على وجهه، فاغتم وهم بقتله، فقالت له زوجته آسية بنت مزاحم: مثل هذا الغلام لا يغتم منه، لا يفرق بين الثمرة والجمرة، فأتى له بطشت فيه تمر، وقيل جوهر، وبطشت فيه جمر، فأراد أن يأخذ الثمرة أو الجوهر، فأخذ جبريل بيده ووضعها على الجمر، فأخذ جمرة ووضعها على فيه فاحترق لسانه، وصار في لكنة.

قوله: ﴿يفقهوا قولي﴾ مجزوم في جواب الدعاء. قوله: ﴿وزيراً﴾ من الوزر وهو الثقل، سمي بذلك لأنه يتحمل مشاق الملك، ويعينه على أموره ويقوم بها. قوله: [مفعول ثان] أي والأول وزيراً، والأحسن عكسه، بأن يجعل ﴿وزيراً﴾ مفعولاً ثانياً مقدماً، و﴿هارون﴾ مفعول أول مؤخر لأن القاعدة إذا اجتمع معرفة ونكرة يجعل المفعول الأول هو المعرفة، لأن أصله المبتدأ، والنكرة المفعول الثاني لأن أصله الخبر، ووزيراً نكرة، وهارون معرفة بالعلمية. قوله: [والفعلان بصيغتي الأمر والمضارع] الخ حاصل ما هنا أن القراءات السبعية خمس، اثنتان عند الوقف على ياء أخي، وهما قراءة الفعلين بصيغتي الأمر، فتضم الهمزة في الأول، وتفتح في الثاني، والمضارع فتفتح في الأول، وتضم في الثاني، وثلاثة عند وصل أخي بما بعده، وهي أن تسكن الياء ممدودة بقدر ألفين، مع قراءة الفعلين

الطلب ﴿كي نسبحك﴾: تسبيحاً ﴿كثيراً﴾ ٣٣ ﴿ونذكرك﴾: ذكراً ﴿كثيراً﴾ ٣٤ ﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ ٣٥: عالماً فأنعمت بالرسالة ﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ ٣٦: مناً عليك ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ ٣٧ ﴿إذ﴾: للتعليل ﴿أوحينا إلى أمك﴾: مناماً أو إلهاماً لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿ما يوحى﴾ ٣٨: في أمرك ويبدل منه ﴿أن اقذفيه﴾: ألقيه ﴿في التابوت فاقذفيه﴾: بالتابوت ﴿في اليم﴾: بحر النيل ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾: أي شاطئه والأمر بمعنى الخبر ﴿يأخذه عدو لي وعدو له﴾: وهو فرعون ﴿وألقيت﴾: بعد أن أخذك ﴿عليك محبة

بالمضارع أو تفتحها، والفعلان بالأمر، أو تحذفها وهما بالأمر أيضاً. قوله: [وهو جواب الطلب] أي وهو اجعل لي.
قوله: ﴿كي نسبحك كثيراً﴾ تعليل لكل من الأفعال الثلاثة التي هي: اجعل واشدد وأشرك.

قوله: ﴿قال قد أوتيت﴾ أي جواباً لمطلوباته، وقوله: ﴿سؤلك﴾ أي مسؤلك، ففعل بمعنى مفعول، كأكل وخبز، بمعنى مأكول ومخبوز. قوله: ﴿يا موسى﴾ خاطبه باسمه، إشعاراً بمحبته، وتعظيم شأنه، ورفعة قدره ﷺ.
قوله: [مناً عليك] أي تفضلاً حاصلاً عليك، وقدره دخولاً على ما بعده. قوله: ﴿ولقد مننا عليك﴾ استئناف مسوق لزيادة الطمأنينة لموسى، كأن الله يقول له: إنا قد مننا عليك بمنن سابقة، من غير دعاء منك ولا طلب، فلأن نعطيك ما تطلبه بالأولى، وصدر الجملة بالقسم زيادة في الاعتناء بشأنه. قوله: ﴿مرة أخرى﴾ تأنيث آخر بمعنى غير، أي تحققت مننا عليك مرة أخرى، غير المنة التي تحققت لك بسؤالك، والمراد بالمنة الجنس الصادق بالمنن الكثيرة.
قوله: [للتعليل] أي لقوله مننا، والمعنى لأننا أوحينا إلى أمك الخ، ويصح أن تكون للظرفية، والمعنى ولقد مننا عليك وقت إيحائنا إلى أمك الخ، وحاصل ما ذكره من المنن من غير سؤال ثمانية: الأولى قوله: ﴿إذ أوحينا﴾. الثانية قوله: ﴿وألقيت عليك﴾. الثالثة قوله: ﴿ولتصنع على عيني﴾. الرابعة قوله: ﴿فرجعناك إلى أمك﴾. الخامسة قوله: ﴿وقتلت نفساً﴾. السادسة قوله: ﴿وفتناك فتوناً﴾. السابعة قوله: ﴿فلبثت سنين﴾. الثامنة قوله: ﴿واصطنعتك لنفسي﴾.

قوله: ﴿إلى أمك﴾ أي واسمها يوحانذ بياء مضمومة فواو ساكنة بعدها حاء مهملة فألف فنون مكسورة فذال معجمة. قوله: [مناماً أو إلهاماً] أي أو يقظة، ولا ينافيه كونها ليست نبية، فإن المخصوص بالأنبياء الوحي بالشرائع والتكاليف، وأما الوحي بغير الشرع فجائز حتى للنساء، كما وقع لمريم أم عيسى. قوله: [لما ولدتك] أي في السنة التي رتب فرعون أتباعه، لذبح كل من يولد من الذكور في تلك السنة، وذلك أن فرعون رأى رؤيا هالته، فقصها على الكهنة، فعبرت له بمولود يكون زوال ملكه على يديه، فأمر أتباعه بأن يذبحوا كل من يولد من الذكور، حتى شق الأمر، فأبقى القتل في سنة ورفعه في سنة، فصادف ولادة موسى، في السنة التي فيها القتل، فلما ولد، جاء أتباع فرعون يفتشون على المولود، فوضعته أمه في التنور، فجاءت أخته وأوقدته، ففتشوا عليه لم يجدوه، فخرجوا من عندها، فنظرت إلى التنور فوجدته موقداً، فخافت عليه، فناداها من التنور فأخرجته سالماً، فأوحى الله إليها أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، فأخذت صندوقاً وجعلت فيه قطناً ووضعته فيه، ثم طلت رأس التابوت بالقار، وألقته في اليم، فموجه البحر حتى أدخله في نهر كائن في بستان فرعون، وكان فرعون جالساً مع آسية زوجته، فأمر به فأخرج ففتح، فإذا هو صبي أحسن الناس وجهاً، فأحبه عدو الله حباً شديداً، حتى إنه لم يقدر على بعده عنه، وذلك قوله تعالى ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾. قوله: ﴿ما يوحى﴾ أبهمه للتعظيم كقوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾. قوله: [في أمرك] أي شأنك. قوله: [ويبدل منه] أي بدل مفصل من مجمل. قوله: [أي شاطئه] المراد قربه، لأن الصندوق أخذ من نفس البحر قريباً من البر. قوله: [والأمر بمعنى الخبر] أي وحكمة العدول عنه، كما كان إلقاء البحر إياه

﴿مِنِّي﴾: لتحب في الناس فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ٣٩: تربى على رعايتي وحفظي لك
﴿إِذْ﴾: للتعليل ﴿تَمْشِي أُخْتُكَ﴾: مريم لتتعرف خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منها
﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾: فأجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾:
بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾: حينئذ ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾: هو القبطي بمصر فاغتممت لقتله من جهة فرعون
﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾: اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾: عشراً ﴿فِي
أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب النبي وتزوجك بابنته ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ﴾: في علمي
بالرسالة وهو أربعون سنة من عمرك ﴿يَا مُوسَى﴾ ٤٠ ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ﴾: اخترتك ﴿لِنَفْسِي﴾ ٤١: بالرسالة ﴿اذْهَبْ أَنْتَ
وَأَخُوكَ﴾: إلى الناس ﴿بِآيَاتِي﴾: التسع ﴿وَلَا تَنِيَا﴾: تفترا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ ٤٢: بتسبيح وغيره ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ

بالساحل أمراً واجب الحصول لتعلق الارادة به، نزل البحر منزلة شخص مطيع، أمره الله بأمر لا يستطيع مخالفته.

قوله: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ يحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة صادرة مني بأن أحببتك، فتسبب عن محبتي محبة الناس لك، ويحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة خلقتها في قلوب الناس لك فأحبوك، والأول أحسن لعدم الكلفة فيه. قوله: ﴿ولتصنع﴾ عطف على محذوف قدره المفسر بقوله: [لتحب من الناس]. قوله: [تربى على رعايتي] الخ أي فالعين هنا بمعنى الرعاية والحفظ، مجازاً مرسلاً من إطلاق السبب وهو نظر العين، على المسبب وهو الحفظ والرعاية، لأن شأن من ينظر للشيء بعينه أن يحفظه ويرعاه. قوله: ﴿أختك﴾ [مريم] أي وكانت شقيقته، وهي غير أم عيسى. قوله: [لتعرف خبرك] أي فوجدتك وقعت في يد فرعون، فدلتهم على أمك حيث قالت ﴿هل أدلكم﴾ الخ. قوله: [وأنت لا تقبل] الخ، أي لحكمة عظيمة، وهي وقوعك في يد أمك، لأنك لو رضعت غيرها، لاستغنوا عن أمك. قوله: ﴿على من يكفله﴾ أي يكمل رضاعه، وقد أرضعته أمه، قيل ثلاثة أشهر، وقيل أربعة.

قوله: ﴿فرجعناك﴾ معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله: [فأجيبت] الخ. قوله: ﴿كي تقر عينها﴾ أي تسكن وتبرد دمعة حزنها. قوله: ﴿ولا تحزن﴾ [حينئذ] أي حين إذ قبلت ثديها، والمراد نفي دوام الحزن. قوله: [هو القبطي] أي واسمه قاب قان، وكان طباخاً لفرعون. قوله: [من جهة فرعون] أي لا من جهة قتله، فإنه كان كافراً. قوله: ﴿وفتناك فتوناً﴾ أي خلصناك من محنة بعد أخرى، روي أن سعيد بن جبير سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقال: خلصناك من محنة بعد محنة، ولد في عام كان يقتل فيه الولدان، فهذه فتنة يا ابن جبير، والقته أمه في البحر، وهم فرعون بقتله، وقتل قبطياً، وأجر نفسه عشر سنين، وضل الطريق، وضلت غنمه في ليلة مظلمة، وكان عند كل واحدة، فهذه فتنة يا ابن جبير. قوله: ﴿سنين﴾ [عشراً] أي ولبث في مصر قبل قتل القبطي ثلاثين سنة، وقيل خرج من مصر وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فمكث بمدين لرعي الغنم عشر سنين، وبعدها ثماني عشرة سنة. قوله: ﴿على قدر﴾ أي مقدار من الزمان.

قوله: ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ أي لتشتغل بأوامري وتبليغ رسالتي، وأن تكون في حركاتك وسكناتك لي لا لغيري. قوله: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي﴾ أي قد أجبناك فيما طلبت. وأعطينا أخاك الرسالة، فاذهب أنت وهو إلى فرعون وقومه. قوله: [إلى الناس] قدره إشارة إلى أنه حذف من هنا، لدلالة قوله فيما يأتي ﴿إلى فرعون﴾ عليه، كما أنه حذف فيما يأتي قوله: ﴿بآياتي﴾ لدلالة ما هنا عليه، ففي الكلام احتباك، حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر. قوله: ﴿بآياتي﴾ [التسع] المناسب للمفسر أن يقول العصا واليد، لأن باقي التسع لم يكن في المبدإ، بل كان في أثناء المدة، وعليه فجمع الآيات باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من المعجزات المتعددة.

طَغَى﴾ ٤٣: بادعائه الربوبية ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: في رجوعه عن ذلك ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ ٤٤: الله فيرجع والترجي بالنسبة إليهما لعلمه تعالى بأنه لا يرجع ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾: أي يعجل بالعقوبة ﴿أَوْ أَن يَطْغَى﴾ ٤٥: علينا أي يتكبر ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ بعوني ﴿أَسْمَعُ﴾: ما يقول ﴿وَأَرَى﴾ ٤٦: ما يفعل ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: إلى الشام ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾: أي خلِّ عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾: بحجة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: على صدقنا بالرسالة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ ٤٧: أي السلامة له من العذاب ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ﴾: ما جئنا به ﴿وَتَوَلَّى﴾ ٤٨: أعرض عنه فأتياه وقالا جميع ما ذكر ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ ٤٩: اقتصر عليه لأنه الأصل

قوله: ﴿ولا تنيا في ذكري﴾ يقال ونى يني ونيا، كوعد يعد وعداً إذا فتر، وأصله تونيا، حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها الفتحة والكسرة. قوله: [وغيره] أي كتبليغ الرسالة، وهو المقصود بالذات. قوله: ﴿اذهبا الى فرعون﴾ إن قلت: ما حكمة جمعهما في ضمير واحد، مع أن هارون لم يكن حاضراً في محل المناجاة، بل كان في ذلك الوقت بمصر؟ أجيب: بأن الله كشف الحجاب في ذلك الوقت عن سمع هارون، حتى سمع الخطاب مع أخيه، لكن موسى سمعه من الله بلا واسطة، وهارون سمعه من جبريل عن الله، وهذا أحسن ما يقال.

قوله: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ أي سهلاً لطيفاً، وقد قصه الله في سورة النازعات في قوله ﴿هل لك إلى أن تزكي وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ فإنه دعوة في صورة عرض. قوله: [في رجوعه عن ذلك] أي عما هو فيه من ادعاء الربوبية والتكبر. قوله: [والترجي بالنسبة اليهما] أي الى موسى وهارون، والمعنى اذهبا مترجيين ايمانه، وطامعين فيه، ولا تذهبا آيسين منه. قوله: [لعلمه تعالى بأنه لا يرجع] أي والفائدة في ارسالهما الزامه الحجة وقطع عذره، لجريان عادته سبحانه وتعالى، أنه لا يعذب أحداً، إلا بعد تبليغه الدعوة وعناده بعد ذلك. قوله: ﴿قالا ربنا﴾ أسند القول لهما لأنه وقع من كل منهما، وإن كان مكانهما مختلفاً لما تقدم، أنه لا مانع من إزالة الحجاب عن هارون، وسماعه من جبريل ما قيل لموسى وقت المناجاة. قوله: [أو يعجل بالعقوبة] أي فلا يصير الى تمام الدعوة واظهار المعجزة. قوله: ﴿أو أن يطغى﴾ أي يزداد تكبراً وكفراً، وأو مانعة خلو تجوز الجمع.

قوله: ﴿قال لا تخافا﴾ أي لا تنزعجا منه. قوله: ﴿فائتياه﴾ أي اذهبا بأنفسكما اليه، ولا تقعدا في مكان وترسلا له. قوله: ﴿فقولا إنا رسولا ربك﴾ أمرهما الله أن يقولا له ست جمل، أولها قوله: ﴿إنا رسولا ربك﴾. الثانية قوله: ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾. الثالثة: ﴿ولا تعذبهم﴾. الرابعة: ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾. الخامسة: ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾. السادسة: ﴿إنا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾. قوله: ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي أطلقهم من أسرك ولا تتول عليهم، فإنهم أولاد الأنبياء، ولا يليق أن يتولى عليهم خسيس، والمعنى أن موسى وهارون أرسلا الى فرعون، بأنه يؤمن بالله وحده، ولا يتولى على بني إسرائيل. قوله: [بحجة] أي دليل وبرهان على ما ادعيناه من الرسالة. قوله: [فأتياه وقالا له جميع ما ذكر] قدر ذلك إشارة الى أن قوله: ﴿قال فمن ربكما﴾ الخ، مرتب على محذوف وإشعاراً بأنهما شارعا الى امتثال الأمر من غير توان فيه.

قوله: ﴿فمن ربكما﴾ لم يضف الرب لنفسه تكبراً وطغياناً وخوفاً على قومه، إذ أضاف الرب لنفسه أن يميلوا لموسى. قوله: [اقتصر عليه] أي ألغى توجيه الخطاب لهما. قوله: [لأنه الأصل] أي في الرسالة، وهارون وإن كان

ولا دلالة عليه بالتربية ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾: من الخلق ﴿خَلْقَهُۥ﴾: الذي هو عليه متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ٥٠: الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك ﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿فَمَا بَالُ﴾: حال ﴿ٱلْقُرُونِ﴾: الأمم ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ ٥١: كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان ﴿قَالَ﴾: موسى ﴿عِلْمُهَا﴾: أي علم حالهم محفوظ ﴿عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾: هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَّا يَضِلُّ﴾: يغيب ﴿رَبِّي﴾: عن شيء ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ٥٢: ربي شيئاً هو ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾: في جملة الخلق ﴿ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: فراشاً ﴿وَسَلَكَ﴾: سهل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: طرقاً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً﴾: مطراً قال تعالى تتميماً لما وصفه به موسى وخطابة لأهل مكة ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ ٥٣: صفة أزواجاً أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرها وشتى جمع شتيت كمريض ومرضى من شت الأمر تفرق ﴿كُلُوا﴾: منها ﴿وَٱرْعَوْا أَنْعَٰمَكُمْ﴾: فيها جمع نعم هي: الإبل والبقر والغنم يقال رعت الأنعام ورعيتها والأمر للإباحة وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير أخرجنا أي مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور هنا ﴿لَأَيَٰتٍ﴾: لعبراً ﴿لِّأُولِي ٱلنُّهَىٰ﴾ ٥٤: لأصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف سمي به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح ﴿مِنْهَا﴾: أي من الأرض ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾: بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾: عند

رسولاً، إلا أن المقصود منه معاونة موسى. قوله: [ولادلاله عليه بالتربية] أي ولإقامة فرعون الدليل على موسى، بأن ذكره بتربيته له في قوله الآتي في الشعراء: ﴿ألم نربك فينا وليدا﴾ قوله: ﴿خلقه﴾ أي صورته وشكله. قوله: [الحيوان منه] أي من كل شيء.

قوله: ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ لما ظهر للعين حقية ما قال موسى وبطلان ما هو عليه أراد أن يصرفه عليه السلام الى ما لا يعنيه من الأمور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات خوفاً على رياسته أن تذهب، فلم يلتفت موسى عليه السلام إلى ذلك الحديث وقال: علمها عند ربي. قوله: [في عبادتهم الأوثان] أي أكان سبباً في شقاوتهم أو سعادتهم، وإنما لم يوضح له الجواب لأنه مأمور بملاطفته، فإذا وضح له الجواب ربما نفر وتغير. قوله: ﴿لا يضل ربي﴾ أي لا يذهب شيء عن علمه. قوله: ﴿ولا ينسى﴾ أي بعد علمه.

قوله: ﴿الذي جعل لكم الأرض﴾ هذا من جملة جواب موسى عن سؤال فرعون الأول. قوله: ﴿مهاداً﴾ أي كالمهاد. قوله: [طرقاً] أي تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا مآربكم. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فاخرجنا به أزواجاً﴾ من كلامه تعالى، لا بطريق الحكاية عن موسى، بل خطاباً لأهل مكة وامتناناً عليهم، وينتهي إلى قوله: ﴿تارة أخرى﴾ وقيل إنه من كلام موسى أيضاً، وفيه التفات من الغيبة للتكلم. قوله: [وخطاباً لأهل مكة] أي في قوله: ﴿كلوا وارعوا﴾. قوله: [شتى] ألفه للتأنيث. قوله: [يقال رعت الأنعام] الخ أي فيستعمل لازماً ومتعدياً. قوله: [أي مبيحين لكم] المناسب أن يقول أي قائلين لكم كلوا الخ، فهو أمر إباحة. قوله: [جمع نهية] وقيل إنه اسم مفرد فهو مصدر كالهدى والسرى. قوله: [بخلق أبيكم آدم منها] أي فجميع الخلق غير آدم خلقوا من الأرض بواسطة، وهذا أحد قولين، وقيل كل إنسان خلق من التراب بلا واسطة لأن كل نطفة وقعت في الرحم، يأخذ الملك الموكل بها شيئاً من تراب المكان الذي يدفن فيه، فيذره على النطفة، فيخلق الله النسمة من النطفة والتراب.

البعث ﴿تَارَةً﴾: مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾ ٥٥: كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾: أي أبصرنا فرعون ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾: التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾: بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَبَىٰ﴾ ٥٦: أن يوحد الله تعالى ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾: مصر ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ ٥٧ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾: يعارضه ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾: لذلك ﴿لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا﴾: منصوب بنزع الخافض في ﴿سُوًى﴾ ٥٨: بكسر أوله وضمه أي وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين ﴿قَالَ﴾: موسى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾: يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ﴾: يجمع أهل مصر ﴿ضُحًى﴾ ٥٩: وقته للنظر فيما يقع ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾: أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾: أي ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ ٦٠: بهم الموعد ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾: وهم اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا ﴿وَيْلَكُمْ﴾: أي ألزمكم الله الويل ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بإشراك أحد معه ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾: بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما أي يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾: من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خسر ﴿مَنِ افْتَرَىٰ﴾ ٦١: كذب على الله ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: في موسى وأخيه ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾ ٦٢: أي الكلام بينهم

قوله: ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ إخبار عما وقع لموسى في مدة دعائه لفرعون، وبهذا التقرير صح قول المفسر [التسع] واندفع مما يقال إن فرعون في ابتداء الأمر لم ير إلا العصا واليد، وعليه فتكون هذه الجملة معترضة بين القصة.

قوله: ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى﴾ أي بعد أن رأى ما رأى من معجزة العصا واليد، قال ما ذكر تستراً وخوفاً على حظ رياسته لئلا يؤمن قومه. قوله: ﴿فلنأتينك﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتي وكبريائي، وقوله: ﴿بسحر﴾ متعلق بنأتينك. قوله: ﴿مثله﴾ أي في الغرابة. قوله: ﴿موعداً﴾ الأحسن أنه ظرف زمان مفعول أول مؤخر لقوله اجعل، وقوله: ﴿بيننا﴾ مفعول ثان مقدم، وقوله: [بنزع الخافض] أي فالمعنى عين زماناً بيننا وبينك نجتمع فيه في مكان سوى أي متوسط. قوله: [بكسر أوله وضمه] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ خصه عليه السلام بالتعيين لمزيد وثوقه بربه وعدم مبالاته بهم، وليكون ظهور الحق على رؤس الأشهاد، ويشيع ذلك بين كل حاضر وباد، فيكون أعظم فخر لموسى عليه السلام. قوله: [يوم عيد لهم] أي وكان يوم عاشوراء، واتفق أنه يوم سبت. قوله: ﴿وأن يحشر الناس﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الزينة، أي ويوم حشر الناس ضحى. قوله: [وقته] أي وقت الضحى، وهو ارتفاع الشمس. قوله: [ادبر] اي انصرف من المجلس. قوله: [اي ذوي كيده] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿ثم أتى﴾ [بهم الموعد] أي في يوم الزينة في المكان المتوسط وهو الاسكندرية. قوله: [وهم اثنان وسبعون] الاثنان من القبط، والسبعون من بني إسرائيل، وهذا أحد اقوال في عددهم، وقيل كانوا اثنين وسبعين ألفاً، وهو ما في بعض النسخ، وقيل اثني عشر الفاً. قوله: [مع كل واحد حبل وعصا] تقدم أنها كانت حمل أربعمائة بعير. قوله: [أي ألزمكم الله الويل] أشار بذلك إلى أن ﴿ويلكم﴾ منصوب بفعل محذوف، والويل معناه الدمار والهلاك. قوله: [بإشراك احد معه] أي بسبب إشراك أحد مع الله، والمعنى ألزمكم الله الويل إن افتريتم على الله الكذب بسبب إشراككم مع الله بدوام تصديقكم لفرعون. قوله: [بضم الياء] الخ أي فهما قراءتان سبعيتان، فالضم من الرباعي، والفتح من الثلاثي.

قوله: ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ أي تناظروا وتشاوروا في أمر موسى وأخيه سراً، واختلف فيما أسروه، فقيل هو

فيهما ﴿قَالُوٓاْ﴾: لأنفسهم ﴿إِنْ هَٰذَيْنِ﴾ لأبي عمرو ولغيره هذان وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالألف في أحواله الثلاث ﴿لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ ٦٣ مؤنث أمثل بمعنى أشرف أي بأشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾: من السحر بهمزة وصل وفتح الميم من جمع أي لُمّ وبهمزة قطع وكسر الميم من أجمع أحكم ﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا﴾: حال أي مصطفين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾: فاز ﴿ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ ٦٤: غلب ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾: اختر ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾: عصاك أي أولاً ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ ٦٥: عصاه ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ﴾: فألقوا ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾: أصله عصوو قلبت الواوان ياءين وكسرت العين والصاد ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا﴾: حيات ﴿تَسْعَىٰ﴾ ٦٦: على بطونهم ﴿فَأَوْجَسَ﴾: أحس ﴿فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ ٦٧: أي خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به ﴿قُلْنَا﴾: له ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ٦٨: عليهم بالغلبة ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾: وهي عصاه ﴿تَلْقَفْ﴾: تبتلع ﴿مَا

قوله: ﴿إن هذين لساحران﴾ الخ، وقيل هو قول بعضهم لبعض: ما هذا ساحر، فإن غلبنا اتبعناه، وإن غلبناه بقينا على ما نحن عليه. قوله: ﴿وأسروا النجوى﴾ أي تحدثوا سراً فيما بينهم. قوله: [لأبي عمرو] أي فقراءته بالياء اسم ﴿إن﴾، وساحران خبرها، واللام للابتداء زحلقت للخبر، وقوله: [ولغيره] خبر مقدم، و[هذان] مبتدأ مؤخر، وقوله: [وهو موافق] أي هذان موافق لمن يعرب المثنى بحركات مقدرة على الألف، فيبني اسم الإشارة الدال عليه على الألف، وقد أجمل المفسر في قوله: [ولغيره هذان]. والحاصل أن القراءات السبعيات أربع: الأولى لأبي عمرو التي ذكرها المفسر، وبقي ثلاث: الأولى تشديد نون هذان مع تخفيف نون إن، والثانية والثالثة تخفيف نون هذان، مع تشديد نون إن أو تخفيفها، فعلى تشديد نون إن، يكون هذان اسمها مبنياً على الألف، وساحران خبرها، وعلى تخفيفها يكون هذان ساحران مبتدأ وخبراً، وإن مخففة، واسمها ضمير الشأن، والجملة خبر إن. قوله: [أي بأشرافكم] تفسير لطريقتكم، فإن من جملة معاني الطريقة، أماثل الناس وأشرافهم، أي وهم كفرعون وجلسائه.

قوله: ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ أي اجعلوه مجمعاً بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم. قوله: [بهمزة وصل] الخ، أي فهما سبعيتان. قوله: ﴿ثم ائتوا صفاً﴾ أي لأنه أهيب في صدور الرائين. قوله: ﴿إما أن تلقي﴾ ﴿أن﴾ وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله: [اختر]. قوله: ﴿قال بل ألقوا﴾ أي ليظهر الفرق بين المعجزة والسحر.

قوله: ﴿فإذا حبالهم﴾ إذا فجائية، و﴿حبالهم وعصيهم﴾ مبتدأ خبره جملة ﴿يخيل إليه﴾ الخ. قوله: [اصله عصوو] بوزن فلوس، وقوله: [قلبت الواوان ياءين] الخ، أي قلبت الثانية ياء لوقوعها متطرفة، فاجتمعت مع الواو، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء. قوله: [وكسرت العين] أي اتباعاً للصاد، [والصاد] لتصح الياء. قوله: ﴿يخيل إليه﴾ أي لأنهم طلوها بالزئبق فلما اشتد حر الشمس، اضطربت واهتزت، فتخيل أنها تتحرك. قوله: ﴿خيفة﴾ أصله خوفة قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها. قوله: [من جهة أن سحرهم] الخ، جواب عما يقال: كيف حصل له الخوف، مع علمه بأنه على الحق، ولا يصل له سوء منهم.

قوله: ﴿إنك أنت الأعلى﴾ فيه إشارة إلى أن لهم علواً وغلبة بالنسبة لسائر الناس، فطمنه الله بأمور لا تخطر بباله، فإن ابتلاع العصا لحبالهم وعصيهم، أمر لا يخطر ببال موسى. قوله: ﴿تلقف﴾ بفتح اللام وتشديد القاف، أو بسكون

صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾: أي جنسه ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ ٦٩: بسحره فألقى موسى عصاه فتلقفت
كلَّ ما صنعوه ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾: خرّوا ساجدين لله تعالى ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ ٧٠ ﴿قَالَ﴾: فرعون
﴿آمَنتُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ﴾: أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾: معلمكم ﴿الَّذِي
عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾: حال بمعنى مختلفة أي الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى
﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾: أي عليها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾: يعني نفسه ورب موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ ٧١:
أدوم على مخالفته ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ﴾: نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾: الدالة على صدق موسى ﴿وَالَّذِي

اللام وفتح القاف قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ما صنعوا﴾ أي اخترعوا مما لا حقيقة له. قوله: [أي جنسه] دفع بذلك ما يقال: لم لم يقل: ولا يفلح السحرة؟ بصيغة الجمع، وفيه إشارة إلى أن الكلام موجه للعموم، فكأنه قال: لا يفلح كل ساحر سواء كان من هؤلاء، أو من غيرهم. قوله: ﴿حيث أتى﴾ أي في أي زمان أو مكان أقبل منه. [فألقى موسى عصاه] الخ، قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فألقي السحرة سجداً﴾ مرتب على محذوف. قوله: ﴿فألقي السحرة سجداً﴾ أي إيماناً بالله، وكفراً بفرعون، وهذا من غرائب قدرة الله، حيث ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين، قيل لم يرفعوا رؤوسهم من السجود، حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب، ورأوا منازلهم في الجنة. قوله: [و] ﴿قالوا آمنا﴾ قدر المفسر الواو إشارة إلى أنه معطوف على قوله: ﴿فألقي السحرة سجداً﴾ وفيه إيماء إلى أنهم جمعوا في الإيمان بين القول والفعل.

قوله: ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ أي لما شاهد فرعون من السحرة السجود والإقرار خاف أن يقتدي الناس بهم في الإيمان بالله وحده، فالقى شبهتين: الأولى قوله: ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ أي لم تشاوروني ولم تستعينوا بنظر غيركم، بل في الحال آمنتم له، فحينئذ دل ذلك على أن إيمانكم ليس عن بصيرة، بل بسبب آخر. الثانية قوله: ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ أي فأنتم اتباعه في السحر، فتواطأتم معه على أن تظهروا العجز من أنفسكم، ترويجاً لأمره وتفخيماً لشأنه، لتنزعوا الملك مني، وهاتان الشبهتان لا يقبلهما إلا من عنده تردد أو شك، وأما من كشف الله عنه الحجاب كالسحرة، فلا يدخل عليه شيء من ذلك لظهور شمس الهدى واتضاحها لهم. قوله: [بتحقيق الهمزتين] أي الأولى وهي للإستفهام، والثانية وهي المزيدة في الفعل الرباعي. وقوله: [وابدال الثانية ألفاً] صوابه الثالثة، وهي فاء الكلمة، فيكون في كلامه إشارة لقراءة واحدة، أو يقال إن معنى قوله: [الثانية] أي في الفعل بقطع النظر عن همزة الاستفهام، وبقيت قراءة أخرى وهي تسهيل الثانية، والثلاث سبعيات، ولا يأتي هنا الرابعة المتقدمة في الأعراف، وهي قلب الأولى واواً، لعدم الضمة قبلها هنا، بخلاف ما تقدم، فإنها تقدمها ضمة، ونص الآية: قال فرعون آمنتم، وأصل الفعل أأمن كأكرم بهمزتين، الأولى زائدة، والثانية فاء الكلمة، قلبت الثانية ألفاً على القاعدة، قال ابن مالك:

ومَدّاً ابدل ثاني الهمزين من … كلمة إن يسكن كآثر وائتمن

ثم دخلت همزة الاستفهام. قوله: ﴿من خلاف﴾ ﴿من﴾ ابتدائية أي فالقطع ابتديء، من مخالفة العضو للعضو.

قوله: [أي عليها] أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية، حيث شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة، فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات، فاستعيرت لفظة في الموضوعة للظرفية الخاصة، لمعنى على الموضوعة للاستعلاء الخاص بجامع التمكن في كل. قوله: [على مخالفته] متعلق بكل من أشد وابقى.

قوله: ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا﴾ أي قالوا ذلك غير مكترثين بوعيده لهم. قوله: ﴿من البينات﴾ أي

﴿فَطَرَنَا﴾: خلقنا قسم أو عطف على ما ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾: أي اصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ ٧٢: النصب على الإتساع أي فيها وتجزي عليه في الآخرة ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾: من الإشراك وغيره ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾: تعلماً وعملاً لمعارضة موسى ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾: منك ثواباً إذا أطيع ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ ٧٣: منك عذاباً إذا عصى قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾: كافراً كفرعون ﴿فَإِنَّ لَهُ﴾: نار ﴿جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ٧٤: حياة تنفعه ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾: الفرائض والنوافل ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ ٧٥: جمع عليا مؤنث أعلى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: أي إقامة بيان له ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ ٧٦: تطهر من الذنوب ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾: بهمزة

المعجزات الظاهرة، وجمعها باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من الخوارق العادات، وإنما نسب المجيء لهم، وإن كان موسى جاء بها لفرعون وقومه أيضاً، لأنهم هم المنتفعون بها. قوله: [قسم] أي وجوابه محذوف تقديره لا نؤثرك على الحق، ولا يجوز أن يكون. قوله: ﴿لن نؤثرك﴾ جوابه، لأن القسم لا يجاب بلن إلا شذوذاً، ولا ينبغي حمل التنزيل عليه. قوله: [أو عطف على ما] أي والتقدير لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات، ولا على الذي فطرنا.

قوله: ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ اقض فعل امر وفاعله مستتر تقديره أنت و﴿ما﴾ اسم موصول مفعوله، وأنت قاض صلته، والعائد محذوف تقديره الذي أنت قاضيه، وقد أشار لهذا ابن مالك بقوله:

كـذاك حـذف مـا بـوصـف خـفـضـا ‌ ‌ ‌ كـأنـت قـاض بـعـد أمـر مـن قـضـى

وهو جواب عن تهديده المذكور، كأنهم قالوا: لا نبالي بك ولا بتهديدك، فافعل ما بدا لك، ولم يثبت في الكتاب، ولا في السنة أنه فعل ما هددهم به. قوله: [النصب على الاتساع] أي نصب هذه المبدلة منه الحياة الدنيا على نزع الخافض.

قوله: ﴿وما اكرهتنا عليه من السحر﴾ معطوف على ﴿خطايانا﴾ أي ويغفر لنا الذي اكرهتنا عليه من السحر. قوله: [تعلماً وعملاً] أي لأن فرعون كان يخبره الكهنة، بظهور مولود من بني اسرائيل يكون زوال ملكه على يديه، فلعلهم كانوا يصفونه له بهاتين المعجزتين، فأحب أن يتهيأ لمعارضته بإكراه الناس على تعليم السحر، واكراههم أيضاً على الأتيان بهم من المدائن البعيدة، ومما يدل على كونهم مكرهين على عمله، ما روي أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى وهو نائم، ففعل، فوجدوه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا ساحر، فإن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى أن لا يعارضوه. قوله: ﴿والله خير وأبقى﴾ رد لقوله ﴿ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى﴾. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك الى أن قوله: ﴿إنه من يأت ربه﴾ الخ، مستأنف من كلامه تعالى، وقيل إنه من كلام السحرة ألهمهم الله إياه. قوله: ﴿إنه من يأت ربه مجرماً﴾ أي بأن يموت على كفره. قوله: [فيستريح] أي من العذاب. قوله: [حياة تنفعه] أي بأن تكون هنية مرية. قوله: ﴿من تحتها الأنهار﴾ أي تحت قصورها. قوله: ﴿وذلك﴾ أي ما تقدم من قوله: ﴿جنات عدن﴾ الخ. قوله: [تطهر من الذنوب] أي بعدم فعلها، أو بالتوبة النصوح منها.

قوله: ﴿ولقد أوحينا الى موسى﴾ عطف قصة على قصة، لأن الله تعالى قص علينا اولاً، مبدأ رسالة موسى الى فرعون وما وقع منه، وقص علينا ثانياً منتهى امر فرعون وجنوده، وكل ذلك عبرة للأمة المحمدية، ليعلموا أن الظالم، وإن امهله الله وأمده بالنعم لا يهمله، وقد ذكرت هذه القصة هنا مختصرة، وتقدم ذكرها في الأعراف مبسوطاً. قوله:

قطع من أسرى وبهمزة وصل وكسر النون من سرى لغتان أي أسر بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَاضْرِبْ﴾: اجعل
﴿لَهُمْ﴾ بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقاً فِي ٱلْبَحْرِ يَبَساً﴾: أي يابساً فامتثل ما أمر به وأيبس الله الأرض فمروا فيها ﴿لَّا
تَخَافُ دَرَكاً﴾: أي أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ ٧٧ غرقاً ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾: وهو معهم ﴿فَغَشِيَهُم
مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾: أي البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ ٧٨: فأغرقهم ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾: بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَى﴾ ٧٩: بل
أوقعهم في الهلاك خلاف قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾: فرعون
بإغراقه ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾: فنؤتي موسى التوراة للعمل بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَى﴾ ٨٠:
هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر والمنادى من وجد من اليهود زمن النبي ﷺ وخوطبوا بما أنعم

﴿بعبادي﴾ أي وكانوا ستمائة الف وسبعين الفاً. قوله: [لغتان] أي وهي قراءتان سبعيتان، وكان المناسب للمفسر التنبيه على ذلك. قوله: [أي سر بهم ليلاً] تفسير لكل من القراءتين. قوله: [من أرض مصر] أي الى البحر، فهو مأمور بالسير له، فلا يقال: لم لم يسر بهم في البر في طريق الشام.

قوله: ﴿طريقاً﴾ مفعول به لتضمن اضرب معنى [اجعل] كما أشار له المفسر، والمراد بالطريق جنسه، فإن الطرق كانت اثنتي عشرة بعدد اسباط بني اسرائيل. قوله: ﴿يبساً﴾ أي يؤول الى ذلك، لأنه لم يكن يابساً قبل، وإنما مرت عليه الصبا فجففته. قال ابن عباس: لما أمر الله موسى أن يقطع بقومه البحر، وكان يوسف عهد اليهم عند موته، أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر، فلم يعرفوا مكانها، حتى دلتهم عليها عجوز، فأخذوها وقال لها موسى: اطلبي مني شيئاً، فقالت: اكون معك في الجنة، فلما خرجوا تبعهم فرعون، فلما وصل البحر وكان على حصان، أقبل جبريل على فرس أنثى، في ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدي فرعون، فأبصر الحصان الفرس، فاقتحم بفرعون على اثرها، فصاحت الملائكة بالقبط: الحقوا، حتى إذا لحق آخرهم، وكاد اولهم أن يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا، فرجع بنو اسرائيل حتى ينظروا اليهم وقالوا: يا موسى ادع الله أن يخرجهم لنا حتى ننظر إليهم، فلفظهم البحر الى الساحل، فأصابوا من امتعتهم شيئاً كثيراً. قوله: ﴿لا تخاف﴾ العامة ما عدا حمزة وحده على الرفع، وعليه فهو جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب، أو حال من فاعل اضرب، أي اضرب لهم طريقاً حال كونك غير خائف، وقرأ حمزة بالجزم على أن لا ناهية، وتخف مجزوم بها، وقوله: ﴿ولا تخشى﴾ هو بالألف باتفاق القراء، فعلى رفع ﴿لا تخاف﴾ العطف ظاهر، وعلى الجزم فيكون قوله: ﴿ولا تخشى﴾ معطوف على لا تخف مجزوماً، وعلامة جزمه حذف الألف، والألف الموجودة للاشباع أتى بها موافقة للفواصل ورؤوس الآي.

قوله: ﴿فأتبعهم فرعون﴾ أي بعد ما أرسل حاشرين يجمعون له الجيش، فجمعوا جيوشاً كثيرة، حتى كان مقدمة جيشه سبعمائة ألف، فضلاً عن الجناحين والقلب والساقة. قوله: ﴿بجنوده﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿فرعون﴾. قوله: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ أي علاهم وغمرهم من الأمر الهائل ما لم يبلغ كنهه أحد. قوله: ﴿وأضل فرعون قومه﴾ إخبار عن حاله قبل الغرق. قوله: [خلاف قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد] أي إنه مخالف له، فهو تكذيب لفرعون في قوله.

قوله: ﴿قد أنجيناكم من عدوكم﴾ الخ، قدم أولاً نعمة الانجاء، ثم النعمة الدينية، ثم الدنيوية، فهو ترتيب في غاية الحسن. قوله: [فنؤتي موسى التوراة] جواب عما يقال: إن المواعدة كانت لموسى لا لهم، فكيف أضيفت لهم؟ وأجيب أيضاً: بأنه أمر موسى أن يختار منهم سبعين رجلاً، فأضيفت المواعدة لهم بهذا الاعتبار. قوله: [هما الترنجبين]

الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقوله تعالى لهم ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: أي المنعم به عليكم ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾: بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾: بكسر الحاء أي يجب وبضمها أي ينزل ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾: بكسر اللام وضمها ﴿فَقَدْ هَوَى﴾[٨١]: سقط في النار ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾: من الشرك ﴿وَآمَنَ﴾: وحّد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾: يصدق بالفرض والنفل ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٨٢]: باستمراره على ما ذكر إلى موته ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ﴾: لمجيء ميعاد أخذ التوراة ﴿يَا مُوسَى﴾[٨٣] قَالَ هُمْ أُولَاءِ﴾: أي بالقرب مني يأتون ﴿عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[٨٤]: عني أي زيادة على رضاك وقبل الجواب أتى بالاعتذار بحسب ظنه وتخلف المظنون لما ﴿قَالَ﴾: تعالى ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾: أي بعد فراقك لهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ

هو شيء حلو أبيض مثل الثلج، كان ينزل عليهم في التيه من الفجر إلى طلوع الشمس، لكل إنسان صاع. قوله: [والطير السماني] أي فكان ريح الجنوب يأتيهم به، فيذبح الرجل منهم ما يكفيه، وشربهم من العيون التي تخرج من الحجر. قوله: [والمنادى من وجد من اليهود] الخ، هذا أحد قولين، وقيل المخاطب من كان في عهد موسى. قوله: [توطئة] أي تمهيداً.

قوله: ﴿من طيبات ما رزقناكم﴾ أي لذائذه وحلالاته. قوله: [بأن تكفروا النعمة] أي بعدم شكرها وبطركم لها. قوله: [بكسر الحاء] الخ، أي ففي كل قراءتان سبعيتان. قوله: [سقط في النار] أي على سبيل الخلود. قوله: [يصدق بالفرض والنفل] أي العمل الصالح يشمل كلاً منهما. قوله: [باستمراره على ما ذكر إلى موته] أي بأن يدوم على التوبة والإيمان والأعمال الصالحة، وهو جواب عما يقال: ما فائدة ذكر الاهتداء آخراً، مع أنه داخل في عموم قوله: ﴿وآمن﴾ فأفاد المفسر أن النجاة التامة والمغفرة الشاملة لمن حصلت منه التوبة والإيمان والأعمال الصالحة، ثم استمر عليها إلى أن لقي مولاه.

قوله: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ ﴿ما﴾ استفهامية مبتدأ، و﴿أعجلك﴾ خبره، و﴿عن قومك﴾ متعلق بأعجلك، والمعنى أي شيء جعلك متعجلاً عن قومك وسابقاً لهم. وحاصل ذلك أن الله سبحانه وتعالى، وعد موسى ثلاثين يوماً وأتمها بعشر، بعد إغراق فرعون وقومه، يصومها ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام فيها، وأمره تعالى أن يحضر من قومه سبعين رجلاً، يختارهم من بني اسرائيل، ليذهبوا معه إلى الطور، لأجل أن يأخذوا التوراة، فخرج بهم وخلف هارون على من بقي، وفي رواية أنه أمر هارون أن لا يأتي بهم عند تمام الميقات، فسار موسى بالسبعين، ثم عجل من بينهم تشوقاً، إلى ربه، وخلفهم وراءه، وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، فقال تعالى له ﴿وما أعجلك﴾ الخ، والمقصود من سؤال الله تعالى لموسى إعلامه بما حصل من قومه، وإلا فيستحيل عليه تعالى السؤال لطلب الفهم. قوله: ﴿عن قومك﴾ سياق المفسر يقتضي أن المراد بهم جملة بني إسرائيل، وأيده جماعة من المفسرين. قوله: [لمجيء ميعاد أخذ التوراة] أي لمجيئك في ميعاد أخذ التوراة.

قوله: ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ ﴿هم﴾ مبتدأ، و﴿أولاء﴾ خبر، وقوله: ﴿على أثري﴾ خبر بعد خبر. قوله: [أي زيادة على رضاك] أي فسارعت إلى امتثال أمرك، طلباً لزيادة رضاك، لا لأصل الرضا، فإنه حاصل، وطلبه لا يليق بحال الأنبياء. قوله: [وقيل الجواب] أي جواب السؤال وهو قوله: ﴿وعجلت اليك رب لترضى﴾. قوله: [أتى بالاعتذار] أي عن سبقه لقومه، وقوله: [بحسب ظنه] متعلق بالاعتذار. قوله: [وتخلف المظنون لما] ﴿قال﴾ [تعالى] أي ظهر لموسى أن ظنه تخلف حين أخبره الله بأن قومه قد عبدوا العجل، وهذا يؤيد ما قلناه أولاً، أن المراد بالقوم جميع بني إسرائيل. قوله: [أي بعد فراقك لهم] أي بعشرين يوماً، وهذا الأخبار من الله تعالى عند تمام الأربعين.

﴿ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ٨٥: فعبدوا العجل ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾: من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾: شديد الحزن ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾: أي صدقاً أنه يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾: مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ﴾: يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: بعبادتكم العجل ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ ٨٦: وتركتم المجيء بعدي ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾: مثلث الميم أي بقدرتنا أو أمرنا ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾: بفتح الحاء مخففاً وبضمها وكسر الميم مشدداً ﴿أَوْزَارًا﴾: أثقالاً ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾: أي حلي قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾: طرحناها في النار بأمر السامري ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾: كما ألقينا ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ٨٧: ما معه من حليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾: صاغه من الحلي ﴿جَسَدًا﴾: لحماً ودماً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾: أي صوت يسمع أي انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثره الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه في فمه ﴿فَقَالُوا۟﴾: أي السامري وأتباعه ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ ٨٨: موسى ربه هنا وذهب يطلبه قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا﴾: مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه ﴿لَا يَرْجِعُ﴾: العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: أي لا يرد لهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾: أي دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ ٨٩: أي

قوله: ﴿وأضلهم السامري﴾ اسمه موسى بن ظفر، منسوب إلى سامرة قبيلة من بني إسرائيل، كان منافقاً، وكان قد رباه جبريل، لأن فرعون لما شرع في ذبح الولدان، وضعته أمه في حفرة، فتعهده جبريل، وكان يغذيه من أصابعه الثلاثة، فيخرج له من إحداها لبن، ومن الأخرى سمن، ومن الأخرى عسل. قوله: ﴿فرجع موسى﴾ أي بعد أن تمم الأربعين وأخذ التوراة، روي أنه لما رجع موسى سمع الصياح والضجيج، وكانوا يرقصون حول العجل، فقال للسبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفتنة. قوله: [أنه يعطيكم التوراة] أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان لقوله: ﴿يعدكم﴾ والأول الكاف.

قوله: ﴿أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم﴾ المعنى إن كان الحامل لكم على عبادة العجل والمخالفة طول العهد، فإنه لم يطل، وإن كان الحامل لكم على ذلك غضب الله عليكم، فلا يليق من العاقل التعرض لغضب الله عليه. قوله: [وتركتم المجيء بعدي] أي لأنه وعدهم أن يتبعوه على أثره للميقات، فخالفوا واشتغلوا بعبادة العجل. قوله: ﴿ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ أي لأنا لو خلينا وأنفسنا ما أخلفنا، ولكن السامري سول لنا وغلب على عقولنا فأطعناه. قوله: [مثلث الميم] أي وكلها قراءات سبعيات. قوله: [وبضمها وكسر الميم] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [استعارها منهم بنو إسرائيل] أي قبل مسخ أموالهم. قوله: [بعلة عرس] أي إن بني إسرائيل أظهروا أن العلة في استعارتها هو العرس، وفي الواقع ليس كذلك. قوله: [بأمر السامري] أي فقال لهم: تأخر عنكم موسى لما معكم من الأوزار، فالرأي أن تحفروا لها حفيرة، وتوقدوا فيها ناراً، وتقذفوها فيها لتخلصوا من ذنبها.

قوله: ﴿فأخرج لهم عجلاً﴾ هذا من كلامه تعالى حكاية عن فتنة السامري، فهو معطوف على قوله ﴿وأضلهم السامري﴾. قوله: ﴿جسداً﴾ حال من العجل، ولا يقال جسد إلا للحيوان، ولا يقال لغيره جسد إلا للزعفران، والدم إذا يبس. قوله: [وأتباعه] أي الذين ضلوا وصاروا يساعدونه على من توقف من بني إسرائيل. قوله: ﴿أفلا يرون﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع. قوله: ﴿أن﴾ [مخففة من الثقيلة] أي بقوله ﴿لا يرجع﴾ بالرفع في قراءة العامة.

جلبه أي فكيف يتخذ إلهاً ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾: أي قبل أن يرجع موسى ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي﴾: في عبادته ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِي﴾ ٩٠: فيها ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ﴾: نزال ﴿عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾: على عبادته مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ ٩١ ﴿قَالَ﴾: موسى بعد رجوعه ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾ ٩٢: بعبادته ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾: لا زائدة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ ٩٣: بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى ﴿قَالَ﴾: هرون ﴿يَا بْنَ أُمَّ﴾: بكسر الميم وفتحها أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾: وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾: وكان أخذ شعره بيمينه غضباً ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾: لو اتبعتك ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وتغضب علي ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾: تنتظر ﴿قَوْلِي﴾ ٩٤: فيما رأيته في ذلك ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾: شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ ٩٥ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾: بالياء والتاء أي علمت ما لم يعلموه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾: تراب ﴿أَثَرِ﴾: حافر فرس ﴿ٱلرَّسُولِ﴾: جبريل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: ألقيتها في صورة العجل المصاغ ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ﴾: زينت ﴿لِي نَفْسِي﴾ ٩٦: وألقى فيها أن آخذ قبضة من تراب ما ذكر وألقيها على ما لا روح له يصير له روح ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً فحدثتني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم ﴿قَالَ﴾: له موسى ﴿فَٱذْهَبْ﴾: من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾: أي مدة حياتك ﴿أَن تَقُولَ﴾: لمن رأيته ﴿لَا

قوله: ﴿ولقد قال لهم هارون﴾ الخ أي فنصحهم هارون قبل رجوع موسى. قوله: ﴿وإن ربكم الرحمن﴾ إنما ذكر هذا الاسم تنبيهاً على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لأنه هو الرحمن. قوله: ﴿حتى يرجع الينا موسى﴾ غاية لعكوفهم بطريق التعلل والتسويف، لا بطريق الوعد وترك عبادته عند رجوعه. قوله: ﴿إذ رأيتهم﴾ ظرف منصوب بمنعك. والمعنى أي شيء منعك وقت رؤيتك ضلالهم. قوله: [لا زائدة] أي للتأكيد. والمعنى ما منعك من اتباعي في الغضب لله، والمقاتلة لمن كفر. قوله: [بإقامتك بين من يعبد غير الله] أي ولم تبالغ في منعهم والأنكار عليهم. قوله: [بكسر الميم] أي فحذفت الياء وبقيت الكسرة دالة عليها، وقوله: [وفتحها] أي فحذفت الألف المنقلبة عن الياء، وبقيت الفتحة دالة عليها، والقراءتان سبعيتان. قوله: [أعطف لقلبه] أي لا لكونه أخاه من أمه فقط، فإن الحق أنه شقيقه. قوله: [وكان أخذ شعره] أي الرأس.

قوله: ﴿ولم ترقب قولي﴾ معطوف على ﴿أن تقول﴾ أي وخشيت عدم ترقبك، أي انتظارك وتأملك في قولي حتى تفهم عذري، فالياء في ﴿قولي﴾ واقعة على هارون، هذا هو المتبادر من عبارة المفسر، وقيل إنه معطوف على ﴿فرقت﴾ أي وخشيت أن تقول لم ترقب قولي، أي تحفظه وتعمل به، فعليه الياء واقعة على موسى. قوله: ﴿قال بصرت﴾ بضم الصاد في قراءة العامة من باب ظرف، وقرئ بكسرها من باب تعب. قوله: [بالياء] أي بنو إسرائيل وقوله: [والتاء] أي أنت وقومك، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿من أثر الرسول﴾ أي وعرفه لسابق الألفة، فلما جاء جبريل ليطلب موسى إلى الميقات لأخذ التوراة، كان راكباً على فرس كلما وضعت حافرها على شيء أخضر، فعرف السامري أن للتراب الذي تضع الفرس حافرها عليه شأناً. قوله: [في صورة العجل] أي في فمه. قوله: [المصاغ] صوابه المصوغ كما في بعض النسخ. قوله: [طلبوا منك] أي حين جاوزوا البحر كما قال تعالى ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾ الآية.

قوله: ﴿فإن لك في الحياة﴾ إن حرف توكيد ونصب، والجار والمجرور خبرها مقدم، و﴿أن تقول﴾ في محل

مِسَاسَ﴾: أي لا تقربني فكان يهيم في البرية وإذا مس أحداً أو مسه أحد حُمّا جميعاً ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾: لعذابك ﴿لَّنْ تُخْلَفَهُ﴾: بكسر اللام أي لن تغيب عنه وبفتحها أي بل تبعث إليه ﴿وَٱنْظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ﴾: أصله ظللت بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً أي دمت ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾: أي مقيماً تعبده ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾: بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ ٩٧: نذرينه في هواء البحر وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٩٨: تمييز محول عن الفاعل أي وسع علمه كل شيء ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ﴾: أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾: من الأمم ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾: أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّا﴾: من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ ٩٩: قرآناً ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾: فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ ١٠٠: حملاً ثقيلاً من الإثم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾: أي في عذاب الوزر ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ ١٠١: تمييز مفسر للضمير في ساء والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ويبدل من يوم القيامة ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: القرن النفخة الثانية ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ١٠٢: عيونهم مع سواد وجوهم ﴿يَتَخَٰفَتُونَ

نصب اسمها مؤخر. والمعنى أن هذا القول ثابت لك ما دمت حياً، لا ينفك عنك، فكان يصيح في البرية لا مساس، وحرم موسى عليهم مكالمته ومواجهته ومبايعته، ويقال إن قومه باقية فيهم تلك الحالة إلى الآن، وهذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وعدم مخالطتهم. قوله: [فكان يهيم في البرية] أي مع السباع والوحوش، يقال إن موسى هم بقتله، فقال الله له: لا تقتله فإنه سخي. قوله: [وبفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ثم لننسفنه في اليم﴾ أي فلا يبقى له عين ولا أثر. قوله: [بعد ذبحه] أي ولما ذبحه سال منه الدم.

قوله: ﴿إنما إلهكم الله﴾ الخ كلام مستأنف لتحقيق الحق وإبطال الباطل، وهذا آخر قصة موسى المذكورة في هذه السورة. قوله: ﴿كذلك نقص عليك﴾ جملة مستأنفة، ذكرت تسلية له ﷺ وتكثيراً لمعجزاته، وزيادة في علم أمته، ليعرفوا أحباب الله فيحبونهم، وأعداء الله فيبغضونهم ليزدادوا رفعة وشأناً، حيث اطلعوا على سير الأوائل. قوله: [أي كما قصصنا عليك] أشار بذلك إلى أن الكاف نعت لمصدر محذوف، تقديره كقصصنا هذا الخبر الغريب نقص عليك الخ. قوله: [هذه القصة] أل للجنس لأن المتقدم ثلاث قصص، قصة موسى مع فرعون، ومع بني إسرائيل، ومع السامري. قوله: ﴿ذكراً﴾ سمي بذلك لتذكيره النعم والدار الآخرة.

قوله: ﴿من أعرض عنه﴾ هذه الجملة في محل نصب صفة لذكراً. قوله: [فلم يؤمن به] أشار بذلك إلى أن المراد بالاعراض عنه الكفر به، وإنكار كونه من عند الله كلاً أو بعضاً. قوله: [من الاثم] بيان للحمل الثقيل. قوله: ﴿خالدين فيه﴾ الجملة في محل نصب على الحال من الضمير في يحمل العائد على من باعتبار معناها، والتقدير يحملون الوزر حال كونهم مخلدين فيه. قوله: [أي في الوزر] أي عقابه، فالكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ ﴿ساء﴾ فعل ماض لإنشاء الذم، والفاعل مستتر عائد على الحمل المفسر بقوله: ﴿حملاً﴾ و﴿لهم﴾ جار ومجرور متعلق بقول محذوف، و﴿يوم القيامة﴾ ظرف لساء، و﴿حملاً﴾ تمييز، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله: [وزرهم]. قوله: ﴿يوم ننفخ﴾ أي نأمر بالنفخ، وفي قراءة سبعية أيضاً بالياء، مع بناء الفعل للمفعول، أي ينفخ إسرافيل. قوله: [القرن] أي وفيه طاقات على عدد أرواح الخلائق. قوله: [النفخة الثانية] أي لحشر الخلائق. قوله: ﴿زرقاً﴾ حال من المجرمين. قوله: [مع سواد وجوههم] خصت بالذكر لأنها مظهر القبيح والحسن.

﴿بَيْنَهُمْ﴾: يتسارون ﴿إِنْ﴾: ما ﴿لَبِثْتُمْ﴾: في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْراً﴾ ١٠٣: من الليالي بأيامها ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾: في ذلك أي ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾: أعدلهم ﴿طَرِيقَةً﴾: فيه ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً﴾ ١٠٤: يستقلون لبثهم في الدنيا جداً لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾: كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ﴾: لهم ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ ١٠٥: بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح ﴿فَيَذَرُهَا قَاعاً﴾: منبسطاً ﴿صَفْصَفاً﴾ ١٠٦: مستوياً ﴿لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجاً﴾: انخفاضاً ﴿وَلَا أَمْتاً﴾ ١٠٧: ارتفاعاً ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي يوم إذ نسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: أي الناس بعد القيام من القبور ﴿الدَّاعِيَ﴾: إلى المحشر بصوته وهو إسرافيل يقول: هلموا إلى عرض الرحمن ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾: أي لاتباعهم أي لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿وَخَشَعَتِ﴾: سكنت ﴿الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾ ١٠٨: صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾: أحداً ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾: أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ ١٠٩: بأن يقول لا إله إلا الله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ ١١٠: لا

قوله: ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي يخفضون أصواتهم ويخفونها، لما شاهدوه من الرعب والهول. قوله: [من الليالي بأيامها] حمل المفسر العشر على الليالي دون الأيام لتجريده من التاء، فإن المعدود إذا كان مؤنثاً جرد العدد من التاء عكس المذكر. قوله: ﴿أمثلهم طريقة﴾ أي أعدلهم رأياً في الدنيا. قوله: [لما عاينوه في الآخرة من الهول] أي فنسب ذلك القول لهم، لشدة ما عاينوا من الهول، لا لكونه أقرب إلى الصدق.

قوله: ﴿ويسألونك﴾ أي كفار مكة تعنتاً واستهزاء. قوله: [ثم يطيرها بالرياح] أي فالمعنى أنها تذهب بقدرة الله، فلا يبقى لهم أثر. قوله: ﴿فيذرها﴾ أي يتركها، والضمير عائد على الأرض. قوله: ﴿قاعاً صفصفاً﴾ حالان من الضمير في يذرها، والقاع المستوي الصلب، والصفصف الأرض الملساء، فهو قريب في المعنى من القاع، فهو توكيد له. قوله: ﴿عوجاً﴾ تقدم أن العوج بالكسر في المعاني، وبالفتح في المحسوسات، وما هنا من الثاني، لكن عبر فيه بالكسر لأنه لشدة غرابته كأنه صار من قبيل المعاني. قوله: ﴿الداعي﴾ أي فيقبلون من كل جهة. قوله: [وهو إسرافيل] أي فيضع الصور على فيه، ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول: يا أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون عليه، وقيل المنادي جبريل، والنافخ إسرافيل، وصححه بعضهم. قوله: [إلى عرض الرحمن] أي العرض عليه. قوله: ﴿لا عوج له﴾ أي لا يزيغون عنه يميناً ولا شمالاً، بل يأتونه سراعاً. قوله: ﴿للرحمن﴾ أي لجلالة وهيبته. قوله: ﴿إلا همساً﴾ مفعول به وهو استثناء مفرغ.

قوله: ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ من مفعول به، وهي واقعة على المشفوع له أو على الشفيع، فقول المفسر [أن يشفع له] أي أو يشفع في غيره. قوله: [بأن يقول لا إله إلا الله] أي مع عديلتها وهي محمد رسول الله، والمعنى أن من مات على الإسلام، فقد رضي الله قوله: وأذن له أن يشفع في غيره، وأن يشفع غيره فيه. قوله: ﴿ما بين أيديهم﴾ أي

---

* أسباب نزول الآية ١٠٥ قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: قالت قريش: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت ﴿ويسألونك عن الجبال﴾ الآية.

يعلمون ذلك ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾: خضعت ﴿لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾: أي الله ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾ ١١١: أي شركاً ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾: الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً﴾: بزيادة في سيئاته ﴿وَلَا هَضْماً﴾ ١١٢: بنقص من حسناته ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: معطوف على كذلك نقص أي مثل إنزال ما ذكر ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي القرآن ﴿قُرْآناً عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾: كررنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: الشرك ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾: القرآن ﴿لَهُمْ ذِكْراً﴾ ١١٣: بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبرون ﴿فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾: عما يقول المشركون ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾: أي بقراءته ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾: أي يفرغ جبريل من إبلاغه ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ ١١٤:

الخلق عموماً. قوله: ﴿ولا يحيطون به﴾ أي بما بين أيديهم وما خلفهم. قوله: [لا يعلمون ذلك] أي لا تفصيلاً ولا إجمالاً، وإنما يعلمه الله سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿وعنت الوجوه﴾ عنا فعل ماض، والتاء للتأنيث و﴿الوجوه﴾ فاعل وأصله عنوت، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً ثم حذفت لالتقاء الساكنين، فهو من باب سما يسمو سمواً، وأما عني كرضي يعني عنا فهو بمعنى تعب، وليس مراداً هنا، بل المراد خضعت وذلت، وأل في الوجوه للاستغراق أي كل الوجوه، والمراد أصحابها، وخصت الوجوه بالذكر، لأن الذل أول ما يظهر فيها. قوله: ﴿للحي﴾ أي الذي حياته أبدية، لا أول لها ولا آخر. قوله: ﴿القيوم﴾ أي القائم على كل نفس بما كسبت، فيجازيها على الخير والشر.

قوله: ﴿وقد خاب من حمل ظلماً﴾ أشار بذلك إلى أن الخلائق تنقسم في القيامة قسمين: أهل سعادة، وأهل شقاوة، وكلاهما في خضوع وذل لله جل جلاله، لكن أهل السعادة خضوعهم إجلالاً وهيبة ورغبة في الله، وأهل الشقاوة خضوعهم رهبة وإشفاقاً من عذاب الله، ويأساً من رحمة الله، قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة﴾. قوله: [خسر] أي ظهر خسرانه. قوله: ﴿من حمل ظلماً﴾ أي تحمله وارتكبه. وهذه الآية باعتبار ظاهرها تدل على أن أهل الظلم خائبون خاسرون، أي معرضون لذلك، ففي الحديث: «الظلم ظلمات يوم القيامة» فإن الظالم ربما أداه ظلمه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى، فإذا مات على ذلك، فهو مخلد في النار، وإن مات على الإسلام، فقد نقص عن مراتب المطهرين بسبب الزيادة في سيئاته والنقص من حسناته. قوله: ﴿وهو مؤمن﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾ أي وبضدها تتميز الأشياء، فالعاصي الظالم يخاف زيادة سيئاته ونقص حسناته لما ورد أنه يؤخذ من حسناته للمظلوم، فإن لم يبق له حسنات، طرح من سيئات المظلوم عليه. قوله: [أي مثل إنزال ما ذكر] أي الآيات المشتملة على تلك القصص العجيبة الغريبة.

قوله: ﴿أنزلناه﴾ أي على لسان جبريل، مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع. قوله: ﴿عربياً﴾ أي بلغة العرب، ليعرفوا أنه في الفصاحة والبلاغة خارج عن طوق البشر. قوله: ﴿من الوعيد﴾ أي التخويف. قوله: ﴿لعلهم يتقون﴾ [الشرك] أي يجعلون بينهم وبين الشرك وقاية بأن يؤمنوا. قوله: ﴿أو يحدث لهم ذكراً﴾ أي موعظة في القلوب، فينشأ عنها امتثال الأوامر واجتناب النواهي وتكرار المواعظ في القرآن من مزيد رحمته بعباده، سيما مع إمهالهم وعدم معاجلتهم بالأخذ، ولذلك يقال للكفار يوم القيامة: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾. قوله: ﴿الملك﴾ أي النافذ حكمه وأمره. قوله: ﴿الحق﴾ أي الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ المعنى لا تتعجل بقراءة ما ألقاه عليك جبريل في

---

* أسباب نزول الآية ١١٤ قوله تعالى: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه =

أي بالقرآن فكلما أنزل عليه شيء منه زاد به علمه ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾: وصينا أن لا يأكل من الشجرة ﴿مِن قَبْلُ﴾: أي قبل أكله منها ﴿فَنَسِيَ﴾: ترك عهدنا ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ ١١٥: حزماً وصبراً عما نهيناه عنه ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: وهو أبو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ﴿أَبَى﴾ ١١٦: عن السجود لآدم قال: أنا خير منه ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾: حواء بالمد ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ١١٧: تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك واقتصر على شقائه لأن الرجل يسعى على زوجته ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ ١١٨ ﴿وَأَنَّكَ﴾: بفتح الهمزة وكسرها عطف على اسم إن وجملتها ﴿لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾: تعطش ﴿وَلَا تَضْحَى﴾ ١١٩: لا يحصل لك حر شمس الضحى لانتفاء الشمس

قلبك، حتى يقرأه عليك، وسبب ذلك: أن جبريل كان يأتي للنبي بالقرآن، فيلابس جسمه ويضعه في قلبه، فيريد النبي التعجيل والنطق به، فأمره الله أن لا ينطق به حتى يقرأه جبريل باللسان عليه ظاهراً، وهذا معنى قوله تعالى ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ والحكمة في تلقي رسول الله عن جبريل ظاهراً أنه يكون سُنة متبعة لأمته، فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشايخ، ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور، بل التلقي له سر آخر.

قوله: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ أي سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب توالي نزول القرآن، فإنها أفضل ما يسأل وأعز ما يطلب، ومن هنا أمر المشايخ المريدين بتلاوة القرآن والتعبد به، بعد كمالهم ونظافة قلوبهم، وما داموا لم يكملوا، يأمرونهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه لتخلص قلوبهم، والحكمة في ذلك، أن الغفلة في الذكر أخف منها في القرآن لما في الأثر: رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه، فجعل العارفون للتوصل للقرآن طرقاً يجاهدون أنفسهم فيها، ليزدادوا بقراءتهم القرآن علوماً ومعارف وأخلاقاً، وحينئذ فليس تركهم القراءة في المبدإ، لكون غيرها أفضل منه، بل لينظفوا أنفسهم للقراءة. قوله: [وصيناه أن لا يأكل من الشجرة] أي نهيناه عن الأكل منها، وحتمنا عليه الأكل منها، فغلب مرادنا على أمرنا. قوله: [ترك عهدنا] أي متأولاً حيث غلطه إبليس بقوله: ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ وقاسمهما ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ فظن أنه لا يحلف أحد بالله كذباً.

قوله: ﴿وإذ قلنا للملائكة﴾ كررت هذه القصة في سبع سور من القرآن، تعليماً للعباد امتثال الأمر واجتناب النهي، وعطف هذه القصة على ما قبلها، من عطف السبب على المسبب، لأن هذه القصة سبب في عداوة إبليس لآدم. قوله: ﴿فسجدوا﴾ أي جميعاً، وتقدم الجواب عن سجود الملائكة بأوضح وجه. قوله: ﴿إلا إبليس﴾ استثناء متصل أو منقطع. قوله: [كان يصحب الملائكة] الخ، توجيه للاتصال لكونه لم يعتبر بلكن. قوله: ﴿فلا يخرجنكما﴾ النهي لإبليس صورة، والمراد نهيهما عن تعاطي اسباب الخروج، فيتسبب عن ذلك حصول التعب له في الدنيا. قوله: [واقتصر على شقائه] أي مع أن النهي لهما معاً.

قوله: ﴿إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعري﴾ الخ، قابل الله سبحانه وتعالى بين الجوع والعري، والظمأ والضحو، وإن كان الجوع يقابل العطش، والعري يقابل الضحو، لأن الجوع ذل الباطن، والعري ذل الظاهر، والظمأ حر الباطن، والضحو حر الظاهر، فنفى عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن، وحر الظاهر والباطن. قوله: [بفتح الهمزة وكسرها]

= جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه، فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فأنزل الله ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ الآية، وتقدم في سورة النساء سبب آخر وهذا أصح.

في الجنة ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾: أي التي يخلد من يأكل منها ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ ١٢٠: لا يفنى وهو لازم الخلد ﴿فَأَكَلَا﴾: أي آدم وحواء ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾: أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمي كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾: أخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: ليستترا به ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ ١٢١: بالأكل من الشجرة ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾: قربه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: قبل توبته ﴿وَهَدَىٰ﴾ ١٢٢: أي هداه إلى المداومة على التوبة ﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾: أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿مِنْهَا﴾: من الجنة ﴿جَمِيعًا بَعْضُكُمْ﴾: بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: من ظلم بعضهم بعضاً ﴿فَإِمَّا﴾: فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾: أي القرآن ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾:

أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿قال يا آدم﴾ بيان لصورة الوسوسة. قوله: ﴿فبدت لهما سوآتهما﴾ أي بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما أكلا من الشجرة. قوله: [يسوء صاحبه] أي يحزنه. قوله: ﴿من ورق الجنة﴾ أي ورق التين، فصارا يلزقان بعضه ببعض، حتى يصير طويلاً عريضاً يصلح للاستتار به.

قوله: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ أي وقع فيما نهي عنه متأولاً، حيث تخلف ما قصده بأكله من الشجرة، وضل عن مطلوبه وهو الخلود في الجنة، فمعصيته وقوعه في المخالفة باعتبار الواقع، لا في القصد والنية، بل قصده ونيته امتثال الأمر، وتجنب ما يوجب الخروج، وحينئذ فلا يجوز أن يطلق على آدم العصيان والغواية، من غير اقتران بالتأويل، ولا نفي اسم العصيان عنه لصريح الآية، وعلى كل حال، فالله عنه راض، وهو معصوم قبل النبوة وبعدها، من كل ما يخالف أمر الله، هذا هو الحق في تقرير هذا المقام. واعلم أن الخطأ والنسيان يقع من المعصومين للتشريع والمصالح، كما هو معهود في نصوص الشرع، وتسمية الله له في حقهم معصية من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: [بالأكل من الشجرة]، تقدم أنها الحنطة، وقيل التين، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿ثم اجتباه﴾ أي اصطفاه واختاره. قوله: [قبل توبته] أي بقوله: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ الخ. قوله: [إلى المداومة على التوبة] أي الاستمرار عليها. قوله: ﴿قال اهبطا﴾ أي قال الله تعالى لآدم وحواء: اهبطا من الجنة، لأن مكثهما فيها كان معلقاً على عدم أكلهما من الشجرة، وقد سبق في علمه تعالى أنهما يأكلان منها، فهو أمر مبرم، والمعلق على المبرم مبرم، فإخراجهما ليس للغضب عليهما، بل لمزيد شرفهما ورفعة قدرهما، لأنهما خرجا من الجنة منفردين، ويعودان إليها بثمانة وعشرين صفاً من أولادهما، لا يحيط بعدة تلك الصفوف إلا الله تعالى. إن قلت: ما الحكمة في تعليق الخروج على الأكل من الشجرة، ولم يكن بلا سبب؟ أجيب: بأن الله سبحانه وتعالى كريم، ومن عادة الكريم، أن لا يسلب نعمته عن المنعم إليه إلا بحجة، قال تعالى ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾. قوله: [أي آدم وحواء] يحتمل أن [أي] حرف نداء، و[آدم] منادى مبني على الضم في محل نصب، و[حواء] معطوف على آدم، ويحتمل أن أي حرف تفسير، وآدم وحواء تفسير للضمير في اهبطا. قوله: [بما اشتملتما عليه] قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية الأعراف، حيث جمع فيها، وتقدم لنا وجه آخر في التوفيق بينهما، بأن الجمع باعتبار آدم وحواء وإبليس والحية، وعلى هذا فقوله: ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ باعتبار أن الحية وإبليس عدو لآدم وذريته. قوله: [من ظلم بعضهم بعضاً] أي من أجل ظلم بعضهم بعضاً لما في الحديث: «سألت ربي أن لا يسلط على أمتي عدواً من سوى أنفسها فاستجاب لي».

قوله: ﴿فإما يأتينكم مني هدى﴾ إن شرطية مدغمة في ما الزائدة و﴿يأتينكم﴾ فعل الشرط مبني على الفتح في

في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَى﴾ ١٢٣: في الآخرة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾: أي القرآن فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة وفسرت في حديث بعذاب الكافر في قبره ﴿وَنَحْشُرُهُ﴾: أي المعرض عن القرآن ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ١٢٤: أي أعمى البصر ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ ١٢٥: في الدنيا وعند البعث ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾: تركتها ولم تؤمن بها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مثل نسيانك آياتنا ﴿الْيَوْمَ تُنسَى﴾ ١٢٦: تترك في النار ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن ﴿نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾: أشرك ﴿وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾: من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وَأَبْقَى﴾ ١٢٧: أدوم ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾: يتبين ﴿لَهُمْ﴾: لكفار مكة ﴿كَمْ﴾: خبرية مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾: أي كثيراً إهلاكنا ﴿قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾: أي الأمم الماضية لتكذيب الرسل ﴿يَمْشُونَ﴾: حال من ضمير لهم ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾: في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا وما ذكر من أخذ إهلاك من فعله الخالي عن حرف مصدري لرعاية المعنى لا مانع منه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: لعبراً

محل جزم لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة و﴿مني﴾ متعلق بهدى و﴿هدى﴾ فاعل، وقوله: ﴿فمن اتبع﴾ الخ من شرطية و﴿اتبع﴾ فعل الشرط، وجملة ﴿فلا يضل﴾ جوابه، وقوله: ﴿ومن أعرض﴾ الخ، جملة شرطية أيضاً، والجملتان في محل جزم جواب الشرط الأول. قوله: [أي القرآن] في تفسير الهدى والذكر فيما يأتي بالقرآن قصور لأن الخطاب مع آدم وذريته، وهداهم وتذكيرهم أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره من الكتب النازلة على الرسل، فالمناسب أن يقول أي كتاب ورسول. قوله: [بالتنوين] أي وصلاً وإبداله ألفاً وقفاً، وفي قراءة شاذة ضنكى كسكرى، بألف بدل عن التنوين، إجراء للوصل مجرى الوقف. قوله: [مصدر] أي وهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، بل هو بلفظ واحد للجميع، ولذلك لم يقل ضنكة. قوله: [بعذاب الكافر في قبره] أي لما ورد أنه يضغط عليه القبر حتى تختلف أضلاعه، ولا يزال في العذاب حتى يبعث، وقيل المراد بالمعيشة الضنكي الحياة فيما يغضب الله تعالى، وإن كان في رخاء ونعمة، إذ لا خير في نعمة بعدها النار لما في الحديث: «رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً». قوله: [أي المعرض عن القرآن] المناسب أن يقول المعرض عن الهدى لما علمت. قوله: [أي أعمى البصر] أي وذلك في المحشر، فإذا دخل النار زال عماه، ليرى مقعده في النار وعذابه بها. قوله: [الأمر] ﴿كذلك﴾ قدره إشارة إلى أن كذا خبر لمحذوف. قوله: [تركتها ولم تؤمن بها] أي فالمراد بالنسيان الإعراض وعدم الإيمان بها، وليس المراد حقيقة النسيان، وحينئذ فلا يصح الاستدلال بهذه الآية، على أن من حفظ القرآن ثم نسيه يحشر يوم القيامة أعمى، لأنه أمر اختلف فيه العلماء، فمذهب مالك رضي الله عنه حفظ الزائد عما تصح به الصلاة من القرآن مستحب أكيد ابتداء ودواماً فنسيانه مكروه، ومذهب الشافعي نسيان كل حرف منه كبيرة تكفر بالتوبة والرجوع لحفظه. قوله: [أدوم] أي لأنه لا ينقطع، بخلاف عذاب الدنيا والقبر.

قوله: ﴿أفلم يهد لهم﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعموا فلم يهد لهم. قوله: [يتبين] أشار بذلك الى أن ﴿يهد﴾ فعل لازم، والمعنى أعموا فلم يظهر لهم إهلاكنا كثيراً من قبلهم من القرون. قوله: [مفعول به] أي وتمييزها محذوف أي قرناً، وقوله: ﴿من القرون﴾ متعلق بمحذوف صفة لذلك التمييز. قوله: [بتكذيب الرسل] الباء سببية، أي أن الإهلاك بسبب تكذيب الرسل وترك الإيمان بالله ورسوله. قوله: [وما ذكر] مبتدأ، وقوله: [لا مانع منه] خبره، والمعنى أن أخذ المصدر من الفعل لصحة المعنى لا يتوقف على الحرف

﴿لِأُولِي النُّهَىٰ﴾ ١٢٨: لذوي العقول ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾: الإهلاك ﴿لِزَامًا﴾: لازماً لهم في الدنيا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ١٢٩: مضروب لهم معطوف على الضمير المستتر في كان وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: منسوخ بآية القتال ﴿وَسَبِّحْ﴾: صلِّ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: حال أي ملتبساً به ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاة العصر ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾: ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾: صلِّ المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: عطف على محل من آناء المنصوب أي صلِّ الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ ١٣٠: بما تعطى من

المصدري، بل يسبك المصدر من الفعل بدون سابك، لتوقف المعنى عليه، وأما لصحة الإعراب، فلا يكون غالباً إلا بحرف مصدري. قوله: [لذوي العقول] أي السليمة الصافية، وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون.

قوله: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً﴾ أي إن الله سبحانه وتعالى سبق في علمه تأخير العذاب العام لهذه الأمة إكراماً لنبيها، ولولا ذلك لحلّ بهم كما حلّ بمن قبلهم من القرون الماضية، فتأخيره إمهال لا إهمال، ليتدارك الكافر ما فاته بما بقي من عمره، فإن تاب قبله ربه. قوله: [معطوف على الضمير المستتر في كان] أي والمعنى لكان الإهلاك والأجل المعين له لزاماً، أي لازماً لهم، ولم يقل لازمين، لأن لزاماً مصدر في الأصل؛ وإن كان هنا بمعنى اسم الفاعل، وقوله: [وقام الفصل] الخ، أي أن العطف على ضمير الرفع المتصل جائز إذا حصل الفاصل بالضمير المنفصل، أو فاصل ما كما هنا، قال ابن مالك:

وإنْ على ضميرِ رفعٍ متصلْ عطفتَ فافصلْ بالضميرِ المنفصلْ

أو فاصلٍ مَا. والأحسن مما قرره المفسر أن يجعل قوله: ﴿وأجل مسمى﴾ معطوفاً على ﴿كلمة﴾ والمعنى ولولا كلمة وأجل مسمى، وهو مدة معيشتهم في الدنيا التي قدرها الله لهم لكان العذاب العام لازماً. قوله: ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أي حيث علمت أن تأخير عذابهم ليس بإهمال، بل هو لازم لهم في القيامة، فتسل واصبر ولا تنزعج. قوله: [منسوخ بآية القتال] أي وعليه فالمراد بقوله اصبر لا تعاجلهم بالقتال، وقيل إن الآية محكمة، وعليه فالمراد بالصبر عدم الاضطراب مما صدر منهم من الأذية. قوله: [صلّ] إنما سمى التسبيح والتحميد صلاة لاشتمالها عليهما، ولأن المقصود من الصلاة تنزيه الله عن كل نقص. والمعنى لا تشتغل بالدعاء عليهم، بل صلِّ الصلوات الخمس، ولما كان الأصل في الأمر الوجوب حمل الأمر بالتسبيح والتحميد على الأمر بالصلاة. قوله: [حال] أي من فاعل ﴿سبح﴾ والباء في ﴿بحمد ربك﴾ للملابسة كما قال المفسر.

قوله: ﴿ومن آناء الليل﴾ جمع إني بكسر الهمزة والقصر كمعى، وأصله أأناء بهمزتين، أبدلت الثانية ألفاً على القاعدة المعروفة. قوله: ﴿وأطراف النهار﴾ المراد بالجمع ما فوق الواحد لأن المراد به الزمن الذي هو آخر النصف الأول وأول الثاني. قوله: [المنصوب] أي بسبح. والمعنى صلِّ في أطراف النهار، وهو الوقت الذي يجمع الطرفين وهو الزوال. قوله: ﴿لعلك ترضى﴾ متعلق بسبح، أي سبح في هذه الأوقات لعلك ترضى بذلك، وانظر إلى هذا الخطاب اللطيف المشعر بأنه ﷺ حبيب رب العالمين وأفضل الخلق أجمعين حيث قال له ربه ﴿لعلك ترضى﴾ ولم يقل لعلي أرضى عليك ونحو ذلك، ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، وقول السيدة عائشة رضي الله عنها: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، فصلاته ﷺ مأمور بها ليرضى هو، لا ليكفر الله عنه سيئاته، ولا

الثواب ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً ﴿مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: زينتها وبهجتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: بأن يطغوا ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾: في الجنة ﴿خَيْرٌ﴾: مما أوتوه في الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ ١٣١: أدوم ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ﴾: اصبر ﴿عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ﴾: نكلفك ﴿رِزْقًا﴾: لنفسك ولا لغيرك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: الجنة ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ ١٣٢: لأهلها ﴿وَقَالُوا﴾: أي المشركون ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿يَأْتِينَا﴾: محمد ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: مما يقترحونه ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾: بالتاء والياء ﴿بَيِّنَةُ﴾: بيان ﴿مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ ١٣٣: المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾: قبل محمد الرسول ﴿لَقَالُوا﴾: يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾: هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾: المرسل بها ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾: في القيامة ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ ١٣٤: في جهنم ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿كُلٌّ﴾: منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾: منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿فَتَرَبَّصُوا

ليرضي عليه، وحينئذ فلا كلفة عليه فيها، لأن فيها شهوده لربه الذي هو قرة عينه، وللعارفين الكاملين من أمته، نصيب من هذا المقام.

قوله: ﴿ولا تمدن عينيك﴾ عطف على ﴿فاصبر﴾ أي لا تنظر بعينيك الى زهرة الدنيا نظر رغبة، وهذا الخطاب لرسول الله والمراد غيره، لأن ذلك مستحيل عليه، لما ورد: أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً، أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً، وورد «لست من الدنيا، وليست الدنيا مني». قوله: [أصنافاً] ﴿منهم﴾ أي الخلق، فالدنيا دائرة في أصناف الخلق، فتارة تكون مع الشريف، وتارة مع الوضيع، وهكذا. قوله: ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ الأحسن أنه منصوب على أنه مفعول ثان لمتعنا، بتضمينه معنى أعطينا، والأول هو قوله: ﴿أزواجاً﴾. قوله: [بأن يطغوا] الباء سببية، أي نفتنهم بسبب طغيانهم فيه. قوله: ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ أي فعلى الإنسان أن يشتغل بما هو خير وأبقى، وهو الجنة ونعيمها، ويترك ما يفنى وهو الدنيا، وقسمته الأزلية تأتيه منها من غير تعب ولا مشقة.

قوله: ﴿وأمر أهلك﴾ أي أمتك. قوله: ﴿واصطبر عليها﴾ أي وأمرهم بذلك. قوله: ﴿نحن نرزقك﴾ أي نحن متكفلون برزقك، فتفرغ لما كلفت به، ولا تشتغل بما تكفلنا لك به، وروي أنه ﷺ كان إذا أصاب أهل بيته ضيق، أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية. قوله: ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أي الجميلة المحمودة لأهل التقوى. قوله: [أي المشركون] أي وهم كفار مكة. قوله: [مما يقترحونه] أي يطلبونه هنا كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ الآيات.

قوله: ﴿أو لم تأتهم﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، أي أعموا ولم تأتهم الخ. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ما في الصحف الأولى﴾ أي الكتب المتقدمة، والمعنى ألم يكتفوا بالقرآن المحتوي على أخبار الأمم الماضية. قوله: ﴿ولو أنا أهلكناهم﴾ كلام مستأنف لتقرير ما قبله. قوله: ﴿لقالوا ربنا﴾ الخ أي لكان لهم أن يحتجوا يوم القيامة، ويعتذروا بهذا العذر، فقطع عذرهم بإرسال الرسول لهم، ولم يهلكهم قبل مجيئه. قوله: ﴿من قبل أن نذل﴾ يحصل لنا الذل والهوان. قوله: ﴿ونخزى﴾ أي نفتضح. قوله: [ما يؤول

---

* أسباب نزول الآية ١٣١ قوله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك﴾ الآية، أخرج ابن أبي شيبة وابن مردويه والبزار وأبو يعلى عن أبي رافع قال: أضاف النبي ﷺ ضيفاً فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب فقال: لا إلا برهن فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما منعنا به أزواجاً منهم﴾.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: في القيامة ﴿مَنْ أَصْحَابُ ٱلصِّرَاطِ﴾: الطريق ﴿السَّوِيِّ﴾: المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ ١٣٥: من الضلالة أنحن أم أنتم

إليه الأمر] أي أمرنا وأمركم. قوله: ﴿فتربصوا﴾ أي انتظروا. قوله: ﴿من أصحاب الصراط السوي﴾ ﴿مَنْ﴾ في الموضعين استفهامية، والكلام على حذف مضاف، والتقدير فستعلمون جوابَ مَنْ أصحاب الخ، وهو أنهم هم المؤمنون. قوله: ﴿ومن اهتدى﴾ [من الضلالة] أشار المفسر إلى وجه المغايرة بين القسمين، فأصحاب الصراط السوي مَنْ لم يضل أصلاً كالنبي، ومَنْ أسلم صبياً. ومن اهتدى، هو من سبق له الكفر ثم أسلم بعد ذلك.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٢١] ـ سورة الأنبياء

[مكية وهي مائة وإحدى أو اثنتا عشرة آية]

﴿اقْتَرَبَ﴾: قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾: أهل مكة منكري البعث ﴿حِسَابُهُمْ﴾: يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: عنه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ ١: عن التأهب له بالإيمان ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾: شيئاً فشيئاً أي لفظ قرآن ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ٢: يستهزؤون ﴿لَاهِيَةً﴾: غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: عن معناه ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾: أي الكلام

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنبياء مكية

وهي مائة واحدى أو اثنتا عشرة آية

سُميت بذلك لذكر قصص جملة من الانبياء فيها. قوله: [مكية] أي نزلت قبل الهجرة باتفاق. قوله: [أو اثنتا عشرة آية] هذا الخلاف مرتب على الخلاف في قوله تعالى ﴿أفتعبدون من دون الله﴾ إلى قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ هل هو آية واحدة أو آيتان، وأول الثانية قوله: ﴿أف لكم﴾ الخ. قوله: [أهل مكة] أشار بذلك إلى أنه من إطلاق العام وإرادة الخاص وحاصل ذلك أن كفار قريش قالوا: محمد يهددنا بالبعث والجزاء على الأعمال وهذا بعيد، فأنزل الله ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ وجه قرب الحساب أنه آت لا محالة، وكل آت قريب، أو يقال إن قربه باعتبار ما مضى من الزمان، فإن ما بقي أقل مما مضى. قوله: ﴿وهم في غفلة معرضون﴾ الجملة حالية أي قرب حسابهم، والحال أنهم غافلون معرضون غير متاهبين له، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذه الآية وإن كان سببها الرد على كفار مكة، إلا أن العبرة بعمومها.

قوله: ﴿ما يأتيهم من ذكر﴾ هذا في معنى العلة لما قبله، كأنه قال: معرضون لأنه يأتيهم من ذكر الخ. قوله: ﴿من ربهم﴾ الجار والمجرور متعلق بيأتيهم. قوله: [أي نفظ قرآن] دفع بذلك ما يقال: كيف وصف الذكر بالحدوث، مع أن المراد به القرآن وهو قديم؟ فأجاب: بأن وصفه بالحدوث باعتبار ألفاظه المنزلة علينا، وأما باعتبار المدلول، وهو الوصف القائم بذاته تعالى فهو قديم، وأما ما دلت عليه الألفاظ الحادثة فمنها ما هو قديم، كمدلول آية الكرسي والصمدية، ومنها ما هو حادث، كمدلول القصص وأخبار المتقدمين، ومنها ما هو مستحيل، كمدلول ما اتخذ الله من ولد.

قوله: ﴿وهم يلعبون﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿استمعوه﴾، وكذا قوله: ﴿لاهية قلوبهم﴾ والمعنى ما يقرأ

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بدل من واو وأسروا النجوى ﴿هَلْ هَٰذَآ﴾: أي محمد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾: تتبعونه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[٣]: تعلمون أنه سحر قل(١) لهم ﴿رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ كائناً ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما أسروه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾[٤]: به ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوٓا﴾ فيما أتى به من القرآن هو ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ﴾: أخلاط رآها في النوم ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به شعر ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[٥]: كالناقة والعصا واليد قال تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾: أي أهلها ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾[٦]: لا ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰٓ﴾: وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِمْ﴾: لا ملائكة ﴿فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: العلماء بالتوراة

عليهم القرآن، إلا استمعوه في حال استهزائهم، وكون قلوبهم غافلة عن معناه، فلا يسمعونه سماع تدبر وقبول، وكل آية وردت في الكفار، جرت بذيلها على عصاة الأمة، ففي هذه الآية، تحذير لمن يستمع القرآن في حال لهوه ولعبه، وأقبح منه من يطرب سماعه، من حيث اشتماله على الأنغام المعروفة، لا من حيث بلاغته ومواعظه وأحكامه وكونه من عند الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون. قوله: [بدل من واو وأسروا النجوى] أشار بذلك إلى أن أسر فعل ماض، والواو فاعله، و﴿النجوى﴾ مفعوله، و﴿الذين﴾ بدل، وهذه إحدى طريقتين للنحويين في الفعل الذي لحقته العلامة وأسند للظاهر، والطريقة الثانية أن الواو حرف علامة، و﴿الذين﴾ فاعل وتسمى بلغة أكلوني البراغيث، ولما كانت ضعيفة، لا ينبغي حمل الآية عليها، أعرض عنها المفسر.

قوله: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ بدل من ﴿النجوى﴾ مفسر لها، أي فكانوا يتناجون بذلك سراً بينهم، ثم يشيع كل واحد منهم مقالته ليضل غيره. قوله: ﴿أفتأتون السحر﴾ أي تحضرونه وتقبلونه. قوله: ﴿وأنتم تبصرون﴾ الجملة حالية من فاعل تأتون. قوله: ﴿في السماء والأرض﴾ أشار المفسر إلى أنه حال من القول، أي يعلم القول، حال كون القول كائناً في السماء والأرض. قوله: [للانتقال من غرض إلى آخر] أي فلا تقع بل في القرآن، إلا للانتقال لا للإبطال، لأنه يكون إضراباً عن الكلام السابق واعراضاً عنه، لكونه صدر على وجه الغلط، وتنزه الله عنه، خلافاً لمن يقول: إنها تأتي للإبطال، واستدل بقوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون﴾، وقوله: ﴿أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق﴾ ولا دليل في ذلك، لأن بل فيهما للانتقال من الإخبار بقولهم، الى الإخبار بالواقع، فتأمل. قوله: ﴿أضغاث أحلام﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: [هو]، والجملة مقول القول. قوله: ﴿بل هو شاعر﴾ أي يأتي بكلام يخيل للسامع معاني لا حقيقة لها، وليس المراد بالشعر هنا، خصوص الكلام المقفى الموزون قصداً، بل ما هو أعم. قوله: ﴿فليأتنا بآية﴾ جواب شرط مقدر، كأنه قيل: وإن لم يكن كما قلنا، بل كان رسولاً كما يزعم فليأتنا الخ. قوله: ﴿كما أرسل الأولون﴾ صفة لمصدر محذوف، والتقدير إتياناً كائناً مثل إرسال الأولين.

قوله: ﴿من قرية﴾ ﴿من﴾ زائدة في الفاعل. قوله: [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿وما أرسلنا﴾ رد لقولهم ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾. قوله: ﴿يوحي اليهم﴾ أي يأتيهم الوحي بالشرائع والأحكام، والمعنى ما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك لأمتك، إلا رجالاً من أفراد جنسك متأهلين للإرسال. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ أي المطلعين على أحوال الرسل الماضية، فإنهم يخبرونكم

---

* أسباب نزول الآية ٦: أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قال أهل مكة للنبي ﷺ: إن كان ما تقول حقاً ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهباً، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم ينظروا أن شئت استأنيت بقومك، فأنزل الله ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾.

والإنجيل ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٧: ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾: أي الرسل ﴿جَسَدًا﴾: بمعنى أجساداً ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾: بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ ٨: في الدنيا ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾: بإنجائهم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾: أي المصدقين لهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ ٩: المكذبين لهم ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: يا معشر قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: لأنه بلغتكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ١٠: فتؤمنون به ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾: أهلكنا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾: أي أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾: كافرة ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ١١ ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾: أي شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ ١٢: يهربون مسرعين

بحقيقة الحال. قوله: [العلماء بالتوراة والإنجيل] إنما أحالهم عليهم، لأنهم كانوا يرسلون للمشركين، أن ابقوا على ما أنتم عليه من التكذيب ونحن معكم، فهم مشتركون في العداوة لرسول الله وأصحابه، فلا يكذبونهم فيما هم فيه. قوله: [من تصديق المؤمنين] المصدر مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف، أي أقرب من تصديقكم المؤمنين. والمعنى إذا أخبركم المؤمنون بحال محمد، وحال الرسل المتقدمين، وأخبركم أهل الكتاب بذلك، صدقتم أهل الكتاب دون المؤمنين لألفتكم أهل الكتاب وعداوتكم للمؤمنين.

قوله: ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام﴾ رد لقولهم ﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام﴾ والمعنى لم نجعلهم ملائكة، بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام. قوله: ﴿وما كانوا خالدين﴾ أي ماكثين على سبيل الخلود في الدنيا، بل يموتون كغيرهم. قوله: ﴿صدقناهم الوعد﴾ أي بإهلاك أعدائهم. قوله: [بإنجائهم] محمول على الرسل الذين أمروا بالجهاد، فلا يرد من قتل من الرسل، فإنهم لم يؤمروا بالجهاد. قوله: ﴿ومن نشاء﴾ أي المؤمنين الذين اتبعوهم. وقد وقع ذلك لرسول الله ﷺ، فإن كبراء أصحابه الذين حضروا مغازيه لم يموتوا في حروبه، بل بقوا بعده ومهدوا دينه.

قوله: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً﴾ كلام مستأنف قصد به التبكيت عليهم. والمعنى كيف تعرضون عن كتاب فيه شرفكم وعزكم لأنه بلسانكم وعلى لغتكم، فكان بمقتضى الحمية والعقل أن تعظموا هذا الكتاب، وهذا النبي الذي جاء به، وتكونوا أول مؤمن به، فإعراضكم عنه دليل على عدم عقلكم. قوله: ﴿فيه ذكركم﴾ أي الثناء عليكم بالجميل، أو شرفكم ومواعظكم. قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أجهلتم فلا تعقلون أن الأمر كذلك؟

قوله: ﴿وكم قصمنا من قرية﴾ ﴿كم﴾ خبرية مفعول مقدم لقصمنا، و﴿من قرية﴾ بيان لكم. قوله: [أي أهلها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمقصود من هذه الآية تحذير الكفار من هذه الأمة عن عدم الإيمان والرجوع عن الكفر، بأنهم لا يغرنهم سعة الدنيا عليهم، والتفاخر بالأموال والأولاد، كأن الله يقول لهم: لا تغتروا بذلك، فإننا أهلكنا كثيراً من أهل القرى الكفار، وما جرى عليهم يجري عليكم، وأهل القرى: قيل المراد بهم الأمم الماضية، كقوم نوح ولوط وصالح وشعيب وغيرهم، وقيل المراد بهم أهل قرية باليمن تسمى حضور بوزن شكور، بعث الله عليهم موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب نبياً قبل موسى بن عمران، فكذبوه وقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر، فقتل رجالهم وسبى نساءهم، فلما استمر فيهم القتل هربوا، فقالت الملائكة لهم استهزاء: لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم، لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم، فإنكم أهل نعمة وغنى، فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف، ونادى مناد من جو السماء: يا ثارات الأنبياء، فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب، حيث لم ينفعهم، فعلى القول الأول كم واقعة على القرى، وعلى الثاني واقعة على أشخاص تلك القرية. قوله: [أي شعر أهل القرية] بفتح العين بمعنى علم،

فقالت لهم الملائكة استهزاء ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم﴾: نعمتم ﴿فيه ومساكنكم لعلكم تسألون﴾ ١٣: شيئاً من دنياكم على العادة ﴿قالوا يا﴾: للتنبيه ﴿ويلنا﴾: هلاكنا ﴿إنا كنا ظالمين﴾ ١٤: بالكفر ﴿فما زالت تلك﴾: الكلمات ﴿دعواهم﴾: يدعون بها ويرددونها ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾: أي كالزرع المحصود بالمناجل بأن قتلوا بالسيف ﴿خامدين﴾ ١٥: ميتين كخمود النار إذا طفئت ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ ١٦: عابثين بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ ما يلهى به من زوجة أو ولد ﴿لاتخذناه من لدنا﴾: من عندنا من الحور العين والملائكة ﴿إن كنا فاعلين﴾ ١٧: ذلك لكنا لم نفعله فلم نرده ﴿بل نقذف﴾: نرمي ﴿بالحق﴾: الإيمان ﴿على الباطل﴾: الكفر ﴿فيدمغه﴾: يذهبه ﴿فإذا هو زاهق﴾: ذاهب ودمغه في الأصل أصاب دماغه بالضرب وهو مقتل ﴿ولكم﴾: يا كفار مكة ﴿الويل﴾: العذاب الشديد ﴿مما تصفون﴾ ١٨: الله به من الزوجة أو الولد ﴿وله﴾: تعالى ﴿من في السموات والأرض﴾: ملكاً ﴿ومن عنده﴾: أي الملائكة مبتدأ خبره ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ ١٩: لا يعيون ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ ٢٠: عنه فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل ﴿أم﴾: بمعنى بل للانتقال وهمزة الإنكار ﴿اتخذوا آلهة﴾: كائنة ﴿من

وأما بالضم فمعناه تكلم بالشعر ضد النثر قوله: [يهربون] أي فالركض كناية عن الهرب. قوله: [استهزاء بهم] جواب عما يقال: إن الملائكة معصومون من الكذب، فكيف يقولون لهم ذلك مع علمهم بأنهم مهلكون عن آخرهم؟ فأجاب بأن هذا القول ليس على حقيقته، بل سخرية بهم على حد: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾. قوله: ﴿ومساكنكم﴾ بالجر عطفاً على ﴿ما﴾. قوله: [شيئاً من دنياكم] أي فأنتم أهل سخاء وغنى تعطون الفقراء، وهذا توبيخ وتهكم بهم. قوله: [بالكفر] أي وقتل موسى.

قوله: ﴿فما زالت﴾ ما نافية، وزال فعل ماض ناقص، و﴿تلك﴾ اسمها و﴿دعواهم﴾ خبرها. قوله: [الكلمات] المراد بها قولهم ﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾. قوله: ﴿حتى جعلناهم﴾ أي رجالهم، وأما النساء فقد سباهم بختنصر كما تقدم، وكلام المفسر يفيد أن هذه الآية حكاية عن أهل حضور. قوله: [كخمود النار] أي سكون لهبها مع بقاء جمرها، وأما الهمود فهو عبارة عن ذهاب النار بالكلية حتى تصير رماداً. قوله: ﴿لاعبين﴾ حال من فاعل ﴿خلقنا﴾ وهو محط النفي. قوله: [بل دالين على قدرتنا] ويسبحوننا بدليل قوله تعالى ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾. قوله: [ونافعين لعبادنا] أي وتفصيل جهات النفع بها، لا يعلمها إلا الله تعالى.

قوله: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً﴾ رد على من أثبت الولد والزوجة لله. قوله: ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ جواب ﴿لو﴾ واستثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم. والمعنى لو تعلقت إرادتنا باتخاذ الزوجة والولد، لاتخذناه من عندنا، لكنا لم نتخذه، فلم تتعلق به إرادتنا لاستحالة ذلك علينا. قوله: ﴿إن كنا فاعلين﴾ يحتمل أن تكون ﴿إن﴾ نافية أي ما كنا فاعلين. قوله: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ أي شأننا أن نؤيد الحق ونذهب الباطل. قوله: ﴿مما تصفون﴾ [الله به] أشار بذلك إلى أن ما موصولة والعائد محذوف، ويصح أن تكون مصدرية. والمعنى ولكم الويل من أجل وصفكم إياه بما لا يليق. قوله: [أي الملائكة] عبر عنهم بالعندية إشارة الى أنهم في مكانة وشرف ورفعة.

قوله: ﴿لا يستكبرون﴾ أي يتكبرون. قوله: ﴿ولا يستحسرون﴾ أي لا يكلون ولا يتعبون. قوله: ﴿يسبحون الليل والنهار﴾ المقصود من هذا الإخبار تحريض المؤمنين على الطاعات وتبكيت الكفار على تركها، لأن العبادة والتسبيح وصف أهل القرب والشرف، وتركها وصف أهل البعد والخسة. قوله: [فهو منهم كالنفس منا] أي فهو سجية

﴿الأَرْضِ﴾: كحجر وذهب وفضة ﴿هُمْ﴾: أي الآلهة ﴿يُنشِرُونَ﴾[٢١]: أي يحيون الموتى لا ولا يكون إلهاً إلا من يحيي الموتى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾: أي السموات والأرض ﴿آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾: أي غيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾: خرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه

وطبيعة لهم، ولا يشغلهم التسبيح عن غيره، كلعن الكفرة، ونزول الأرض، وتبليغ الأحكام، وغير ذلك، كما أن اشتغالنا بالنفس لا يمنعنا الكلام. إن قلت: إن هذا قياس مع الفارق، لأن آلة النفس غير آلة الكلام، وأما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام، فاجتماعهما محال. أجيب: بأن الملائكة لهم ألسنة كثيرة، بعضها يسبحون الله به، وبعضها يلعنون أعداء الله به، فلا يقاسون على بني آدم. قوله: [وهمزة الإنكار] أي وهو راجع لقوله: ﴿هم ينشرون﴾. قوله: ﴿هم ينشرون﴾ أي حيث ادعوا أنها آلهة لزمهم ما ذكر ضمناً والتزاماً، وإلا فهم لم يدعوا أنها تحيي الموتى.

قوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ ﴿لو﴾ حرف شرط، و﴿كان﴾ تامة فعل الشرط و﴿آلهة﴾ فاعلها، و﴿فيهما﴾ متعلق بكان، و﴿إلا﴾ بمعنى غير صفة لآلهة، ظهر أعرابها فيما بعدها، وقوله: ﴿لفسدتا﴾ جواب الشرط، ففعل الشرط يقال له المقدم، وجوابه يقال له التالي، واستثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم. والمعنى لكنهما لم تفسدا، فلم يكن فيهما آلهة غير الله، والجمع في ﴿آلهة﴾ ليس قيداً، وكذا قوله ﴿فيهما﴾ وإنما أتى بذلك رداً على الكفار في اتخاذهم الآلهة في السماء والأرض. قوله: [أي غيره] أشار بذلك إلى أن ﴿إلا﴾ صفة بمعنى غير، فهي اسم، لكن لم يظهر أعرابها إلا فيما بعدها لكونها على صورة الحرف، ولا يجوز أن تكون أداة استثناء، لا من جهة المعنى، ولا من جهة اللفظ، أما الأول فلأنه يلزم منه نفي التوحيد، إذ التقدير لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا، فيقتضي بمفهومه، أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل، وأما الثاني فلأن المستثنى منه يشترط أن يكون عاماً، وآلهة جمع منكر في الإثبات، فلا عموم له، فلا يصح الاستثناء منه. قوله: [لوجود التمانع بينهم] أي التخالف بين الآلهة، ويسمى الدليل على ذلك، ببرهان التمانع والتطارد في فرض اختلافهما. وتقريره أن يقال لو فرض إلهان متصفان بصفات الألوهية، وأراد أحدهما ايجاد شيء والآخر إعدامه، فإما أن يتم مرادهما معاً وهو باطل للزوم اجتماع الضدين، أو لا يتم مرادهما معاً وهو باطل للزوم عجز من لا يتم مراده، وعجز من يتم مراده أيضاً لوجود المماثلة بينهما، فبطل التعدد وثبت الوحدانية، وإذا فرض اتفاقهما فهو باطل لوجود برهان التوارد، وتقريره أيضاً أن يقال: لو فرض إلهان، وأرادا معاً إيجاد شيء، فإما أن يحصل بإرادتهما معاً وذلك باطل لأنه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد، أو يسبق أحدهما إلى إيجاده، فيلزم عليه عجز الآخر، أو تحصيل الحاصل، ويلزم عجز الأول لوجود المماثلة بينهما، واعلم أن الدليل على ثبوت الوحدانية لله النقل والعقل، أما النقل فآيات كثيرة جداً منها ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الحي القيوم، هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو﴾ الى غير ذلك، وأما العقل فقد علمنا الله كيفيته بقوله تعالى ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾ وكهذه الآية. إذا علمت ذلك، فالدليل في هذه الآية قطعي كما هو الحق لكون الفساد مرتباً على فرض الاتفاق والاختلاف، وليس اقناعياً بحسب ما يفهمه المخاطب، خلافاً لما تقتضيه عبارة المفسر، حيث أحاله على العادة، وبهذه الآية انتفت الكموم الخمسة: الكم المتصل في الذات وهو التركيب فيها، والكم المنفصل فيها وهو النظير فيها، والكم المتصل في الصفات وهو التركيب فيها، والكم المنفصل فيها وهو النظير، والكم المنفصل في الأفعال، وهو المشارك له فيها،

﴿فَسُبْحَانَ﴾: تنزيه ﴿ٱللَّهِ رَبِّ﴾: خالق ﴿ٱلْعَرْشِ﴾: الكرسي ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٢٢: أي الكفار الله به من الشريك له وغيره ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ ٢٣: عن أفعالهم ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾: تعالى أي سواه ﴿ءَالِهَةً﴾ فيه استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾: على ذلك ولا سبيل إليه ﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾: أي أمتي وهو القرآن ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾: من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً مما قالوا تعالى عن ذلك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: أي توحيد الله ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ٢٤: عن النظر الموصل إليه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰٓ﴾: وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ ٢٥: أي وحّدوني ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا﴾: من الملائكة ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ﴾: هم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ٢٦: عنده والعبودية تنافي الولادة ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾: لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ ٢٧: أي بعده ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أي ما عملوا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾: تعالى أن يشفع له ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾: تعالى ﴿مُشْفِقُونَ﴾ ٢٨: أي خائفون ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾: أي الله أي غيره وهو إبليس

والمتصل فيها لا ينفي، لأنه ثابت، لأن أفعاله كثيرة على حسب شؤونه في خلقه. قوله: [الكرسي] الصواب إبقاء العرش على ما هو عليه، لأن التحقيق أن العرش جسم عظيم محيط بالعالم برمته، والكرسي تحته، وخص العرش بالذكر لأنه أعظم من غيره، فإذا كان الله رب العرش، كان رب غيره بالأولى.

قوله: ﴿لا يسأل عما يفعل﴾ أي لا يسأل عما يحكم في عباده، من إعزاز وإذلال، وهدى وإضلال، وإسعاد وإشقاء لأن الرب الخالق المالك لجميع الأشياء. إذا علمت ذلك، فالاعتراض على أفعال الله إما كفر أو قريب منه. قوله: ﴿وهم يسألون﴾ يقال للخلق: لم فعلتم كذا؟ لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم، وتبين بهذا، أن من يسأل عن أعماله كعيسى والملائكة، لا يصلح للألوهية. قوله: ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ إضراب انتقالي، من بطلان التعدد، إلى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة من غير دليل على ألوهيتها. قوله: [فيه استفهام توبيخ] أي من حيث إن ﴿أم﴾ بمعنى الهمزة، وسكت عن كونها بمعنى بل هنا، والمناسب لما تقدم أنها بمعناها أيضاً. قوله: [على ذلك] أي الاتخاذ، كأن الله يقول لهم: نحن قد أتينا ببراهين دالة على وحدانيتنا، فأتوا ببرهان يدل على ثبوت الشريك لنا. قوله: ﴿هذا ذكر من معي﴾ أي عظتهم ومتمسكهم على التوحيد. قوله: [ليس في واحد منها] أي فراجعوها وانظروا، هل في واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك؟ قوله: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ إضراب انتقالي، من محاجتهم إلى بيان أنهم كالبهائم، لا يميزون بين الحق والباطل. قوله: ﴿الحق﴾ الكلام على حذف مضاف، أي توحيد الحق.

قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ الخ تقرير لما قبله من كون التوحيد، نطقت به الكتب القديمة واجتمعت عليه الرسل. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿وقالوا﴾ الضمير عائد على فرق من العرب، وهم خزاعة وجهينة وبنو سلمة حيث قالوا: الملائكة بنات الله. قوله: [والعبودية تنافي الولادة] أي لأن عبد الإنسان لا يكون ولده، وهذا بحسب المعتاد عندهم. قوله: ﴿وهم بأمره يعملون﴾ أي لا يخالفونه في القول ولا في العمل. قوله: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي فهم يراقبونه في جميع أحوالهم، فلا يقدمون على قول ولا عمل بغير مراده لعلمهم بأنه تعالى محيط بهم. قوله: ﴿إلا لمن ارتضى﴾ أي إن كان مؤمناً فلا يقدمون على الشفاعة، إلا لمن علموا أن الله راض عنه ويقبل شفاعتهم فيه. قوله: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ أي وجلون لا يأمنون مكره، والإشفاق الخوف مع الإجلال، ويرادفه الخشية.

دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ﴾: كما نجزيه ﴿نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٢٩: أي المشركين ﴿أَوَلَمْ﴾: بواو وتركها ﴿يَرَ﴾: يعلم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾: أي سدًّا بمعنى مسدودة ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾: أي جعلنا السماء سبعاً والأرض سبعاً أو فتق السماء إن كانت لا تمطر فأمطرت وفتق الأرض إن كانت لا تنبت فأنبتت ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾: النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾: نبات وغيره أي فالماء سبب لحياته ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٣٠: بتوحيدي ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿أَن﴾: لا ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرك ﴿بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: أي الرواسي ﴿فِجَاجًا﴾: مسالك ﴿سُبُلًا﴾: بدل أي طرقاً نافذة واسعة ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ٣١: إلى مقاصدهم في الأسفار ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾: للأرض كالسقف للبيت ﴿مَّحْفُوظًا﴾: عن الوقوع ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾: من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ ٣٢: لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها

قوله: ﴿ومن يقل منهم﴾ أي من الملائكة المحدث عنهم أولاً بقوله: ﴿بل عباد مكرمون﴾ وهذا على سبيل الفرض والتقدير، لأنهم معصومون من الكفر والمعاصي، ويحتمل أن القول قد وقع من بعضهم [وهو إبليس] كما قال المفسر، وكونه من الملائكة باعتبار أنه كان بينهم وملحقاً بهم في العبادة حتى قيل: إنه كان أعبدهم. قوله: [دعا إلى عبادة نفسه] أي لأجل الاضلال والاغواء، ولا مانع من ذلك، كما يقع لبعض الزنادقة من تشكلاته لهم في الصور النيرة، كالقمر والشمس وغير ذلك، ودعواه أنه رب العالمين، وكما وقع لبرصيصا العابد، حيث أتى له وهو مصلوب وقال له: اسجد لي وأنا أخلصك، وإن كان في الواقع معترفاً بالعبودية لله تعالى وآيساً من رحمته، إذا علمت ذلك، فكلام المفسر لا غبار عليه. قوله: ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ أي إياها.

قوله: ﴿أو لم ير﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير ألم يتفكروا ولم يعلموا. قوله: [بواو ودونها] قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ير الذين كفروا﴾ الخ، شروع في ذكر ستة أدلة على التوحيد، وأن ما سوى الله مقهور، وهو القاهر فوق عباده. قوله: ﴿كانتا رتقاً﴾ أي شيئاً واحداً، لما روي أن الله خلق السماوات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً توسطها ففتقها بها، وقيل خلق السماوات قطعة واحدة مرتفعة، والأرض قطعة واحدة منخفضة، فجعل السماوات سبعاً، والأرض سبعاً، ولكن السماوات طباق، والأرض مختلف فيها، قيل طباق وقيل متجاورة لبعضها، كناية عن الأقاليم السبعة، وتقدم الجواب عن جمع السماوات وإفراد الأرض، بأن جنس السماوات مختلف بخلاف الأرض. قوله: [أن كانت لا تمطر] بفتح الهمزة مصدرية، أي كونها لا تمطر فأمطرت.

قوله: ﴿من الماء﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم، و﴿كل شيء﴾ مفعول أول مؤخر، والمعنى ناشئاً ومتسبباً عنه. قوله: [نبات وغيره] أي فالحياة في كل شيء بحسبه، فحياة الحيوان قيام الروح به، وحياة النبات بروزه من الأرض وخضرته وإثماره. قوله: ﴿رواسي﴾ جمع راسية من رسا الشيء إذا ثبت واستقر. قوله: ﴿أن تميد﴾ قدر المفسر [لا] النافية لصحة التعليل، أي لأجل عدم تحركها بهم لأن تثبيتها بالجبال لأجل عدم التحرك لا للتحرك. قوله: [إلى مقاصدهم] أي الدنيوية والأخروية. قوله: [كالسقف للبيت] أي وهذا ما عليه أهل السنة، وقالت الحكماء: إن السماء محيطة بالأرض، كإحاطة بياض البيضة بصفارها، إذا علمت ذلك، فلا فرار من قضاء الله إلا إليه.
قوله: ﴿محفوظاً﴾ [عن الوقوع] أي أو عن الفساد والخلل. قوله: ﴿وهم عن آياتها﴾ أي الدالة على وجود الصانع وكمال صفاته وأفعاله. قوله: [من الشمس والقمر] أي وغيرهما كالنجوم، وارتفاعها من غير عمد، ونزول الماء منها.
قوله: [لا يتفكرون فيها] أي مع أنهم لو سئلوا عمن خلق السماوات والأرض ليقولن الله.

لا شريكَ له ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾: تنوينه عِوَضٌ عن المضافِ إليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم ﴿فِي فَلَكٍ﴾: أي مستدير كالطاحونة في السماء ﴿يَسْبَحُونَ﴾ ٣٣: يسيرون بسُرعة كالسابح في الماء وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل. ونزل لما قال الكفار أن محمداً سيموت ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾: أي البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ﴾ ٣٤: فيها لا فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: في الدنيا ﴿وَنَبْلُوكُم﴾: نختبركم ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾: كفقر وغنى وسَقَم وصحة ﴿فِتْنَةً﴾: مفعول له أي لننظر أتصبرونَ وتشكرون أو لا ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ٣٥: فنجازيكم ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن﴾: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: أي مهزوءاً به يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾: أي يعيبها ﴿وَهُم بِذِكْرِ

قوله: ﴿وهو الذي خلق الليل﴾ فيه التفاتٌ من التكلم للغَيْبة. قوله: [من الشمس والقمر] بيانٌ للمضاف اليه المحذوف. قوله: [أي مستدير كالطاحونة] أيْ كهيئة فلك المِغزل أي تفالته، وقيل الفلك السماء التي فيها تسير تلك الكواكب، كما تسير السُفن في البحر، واختلف الناس في حركات الكواكب على ثلاثة أقوال: قيل إن الفلك ساكن، والسير للكواكب، وهو الذي يدلّ عليه لفظ القرآن. وقيل إن الفلك متحرك والكواكب متحركة، وحركة كلٍّ تدافع حركة الآخر. وقيل إن الفلك متحرك، والكواكب ساكنة، ولا يعلم الحقيقة إلا الله تعالى، واختلف هل الشمس والقمر يجريان من تحت الأرض، وعليه الحكماء، أو منتهى سيرهما في العالَم العلويّ، وعليه أهل السنة. قوله: [وللتشبيه به] جوابُ عما يقال: لِم جمعهما بضمير العُقلاء؟ فأجاب: بأنه لما أسندت لهما السباحة التي هي من أفعال العقلاء جمعاً جمعهم. قوله: [نزل لما قال الكفّار إن محمداً سيموت] أي شماتة به.

قوله: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ أيْ سبقتْ حكمتنا بأن كلّ بشر من قبلك، بل ومَن بعدك، لا يخلد في الدنيا، بل يذوق الموت، واقتصر على البشر وإن كان غيره كذلك بدليل ما بعده للردّ عليهم لكونهم من البشر. قوله: [فالجملة الأخيرة] الخ أي فالهمزة مقدمة من تأخير لأن الاستفهام له الصدارة، والأصل أفهم الخالدون إن متّ.

قوله: ﴿كل نفس﴾ أي مخلوقة فلا يرد ذات الله تعالى، وهو دليل لما قبله أعمّ منه، وليس معيناً، وقوله: ﴿ذائقة الموت﴾ أيْ ذائقة مرارة مفارقة الروح للجسم، وهي في غاية الصعوبة جداً، ومثلوه بعصر القصب بالآلة المعروفة، فإنه لا يبقى فيه طراوة أصلاً، بل يؤخذ للنار حالاً، غير أن المؤمن يتسلى برؤية ما أعد له من النعيم الدائم، والكافر يزداد بالموت عقوبة لرؤيته ما أعدّ له من العذاب المقيم. قوله: [نختبركم] أيْ نعاملكم معاملة المختبر إذ لا يخفى على الله شيء. قوله: [أتصبرون] راجعٌ للشرّ، وقوله: [وتشكرون] راجعٌ للخير، فالمؤمن الكامل يشاهد الأشياء عن الله فإذا ابتلي بالفقر والمرض مثلاً، رضي به وازداد اقبالاً عليه، وإذا أنعم عليه بالغنى أو الصحة مثلاً ازداد شكراً وخوفاً من الله، فهو راض عن الله في الحالتين، وأما الكافر والفاسق فيشاهد الأشياء من الخالق، فإذا ابتلي سخط، وإذا أنعم عليه بطر، فهو مغضوب عليه في الحالتين. قوله: ﴿وإلينا ترجعون﴾ أي تردون، فيظهر لكم جزاء أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله: ﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾ رأى بصَرية، أي أبصرك المشركون. قوله: ﴿إن يتخذونك﴾ جواب ﴿إذا﴾

---

* أسباب نزول الآية ٣٤: وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: نعكر إلى النبي ﷺ نفسه، فقال: يا رب فمن لأمتي؟ فنزلت ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ الآية.

* أسباب نزول الآية نزول الآية ٣٦: وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: مر النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان وهما يتحدثان، فلما رآه أبو

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: لهم ﴿هُمْ﴾: تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾ ٣٦: به إذ قالوا ما نعرفه. ونزل في استعجالهم العذاب ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾: أي أنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾: مواعيدي بالعذاب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٣٧: فيه فأراهم القتل ببدر ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: بالقيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ٣٨: فيه قال تعالى ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾: يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ٣٩: يمنعون منها في القيامة وجواب لو ما قالوا ذلك ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾: القيامة ﴿بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾: تحيرهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ٤٠: يمهلون لتوبة أو معذرة ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ٤١: وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾: يحفظكم ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: من عذابه أن نزل بكم أي لا أحد يفعل ذلك والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾: أي القرآن ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ ٤٢:

و﴿إن﴾ نافية بمعنى [ما] كما قال المفسر. قوله: [يقولون] قدره إشارة الى أن قوله: ﴿أهذا الذي﴾ الخ، مقول لقول محذوف، والمعنى يقول بعضهم لبعض في حال الهزء والسخرية ﴿أهذا﴾ الخ. قوله: ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾ ﴿هم﴾ مبتدأ، و﴿كافرون﴾ خبره، و﴿بذكر﴾ متعلق به، و﴿هم﴾ الثانية تأكيد لفظي للأولى، وحينئذ فقد فصل بين العامل والمعمول بالمؤكد، وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول، وإضافة ذكر للرحمن، من إضافة المصدر لفاعله، كما أشار له المفسر، حيث قدر لهم، وحينئذ فالمراد بالذكر ارشاد الله لعباده، بإرسال الرسل وانزال الكتب، ويحتمل أنه مضاف لمفعوله، أي ذكرهم الرحمن بالتوحيد. قوله: [إذ قالوا ما نعرفه] أي الرحمن، وذلك أنهم كانوا يقولون: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، وهو مسيلمة الكذاب. قوله: [في استعجالهم العذاب] أي حيث قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ الآية.

قوله: ﴿من عجل﴾ هو ضد البطء، أي السرعة في الأمور. قوله: [أي إنه لكثرة عجله في أحواله] الخ، أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة بالكناية، حيث شبه العجل من حيث إن الانسان طبع عليه، حتى صار كالجبلة له بالطين الذي خلق منه البشر، وطوى ذكر المشبه، ورمز له بشيء من لوازمه وهو خلق، والمعنى أن الإنسان جبل على السرعة في الأمور والعجلة فيها، حتى إنه يقع في المضرة ولا يشعر. قوله: [مواعيدي بالعذاب] المراد متعلقاتها وهو أنواع العذاب في الدنيا، كوقعة بدر وغيرها، وفي الآخرة كعذاب النار. قوله: ﴿ويقولون﴾ أي استهزاء واستعجالاً للعذاب. قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ شرط حذف جوابه فأتوا به، وهو خطاب منهم للنبي وأصحابه. قوله: [قال تعالى] كلام مستأنف لبيان شدة هول ما يستعجلونه لجهلهم به. قوله: ﴿ولا عن ظهورهم﴾ أي فهو كناية عن إحاطة النار بهم من كل ناحية. قوله: [ما قالوا ذلك] قدره إشارة الى أن جواب [لو] محذوف.

قوله: ﴿بل تأتيهم بغتة﴾ إضراب انتقالي من قولهم الى بيان كيفية وقوع العذاب بهم. قوله: ﴿ردها﴾ أي دفعها. قوله: [فيه تسلية للنبي] أي حيث كان مغتماً من استهزائهم وعدم انقيادهم. قوله: ﴿قل من يكلؤكم﴾ الخ، أي قل يا محمد للمستهزئين القائلين لا نعرف الرحمن: من يحفظكم بالليل والنهار من عذابه أن أراده بكم؟ وقدم الليل لكثرة الآفات فيه. قوله: [والمخاطبون] الخ، توطئة لقوله: ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾. والمعنى ليس لهم حافظ ولا

= جهل ضحك وقال لأبي سفيان: هذا نبي عبد مناف، فغضب أبو سفيان وقال: أتنكرون أن يكون لبني عبد مناف نبي، فسمعها النبي ﷺ فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوفه، وقال: ما أراك منتهياً حتى يصيبك ما أصاب من غير عهده، فنزلت: ﴿وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً﴾.

لا يتفكرون فيه ﴿أَمْ﴾: فيها معنى الهمزة للإنكار أي أ ﴿لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ﴾: مما يسوؤهم ﴿مِنْ دُونِنَا﴾: أي ألهم من يمنعهم منه غيرنا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: أي الآلهة ﴿نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾: فلا ينصرونهم ﴿وَلَا هُمْ﴾: أي الكفار ﴿مِنَّا﴾: من عذابنا ﴿يُصْحَبُونَ﴾ ٤٣: يجارون يقال صحبك الله أي حفظك وأجارك ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾: بما أنعمنا عليهم ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: فاغتروا بذلك ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾: نقصد أرضهم ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: بالفتح على النبي ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ٤٤: لا بل النبي وأصحابه ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾: من الله لا من قبل نفسي ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿مَا يُنْذَرُونَ﴾ ٤٥: أي هم لتركهم العمل بما سمعوا من الإنذار كالصم ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾: وقعة خفيفة ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا﴾: للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾: هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٤٦: بالإشراك وتكذيب محمد ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾: ذات العدل ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: أي فيه ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾: من نقص حسنة أو زيادة سيئة

مانع غير الرحمن، غير أنهم لا يخالفونه لإعراضهم عن ذكره. قوله: [فيها معنى الهمزة] أي زيادة على ﴿بل﴾. قوله: ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ أي فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم. قوله: [يجارون] أي ينقذون. قوله: ﴿بل متعنا هؤلاء﴾ الخ، إضراب عما توهموه من أن حفظهم وإمدادهم بالنعم من قبل آلهتهم، بل ما هم فيه من السراء والنعم والحفظ منا استدراج لهم. قوله: [بالفتح على النبي] أي وتسليط المسلمين عليهم. قوله: ﴿أفهم الغالبون﴾ استفهام توبيخ وتقريع، وفيه معنى الإنكار، ولذا قدر المفسر [لا]. قوله: [بل النبي وأصحابه] أي وهم الغالبون.

قوله: ﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ المقصود من ذلك توبيخهم على ما وقع منهم، حيث أقام لهم الحجج والبراهين، فلم يذعنوا لها. قوله: ﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ بالياء المفتوحة، ورفع ﴿الصم﴾ على الفاعلية، ونصب ﴿الدعاء﴾ على المفعولية، وفي قراءة سبعية أيضاً بالتاء المضمومة وكسر الميم خطاب للنبي، والصم مفعوله الأول، والدعاء مفعوله الثاني، والمقصود من ذلك تسليته ﷺ، كأن الله يقول له: أرح قلبك ولا تعلقه بهم، وارض بحكم الله فيهم. قوله: [بتحقيق الهمزتين] أي همزة الدعاء وهمزة إذا. قوله: [وتسهيل الثانية] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [وقعة خفيفة] أخذ الخفة من التعبير بالمس والنفح، والتاء الدالة على المرة، والنفح في الأصل هبوب رائحة الشيء، والمعنى ولئن أصابهم عذاب خفيف، ليقولن تحسراً وتندماً يا ويلنا الخ، وهو كناية عن كونهم في غاية الضعف والحقارة، ومن كان كذلك فلا يبالي به.

قوله: ﴿ونضع الموازين﴾ هذه الآية آخر خطابات قريش في هذه السورة، والجمع في الموازين للتعظيم، فإن الصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال، وهو جسم مخصوص له لسان وكفتان وعمود، كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب، ومكانه قبل الصراط، كفة اليمنى للحسنات وهي نيرة عن يمين العرش، وكفة اليسرى للسيئات، وهي مظلمة عن يساره، يأخذ جبريل بعموده ناظراً إلى لسانه، وميكائيل أمين عليه، بحضرة الجن والإنس، ووقته بعد الحساب، ولا يكون الوزن في حق كل أحد، بل هو تابع للحساب، فمن حوسب وزنت أعماله، ومن لا فلا، والحق أن الكفار توزن أعمالهم السيئة غير الكفر، ليجازوا عليها بالعقاب، زيادة على عذاب الكفر، وأعمالهم الحسنة التي لا تتوقف على نية، كالعتق وصلة الرحم والوقف، فيخفف عنهم بذلك من عذاب الكفر، فتوزن أعمالهم لأجل ذلك، لا للنجاة من عذاب الكفر. فإنه لا يخفف عنهم ولا ينقطع، وأما قوله تعالى ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ فمعناه نافعاً بحيث ينجون من الخلود في النار، وقيل حسناتهم التي فعلوها، يجازون عليها في الدنيا، كصحة وعافية،

﴿وَإِنْ كَانَ﴾: العمل ﴿مِثْقَالَ﴾: زنة ﴿حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾: أي بموزونها ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٤٧: محصين في كل شيء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾: أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿وَضِيَاءً﴾: بها ﴿وَذِكْرًا﴾: أي عظة بها ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٤٨ ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾: عن الناس أي في الخلاء عنهم ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ﴾: أي أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ ٤٩: أي خائفون ﴿وَهَذَا﴾: أي القرآن ﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ ٥٠: الاستفهام فيه للتوبيخ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾: أي هداه قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ ٥١: أي بأنه أهل لذلك ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾: الأصنام ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ ٥٢: أي

ولا يجازون عليها في الآخرة أصلاً، واختلف هل الوزن بصنج أو لا، واستظهر الأول تحقيقاً للعدل، فتوضع السيئات في مقابلة الحسنات، فإن رجح أحدهما وضع صنج بقدر ما رجح، فينعم بقدره، أو يعذب بقدره، فإن لم يكن له إلا حسنات فقط، أو سيئات فقط، وضعت الصنج في الكفة الأخرى. واختلف أيضاً هل الأعمال تصور وتوزن، فالحسنات تصور بصورة حسنة نورانية، ثم توضع في كفة الحسنات، والسيئات تصور بصورة قبيحة ظلمانية، ثم توضع في كفة السيئات، أو توزن الصحائف، أو توزن الأشخاص؟ ولا مانع من حصول ذلك كله. قوله: ﴿القسط﴾ أفرد لأنه مصدر، وصف به مبالغة أو على حذف مضاف. قوله: ﴿شيئاً﴾ إما مفعول ثان أو مفعول مطلق.

قوله: ﴿وإن كان﴾ [العمل] قدره المفسر إشارة إلى أن ﴿كان﴾ ناقصة اسمها مستتر يعود على [العمل] و﴿مثقال﴾ بالنصب خبرها، وفي قراءة سبعية برفعه على أنها تامة. قوله: ﴿من خردل﴾ المراد أقل قليل. قوله: ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ أي عالمين، والمقصود منه التحذير؛ لأن الإنسان العاقل، إذا علم أن الله تعالى يحاسبه مع القدرة عليه، وإحاطة علمه بجزئيات أعماله، فإنه يكون على حذر وخوف منه. قوله: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ شروع في ذكر قصص الأنبياء تسلية له ﷺ، وزيادة في علم أمته، وذكر منها عشر قصص: الأولى قصة موسى وهارون، الثانية قصة إبراهيم، الثالثة قصة لوط، الرابعة قصة نوح، الخامسة قصة داود وسليمان، السادسة قصة أيوب، السابعة قصة إسماعيل وإدريس وذي الكفل، الثامنة قصة يونس، التاسعة قصة زكريا، العاشرة قصة مريم وعيسى صلوات الله وسلامه على الجميع. قوله: ﴿وضياء﴾ أي يستضاء بها من ظلمات الجهل والكفر.

قوله: ﴿الذين يخشون ربهم﴾ أي عذابه. قوله: ﴿بالغيب﴾ حال من الفاعل في ﴿يخشون﴾ أي حال كونهم غائبين ومنفردين عن الناس، والناس في ذلك مراتب، فمنهم من يعتقد أن الله مطلع عليه ولا يغيب عليه، ولكن قلبه غير ذائق لذلك، وهذا محجوب قد تقع منه المعاصي. ومنهم من يراقب الله بقلبه، بحيث يشاهد أنه في حضرة الله، وأنه مطلع عليه، وهذا أعلى من الأول، ويسمى ذلك المقام مقام المراقبة. ومنهم من يشاهد الله بعين بصيرته، وهذا أعلى المقامات، ويسمى مقام المشاهدة. قوله: ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خصت بالذكر لكونها أعظم ما يخاف منه. قوله: ﴿مبارك﴾ أي كثير الخير.

قوله: ﴿أفأنتم له منكرون﴾ الخطاب لأهل مكة تقريعاً لهم، أي إن هذا القرآن فيه تذكيركم، وفيه خير كثير، أيليق منكم إنكاره والاستهزاء به. قوله: [أي هداه قبل بلوغه] المراد بالهدى الاهتداء لصلاح الدين والدنيا، حين خرج من السرب وهو صغير، وتفكر واستدل بالكواكب على وحدانية الله، وليس المراد به النبوة، وقيل من قبل موسى وهارون، وعليه فالمراد بالرشد النبوة، فتحصل أنه وإن كان المراد بقوله: ﴿قبل﴾ قبل البلوغ، فالمراد بالرشد الاهتداء لصلاح الدين والدنيا؛ لأن الله لم يتخذ ولياً جاهلاً بمعرفته فضلاً عن نبي، وإن كان المراد به قبل موسى وهارون، فالمراد بالرشد النبوة وإرشاد الخلق. قوله: ﴿وكنا به عالمين﴾ أي ولم نزل كذلك.

على عبادتها مقيمون ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ ٥٣: فاقتدينا بهم ﴿قَالَ﴾: لهم ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾: بعبادتها ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٥٤: بيّن ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾: في قولك هذا ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ ٥٥: فيه ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ﴾: المستحق للعبادة ﴿رَبُّ﴾: مالك ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾: خلقهن على غير مثال سبق ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾: الذي قلته ﴿مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ٥٦: به ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ ٥٧ ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾: بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم ﴿جُذَاذًا﴾: بضم الجيم وكسرها فتاتاً بفأس ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾: علق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾: أي إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ ٥٨: فيرون ما فعل بغيره ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٩: فيه ﴿قَالُوا﴾: أي بعضهم لبعض ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: أي يعيبهم ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٠ ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾: أي ظاهراً ﴿لَعَلَّهُمْ

قوله: ﴿إذ قال لأبيه﴾ ظرف لقوله: ﴿آتينا﴾ أو لمحذوف أي اذكر. قوله: ﴿لأبيه﴾ أي آزر. قوله: ﴿التماثيل﴾ جمع تمثال، وهو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب، وكانت تلك الأصنام اثنين وسبعين صنماً، بعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من حديد، وبعضها من رصاص، وبعضها من نحاس، وبعضها من حجر، وبعضها من خشب، وكان كبيرها من ذهب مكللاً بالجواهر، وفي عينيه ياقوتتان متقدتان تضيئان بالليل. قوله: ﴿عاكفون﴾ عبر بالعكوف الذي هو عبارة عن الاستمرار على الشيء لغرض ما، ولم يعبر بالعبادة تحقيراً لهم. قوله: ﴿قالوا وجدنا آباءنا﴾ الخ أجابوا بذلك، وإن كان غير موافق لسؤاله بما لأنه سأل سؤاله، إذ هو يعرف حقيقتها من كونها من ذهب أو غيره، كأنه قال: ما هي؟ لأي شيء عبدتموها، وحينئذ فلم يكن لهم جواب إلا التقليد. قوله: ﴿في ضلال مبين﴾ أي لعدم استنادكم إلى دليل.

قوله: ﴿قالوا أجئتنا بالحق﴾ الخ، أي لما استبعدوا تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله على وجه اللعب فقالوا: أصدق ما تقوله؟ أم أنت هازل فيه؟ قوله: ﴿قال بل ربكم﴾ الخ إضراب عن قولهم بإقامة البرهان على صدق ما ادعاه. قوله: ﴿وأنا على ذلكم﴾ أي على ما ذكرته من كون ﴿ربكم رب السماوات والأرض﴾ دون ما عداه. قوله: ﴿من الشاهدين﴾ أي العالمين بالبرهان.

قوله: ﴿وتالله وكيدن أصنامكم﴾ انتقال من دلالة قولية الى دلالة فعلية، فلما لم يفد فيهم الدليل القولي، عدل الى الدليل الفعلي وهو الكسر، والمعنى لأجتهدن في كسرها، وأكيدنكم فيها. قوله: [بعد ذهابهم إلى مجتمعهم] أي وقد ذهب معهم إبراهيم، فلما كان في أثناء الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم، اشتكى رجله فتركوه ومضوا، ثم نادى في آخرهم، وقد بقي ضعفاء الناس: تالله لأكيدن أصنامكم، فسمعها الضعفاء، فرجع إبراهيم الى بيت الأصنام، وقبالة الباب صنم عظيم، وإلى جنبه أصغر منه، وهكذا كل صنم أصغر من الذي يليه، وكانوا وضعوا عند الأصنام طعاماً يأكلون منه، إذا رجعوا من عيدهم إليهم، فقال لهم إبراهيم: ألا تأكلون؟ فلم يجيبوه فكسرها. قوله: [بضم الجيم وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بفتحها. قوله: [بفأس] هو مهموز الآلة التي يكسر بها الحجر. قوله: ﴿إلا كبيراً لهم﴾ أي لم يكسره بل تركه، والضمير في ﴿لهم﴾ يصح أن يعود على الأصنام أو على عابديها. قوله: ﴿من فعل هذا﴾ أي التكسير، و﴿من﴾ يحتمل أن تكون استفهامية مبتدأ، و﴿فعل هذا﴾ خبره أو موصولة، و﴿فعل﴾ صلته، و﴿إنه لمن الظالمين﴾ خبره.

قوله: ﴿قالوا سمعنا فتى﴾ القائل هم الضعفاء من قوم إبراهيم الذين سمعوا حلفه. قوله: [أي يعيبهم] أي

﴿يَشْهَدُونَ﴾ ٦١: عليه أنه الفاعل ﴿قَالُوا﴾: له بعد إتيانه ﴿أَأَنْتَ﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٢ ﴿قَالَ﴾: ساكتاً عن فعله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ﴾: عن فاعله ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ٦٣: فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلهاً ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾: بالتفكر ﴿فَقَالُوا﴾: لأنفسهم ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٦٤: أي بعبادتكم من لا ينطق ﴿ثُمَّ نُكِسُوا﴾: من الله ﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾: أي ردوا إلى كفرهم وقالوا والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ ٦٥: أي فكيف تأمرنا بسؤالهم ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي بدله ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾: من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ٦٦: شيئاً إذا لم تعبدوه ﴿أُفٍّ﴾: بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتناً وقبحاً ﴿لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٦٧: أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة

ينقصهم ويستهزيء بهم. قوله: ﴿يقال له إبراهيم﴾ مرفوع على أنه نائب فاعل يقال على ارادة لفظه، أو مبتدأ خبره محذوف، أي يقال له إبراهيم فاعل ذلك، أو منادى، وحرف النداء محذوف، أو خبر لمحذوف، أي يقال له هذا إبراهيم. قوله: ﴿قالوا فائتوا به﴾ القائل لذلك النمرود. قوله: ﴿لعلهم يشهدون﴾ أي لعل الناس يشهدون عليه بفعله، بأن يكون أحد من الناس رآه يكسرها. قوله: [بتحقيق الهمزتين] أي بإدخال ألف بينهما وتركه، فتكون القراءات السبعيات خمساً، وحاصلها أن الهمزتين إما محققتان، أو الثانية مسهلة، وفي كل إما بإدخال ألف بينهما أو لا، فهذه أربع، والخامسة إبدال الثانية ألفاً.

قوله: ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ أعلم أن هذا من التعريض، لأن القاعدة أنه إذا دار الفعل بين قادر عليه، وعاجز عنه، وأثبت للعاجز بطريق التهكم به، لزم منه انحصاره في الآخر، فهو إشارة لنفسه، مضمناً فيه الاستهزاء والتضليل، وقوله: ﴿هذا﴾ بدل من ﴿كبيرهم﴾ أو نعت له، ورد أن إبراهيم قال لهم: إن الكبير غضب من اشراككم معه غيره الصغار في العبادة فكسرهن، وأراد بذلك اقامة الحجة عليهم. قوله: ﴿إن كانوا ينطقون﴾ أي إن كانوا ممن يمكن أن ينطق، وخص النطق بالذكر، وإن كان غيره من السمع والعقل وبقية أوصاف العقلاء كذلك لأنه أظهر في تبكيتهم. قوله: [فيه تقديم جواب الشرط] أي وهو قوله: ﴿فاسألوهم﴾ وفيه إشارة إلى أن قوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ مرتبط بقوله: ﴿إن كانوا ينطقون﴾ والمعنى بل فعله كبيرهم هذا، إن كانوا ينطقون فاسألوهم.

قوله: ﴿فرجعوا الى أنفسهم﴾ أي الى عقولهم، وتذكروا أن من لا يقدر على دفع المضرة، أو جلب المنفعة، كيف يصلح أن يكون إلهاً؟ قوله: ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾ أي انقلبوا إلى المجادلة والكفر، بعد استقامتهم بالمراجعة، ونكسوا بالتخفيف مبنياً للمفعول في القراءة العامة، وفاعل النكس هو الله كما يشير له المفسر، وقريء شذوذاً بالتشديد وبالتخفيف مبنياً للفاعل. قوله: [أي ردوا إلى كفرهم] أي الاستمرار عليه. قوله: [وقالوا والله] أشار بذلك الى أن قوله: ﴿لقد علمت﴾ الخ جواب قسم محذوف. قوله: [بكسر الفاء] أي مع التنوين وتركه، وقوله: [وفتحها] أي بترك التنوين، فالقراءات ثلاث سبعيات.

قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أجهلتم فلا تعقلون - فائدة - ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتان منها في ذات الله، قوله: ﴿إني سقيم﴾، وقوله: ﴿كبيرهم هذا﴾، وقوله لسارة ﴿هذه أختي﴾» والمعنى لم يتكلم بكلام صورة الكذب، إلا هذه الكلمات الثلاث، فقوله: ﴿إني سقيم﴾ أراد سقيم القلب من ضلالتكم، وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ تبكيت

ولا تصلح لها وإنما يستحقها الله تعالى ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾: أي إبراهيم ﴿وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾: أي بتحريقه ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ٦٨: نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ٦٩: فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها

لقومه: وقوله: ﴿هذه أختي﴾ أي في الدين والخلقة، فهذه الألفاظ صدق في نفسها، ليس فيها كذب أصلاً، ومعنى كون الأولى والثانية في ذات الله أنهما من أجل غيرته على الله، وأما الثالثة فمن أجل غيرته على زوجته، وهذا مما فتح الله به.

قوله: ﴿قالوا حرقوه﴾ القائل ذلك النمروذ بن كنعان بن سنحاريب بن نمروذ بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام، وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هينون، خسف الله به الأرض. والحكمة في اختيارهم التحريق على غيره من أنواع القتل أن إبراهيم بادأهم بالفضيحة والتشنيع عليهم، فأحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع والشهرة. قوله: [فجمعوا له الحطب] الخ، حاصل القصة في ذلك أنه لما اجتمع نمروذ وقومه لإحراق إبراهيم، حبسوه في بيت، وبنوا بنياناً كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى، ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر، حتى كان الرجل يمرض فيقول: لئن عوفيت لأجمعن حطباً لإبراهيم، وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلبه، لئن أصابته لتحطبن في نار إبراهيم، وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتساباً في دينها، وكان الرجل يوصي بشراء الحطب وإلقائه فيه، فلما جمعوا ما أرادوا، وأشعلوا في كل ناحية من الحطب ناراً فاشتعلت النار واشتدت، حتى إن كان الطير ليمر بها، فيحترق من شدة وهجها وحرها، فأوقدوا عليها سبعة أيام، فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم، فلم يعلموا كيف يلقونه، فقيل: إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه، ثم عمدوا إلى إبراهيم، فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان، ووضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فصاحت السماء والأرض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة، أي ربنا، إبراهيم خليلك يلقى في النار، وليس في أرضك أحد يعبدك غيره، فائذن لنا في نصرته، فقال الله تعالى: إنه خليلي، ليس لي خليل غيره، وأنا الإله ليس له إله غيري، فإن استغاث بأحدكم أو دعاه فلينصره، فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري، فأنا وليه وأنا أعلم به، فخلوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار، أتاه خازن المياه وقال: إن أردت أخمدت النار، وأتاه خازن الهواء وقال: إن شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم، حسبي الله ونعم الوكيل، روي أنه قال حين أوثقوه ليلقوه في النار: لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك. ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي، وكان وقت إلقائه فيها ابن ست عشرة سنة، وقيل ابن ست وعشرين سنة، ولما ألقي فيها، جعل كل شيء يطفىء النار إلا الوزغ، فإنه كان ينفخ في النار، فصم بسبب ذلك، وأمر ﷺ بقتله، وكان من قتل وزغة في أول ضربة كتب له مائة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك. ذكر بعض الحكماء، أن الوزغ لا يدخل بيتاً فيه زعفران. ومدة مكثه في النار سبعة أيام، وقيل أربعون يوماً، وقيل خمسون يوماً. قوله: [في منجنيق] آلة ترمى بها الحجارة، فارسي معرب، لأن الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب.

قوله: ﴿كوني برداً وسلاماً﴾ أي أبردي برداً غير ضار. ورد أنه لما ألقي أخذت الملائكة بضبعيه، فأقعدوه على الأرض، فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس، وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة، فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة، وجلس معه يحدثه ويقول له: يا إبراهيم إن ربك يقول لك: أما علمت أن النار لا تضر أحبائي؟ قال إبراهيم: ما كنت أياماً قط أنعم مني من الأيام التي كنت في النار، ثم نظر نمروذ، وأشرف على إبراهيم من صرح له،

وبقيت إضاءتها وبقوله وسلاماً سلم من الموت ببردها ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾: وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ ٧٠: في مرادهم ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾: ابن أخيه هارون من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ ٧١: بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾: أي لإبراهيم وكان سأل ولداً كما ذكر في الصافات ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾: أي زيادة على المسؤول أو هو ولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾: أي هو وولداه ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ ٧٢: أنبياء ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ﴾: الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾: إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾: أي أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم وحذف هاء إقامة تخفيف ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ ٧٣ ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: فصلاً بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾: أي أهلها الأعمال

فرآه جالساً في روضة والملك قاعد الى جنبه، فناداه يا إبراهيم إن إلٰهك الذي بلغت قدرته، أن حال بينك وبين النار لكبير، هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم، قال: هل تخشى إذا قمت أن تضرك؟ قال: لا، قال: قم فاخرج منها، فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها، فلما وصل إليه قال له: يا إبراهيم من الرجل الذي رأيت معك مثلك في صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذلك ملك الظل، أرسله إلي ربي ليؤنسني فيها، قال نمروذ: يا إبراهيم إني مقرب إلى إلٰهك قرباناً، لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك، حين أبيت إلا عبادته وتوحيده، وأني ذابح له أربعة آلاف بقرة، قال إبراهيم: اذاً لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع إلى ديني، فقال: لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبحها له، فذبحها له نمروذ، وكف عن إبراهيم عليه السلام. قوله: [وبقوله سلاماً] الخ. أي ولو لم يقل على إبراهيم، لما أحرقت النار أحداً ولما أوقدت.

قوله: ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ أي لأنهم خسروا السعي والنفقة، فلم يحصلوا مرادهم، ويحتمل أن المراد بالأخسرين الهالكون، لأن الله سلط عليهم البعوض، فأكلت لحومهم وشربت دماءهم، ودخلت في رأس النمروذ بعوضة فأهلكته. قوله: [ابن أخيه هاران] أي الأصغر، وكان له أخ ثالث اسمه ناخور، والثلاثة أولاد آزر، وأما هاران الأكبر فهو عم إبراهيم أبو سارة زوجته وقد آمنت به. قوله: [من العراق] أي وصحب معه لوطاً وسارة، ونزل بحران فمكث بها، ثم خرج منها حتى قدم مصر، ثم خرج ورجع إلى الشام، فنزل بالسبع من أرض فلسطين، وترك لوطاً بالمؤتفكة، فبعثه الله نبياً إلى أهلها وما قرب منها. قوله: [بكثرة الأنهار والأشجار] أشار بذلك إلى أن المراد بالبركة الدنيوية، وعليه يحمل ما ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب: ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله وقبره؟ فقال كعب: إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين، إن الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده، وإلا فالمدينة ومكة أفضل من الشام باتفاق. قوله: [بفلسطين] بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لا غير، قرى بيت المقدس. قوله: [ولوط بالمؤتفكة] هي قرى قوم لوط، رفعها جبريل وأسقطها مقلوبة بأمر من الله. قوله: [كما ذكر في الصفات] أي في قوله: ﴿رب هب لي من الصالحين﴾. قوله: ﴿نافلة﴾ حال من يعقوب، أي أعطي يعقوب لإبراهيم زيادة على مطلوبه. قوله: [وولداه] أي إسحاق ويعقوب. قوله: [وابدال الثانية ياء] هو وجه من جملة خمسة أوجه، تقدمت في سورة براءة. قوله: ﴿يهدون بأمرنا﴾ أي يدعون الناس بوحينا. قوله: ﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ عطف خاص على عام، لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، والزكاة أفضل العبادات المالية. قوله: ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، أي كانوا لنا لا لغيرنا.

قوله: ﴿ولوطاً﴾ منصوب بفعل مقدر يفسره قوله آتينا. قوله: [فصلا بين الخصوم] أي على وجه الحق. قوله:

﴿الخَبَائِثَ﴾: من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾: مصدر ساءه نقيض سَرّه ﴿فاسِقِينَ﴾ ٧٤ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾: بأن أنجيناه من قومه ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٧٥ ﴿وَ﴾: اذكر ﴿نُوحاً﴾: وما بعده بدل منه ﴿إِذْ نَادَى﴾: دعا على قومه بقوله: رب لا تذر الخ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: أي قبل إبراهيم ولوط ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾: الذين في سفينته ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ ٧٦: أي الغرق وتكذيب قومه له ﴿وَنَصَرْنَاهُ﴾: منعناه ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: الدالة على رسالته ألا يصلوا إليه بسوء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٧٧ ﴿وَ﴾: اذكر ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾: أي قصتهما ويبدل منهما ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾: هو زرع أو كرم ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: أي رعته ليلاً بلا راع بأن انفلتت ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ ٧٨: فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين قال داود لصاحب الحرث: رقاب الغنم وقال سليمان: ينتفع بدرها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان

﴿وعلماً﴾ أي بالشرائع والأحكام. قوله: [أي أهلها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أو فيه مجاز عقلي. قوله: [الأعمال] قدره إشارة إلى أن الخبائث صفة لموصوف محذوف. قوله: [والرمي بالبندق] أي رمي المارة بالبرام، وأما بندق الرصاص فلم يحدث إلا في هذه الأمة. قوله: [وغير ذلك] أي كالضراط في المجالس. قوله: [بأن أنجيناه من قومه] فالمناسب أن يقول: وأدخلناه في أهل رحمتنا أي جنتنا، وإلا فيلزم عليه التكرار. قوله: ﴿و﴾ [اذكر] قدره إشارة الى أن ﴿نوحاً﴾ منصوب بفعل محذوف، وبعث نوح وهو ابن أربعين سَنة، ومكث في قومه ألف سَنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستين سَنة، فجملة عمره ألف وخمسون سَنة، وهذا أحد أقوال تقدمت. قوله: [بقوله رب لا تذر على الأرض] الخ، أي بعد أن أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن. قوله: [الذين في سفينته] وجملتهم ثمنة رجال ونساؤهم، وقيل أربعون رجلاً وأربعون امرأة. قوله: [منعناه] أشار بذلك إلا أنه ضمن نصر معنى منع حيث عدي بمن. قوله: [أن يصلوا إليه] أي لئلا يصلوا إليه، فهو تعليل لنصرناه.

قوله: ﴿وداود وسليمان﴾ معمولان لمحذوف قدره المفسر بقوله: [اذكر]، وعاش داود مائة سنة، وبينه وبين موسى خمسمائة وتسع وستون سَنة، وقيل وتسع وسبعون، وعاش ولده سليمان تسعاً وخمسين، وبينه وبين مولد النبي ﷺ نحو ألف سَنة وسبعمائة سَنة. قوله: [أي قصتهما] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [ويبدل منهما] في الحقيقة الإبدال من المضاف المحذوف. قوله: ﴿إذ يحكمان﴾ عبر عنه بالمضارع استحضاراً للحال الماضية لغرابتها. قوله: [هو زرع أو كرم] هما قولان للمفسرين، وعلى كل كان قبل تمام نضجه. قوله: ﴿إذ نفشت﴾ أي تفرقت وانتشرت فيه فأفسدته. قوله: ﴿غنم القوم﴾ أي بعض القوم، أي قوم داود وهم أمته.

قوله: ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا، فخذها أيها العاقل ولا تتردد فيها. قوله: [فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين] أي بناء على أن أقل الجمع اثنان، ويجاب أيضاً بأن الجمع باعتبار الحاكمين والمحكوم عليهما. قوله: [قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم] أي عوضاً عن حرثه. وحاصل تلك القصة أن رجلين دخلا على داود عليه السلام، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا قد انفلتت غنمه ليلاً، فوقعت في حرثي فأفسدته، فلم تبق منه شيئاً، فأعطاه داود رقاب الغنم في الحرث، فخرجا فمرّا على سليمان، وهو ابن احدى عشرة سَنة فقال: كيف قضى بينكما؟ فأخبراه، فقال سليمان: لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا، وروي أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين، فأخبر بذلك داود، فدعاه فقال له: بحق النبوة والأبوة، إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين، قال: أدفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بلبنها وصوفها ونسلها، ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل

بإصلاح صاحبها فيردها إليه ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾: أي الحكومة ﴿سُلَيْمَانَ﴾، وحكمهما باجتهاد، ورجع داود إلى سليمان وقيل: بوحي، والثاني ناسخ للأول ﴿وَكُلًّا﴾: منهما ﴿آتَيْنَا﴾ه ﴿حُكْمًا﴾: نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾: بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾: كذلك سخرا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فترة لينشط له ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ٧٩: تسخير تسبيحهما معه وإن كان عجباً عندكم أي مجاوبته للسيد داود ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾: وهي الدرع لأنها تلبس وهو أول من صنعها وكان قبلها صفائح ﴿لَكُمْ﴾: في جملة الناس ﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾: بالنون وبالتحتانية لداود وبالفوقانية للبوس ﴿مِنْ بَأْسِكُمْ﴾: حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾:

حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى صاحبه، وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود: القضاء ما قضيت، ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روي: كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى.

قوله: ﴿ففهمناها﴾ أي فهمناه الصواب فيها. قوله: [وحكمهما باجتهاد] الخ، أي ويجوز الخطأ على الأنبياء، إذا لم يكن فيه مفسدة، ولكن لا يبقيهم الله عليه لعصمتهم، والمجتهد مأجور، أخطأ أو أصاب، لكن المصيب له أجران، والمخطئ له أجر واحد. قوله: [وقيل بوحي] أي لكل منهما وهذا في شريعتهم، وأما في شريعتنا فمذهب مالك ما أتلفته البهائم ليلاً، وهي غير معروفة بالعداء، ولم تربط ولم يغلق عليها فعلى ربها، وإن زاد على قيمتها يقوم إن لم يبد صلاحه بين الرجاء والخوف، وإن بدا صلاحه ضمن قيمته على البت، وأما ما أتلفته نهاراً وهي غير عادية، ولم يكن معها راع، وسرحت بعيدة عن المزارع، فلا ضمان على ربها، وإن كان معها راع، أو سرحها ربها قرب المزارع، أو كانت عادية، فعلى ربها ليلاً أو نهاراً، ومذهب أبي حنيفة لا ضمان فيما أتلفته البهائم ليلاً أو نهاراً، إلا أن يكون معها سائق أو قائد، ومذهب الشافعي فيه تفصيل فانظره، ويمكن تخريج حكم داود على شريعتنا، بأنه رأى أن قيمة الغنم مثل الحرث، وصاحب الغنم مفلس، فالحكم أنها تعطى لصاحب الحرث. قوله: ﴿وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾ دفع بذلك ما يتوهم من قوله: ﴿ففهمناها سليمان﴾ أن داود ناقص في العلم.

قوله: ﴿وسخرنا﴾ أي ذللنا. قوله: ﴿يسبحن﴾ حال من ﴿الجبال﴾، وقوله: ﴿والطير﴾ فيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب، فالنصب إما على أنه مفعول معه، أو معطوف على الجبال، والرفع على أنه مبتدأ، والخبر محذوف كما قدره المفسر بقوله: [كذلك] وقدم الجبال لكون تسبيحها أغرب وأعجب. قوله: [لأمره به إذا وجد فترة] أي فكأنه إذا وجد فترة، أمر الجبال والطير فيسبحن. قوله: [إن كان عجباً عندكم] أي مستغرباً، وقد اتفق في هذه الأمة لغير واحد منها، كالسيد الدسوقي وأمثاله.

قوله: ﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾ وسبب ذلك أنه مر به ملكان على صورة رجلين، فقال أحدهما للآخر: نعم الرجل إلا أنه يأكل من بيت المال، فسأل الله أن يرزقه من كسبه، فألان الله له الحديد، فكان يعمل منه الدروع بغير نار، كأنه طين في يده. قوله: [وهي الدرع] أنث الضمير لكون درع الحديد تؤنث وتذكر، وأما درع المرأة أي قميصها فهو مذكر. قوله: [وهو أول من صنعها] أي خلقاً بعضها داخل في بعض، وقبل ذلك كانوا يصنعونها من صفائح متصل بعضها ببعض. قوله: ﴿لكم﴾ أي يا أهل مكة. قوله: [في جملة الناس] دفع به ما يرد كيف تكون لأهل مكة، مع أن صنع داود لم يكن في زمنهم؟ فأفاد أنها نعمة اتصلت بمن بعده، إلى أن كانوا من جملتهم. قوله: [وبالفوقانية للبوس] أي لأنه بمعنى الدرع وهي تؤنث.

يا أهل مكة ﴿شَاكِرُونَ﴾ ٨٠: نعمي بتصديق الرسول أي اشكروني بذلك ﴿وَ﴾: سخرنا ﴿لِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: وفي آية أخرى رخاء أي شديدة الهبوب وخفيفته بحسب إرادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾: وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ ٨١: من ذلك علمه تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه ﴿وَ﴾: سخرنا ﴿مِنَ ٱلشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾: يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: أي سوى الغوص من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ ٨٢: من أن يفسدوا ما عملوا لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشغلوا بغيره ﴿وَ﴾: اذكر ﴿أَيُّوبَ﴾: ويبدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾: لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين

قوله: ﴿ولسليمان الريح﴾ عبّر باللام إشارة إلى أن الله ملكه الريح، وجعلها ممتثلة لأمره، وعبّر بمع في حق داود، لأن الجبال والطير قد صاحباه في التسبيح واشتركا معه. قوله: [أي شديدة الهبوب] الخ لف ونشر مرتب. قوله: ﴿تجري بأمره﴾ حال. قوله: ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ أي لأنها مقره، فكان ينتقل منها ويرجع إليها، قال وهب: كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا خرج الى مجلسه، عكفت عليه الطيور، وقام له الإنس والجن حيث يجلس على سريره، وكان امرءاً غازياً، قلما كان يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبراسيم، وكان يوضع له منبر من الذهب وسط البساط، فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة، يقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس، ويرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح، وقال الحسن: لما شغلت نبي الله سليمان الخيل، حتى فاتته صلاة العصر، غضب لله فعقر الخيل، فأبدله الله مكانها خيراً منها، وأسرعت الريح تجري بأمره كيف شاء، فكان يغدو من إيليا فيقيل بإصطخر، ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل، وهكذا غدوها شهر ورواحها شهر، حتى ملك الأرض مشرقاً ومغرباً، ملك سلطنة وحكم، وأما رسالته فكانت لبني إسرائيل.

قوله: ﴿ومن الشياطين﴾ أي الكفار منهم. قوله: [وغيره] أي كالنورة والطاحون والقوارير والصابون، فإن ذلك من استخراجاتهم. قوله: [لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل] الخ قيل إذا بعث شيطاناً مع إنسان ليعمل له عملاً قال له: إذا فرغ من عمله قبل الليل، فاشغله بعمل آخر، لئلا يفسد ما عمله ويخربه.

قوله: ﴿وأيوب﴾ قدر [اذكر] إشارة الى أن ﴿أيوب﴾ معمول لمحذوف. قوله: [ويبدل منه] أي من أيوب، والمعنى اذكر قصة أيوب ﴿إذ نادى ربه﴾ ففي الحقيقة الإبدال من المضاف المقدر كما تقدم نظيره وسيأتي. قوله: [لما ابتلي] متعلق بنادى. قوله: [بفقد جميع ماله] أي فجملة ما ابتلاه الله به أربعة أمور. وحاصل قصته باختصار: أن أيوب كان رجلاً من الروم، وهو ابن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران أخي إبراهيم، وكان له من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمر، ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة، وكان له خمسمائة فدان، يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، وكان له أهل وولد من رجال ونساء، وكان نبياً تقياً شاكراً لأنعم ربه، وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به، وكانوا كهولاً، وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السماوات، فيقف فيهن من حيث ما أراد، فسمع صلاة الملائكة على أيوب فحسده وقال: إلهي نظرت في عبدك أيوب، فوجدته شاكراً حامداً لك، ولو ابتليته لرجع عن شكرك وطاعتك، فقال له الله: انطلق فقد سلطتك على

ثلاثاً أو سبع أو ثماني عشرة وضيق عيشه ﴿أَنِّي﴾: بفتح الهمزة بتقدير الباء ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾: أي الشدة ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾: نداءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾: أولاده الذكور والإناث بأن أحيوا له وكل من الصنفين ثلاث أو سبع ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: من زوجته وزيد في شبابها وكان له أندر للقمح وأندر للشعير

ماله، فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجن وقال لهم: قد سلطت على مال أيوب، فقال عفريت: أعطيت من القوة، ما إذا شئت تحولت إعصاراً من نار فأحرق كل شيء آتي عليه، قال إبليس: أذهب فائت الإبل ورعاتها، فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار، فأحرق الإبل ورعاتها، حتى أتى على آخرها، ثم جاء إبليس على صورة القيم على قعود إلى أيوب، فوجده قائماً يصلي فقال له: أحرقت نار إبلك ورعاتها، فقال أيوب: الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها، ثم سلط عفريتاً على الغنم ورعاتها، فصاح عليهم فماتوا جميعاً، وعلى الحرث فتحول ريحاً عاصفاً فأطارها، ثم جاء إبليس وأخبر أيوب بذلك، فحمد الله وأثنى عليه، فلما رأى أنه قد أفني ماله ولم ينجح منه بشيء صعد إلى السماء وقال: يا رب سلطني على أولاده، فقال له: انطلق فقد سلطتك على أولاده، فذهب إليهم وزلزل بهم القصر وقلبه عليهم فماتوا جميعاً، ثم جاء في صورة المعلم الذي يعلمهم الحكمة، وهو جريح مشدوخ الرأس يسيل دمه، فأخبره بموت أولاده، وفصل له ذلك حتى رق قلبه وبكى، وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال: يا ليت أمي لم تلدني، ففرح إبليس وصعد إلى السماء سريعاً لينظر ما يفعل به، فأوحى الله إلى أيوب إنه إبليس فاستغفر، فوقف إبليس خاسئاً ذليلاً فقال: يا رب سلطني على جسده، فقال له: انطلق فقد سلطتك على جسده، غير قلبه ولسانه وعقله، فانقض عدو الله سريعاً، فأتاه فوجده ساجداً، فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسيده، فخرج منها ثآليل مثل أليات الغنم، ووقعت فيه حكة، فحك بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة، فلم يزل كذلك حتى تقطع جسيده وأنتن، فأخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة، وجعلوا له عريشاً، وهجره الناس كلهم إلا زوجته رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تخدمه وتأتيه بالطعام، وهجره الثلاثة الذين آمنوا به، ولم يتركوا دينهم، ونقل أن سبب قوله: ﴿أني مسني الضر﴾ أن الدود قصد قلبه ولسانه، فخشي أن يفتر عن الذكر، ولا ينافي صبره قوله: ﴿أني مسني الضر﴾ لأنه شكوى للخالق، وهي لا تنافي الصبر. إن قلت: إن الأنبياء يستحيل عليهم المنفر من الأمراض، أجيب: بأن ما نزل به ليس من المنفرات في شيء، وإنما هو حرارة وحكة، ظهرت من آثار نفخ اللعين إبليس، وأعظم الله ضرها لخصوص أيوب تعظيماً لقدره، لأن أشد الناس بلاء، الأنبياء ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل، كما ورد بذلك الحديث. قوله: [أو ثماني عشرة] هذا هو الصحيح. قوله: [وضيق] إما فعل مبني للمفعول عطف على [ابتلي] أو مصدر عطف على فقد. قوله: ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ تعريض بطلب الرحمة.

قوله: ﴿فاستجبنا له نداءه﴾ أي الذي في ضمنه الدعاء. قوله: ﴿فكشفنا ما به من ضر﴾ روي أن الله تعالى قال له: اركض برجلك الأرض فركض، فخرجت عين ماء، فأمره أن يغتسل منها ففعل، فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة، فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل، فنبعت عين ماء بارد، فأمره أن يشرب منها فشرب، فذهب كل داء كان بباطنه، فصار كأصح ما كان، وهو معنى قوله تعالى في سورة ص ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾. قوله: [بأن أحيوا له] أي لأنهم ماتوا قبل انتهاء آجالهم، وقيل رزقه الله مثلهم، روي أن امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابناً. قوله: [ثلاث أو سبع] أي فجملتهم ستة أو أربعة عشر. قوله: [وكان له أندر] هو

فبعث الله سحابتين أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض. ﴿رَحْمَةً﴾: مفعول له ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾: صفة ﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ ٨٤: ليصبروا فيثابوا ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ٨٥: على طاعة الله وعن معاصيه ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾: من النبوة ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٨٦: لها وسمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وقيل لم يكن نبياً ﴿وَ﴾: اذكر ﴿ذَا النُّونِ﴾: صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً﴾: لقومه أي غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له في ذلك ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: أي نقضي عليه ما قضينا من حبسه في بطن الحوت أو نضيق عليه بذلك ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾: ظلمة الليل وظلمة

الموضع الذي يدرس فيه الطعام. قوله: [أفرغت إحداهما على اندر القمح الذهب] أي لمناسبته له في الحمرة، وكذا يقال فيما بعده. قوله: ﴿وذكرى للعابدين﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بذلك.

قوله: ﴿وإسماعيل﴾ عاش مائة وثلاثين سنة، وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة، وقصة صبره على الذبح ستأتي مفصلة في سورة الصافات. قوله: ﴿وإدريس﴾ هو جد نوح، ولد في حياة آدم قبل موته بمائة سنة، وبعث بعد موته بمائتي سنة، وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة، فجملة عمره أربعمائة وخمسون سنة، وكان بينه وبين نوح ألف سنة. قوله: ﴿وذا الكفل﴾ هذا لقبه واسمه بشر، وهو ابن أيوب.

قوله: ﴿وأدخلناهم﴾ معطوف على محذوف تقديره فأعطيناهم ثواب الصابرين وأدخلناهم الخ. قوله: [لأنه تكفل بصيام جميع نهاره] الخ أي فكان يصوم النهار ويصلي الليل ولا يفتر، وكان ينام وقت القيلولة، وكان لا ينام إلا تلك النومة، فامتحنه إبليس لينظر هل يغضب أم لا، فأتاه إبليس حين أخذ مضجعه، فدق عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقال: شيخ كبير مظلوم، بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني، فقام وفتح له الباب، وصار يطيل عليه الكلام حتى ذهبت القيلولة فقال له: إذا قعدت للحكم فائتني أخلص حقك، فلما جلس للحكم لم يجده، فلما رجع الى القائلة من الغد، أتاه ودق الباب، فقال له: من هذا؟ فقال: الشيخ المظلوم، ففتح الباب فقال: ألم أقل لك إذا قعدت للحكم فائتني؟ فقال: إن خصومي أخبث قوم إذا علموا أنك قاعد قالوا نعطيك حقك، وإذا قمت جحدوني، فلما كان اليوم الثالث قال ذو الكفل لبعض أهله: لا تدع أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام، فإنه قد شق علي النعاس، فلما كانت تلك الساعة جاءه إبليس فلم يأذن له الرجل، فرأى طاقة فدخل منها ودق الباب من داخل فاستيقظ فقال له: أتنام والخصوم ببابك، فعرف أنه عدو الله، وقال: فعلت ما فعلت لأغضبك فعصمك الله. قوله: [وقيل لم يكن نبياً] أي بل كان عبداً صالحاً، والصحيح أنه نبي بعث الى رجل واحد.

قوله: ﴿وذا النون﴾ لقب ليونس وجمعه أنوان ونينان، وهو اسم للحوت كبيراً أو صغيراً. قوله: [ابن متى] اسم ابيه وقيل اسم أمه. قوله: [ويبدل منه] أي بدل اشتمال.

قوله: ﴿مغاضباً﴾ [لقومه] أي لا لربه لأن خروجه باجتهاد منه حين وعدهم بالعذاب، فلما لم ينزل بهم ظن أنه إن بقي بينهم قتلوه، لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب. قوله: [أي غضبان عليهم] أشار بذلك الى أن المفاعلة ليست على بابها. قوله: [أي نقضي عليه بما قضينا] أشار بذلك إلى أن معنى ﴿أن لن نقدر عليه﴾ نقضي عليه بما قضينا من القدر وهو القضاء، والمعنى فظن أننا لا نؤاخذه بخروجه. قوله: [أو نضيق عليه] أي فمعنى نقدر نضيق كما في قوله تعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ وقوله تعالى: ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾ لا من القدرة بمعنى

البحر وظلمة بطن الحوت ﴿أَنْ﴾: أي بأن ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٨٧: في ذهابي من بين قومي بلا إذن ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾: بتلك الكلمات ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما نجيناه ﴿نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٨: من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين ﴿وَ﴾: اذكر ﴿زَكَرِيَّا﴾: ويبدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾: بقوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾: أي بلا ولد يرثني ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ٨٩: الباقي بعد فناء خلقك ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾: نداءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾: ولداً ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾: فأتت بالولد بعد عقمها ﴿إِنَّهُمْ﴾: أي من ذكر من الأنبياء ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ﴾: يبادرون ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾: الطاعات ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾: في رحمتنا ﴿وَرَهَبًا﴾: من عذابنا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ ٩٠: متواضعين في عبادتهم ﴿وَ﴾: اذكر مريم ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: حفظته من أن ينال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾: أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ٩١: الإنس والجن والملائكة حيث ولدته من غير فحل ﴿إِنَّ هَٰذِهِ﴾: أي ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾: دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها

الاستطاعة التي هي ضد العجز. قوله: [من حبسه في بطن الحوت] أي وكانت مدة مكثه ببطن الحوت أربعين يوماً، أو سبعة أيام، أو ثلاثة، أو أربع ساعات، وأوحى الله الى ذلك الحوت: لا تأكل له لحماً، ولا تهشم له عظماً، فإنه ليس رزقاً لك، وإنما جعلتك سجناً له. وحاصل ذلك: أنه حين غاضب قومه، لما لم ينزل بهم العذاب الذي توعدهم به، خرج فركب سفينة، فسارت قليلاً ثم وقفت في لجة البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة، فضربوها فخرجت على يونس، فألقوه في البحر، فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه إياه، فدعا ربه فألقاه الحوت بالساحل ضعيفاً، وكانت تأتيه غزالة صباحاً ومساء، فيشرب من لبنها حتى قوي، فرجع إلى قومه فآمنوا به جميعاً، قال تعالى: ﴿وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين﴾. قوله: ﴿أن لا إله إلا أنت﴾ ﴿أن﴾ إما مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وما بعدها خبرها، أو تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهذا الدعاء عظيم جداً لاشتماله على التهليل والتسبيح والإقرار بالذنب، ولذا ورد في الحديث «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له».

قوله: ﴿وزكريا﴾ معمول لمحذوف قدره بقوله: [اذكر]. قوله: [أي بلا ولد يرثني] أي في العلم والنبوة. قوله: [بعد عقمها] المراد به انسداد الرحم عن الولادة. قوله: ﴿إنهم كانوا يسارعون﴾ علة لمحذوف، أي قالوا ما قالوا لأنهم الخ. قوله: ﴿رغباً ورهباً﴾ إما منصوبان على المفعول من أجله، أو على أنهما واقعان موقع الحال، أي راغبين راهبين.

قوله: ﴿التي أحصنت فرجها﴾ صفة لموصوف محذوف معمول لمحذوف قدر ذلك المفسر بقوله: [واذكر مريم]. قوله: [من أن ينال] أي يصل إليه أحد بحلال أو حرام. إن قلت: المزية ظاهرة في حفظه من الحرام، وأما الحلال فكيف تمدح على التعفف عنه؟ أجيب بأن الترهب كان مشروعاً لهم، أو لتكون ولادتها خارقة للعادة. قوله: [حيث نفخ في جيب درعها] أي أمرناه ففعل ذلك، أو المراد نفخنا فيها بعض الأرواح المخلوقة لنا، وهي روح عيسى.

قوله: ﴿آية للعالمين﴾ لم يقل آيتين، لأن كلاً من مريم وابنها بانضمامه للآخر صار آية واحدة، أو فيه الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه.

قوله: ﴿إن هذه أمتكم﴾ أشار المفسر إلى أن اسم الاشارة يعود على [ملة الإسلام] والأمة في الأصل الجماعة، ثم أطلقت على الملة لأنها تستلزم الاجتماع. والمعنى أن ملة الإسلام ملتكم لا اختلاف فيها من لدن آدم إلى محمد،

﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: حال لازمة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ٩٢: وحّدون ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾: أي بعض المخاطبين ﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: أي تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى قال تعالى: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ ٩٣: أي فنجازيه بعمله ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾: أي جحود ﴿لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ ٩٤: بأن نأمر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: أريد أهلها ﴿أَنَّهُمْ لَا﴾ زائدة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ ٩٥: أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا ﴿حَتَّى﴾: غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: بالهمز وتركه اسمان أعجميان لقبيلتين ويقدر قبله مضاف أي سدهما وذلك قرب القيامة ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ

فلا تغيير ولا تبديل في أصول الدين، وإنما التغاير في الفروع، فمن غيّر وبدّل في الملة فهو خارج عنها ضال مضل. وحكمة ذكر هذه الآية عقب القصص دفع ما يتوهم أن رسول الله ﷺ بعث بعقائد تخالف عقائد من قبله من الرسل.

قوله: [حال لازمة] أي من أمة، وقيل بدل من ﴿هذه﴾، ويكون قد فصل بين البدل والمبدل منه بخبر ان نحو إن زيداً قائم أخاك، و﴿أمتكم﴾ بالرفع خبر ﴿إن﴾ وقرئ شذوذاً بالنصب على أنه بدل من هذه أو عطف بيان. قوله: ﴿فاعبدون﴾ إن كان الخطاب للمؤمنين، فمعناه دوموا على العبادة، وإن كان الخطاب للكفار، فمعناه انشاء العبادة والتوحيد.

قوله: ﴿وتقطعوا أمرهم﴾ أي تفرقوا في أمرهم واختلفوا في دينهم، وهذا إخبار من الله بأن الجميع لم يكونوا على دين واحد، لتسبق حكمته البالغة بذلك. والحكمة ذكر العبادة هنا، والتقوى في المؤمنون، وذكر الواو هنا والفاء هناك، قيل تفنن، وقيل لأن الخطاب هنا للكفار، فناسبه ذكر التوحيد والخطاب هناك للرسل، فناسبه ذكر التقوى، وأتى بالواو هنا لأنها لا تقتضي الترتيب، وهو المراد هنا، فإن التفرق كان حاصلاً من قبل بخلاف ما يأتي، فإن التفرق حصل بعد إرسال الرسل فناسبه الفاء. قوله: [وهم طوائف اليهود والنصارى] لا مفهوم له، بل هذه الأمة افترقت ثلاثاً وسبعين فرقة اثنان وسبعون في النار، وواحدة ناجية كما في الحديث.

قوله: ﴿كل إلينا راجعون﴾ تهديد للكفار. والمعنى أن الله تعالى لا يفلت أحداً، بل كل من الثابت على الحق والزائغ عنه راجع إليه. قوله: ﴿من الصالحات﴾ أي الأعمال الحسنة من فرض ونفل. قوله: ﴿فلا كفران لسعيه﴾ أي لا يمنع من ثوابه ولا يحرم منه، فالكفران مصدر بمعنى ﴿الكفر﴾ الذي هو الجحود والإنكار، فشبه منع الثواب بالكفر والجحود. قوله: ﴿وإنا له كاتبون﴾ أي حافظون للعمل، فلا يضيع منه شيء.

قوله: ﴿وحرام﴾ خبر مقدم، و﴿أنهم لا يرجعون﴾ مبتدأ مؤخر. والمعنى رجوع أهل قرية أهلكناها ممتنع، وقوله: [إلى الدنيا] أي الى البقاء والمعيشة فيها وقيل الى الإيمان، يعني أن رجوعهم إلى الإيمان ممتنع لسبق الشقاء عليهم، قال تعالى ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾. قوله: [غاية لامتناع رجوعهم] أي فهي متعلقة بحرام غاية لما قبلها، ويصح أن تكون ابتدائية، وتكون الجملة مستأنفة. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بالهمز وتركه] قراءتان سبعيتان. قوله: [اسم قبيلتين] أي من بني آدم، يقال إنهم تسعة أعشار بني آدم، وتقدمت قصتهم. قوله: [وذلك قرب القيامة] أي بعد نزول عيسى وهلاك الدجال حين يأتي ويمكث أربعين يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كباقي الأيام، وفي الحديث فقلنا: يا رسول الله في اليوم الذي كسنة يكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا اقدر له قدره، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فينزل عيسى على منارة بني أمية شرقي دمشق، عليه حلتان ممصرتان فيقتله، ثم يخرج يأجوج ومأجوج من السد، فيحصل

حَدَبٍ﴾: مرتفع من الأرض ﴿يَنسِلُونَ﴾ ٩٦: يسرعون ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾: أي يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾: أي القصة ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في ذلك اليوم لشدته يقولون ﴿يَا﴾: للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾: هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا﴾: في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا﴾: اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٩٧: أنفسنا بتكذيبنا للرسل ﴿إِنَّكُمْ﴾: يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾: أي غيره من الأوثان ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: وقودها ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ ٩٨: داخلون فيها ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ﴾: الأوثان ﴿آلِهَةً﴾: كما زعمتم ﴿مَا وَرَدُوهَا﴾: دخلوها ﴿وَكُلٌّ﴾: من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٩٩ ﴿لَهُمْ﴾: للعابدين ﴿فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ ١٠٠: شيئاً لشدة غليانها. ونزل لما قال ابن الزبعري

للخلق جدب عظيم، حتى تكون رأس الثور خيراً من مائة دينار، ثم يدعو الله عيسى، فيرسل الله عز وجل النغف في رقابهم فيهلكون جميعاً فتملأ رممهم وجيفهم الأرض، فيدعو الله عيسى، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت، فتحملهم وتطرحهم بحيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً، فيغسل الأرض من آثارهم، ثم يقول الله للأرض: أنبتي ثمرك، فيكثر الرزق جداً، ويستقيم الحال لعيسى والمؤمنين، فبينما هم كذلك، إذ بعث الله عليهم ريحاً لينة، تقبض روح كل مؤمن ومسلم، وتبقي شرار الناس يتهارجون في الأرض كتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة، وبين موت عيسى والنفخة الأولى مائة وعشرون سنة، لكن السنة بقدر شهر كما أن الشهر بقدر جمعة، والجمعة بقدر يوم، واليوم بقدر ساعة، فيكون بين عيسى والنفخة الأولى قدر ثنتي عشرة سنة من السنين المعتادة، وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم». قوله: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ أي يأجوج ومأجوج، ينتشرون في الأرض، ويسرعون فيها من كل مرتفع من الأرض.

قوله: ﴿واقترب الوعد﴾ عطف على ﴿فتحت﴾. قوله: [أي للقصة] أشار بذلك الى أن الضمير للقصة، و﴿شاخصة﴾ خبر مقدم، و﴿أبصار﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر ﴿هي﴾ والتعقيب عرفي؛ لأن التفاوت القليل كالعدم، فاندفع ما يقال إنه رتب الشخوص على فتح السد، واقتراب الساعة مع الشخوص لا يوجد إلا يوم القيامة. قوله: [يقولون] ﴿يا ويلنا﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿يا ويلنا﴾ مقول لقول محذوف. قوله: ﴿بل كنا ظالمين﴾ إضراب عن قولهم ﴿قد كنا في غفلة﴾ لعله ينفعهم الإقرار بالذنب فلا ينفعهم. قوله: [من الأوثان] خصها بالذكر لأنها كانت معظم معبوداتهم، وإلا فالشمس والقمر يصيران ثورين عقيرين في النار. قوله: [وقودها] أي وسمي حصباً، لأنه يرمى بهم فيها كما ترمى الحصباء.

قوله: ﴿لو كان هؤلاء آلهة﴾ الخ، تبكيت عليهم. قوله: ﴿زفير﴾ أي أنين وتنفس شديد. قوله: [لشدة غليانها] أي فعدم سماعهم لشدة غليان النار عليهم لما ورد: «إذا بقي من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى عليها مسامير من نار، فلا يسمعون ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره». قوله: [ونزل لما قال ابن الزبعري] الخ، حاصل ذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد

---

* أسباب نزول الآية ١٠١: وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ قال ابن الزبعرى: عبد الشمس والقمر والملائكة وعزير، فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا، فنزلت ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ ونزلت ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾ إلى ﴿خصمون﴾.

عُبِدَ عزير والمسيح والملائكة فهم في النار على مقتضى ما تقدم ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا﴾: المنزلة ﴿الْحُسْنَىٰ﴾: ومنهم من ذكر ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: صوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾: من النعيم ﴿خَالِدُونَ١٠٢ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ﴾: تستقبلهم ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾: عند خروجهم من القبور يقولون لهم ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ١٠٣﴾: في الدنيا ﴿يَوْمَ﴾: منصوب باذكر مقدراً قبله ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾: اسم ملك ﴿لِلْكُتُبِ﴾: صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة أو السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على وفي قراءة للكتب جمعاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾: عن عدم ﴿نُّعِيدُهُ﴾: بعد إعدامه فالكاف متعلقة بنعيد وضميره عائد إلى أول وما مصدرية ﴿وَعْدًا

وصناديد قريش في الحطيم، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فعرض له النضر بن الحرث، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ الآيات الثلاث، ثم قام فأقبل ابن الزبعري، وهو بكسر الزاي وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء مقصوراً، وقد أسلم بعد ذلك، فأخبره الوليد بن المغيرة بما قاله رسول الله لهم، فقال: أما والله لو وجدته لخصمته، فدعوا رسول الله، فقال له ابن الزبعري: أنت قلت ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾؟ قال نعم، قال: أليست اليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد المسيح، وبنو مدلج يعبدون الملائكة؟ فقال النبي ﷺ: بل هم يعبدون الشيطان، فنزلت هذه الآية رداً عليه. قوله: [المنزلة] ﴿الحسنى﴾ أي الدرجة والرتبة الحسنى، أو المراد الكلمة الحسنى وهي لا إله إلا الله، أو المراد السعادة الأبدية. قوله: [ومنهم من ذكر] أي العزير وعيسى والملائكة، والمعنى أن كل من سبقت له الحسنى، سواء عبد أو لا فهو مبعد عن النار.

قوله: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ أي عن جهنم. إن قلت: كيف ذلك مع قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ والورود يقتضي القرب منها؟ أجيب: بأن المراد مبعدون عن عذابها وألمها، فإن المؤمنين إذا مروا على النار تخمد وتقول جز يا مؤمن، فإن نورك قد أطفأ لهبي، وهذا لا ينافي الورود. قوله: ﴿لا يسمعون حسيسها﴾ أي حركة تلهبها، وفي هذا تأكيد بعدهم عنها.

قوله: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ هذا بيان لنجاتهم من الفزع إثر بيان نجاتهم من النار. قوله: [وهو أن يؤمر بالعبد الى النار] أي الكافر، وقيل: هو حين تغلق النار على أهلها وييأسون من الخروج، وقيل: هو حين يذبح الموت بين الجنة والنار وينادي يا أهل النار خلود بلا موت، وقيل: هو جميع أهوال القيامة. قوله: [عند خروجهم من القبور] أي تستقبلهم بالبشرى والسرور عند ذلك، وقيل تستقبلهم على أبواب الجنة، ولا مانع أنها تستقبلهم في الحالين. قوله: [اسم ملك] أي في السماء الثالثة، وعلى هذا فالمصدر مضاف لقائله، فإن هذا الملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه. قوله: [واللام زائدة] أي والكتاب مفعوله. قوله: [أو السجل الصحيفة] أي والمعنى كطي الصحف على مكتوبها، وعليه فهو من إضافة المصدر لمفعوله، والفاعل محذوف تقديره كما يطوي الرجل الصحيفة على ما فيها. قوله: [وفي قراءة] أي سبعية أيضاً. قوله: [جمعاً] أي وأما على قراءة الإفراد، فأل للجنس. قوله: ﴿كما بدأنا أول خلق﴾ أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم، حفاة عراة غرلاً، كذلك نعيدهم يوم القيامة، والخلق بمعنى المخلوق، وإضافة ﴿أول﴾ له من اضافة الصفة للموصوف، والمعنى كما بدأنا المخلوق الأول نعيده ثانيا. قوله: [بعد إعدامه] هذا أحد قولين لأهل السنة، والقول الثاني أن الإعادة بعد تفرق الأجزاء، قال في الجوهرة:

وقل يعاد الجسم بالتحقيق ... عن عدم وقيل عن تفريق

﴿عَلَيْنَا﴾: منصوب بوعدنا مقدراً قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ١٠٤: ما وعدناه ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾: بمعنى الكتاب أي كتب الله المنزلة ﴿مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: بمعنى أم الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾: أرض الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ١٠٥: عام في كل صالح ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾: القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾: كفاية في دخول الجنة ﴿لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ ١٠٦: عاملين به ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾: يا محمد ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾: أي للرحمة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ ١٠٧: الإنس والجن بك ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: أي ما يوحى إلي في أمر الإله إلا وحدانيته ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ١٠٨: منقادون لما يوحى إلي من وحدانية الإله والاستفهام بمعنى الأمر ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن ذلك ﴿فَقُلْ آذَنتُكُمْ﴾: أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾: حال من الفاعل والمفعول أي مستوين في علمه لا أستبد به دونكم لتتأهبوا ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ ١٠٩: من العذاب أو القيامة

قوله: [وما مصدرية] أي وبدأنا صلتها، والجملة في محل جر بالكاف، و﴿أول خلق﴾ مفعول به لبدأنا. قوله: ﴿وعداً علينا﴾ أي فعلنا إنجازه لتعلق علمنا بوقوعه وقدرتنا على انفاذه. قوله: [لمضمون ما قبله] أي الجملة الخبرية. قوله: ﴿إنا كنا فاعلين﴾ توكيد لما قبله. قوله: [بمعنى الكتاب] أي فأل في الزبور للجنس، والمعنى جنس الكتب السماوية. قوله: [بمعنى أم الكتاب] أي وهو اللوح المحفوظ.

قوله: ﴿إن الأرض﴾ مفعول ﴿كتبنا﴾. قوله: [عام في كل صالح] أي من هذه الأمة وغيرها من الأمم، والمراد بالصلاح الموت على الإيمان، والمعنى أن المؤمنين يرثون الجنة، ويتنعمون بها على قدر أعمالهم، وعبر بالميراث لأنه تملك مستمر يأتي من غير تكتسب، وأما من مات على الكفر فليس له في الجنة نصيب، لأن الجنة عزيزة عند الله فلا يعطيها لأعدائه، وأما الدنيا فقد تعطى للكافر لعدم عزتها عنده، كما في الحديث: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها جرعة ماء» ومعناه: لو كان للدنيا قدر عند الله لبقيت ببقائه، ولو كانت باقية، ما نعم الكافر فيها لهوانه عليه، فقدر الله في الأزل، أن الدنيا فانية زائلة لا قدر لها عنده، فنعم فيها الكفار. قوله: [كفاية في دخول الجنة] أي من حيث إنه يوصل لمراضي الله تعالى في الدنيا ويؤنس صاحبه في القبر، ويوضع في الميزان، ويرقى به في درجات الجنة. قوله: [عاملين به] أي ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه. قوله: [أي للرحمة] أشار بذلك إلى أن ﴿رحمة﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله، ويصح أن يكون منصوباً على الحال، أي أنه نفس الرحمة لما ورد: أن الأنبياء خلقوا من الرحمة، ونبينا عين الرحمة، أو على حذف مضاف، أي ذا رحمة أو راحماً، كما في الحديث: «إنما أنا رحمة مهداة». قوله: [الإنس والجن] أي براً وفاجراً، مؤمناً وكافراً، لأنه رفع بسببه الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال، ورحمة أيضاً، من حيث إنه جاء بما يرشد الخلق إلى السعادة العظمى، فمن آمن فهو رحمة له دنيا وأخرى، ومن كفر فهو رحمة له في الدنيا فقط.

قوله: ﴿قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ أعلم أن في هذه الآية قصرين، الأول قصر الصفة على الموصوف، والثاني بالعكس، والمعنى كما قال المفسر [ما يوحى إلي في أمر الإله إلا اختصاصه بالوحدانية] ففيه رد على الكفرة الذين يعبدون غير الله. قوله: [بمعنى الأمر] أي فالمراد منه التحضيض على الإسلام، لا الاستفهام عنه. قوله: [أعلمتكم بالحرب] أي أنذرتكم به، والمراد بالحرب محاربته هو وأصحابه لهم، والمعنى أعلمتكم بأني محاربكم، والحال أني وأنتم مستوون في العلم بنقض الصلح، لئلا أنسب للغدر المذموم فاعله. قوله: [لتتأهبوا] أي لتستعدوا وتهيؤوا له، وهو علة للنفي لا للمنفي، فالمعنى لا أستبد به، بل أعلمكم لتتأهبوا. قوله: ﴿وإن أدري أقريب

المُشتملة عليه وإنما يعلمه الله ﴿إِنَّهُۥ﴾: تعالى ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: والفِعْل منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ ١١٠: أنتم وغيركم من السرّ ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿أَدْرِي لَعَلَّهُۥ﴾: أي ما أعلمتكم به ولم يُعلم وقته ﴿فِتْنَةٌ﴾: إختبار ﴿لَّكُمْ﴾: ليرى كيف صنعكم ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ ١١١: أي انقضاء آجالكم وهذا مقابل للأول المترجي بلعلّ وليس الثاني محلاً للترجي ﴿قُلْ﴾: وفي قراءة قال ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾: بيني وبين مكذبي ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالعذاب لهم أو النصر عليهم فعذبوا ببدر وأُحد والأحزاب وحنين والخندق ونصر عليهم ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ ١١٢: من كذبكم على الله في قولكم: اتخذ ولداً وعليّ في قولكم: ساحر وعلى القرآن في قولكم: شعر.

ام بعيد ما توعدون﴾ أي لا ادري الوقت الذي يحلّ بكم العذاب فيه، وإنما علمه موكول الى الله. والمراد بالعذاب تعذيبه اياهم بحربه في الدنيا. وقوله: [أو القيامة] أي تعذيبهم بالنار. قوله: ﴿إنه يعلم الجهر من القول﴾ أي ما تقولونه جهراً مما لا يليق. قوله: [والفعل] أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء. قوله: [أي ما أعلمتكم به] أي وهو تأخير العذاب عنهم في الدنيا. قوله: [أختبار] ﴿لكم﴾ أي معاملتكم معاملة المختبر. قوله: [وهذا مقابل للأول] الخ، حاصله أن قوله: ﴿لعله فتنة لكم﴾ محتمل للوقوع وعدمه، وأما قوله: ﴿ومتاع إلى حين﴾ فهو محقق الحصول، والأحسن أن يجعل قوله: ﴿ومتاع﴾ خبر المحذوف تقديره وهذا متاع الى حين، أي وتأخير عذابكم متاع، أي تمتع لكم الى وقت فراغ الأجل، والجملة مستأنفة. قوله: [وفي قراءة قال] أي وهي سبعية أيضاً، فالأولى أمر، والثانية إخبار عن مقالته. قوله: ﴿أحكم بالحق﴾ أي عجل النصر لي والعذاب لأعدائي. قوله: [والخندق] المناسب حذفه لأنه هو الأحزاب. قوله: ﴿المستعان﴾ أي الذي تطلب منه الإعانة. قوله: ﴿على ما تصفون﴾ أي على وصفكم لربكم ولنبيه بالنقائص. فقد أمر رسول الله ﷺ بتفويض الأمر الى الله، والصبر على المشاق، تعليماً لأمته حسن الالتجاء الى ربهم.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٢٢] - سورة الحج

[مكّيّة إلا ﴿ومن الناس من يعبد الله﴾ الآيتين أو إلّا ﴿هذان خصمان﴾ الست آيات فمدنيات وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: أي أهلَ مكة وغيرهم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾: أي عقابه بأنْ تطيعوه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾: أي

بسم الله الرحمن الرحيم

إلا ﴿ومن الناس من يعبد الله﴾ الآيتين، وإلا ﴿هذان خصمان﴾ الست آيات فمدنيات. وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

سُميت بذلك لذكر الحج فيها. قوله: **[إلا ومن الناس]** الخ، هذا أحد قولين في المدني منها. قوله: **[وإلا هذان خصمان]** هذا قول ثان، وقوله: **[الست آيات]** أي وتنتهي إلى صراط الحميد، لكن أربع آيات منها متعلقات بالكفار، وآيتان متعلقتان بالمؤمنين، وقيل إن السورة كلها مدنية، وقيل إلا أربع آيات من قوله: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي**﴾ إلى قوله: ﴿**عذاب مقيم**﴾ فهي مكيات، والتحقيق أنها مختلطة، فمنها مكي، ومنها مدني، وهي من أعاجيب السور، نزلت ليلاً ونهاراً، وسفراً وحضراً، مكياً ومدنياً، سلمياً وحربياً، ناسخاً ومنسوخاً، محكماً ومتشابهاً. قوله: **[أو ثمان وسبعون آية]** أي إنها سبعون آية جزماً، والخلاف في النيف الزائد على خمسة أقوال. قوله: **[أي أهل مكة]** إما برفع [أهل] على أن [أي] حرف تفسير و[أهل] تفسير للناس، أو نصبه على أن [أي] حرف نداء و[أهل] منادي، وقوله: **[وغيرهم]** بالرفع أو بالنصب، وأشار بذلك إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: **[بأن تطيعوه]** أي بفعل المأمورات واجتناب المنهيات.

قوله: ﴿**إن زلزلة الساعة**﴾ الخ، تعليل للأمر بالتقوى، والمعنى اتقوا ربكم لتأمنوا من المخاوف، فإن من دخل حضرته أمن من كل ما يزعج، قال تعالى: ﴿**إن المتقين في مقام أمين**﴾ وإضافة زلزلة للساعة من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول محذوف تقديره الأرض، وإسناد الزلزلة للساعة مجاز عقلي لأنها مقدمتها ومن علاماتها الكبرى، لما روي في حديث الصور: «إنه قرن عظيم، ينفخ فيه ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين، وأن عند نفخة الفزع، يسير الله الجبال وترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، قلوب يومئذ واجفة، وتكون الأرض

الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة ﴿شيء عظيم﴾ [١]: في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب ﴿يوم ترونها تذهل﴾: بسببها ﴿كل مرضعة﴾: بالفعل ﴿عما أرضعت﴾: أي تنساه ﴿وتضع كل ذات حمل﴾: أي حبلى ﴿حملها وترى الناس سكارى﴾: من شدة الخوف ﴿وما هم بسكارى﴾: من الشراب ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ [٢]: فهم يخافونه ونزل في النضر بن الحارث وجماعة ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾: قالوا: الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين وأنكروا البعث وإحياء من صار تراباً ﴿ويتبع﴾: في جداله ﴿كل شيطان مريد﴾ [٣]: أي متمرد ﴿كتب عليه﴾: قضي على الشيطان ﴿أنه من تولاه﴾: أي اتبعه ﴿فأنه يضله ويهديه﴾: يدعوه ﴿إلى عذاب السعير﴾ [٤]: أي النار ﴿يا أيها الناس﴾: أي أهل مكة ﴿إن كنتم في ريب﴾: شك ﴿من البعث فإنا خلقناكم﴾: أي أصلكم آدم ﴿من تراب ثم﴾: خلقنا ذريته ﴿من

كالسفينة تضربها الأمواج، أو كالمنديل المعلق تحركه الرياح». قوله: [أي الحركة الشديدة] أي وتكون تلك الحركة في نصف رمضان. قوله: [التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها] أشار المفسر بذلك، إلى أن تلك الزلزلة تكون في الدنيا قبل طلوع الشمس من مغربها، ويقوي هذا القول قوله تعالى ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾ الآية، والرضاع والحمل إنما هو في الدنيا، وقيل تكون مع النفخة الأولى، وقيل تكون مع قيام الساعة عند النفخة الثانية، وحينئذ يكون قوله: ﴿تذهل كل مرضعة﴾ مبالغة، أي إن الزلزلة، من شدة هولها وعظمة شأنها، أن تذهل كل مرضعة عن ولدها.

قوله: ﴿كل مرضعة﴾ [بالفعل] والمعنى مباشرة للإرضاع. قوله: ﴿عما أرضعت﴾ يصح أن تكون ما مصدرية، أي عن ارضاعها، ويصح أن تكون ما موصولة، أي عن الذي أرضعته. قوله: ﴿كل ذات حمل﴾ هو بفتح الحاء ما كان في بطن أو على رأس شجرة، وأما الحمل بكسر الحاء فهو ما يحمل على الظهر. قوله: ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ استدراك على محذوف تقديره فهذه الأحوال ليست شديدة ولكن عذاب الله الخ فما بعد لكن مخالف لما قبلها، وهاتان الآيتان قيل: نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلاً، فنادى رسول الله ﷺ الناس حتى كانوا حوله، فقرأهما عليهم، فلم ير باكياً أكثر من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب، ولم يضربوا الخيام، ولم يطبخوا؛ والناس من بين باك وجالس حزين متفكر.

قوله: ﴿من يجادل في الله﴾ أي في قدرته وصفاته العظيمة. قوله: ﴿بغير علم﴾ حال من فاعل يجادل. قوله: [وأنكروا البعث] أي حيث قالوا ﴿إءذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾. قوله: ﴿مريد﴾ أي عات، والمراد: إما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر، وإما إبليس وجنوده، وهو الأقرب لقوله في الآية الأخرى ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾.

قوله: ﴿كتب عليه﴾ هو فعل مبني للمفعول، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل. قوله: ﴿من تولاه﴾ إما شرطية والفاء واقعة في جوابها، أو موصولة، والفاء زائدة في الخبر لشبه المبتدأ بالشرط. قوله: [يدعوه] أي وسمي الدعاء هداية تهكماً بهم. قوله: [أي النار] أشار بذلك إلى أن المراد بالسعير النار بجميع طبقاتها، لا الطبقة المسماة بذلك.

قوله: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر من يجادل في قدرة الله

---

* أسباب نزول الآية ٣ قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل﴾ الآية أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله ﴿ومن الناس من يجادل في الله﴾ قال: نزلت في النضر بن الحارث.

نُطْفَةٍ﴾: منيٍّ **﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾**: وهي الدم الجامد **﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾**: وهي لحمة قدر ما يمضع **﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾**: مصوّرة تامة الخلق **﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾**: أي غير تامة الخلق **﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾**: كمال قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته **﴿وَنُقِرُّ﴾**: مستأنف **﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾**: وقت خروجه **﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾**: من بطون أمهاتكم **﴿طِفْلًا﴾**: بمعنى أطفالاً **﴿ثُمَّ﴾**: نعمركم **﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾**: أي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة **﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾**: يموت قبل بلوغ الأشد **﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾**: أخسّه من الهرم والخوف **﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾**: قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة **﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾**: يابسة **﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾**: تحركت **﴿وَرَبَتْ﴾**: ارتفعت وزادت **﴿وَأَنبَتَتْ مِن﴾**: زائدة **﴿كُلِّ زَوْجٍ﴾**: صنف **﴿بَهِيجٍ﴾**: حسن **﴿ذَٰلِكَ﴾**: المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض **﴿بِأَنَّ﴾**: بسبب أن **﴿اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾**: الثابت الدائم **﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾**: شك **﴿فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ٧﴾**: ونزل في أبي جهل **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ**

بغير علم، وكان جدالهم في البعث، ذكر دليلين على ذلك، الأول في نفس الإنسان وابتداء خلقه، والثاني في الأرض وما يخرج منها، فإذا تأمل الإنسان فيهما ثبت عنده البعث، وأنه واقع لا محالة. قوله: **﴿ثم من علقة﴾** أي بأن تصير النطفة دماً جامداً، وهكذا يقال فيما بعده، بدليل قوله تعالى في سورة المؤمنين **﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة﴾** لما ورد: أن النطفة إذا وقعت في الرحم، وأراد الله أن يخلق منها بشراً، طارت في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة، ثم تمكث أربعين يوماً ثم تصير دماً في الرحم، فذلك جمعها، وهو وقت جعلها علقة، واتفقوا على أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوماً، وذلك أربعة أشهر. قوله: **[تامة الخلق]** أي تامة التصوير، بأن خلق الرأس واليدان والرجلان. قوله: **[أي غير تامة الخلق]** أي غير تامة التصوير، بأن لم يخلق فيها شيء من ذلك. قوله: **[كمال قدرتنا]** قدره إشارة إلى أن مفعول نبين محذوف.

قوله: **﴿ونقر في الأرحام ما نشاء﴾** أي فلا تسقطه الرحم. قوله: **﴿إلى أجل مسمى﴾** أي معين لإخراجه، فتارة يخرج لستة أشهر، وتارة لأكثر. قوله: **﴿طفلاً﴾** حال مفعوله **﴿نخرجكم﴾** وافرده لأنه مصدر في الأصل، أو لأنه يراد به الجنس، أو لأن المعنى نخرج كل واحد منكم طفلاً، كقولك: القوم يشبعهم رغيف، أي كل واحد منهم، والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال إلى البلوغ. قوله: **﴿إلى أرذل العمر﴾** قيل هو خمس وسبعون سنة، وقيل ثمانون، وقيل تسعون. قوله: **[والخرف]** بفتحتين، هو فساد العقل من الكبر. قوله: **﴿لكيلا يعلم﴾** متعلق بيرد، أي لكيلا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً، ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية، من سخافة العقل وقلة الفهم، فينسى ما علمه، وينكر ما عرفه. قوله: **[قال عكرمة: من قرأ القرآن]** الخ، أي فهو مخصوص بغير من قرأ القرآن والعلماء، وأما هم فلا يردون إلى الأرذل، بل يزداد عقلهم كلما طال عمرهم، كما هو مشاهد.

قوله: **﴿وترى الأرض هامدة﴾** هذا هو الدليل الثاني على تمام قدرته تعالى. قوله: **[تحركت]** أي في رأي العين بسبب حركة النبات. قوله: **﴿بأن الله هو الحق﴾** أي هذا الصنع بسبب أنه تعالى هو الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً، الموجد للأشياء على طبق علمه وإرادته. قوله: **﴿وأن الساعة آتية﴾** تأكيد لقوله: **﴿وأنه يحيي الموتى﴾**، وكذا قوله: **﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾**. قوله: **[ونزل في أبي جهل]** واسمه عمرو بن هشام، وأبو جهل كنيته، ويكنى أيضاً بأبي الحكم.

بغير علم ولا هدى﴾: معه ﴿ولا كتاب منير﴾ ٨: له نور معه ﴿ثاني عطفه﴾: حال أي لاوي عنقه تكبراً عن الإيمان
والعطف الجانب عن يمين أو شمال ﴿ليضل﴾: بفتح الياء وضمها ﴿عن سبيل الله﴾: أي دينه ﴿له في الدنيا
خزي﴾: عذاب فقتل يوم بدر ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ ٩: أي الإحراق بالنار ويقال له ﴿ذلك بما قدمت
يداك﴾: أي قدمته عبر عنه بهما دون غيرهما لأن أكثر الأفعال تزاول بهما ﴿وأن الله ليس بظلام﴾: أي بذي ظلم
للعبيد﴾ ١٠: فيعذبهم بغير ذنب ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾: أي شك في عبادته شبه بالحال على

قوله: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ عطف على قوله: ﴿ومن الناس﴾ الأول، والمعنى أن الكافر تنوعوا في كفرهم، فبعضهم كان يقلد غيره في الكفر، وقد دلت الآية الأولى على هذا القسم، وبعضهم كان قدوة يقتدي به غيره في الضلال والكفر، وقد دلت هذه الآية عليه، وبعضهم كان يدخل الإسلام باللسان، وفي قلبه الريب والشك، وهو الآتي في قوله: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ وحينئذ فليس في الآية تكرار. قوله: ﴿بغير علم﴾ أي معرفة، وقوله: ﴿ولا هدى﴾ أي استدلال، وقوله: ﴿ولا كتاب﴾ أي وحي. والمعنى أنه يجادل من غير مستند أصلاً.

قوله: ﴿ثاني عطفه﴾ أي لاوي جنبه، والمراد منه الإعراض عن الحق لأن شأن من أعرض عن شيء لوي جنبه عنه، فشبه عدم التمسك بالحق بلي الجانب، واستعير اسم المشبه به للمشبه بجامع الإعراض في كل على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، والعامة على كسر العين وهو الجانب، وقرىء شذوذاً بفتحها، وهو مصدر بمعنى التعطف، كأنه قال: تاركاً تعطفه أي رحمته وتمسك بالقسوة. قوله: [أي لاوي عنقه] الأوضح أن يقول جنبه لأن العطف بالكسر الجانب، إلا أن يقال: يلزم من لي الجانب لي العنق.

قوله: ﴿ليضل﴾ متعلق بيجادل، وقوله: [بفتح الياء] أي فهو فعل لازم، والمعنى ليحصل له الضلال في نفسه، وقوله: [وضمها] أي فهو متعد، والمعنى ليوقع غيره في الضلال. وهما قراءتان سبعيتان، واللام للعاقبة والصيرورة. قوله: [عذاب] في بعض النسخ زيادة ثقيل، ومعناه عظم متكرر، وأخذ ذلك من التنوين على حد: أشر أهر ذا ناب. قوله: ﴿عذاب الحريق﴾ من إضافة الموصوف لصفته، أي العذاب المحرق أو الحريق، طبقة من طباق جهنم. قوله: [ويقال له] أي من قبل الله على ألسنة ملائكة العذاب.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من الخزي وعذاب الحريق. قوله: [عبر عنه بهما] الخ، جواب عما يقال لم خص اليدين بالذكر، مع أن الفاعل هو الشخص ذاته؟ قوله: [تزاول] أي تعالج. قوله: ﴿وأن الله﴾ عطف على ﴿قدمت﴾. قوله: [أي بذي ظلم] أي فظلام صيغة نسبة كتمار ونجار، ودفع بذلك ما يقال: إن نفي الكثرة تستدعي ثبوت أصل الظلم مع أنه مستحيل لأن الظلم التصرف في ملك الغير بغير إذنه، ولا ملك لأحد معه لأن حكمه في ملكه دائر بين الفضل والعدل، فلا يسأل عما يفعل، وحينئذ فلا يليق من الشخص الاعتراض على أحكام الله تعالى، وإنما يرضى ويسلم، ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة. قوله: [فيعذبهم بغير ذنب] أي وسماه ظلماً لأنه وعد الطائع بالجنة، ووعده لا يتخلف، لكن لو فرض لم يكن ظلماً.

قوله: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ نزلت في المنافقين وأعراب البوادي، كان أحدهم إذا قدم المدينة،

---

* أسباب نزول الآية ١١ قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية. أخرج البخاري عن ابن عباس قال: كان الرجل يقدم المدينة فيسلم فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولداً ذكراً ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء، فأنزل الله ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية. وأخرج ابن مردويه من طريق عطية عن ابن مسعود قال: أسلم رجل من اليهود فذهب بصره =

حرف جبل في عدم ثباته ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾: صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: محنة وسقم في نفسه وماله ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾: أي رجع إلى الكفر ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا﴾: بفوات ما أمله منها ﴿وَٱلْآخِرَةَ﴾: بالكفر ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ ١١: البين ﴿يَدْعُوا﴾: يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾: إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُ﴾: إن عبده ﴿ذَٰلِكَ﴾: الدعاء ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ ١٢: عن الحق ﴿يَدْعُوا لَمَن﴾: اللام زائدة ﴿ضَرُّهُ﴾: بعبادته ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾: إن نفع بتخيله ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: هو أي الناصر ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ ١٣: الصاحب هو وعقب ذكر الشاك بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب في ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: من الفروض والنوافل ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ١٤: من إكرام من

فصح فيها جسمه، ونتجت بها فرسه مهراً، وولدت امرأته غلاماً، وكثر ماله، قال: هذا دين حسن، وقد أصبت فيه خيراً واطمأن له، وإن أصابه مرض، وولدت امرأته جارية، ولم تلد فرسه، وقل ماله، قال: ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً، فينقلب عن دينه، وقوله: [على حرف] حال من فاعل يعبد أي متزلزلاً، وقد صار مثلاً، لكل من كان عنده شك في شيء. قوله: [أي شك في عبادته] أي ضعف يقين فيها. قوله: [شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته] أشار بذلك إلى أن في الآية استعارة تمثيلية، حيث شبه حال من دخل الإسلام من غير اعتقاد وصحة قصد، بحال الجالس على طرف جبل تحته مهاوي بجامع التزلزل وعدم الثبات في كل.

قوله: ﴿اطمأن به﴾ أي رضي به وسكن إليه. قوله: ﴿فتنة﴾ المراد بها هنا، كل مكروه للطبع وثقيل على النفس، ولم يقل وإن أصابه شر ليقع في مقابلة الخير، لأن ما ينفر عنه الطبع ليس شراً في نفسه، بل قد يكون خيراً، إذا حصل معه الرضا والتسليم. قوله: ﴿انقلب على وجهه﴾ أي ارتد للحالة التي كان عليها أولاً، من الكفر والاعتراض على الله تعالى. قوله: [بفوات ما أمله] أي وهو كثرة ماله واجتماعه بأحبائه.

قوله: ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ أي الذي لا خسران مثله، لفوات حظه من الدنيا والآخرة. قوله: [من الصنم] لا مفهوم له، بل مثله كل مخلوق، والحاصل أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذه الآية تقال أيضاً لمن التجأ للمخلوق، وترك الخالق معتمداً على ذلك المخلوق، وأما الالتجاء للمخلوق، من حيث إنه مهبط الرحمات، كمواصلة آل البيت والأولياء والصالحين فهو مطلوب، وهو في الحقيقة التجاء للخالق، يقرب ذلك أن الله تعالى أمرنا بالجلوس في المساجد، والطواف بالبيت، وقيام ليلة القدر ونحوها، وما ذاك إلا للتعرض للرحمة النازلة في تلك الأماكن والأزمان، فلا فرق بين الأشخاص وغيرها، فهم مهبط الرحمات لا منشؤها تأمل. قوله: [اللام زائدة] أي ومن مفعول يدعو، و﴿يضره﴾ مبتدأ، و﴿أقرب﴾ خبره، والجملة صلة ﴿من﴾ إن قلت: إنه أثبت الضر والنفع هنا، ونفاهما فيما تقدم، فقد حصل التعارض والتناقض. أجيب: بأن النفي باعتبار ما في نفس الأمر، والإثبات باعتبار زعمهم الباطل. قوله: [هو] قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف. قوله: [وعقب ذكر الشاك بالخسران] الجار والمجرور حال من [الشاك] والباء للملابسة، وقوله: [بذكر المؤمنين] متعلق بعقب، والمعنى لما ذكر الشاك في الدين حال كونه ملتبساً بالخسران، ذكر عقبه المؤمنين، وما أعد لهم من الثواب الجزيل. قوله: [من الفروض] أي وهي ما أمر بها المكلف أمراً جازماً، يترتب على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب، وقوله: [والنوافل] هي ما أمر بها

= وماله وولده فتشاءم بالإسلام، فقال: لم أصب من ديني هذا خيراً، ذهب بصري ومالي ومات ولدي، فنزلت ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية.

يطيعه وإهانة من يعصيه ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ ٱللهُ﴾: أي محمداً نبيه ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾: بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَاءِ﴾: أي سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾: أي ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما في الصحاح ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾: في عدم نصرة النبي ﴿مَا يَغِيظُ﴾ ١٥: منها المعنى فليختنق غيظاً منها فلا بد منها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي مثل إنزالنا الآية السابقة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي القرآن الباقي ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: ظاهرات حال ﴿وَأَنَّ ٱللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ ١٦ هداه معطوف على هاء أنزلناه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا﴾: هم اليهود ﴿وَٱلصَّابِئِينَ﴾: طائفة منهم ﴿وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ ٱللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾: بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار ﴿إِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من عملهم ﴿شَهِيدٌ﴾ ١٧: عالم به علم مشاهدة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ ٱللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَابُّ﴾: أي يخضع له بما يراد منه ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع في سجود

الشخص أمراً غير جازم، يترتب على فعلها الثواب، وليس في تركها عقاب. قوله: ﴿تجري من تحتها﴾ أي من تحت قصورها. قوله: ﴿إن الله يفعل ما يريد﴾ أي فلا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل.

قوله: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله﴾ هذه الآية مرتبطة بقوله: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ وأما قوله: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ فهو معترض بين أوصاف الشاك لجري عادة الله بذكر أهل الوعد إثر أهل الوعيد. والمعنى: من كان يظن من الكفار والشاكين في دينهم، أن الله لا ينصر محمداً في الدنيا وفي الآخرة، فليأت بحبل يشده في سقف بيته وفي عنقه، ثم يختنق به حتى يموت، فلينظر هل فعل هذا يذهب غيظه وهو نصرة محمد؟ فالإتيان بالحبل والاختناق به كناية عن كونه يموت غيظاً، فيكون بمعنى قوله تعالى: ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ وهذا هو المشهور في تفسير الآية، ولذا مشى عليه المفسر. وقيل: إن المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً، فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء، ثم ليقطع النصر عنه وينظر هل يذهب ما احتال به غيظه إن أمكنه ذلك؟ قوله: [بأن يقطع نفسه] بالتحريك وهو إشارة إلى أن مفعول يقطع محذوف. قوله: [كما في الصحاح] راجع لجميع ما ذكر من قوله: [بحبل] ﴿إلى السماء﴾ الخ، و[الصحاح] بفتح الصاد اسم كتاب في اللغة، للإمام أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري.

قوله: ﴿ما يغيظ﴾ ﴿ما﴾ اسم موصول صفة لموصوف محذوف، و﴿يغيظ﴾ صلته والعائد محذوف، والتقدير الشيء الذي يغيظه. قوله: [منها] بيان لما الواقعة على نصرة النبي. قوله: [حال] أي من الهاء في ﴿أنزلناه﴾. قوله: [على أنزلناه] أي فالمعنى وأنزلنا أن الله يهدي من يريد، أي ويضل من يريد ففي الآية اكتفاء. قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ الخ أي فالأديان ستة، واحد للرحمن وأصحابه في الجنة، وخمسة للشيطان وأصحابها في النار. قوله: ﴿والمجوس﴾ قيل هم قوم يعبدون النار، وقيل الشمس، ويقولون: العالم له أصلان، النور والظلمة، وقيل هم قوم يستعملون النجاسات، والأصل نجوس أبدلت النون ميماً. قوله: [طائفة منهم] أي من اليهود، وقيل هم طائفة من النصارى. قوله: ﴿إن الله على كل شيء شهيد﴾ تعليل لقوله: ﴿إن الله يفصل بينهم﴾. قوله: [عالم] أشار بذلك إلى أن الشهيد معناه الذي لا يغيب عنه شيء. قوله: ﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ عطف خاص على قوله: ﴿من في السماوات﴾ ونص عليها لما ورد: أن بعضهم كان يعبدها. قوله: ﴿والجبال والشجر والدواب﴾ عطف خاص على ﴿من في الأرض﴾ وخصها بالذكر لأن بعضهم كان يعبدها. قوله: [أي يخضع له] أشار إلى أن المراد بالسجود الخضوع

الصلاة ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾: وهم الكافرون لأنهم أبوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ﴾: يشقه ﴿فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾: مسعد ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[١٨]: من الإهانة والإكرام ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾: أي المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾: أي في دينه ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾: يلبسونها يعني أحيطت بهم النار ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾[١٩]: الماء البالغ نهاية الحرارة ﴿يُصْهَرُ﴾: يذاب ﴿بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾: من شحوم وغيرها ﴿وَ﴾: تشوى

والانقياد لله، وهو أحد قولين، وقيل المراد بالسجود حقيقته لأنه ورد: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، وقال تعالى ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾.

قوله: ﴿وكثير من الناس﴾ أشار المفسر إلى أنه معطوف على فاعل ﴿يسجد﴾. قوله: [يشقه] أي يحتم عليه الشقاء، وهو عدم الاهتداء. قوله: ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ أي فلا حرج عليه ولا منازع له في حكمه.

قوله: ﴿هذان خصمان﴾ اسم الإشارة يعود على المؤمنين والكفار كما قاله المفسر، وسبب نزولها تخاصم حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث، مع عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، فكان كل من الفريقين يسب دين الآخر، وقيل نزلت في المسلمين وأهل الكتاب، حيث قال أهل الكتاب: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المسلمون: نحن أحق بالله منكم، آمنا بنبينا محمد ﷺ ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا وكفرتم حسداً. واختلف هل هذا الخصام في الدنيا والتعقيب بقوله: ﴿فالذين كفروا﴾ الخ باعتبار تحقق مضمونه، أو في الآخرة بدليل التعقيب، ولذا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى. قوله: [وهو يطلق على الواحد والجماعة] أي لأنه مصدر في الأصل، والغالب استعماله مفرداً مذكراً، وعليه قوله تعالى ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ ويثنى ويجمع كما هنا. قوله: ﴿اختصموا﴾ جمعه باعتبار ما احتوى عليه الفريق من الأشخاص، فالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾. قوله: [أي في دينه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿قطعت لهم ثياب من نار﴾ أي قدرت على قدر جثثهم، ففي الكلام استعارة تمثيلية، حيث شبه إعداد النار وإحاطتها بهم، بتفصيل ثياب لهم وسترها لأبدانهم وجمع الثياب، لأن تراكم النار عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض، وهو أبلغ من مقابلة الجمع بالجمع. قوله: ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ لما ذكر أن الثياب تغطي الجسد غير الرأس، ذكر ما يصيب الرأس، ولما ذكر ما يصيب ظاهر الجسد ذكر ما يصيب باطنه، وهو الحميم الذي يذيب ما في البطون من الأحشاء، لما في الحديث: «إن الحميم ليصب من فوق رؤوسهم، فينفذ من جمجمة أحدهم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر، ثم

---

* أسباب نزول الآية ١٩ قوله تعالى: ﴿هذان خصمان﴾ الآية. أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي ذر قال: نزلت هذه الآية ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ في حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة. وأخرج الحاكم عن علي قال: فينا نزلت هذه الآية في مبارزتنا يوم بدر ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ إلى قوله ﴿الحريق﴾ وأخرج من وجه آخر عنه قال: نزلت في الذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيد بن الحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في أهل الكتاب قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله منكم وأقدم كتاباً ونبينا قبل نبيكم، فقال المؤمنون: نحن أحق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة مثله.

به ﴿الْجُلُودُ﴾[٢٠] ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[٢١]: لضرب رؤوسهم ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: أي النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾: يلحقهم بها ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾: ردوا إليها بالمقامع ﴿وَ﴾ قيل لهم ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٢٢]: أي البالغ نهاية الإحراق وقال في المؤمنين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ﴾: بالجر أي منهما بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب وبالنصب عطفاً على محل من أساور ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٢٣]: هو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا ﴿وَهُدُوا﴾: في الدنيا ﴿إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: وهو لا إله إلا الله ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[٢٤]: أي طريق الله المحمودة ودينه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: طاعته ﴿وَ﴾: عن ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ﴾: منسكاً ومتعبداً ﴿لِلنَّاسِ سَوَاءً

يعاد كما كان. قوله: ﴿و﴾ [تشوى به] ﴿الجلود﴾ أشار بذلك إلى أن الجلود مرفوع بفعل مقدر، لأن الجلود لا تذاب نظير: علفتها تبناً وماءً بارداً. ويصح أن يكون معطوفاً على ماء، ويراد بالإذابة التقطع. قوله: ﴿ولهم مقامع﴾ جمع مِقمعة بكسر الميم آلة القمع أي الضرب والزجر. قوله: ﴿من غم﴾ أي من أجل حصوله لهم. قوله: ﴿أعيدوا فيها﴾ أي لما ورد: أن جهنم تفور بهم، فيصعدون إلى أعلاها، فيريدون الخروج منها، فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد، فيهوون فيها سبعين خريفاً. قوله: ﴿و﴾ [قيل لهم] أي تقول لهم الملائكة ذلك. قوله: ﴿عذاب الحريق﴾ من إضافة الموصوف للصفة، أي العذاب المحرق. قوله: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا﴾ الخ لم يقل في حقهم والذين آمنوا عطفاً على قوله: ﴿فالذين كفروا﴾ إشارة لتعظيم شأن المؤمنين. قوله: ﴿الأنهار﴾ جمع نهر. والمعنى: تجري من تحت قصورهم. قوله: ﴿من أساور﴾ ﴿من﴾ إما زائدة أو للتبعيض أو لبيان الجنس، وقوله: ﴿من ذهب﴾ ﴿من﴾ لابتداء الغاية. قوله: [بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب] العبارة فيها قلب، والأصل بأن يرصع الذهب باللؤلؤ، وقيل إنهم يلبسون الأساور من نوعين: الذهب واللؤلؤ وفي آية هل أتى ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ فهم يلبسونها من الأنواع الثلاثة لما ورد: أن المؤمن يسور في الجنة بثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. وفي الحديث: «تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء». قوله: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ غاير الأسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريراً إشارة إلى أن الحرير ثيابهم المعتادة في الجنة، فإن العدول إلى الجملة الاسمية يدل على الدوام. قوله: [وهو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا] أي يوصلهم الله في الآخرة إلى ما حرمه عليهم في الدنيا، قال عليه الصلاة والسلام: «من لبس الحرير في الدنيا، لم يلبسه في الآخرة» واختلف في معنى الحديث فقيل: لم يلبسه في الآخرة إذا مات مصراً ودخل النار، فلا ينافي أنه إذا دخل الجنة يلبسه، وقيل لم يلبسه أصلاً ولو دخل الجنة، بل يتنعم بغير الحرير، وأما هو فلا يشتهيه فيها، والمعتمد الأول، وكذا يقال في الأحاديث الواردة فيمن شرب الخمر ولبس الذهب. قوله: [وهو لا إله إلا الله] أي مع عديلتها وهي محمد رسول الله فهي أفضل القول، كما في الحديث: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله» فهي رأس المال لذاكرها، لا يقبل شيء من الأعمال إلا بها، فمن مات عليها حصلت له السعادة» نسأل الله الثبات عليها في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه.

قوله: ﴿إلى صراط الحميد﴾ أي وهو دين الإسلام، وسمي صراطاً لأنه طريق يوصل إلى رضا الله تعالى. قوله: [أي طريق الله المحمودة] أشار بذلك إلى أن الحميد وصف لله تعالى، ومعناه المحمود في أفعاله. قوله: ﴿ويصدون﴾ معطوف على ﴿كفروا﴾ ففيه عطف المستقبل على الماضي، وحينئذ فإما أن يراد بالماضي المضارع، أو يجرد المضارع عن معناه، بأن يراد به الثبوت والاستمرار لتناسب العطف، وهذا هو الأحسن، ولا يصح جعل جملة ﴿ويصدون﴾ حالاً لأن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالاً لا تقرن بالواو، قال ابن مالك:

﴿ٱلۡعَاكِفُ﴾: المقيم ﴿فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾: الطارىء ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ﴾: الباء زائدة ﴿بِظُلۡمٖ﴾: أي بسببه بأن ارتكب منهياً ولو شتم الخادم ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ ٢٥: مؤلم أي بعضه ومن هذا يؤخذ خبر إن أي نذيقهم من عذاب أليم ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذۡ بَوَّأۡنَا﴾: بينا ﴿لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾: ليبنيه وكان قد رفع زمن الطوفان وأمرناه ﴿أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي

وذات بدء بمضارع ثبت ... حوت ضميراً ومن الواو خلت

ولا جعل الواو زائدة، لأن الأصل عدمها، وخبر ﴿إن﴾ محذوف يقدر بعد قوله: ﴿والباد﴾ لدلالة قوله: ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ والتقدير [نذيقهم من عذاب أليم] كما سيأتي للمفسر. قوله: [منسكاً] قدره إشارة إلى أن مفعول جعلنا الثاني محذوف، وقوله: [ومتعبداً] عطف تفسير. قوله: ﴿للناس﴾ ظرف لغو، إما متعلق بمنسكاً الذي قدره المفسر أو بجعلنا، وهذا التقدير إنما هو لإيضاح المعنى، وإلا فيصح جعل جملة ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ مفعولاً ثانياً، وعلى ما قدره المفسر تكون حالية. قوله: ﴿سواء العاكف فيه﴾ ﴿سواء﴾ بالرفع خبر مقدم، و ﴿العاكف﴾ وما عطف عليه مبتدأ مؤخر، وقرأ حفص بالنصب فيعرب حالاً، والعاكف مرفوع على الفاعلية لسواء لأنه مصدر وصف به، فهو في قوة اسم الفاعل المشتق تقريره: جعلناه مستوياً فيه العاكف، الخ. والمعنى أن المقيم في المسجد والطارىء سواء في النزول به، فمن سبق إلى مكان فيه فهو حقه، لا يقيمه منه غيره، وليس المراد أن دور مكة غير مملوكة لأربابها؛ فالغريب وأهل البلد سواء فيها، بل هي مملوكة لأربابها، ويجوز بيعها وإجارتها. قوله: ﴿والباد﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، أو حذفها فيهما، أو حذفها وقفاً وإثباتها وصلاً، ثلاث قراءات سبعيات، وقوله: [الطارىء] دفع به ما يتوهم من قوله البادي، أن المراد به ساكن البادية، بل المراد به الطارىء كان من البادية أو لا، وإنما سمي الطارىء بادياً، لأنه لا يأتي إليها إلا من البادية.

قوله: ﴿ومن يرد فيه﴾ أي يقصد في المسجد الحرام. قوله: ﴿بإلحاد﴾ أي عدول عن الاعتدال قوله: [الباء زائدة] أي في المفعول. قوله: ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ أي في الآخرة إلا أن يتوب. وأخذ منه أن السيئة في مكة أعظم من السيئة في غيرها، ومن هنا كره مالك المجاورة في مكة لغير أهلها وندبها بالمدينة. قوله: [ومن هذا] أي جواب الشرط. قوله: [يؤخذ خبر إن] أي ويكون مقدراً بعد قوله: ﴿و﴾ والبادي قوله [اذكر] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿بوأنا﴾ ظرف لمحذوف. قوله: [بينا] ﴿لإبراهيم مكان البيت﴾ أي أريناه أصله ليبنيه حين أسكن ولده إسماعيل وأمه هاجر في تلك الأرض، وأنعم الله عليهم بزمزم، فدعا الله بعمارة هذا البيت، فبعث الله له ريحاً هفافة، فكشفت عن أساس آدم، فرتب قواعده عليه لأن أساسه في الأرض كما قيل ثلاثون ذراعاً بذراع آدم، وقيل بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت، فقامت بحذاء البيت وفيه رأس يتكلم يا إبراهيم ابن علي دوري فبني عليه، وجعل طوله في السماء سبعة أذرع بذراعه، وأدخل الحجر في البيت، ولم يجعل له سقفاً، وجعل له باباً، وحفر له بئراً يلقي فيه ما يهدى للبيت، وبناه قبله شيث، وقبل شيث آدم، وقبل آدم الملائكة، ثم بعد إبراهيم بناه العمالقة، ثم جرهم، ثم قصي، ثم قريش، ثم الزبير، ثم الحجاج، وهي باقية الآن على بنائه، ثم يهدمها في آخر الزمان ذو السويقتين، فيجددها عيسى ابن مريم عليه السلام. قوله: [وأمرناه] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿أن لا تشرك﴾ معمول لمحذوف، وذلك المحذوف معطوف على ﴿بوأنا﴾. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٢٥ قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ عبد الله بن أنيس مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار. فافتخروا في الأنساب، فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة فنزلت فيه ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ الآية.

﴿شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾: من الأوثان **﴿لِلطَّائِفِينَ وَٱلْقَائِمِينَ﴾**: المقيمين به **﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾**[٢٦]: جمع راكع وساجد المصلين **﴿وَأَذِّنْ﴾**: نادِ **﴿فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾**: فنادى على جبل أبي قبيس يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتاً وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم والتفت بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك وجواب الأمر **﴿يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾**: مشاة جمع راجل كقائم وقيام **﴿وَ﴾**: ركباناً **﴿عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾**: أي بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى **﴿يَأْتِينَ﴾**: أي الضوامر حملاً على المعنى **﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾**[٢٧]: طريق بعيد **﴿لِّيَشْهَدُوا﴾**: أي يحضروا **﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾**: في الدنيا بالتجارة أو في الآخرة أو فيهما أقوال **﴿وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾**: أي عشر ذي الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق أقوال **﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ﴾**: الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا **﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾**: إذا كانت مستحبة **﴿وَأَطْعِمُوا ٱلْبَائِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾**[٢٨]: أي الشديد الفقر **﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا﴾**

[من الأوثان] قيل المراد بها الأصنام لأن جرهماً والعمالقة كانت لهم أصنام في محل البيت قبل أن يبنيه إبراهيم عليه السلام، وقيل المراد نزهه عن أن يعبد فيه غيره تعالى، فهو كناية عن إظهار التوحيد، ويصح أن يكون المراد طهره من الأقذار والأنجاس والدماء، وجميع ما تنفر منه النفوس. قوله: **﴿وأذن في الناس بالحج﴾** أي بالدعاء إليه والأمر به. قوله: **[على جبل أبي قبيس]** أي فلما صعد للنداء خفضت الجبال رؤوسها ورفعت له القرى، فنادى في الناس بالحج، فأول من أجابه أهل اليمن، فليس حاج من يومئذ إلى يوم تقوم الساعة، إلا من أجاب إبراهيم عليه السلام يومئذ، فمن لبى مرة حج مرة، ومن لبى مرتين حج مرتين، ومن لبى أكثر حج بقدر تلبيته. قوله: **[لبيك اللهم لبيك]** أي أجبتك أجابة بعد أجابة. قوله: **﴿يأتوك﴾** أي يأتوا مكانك، لأن المقصود إتيان البيت لا إتيان إبراهيم، وقوله: **﴿رجالاً وعلى كل ضامر﴾** ليس فيه دليل على أن راكب البحر لا يجب عليه الحج، لأن مكة ليست على البحر، وإنما يتوصل إليها على إحدى هاتين الحالتين.

قوله: **﴿وعلى كل ضامر﴾** التضمير في الأصل أن تعلف الفرس حتى تسمن، ثم تقلل عنه الأكل شيئاً فشيئاً، حتى يصل إلى حد القوت، وحينئذ فيكون سريع الجري، وقدم الراجل لما ورد: أن له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم، كل حسنة مائة ألف حسنة، وللراكب بكل خطوة سبعون حسنة، وأخذ الشافعي من هذا الحديث، أن المشي أفضل من الركوب. وقال مالك: الركوب أفضل لأنه أقرب للشكر، ولأن رسول الله ﷺ حج راكباً، ولو كان المشي أفضل لفعله رسول الله، أجاب عن الحديث بأنه مزية، وهي لا تقضي الأفضلية. قوله: **[حملاً على المعنى]** أي حيث ألحق الفعل العلامة، ولو راعى اللفظ لقال يأتي. قوله: **[بالتجارة]** أي لأنها جائزة للحاج من غير كراهة، إذا لم تكن مقصودة بالسفر.

قوله: **﴿ويذكروا اسم الله﴾** أي عند إعداد الهدايا وذبحها. قوله: **[عشر ذي الحجة]** أي وسميت معلومات، لحرص الحجاج على علمها، لأن وقت الحج في آخرها. قوله: **[إلى آخر أيام التشريق]** راجع للقولين قبله. قوله: **﴿على ما رزقهم﴾** أي لأجل ما رزقهم. قوله: **﴿فكلوا منها﴾** أمر إباحة لمخالفة ما كانت عليه الجاهلية من عدم الأكل من لحوم هداياهم، فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدي إذا كان تطوعاً جاز الأكل منه، واختلفوا في الهدي

---

* أسباب نزول الآية ٢٧ قوله تعالى: ﴿وعلى كل ضامر﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كانوا لا يركبون، فأنزل الله ﴿يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر﴾ فأمرهم بالزاد ورخص لهم الركوب والمتجر.

﴿تَفَثَهُمْ﴾: أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر ﴿وَلْيُوفُوا﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿نُذُورَهُمْ﴾: من الهدايا والضحايا ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾: طواف الإفاضة ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ٢٩: أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر أي الأمر أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾: هي ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾: أي تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾: في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾: أكلا بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: تحريمه في حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾: من للبيان أي الذي هو الأوثان ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ ٣٠: أي الشرك بالله في تلبيتكم أو شهادة الزور ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾: مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾: تأكيد لما قبله وهما حالان من الواو ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾: سقط ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾: أي تأخذه بسرعة ﴿أَوْ

الواجب، فقال الشافعي: لا يأكل منه، وقال مالك: يأكل من كل هدي وجب، إلا من جزاء الصيد وفدية الأذى والنذر إذا قصد به المساكين، وقال أصحاب أبي حنيفة: يأكل من دم التمتع والقران، ولا يأكل من واجب سواهما.

قوله: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ أي بعد تمام حجهم وتحللهم، لأن الواجب فعله يوم النحر أربعة أشياء على الترتيب: الرمي فالنحر فالحلق فطواف الإفاضة، فبعد الفراغ منها، حل له كل شيء كان محرماً عليه قبل الإحرام. قوله: [بالتشديد والتخفيف] هما قراءتان سبعيتان. قوله: [لأنه أول بيت وضع] وقيل سمي عتيقاً، لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه، ومن الغرق لأنه رفع أيام الطوفان. قوله: [أي الأمر أو الشأن ذلك] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ذلك﴾ خبر لمحذوف، وهذا على عادة الفصحاء، إذا ذكروا جملة من الكلام، ثم أرادوا الخوض في كلام آخر، يقولون هذا وقد كان كذا، فهو يذكر للفصل بين كلامين، أو بين وجهي كلام واحد. قوله: [هي ما لا يحل انتهاكه] أي وهي التكاليف التي كلف الله بها عباده، من واجب وسنة ومندوب ومكروه وحرام، وتعظيمها كناية عن قبولها والخضوع لها، فتعظيمه في الواجب والسنة والمندوب فعل كل، وفي المكروه والحرام ترك كل، بل وترك ما يؤدي لذلك.

قوله: ﴿خير له عند ربه﴾ أي قربة وطاعة يثاب عليها في الآخرة، واسم التفضيل على بابه، باعتبار ما يزعمه أهل اللهو والفسوق، من أن من أطلق نفسه في الشهوات فقد أصاب حظه، فهو خير باعتبار ما عندهم، لا باعتبار ما عند الله لما ورد: رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً. قوله: ﴿الأنعام﴾ أي الإبل والبقر والغنم. قوله: [بعد الذبح] أي أو النحر أو العقر. قوله: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ أي إلا مدلول الآية التي تتلى عليكم. قوله: [فالاستثناء منقطع] أي ووجهه أن في الآية ما ليس من جنس الأنعام، كالدم ولحم الخنزير. قوله: [ويجوز أن يكون متصلاً] أي ووجهه العموم في قوله الأنعام لأن ظاهره حل الأنعام مطلقاً، ولو منخنقة وموقوذة ومتردية، فأفاد أن الحلال ما عدا ما في الآية.

قوله: ﴿فاجتنبوا الرجس﴾ هو في الأصل القذر والأوساخ، وعبادة الأوثان قذر معنوي. قوله: ﴿قول الزور﴾ تعميم بعد تخصيص، لأن عبادة الأوثان رأس الزور. قوله: [أي الشرك بالله في تلبيتهم] أي فإنهم كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك. إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. قوله: [أو شهادة الزور] أي الشهادة بما لا يعلم حقيقته. قوله: ﴿حنفاء لله﴾ أي مخلصين له. قوله: [حالان من الواو] أي في ﴿اجتنبوا﴾ لكن الأولى مؤسسة، والثانية مؤكدة.

قوله: ﴿ومن يشرك بالله﴾ الخ هذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك، والمعنى أنه شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء، في أن كلا لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع، فهو هالك لا محالة، إما بتخطف الطير لحمه، أو تفرقة الرياح

﴿تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾: أي تسقطه ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾٣١: بعيد أي فهو لا يرجى خلاصه ﴿ذَٰلِكَ﴾: يقدر قبله الأمر مبتدأ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا﴾: أي فإن تعظيمها وهي البدن التي تهدى للحرم بأن تستحسن وتستسمن ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾٣٢: منهم وسميت شعائر لإشعارها بما تعرف به أنها هدي كطعن حديدة بسنامها ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾: كركوبها والحمل عليها ما لا يضرها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾: أي مكان حل نحرها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾٣٣: أي عنده والمراد الحرم جميعه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾: بفتح السين مصدر وبكسرها اسم مكان أي ذبحاً قرباناً أو مكانه ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: عند ذبحها ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾: انقادوا ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾٣٤: المطيعين المتواضعين ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ﴾: خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾: من البلايا ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾٣٥: يتصدقون ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾: جمع بدنة وهي الإبل ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾: أعلام دينه ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: نفع في الدنيا كما تقدم وأجر في العقبى ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾: عند نحرها ﴿صَوَآفَّ﴾: قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: سقطت إلى

لأجزائه، في أمكنة بعيدة لا يرجى خلاصه. قوله: [يقدر قبله الأمر مبتدأ] أي واسم الإشارة خبر نظير ما تقدم. قوله: ﴿شعائر الله﴾ جمع شعيرة أو شعارة. قوله: [وهي البدن] فسرها بذلك، وإن كانت الشعائر في الأصل أعلام الحج وأفعاله مراعاة للسياق. قوله: [بأن تستحسن] أي تختار حسنة، بأن تكون غالية الثمن، لما روي أن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار.

قوله: ﴿من تقوى القلوب﴾ أي من امتثال الأوامر واجتناب النواهي. وقوله: [منهم] قدره إشارة إلى أن العائد محذوف. قوله: [بما تعرف به] أي بعلامة يعرف بها أنها هدي. قوله: [كطعن حديدة بسنامها] أي وشقق الجلال وإخراج السنام من الشق، وكتعليق النعال في رقبتها. قوله: [كركوبها والحمل عليها] أي وشرب لبنها الفاضل عن ولدها. قوله: [أي عنده] أشار بذلك إلى أن ﴿إلى﴾ بمعنى عند. قوله: [والمراد الحرم جميعه] أي لا خصوص الكعبة. قوله: [أي ذبحاً قرباناً] مفعول للمصدر الذي هو ذبحا. والمعنى أن يذبحوا القربان، وقيل معنى منسكاً نوعاً من التعبد والتقرب.

قوله: ﴿ليذكروا اسم الله﴾ معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله. قوله: ﴿من بهيمة الأنعام﴾ أي عند ذبحها ونحرها. قوله: [انقادوا] أي خضعوا وفوضوا أمورهم إليه ورضوا بأحكامه. قوله: [المتواضعين] هذا أصل معناه، لأن الإخبات نزول الخبت، وهو المكان المنخفض. قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ أي بأن سمعوا الذكر من غيرهم، أو ذكروا بأنفسهم. قوله: [من البلايا] أي المحن بأن لا يجزعوا عند نزولها بهم. قوله: [يتصدقون] أي صدقة التطوع، ويعلم منه أنهم يخرجون الزكاة الواجبة بالأولى. قوله: [وهي الإبل] أي فالبدن عند الشافعي خاصة بالإبل، وقال أبو حنيفة: البدن الإبل والبقر، وعلى كل حال، فالبقر من شعائر الله أيضاً. قوله: ﴿لكم فيها خير﴾ الجملة إما حالية أو مستأنفة.

قوله: ﴿فاذكروا اسم الله عليها﴾ أي بأن تقولوا عند ذبحها: بسم الله والله أكبر، اللهم إن هذا منك وإليك. قوله: [قائمة] المناسب أن يقول قائمات. قوله: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ كناية عن الموت وجمع الجنوب، مع أن البعير إذا

الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: إنْ شئتم ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾: الذي يقنع بما يعطي ولا يسأل ولا يتعرض ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: السائل أو المتعرِّض ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي مثل ذلك التسخير ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾: بأن تنحر وتركب وإلا لم تطق ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾٣٦: إنعامي عليكم ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾: أي لا يرفعان إليه ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾: أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾: أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾٣٧: أي الموحدين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: غوائل المشركين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾: في أمانته ﴿كَفُورٍ﴾٣٨: لنعمته وهم

سقط عند النحر، إنما يسقط على أحد جنبيه، لأن ذلك الجمع في مقابلة جمع البدن. قوله: [سقطت إلى الأرض] أي فالوجوب السقوط، يقال وجبت الشمس أي سقطت. قوله: ﴿فكلوا منها﴾ أي إن كانت مستحبة باتفاق، وكذا إن كانت واجبة عند مالك، إلا في جزاء الصيد وفدية الأذى والنذر إذا قصد به المساكين، ولا يأكل من الواجبة عند الشافعي. قوله: ﴿وأطعموا القانع﴾ أي المستغني بما أعطيه، المتعفف عما في أيدي الناس، الذي لا التفات له إليهم، الذي قال الله في حق من اتصف بصفته ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً﴾ وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

أمتُّ مطامعي فأرحتُ نفسي ... فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتاً ... ففي إحيائه عرضي مصون
إذا طمع يحل بقلب شخص ... علته مهانة وعلاه هون

قوله: [أي في مثل التسخير] أي المفهوم من قوله صواف. قوله: [وإلا لم تطق] أي وإلا تسخرها لم يقدر على نحرها وركوبها. قوله: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ رد لما كانت عليه المشركون من تشريح اللحم، وجعله حول الكعبة، وتضميخها بالدم تقرباً إلى الله تعالى. قوله: [أي لا يرفعان إليه] أي وإنما يرفع إليه العمل الصالح ومنه التصدق. قوله: ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أي بأن تقولوا: الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أولانا. قوله: ﴿وبشر المحسنين﴾ أي برضا الله والدرجات الرفيعة. قوله: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما ذكر جملة من أفعال الحج والترغيب فيه، وذكر أن الكفار يصدون الناس عن المسجد الحرام، كأن قائلاً يقول: بأي شيء يتمكن الناس من الحج والهدايا مع وجود المانع، فأنزل الله هذه الآية بشارة للمؤمنين، وأنهم يتمكنون من المسجد الحرام، ويدفع عنهم أعداءهم، وهذه الآية وإن كان سبب نزولها ما ذكر، إلا أن العبرة بعموم اللفظ، ولذا حذف المعمول ليؤذن بالعموم، فالمؤمنون مآلهم للعز والنصر والفوز الأكبر، وإن امتحنوا ببلاء أو غيره، فذلك لتكفير سيئاتهم ورفع درجاتهم، فهم بخير على كل حال. قوله: [غوائل المشركين] قدره إشارة إلى أن المفعول محذوف لدلالة المقام عليه، والغوائل جمع غائلة، وهي ما يصيب الإنسان من المكروه. قوله: [في أمانته] مفرد مضاف أي أماناته، وهي الأوامر والنواهي. قوله: [وهم المشركون] أي لأنهم خائنون كافرون في كل وقت، وأما العصاة من المؤمنين فليسوا كذلك، وهذا وعيد للكفار إثر وعد المؤمنين، لأن شأن الخائن يجازي على خيانته بالخزي والعقاب.

---

* أسباب نزول الآية ٣٧ قوله تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية يضمخون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب النبي ﷺ: فنحن أحق أن نضمخ، فأنزل الله ﴿لن ينال الله لحومها﴾ الآية.

المشركون المعنى أنه يعاقبهم ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾: أي المؤمنين أن يقاتلوا وهذه أول آية نزلت في الجهاد
﴿بِأَنَّهُمْ﴾: أي بسبب أنهم ﴿ظُلِمُوا﴾: بظلم الكافرين إياهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ٣٩ هم ﴿ٱلَّذِينَ
أُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: في الإخراج ما أخرجوا ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا﴾: أي بقولهم ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: وحده وهذا
القول حق فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾: بدل بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ
لَّهُدِّمَتْ﴾: بالتشديد للتكثير وبالتخفيف ﴿صَوَٰمِعُ﴾: للرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾: كنائس للنصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: كنائس
لليهود بالعبرانية ﴿وَمَسَـٰجِدُ﴾: للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾: أي المواضع المذكورة ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾: وتنقطع
العبادات بخرابها ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾: أي ينصر دينه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾: على خلقه ﴿عَزِيزٌ﴾ ٤٠ منيع في

قوله: ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ أي يريدون القتال، والمأذون فيه محذوف قدره المفسر بقوله: [أن يقاتلوا] وفي قراءة سبعية أيضاً يقاتلون بالبناء للمفعول. قوله: [وهذه أول آية نزلت في الجهاد] أي بعد أن نهي عنه رسول الله ﷺ في نيف وسبعين آية؛ وذلك أن مشركي مكة كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ويعذبونهم، فيشكون لرسول الله ﷺ فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بقتال، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، فحينئذ كان يوم عيد عند المسلمين. قوله: ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ جملة مستأنفة، سيقت لوعد المؤمنين بالنصر على طريق الكناية. قوله: [هم] ﴿الذين﴾ قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن الموصول خبر لمحذوف، وهو أحد أوجه في إعرابه، ويصح أن يكون نعتاً أو بياناً أو بدلاً من الذين الأول، أو منصوباً على المدح.

قوله: ﴿إلا أن يقولوا﴾ استثناء مفرغ من محذوف، قدره المفسر بقوله: [ما أخرجوا] وهو متصل، والمعنى لم يكن لهم سبب في إخراجهم، إلا تعصب المشركين عليهم من أجل مخالفتهم في الدين. إن قلت: إن سبب خروجهم أمر الله لنبيه. أجيب: بأن سبب الخروج باطناً أمر الله لهم بالخروج، وظاهراً تعصب المشركين عليهم، ولا يصح استثناؤه من المذكور، لأنه يصير المعنى الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله، وهو لا يصح.

قوله: ﴿ولولا دفع الله الناس﴾ ﴿لولا﴾ حرف امتناع لوجود، و﴿دفع﴾ مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير موجود، وإضافة ﴿دفع﴾ لما بعده من إضافة المصدر لفاعله، وقوله: ﴿بعضهم﴾ أي للكافرين، وقوله: ﴿ببعض﴾ أي المؤمنين، والمعنى لولا دفع الله الكافرين بالمؤمنين موجود، لهدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يصلون فيها في شرعه، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن نبينا المساجد، وهذا الدفع حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ، وأما من يوم بعث الله محمداً ﷺ، فقد بطل كل دين يخالف دينه، قال تعالى: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ فالمعنى لولا عز الإسلام وقوة شوكته، ما عبد الله في أي زمن. قوله: [بالتشديد للتكثير] باعتبار المواضع. قوله: [وبالتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿صوامع﴾ جمع صومعة وهي المحل المرتفع البناء في الأماكن الخلية. قوله: [للرهبان] أي وقيل للصابئين. قوله: ﴿وصلوات﴾ جمع صلاة، سميت الكنائس بذلك لأنه يصلى فيها، وقيل هي كلمة معربة، أصلها بالعبرانية صلوثا، بفتح الصاد والثاء المثلثة والقصر، ومعناه في لغتهم المصلى. قوله: [أي ينصر الله دينه]، أي وأولياءه، ومعنى نصره تعالى هو أن يظفر أولياءه بأعدائه، ومعنى نصر العبيد لربهم هو تجلدهم بالقتال لأعداء الله، أو

---

* أسباب نزول الآية ٣٩ قوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ الآية. أخرج أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: خرج النبي ﷺ من مكة، فقال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ليهلكن، فأنزل الله ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾:

سلطانه وقدرته ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بنصرهم على عدوهم ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: جواب الشرط وهو وجوابه صلة الموصول ويقدر قبله هم مبتدأ ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ ٤١: أي إليه مرجعها في الآخرة ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾: فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾: تأنيث قوم باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ﴾: قوم هود ﴿وَثَمُودُ﴾ ٤٢: قوم صالح ﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ٤٣ ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾: قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾: كذبه القبط لا قومه بنو إسرائيل أي كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: أمهلتهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ٤٤: أي إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم والاستفهام للتقرير أي هو واقع موقعه ﴿فَكَأَيِّن﴾: أي كم ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُهَا﴾: وفي قراءة أهلكناها ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾: أي أهلها بكفرهم ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سقوفها ﴿وَ﴾: كم من ﴿بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾: متروكة بموت أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ ٤٥: رفيع خال بموت أهله ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾: أي كفار مكة

بإيضاح الأدلة والحجج على أعداء الله كالعلماء. قوله: [منيع في سلطانه] المناسب أن يقول غالب على أمره، وقد أنجز الله وعده، بأن أذل الكفار وأعز المسلمين، فأورثهم أرضهم وديارهم.

قوله: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ الخ، يجوز في هذا الموصول ما جاز في الذي قبله. قوله: [جواب الشرط] أي قوله: ﴿أقاموا﴾ وما عطف عليه. قوله: [وهو وجوابه] أي الشرط وفعله وجوابه. قوله: [صلة الموصول] أي لا محل لها من الإعراب. قوله: [ويقدر قبله] الخ، أي على أحد الاحتمالات المتقدمة، وهو إخبار من الله عما يكون عليه المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم. قوله: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ أي آخر أمور الخلق مصيرها إليه، فيجازي كل شخص بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله: ﴿وإن يكذبوك﴾ أي يدوموا على تكذيبك وعدم الإيمان بك، والضمير عائد على أهل مكة، والمعنى لا تحزن وتسل، فلست بأول من كذبه قومه. قوله: [باعتبار المعنى] أي وهو الأمة والقبيلة. قوله: ﴿وعاد وثمود﴾ لم يقل قوم هود وقوم صالح لاشتهارهما بهذين الاسمين. قوله: ﴿وأصحاب مدين﴾ خصهم بالذكر، وإن كان شعيب أرسل إلى أصحاب الأيكة وكذبوه أيضاً لأنهم سابقون عليهم في التكذيب له، فخصوا بالذكر لسبقهم بالتكذيب. قوله: [كذبه القبط لا قومه] أشار بذلك إلى وجه بناء الفعل في هذا الأخير للمفعول، والقبط بوزن القسط أهل مصر.

قوله: ﴿فأمليت للكافرين﴾ وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التشنيع عليهم. قوله: [أي إنكاري عليهم] أشار بذلك إلى أن نكير مصدر بمعنى الإنكار. قوله: [بإهلاكهم] أي بعذاب الاستئصال. قوله: [للتقرير] أي والمعنى فليقر المخاطبون بأن إهلاكي لهؤلاء كان واقعاً موقعه، وفي الحقيقة هو مضمن معنى التعجب. والمعنى: ما أشد ما كان إنكاري عليهم. قوله: ﴿فكأين﴾ مبتدأ، و﴿من قرية﴾ تمييز، وقوله: ﴿أهلكتها﴾ خبره، وقوله: ﴿وهي ظالمة﴾ الجملة حالية. والمعنى عدد كثير من القرى أهلكتها، والحال أنها ظالمة. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [أي أهلها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ أي تهدمت حيطانها، فسقطت الحيطان فوق السقوف.

قوله: ﴿وبئر معطلة﴾ قدر المفسر [كم] والجار إشارة إلى أنه معطوف على ﴿قرية﴾ والمعنى عدد كثير من الآبار معطلة عن الاستقاء منها بموت أهلها، وقيل إن البئر الواحدة معهودة، وهي التي نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به، ونجاهم الله من العذاب وهم بحضرموت. وسميت بذلك لأن صالحاً حين حضرها مات، وهناك بلدة

﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار فتعتبروا ﴿فَإِنَّهَا﴾: أي القصة ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ ٤٦: تأكيد ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُ﴾: بإنزال العذاب فأنجزه يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾: من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٤٧: بالتاء والياء في الدنيا ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾: المراد أهلها ﴿وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ ٤٨: المرجع ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: أي أهل مكة ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ٤٩: بين الإنذار وأنا بشير للمؤمنين ﴿فَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ٥٠: هو الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾: القرآن بإبطالها ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: من اتبع النبي أي

عند البئر اسمها حاضورا، بناها قوم صالح، وأمروا عليهم جلهس بن جلاس، وأقاموا بها زماناً، ثم كفروا وعبدوا صنماً، وأرسل الله تعالى عليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه، فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم، والمتبادر من الآية العموم، ولذا مشى عليه المفسر.

قوله: ﴿أفلم يسيروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه تقديره: أغفلوا فلم يسيروا؟ فهو تحريض لهم على السير، ليشاهدوا آثار من قبلهم من الكفار ليعتبروا، وهم وإن كانوا سافروا، ولم يسافروا للاعتبار والنظر، فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا. قوله: ﴿فتكون لهم قلوب﴾ مفرع على قوله: ﴿يسيروا﴾ فهي منفي أيضاً. قوله: [ما نزل بالمكذبين] مفعول يعقلون. قوله: [أي القصة] أي وما بعده تفسير له. قوله: ﴿لا تعمى الأبصار﴾ الخ أي فالخلل ليس في حواسهم الظاهرية، وإنما هو في قلوبهم، فترتب على ذلك انهماكهم في الشهوات وعدم إذعانهم للحق، لأن عمى القلب هو الضار في الدين، لما ورد في الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». قوله: [تأكيد] أي قوله: ﴿التي في الصدور﴾ تأكيد للقلوب، لأن من المعلوم أن القلوب حالة في الصدور، ومنه قولهم: سمعت بأذني ونظرت بعيني.

قوله: ﴿ويستعجلون بالعذاب﴾ أي يطلب كفار مكة تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون: أين ما توعدنا به مع كوننا كذبناك كما كذبت الأمم الماضية رسلهم؟ قوله: ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ تضمن ذلك نزول العذاب بهم في الدنيا، وتضمن قوله: ﴿وإن يوماً عند ربك﴾ الخ، عذابهم في الآخرة، فهم يعذبون مرتين: في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بدخول النار الدائم. قوله: [فأنجزه يوم بدر] أي فقتل منهم سبعون، وأسر سبعون من صناديدهم. قوله: ﴿كألف سنة﴾ اقتصر على الألف، لأنه منتهى العدد بلا تكرار، وهو كناية عن طول العذاب وعدم تناهيه. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وكأين من قرية﴾ أتى به هنا بالواو لمناسبة ما قبلها في قوله: ﴿ولن يخلف الله وعده وإن يوماً﴾ الخ، بخلاف الأولى، فأتى بالفاء لمناسبة ما قبلها في قوله: ﴿فكيف كان نكير﴾ فأتى في كل بما يناسبه.

قوله: ﴿قل يا أيها الناس﴾ أي الموصوفون باستعجال العذاب، وقد جرت عادة الله في كتابه، أنه يخاطب المؤمنين: بيا أيها الذين آمنوا، وكفار مكة: بيا أيها الناس. قوله: [وأنا بشير للمؤمنين] قدره إشارة إلى أن في الآية اكتفاء، بدليل التعميم المذكور بعد. قوله: ﴿لهم مغفرة﴾ أي من الذنوب الصغائر والكبائر. قوله: ﴿والذين سعوا﴾ أي اجتهدوا. قوله: [بإبطالها] الباء بمعنى في، والمعنى اجتهدوا في إبطالها حيث قالوا في القرآن ﴿إنه أساطير الأولين﴾

ينسبونهم إلى العَجْز ويثبطونهم عن الإيمان أو مقدرين عجزنا عنهم وفي قراءة: معاجزين مسابقين لنا أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ٥١: النار ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ هو نبي أمر بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾: أي لم يؤمر بالتبليغ ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ﴾: قرأ ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾: قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به، تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن

وسحر وكهانة، قوله: [من اتبع النبي] أشار به إلى أن مفعول معجزين محذوف. قوله: [يثبطونهم] أي يعوقونهم ويشغلونهم. قوله: [أو مقدرين عجزنا] أي فالمفعول محذوف تقديره الله. والمعنى عليه ظانين عجزنا عنهم. قوله: [وفي قراءة معاجزين] أي وهي سبعية أيضاً، وتقدير المفعول عليها معاجزين الله، أي مسابقين له، ومعنى مسابقتهم ظنهم الفرار من عذاب الله، ومعنى مسابقة الله إنزال العذاب بهم وعدم فرارهم منه. قوله: [يظنون أن يفوتونا] أي فلا يلحقهم عذابنا. قوله: ﴿أصحاب الجحيم﴾ أي مالهم لها، وهي معدة لهم.

قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ الخ، هذه تسلية ثانية لرسول الله ﷺ. قوله: ﴿من رسول﴾ ﴿من﴾ زائدة في المفعول أي رسولاً. قوله: [هو نبي أمر بالتبليغ] أي إنسان ذكر حر، أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه. قوله: ﴿ولا نبي﴾ عطف على ﴿رسول﴾. إن قلت: إن تفسير النبي بكونه لم يؤمر بالتبليغ ينافي قوله أرسلنا. أجيب: بأن الإرسال معناه البعث لنفسه، لأنه أوحي إليه بشرع يعمل به في نفسه، وليس مأموراً بتبليغه للخلق، أو يقدر قبل قوله ولا نبي ما يناسبه، كأن يقال مثلاً: ولا نبأنا من نبي على حد: علفتها تبناً وماء بارداً. قوله: [أي لم يؤمر بالتبليغ] أشار المفسر بهذا، إلى أن العطف في الآية مغاير، وإن كان لفظ النبي اعم. قوله: [قراءته] إنما سميت القراءة أمنية، لأن القارىء إذا وصل إلى آية رحمة تمنى حصولها، أو آية عذاب تمنى البعد عنه. قوله: [ما ليس من القرآن] مفعول ألقي. قوله: [مما يرضاه] بيان لما. قوله: [المرسل إليهم] أي وهم الكفار. قوله: [وقد قرأ النبي] أشار بذلك إلى أن سبب نزول هذه الآية قراءة النبي سورة النجم، وذلك كان في رمضان سنة خمس من البعثة، وكانت الهجرة إلى الحبشة في رجب من تلك السنة، وقدوم المهاجرين إلى مكة كان في شوال من تلك السنة. قوله: [بإلقاء الشيطان] متعلق بقرأ. قوله: [تلك الغرانيق]

---

* أسباب نزول الآية ٥٢ قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر من طريق بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: قرأ النبي ﷺ بمكة ﴿والنجم﴾ فلما بلغ ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجي، فقال المشركون: ما ذكر إلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا، فنزلت ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ الآية. وأخرجه البزاز وابن مردويه من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه، وقال: لا يروي متصلاً إلا بهذا الإسناد وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور.

وأخرجه البخاري عن ابن عباس بسند فيه الواقدي وابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس، وأورده ابن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وابن جرير عن محمد بن قيس وابن أبي حاتم عن السدي كلهم بمعنى واحد، وكلها إما ضعيفة أو منقطعة سوى طريق ابن جبير الأولى. قال الحافظ ابن حجر: لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً مع أن لها طريقين صحيحين مرسلين أخرجهما ابن جرير: أحدهما من طريق الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والآخر من طريق داود بن هند عن أبي العالية ولا عبرة بقول ابن العربي وعياض أن هذه الروايات باطلة لا أصل لها، انتهى.

الحق مع عياض وابن العربي وغيرهم من المحققين في قولهم ببطلان هذه الرواية لأن العقيدة تعتمد اليقين أو ما يقاربه في السند، وقد علقنا على هذا الموضع في سورة الحج.

لترتجي، ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن فسلي بهذه الآيات ليطمئن ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾: يبطل ﴿مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ﴾: يثبتها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿حَكِيمٌ﴾ ٥٢: في تمكينه منه يفعل ما يشاء ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾: محنة ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك ونفاق ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: أي المشركين عن قبول الحق ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ٥٣: خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ﴾: التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾: أي القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ﴾: تطمئن ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٥٤: أي دين الإسلام ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ﴿مِّنْهُ﴾: أي القرآن بما ألقاه الشيطان على لسان النبي ثم أبطل ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ

معمول [قرأ] والغرانيق في الأصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق كفردوس، أو غرنوق كعصفور، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم، فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع. قوله: [ففرحوا بذلك] أي بما سمعوه وقالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم. قوله: [يبطل] أي يزيل، فالنسخ في اللغة معناه الإزالة، وما ذكره المفسر من قصة الغرانيق رواية عامة المفسرين الظاهريين. قال الرازي: أما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول، أما القرآن فبوجوه: أحدها قوله تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ الآية. ثانيها ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ الآية: ثالثها قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾. وأما السنة فمنها ما روي عن محمد بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هي من وضع الزنادقة، وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، فقد روى البخاري في صحيحه، أنه ﷺ قرأ سورة النجم، وسجد فيها المسلمون والكفار والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق. وأما المعقول فمن أوجه: أحدها: أن من جوز على النبي ﷺ تعظيماً للأوثان فقد كفر. ثانيها: لو كان الإلقاء على الرسول ثم الإزالة عنه، لكانت عصمته من أول الأمر أولى، وهو الذي يجب علينا اعتقاده في كل نبي. ثالثها، وهو أقوى الأوجه: أنا لو جوزنا ذلك، لارتفع الأمان عن شرعه. ثم قال الرازي: وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة، وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة، قاله الخطيب، ثم قال: وهذا هو الذي يطمئن إليه القلب، وإن أطنب ابن حجر العسقلاني في صحتها، انتهى. ويكون معنى الآية على هذا التحقيق: ألقى الشيطان في أمنيته أي تلاوته شبهاً وتخيلات في قلوب الأمم، بأن يقول لهم الشيطان: هذا سحر وكهانة، فينسخ الله تلك الشبه من قلوب من أراد لهم الهدى، ويحكم الله آياته في قلوبهم، والله عليم بما ألقاه الشيطان في قلوبهم، حكيم في تسليطه عليهم، ليميز المفسد من المصلح.

قوله: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان﴾ متعلق بيحكم أي ثم يحكم الله آياته ليجعل، الخ. قوله: ﴿والقاسية قلوبهم﴾ عطف على الذين، أي فتنة للقاسية قلوبهم. قوله: [حيث جرى على لسانه] الخ قد علمت أن هذا خلاف الصواب، والصواب أن يقول حيث سلط الشيطان عليهم بالوسوسة والطعن في القرآن. قوله: ﴿وليعلم﴾ عطف على ليجعل. قوله: ﴿فيؤمنوا به﴾ أي بالقرآن. قوله: [أي دين الإسلام] أي وسمي صراطاً لأنه يوصل لمرضاة الله، كما أن الصراط يوصل لدار النعيم.

قوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ رجوع لذكر حال الكفار وما هم عليه. قوله: [أي القرآن] أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على القرآن، وقيل عائد على الرسول، أي في شك من أمر الرسول من كونه صادقاً أو لا. قوله: [بما ألقاه

بغتة﴾: أي ساعة موتهم أو القيامة فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ٥٥ هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير أو هو يوم القيامة لا ليل بعده ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾: أي يوم القيامة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بين المؤمنين والكافرين بما بين بعده ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ٥٦ فضلاً من الله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ٥٧: شديد بسبب كفرهم ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: هو رزق الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ٥٨: أفضل المعطين ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا﴾: بضم الميم وفتحها أي إدخالاً أو موضعاً ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾: وهو الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾: بنياتهم ﴿حَلِيمٌ﴾ ٥٩: عن عقابهم الأمر ﴿ذَٰلِكَ﴾: الذي قصصناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾: جازى من المؤمنين ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾: ظلماً من المشركين أي قاتلهم كما قاتلوه في الشهر المحرّم ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾: منهم أي ظلم بإخراجه من منزلهم ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

الشيطان على لسان النبي] هذا خلاف الصواب، والصواب أن يقول بما ألقاه الشيطان في قلوب من أضلهم الله. قوله: ﴿يوم عقيم﴾ العقم في الأصل عدم الولادة، فشبه اليوم الذي لا خير فيه بمرأة عقيم، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو العقم، فإثباته تخييل، والجامع عدم الثمرة في كل.

قوله: ﴿يومئذ﴾ التنوين عوض عن جملة أي الملك يوم تأتيهم الساعة بغتة، أو يأتيهم العذاب يوم القيامة لله، ومعنى كونه لله، عدم نسبة شيء في الملك لأحد سواه في ذلك اليوم. قوله: [ناصب للظرف] أي قوله: ﴿يومئذ﴾. قوله: ﴿يحكم بينهم﴾ جملة مستأنفة سيقت جواباً لسؤال مقدر تقديره ماذا يصنع بهم. قوله: [فضلا من الله] أي لا بسبب أعمالهم.

قوله: ﴿والذين هاجروا﴾ مبتدأ خبره ﴿ليرزقنهم الله﴾، وخصهم بالذكر وإن كانوا داخلين في جملة المؤمنين تعظيماً لشأنهم. قوله: ﴿ثم قتلوا﴾ أي في الحروب، وقوله: ﴿أو ماتوا﴾ أي على فراشهم من غير قتل. قوله: [هو رزق الجنة] أي التنعم فيها. قوله: [أفضل المعطين] أي فالمراد بالرزق الإعطاء، وهو ينسب للخلق كما ينسب للخالق، إلا أن نسبته للخالق حقيقة، ولغيره مجاز. قوله: ﴿ليدخلنهم﴾ الخ إما مستأنف أو بدل من قوله ليرزقنهم. قوله: [بضم الميم وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿حليم﴾ أي فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه، بل يمهله ليتوب فيستحق الجنة. قوله: ﴿ذلك﴾ [الذي قصصناه عليك] أي من وعد المؤمن ووعيد الكافرين، واسم الإشارة خبر لمحذوف تقديره الأمر الذي قصصناه عليك، أي لا تغيير فيه ولا تبديل، فهي كلمة يؤتى بها للانتقال من كلام إلى آخر.

قوله: ﴿ومن عاقب﴾ العقاب مأخوذ من التعاقب، وهو مجيء الشيء بعد غيره، وحينئذ فقوله: ﴿عاقب﴾ بمعنى جازى حقيقة لغوية، وأما قوله: ﴿بمثل ما عوقب به﴾ أتى به لمشاكلة الأول للازدواج نظير ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾، والباء في ﴿به﴾ للسببية. قوله: [أي قاتلهم] أي قاتل من كان يقاتله، نزلت هذه الآية في

---

* أسباب نزول الآية ٦٠ قوله تعالى: ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت في سرية بعثها النبي ﷺ فلقوا المشركين لليلتين بقيتا من المحرم، فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد فإنهم يحرمون القتال في الشهر الحرام فناشدهم الصحابة وذكروهم بالله أن لا يتعوضوا لقتالهم فإنهم لا يستحلون القتال في الشهر الحرام فأبى المشركون ذلك وقاتلوهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون ونصروا عليهم، فنزلت هذه الآية.

﴿لَعَفُوٌّ﴾: عن المؤمنين ﴿غَفُورٌ﴾ ٦٠: لهم عن قتالهم في الشهر الحرام ﴿ذَٰلِكَ﴾: النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾: أي يدخل كلاً منهما في الآخر بأن يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التي بها النصر ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: دعاء المؤمنين ﴿بَصِيرٌ﴾ ٦١: بهم حيث جعل فيهم الإيمان فأجاب دعاءهم ﴿ذَٰلِكَ﴾: النصر أيضاً ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾: بالياء والتاء يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: وهو الأصنام ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾: أي العالي على كل شيء بقدرته ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ ٦٢: الذي يصغر كل شيء سواه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مطراً ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: بالنبات وهذا من أثر قدرته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَبِيرٌ﴾ ٦٣: بما في قلوبهم عند تأخير المطر ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: على جهة الملك ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾: عن عباده ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ ٦٤: لأوليائه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: من البهائم ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾: السفن ﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾: للركوب والحمل

قوم من المشركين، لقوا قوماً من المسلمين، لليلتين بقيتا من المحرم، فقالوا: إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم، فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا، فحملوا عليهم وثبت المسلمون ونصرهم الله عليهم، وإلى هذا يشير المفسر بقوله: ﴿غفور﴾ [لهم عن قتالهم في الشهر الحرام] وقيل نزلت في قوم من المشركين، مثلوا بقوم من المسلمين، قتلوهم يوم أحد، فعاقبهم رسول الله ﷺ بمثله، وقيل إنها عامة في النبي وأصحابه، وذلك أن المشركين كذبوا نبيهم، وآذوا من آمن به، وأخرجوهم من مكة، فوعد الله بالنصر محمداً وأصحابه فإنهم حزب الله، والكفار حزب الشيطان. قوله: ﴿غفور﴾ [لهم] أي ما فعلوه، لأنهم فعلوه دفعاً عن أنفسهم، لا تجرياً على المحرم.

قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ، و﴿بأن الله﴾ خبره. قوله: [بأن يزيد] أي الآخر، وقوله: [ذلك] أي الإيلاج، فهو إشارة إلى أن الإيلاج دليل القدرة، والقدرة دليل النصر لأن القادر على إدخال كل منهما في الآخر قادر على نصر أحبائه وخذلان أعدائه. قوله: ﴿وأن الله﴾ بالفتح في قراءة العامة عطف على أن الأولى، وقرئ شذوذاً بالكسر استئنافاً. قوله: ﴿وذلك بأن الله﴾ مبتدأ وخبر، وقوله: ﴿هو﴾ إما مبتدأ أو ضمير فصل. قوله: [الثابت] الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [الزائل] أي الفاني الذي لا بقاء له. قوله: ﴿وأن الله هو العلي الكبير﴾ نتيجة ما قبله من الأوصاف.

قوله: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ شروع في ذكر ستة أدلة على كونه هو الحق، وما سواه باطل، وفي الحقيقة، كل دليل نتيجة للدليل الذي قبله ففي الأدلة الترقي في الاحتجاج والمعرفة فتأمل. الأولى: إنزال الماء الناشيء عنه اخضرار الأرض. الثاني بقوله: ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾. الثالث: تسخير ما في الأرض. الرابع: تسخير الفلك. الخامس: إمساك السماء. السادس: الإحياء ثم الإماتة ثم الإحياء ثانياً. قوله: [تعلم] فسر الرؤية بالعلم دون الإبصار لأن الماء وإن كان مرئياً، إلا أن كون الله منزلاً له من السماء غير مرئي. قوله: [مطراً] لا مفهوم له، لأن النيل وماء الآبار من السماء، إلا أن يقال اقتصر على المطر لأنه هو المشاهد نزوله من جهة السماء دون غيره. قوله: ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ عبر بالمضارع إشارة إلى استمرار النفع به بعد نزوله. قوله: [بما في قلوبهم عند تأخير المطر] أي من التأثر والقنوط. قوله: [على جهة الملك] أي فلا ملك لأحد معه.

قوله: ﴿سخر لكم ما في الأرض﴾ أي ذلل لكم ما فيها من الدواب لتنتفعوا بها. قوله: ﴿والفلك﴾ بالنصب في

﴿بِأَمْرِهِ﴾: بإذنه ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾: من ﴿أَن﴾: أو لئلا ﴿تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾: فتهلكوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ٦٥: في التسخير والإمساك ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ﴾: بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: عند البعث ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: أي المشرك ﴿لَكَفُورٌ﴾ ٦٦: لنعم الله بتركه توحيده ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾: بفتح السين وكسرها شريعة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: عاملون به ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾: يراد به لا تنازعهم ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾: أي أمر الذبيحة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: أي إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾: دين ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٦٧ ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾: في أمر الدين ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٦٨: فيجازيكم عليه وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾: أيها المؤمنون والكافرن ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ٦٩: بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ

قراءة العامة، عطف على ما في قوله: ﴿ما في الأرض﴾ أي وسخر لكم الفلك وأفردها بالذكر لكون تسخيرها أعجب من سائر المسخرات، والفلك يطلق على الواحد والجمع بلفظ واحد، فوزن الواحد قفل، ووزن الجمع بدن. قوله: [من] ﴿أن﴾ [أو لئلا] ﴿تقع﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿أن تقع﴾ إما في محل نصب على المفعول لأجله، أي لأجل أن لا تقع، أو في محل جر على حذف حرف الجر، والتقدير من أن تقع أي من وقوعها. قوله: ﴿إلا بإذنه﴾ استثناء مفرغ من معنى قوله: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض﴾ والتقدير لا يتركها تقع في حال من الأحوال، إلا في حالة كونها ملتبسة بمشيئة الله تعالى. قوله: ﴿وهو الذي أحياكم﴾ أي أوجدكم من العدم لتسعدوا أو تشقوا، فكل من الإحياء الأول والثاني إما نعمة أو نقمة. قوله: ﴿ثم يحييكم﴾ [عند البعث] أي للثواب أو العقاب. قوله: ﴿إن الإنسان لكفور﴾ أي جحود لنعم خالقه.

قوله: ﴿لكل أمة﴾ أي أهل دين، فالمراد بالأمة من له ملة وشرع. قوله: [بفتح السين وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [شريعة] أي أحكام دين لكل أمة معينة من الأمم، بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى، فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى منسكهم التوراة، ومن مبعث عيسى إلى مبعث محمد ﷺ منسكهم الإنجيل، والأمة الموجودون عند مبعث النبي ﷺ ومن بعدهم إلى يوم القيامة منسكهم القرآن لا غيره، وحينئذ فقوله ﴿فلا ينازعنك في الأمر﴾ أي لا ينازعنك هؤلاء الأمم في أمر دينك زعماً منهم أن شريعتهم باقية لم تنسخ، فإن التوراة والإنجيل شريعتان لمن مضى من الأمم قبل بعث محمد، ومن وقت بعثته انتسخ كل شرع سوى شرعه ﷺ إذا علمت ذلك، فقول المفسر ﴿فلا ينازعنك في الأمر﴾ [أي أمر الذبيحة] الخ لا يسلم لأنه يقتضي أن يكون أكل الميتة من جملة المناسك والشرائع التي جعلها الله لبعض الأمم، ولا شك في بطلان ذلك، فكان المناسب له أن يفسر الآية بما فسرناها به.

قوله: ﴿وادع إلى ربك﴾ أي ادعهم أو ادع الناس عموماً. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أي فهو منسوخ بآية القتال، وهذا أحد قولين، وقيل إن الآية محكمة، وحينئذ فيكون المعنى: اترك جدالهم، وفوض الأمر إلى الله بقولك: الله أعلم بما تعملون، فيكون وعيداً لهم على أعمالهم، حيث داموا على الكفر، وهو لا ينافي قتالهم، لأن القتال يرفعه أحد أمرين: الإسلام أو الجزية، مع البقاء على الكفر. قوله: ﴿الله يحكم بينكم﴾ أي يقضي ويفصل. قوله: [الاستفهام فيه للتقرير] أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بالحكم. قوله: [أي علم ما ذكر] أي الموجود في السماء

ذلك﴾: أي ما ذكر ﴿في كتاب﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إن ذلك﴾: أي علم ما ذكر ﴿على الله يسير﴾ ٧٠: سهل ﴿ويعبدون﴾: أي المشركون ﴿من دون الله ما لم ينزل به﴾ هو الأصنام ﴿سلطاناً﴾: حجة ﴿وما ليس لهم به علم﴾: أنها آلهة ﴿وما للظالمين﴾ بالإشراك ﴿من نصير﴾ ٧١ يمنع عنهم عذاب الله ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾: من القرآن ﴿بينات﴾: ظاهرات حال ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾: أي الإنكار لها أي أثره من الكراهة والعبوس ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾: أي يقعون فيهم بالبطش ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾: أي بأكره إليكم من القرآن المتلو عليكم هو ﴿النار وعدها الله الذين كفروا﴾: بأن مصيرهم إليها ﴿وبئس المصير﴾ ٧٢ هي ﴿يا أيها الناس﴾: أي أهل مكة ﴿ضرب مثل فاستمعوا له﴾: وهو ﴿إن الذين تدعون﴾: تعبدون ﴿من دون الله﴾: أي غيره وهم الأصنام ﴿لن يخلقوا ذباباً﴾: اسم جنس واحده ذبابة يقع على المذكر والمؤنث ﴿ولو اجتمعوا له﴾: لخلقه ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾: مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخين به

قوله: [هو اللوح المحفوظ] هو من درة بيضاء فوق السماء السابعة معلق في الهواء، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب. قوله: ﴿سلطاناً﴾ أي من جهة الوحي.

قوله: ﴿وما ليس لهم به علم﴾ أي دليل عقلي. قوله: [حال] أي من آيات. قوله: ﴿في وجوه الذين كفروا﴾ وضع الظاهر موضع المضمر تبكيتاً عليهم. قوله: [أي الإنكار لها] أشار بذلك إلى أن المنكر مصدر ميمي على حذف مضاف. قوله: ﴿يكادون يسطون﴾ هذه الجملة حال، إما من الموصول أو من الوجوه، وضمن يسطون معنى يبطشون، فعداه بالباء، وإلا فهو متعد بعلى. قوله: ﴿النار﴾ قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن النار خبر لمحذوف، كأنه قيل: وما الأشر؟ فقيل: هو النار. قوله: ﴿وعدها الله الذين كفروا﴾ وعد يتعدى لمفعولين الهاء مفعول ثان مقدم، و﴿الذين كفروا﴾ مفعول أول مؤخر، نظير قوله تعالى ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم﴾ ويصح العكس، بأن يجعل الضمير هو المفعول الأول، و﴿الذين كفروا﴾ هو المفعول الثاني، وإليه يشير المفسر بقوله: [بأن مصيرهم إليها] حيث جعل الذين كفروا هو الموعود به، والنار هي الموعودة. والمعنى جعل الله الكفار طعاماً للنار وعدها بهم، والأول أنسب من جهة العربية، لأن المفعول الأول شرطه صلاحيته للأخذ، كأعطيت زيداً درهماً.

قوله: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾ هذه الآية مرتبطة بقوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ فالخطاب وإن كان لأهل مكة، إلا أن المراد به عموم من كان يعبد الأصنام، والمثل في اللغة مرادف للمثل والشبه والنظير، ثم صار حقيقة عرفية في ما شبه مضربه بمورده، كقولهم: الصيف ضيعت اللبن، وليس مراداً هنا، بل المراد به الأمر الغريب والقصة العجيبة، وإليه يشير المفسر في آخر العبارة بقوله: [هذا أمر مستغرب]. قوله: ﴿فاستمعوا له﴾ أي اصنعوا إليه لتعتبروا. قوله: [وهو] أي المثل المضروب. قوله: [واحده ذبابة] أي ويجمع على ذبان بالكسر كغربان، وذبان بالضم كقضبان، وأذبة كأغربة، مأخوذة من ذب إذا طرد، وآب إذا رجع لأنه يذب فيرجع، وهو أحرص الحيوانات وأجهلها؛ لأنه يرمي نفسه في المهلكات. ومدة عيشه أربعون يوماً، وأصل خلقته من العفونات، ثم يتوالد بعضه من بعض، يقع روثه على الشيء الأبيض فيرى أسود، وعلى الأسود فيرى أبيض. قوله: ﴿ولو اجتمعوا له﴾ الجملة حالية كأنه قال: انتفى خلقهم الذباب على كل حال، ولو في حال اجتماعهم.

قوله: ﴿وإن يسلبهم﴾ أي يأخذ ويختطف منهم. قوله: [مما عليهم من الطيب والزعفران] الخ، أي لأنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران، ورؤسها بالعسل، ويغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله، وكانوا

﴿لَا يَسْتَنقِذُوهُ﴾: لا يستردوه ﴿مِنْهُ﴾: لعجزهم فكيف يعبدون شركاء الله تعالى هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب مثل ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾: العابد ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾٧٣: المعبود ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾: عظموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾: عظمته إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾٧٤: غالب ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾: رسلاً نزل لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لمقالتهم ﴿بَصِيرٌ﴾٧٥: بمن يتخذه رسولاً كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أي ما قدموا وما خلفوا وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾٧٦ يا ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾: أي صلوا ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: وحدوه ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾٧٧: تفوزون بالبقاء في الجنة ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾: لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾: باستفراغ الطاقة

يحلونها باليواقيت واللآلىء وأنواع الجواهر، ويطيبونها بأنواع الطيب، فربما سقط شيء منها، فيأخذه طائر أو ذباب، فلا تقدر الآلهة على استرداده. قوله: [المتلطخون بها] المناسب أن يقول المتلطخين لأنه نعت سببي للطيب والزعفران. قوله: ﴿لا يستنقذوه﴾ أي لا يخلصون منه. قوله: [عبر عنه بضرب المثل] جواب عما يقال: إن الذي ضرب وبين ليس بمثل حقيقة، فكيف سماه مثلاً؟ فأجاب: بأن القصة العجيبة تسمى مثلاً تشبيهاً لها ببعض الأمثال في الغرابة.

قوله: ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ هذه الآية قيل غير مرتبطة بما قبلها، وعليه فيكون سبب نزولها كما قيل: أن رسول الله ﷺ كان جالساً وحوله أصحابه، وفي القوم مالك بن أبي الصيف من أحبار اليهود، فقال له رسول الله: ناشدتك الله، هل رأيت في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ فقال: نعم، فقال له رسول الله: وأنت حبر سمين، فضحك القوم، فالتفت مالك إلى عمر بن الخطاب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، وقيل سبب نزولها أنه اليهود قالوا: خلق الله السماوات يوم الأحد، والأرض يوم الأثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والأوراق والأشجار يوم الأربعاء، والشمس والقمر في يوم الخميس، وخلق آدم وحواء في يوم الجمعة، ثم استوى على ظهره، ووضع إحدى رجليه على الأخرى واستراح، فغضب رسول الله ﷺ، وقيل إنها من تتمة المثل، وعليه درج المفسر.

قوله: ﴿الله يصطفي﴾ أي يختار. قوله: ﴿من الملائكة رسلا﴾ إن قلت إن هذا يقتضي أن يكون الرسل بعض الملائكة لا كلهم وآية فاطر تقتضي أن الكل رسل. أجيب بأن التبعيض بالنسبة لإرسالهم لبنى آدم والجميع رسل بالنسبة لبعضهم بعضاً. قوله: ﴿ومن الناس﴾ [رسلاً] أشار بذلك إلى أن في الآية الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه. قوله: [نزل لما قال المشركون] القائل هو الوليد بن المغيرة، ووافقه على ذلك قومه. قوله: [كجبريل] الخ، مثل باثنين من الملائكة واثنين من الإنس. قوله: [ما قدموا] أي من الأعمال. قوله: [وما خلفوا] أي لم يعملوه بالفعل. قوله: [أو ما عملوا] أي بالفعل، وقوله: [وما هم عاملون] أي في المستقبل. قوله: ﴿ترجع الأمور﴾ أي تصير أمور الخلائق إليه تعالى، ويجازي كلا بعمله. قوله: [أي صلوا] أي وعبر عنها بالركوع والسجود، من باب تسمية الشيء باسم أشرف أجزائه. قوله: [كصلة الرحم ومكارم الأخلاق] أي وغيرهما من الخيرات الواجبة والمندوبة. قوله: ﴿لعلكم تفلحون﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، فالفلاح محقق لمن فعل هذه الأمور.

قوله: ﴿وجاهدوا في الله﴾ أي أعداءكم الظاهرية والباطنية، فالظاهرية فرق الضلال والكفر، ومجاهدتها معلومة، ويسمى الجهاد الأصغر، والباطنية النفس والهوى والشيطان، ومجاهدتها الامتناع من شهواتها شيئاً فشيئاً، ويسمى

فيه ونصب حقّ على المصدر ﴿هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ﴾ : اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ : أي ضيق بأن سهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ : منصوب بنزع الخافض الكاف ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ : عطف بيان ﴿هُوَ﴾ : أي الله ﴿سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ : أي قبل هذا الكتاب ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ : أي القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ : يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُوا﴾ : أنتم ﴿شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ : أن رسلهم بلغتهم ﴿فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾ : داوموا عليها ﴿وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ﴾ : ثقوا به ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ : ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ : هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ ٧٨ : أي الناصر لكم.

الجهاد الأكبر كما في الحديث، ووجه تسميته أكبر أن الأعداء الظاهرية، تحضر تارة وتغيب أخرى وتصالح، وإذا قتلها الشخص أو قتلته فهو في الجنة، بخلاف الأعداء الباطنية، فلا تغيب أصلاً، ولا يمكن الصلح معها، وإذا قتلت صاحبها وغلبته فهو في النار. قوله: ﴿حق جهاده﴾ من إضافة الصفة للموصوف، أي جهاداً حقاً. قوله: ﴿هو اجتباكم﴾ أي اصطفاكم وجعلكم أمة وسطاً.

قوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ المراد بالدين أصوله وفروعه، حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم، فمن ذلك قبول توبتهم إذا ندموا وأقلعوا، ولم يجعل توبتهم قتل أنفسهم، وإذا أذنب الشخص منهم ذنباً ستره الله ولم يفضحه في الدنيا، بأن يجده مكتوباً في جبهته أو على باب داره، كما كان فيمن قبلهم، وجعل النجاسة تزال بالماء دون قطع محلها وغير ذلك، إن قلت: كيف لا حرج في الدين، مع أن اليد تقطع بسرقة ربع دينار، والمحصن يرجم بزنا مرة ونحو ذلك؟ أجيب: بأن رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع، وأما السراق وأصحاب الحدود فقد انتهكوا حرمة الشرع، وانتقلوا من السهولة للصعوبة، لأن الله لم يحرم المال مطلقاً، ولا النكاح مطلقاً، بل أحل أشياء وحرم أشياء، فما جزاء من يتعدى الحدود إلا التشديد عليه. قوله: [بنزع الخافض الكاف] أي كلمة أبيكم، فالتشبيه في أصول الدين وفي سهولة الفروع.

قوله: ﴿هو سماكم المسلمين﴾ أشار المفسر إلى أن الضمير عائد على الله تعالى، وقيل الضمير عائد على إبراهيم. قوله: [أي قبل هذا الكتاب] أي في الكتب القديمة. قوله: ﴿وفي هذا﴾ أي بقوله: ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾. قوله: ﴿ليكون الرسول﴾ متعلق بسماكم واللام للعاقبة.

قوله: [داوموا عليها] أي بشروطها وأركانها. قوله: ﴿وآتوا الزكاة﴾ لمستحقها. قوله: [ثقوا] أي في جميع أموركم. قوله: ﴿هو﴾ قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف، وحذفه من الثاني لدلالة هذا عليه.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٢٣] - سورة المؤمنون

[مكية وهي مائة وثماني أو تسع عشرة آية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ﴾: للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾: فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾٢: متواضعون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾: من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ﴾٤: مؤدون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمنون مكية

وهي مائة وثمان أو تسع عشرة آية

[سورة] مبتدأ، و[المؤمنون] مضاف إليه مجرور بياء مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية، و[مكية] خبر وظاهره أن جميعها مكي، وقيل إلا ثلاث آيات وهي قوله: [ولو رحمناهم] إلى آخرها، فإنهن مدنيات. قوله: [وثمان] هذا قول الكوفيين، وقوله: [أو تسع عشرة آية] هو قول البصريين، وسبب هذا اختلافهم في قوله تعالى ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾ هل هو آية كما قاله البصريون، أو بعض آية كما قاله الكوفيون؟ قوله: ﴿قد﴾ [للتحقيق] أي لتحقيق ما يحصل في المستقبل، وتنزيله منزلة الواقع. قوله: [فاز] ﴿المؤمنون﴾ أي ظفروا بمقصودهم، ونجوا من كل مكروه، قال تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾، و﴿المؤمنون﴾ جمع مؤمن وهو المصدق بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، حلوه ومره. قوله: ﴿خاشعون﴾ أي ظاهراً وباطناً، فالخشوع الظاهري التمسك بآداب الصلاة، كعدم الالتفات والعبث وسبق الإمام ووضع اليد في الخاصرة وغير ذلك، والخشوع الباطني استحضار عظمة الله، وعدم التفكر بدنيوي. وقدم الصلاة، لأنها أعظم أركان الدين بعد الشهادتين.

قوله: ﴿والذين هم عن اللغو﴾ المراد به كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة في الدين أو الدنيا، كان قولاً أو فعلاً أو مكروهاً أو مباحاً، كالهزل واللعب وضياع الأوقات فيما لا يعني، والتغول في الشهوات وغير ذلك مما نهى الله

---

* أسباب نزول الآية ٢: أخرج الحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ فطأطأ رأسه. وأخرجه ابن مردويه بلفظ: كان يلتفت في الصلاة.

وأخرجه سعيد بن منصور عن ابن سيرين مرسلاً بلفظ: كان يقلب بصره، فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين مرسلاً: كان الصحابة يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة، فنزلت.

حَافِظُونَ﴾ ٥: عن الحرام ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾: أي من زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: أي السراري ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ ٦: في إتيانهن ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾: من الزوجات والسراري كالاستمناء بيده في إتيانهن ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ٧: المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾: جمعاً ومفرداً ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿رَاعُونَ﴾ ٨: حافظون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ﴾: جمعاً ومفرداً ﴿يُحَافِظُونَ﴾ ٩: يقيمونها في أوقاتها ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ١٠: لا غيرهم ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾: هو جنة أعلى الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ١١: في ذلك إشارة إلى المعاد ويناسبه ذكر المبتدأ بعده ﴿وَ﴾: الله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: آدم ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾: هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجته منه وهو خلاصته ﴿مِنْ

عنه، وبالجملة فينبغي للإنسان أن يرى ساعياً في حسنة لمعاده، أو درهم لمعاشه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. قوله: ﴿والذين هم للزكاة﴾ اعلم أن الزكاة تطلق على القدر المخرج، كربع العشر من النقدين، والعشر أو نصفه من الحرث، والشاة من الأربعين، وعلى المصدر الذي هو فعل الفاعل، فعلى الأول يكون معنى فاعلون مؤدون، لأن القدر المخرج لا معنى لفعله، وعلى الثاني ففاعلون على بابه. قوله: ﴿حافظون﴾ أي مانعون. قوله: [عن الحرام] أي عن كل ما لا يحل وطؤه بوجه من الوجوه. قوله: [أي من زوجاتهم] أشار بذلك إلى أن على بمعنى من.

قوله: ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ عبر بما دون من وإن كان المقام لها لأن الإناث ناقصات، ولا سيما الأرقاء فهن أشبه بالبهائم، في حل البيع والشراء. قوله: [أي السراري] جمع سرية بالضم، وهي في الأصل الأمة التي بوئت بيتاً، مأخوذة من السر، وهو الجماع أو الإخفاء لأن الإنسان كثيراً ما يسرها ويسترها عن حرمته، أو من السرور لأن مالكها يسر بها. قوله: ﴿فإنهم غير ملومين﴾ علة للاستثناء. قوله: [كالاستمناء باليد] أي فهو حرام عند مالك والشافعي وأبي حنيفة، وقال أحمد بن حنبل: يجوز بشروط ثلاثة: أن يخاف الزنا، وألا يجد مهر حرة أو ثمن أمة، وأن يفعله بيده، لا بيد أجنبي أو أجنبية. قوله: ﴿والذين هم لأماناتهم﴾ أي ما ائتمنوا عليه من حقوق الخالق، كالصلاة والصوم والحج وفعل المعروف والنهي عن المنكر وحقوق الخلق، كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وعوراتهم. قوله: [جمعاً ومفرداً] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وعهدهم﴾ مرادف للأمانات. قوله: [حافظون] أي غير مضيعين لها. قوله: ﴿يحافظون﴾ أي يحامون عليها بشروطها وأركانها وآدابها، ولكون الصلاة عماد الدين، وأعظم أركانه ابتدأ بها أوصاف المؤمنين وختمها بها. قوله: [لا غيرهم] أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل، ولأن الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر، وهو إضافي لا حقيقي لأنه ثبت أن الجنة يدخلها الأطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا على الإيمان بعد العفو لقوله تعالى ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ أو يقال: إن الحصر فيهم حقيقي بالنسبة للفردوس وباقي الجنان لمن لم يمت كافراً.

قوله: ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ عبر بالإرث دون الاستحقاق لأن الإرث ملك دائم. قوله: [ويناسبه ذكر المبدإ بعده] أشار بذلك إلى وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها، والمعنى أن الآية التي سبقت ذكر فيها المعاد وما يؤول إليه أمر من اتصف بتلك الصفات، وهذه الآية ذكر فيها بيان المبدإ، وحينئذ فبين الآيتين مناسبة، وهذا أتم مما قيل، إن هذه الآية جملة مستأنفة لا ارتباط لها بما قبلها.

قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ الخ، ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات من هنا إلى قوله: ﴿وعلى الفلك

---

* أسباب نزول الآية ١٤: أخرج ابن أبي حاتم عن عمر قال: وافقت ربي في أربع نزلت ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ الآية، فلما نزلت قلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين.

طين﴾ ١٢: متعلق بسلالة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾: أي الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾: منياً ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ ١٣: هو الرحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: دماً جامداً ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: لحماً قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾: وفي قراءة عظماً في الموضعين وخلقنا في المواضع الثلاث بمعنى صيرنا ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾: بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ ١٤: أي المقدرين ومميز أحسن محذوف للعلم به أي خلقاً ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ ١٥ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ ١٦: للحساب والجزاء ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ

تحملون﴾ أربعة أنواع من دلائل قدرته تعالى، الأول: تقلب الإنسان في أطوار خلقته وهي تسعة آخرها قوله: ﴿تبعثون﴾ الثاني: خلق السماوات. الثالث: إنزال الماء. الرابع: منافع الحيوانات. وذكر منها أربعة أنواع، واللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله: [والله]. قوله: ﴿من سلالة﴾ متعلق بخلقنا. قوله: [متعلق بسلالة] أي لأنه بمعنى مسلول. قوله: [أي الإنسان نسل آدم] أشار بذلك إلى أن الضمير يعود على الإنسان، لكن لا بالمعنى الأول، وحينئذ ففي الكلام استخدام، ويؤيده قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾. قوله: ﴿في قرار مكين﴾ أي في مقر متمكن. وصف بذلك لأنه محفوظ، لا يطرأ عليه اختلال مع كونه ضيقاً.

قوله: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ قيل كلها، وقيل جزء منها، والباقي يوضع نصفه في موضع تربته، والنصف الثاني يوضع في السماء، فإذا أراد الله إحياء الخلق من القبور، أمطرت السماء منياً، فتتلاقى النطف النازلة من السماء، بالنطف الباقية في الأرض، فتوجد الخلائق بينهما، وهذا هو حكمة قوله تعالى: ﴿كما بدأكم تعودون﴾. قوله: [وفي قراءة عظماً] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ أي من غير توان، والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها، إلى صفة لا يحيط بها وصف الواصفين. قوله: [بنفخ الروح فيه] هذا قول ابن عباس والشعبي والضحاك، وقيل الخلق الآخر هو خروجه إلى الدنيا، وقيل خروج أسنانه وشعره، وقيل كمال شبابه، والأتم أنه عام في هذا وغيره من النطق والإدراك وتحصيل المعقولات، وجميع الأمور التي اشتمل عليها بنو آدم، من الكمالات الحسية والمعنوية التي يشير لها قول بعض العارفين.

وتحسب أنك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر

قوله: ﴿فتبارك الله﴾ أي تعاظم وارتفع قدره. قوله: [المقدرين] أي المصورين، ودفع بذلك ما يقال: إن اسم التفضيل يقتضي المشاركة، مع أنه لا خالق غيره. فأجاب: بأن المراد بالخلق التقدير لا الإيجاد والإبداع، والتقدير حاصل من الحوادث. قوله: [للعلم به] أي من قوله الخالقين فإنه يدل عليه. قوله: ﴿بعد ذلك﴾ أي من الأمور العجيبة. قوله: ﴿يوم القيامة﴾ أي عند النفخة الثانية. إن قلت: ما حكمة اختلاف المتعاطفات بثم والفاء، لأنه ورد أن مدة كل طور أربعون يوماً، فإن نظر لآخر المدة وأولها، اقتضى أن يعطف بثم، وإن نظر لآخرها، اقتضى أن يعطف بالفاء؟ أجيب: بأنه التفاوت بين الأطوار منزلة التراخي والبعد الحسي، لأن حصول النطفة من التراب غريب جداً، وكذا جعلها دماً، بخلاف جعل الدم لحماً، فهو قريب لمشابهته في اللون أو الصورة، وكذا جعلها عظاماً، وأما جعلها خلقاً آخر فغريب، وكذا الموت والبعث، فظهر حكمة التعبير في كل موضع بما يناسبه.

قوله: ﴿ولقد خلقنا فوقكم﴾ المراد به جهة العلو، لأن كونها فوق، وإنما هو بعد خلق الخلق، وإلا فوقت خلق

طَرَائِقَ﴾: أي سبع سموات جمع طريقة لأنها طرق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾: تحتها ﴿غَافِلِينَ﴾ ١٧: أن تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها كآية ويمسك السماء أن تقع على الأرض ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءًۢ بِقَدَرٍ﴾: من كفايتهم ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ ١٨: فيموتون مع دوابهم عطشاً ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾: هما أكثر فواكه العرب ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ١٩: صيفاً وشتاء ﴿وَ﴾: أنشأنا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾: جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة ﴿تَنۢبُتُ﴾: من الرباعي والثلاثي ﴿بِٱلدُّهْنِ﴾: الباء زائدة على الأول ومعدية على الثاني وهي شجرة الزيتون ﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ ٢٠: عطف على الدهن أي إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً﴾: عظة تعتبرون بها ﴿نُّسْقِيكُم﴾: بفتح النون وضمها ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: أي اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾: من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ٢١ ﴿وَعَلَيْهَا﴾: أي الإبل ﴿وَعَلَى

السماوات لم يكونوا مخلوقين. قوله: [لأنها طرق الملائكة] أي في العروج والهبوط والطيران، وقيل معنى طرائق مطروقات، أي موضوعاً بعضها فوق بعض، فهو معنى طباقاً في الآية الأخرى. قوله: ﴿وأنزلنا من السماء﴾ الجار والمجرور متعلق بأنزلنا. قوله: ﴿بقدر﴾ أي تقدير يجلب منافعهم ودفع مضارهم، وقيل المعنى بقدر حاجاتهم، وإليه يشير المفسر.

قوله: ﴿فأسكناه في الأرض﴾ أي جعلناه ساكناً ثابتاً مستقراً في الأرض، بعضه على ظهرها، وبعضه في بطنها. قوله: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ الباء في ﴿به﴾ للتعدية، والمعنى وإنا لقادرون على إذهابه. روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار: سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل، أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة، من أسفل درجة من درجاتها، على جناحي جبريل، استودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس، فذلك قوله تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل، فرفع من الأرض القرآن والعلم كله، والحجر الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة فيرفع ذلك إلى السماء، فذلك قوله تعالى ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض، فقد أهلها خير الدنيا والدين. قوله: ﴿لكم فيها﴾ أي الجنات. قوله: ﴿ومنها﴾ أي من ثمر الجنات، كالرطب والعنب والتمر والزبيب وغير ذلك.

قوله: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾ المراد بها شجرة الزيتون، وخصت بسيناء لأن أصلها منه ثم نقلت، وهي أول شجرة نبتت في الأرض بعد الطوفان، وتبقى في الأرض كثيراً، حتى قيل إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة. قوله: ﴿سيناء﴾ قيل معناه المبارك أو الحسن الملتف بالأشجار، وهو الجبل الذي نودي عليه موسى. قوله: [منع الصرف للعلمية والتأنيث] أي وقيل للعلمية والعجمة، لأنه اسم أعجمي نطقت به العرب، فاختلفت فيه لغاتهم، فقالوا سيناء بكسر السين وفتحها، وسينين، فهو علم مركب كامرىء القيس ومنع من الصرف، وإن كان جزء علم، نظراً إلى أنه معمول معاملة العلم. قوله: [والتأنيث للبقعة] أي والهمزة فيه ليست للتأنيث بل للإلحاق بقرطاس، وهي منقلبة عن ياء أو واو، لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة. قوله: [من الرباعي والثلاثي] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ عبر في جانب الأنعام بالعبرة دون النبات لأن العبرة فيها أظهر. قوله: ﴿مما في بطونها﴾ عبر بلفظ الجمع هنا لأن المراد هنا العموم بدليل العطف بقوله: ﴿ولكم فيها منافع﴾ الخ، وذكر الضمير

﴿ٱلْفُلْكِ﴾: أي السفن ﴿تُحْمَلُونَ﴾ ٢٢ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ﴾: أطيعوه ووحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾: وهو اسم ما وما قبله الخبر ومن زائدة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٢٣: تخافون عقوبته بعبادتكم غيره ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ لأتباعهم ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ﴾: يتشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾: بأن يكون متبوعاً وأنتم أتباعه ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ﴾: أن لا يعبد غيره ﴿لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾: بذلك لا بشراً ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾: الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِي آبَائِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ٢٤: أي الأمم الماضية ﴿إِنْ هُوَ﴾: ما نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾: حالة جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ﴾: انتظروه ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ٢٥: إلى زمن موته ﴿قَالَ﴾: نوح ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي﴾: عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ ٢٦: أي بسبب تكذيبهم إياي بأن تهلكهم قال تعالى مجيباً دعاءه ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾: السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأى منا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾: أمرنا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: للخباز بالماء وكان

في النحل باعتبار البعض، فإن المراد خصوص الإناث، بدليل الاقتصار على اللبن. قوله: [أي الإبل] خصّها لأنها المحمول عليها غالباً، ويصح عوده على الأنعام، لأن منها ما يحمل عليه أيضاً كالبقر.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ شروع في ذكر خمس قصص غير قصة خلق آدم، فتكون ستاً: الأولى قصة نوح، الثانية قصة هود، الثالثة قصة القرون الآخرين، الرابعة قصة موسى وهارون، الخامسة قصة عيسى وأمه، والمقصود منه إطلاع الأمة المحمدية على أحوال من مضى، ليقتدوا بهم في الخصال، ويتباعدوا عن خصالهم المذمومة. ونوح لقبه واسمه قيل عبد الغفار، وقيل عبد الله، وقيل يشكر، وعاش من العمر ألف سنة وخمسين، لأنه أرسل على رأس الأربعين، ومكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، وهذا أحد أقوال تقدمت. قوله: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ بمنزلة التعليل لما قبله. قوله: [وهو اسم ما] أي قوله: ﴿إله﴾، وأما لفظ ﴿غيره﴾ فيصح فيه الرفع اتباعاً لمحل إله، والجر اتباعاً للفظه قراءتان. قوله: [وما قبله الخبر] أي وهو الجار والمجرور، وما مشى عليه المفسر، طريقة ضعيفة للنحاة، وهي جواز إعمال ما عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها، إذا كان الخبر ظرفاً، أو جاراً ومجروراً، والمشهور إهمالها حينئذ، فكان المناسب أن يقول: وهو مبتدأ مؤخر وما قبله الخبر. قوله: ﴿أفلا تتقون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أجهلتم فلا تتقون. قوله: ﴿فقال الملأ﴾ أي الأشراف. وحاصل ما ذكروه خمس مقالات: الأولى ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾. الثانية: ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾. الثالثة: ﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾. الرابعة ﴿إن هو إلا رجل به جنة﴾. الخامسة: ﴿فتربصوا به حتى حين﴾. ولكونها ظاهرة الفساد، لم يتعرض لردها. قوله: [بأن يكون متبوعاً] أي بادعاء الرسالة. قوله: [أن لا يعبد غيره] أشار بذلك إلى أن مفعول المشيئة محذوف. قوله: [بذلك] أي بأن لا يعبد غيره. قوله: [لا بشراً] أي لأن الملائكة لشدة سطوتهم وعلو شأنهم، ينقاد الخلق إليهم من غير شك، فلما لم يفعل ذلك، علمنا أنه ما أرسل رسولاً. قوله: [حالة جنون] أي ففعلة بالكسر للهيئة. قال ابن مالك: وفعلة لهيئة كجلسة. قوله: [إلى زمن موته] أي فكانوا يقولون لبعضهم: اصبروا فإنه إن كان نبياً حقاً، فالله ينصره ويقوي أمره، وإن كان كاذباً، فالله يخذله ويبطل أمره فنستريح منه، أو المراد بالحين، الزمان الذي تظهر فيه العواقب، فالمعنى انتظروا عاقبة أمره، فإن أفاق وإلا فاقتلوه.

قوله: ﴿قال رب انصرني﴾ أي قال ذلك بعد أن أيس من إيمانهم. قوله: ﴿أن اصنع الفلك﴾ ﴿أن﴾ مفسرة لوقوعها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه. قوله: ﴿بأعيننا﴾ حال من الضمير في اصنع، وجمع الأعين للمبالغة.

ذلك علامة لنوح ﴿فاسلك فيها﴾: أي ادخل في السفينة ﴿من كل زوجين﴾: أي ذكر وأنثى أي من كل أنواعهما ﴿اثنين﴾: ذكراً وأنثى وهو مفعول ومن متعلقة بأسلك وفي القصة أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة وفي قراءة: كل بالتنوين فزوجين مفعول واثنين تأكيد له ﴿وأهلك﴾: أي زوجته وأولاده ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾: بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم ثلاثة وفي سورة هود ومن آمن وما آمن معه إلا قليل قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كانوا في السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾: كفروا بترك إهلاكهم ﴿إنهم مغرقون﴾ ٢٧ ﴿فإذا استويت﴾: اعتدلت ﴿أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين﴾ ٢٨ الكافرين وإهلاكهم ﴿وقل﴾: عند نزولك من الفلك ﴿رب أنزلني منزلاً﴾: بضم الميم وفتح الزاي مصدراً واسم مكان وبفتح الميم وكسر الزاي مكان النزول ﴿مباركاً﴾: ذلك الإنزال أو المكان ﴿وأنت خير المنزلين﴾ ٢٩: ما ذكر ﴿إن في ذلك﴾: المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لآيات﴾: دلالات على قدرة الله تعالى ﴿وإن﴾: مخففة من الثقيلة واسمها ضمير

قوله: [بمرأى منا وحفظنا] أشار بذلك إلى أن في الآية مجازاً مرسلاً، لأن شأن من نظر إلى الشيء بعينيه حفظه، فأطلق اللازم وأريد الملزوم. قوله: ﴿ووحينا﴾ أي تعليمنا، فإن الله أرسل إليه جبريل، فعلمه صنعتها وصنعها في عامين وجعل طولها ثمانين ذراعاً، وعرضها خمسين، وارتفاعها ثلاثين، والذراع إلى المنكب، وهذا أشهر الروايات، وقيل غير ذلك، وقد تقدم في هود، وجعلها ثلاث طباق السفلى للسباع والهوام، والوسطى للدواب والأنعام، والعليا للإنس.

قوله: ﴿فإذا جاء أمرنا﴾ أي ابتداء ظهوره. قوله: ﴿وفار التنور﴾ عطف بيان لمجيء الأمر. روي أنه قيل لنوح عليه السلام: إذا فار الماء من التنور، فاركب أنت ومن معك، وكان تنور آدم عليه السلام من حجر تخبز فيه حواء، فصار إلى نوح، فلما نبع منه الماء، أخبرته امرأته فركبوا، واختلف في مكانه، فقيل كان بمسجد الكوفة، على يمين الداخل مما يلي باب كندة اليوم، وقيل كان في عين وردة من الشام. قوله: [علامة لنوح] أي على ركوب السفينة.

قوله: ﴿من كل زوجين﴾ أي غير البشر لما يأتي أنه أدخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين. قوله: [وغيرهما] أي من كل ما يلد أو يبيض، بخلاف ما يتولد من العفونات كالدود والبق، فلم يحمله فيها. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [بالتنوين] أي فحذف ما أضيف إليه كل، وعوض عنه التنوين. قوله: [أي زوجته] أي المؤمنة لأنه كان له زوجتان، إحداهما مؤمنة فأخذها معه في السفينة، والأخرى كافرة تركها، وهي أم ولده كنعان. قوله: [وهو زوجته] أي الكافرة. قوله: [بخلاف سام] أي وهو أبو العرب، وحام هو أبو السودان، ويافث هو أبو الترك. قوله: [ستة رجال] أي فالجملة اثنا عشر. قوله: [بترك إهلاكهم] متعلق بتخاطبني. قوله: ﴿إنهم مغرقون﴾ أي محكوم عليهم بالغرق. قوله: [وإهلاكهم] أي ونجانا من إهلاكهم.

قوله: ﴿وقل رب أنزلني﴾ الخ، العبرة بعموم اللفظ، فهذا الدعاء ينبغي قراءته لكل من نزل في محل يريد الإقامة فيه. قوله: [عند نزولك من الفلك] أي حين استوت على الجودي، وكان يوم عاشوراء، وابتداء ركوبه السفينة كان لعشر خلون من رجب، فكان مكثهم في السفينة ستة أشهر. قوله: [بضم الميم] أي فهما قراءتان سبعيتان، وظاهره أن الوجهين على قراءة ضم الميم وليس كذلك، بل كل من الوجهين يأتي على كل من القراءتين. قوله: ﴿مباركاً﴾ [ذلك

الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ ٣٠: مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾: قوماً ﴿آخَرِينَ﴾ ٣١ هم عاد ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾: هوداً ﴿أَنِ﴾: أي بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٣٢: عقابه فتؤمنون ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾: أي المصير إليها ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾: نعمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ ٣٣ ﴿وَ﴾: الله ﴿لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ﴾: فيه قسم وشرط والجواب لأولهما وهو مغن عن جواب الثاني ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾: أي إذا أطعتموه ﴿لَخَاسِرُونَ﴾ ٣٤: أي مغبونون ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ ٣٥: هو

الإنزال] تفسير للضمير في مباركاً، والوجهان لكلٍّ من الضم والفتح. قوله: ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ ﴿إن﴾ مخففة واللام فارقة، والمعنى وإننا كنا معاملين قوم نوح معاملة المختبر لننظر، هل يتبعونه ويتعظون بوعظه.

قوله: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أي من بعد قوم نوح. قوله: ﴿قرناً﴾ أي قوماً سموا بذلك، لأن بعضهم مقترن ببعض في الزمان. قوله: [هم عاد] اسم قبيلة أرسل إليها هود، وما ذكره المفسر من أن المراد بالقرن عاد، وبالرسول هود، هو ما عليه أكثر المفسرين، ويشهد له مجيء قصة هود، عقب قصة نوح في الأعراف وهود والشعراء. وخير ما فسرته بالوارد. ولا يشكل على هذا قوله في آخر القصة ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ الموهم أن القرن ثمود، وأن الرسول صالح، لأنه يقال: المراد بالصيحة صيحة الريح أو شدة صوته.

قوله: ﴿فأرسلنا فيهم﴾ أي في القرن، وإنما جعل القرن موضع الإرسال، ليدل على أنه لم يأت من مكان غير مكانهم. قوله: ﴿رسولاً منهم﴾ أي من جنسهم وقبيلتهم، لأن هوداً ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهم ينسبون لعاد، وتقدم ذلك في هود. قوله: [بأن] ﴿اعبدوا﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿أن﴾ مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه لأن أرسلنا بمعنى قلنا.

قوله: ﴿وقال الملأ﴾ عطف على ما قبله، وأتى بالواو إشارة إلى تباين الكلامين، بخلاف ما في الأعراف وهود، فإنه في جواب سؤال مقدر، ولذا تركت الواو. قوله: ﴿الذين كفروا﴾ وصف مخصص، لأن قومه بعضهم آمن وبعضهم كفر. قوله: ﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾ أي أعطيناهم ملكاً عظيماً، قال تعالى مذكراً لهم بهذه النعم على لسان نبيهم ﴿أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون﴾ قوله: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ هذه شبهة أولى تنتهي لقوله: ﴿لخاسرون﴾ والثانية إنكارهم البعث وتنتهي لقوله: ﴿بمبعوثين﴾ وأهمل الجواب عنهما لفسادهما وركاكتهما. قوله: ﴿ويشرب مما تشربون﴾ أي منه، فحذف العائد لاستكمال الشروط التي أشار إليها ابن مالك بقوله:

كذا الذي جُرَّ بما الموصول جَرّ ... كمُرَّ بالذي مررتَ فهو بَرّ

قوله: ﴿ولئن أطعتم﴾ اللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله: [والله] قوله: [والجواب لأولهما] أي على القاعدة التي ذكرها ابن مالك بقوله:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ما أخرت فهو ملتزم

ولا يصلح أن يكون جواباً للشرط لعدم وجود الفاء. قوله: ﴿أنكم إذا متم﴾ الخ، الكاف اسم أن، وخاسرون خبرها، واللام للابتداء زحلقت للخبر، و﴿إذا﴾ لتأكيد مضمون الشرط، ولذا قال المفسر [إذا أطعتموه]. قوله: ﴿أيعدكم﴾ استفهام لتقرير ما قبله. قوله: ﴿أنكم مخرجون﴾ أي من القبور، أو من العدم إلى الوجود تارة أخرى.

خبر أنكم الأولى وأنكم الثانية تأكيد لها لما طال الفصل ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾: اسم فعل ماض بمعنى مصدر أي بَعُدَ بَعُدَ ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ ٣٦: من الإخراج من القبور واللام زائدة للبيان ﴿إِنْ هِيَ﴾: أي ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: بحياة أبنائنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٣٧ إِنْ هُوَ﴾: أي ما الرسول ﴿إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ٣٨: مصدقين بالبعث بعد الموت ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾: من الزمان وما زائدة ﴿لَيُصْبِحُنَّ﴾: ليصيرن ﴿نَادِمِينَ﴾ ٤٠: على كفرهم وتكذيبهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿بِالْحَقِّ﴾: فماتوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾: وهو نبت يبس أي صيرناهم مثله في اليبس ﴿فَبُعْدًا﴾: من الرحمة ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ٤١: المكذبين ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾: أقواماً ﴿آخَرِينَ ٤٢ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: بأن تموت قبله ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ ٤٣: عنه ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾:

قوله: [تأكيد لها] أي تأكيد لفظي. قوله: [اسم فعل ماض] اختلف في اسم الفعل، فقيل معناه لفظ الفعل، وعليه فهو مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، والثاني توكيد له، واللام زائدة، وما اسم موصول فاعله، و﴿توعدون﴾ صلته أو اللام للبيان والفاعل مستتر فيه، والمعنى بعد وقوع خروجنا من القبور، وقيل معناه المصدر، وعليه فهو مبتدأ في محل رفع، والثاني توكيد له، و﴿لما توعدون﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، فاللام ليست زائدة، إذا علمت ذلك، فكلام المفسر رضي الله عنه في غاية الإجمال لأن قوله: [اسم فعل ماض] أحد قولين، وقوله: [بمعنى مصدر] هو القول الثاني. قوله: [أي بعد بعد] يصح أن يقرأ بلفظ الفعل، فيكون تفسيراً للفعل الماضي أو بلفظ المصدر، فيكون تفسيراً للمصدر، وقوله: [واللام زائدة] ظاهره على كل من القولين، وليس كذلك، بل هي زائدة على كون المراد به لفظ الفعل، والموصول فاعل، لا على كونها للبيان، ولا على كونه مصدراً، وقوله: [للبيان] هذا قول ثان، فكان المناسب أن يأتي بأو، وترك التفريع على المصدر، وتقدم أنها ليست زائدة، بل متعلقة بمحذوف خبر، وفي هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين، والمشهور منها ستة عشر وهي ﴿هيهاتَ﴾ بفتح التاء وضمها وكسرها، وفي كل مع التنوين وبدونه، و﴿هيهاتْ﴾ بإسكان التاء أو إبدالها هاء ساكنة، وفي كل من الثمان، إما بالهاء أولاً، أو إبدالها همزة، وقرئ بالجميع، لكن المتواتر القراءة الأولى، وهي الفتح من غير تنوين. قوله: [أي ما الحياة] أشار بذلك إلى أن ﴿إن﴾ نافية، والضمير عائد على الحياة. قوله: [بحياة أبنائنا] جواب عما يقال: إن في قولهم ﴿ونحيا﴾ اعترافاً بالبعث، مع كونهم منكرين له. فأجاب: بأن المراد وتحيا أبناؤنا بعد موتنا.

قوله: ﴿بما كذبون﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي. قوله: [صيحة العذاب والهلاك] جواب عما يقال: إن الصيحة كانت عذاب قوم صالح لا قوم هود. قوله: [كائنة] ﴿بالحق﴾ أي العدل فيهم وأشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الصيحة. قوله: ﴿غثاء﴾ مفعول ثان لجعلنا. قوله: [وهو نبت يبس] الأوضح أن يقول: وهو العشب إذا يبس. قوله: ﴿فبعداً للقوم الظالمين﴾ بعداً مصدر بدل من لفظ الفعل، والأصل بعدوا بعداً، واللام إما متعلقة بمحذوف للبيان أو ببعداً، وهو إخبار أو دعاء عليهم.

قوله: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أي من بعد قوم هود ونوح، وقوله: ﴿قروناً آخرين﴾ أي كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب. قوله: ﴿من أمة﴾ أي جماعة. قوله: ﴿وما يستأخرون﴾ أي لا يتأخرون عنه، والمقصود من هذه الآية، التقريع والتخويف لأهل مكة كأنه قال: لا تغتروا بطول الأمل، فإن للظالم وقتاً يؤخذ فيه، لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه. قوله: [بعد تأنيثه] أي في قوله: ﴿أجلها﴾ الراجع إلى ﴿أمة﴾. وقوله: [رعاية للمعنى] أي لأن أمة بمعنى قوم. ﴿تترا﴾

بالتنوين وعدمه أي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل ﴿كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو ﴿رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً﴾: في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٤٤ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ٤٥: حجة بينة وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن الإيمان بها وبالله ﴿وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ﴾ ٤٦: قاهرين بني إسرائيل بالظلم ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ ٤٧: مطيعون خاضعون ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ ٤٨ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: أي قومه بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ ٤٩: به من الضلالة وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ﴾: عيسى ﴿وَأُمَّهُ آيَةً﴾: لم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة ولادته من غير بعل ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: مكان مرتفع وهو بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين أقوال ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: أي مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ٥٠: أي ماء جارٍ ظاهر تراه العيون ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الحلالات

التاء مبدلة من واو وأصله وترًا، وهو مصدر على التحقيق، ومعناه المتابعة مع مهلة، وقيل المتابعة مطلقاً، وإن لم تكن مهلة، ولكن الآية تفسر بالأول لأنه الواقع. قوله: [التنوين وعدمه] أي فهما قراءتان سبعيتان، فمن نون قال: إن ألفه للإلحاق بجعفر كعلقى، فلما نون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين، ومن لم ينون قال: إن ألفه للتأنيث كدعوى. قوله: [وتسهيل الثانية] الخ أي فينطق بها متوسطة بين الهمزة والواو، وهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ جمع أحدوثة كأعجوبة وأضحوكة ما يتحدث به تعجباً وتسلياً، ولا يقال ذلك إلا في الشر، ولا يقال في الخير. قوله: ﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾ بعداً منصوب بمحذوف، أي بعدوا عن رحمتنا بعداً لا يزول. قوله: ﴿بآياتنا﴾ أي التسع وهي: العصا واليد والسنون المجدبة والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. قوله: ﴿وسلطان مبين﴾ عطف مرادف، إشارة إلى أن المعجزات كما تسمى بالآيات تسمى بالسلطان أيضاً. قوله: [وغيرهما] أي من باقي التسع. قوله: ﴿لبشرين مثلنا﴾ أفرد مثل، لأنه يجري مجرى المصادر في الإفراد والتذكير، ولا يؤنث أصلاً. قوله: ﴿وقومهما لنا عابدون﴾ الجملة حالية. قوله: [فكانوا من المهلكين] أي من جملة من هلك. قوله: [أي قومه بني إسرائيل] أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿لعلهم﴾ راجع لقوم موسى لا لفرعون وقومه، لأن التوراة إنما جاءته بعد هلاك فرعون وقومه. [جملة واحدة] إما راجع لقوله: [وأوتيها] أو راجع لهلاك فرعون وقومه. قوله: [لأن الآية فيهما واحدة] أي لأن ولادته من غير أب أمر خارق للعادة، فيصح نسبته لها وله.

قوله: ﴿وآويناهما إلى ربوة﴾ سبب ذلك، أن ملك ذلك الزمان كان أراد أن يقتل عيسى، فهربت به أمه إلى تلك الربوة ومكثت بها اثنتي عشرة سنة، حتى هلك ذلك الملك. قوله: [وهو بيت المقدس] هو أعلى مكان من الأرض، لأنه يزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلاً، فهو أقرب البقاع إلى السماء. قوله: ﴿ومعين﴾ اسم مفعول من عان يعين فهو معين، وأصله معيون كمبيوع، استثقلت الضمة على الياء حذفت فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقاء الساكنين، وكسرت العين لتصح الياء.

قوله: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ خطاب لجميع الرسل على وجه الإجمال، فليس المراد أنهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة، بل المراد خوطب كل رسول في زمانه بذلك، بأن قيل مثلاً لكل رسول: كل من الطيبات واعمل صالحاً، إني بما تعمل عليم، وحكمة خطاب النبي بها على سبيل الإجمال، التشنيع على رهبانية النصارى، حيث

﴿وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾: من فرض ونفل ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ⁵¹: فأجازيكم عليه ﴿وَ﴾: اعلموا ﴿إِنَّ هَٰذِهِ﴾: أي ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾: دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: حال لازمة وفي قراءة بتخفيف النون وفي أخرى بكسرها مشددة استئنافاً ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ⁵²: فاحذرون ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾: أي الأتباع ﴿أَمْرَهُمْ﴾: دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُراً﴾: حال من فاعل تقطعوا أي أحزاباً متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: أي عندهم من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾ ⁵³: مسرورون ﴿فَذَرْهُمْ﴾: أي اترك كفار مكة ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: ضلالتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ⁵⁴: أي حين موتهم ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ﴾: نعطيهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ ⁵⁵: في الدنيا ﴿نُسَارِعُ﴾: نعجل ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: لا ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ⁵⁶: أن ذلك استدراج لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾: خوفهم منه ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ ⁵⁷: خائفون من عذابه ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ⁵⁸: يصدقون ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ ⁵⁹: معه غيره ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾: يعطون ﴿مَا آتَوا﴾: أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: خائفة أن لا تقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾: يقدر قبله لام

يزعمون أن ترك المستلذات مقرب إلى الله، فرد الله عليهم بأن المدار على أكل الحلال وفعل الطاعات. قوله: [الحلالات] أي مستلذات أم لا.

قوله: ﴿واعملوا صالحاً﴾ أي شكراً على تلك النعم، لتزدادوا بها قرباً من ربكم. قوله: [فأجازيكم عليه] أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فالآية فيها ترغيب وترهيب. قوله: ﴿و﴾ [اعلموا] ﴿أن هذه أمتكم﴾ قدر المفسر لفظ [اعلموا] إشارة إلى أن ﴿أن﴾ بفتح الهمزة معمولة لمحذوف و﴿هذه﴾ اسمها، و﴿أمتكم﴾ خبرها، وأمة حال، وواحدة صفة له. قوله: [دينكم] أشار بذلك إلى أن المراد بالأمة الدين، والمراد به العقائد لأنها هي التي اتحدت في جميع الشرائع، وأما الأحكام الفرعية، فقد اختلفت باختلاف الشرائع. قوله: [وفي قراءة بتخفيف النون] أي والهمزة مفتوحة، والعامل مقدر كما في المشددة، واسمها ضمير الشأن، و﴿هذه أمتكم﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر ﴿أن﴾. قوله: [استئنافاً] أي فهو إخبار من الله، بأن جميع الشرائع متفقة الأصول، والقراءات الثلاث سبعيات. قوله: ﴿فاتقون﴾ أي افعلوا ما أمرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه.

قوله: ﴿فتقطعوا أمرهم﴾ أي جعلوا دينهم مفرقاً، فلذلك صاروا فرقاً مختلفة، كاليهود والنصارى والمجوس، وغير ذلك من الأديان الباطلة. قوله: ﴿زبراً﴾ جمع زبور بمعنى فريق. قوله: ﴿فرحون﴾ أي لاعتقادهم أنهم على الحق. قوله: ﴿فذرهم﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، والضمير لكفار مكة، كما أشار لذلك المفسر، وهو تسلية له. قوله: ﴿في غمرتهم﴾ مفعول ثان لذرهم، أي مستقرين فيها، والغمرة في الأصل الماء الذي يغمر القامة، ثم استعير ذلك للجهالة، والغمر بالضم يقال لمن لم يجرب الأمور، والغمر بالكسر الحقد. قوله: ﴿ومن مال وبنين﴾ بيان لما. قوله: ﴿بل لا يشعرون﴾ إضراب انتقالي، أي لا يعلمون أن توسعة الدنيا ليست ناشئة عن الرضا عليهم، بل استدراج لهم، قال تعالى ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾.

قوله: ﴿إن الذين هم﴾ ﴿الذين﴾ اسم ﴿إن﴾، و﴿هم﴾ مبتدأ، و﴿مشفقون﴾ خبره و﴿من خشية ربهم﴾ متعلق بمشفقون، وكذا يقال فيما بعده. قوله: ﴿مشفقون﴾ الإشفاق الخوف مع زيادة التعظيم، فهو أعلى من الخشية، وهذه الأوصاف متلازمة من اتصف بواحد منها لزم من الاتصاف بالباقي. قوله: [القرآن] أي وغيره من باقي الكتب السماوية. قوله: [يعطون] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يؤتون﴾ من الإيتاء وهو الاعطاء. قوله: ﴿وقلوبهم وجلة﴾

الجر ﴿إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ٦٠ ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ ٦١: في علم الله ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أي طاقتها فمن لم يستطع أن يصلي قائماً فليصلِّ جالساً ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل ﴿وَلَدَيْنَا﴾: أي عندنا ﴿كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾: بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال ﴿وَهُمْ﴾: أي النفوس العاملة ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ ٦٢: شيئاً منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يزاد في السيئات ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي الكفار ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: جهالة ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾: القرآن ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾: المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ ٦٣: فيعذبون عليها ﴿حَتَّىٰ﴾: ابتدائية ﴿إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾: أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾: أي السيف يوم بدر ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ ٦٤: يضجون يقال لهم: ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ ٦٥: لا تمنعون ﴿قَدْ

الجملة حالية من فاعل ﴿يؤتون﴾ أي والحال أن قلوبهم خائفة من عدم قبول أعمالهم الصالحة، لما قام بقلوبهم من جلال الله وهيبته وعزته واستغنائه، ولذا ورد عن أبي بكر الصديق أنه قال: لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي داخل الجنة والأخرى خارجها، وكان كثير البكاء من خشية الله، حتى أثرت الدموع في خديه. قوله: [يقدر قبله لام الجر] أي فيكون تعليلاً لقوله: ﴿وجلة﴾.

قوله: ﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ هذه الجملة خبر عن قوله: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم﴾ وما عطف عليه، فاسم ﴿إن﴾ أربع موصولات، وخبرها جملة ﴿أولئك﴾ الخ. قوله: ﴿وهم لها سابقون﴾ الضمير قيل للخيرات وقيل للجنة وقيل للسعادة، وقوله: [في علم الله] أي كتبوا سابقين في علم الله، فظهر فيهم مقتضى سابقية العلم. قوله: ﴿ولا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي تفضلاً منه سبحانه وتعالى، وإلا فلا يسأل عما يفعل، وأتى بهذه الآية عقب أوصاف المؤمنين، إشارة إلى أن تلك الأوصاف في طاقة الإنسان، وكذا جميع التكاليف التي افترضها الله على عباده فعلاً أو تركاً، وهذا لمن وفقه الله وكشف عنه الحجب، وأما المحجوب فيرى التكاليف ثقيلة يشق عليه تعاطيها. قال بعض العارفين:

إذا رفع الحجاب فلا ملاله ... لتكليف الإله ولا مشقه

قوله: [عندنا] أي عندية رتبة ومكانة واختصاص. قوله: ﴿ينطق بالحق﴾ أي يبين أعمال العباد خيرها وشرها. قوله: [بما عملته] الضمير عائد على النفس المتقدم ذكرها. قوله: ﴿وهم لا يظلمون﴾ الجمع باعتبار العموم المستفاد من لفظ نفس لأنه نكرة في سياق النفي. قوله: [فلا ينقص من ثواب أعمال الخير] أي لأن الأعمال كلها والجزاء عليها مثبتة في اللوح المحفوظ، وهو مطابق لما في علم الله. قوله: ﴿بل قلوبهم﴾ رجوع لأحوال الكفار. قوله: ﴿ولهم أعمال﴾ أي سيئة. قوله: ﴿من دون ذلك﴾ أي غير ما ذكر للمؤمنين. والمعنى أن الكفار لهم أعمال مضادة ومخالفة لأوصاف المؤمنين المتقدمة. قوله: ﴿هم لها عاملون﴾ أي مستمرون عليها. قوله: [ابتدائية] أي تبتدأ بعدها الجمل. قوله: ﴿إذا أخذنا مترفيهم﴾ ﴿إذا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه و﴿إذا﴾ الثانية للمفاجأة قائمة مقام الفاء. قال ابن مالك:

وتخلف الفاء إذا المفاجأة ... كإن تجد إذا لنا مكافأة

قوله: [أغنياءهم ورؤساءهم] أي كأبي جهل وأضرابه من صناديدهم. قوله: ﴿يجأرون﴾ أي يصرخون ويبتهلون، أو يستغيثون ويلتجئون في كشف العذاب عنهم، ومع ذلك فلا ينفعهم. قوله: [يقال لهم] الأقرب أن ذلك عند قبض أرواحهم، حين تأتيهم الملائكة بالمطارق، من نار يضربون بها وجوههم وأدبارهم، وقيل إنه يوم القيامة حين

كَانَتْ آيَاتِي﴾: من القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾[٦٦]: ترجعون قهقرى ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾: عن الإيمان ﴿بِهِ﴾: أي بالبيت أو الحرم بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿سَامِرًا﴾: حال أي جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾[٦٧]: من الثلاثي تتركون القرآن ومن الرباعي أي تقولون غير الحق في النبي والقرآن قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا﴾: أصله يتدبروا فأدغمت التاء في الدال ﴿الْقَوْلَ﴾: أي القرآن الدال على صدق النبي ﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ[٦٨] أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ[٦٩] أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾: الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ومجيء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾: للانتقال ﴿جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾: أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ[٧٠] وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾: أي القرآن ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله تعالى عن ذلك ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾: أي خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾: أي بالقرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ[٧١] أَمْ

يعذبون في النار. قوله: ﴿قد كانت آياتي﴾ الخ، تعليل لما قبله. قوله: ﴿تنكصون﴾ من باب جلس ودخل، فهو بكسر الكاف وضمها. قوله: [ترجعون قهقري] أي إلى جهة الخلف، وهو كناية عن إعراضهم عن الإيمان. قوله: ﴿به﴾ الجار والمجرور إما متعلق بمستكبرين أو بسامراً، وأشار المفسر إلى أن الضمير إما عائد على البيت أو الحرم. قوله: ﴿سامراً﴾ من السمر وهو الحديث ليلاً. قوله: [حال] المناسب للمفسر أن يقول أحوال، ويؤخره عن قوله: ﴿تهجرون﴾ لأن الأحوال ثلاثة ﴿مستكبرين﴾ و﴿سامراً﴾، و﴿تهجرون﴾. قوله: [أي جماعة] أشار بذلك إلى أن ﴿سامراً﴾ اسم جمع واحده سامر. قوله: [من الثلاثي] أي مأخوذ من الهجران وهو الترك، أو من هجر هجراً بالتحريك هذي وتكلم بما لا يعقله. قوله: [ومن الرباعي] أي مأخوذ من الأهجار، وهو الفحش في الكلام.

قوله: ﴿أفلم يدبروا القول﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أعموا فلم يدبروا، وهذا شروع في بيان إقدامهم على هذه الضلالات، لا بد أن يكون لأحد امور أربعة أحدها أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو القرآن المعجز، مع أنهم تأملوا وظهرت لهم حقيقته. ثانيها أن يعتقدوا أن بعثة الرسول أمر غريب، لم تسمع ولم ترد عن الأمم السابقة، وليس كذلك لأنهم عرفوا أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم. ثالثها أن لا يكونوا عالمين بأمانته وصدقه قبل ادعاء النبوة، وليس كذلك، بل سبقت لهم معرفة كونه في غاية الأمانة والصدق. رابعها أن يعتقدوا فيه الجنون، وليس كذلك، لأنهم كانوا يعلمون أنه أعقل الناس. وسيأتي خامس في قوله: ﴿أم تسألهم خرجاً﴾ وأم في المواضع الأربعة مقدرة ببل الانتقالية، وهمزة الاستفهام التقريري، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه. قوله: [من صدق النبي] الخ، بيان للحق على طبق الآية، على سبيل اللف والنشر المرتب.

قوله: ﴿وأكثرهم للحق﴾ أي القرآن وغيره فهو أعم من الحق الأول، ولذا أظهر في مقام الأضمار وأشار بقوله: ﴿وأكثرهم﴾ إلى أن الأقل لم يدم على كراهة الحق، بل رجع عن كفره وآمن. قوله: [عادة] المناسب أن يقول عقلاً، لأن وجود الشريك يقضي بفساد العالم عقلاً لا عادة. قوله: ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ اضراب انتقال، والمعنى كيف

---

* أسباب نزول الآية ٦٧: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تسمر حول البيت ولا تطوف به ويفتخرون به فأنزل الله ﴿مستكبرين به سامراً تهجرون﴾.

تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً﴾: أجراً على ما جئتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾: أجره وثوابه ورزقه ﴿خَيْرٌ﴾: وفي قراءة خرجاً في الموضعين وفي قراءة أخرى خراجاً فيهما ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ﴾ ٧٢: أفضل من أعطى وآجر ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٧٣: أي دين الإسلام ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾: بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ ٱلصِّرَاطِ﴾: أي الطريق ﴿لَنَاكِبُونَ﴾ ٧٤: عادلون ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾: أي جوع أصابهم بمكة سبع سنين ﴿لَّلَجُّوا﴾: تمادوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ ٧٥: يترددون ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِٱلْعَذَابِ﴾: الجوع ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا﴾: تواضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ٧٦: يرغبون إلى الله بالدعاء ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً ذَا﴾: صاحب ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: هو يوم بدر بالقتل ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ

يكرهون الحق، مع أن القرآن أتاهم بتشريفهم وتعظيمهم؟ فاللائق بهم الانقياد له وتعظيمه، والعامة على قصر ﴿أتيناهم﴾ وقرئ بالمد بمعنى أعطينا، وحينئذ فالباء إما زائدة وذكرهم مفعول ثان، أو المفعول محذوف، وقرئ بالقصر مع تاء المتكلم أو تاء المخاطب. قوله: ﴿بذكرهم﴾ هكذا قرأ العامة، وقرئ شذوذاً بذكراهم بألف التأنيث، ونذكرهم بنون العظمة. قوله: ﴿أم تسألهم خرجاً﴾ راجع لقوله: ﴿أم يقولون به جنة﴾ وما بينهما اعتراض. قوله: ﴿فخراج ربك خير﴾ تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار. قوله: [أجره وثوابه] أي في الآخرة. قوله: [ورزقه] أي في الدنيا، فهذه الأمور كالخراج من حيث إن الله تفضل بها لعبيده فلا يتركها أبداً. قوله: [وفي قراءة خرجاً في الموضعين﴾ الخ، أي فالقراءات الثلاث سبعيات، لكن الأولى أبلغ، من حيث إنه عبر في حق الله بالخراج المفيد للتكرار، وفي حق العبيد بالخراج المفيد عدم التكرار، والمماثلة في القراءتين الباقيتين للمشاكلة. قوله: [وأجر] بالقصر من باب ضرب ونصر، وبالمد أي أثاب. قوله: ﴿عن الصراط﴾ متعلق بناكبون. قوله: [عادلون] أي زائغون ومنحرفون.

قوله: ﴿ولو رحمناهم﴾ الخ قال الأشياخ: الأظهر أن هذه الآية واللتين بعدها إلى ﴿مبلسون﴾ مدنيات؛ وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، دعا على أهل مكة بقوله: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف» فقحطوا حتى أكلوا العلهز، وهو بعين مكسورة ولام ساكنة وهاء وزاي معجمة، شيء كانوا يتخذونه من الدم ووبر الإبل في سني المجاعة، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: أنشدك الله والرحم، ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع. فنزلت الآية. قوله: ﴿للجوا﴾ اللجاج التمادي والاستمرار على العناد في تعاطي الفعل المنهي عنه.

قوله: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ تأكيد لما قبله. قوله: ﴿فما استكانوا﴾ أصله استكونوا، نقلت حركت الواو إلى ما قبلها، فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، والمعنى لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله في الماضي. ولم يحصل منهم التجاء إلى الله في المستقبل. قوله: [ابتدائية] أي تبتدأ بعدها الجمل. قوله: ﴿إذا فتحنا عليهم﴾

---

* أسباب نزول الآية ٧٦: وأخرج النسائي والحاكم عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك بالله والرحم قد أكلنا العلهز، يعني الوبر والدم، فأنزل الله ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾. وأخرج البيهقي في الدلائل بلفظ: أن ابن إياز الحنفي لما أتي به النبي ﷺ وهو أسير خلي سبيله وأسلم فلحق بمكة ثم رجع فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قال: بلى، قال: فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فنزلت.

﴿مُبْلِسُونَ﴾ ٧٧: آيسون من كل خير ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَ﴾: خلق لكم ﴿ٱلسَّمْعَ﴾: بمعنى الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ﴾: القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا﴾: تأكيد للقلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾ ٧٨ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾: خلقكم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٧٩: تبعثون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِي﴾: بنفخ الروح في المضغة ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَافُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: بالسواد والبياض والزيادة والنقصان ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٨٠: صنعه تعالى فتعتبرون ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ ٨١ ﴿قَالُوٓا﴾: أي الأولون ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ٨٢: لا وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾: أي البعث بعد الموت ﴿مِن قَبْلُ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ٨٣: كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم ﴿قُل﴾: لهم ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾: من الخلق ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٤: خالقها ومالكها ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ﴾: لهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٨٥: بإدغام التاء الثانية في الذال تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الأحياء بعد الموت ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ٨٦: الكرسي ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٨٧:

﴿إذا﴾ شرطية، و﴿إذا﴾ الثانية رابطة للجواب، قائمة مقام الفاء. قوله: [آيسون] أي فالإبلاس اليأس، ومنه إبليس ليأسه من رحمة الله.

قوله: ﴿وهو الذي أنشأ لكم﴾ الخ، خطاب للخلق عموماً، قصد به تذكير النعم للمؤمنين، والتوبيخ للكافرين، حيث لم يصرفوا النعم في مصارفها، لأن السمع خلق ليسمع به ما يرشد، والبصر ليشاهد به الآيات الدالة على كمال أوصاف الله، والقلوب بمعنى العقول ليتأمل بها في مصنوعات الله، فمن لم يصرف تلك النعم في مصارفها، فهو بمنزلة عادمها، قال تعالى ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا افئدتهم من شيء﴾ وأفرد السمع وجمع الإبصار. قوله: [تأكيد للقلة] أي لفظ تأكيد للقلة المستفادة من التنكير، والمعنى شكراً قليلاً، وهو كناية عن عدمه. قوله: [تبعثون] أي تحيون بعد الموت قوله: ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ أي خلقاً وإيجاداً. قوله: [بالسواد والبياض] لف ونشر مرتب. قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، أي اغفلتم فلا تعقلون أن القادر على إنشاء الخلق قادر على إعادتهم بعد الموت؟

قوله: ﴿بل قالوا﴾ أي كفار مكة. قوله: ﴿مثل ما قال الأولون﴾ أي من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم. قوله: [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: [وادخال الف بينهما] أي وترك الإدخال، فالقراءات أربع سبعيات في الثاني، وثلاث في الأول بترك الإدخال بين المحققتين. قوله: ﴿لقد وعدنا﴾ وعد فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل هو الضمير المتصل و﴿نحن﴾ توكيد له، و﴿آباؤنا﴾ معطوف على الضمير المتصل، فهو نائب فاعل أيضاً، و﴿هذا﴾ مفعول ثان لوعد، ونائب الفاعل مفعول أول، والأصل وعدنا الآن محمد بالبعث، ووعد غيره آباءنا من قبلنا به، وقدم المرفوع الذي هو نائب الفاعل هنا، وعكس في النمل تفنناً وإشارة إلى أن يجوز الأمران. قوله: ﴿قل﴾ [لهم] أي لأهل مكة المنكرين للبعث. قوله: [من الخلق] أي المخلوقات عقلاء وغيرهم. قوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ شرط حذف جوابه والتقدير فأخبروني بخالقهما.

قوله: ﴿سيقولون لله﴾ إخبار من الله بما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه. قوله: [بإدغام التاء] أي بعد قلبها دالاً فذالاً وتسكينها. قوله: [الكرسي] المناسب إبقاؤه على ظاهره، فإن العرش على التحقيق غير الكرسي. قوله: [والتاء

تحذرون عبادة غيره ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾: مُلك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾: والتاء للمبالغة ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: يحمي ولا يحمى عليه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٨ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: وفي قراءة «للهِ» بلام الجر في الموضعين نظراً إلى أن المعنى من له ما ذكر ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ ٨٩: تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده أي كيف تخيل لكم أنه باطل ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾: بالصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ٩٠: في نفيه وهو ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا﴾: أي لو كان معه إله ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾: أي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: مغالبة كفعل ملوك الدنيا ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾: تنزيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٩١ به مما ذكر ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: ما غاب وما شوهد بالجر صفة والرفع خبر هو مقدر ﴿فَتَعَالَىٰ﴾: تعظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٩٢ معه ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا﴾: فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ ٩٣ من العذاب هو صادق بالقتل ببدر ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ٩٤: فأهلك بإهلاكهم ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ ٩٥ ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي

للمبالغة] أي وكذا الواو، فهما زائدتان، كزيادتهما في الرحموت والرهبوت من الرهبة والرحمة. قوله: [يحمي ولا يحمى عليه] الأول بفتح الياء كيرمي والثاني بضمها. والمعنى يمنع ويحفظ من أراد حفظه، ولا يمنع منه أحد، ولا ينصر من أراد خذلانه. قال تعالى: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾. قوله: [وفي قراءة لله بلام الجر] أي وهو لمعظم السبعة. قوله: [في الموضعين] أي الأخيرين، وأما الجواب السؤال الأول فهو باللام باتفاق السبعة، ولم يقرأ بدونها أحد. قوله: [نظراً إلى أن المعنى] أي فلام الجر مقدرة في السؤال، فظهرت في الجواب نظراً للمعنى، وأما على قراءة إسقاطها فباعتبار مراعاة لفظ السؤال، لأنه لا فرق بين قوله: من رب السموات، وبين لمن السموات، كقولك: من رب هذه الدار؟ فيقال: زيد، وإن شئت قلت لزيد، لأن السؤال لا فرق فيه، بين أن يقال لمن هذه الدار، أو من ربها.

قوله: ﴿قل فأنى﴾ أي فكيف ﴿تسحرون﴾. قوله: [عبادة الله] بدل من الحق فهو بالجر قوله: [أي فكيف يخيل لكم] أشار بذلك إلى أن المراد بالسحر، التخيل والوهم لا حقيقته. قوله: [في نفيه] أي الحق. قوله: ﴿من ولد﴾ ﴿من﴾ زائدة في المفعول، وقوله: ﴿من إله﴾ ﴿من﴾ زائدة في اسم ﴿كان﴾. قوله: [أي لو كان معه إله] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿إذاً لذهب﴾ جواب لشرط محذوف وهو لو الامتناعية، علم من قوله: ﴿وما كان معه من إله﴾، وتقدم تحقيق الكلام في هذا البرهان في سورة الأنبياء. قوله: [كفعل ملوك الدنيا] كلامه يقتضي أن هذا أمر عادي لا إلزام قطعي، وهو خلاف التحقيق، بل التحقيق أنه دليل عقلي قطعي. قوله: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ هذا دليل آخر على الوحدانية كأنه قال: الله عالم الغيب والشهادة، وغيره لا يعلمهما، فغيره ليس بإله. قوله: [بالجر صفة] أي للفظ الجلالة أو بدل منه، وقوله: [والرفع خبر] هو مقدر، أي هما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿فتعالى عما يشركون﴾ عطف على معنى ما تقدم كأنه قال: علم الغيب فتعالى.

قوله: ﴿قل رب﴾ الخ، هذا أمر لرسول الله ﷺ بكيفية دعاء يتخلص به من عذابهم وهو مجاب، لأن الله ما أمره بدعاء إلا استجاب له. قوله: [إن ما] ﴿ترينّي﴾ [إن] شرطية، و[ما] زائدة، و﴿تريني﴾ فعل الشرط، والنون للوقاية، والياء مفعول أول، و﴿ما﴾ مفعول ثان، و﴿يوعدون﴾ صلة ﴿ما﴾، و﴿رب﴾ تأكيد للأول، وقوله: ﴿فلا تجعلني﴾ الخ، جواب الشرط. قوله: [بالقتل ببدر] أي وهو الذي رآه بالفعل. قوله: [فأهلك بهلاكهم] أي لأن شؤم الظالم قد

﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾: أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ ٩٦: أي يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾: أعتصم ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ﴾ ٩٧: نزغاتهم بما يوسوسون به ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ ٩٨: في أموري لأنهم إنما يحضرون بسوء ﴿حَتَّىٰ﴾: ابتدائية ﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ ٩٩: الجمع للتعظيم ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾: بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾: ضيعت من عمري أي في مقابلته قال تعالى: ﴿كَلَّآ﴾: أي لا رجوع ﴿إِنَّهَا﴾: أي رب ارجعون ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: ولا فائدة له فيها ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾: أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾: حاجز يصدهم عن الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ١٠٠: ولا رجوع بعده ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: القرن النفخة الأولى أو الثانية ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يتفاخرون بها ﴿وَلَا

يعم غيره. إن قلت: إن رسول الله معصوم من جعله مع القوم الظالمين، فكيف أمره الله بهذا الدعاء؟ أجيب: بأنه أمر بذلك اظهاراً للعبودية، وتواضعاً لربه وتعظيماً لأجره، وليكون في جميع الأوقات ذاكراً لله تعالى.

قوله: ﴿وإنا على أن نريك﴾ الخ إن حرف توكيد ونصب، ونا اسمها، والجار والمجرور متعلق بقادرون، و﴿ما﴾ واقعة على العذاب، وقادرون خبر إن، واللام للابتداء زحلقت للخبر، والمعنى: وإنا لقادرون على أن نريك العذاب الذي نعدهم به. قوله: [أي الخصلة] الخ أشار بذلك إلى أن التي صفة لموصوف محذوف، وقوله: [من الصفح] الخ بيان للخصلة التي هي أحسن. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أي فهو منسوخ، ويحتمل أن المعنى ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ ولو في حال القتال، كأن الله يقول: إذا قدرت عليهم فاصفح عنهم، ولا تعاملهم بما كانوا يعاملونك به، وحينئذ فتكون الآية محكمة، وقد حصل منه هذا الأمر عند فتح مكة.

قوله: ﴿وقل رب﴾ أي في كل وقت لأن العصمة والحفظ من الشيطان أمرها عظيم جداً، وهو إن كان معصوماً، فالمقصود تعليم أمته، واظهار الالتجاء لربه. قوله: ﴿من همزات الشياطين﴾ جمع همزة وهي النخسة. قوله: [نزغاتهم] أي افساداتهم، والمعنى اتحصن بك من وساوس الشيطان. قوله: ﴿وأعوذ بك رب﴾ كرر ذلك للمبالغة والاعتناء بهذه الاستعاذة. قوله: [ابتدائية] أي تبتدأ بعدها الجمل اشارة إلى أن هذا الكلام منقطع عما قبله، قصد به وصف حال الكافر بعد موته. قوله: [الجمع للتعظيم] جواب عما يقال: لم لم يقل رب ارجعني بالأفراد، مع أن المخاطب واحد؟ وأجيب أيضاً: بأن الواو لتكرير الطلب كأنه قال: ارجعني ارجعني ارجعني، أو الجمع باعتبار الملائكة الذين يقبضون روحه، كأنه استغاث بالله أولاً، ثم رجع إلى طلب الرجوع إلى الدنيا من الملائكة. قوله: [يكون] ﴿فيما تركت﴾ أي بدلاً عنه. قوله: [أي لا رجوع] أشار بذلك إلى أن ﴿كلا﴾ هنا معناها النفي، ومع ذلك فيها معنى الردع والزجر. قوله: [أي رب ارجعون] أي وما بعدها.

قوله: ﴿ومن ورائهم﴾ الجمع باعتبار معنى أحد. قوله: ﴿برزخ﴾ هو المدة التي من حين الموت إلى البعث، والمعنى أن بينهم وبين الرجعة حجاجاً ومانعاً من الرجوع وهو الموت، إذا علمت ذلك، فالأموات لا تعود أجسامهم في الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبداً وإنما يبعثون يوم القيامة، لا فرق بين الأنبياء وغيرهم، وما ورد عن بعض الصالحين، من أنهم يجتمعون بالنبي ﷺ يقظة، فالمراد أن روحه الشريفة تشكلت بصورة جسده الشريف، وكذا يقال في الأولياء والشهداء لأن ارواح المطيعين مطلقة غير محبوسة، وأما الكفار فأرواحهم محبوسة لا تسعى في الملكوت. قوله: [ولا رجوع بعده] أي يوم البعث. قوله: [النفخة الأولى] هو قول ابن عباس، وقوله: [أو الثانية] هو قول ابن مسعود. قوله:

يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١٠١: عنها خلاف حالهم في الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة وفي بعضها يفيقون وفي آية فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: بالحسنات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١٠٢: الفائزون ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: بالسيئات ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: فهم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ١٠٣ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾: تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ١٠٤: شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ويقال لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾: من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: تخوفون بها ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ١٠٥ ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: وفي قراءة شقاوتنا بفتح أوله وألف وهما مصدران بمعنى ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ١٠٦: عن الهداية ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾: إلى المخالفة ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ ١٠٧ ﴿قَالَ﴾: لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾: أبعدوا في النار أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ١٠٨: في رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾: هم المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ ١٠٩ ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾: بضم السين وكسرها مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾:

[يتفاخرون بها] جواب عما يقال: إن الأنساب ثابتة بينهم لا يصح نفيها، فأجاب: بأن المعنى لا أنساب بينهم يتفاخرون بانسابهم. وأجيب أيضاً: بأن معنى لا انساب بينهم لا انساب تنفعهم، لزوال التراحم والتعاطف من شدة الحسرة والدهشة. قوله: [خلاف حالهم في الدنيا] أي لأنهم كانوا يسألون عن بعضهم في الدنيا. قوله: [لما يشغلهم] علة لقوله: ﴿ولا يتساءلون﴾ ودفع بذلك ما يقال: كيف الجمع بين هذه الآية وآية ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ فجمع المفسر بأن القيامة مواطن مختلفة، وهذا مبني على أن المراد النفخة الثانية، وأما على أن المراد النفخة الأولى فوجه الجمع أن نفي السؤال إنما هو عند النفخة الأولى لموتهم حينئذ وإثباته، إنما هو بعد النفخة الثانية.

قوله: ﴿موازينه﴾ الجمع إما للتعظيم أو باعتبار الموزون. قوله: [بالحسنات] الباء سببية أي بسبب ثقل الحسنات. قوله: [بالسيئات] أي بسبب ثقل السيئات، والمعنى فمن رجحت حسناته ﴿فأولئك هم المفلحون﴾، ومن رجحت سيئاته ﴿فأولئك الذين خسروا﴾ الخ. قوله: [فهم] ﴿في جهنم﴾ أشار المفسر إلى أن قوله: ﴿في جهنم﴾ خبر لمحذوف. قوله: ﴿تلفح وجوههم﴾ اللفح الإصابة بشدة. قوله: [شمرت شفاههم] الخ، فالكلوح تشمر الشفة العليا واسترخاء السفلى لما ورد: أنه تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي السفلى حتى تبلغ سرته.

قوله: ﴿تتلى عليكم﴾ أي في الدنيا. قوله: [وفي قراءة] وهي سبعية أيضاً. قوله: [وهما مصدران بمعنى] أي وهو سوء العاقبة. قوله: [بعد قدر الدنيا مرتين] أي وقدرها قيل سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة، وقيل اثنا عشر الف سنة بعدد البروج، وقيل ثلثمائة الف سنة وستون سنة بعدد أيام السنة. قوله: ﴿اخسئوا فيها﴾ أي اسكتوا سكوت هوان وذل. قوله: [فينقطع رجاؤهم] أي وهذا آخر كلامهم في النار، فلا يسمع لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب. قوله: ﴿إنه كان فريق﴾ تعليل لما قبله. قوله: [بضم السين وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [وسلمان] المناسب أن يقول بدله وخباب لأن سلمان ليس من المهاجرين. قوله: [فنسب إليهم] أي وحقه أن ينسب إلى الاستهزاء.

فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سَبَبُ الأنساء فنَسَبَ إليهم ﴿وكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾١١٠ ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾: النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم ﴿أَنَّهُمْ﴾: بكسر الهمزة ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾١١١: بمطلوبهم استئناف وبفتحها مفعول ثان لجزيتهم ﴿قالَ﴾: تعالى لهم بلسان مالك وفي قراءة قل ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾١١٢: تمييز ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: شكوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾١١٣: أي الملائكة المحصين أعمال الخلق ﴿قَالَ﴾: تعالى بلسان مالك في قراءة: أيضاً قل ﴿إِنْ﴾: أي ما ﴿لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾١١٤: مقدار لبثكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى لبثكم في النار ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾: لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾١١٥: بالبناء للفاعل وللمفعول لا بل لنتعبدكم بالأمر والنهي وترجعوا إلينا ونجازى على ذلك وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾: عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾١١٦: الكرسي هو السرير الحسن ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾: صفة كاشفة لا مفهوم لها

قوله: ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ أي وذلك غاية الاستهزاء. قوله: [بكسر الهمزة وبفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بلسان مالك] دفع ذلك ما يقال إن قوله: ﴿قال﴾ يقتضي أن الله يكلمهم، مع أنه قال في آية أخرى ﴿ولا يكلمهم الله﴾ فأجاب بأن المكلم لهم الملك عن الله. قوله: [وفي قراءة قل] أي وهي سبعية أيضاً. والحاصل أن هنا وفيما يأتي في قوله: ﴿قال إن لبثتم﴾ ثلاث قراءات سبعيات، الأمر فيهما والماضي فيهما، والأمر في الأول، والماضي في الثاني. قوله: ﴿كم لبثتم﴾ ﴿كم﴾ في محل نصب على الظرفية الزمانية، وقوله: ﴿عدد سنين﴾ هو مميزها، والمعنى لبثتم كم عدداً من السنين، والقصد من هذا السؤال، التوبيخ والتبكيت عليهم، لأنهم كانوا يعتقدون بقاءهم في الدنيا، ويعولون على اللبث فيها، وينكرون البعث، فلما أدخلوا النار، وايقنوا دوامها وخلودهم فيها، سألهم عن لبثهم في الدنيا زيادة في تحسرهم على ما كانوا يعتقدونه، حيث ظهر خلافه.

قوله: ﴿فاسأل العادين﴾ بالتشديد جمع عاد من العدد، وهذا من جملة كلامهم، لأنه غشيهم من الهول والعذاب، ما يشغلهم عن ضبط ذلك واحصائه. قوله: ﴿قال﴾ [تعالى] أي تقريعاً وتوبيخاً وتصديقاً لهم. قوله: ﴿لو أنكم﴾ ﴿لو﴾ هنا امتناعية، ومفعول العلم محذوف قدره المفسر بقوله: [مقدار لبثكم]، وجواب ﴿لو﴾ محذوف أيضاً قدره المفسر بقوله: [كان قليلاً] أي في علمكم، والمعنى لو أنكم كنتم تعلمون مدار لبثكم من الطول، لعلمتم قلة لبثكم في الدنيا. قوله: ﴿أفحسبتم﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أجهلتم فحسبتم، وحسب بمعنى ظن، والاستفهام للتوبيخ والإنكار. قوله: ﴿عبثاً﴾ إما حال مؤول باسم الفاعل أي عابثين، أو مفعول لأجله، والعبث اللعب وكل ما ليس فيه غرض صحيح، فقوله: [لا لحكمة] تفسير للعبث. قوله: ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ عطف على ﴿إنما خلقناكم﴾ فيكون حسب مسلطاً عليه. قوله: [بالبناء للفاعل وللفعول] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [لا] قدره جواباً للاستفهام. قوله: [بل لنتعبدكم] أي لنكلفكم. قوله: [على ذلك] أي على امتثال التعبد المذكور. قوله: [إلا ليعبدون] أي حكمة خلقي لهم، كونهم يمتثلون أوامري ويجتنبون نواهي.

قوله: ﴿فتعالى الله﴾ أي تنزه. قوله: ﴿الملك الحق﴾ أي الذي يحق له التصرف في ملكه، بالإيجاد والإعدام والثواب والعقاب وغير ذلك، فكل ما سواه مقهور، وهو القاهر فوق عباده. قوله: ﴿الكريم﴾ بالجر صفة للعرش، لأن كل بركة ورحمة وخير نازلة منه، وقرىء شذوذاً بالرفع على أنه نعت مقطوع للمدح. قوله: [الكرسي] تقدم أن المناسب

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ﴾: جزاؤه ﴿عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[١١٧]: لا يسعدون ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾: المؤمنين في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[١١٨]: أفضل راحم.

إبقاؤه على ظاهره. قوله: [هو السرير الحسن] هكذا في بعض النسخ، وفي بعضها إسقاطها. قوله: [صفة كاشفة] أي بيان للواقع، لأن كل من ادعى مع الله إلهاً آخر، لا بد أن يكون لا برهان له به. قوله: ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ هو جواب الشرط. قوله: ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ الجمهور على كسر إن استئنافاً وفيه معنى العلة، وقرئ شذوذاً بالفتح على أنه خبر حسابه، والأصل حسابه أنه لا يفلح هو، فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم. قوله: [في الرحمة زيادة على المغفرة] أي فذكر الرحمة بعد المغفرة تحلية بعد تخلية، ففي الغفران محو السيئات، وفي الرحمة رفع الدرجات. قوله: [أفضل رحمة] بالنصب على التمييز.

* * *

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[٢٤] - سورة النور

[مدنية وهي إثنتان أو أربع وستون آية]

هذه ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾: مخففاً ومشدداً لكثرة المفروض فيها ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات الدلالات ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: بإدغام التاء الثانية في الذال تتعظون ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾: أي غير المحصنين لرجمهما بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النور مدنية

وهي اثنتان أو أربع وستون آية

سميت بذلك لذكر النور فيها، وفي هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر وغيرها من الأحكام الدينية المفصلة، ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى الكوفة: علموا نساءكم سورة النور، وقالت عائشة رضي الله عنها: لا تنزلوا النساء في الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن سورة النور والغزل. قوله: [هذه] ﴿سورة﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿سورة﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله: [هذه] والإشارة لما في علم الله لكونها في حكم الحاضر المشاهد، ويصح أن تكون ﴿سورة﴾ مبتدأ وجملة ﴿أنزلناها﴾ صفة لها والخبر قوله: ﴿الزانية والزاني﴾ والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا، والخبر محذوف، والتقدير فيما يتلى عليكم، وهذا على قراءة الرفع، وهي لعامة القراء، وقرىء ﴿سورة﴾ بالنصب بفعل مضمر يفسره ﴿أنزلنا﴾ فهو من باب الاشتغال أو على الإغراء، أي دونك سورة. قوله: ﴿وفرضناها﴾ أي أوجبنا ما فيها من الأحكام أيجاباً قطعياً. قوله: [مخففاً ومشدداً] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وأنزلنا﴾ كرر الإنزال لكمال الاعتناء بشأنها. قوله: ﴿آيات بينات﴾ أي دلائل على وحدانية الله تعالى، وقد ذكر في أول هذه السورة أنواع من الأحكام والحدود، وفي آخرها دلائل التوحيد، فقوله: ﴿وفرضناها﴾ إشارة إلى الأحكام، وقوله: ﴿وأنزلنا فيها آيات بينات﴾ إشارة إلى الأدلة. قوله: [بإدغام التاء الثانية] أي بعد قلبها دالاً فذالاً أي وبتسكينها، أي فهما قراءتان سبعيتان، وبقيت ثالثة سبعية أيضاً وهي حذف إحدى التاءين.

قوله: ﴿الزانية والزاني﴾ مبتدأ، والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم أو جملة ﴿فاجلدوا﴾ ودخلت الفاء لشبه المبتدإ بالشرط، وعليه درج المفسر، وقدمت المرأة في حد الزنا، وأخرت في آية حد السرقة، لأن شهوة الزنا في المرأة أقوى وأكثر، والسرقة ناشئة من الجسارة والقوة، وهي في الرجل أقوى وأكثر. قوله: [لرجمهما بالسنة] أشار بذلك إلى

﴿وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾: أي ضربة يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾: أي حكمه بأن تتركوا شيئاً من حدهما ﴿إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أي يوم البعث وفي هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾: أي الجلد ﴿طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]: قيل ثلاثة وقيل أربعة عدد شهود الزنا ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ﴾: يتزوج ﴿إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾: أي المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ﴾: أي نكاح الزواني ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]: الأخيار نزل ذلك لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ

أن الزانية والزاني لفظ عام يشمل المحصن وغيره، فالسنة أخرجت المحصن وبينت أن حده الرجم، فصار الكلام في غيره. قوله: ﴿فاجلدوا كل واحد منهما﴾ الخ أي بسوط لين له رأس واحدة، ويجرد الرجل من ثيابه، والمرأة مما يقيها ألم الضرب، وتوضع في قفة فيها تراب للستر. قوله: [والرقيق على النصف مما ذكر] أي الجلد والتغريب وهذا مذهب الشافعي، وقال مالك: لا يغرب إلا الذكر الحر، وأما المرأة والرقيق فلا يغربان.

قوله: ﴿ولا تأخذكم﴾ قرأ العامة بالتأنيث مراعاة للفظ، وقرىء شذوذاً بالياء التحتية. قوله: ﴿رأفة﴾ بسكون الهمزة وفتحها قراءتان سبعيتان، وقرىء بالمد بوزن سحابة، والرأفة أشد الرحمة، ويقال رؤف بالضم والفتح والكسر ككرم وقطع وطرب. قوله: [بأن تتركوا شيئاً من حدهما] أي لأن إقامة الحدود فيها رضا الله لما ورد: إقامة حد الله تعالى في الأرض خير من أن تمطروا أربعين صباحاً. قوله: [في هذا] أي قوله: ﴿إن كنتم تؤمنون﴾ الخ. قوله: [تحريض] أي حث على ما قبل الشرط وهو قوله: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ فالجواب الغضب لله واستيفاء الحدود اقتداء برسول الله ﷺ فإنه قال: «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها». قوله: [وهو جوابه] أي كما هو رأي الكوفيين، وقوله: [أو دال] أي كما هو رأي البصريين.

قوله: ﴿وليشهد عذابهما طائفة﴾ الأمر للندب، والطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة. قوله: [قيل ثلاثة] الخ القولان للشافعي، وعند مالك أقل ذلك أربعة. قوله: [أي المناسب لكل منهما ما ذكر] أي فهذا زجر لمن يريد نكاح الزانية، والمعنى أن الزاني يرغب في نكاح الزانية أو المشركة، والزانية ترغب في نكاح الزاني أو المشرك. قوله: ﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾ أي لما فيه من المفاسد، كالطعن في النسب، والتعرض للتهم، والتشبه بالفساق، فالواجب التزوج بالعفيفات لما في الحديث: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس». قوله: [نزل ذلك] أي الآية، وحينئذ فالمطابق لسبب النزول هو الجملة الثانية، وإنما ذكر الأولى زيادة في التنفير. قوله: [وهن موسرات] أي غنيات. قوله: [خاص بهم] أي ولم ينسخ إلى الآن. قوله: ﴿وانكحوا الأيامى﴾ جمع أيم، وهي من ليس لها زوج، بكراً أو ثيباً، ومن ليس له زوجة، وهو يشمل الزاني والزانية وغيرها فغاية الأمر أن نكاح الفاسق والفاسقة مكروه.

---

* أسباب نزول الآية ٣ قوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾، أخرج النسائي عن عبد الله بن عمرو قال: كانت امرأة يقال لها أم مهزول، وكان تسافح، فأراد رجل من أصحاب النبي ﷺ أن يتزوجها، فأنزل الله ﴿والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مزيد يحمل من الأنبار إلى مكة حتى يأتيهم، وكان امرأة بمكة صديقة له يقال لها عناق، فاستأذن النبي ﷺ أن ينكحها، فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ: يا مزيد ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة﴾ الآية، فلا تنكحها. وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال: لما حرم الله الزنا، فكان زوان عندهن جمال، فقال الناس: لينطلقن فليتزوجن، فنزلت.

﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾: العفيفات بالزنا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: على زناهن برؤيتهم ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾: أي كل واحد منهم ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾: في شيء ﴿أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: لإتيانهم كبيرة ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾: عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لهم قذفهم ﴿رَحِيمٌ﴾: بهم بإلهامهم التوبة فيها ينتهي فسقهم وتقبل شهادتهم وقيل لا تقبل رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾: بالزنا

قوله: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ تقدم أن الزاني والزانية، إما أن يرجما إن كانا محصنين، أو يجلدا إن لم يكونا كذلك، فتبين أن الزنا أمره عظيم شديد، لا بد وأن يثبت، إما بإقرار، أو بأربعة عدول، فإن انتفى واحد من ذلك حد المدعي، فبين هذه الآية وما قبلها شدة مناسبة، وقوله: ﴿الذين﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿يرمون﴾ صلته، والخبر ثلاث جمل: الأولى ﴿فاجلدوهم﴾ الثانية قوله: ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾. الثالثة قوله: ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾، ومعنى ﴿يرمون المحصنات﴾ يتهمونهن، فشبه الاتهام بالرمي، بجامع التأدية للهلاك في كل، لأنه إن ثبت ذلك الأمر فقد هلك المرمي، وإن لم يثبت فقد هلك الرامي، وقوله: ﴿المحصنات﴾ لا مفهوم له، بل وكذا المحصنون، وإنما خصهن بالذكر، لأن الشأن قوة شهوة النساء. قوله: [العفيفات] تفسير للمحصنات باعتبار اللغة، لأن الاحصان كما يطلق على العفة، يطلق على التزوج وعلى الحرية، ومفهوم قوله [العفيفات] أنه إذا رمي غير عفيف لا يحد، ويشترط زيادة على العفة، أن يكون المرمي يتأتى منه الزنا أو اللواط بأن يكون ذا آلة، فإن رمي مجبوباً عزر ولا يحد، وأن يكون حراً مسلماً ملكفاً، فإن انتفى شرط منها لم يحد القاذف، إلا رامي الصبي باللواط به أو الصبية المطيقين، فعند مالك يحد، وعند الشافعي يعزر. قوله: [بالزنا] أي أو اللواط في آدمي مطيق، أو جني تشكل بآدمي. قوله: ﴿بأربعة شهداء﴾ أي عدول، وقوله: [برؤيتهم] متعلق بشهداء، أي يشهدون بأنهم رأوا الذكر في الفرج، ولا بد أن يتحدوا في الرؤية والأداء، فإن اختلفوا ولو في أي صفة حد الجميع. قوله: ﴿أبداً﴾ أي ما داموا مصرين على عدم التوبة بدليل الاستثناء، وعلى هذا درج مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة: لا تقبل شهادتهم ولو تابوا.

قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾ استثناء متصل لأن المستثنى منه الذين يرمون والتائبون من جملتهم. قوله: ﴿من بعد ذلك﴾ أي القذف. قوله: [فيما ينتهي فسقهم] هذا مبني على رجوع الاستثناء للجملتين الأخيرتين، وهو مذهب مالك والشافعي فعندهما أن التائب تقبل شهادته، ويزول عنه اسم الفسق. قوله: [وقيل لا تقبل] هذا مذهب أبي حنيفة، واتفق الجميع على أن القاذف يجلد، وإن تاب، فليس الاستثناء راجعاً إلى الجملة الأولى. قوله: ﴿أزواجهم﴾ جمع زوج بمعنى الزوجة، وحذف التاء افصح من إثباتها إلا في المواريث.

* أسباب نزول الآية ٦ قوله تعالى: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ الآية، أخرج البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: البينة أو حد في ظهرك، فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: البينة أوحد في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد، فنزل جبريل، فأنزل الله عليه ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿إن كان من الصادقين﴾.
وأخرجه أحمد بلفظ لما نزلت ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾ قال سعيد بن عبادة وهو سيد الأنصار: أهكذا نزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟ قالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة قط فأجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته، فقال سعد: والله يا رسول الله أني لأعلم أنها حق وأنها من الله ولكني تعجبت أني لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أنحيه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته قال: فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلاً فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح فغدا إلى رسول الله ﷺ، وقال له: أني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾: عليه ﴿إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾: وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾: مبتدأ ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾: نصب على المصدر ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٦: فيما رمى به زوجته من الزنا ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ٧: في ذلك وخبر المبتدأ تدفع عنه حد القذف ﴿وَيَدْرَأُ﴾: يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾: أي حد الزنا الذي ثبت بشهاداته ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ٨: فيما رماها به من الزنا ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٩: في ذلك ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بالستر في ذلك ﴿وَأَنَّ

قوله: ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ مفهومه لو كان له بينة فلا لعان بينهما عند مالك، وقال الشافعي له ترك البينة ويلاعن، وأجاب عن الآية بأنها خرجت على سبب النزول، فإنه لم يكن لهم بينة. قوله: ﴿إلا أنفسهم﴾ بالرفع بدل من شهداء. قوله: [وقع ذلك] أي قذف الزوجة بالزنا. قوله: [لجماعة من الصحابة] أي وهم هلال بن أمية وعويمر العجلاني وعاصم بن عدي. قوله: [نصب على المصدر] أي والعامل شهادة، وفي قراءة سبعية أيضاً بالرفع خبر المبتدإ. قوله: [من الزنا] أي أو نفي الحمل لأن اللعان كما يكون في رؤية الزنا يكون في نفي الحمل. قوله: ﴿والخامسة أن لعنة الله﴾ الخ بالرفع لا غير باتفاق السبعة، وقوله: ﴿أن تشهد أربع شهادات﴾ بالنصب لا غير باتفاق السبعة، وقوله: ﴿والخامسة أن غضب الله﴾ الخ يجوز في السبعة رفعه ونصبه، فتحصل أن الخامسة الأولى بالرفع لا غير، وفي الثانية الوجهان، ولفظ أربع الأول فيه الوجهان، والثاني بالنصب لا غير، وحكمة تخصيص الرجل باللعنة، والمرأة بالغضب، أن اللعن معناه الطرد والبعد عن رحمة الله، وفي لعانه إبعاد الزوجة والولد، وفي لعانها إغضاب الرب والزوج والأهل إن كانت كاذبة. قوله: [وخبر المبتدإ] أي الذي هو قوله: ﴿فشهادة أحدهم﴾. قوله: [في ذلك] أي فيما رماها به.

ـ فائدة ـ يترتب على لعانه دفع الحد عنه، وقطع الولد منه، وإيجاب الحد عليها، وعلى لعانها دفع الحد عنها،

= رجلاً فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتد عليه واجتمعت الأنصار فقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة، الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس، فقال هلال: والله أني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً، فوالله أن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه، أنزل الله عليه الوحي فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي، فنزلت ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ الآية. وأخرج أبو يعلى مثله من حديث أنس.

وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال: جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال: اسأل لي رسول الله ﷺ، أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فقتله، أيقتل به؟ أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ، فعاب رسول الله ﷺ السائل فلقيه عويمر فقال: ما صنعت؟ قال: ما صنعت؟ إنك لم تأتني بخير. سألت رسول الله ﷺ فعاب السائل، فقال عويمر: فوالله لآتين رسول الله ﷺ فلأسألنه، فسأله فقال: إنه أنزل فيك وفي صاحبتك، الحديث.

قال الحافظ ابن حجر: اختلفت الأئمة في هذه المواضع، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً، فنزلت في شأنهما معاً، وإلى هذا جنح النووي وتبعه الخطيب فقال: لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد، قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر ولم يكن له علم بما وقع لهلال أعلمه النبي ﷺ بالحكم، ولهذا قال في قصة هلال، فنزل جبريل، وفي قصة عويمر: قد أنزل الله فيك، فيؤول قوله قد أنزل الله فيك، أي فيمن وقع له مثل ما وقع لك، وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل، وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين، وأخرج البزار من طريق زيد بن مطيع عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: لو رأيت مع أم رومان رجلا ما كنت فاعلاً به؟ قال: كنت فاعلاً به شراً، قال: وأنت يا عمر؟ قال: كنت أقول: لعن الله الأعجز وإنه لخبيث، فنزلت. قال الحافظ ابن حجر: لا مانع من تعدد الأسباب.

﴿اللهَ تَوَّابٌ﴾: بقبوله التوبة في ذلك وغيره ﴿حَكِيمٌ﴾ ١٠: فيما حكم به في ذلك وغيره لبيّن الحق في ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾: أسوأ الكذب على عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين بقذفها

وتأبيد تحريمها، وفسخ نكاحها. قوله: [بالستر] متعلق بكل من فضل ورحمة. قوله: [لبين الحق في ذلك] جواب ﴿لولا﴾.

قوله: ﴿إن الذين جاؤا بالإفك﴾ الخ، شروع في ذكر الآيات المتعلقة بالإفك، وهي ثماني عشرة تنتهي بقوله: ﴿أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ ومناسبة هذه الآيات لما قبلها أن الله لما ذكر ما في الزنا من الشناعة والقبح، وذكر ما يترتب على من رمي غيره به، وذكر أنه لا يليق بآحاد الأمة، فضلاً عن زوجة سيد المرسلين ﷺ ذكر ما يتعلق بذلك. قوله: [أسوأ الكذب] أي أقبحه وأفحشه. قوله: [على عائشة] متعلق بالكذب، وقد عقد عليها

---

* أسباب نزول الآية ١١ إلى ١٢ قوله تعالى: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك﴾ الآيات. أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج سهمي فخرجت وذلك بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوة وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه، قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي عندما سار الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه فظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل قد عرس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل أن يضرب عليّ الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلباني، فوالله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته، فوطىء على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبيّ بن سلول، فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهراً والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح فقلت لها: بئس ما قلت: تسبين رجلاً شهد بدراً؟ قالت: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما دخل عليّ رسول الله ﷺ قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي، وأنا أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي، فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أماه ما يتحدث الناس؟ قالت: أي بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، قلت: سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا! فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله، فقال يا رسول الله: هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي فقال: لن يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، فدعا بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ قالت: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي، فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ثم بكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي، ثم دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس وقد لبث شهراً لا يوحي إليه في شأني شيء، فتشهد ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت قد ألممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه فلما قضى مقالته قلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فقال: والله ما أدري ما أقول، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فقلت: والله ما أدري ما أقول، فقلت وأنا جارية حديثة السن: والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني، وفي رواية: ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، وإني والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾. ثم تحولت فاضطجعت على فراشي. فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه

﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾: جماعة من المؤمنين قالت حسان بن ثابت وعبد الله بن أبيّ ومسطح وحمنة بنت جحش ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾: أيها المؤمنون غير العصبة ﴿شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: يأجركم الله به ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه وهو صفوان فإنها قالت: كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعد ما أنزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة وآذن بالرحيل ليلة، فمشيت وقضيت شأني وأقبلت إلى الرحل فإذا عقدي انقطع هو بكسر المهملة القلادة فرجعت ألتمسه وحملوا هودجي هو ما يركب فيه على بعيري يحسبونني فيه وكانت النساء خفافاً إنما يأكلن العلقة هو بضم المهملة وسكون اللام من الطعام أي القليل ووجدت عقدي وجئت بعدما ساروا فجلست في المنزل الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ فغلبتني عيناي فنمت وكان صفوان قد عرّس من وراء الجيش فادّلج هما بتشديد الراء والدال أي نزل من آخر الليل للاستراحة فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان نائم أي شخصه

النبي ﷺ بمكة وهي بنت ست سنين أو سبع، ودخل عليها بالمدينة وهي بنت تسع، وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة. قوله: ﴿عصبة منكم﴾ العصبة من العشرة إلى الأربعين، وإن كان من عينتهم وذكرتهم أربعة فقط لأنهم هم الرؤساء في هذا الأمر. قوله: [من المؤمنين] أي ولو ظاهراً، فإن عبد الله بن أبي من كبار المنافقين. قوله: [قالت] أي عائشة في تعيين أهل الإفك. قوله: [وحمنة بنت جحش] هي زوجة طلحة بن عبيد الله.

قوله: ﴿لا تحسبوه شراً لكم﴾ المخاطب به النبي ﷺ وأبو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم. قوله: ﴿بل هو خير لكم﴾ أي لظهور كرامتكم على الله وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم، والثناء على من ظن بكم خيراً. قوله: [يأجركم الله به] أي بسبب الصبر عليه. قوله: [ومن جاء معها] أي يقود بها الراحلة. قوله: [وهو صفوان] أي السلمي بن المعطل. قوله: [في غزوة] قيل هي غزوة بني المصطلق، وكانت في السنة الرابعة، وقيل في السادسة. وسببها: أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه، وقائدهم الحرث بن ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ، فلما سمع بذلك خرج إليهم، حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل، فاقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم، وردها عليهم. قوله: [بعدما أنزل الحجاب] أي وهي قوله تعالى ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾. قوله: [وآذن] بالمد والقصر، أي أعلم. قوله: [وقضيت شأني] أي حاجتي كالبول مثلاً. قوله: [فإذا عقدي انقطع] أي وكان من جزع ظفار، وهو الخرز اليماني غالي القيمة، وكان أصله لأمها، أعطته لها حين تزوجها رسول الله ﷺ، وقيل لأختها أسماء. قوله: [ألتمسه] أي أفتش عليه. قوله: [فجلست في المنزل الذي كنت فيه] أي وهذا من حسن عقلها وجودة رأيها، فإن من الآداب: أن الإنسان إذا ضل عن رفقته، وعلم أنهم يفتشون عليه، أن يجلس في المكان الذي فقدوه فيه ولا ينتقل منه، فربما رجعوا فلم يجدوه. قوله: [فنمت] أي وكانت كثيرة النوم لحداثة سنها. قوله: [وكان صفوان قد عرس] أي وكان صاحب ساقة رسول الله لشجاعته، وكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم، فما سقط منهم شيء إلا حمله، حتى يأتي به أصحابه. قوله: [فسار منه] أي فادّلج بالتشديد سار من آخر الليل، وأما أدلج سار من أوله. قوله: [في

= ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، فلما سري عنه كان أول كلمة تكلم بها أن قال: أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك، فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي، وأنزل الله ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ عشر آيات، فقال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾ إلى ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾.

فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني أي. قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون فخمرت وجهي بجلبابي أي غطيته بالملاءة والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطىء على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة أي من أوغر واقفين في مكان وغر من شدة الحر فهلك من هلك في وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي بن

منزله] أي منزل الجيش الذي مكثت فيه عائشة. قوله: [وطىء على يده] أي الراحلة خوف أن تقوم. قوله: [موعرين] أي اتينا الجيش في وقت القيلولة. قوله: [فهلك من هلك] أي تكلم بما كان سبباً في هلاكه. قوله: [فيّ] أي بسببي. قوله: [ابن أبي ابن سلول] نسب أولاً لأبيه ثم لأمه. قوله: [انتهى قولها] هذا باعتبار ما اختصره، وإلا فحديثها له بقية كما في البخاري وهي: فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهراً، وهم يفيضون من قول أصحاب الإفك، ويريبني في وجعي، أني لا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلّم ثم يقول: كيف تيكم؟ لا اشعر بشيء من ذلك، حتى نقهت بفتح فكسر، أي برئت من مرضي، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا، لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول، في البرية أو في التنزه، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت رهم نمشي، فعثرت في مرطها، هو بكسر الميم، كساء من صوف، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت: أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: يا هنتاه، أي قليلة المعرفة، ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي، دخل علي رسول الله ﷺ فقال: كيف تيكم؟ فقلت: ائذن لي إلى أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ فأتيت أبوي فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ قالت: يا بنيتي هوني على نفسك الشأن، فوالله قلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، فقلت: سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذه؟! قالت: فبت تلك الليلة، حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار إليه بالذي يعلم من نفسه بالود لهم، فقال أسامة: هم أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، واسأل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: يا بريرة هل رأيت فيها شيئاً يريبك؟ فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق نبياً، إن رأيت منها أمراً أغمصه عليها، هو بهمزة مفتوحة فغين معجمة فصاد مهملة، أي أعيبه وانكره، أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فيأتي الداجن، هو بدال مهملة ثم جيم، ما يألف البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك فيأكله، فقام رسول الله ﷺ من نومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت في أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ وقال: يا رسول الله أنا والله اعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير فقال: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان: الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت، وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي، وقد بكيت ليلتي ويوماً، حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان وأنا أبكي، إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك، إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس، ولم يجلس عندي من يوم

سلول. اهـ قولها. رواه الشيخان: قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيءٍ مِنْهُمْ﴾: أي عليه ﴿مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾: في ذلك ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾: أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبد الله بن أبي ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١١: هو النار في الآخرة ﴿لَوْلَآ﴾: هلا ﴿إِذْ﴾: حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾: أي

قيل لي ما قيل قبلها، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد ثم قال: يا عائشة إنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي، أي انقطع جريانه حتى ما احس منه بقطرة وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، قال: والله ما ادري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: وأنا جارية حديثة السن لا اقرأ كثيراً من القرآن فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إني لبريئة لتصدقنني، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلى أبا يوسف إذ قال: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحي، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في اليوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام أن برح مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء أو الشدة والكرب، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان، أي اللؤلؤ من العرق في يوم شات، فلما سري أي كشف عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة أحمدي الله فقد برأك الله، فقالت أمي: قومي لرسول الله ﷺ، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله. فأنزل الله عز وجل ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ الآيات فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه: والله لا انفق على مسطح بشيء أبداً بعدما قال في عائشة، فأنزل الله عز وجل ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾ الآية إلى قوله: ﴿غفور رحيم﴾ فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه، وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: يا زينب ما علمت ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع. انتهى.

قوله: ﴿لكل امرىء منهم﴾ أي من العصبة. قوله: ﴿ما اكتسب من الإثم﴾ أي جزاء ما اكتسب من الإثم في الدنيا، وهو لغير عبد الله بن أبي، فإنهم قد حدوا حد القذف، وعمي حسان وشلت يده في آخر عمره، وعمي مسطح أيضاً، أو في الدنيا والآخرة وهو لابن أبي، فعذبه الله بخزي الدنيا والخلود في النار. قوله: ﴿لولا إذ سمعتموه﴾ لما بين سبحانه وتعالى حال الخائضين في الإفك، وأنهم اكتسبوا الإثم، شرع في توبيخهم وزجرهم بتسعة زواجر: الأول هذا، والثاني ﴿لولا جاؤوا عليه﴾ الخ، والثالث ﴿ولولا فضل الله﴾ الخ، الرابع ﴿إذ تلقونه﴾ الخ، الخامس ﴿ولولا إذ سمعتموه﴾ الخ، السادس ﴿يعظكم الله﴾ الخ، السابع ﴿إن الذين يحبون﴾ الخ، الثامن ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ الخ، التاسع ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ ـ إلى ـ ﴿سميع عليم﴾ ولولا هنا للتوبيخ لدخولها على الماضي، لأن لولا لها ثلاثة أحوال: إذا دخلت على ماض كان معناها التوبيخ، وإذا دخلت على مضارع كان معناها التحضيض، وإذا دخلت على جملة اسمية كانت امتناعية، وقد كررت هنا في ست مواضع الأول والثاني والرابع توبيخية لا جواب لها، والثالث والخامس والسادس شرطية، ذكر جوابها في الثالث والسادس، وحذف في الخامس

ظن بعضهم ببعض ﴿خَيْراً وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ ١٢: كذب بين فيه التفات عن الخطاب أي ظننتم أيها العصبة وقلتم ﴿لَّوْلَا﴾: هلا ﴿جَاءُوا﴾: أي العصبة ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: شاهدوه ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ﴾: أي في حكمه ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ١٣ فيه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ﴾: أيها العصبة أي خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١٤: في الآخرة ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: أي يرويه بعضكم عن بعض وحذف من الفعل إحدى التاءين وإذ منصوب بمسكم أو بأفضتم ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً﴾: لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ ١٥: في الإثم ﴿وَلَوْلَا﴾: هلا ﴿إِذْ﴾: حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾: ما ينبغي ﴿لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ﴾: هو للتعجب هنا ﴿هَٰذَا بُهْتَانٌ﴾: كذب ﴿عَظِيمٌ﴾ ١٦ ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾: ينهاكم ﴿أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٧: تتعظون بذلك ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: في الأمر والنهي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بما يأمر به وينهى عنه ﴿حَكِيمٌ﴾ ١٨: فيه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾: باللسان ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بنسبتها إليهم وهم العصبة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾: بحد القذف ﴿وَالْآخِرَةِ﴾: بالنار

فتدبر، وإذا ظرف لظن، والمعنى كان ينبغي لكم بمجرد سماعه أن تحسنوا الظن في أم المؤمنين، ولا تصبروا على الأمر القبيح بعد سماعه. قوله: ﴿بأنفسهم﴾ أي بأبناء جنسهم في الإيمان والصحبة. قوله: [فيه التفات عن الخطاب] أي إلى الغيبة، إذ كان مقتضى الظاهر ظننتم، وحكمته التشجيل عليهم والمبالغة في توبيخهم.

قوله: ﴿لولا جاؤوا عليه﴾ أي الإفك. قوله: [شاهدوه] أي عاينوا الزنا. قوله: [في حكمه] أي الشرعي لأن مداره على الشهادة والأمر الظاهر، وهذا جواب عما يقال: إنهم كاذبون عند الله مطلقاً ولو أتوا بشهداء، فأجاب: بأنهم كاذبون باعتبار حكم الشرع، ولا شك أنهم لو أتوا ببينة معتبرة لكان حكم الله أنهم صادقون في الظاهر، فأراد الله أن يكذبهم ظاهراً وباطناً.

قوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ ﴿لولا﴾ امتناعية وجوابها قوله: ﴿لمسكم﴾ والمعنى امتنع مس العذاب لكم لوجود فضل الله ورحمته عليكم. قوله: ﴿فيما أفضتم فيه﴾ أي بسببه وما اسم موصول و﴿أفضتم﴾ صلته أو مصدرية، أي بسبب الذي أفضتم فيه أو بسبب إفاضتكم. قوله: ﴿عذاب يوم عظيم﴾ أي لغير ابن سلول فإن عذابه محتم.

قوله: ﴿إذ تلقونه بألستكم﴾ أي تتلفظون به باللسان فقط، دون اعتقاده بالقلب فهم يعتقدون براءتها، وإنما تلفظهم بالإفك محض حسد وعناد.

قوله: ﴿ولولا إذ سمعتموه﴾ ﴿لولا﴾ توبيخة، و﴿إذ﴾ ظرف لقلتم، والمعنى كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الأمر أن تقولوا سبحانك وفصل بالظرف بين ﴿لولا﴾ و﴿قلتم﴾ لأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها. قوله: [هو للتعجب هنا] أي مع التنزيه والمعنى تنزيهاً لك من انتهاك حرماتك، فإنه غير لائق بك ولا بأحبابك الذي قلت فيهم ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾. قوله: [ينهاكم] أشار بذلك إلى أنه ضمن ﴿يعظكم﴾ معنى [ينهاكم] فعداه بعن قوله: ﴿أبداً﴾ أي مدة حياتكم. قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، أي فلا تعودوا لمثله. قوله: [باللسان] أي فالمراد بإشاعتها إشاعة خبرها. قوله: [بنسبتها إليهم] أشار بذلك إلى أن المراد بالذين آمنوا خصوص عائشة وصفوان. قوله: [وهم العصبة] تفسير للذين يحبون. قوله:

لَحق الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: انتفاءَها عنهم ﴿وَأَنتُمْ﴾: أيها العُصبة بما قلتم من الإفك ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٩: وجودَها فيهم ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: أيها العُصبة ﴿وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ٢٠: بكم لعاجلكم بالعقوبة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾: أي طرق تزيينه ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾: أي المتبع ﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: أي القبيح ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: شرعًا باتباعها ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾: أيها العُصبة بما قلتم من الإفك ﴿مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾: أي ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى﴾: يطهر ﴿مَن يَشَآءُ﴾: من الذنب بقبول توبته منه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: بما قلتم ﴿عَلِيمٌ﴾ ٢١: بما قصدتم ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: يحلف ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ﴾: أي أصحاب الغنى ﴿مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن﴾: لا ﴿يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: نزلت في* أبي بكر حلف أن لا ينفق على مِسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدريّ لمّا خاض في

[لحق الله] أي ذنب الأقدام، وهو محمول على عبد الله بن أبيّ، وأما غيره فقد تاب وحسنت توبته. قوله: ﴿وأن الله رؤوف رحيم﴾ عطف على ﴿فضل الله﴾. قوله: [لعاجلكم بالعقوبة] جواب ﴿لولا﴾، وخبر المبتدإ محذوف، والتقدير موجودان. قوله: ﴿خطوات﴾ بضم الطاء وسكونها قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان﴾ شرط حذف جوابه تقديره فلا يفلح أبداً، وقوله: ﴿فإنه يأمر﴾ الخ تعليل للجواب. قوله: [أي المتبع] هكذا بصيغة اسم المفعول وهو الشيطان. قوله: [باتباعها] متعلق بيأمر. قوله: ﴿ما زكي منكم من أحد أبداً﴾ هذا يفيد أنهم تابوا وطهروا، وهو كذلك، إلا عبد الله بن أبيّ، فإنه استمر على النفاق حتى هلك كافراً.

قوله: ﴿ولا يأتل﴾ ﴿لا﴾ ناهية، والفعل مجزوم بحذف الياء. قوله: [أي أصحاب الغنى] في تفسير الفضل بالغنى نوع تكرار مع قوله: ﴿والسعة﴾ وحينئذ فالمناسب تفسير ﴿الفضل﴾ بالعلم والدين والإحسان، وكفى به دليلا على فضل الصديق. قوله: ﴿أن﴾ [لا] ﴿يؤتوا﴾ أشار المفسر إلى أن الكلام على تقدير [لا] النافية. قوله: ﴿أولي القربى﴾ أي القرابة، وقوله: ﴿والمساكين والمهاجرين﴾ معطوف على ﴿أولي﴾ فهو الأوصاف الثلاثة لموصوف واحد وهو مسطح. قوله: [حلف أن لا ينفق على مسطح] أي فبعد ذلك تاب وجاء إلى أبي بكر واعتذر وقال: إنما كنت أغشى مجلس حسان وأسمع منه ولا أقول، فقال له أبو بكر: لقد ضحكت وشاركت فيما قيل، وكفّر عن يمينه.

لطيفة: وقع لابن المقري أنه وقع منه هفوة، فقطع والده ما كان يجريه له من النفقة، فكتب الولد لأبيه:

لا تقطعن عادة برّ ولا ... تجعل عقاب المرء في رزقه
فإن أمر الإفك من مسطح ... يحطّ قدر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذي قد جرى ... وعوتب الصدّيق في حقه

فكتب إليه والده:

قد يمنع المضطر من ميتة ... إذا عصى بالسير في طرقه
لأنه يقوى على توبة ... توجب إيصالاً إلى رزقه

---

* أسباب نزول الآية ٢٢ قال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح ما كان ينفق عليه، وفي الباب عن ابن عباس وابن عمر عند الطبراني وأبي هريرة عند البزار وأبي اليسر عند ابن مردويه.

الإفك بعد أن كان يُنفق عليه وناسٌ من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾: عنهم في ذلك ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾٢٢: للمؤمنين قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾: بالزنا ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: العفائف ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: عن الفواحش بأن لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: بالله ورسوله ﴿لُعِنُوا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾٢٣ ﴿يَوْمَ﴾: ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم ﴿تَشْهَدُ﴾: بالفوقانية والتحتانية ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾٢٤: من قول وفعل وهو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾: يجازيهم جزاءه الواجب عليهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾٢٥: حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكون فيه ومنهم عبد الله بن أبي والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ لم يذكر في قذفهن توبة ومن ذكر في قذفهن أول السورة

لو لم يتب مسطح من ذنبه ما عوتب الصديق في حقه

قوله: [لما خاض في الإفك] ظرف لقوله: [حلف]. قوله: ﴿وليعفوا﴾ أي أولو الفضل. قوله: ﴿وليصفحوا﴾ أي ليعرضوا عن لومهم. قوله: [ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه] أي وحلف أن لا ينزع نفقته منه أبداً، ومسطح هو ابن اثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف، وقيل اسمه عوف، ومسطح لقبه. قوله: ﴿الغافلات﴾ [عن الفواحش] أي لسلامة صدورهن، ونقاء قلوبهن، واستغراقهن في مشاهدة الله تعالى. قوله: ﴿لعنوا في الدنيا﴾ أي بعدوا فيها عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين. وقوله: ﴿والآخرة﴾ أي بالعذاب إن لم يتوبوا. قوله: [ناصبه الاستقرار] الخ أي والتقدير وعذاب عظيم كائن لهم يوم تشهد. قوله: [بالفوقانية والتحتانية] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿يومئذ﴾ معمول ليوفيهم أو ليعلمون. قوله: [جزاءهم الواجب عليهم] أشار بذلك إلى أن المراد بالدين الجزاء لما في الحديث: «كما تدين تدان». قوله: ﴿هو الحق﴾ أي الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً. قوله: [ومنهم عبد الله بن أبي] يأتي بهذا ليصح قوله: [كانوا يشكون فيه] فالشك من بعضهم، وأما حسان ومسطح وحمنة فهم مؤمنون لا يترددون في الجزاء. قوله: [ازواج النبي] أي لأن من قذف واحدة منهن فقد قذف الجميع لاشتراكهن في العفة والصيانة والنسبة لرسول الله ﷺ. قوله: [لم يذكر في قذفهن توبة] أي مثل ما ذكر فيما تقدم في قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾. قوله: [ومن ذكر] مبتدأ و[غيرهن] خبره، وهذا من باب التهويل والتعظيم لأمر الإفك، وإلا فهو كغيره من سائر المعاصي التي تمحى بالتوبة، وأما بعد نزول الآيات، فقد صار قذف عائشة رضي الله عنها بصفوان كفراً لمصادمة القرآن العظيم، فاعتقاد براءتها شرط في صحة الإيمان.

** أسباب نزول الآية ٢٣: وأخرج الطبراني عن خصيف قلت لسعيد بن جبير: أيهما أشد، الزنا أو القذف؟ قال: الزنا، قلت: إن الله يقول ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ قال: إنما أنزل هذا في شأن عائشة خاصة، في إسناده يحيى الحماني ضعيف. وأخرج أيضا عن الضحاك بن مزاحم قال: نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ خاصة ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عائشة خاصة.

وأخرج ابن جرير عن عائشة قالت: رميت بما رميت وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك، فبينا رسول الله ﷺ عندي إذ أوحي إليه ثم استوى جالسا فمسح وجهه قال: يا عائشة أبشري فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرأ: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ حتى بلغ أولئك مبرؤون مما يقولون﴾.

التوبة غيرهن ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾: من النساء ومن الكلمات ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾: من الناس ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾: من الناس ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾: مما ذكر ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾: مما ذكر ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾: من الناس ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾: منهم ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾: مما ذكر أي اللائق بالخبيث مثله وبالطيب مثله ﴿أُولَٰئِكَ﴾: الطيبون والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: أي الخبيثون والخبيثات من النساء فيهم ﴿لَهُم﴾: للطيبين والطيبات من النساء ﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ٢٦: في الجنة وقد افتخرت عائشة بأشياء منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾: أي تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾: فيقول الواحد

قوله: ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ كلام مستأنف سيق لتأكيد البراءة لعائشة، وتقبيحاً على من تكلم فيها. والمعنى أن المجانسة من دواعي الانضمام، فالخبيث لا يكاد يألف غير جنسه، والطيب كذلك، وهو بمعنى قولهم: وكل إناء بالذي فيه ينضح. قوله: ﴿والطيبات للطيبين﴾ الإشارة بذلك لرسول الله وعائشة، أي فحيث كان رسول الله أطيب الطيبين، تبين بذلك أن عائشة من أطيب الطيبات. [من الناس ومن الكلمات] هذان قولان في تفسير ﴿الخبيثات﴾ وقوله: [مما ذكر] أي من الناس والكلمات. قوله: [أي اللائق بالخبيث مثله] أي من نساء أو كلمات. قوله: [وقد افتخرت عائشة بأشياء] منها أن جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرقة حرير وقال: هذه زوجتك، ويروى أنه أتى بصورتها في راحته، ومنها أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها، وقبض رسول الله ﷺ في حجرها وفي يومها، ودفن في بيتها وكان ينزل الوحي عليه وهي معه في اللحاف، ونزلت براءتها من السماء، وأنها ابنة الصديق خليفة رسول الله ﷺ، وخلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً، وفي القرطبي قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رمي بالفاحشة، برأه الله على لسان صبي في المهد، وإن مريم لما رميت بالفحشاء، برأها الله على لسان ولدها عيسى عليهما السلام، وإن عائشة لما رميت بالفحشاء، برأها الله بالقول، فما رضي لها براءة صبي ولا نبي، حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان، انتهى.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ الخ، لما ذكر الله أحكام العفاف، وكان من جملة العفاف، عدم دخول منازل الغير إلا بإذن أهلها ذكر الاستئذان عقب ذلك. وسبب نزولها أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله إني اكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل علي. وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحالة، فنزلت. قوله: ﴿غير بيوتكم﴾ أي غير محل سكنكم، وحينئذ

---

* أسباب نزول الآية ٢٦: وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقات عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ الآية، قال: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها من ذلك. وأخرج الطبراني بسندين فيهما ضعف عن ابن عباس قال: نزلت ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ الآية، للذين قالوا في زوج النبي ﷺ ما قالوا من البهتان. وأخرج الطبراني عن الحكم بن عتيبة قال: لما خاض الناس في أمر عائشة أرسل رسول الله ﷺ إلى عائشة، فقال: يا عائشة ما يقول الناس؟ فقالت: لا أعتذر بشيء حتى ينزل عذري من السماء، فأنزل الله فيها خمس عشرة آية من سورة النور، ثم قرأ حتى بلغ ﴿الخبيثات للخبيثين﴾ الآية، مرسل صحيح الإسناد.

* أسباب نزول الآية ٢٧ قول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً﴾ الآية، أخرج الفريابي وابن جرير عن عدي بن ثابت قال: جاءت امرأة من الأنصار، فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟ فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: لما نزلت آية الاستئذان في البيوت، قال أبو بكر: يا رسول الله، فكيف بتجار قريش يختلفون بين مكة والمدينة والشام ولهم بيوت معلومة على الطريق فكيف يستأذنون يسلمون وليس فيها سكان؟ فنزلت: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة﴾.

السلام عليكم أأدخل كما ورد في حديث ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من الدخول بغير استئذان ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٢٧]: بإدغام التاء الثانية في الذال خيريته فتعملون به ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾: يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾: بعد الاستئذان ﴿ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ﴾: أي الرجوع ﴿أَزْكَىٰ﴾: أي خير ﴿لَكُمْ﴾: من القعود على الباب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عَلِيمٌ﴾ [٢٨]: فيجازيكم عليه ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ﴾: أي منفعة ﴿لَّكُمْ﴾: باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [٢٩]: تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾: عما لا يحل لهم نظره ومن زائدة ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾: عما لا يحل لهم فعله بها ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ﴾: أي خير ﴿لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

فقد خرج مالك ذات الدار إذا دخل على مكتريها، فيجب عليه الاستئذان؛ لأنه قد صدق عليه أنه غير بيته. قوله: ﴿حتى تستأنسوا﴾ من الاستئناس وهو ضد الاستيحاش، سمي بذلك؛ لأن المستأذن مستوحش، فإذا أذن له فقد زال الاستيحاش. قوله: [فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل] أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان، وهو قول الأكثر والحق التفصيل، فإن وقع بصره على أحد في البيت قدم السلام، وإلا قدم الاستئذان ثم يسلم، ويكون كل من السلام والاستئذان ثلاث مرات؛ يفصل بين كل مرتين بسكوت يسير، الأول إعلام، والثاني للتهيؤ، والثالث استئذان في الدخول أو الرجوع، وإذا أتى الباب لا يستقبله من تلقاء وجهه، بل يجيء من جهة ركنه الأيمن أو الأيسر، وإذا طلب منه التعيين فليعين نفسه بصفة تميزه، ولا يكتف بقوله أنا مثلاً؛ لما روي عن جابر بن عبد الله قال: استأذنت على النبي ﷺ فقال: من هذا؟ فقلت: أنا فقال النبي ﷺ: أنا أنا، كأنه كره ذلك لعدم إفادته، فالواجب أن يفعل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد الدخول على النبي ﷺ وهو في مشربة فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليكم، أيدخل عمر؟ قوله: [من الدخول بغير استئذان] أي ومن تحية الجاهلية، حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتاً غير بيته يقول: حييتكم صباحاً، حييتكم مساء، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف. قوله: [بإدغام التاء الثانية في الذال] أي بعد قلبها دالا فذالا. قوله: ﴿أحداً﴾ [يأذن لكم] السالبة تصدق بنفي الموضوع، فهو صادق بأن لا يكون فيها أحد أصلاً، أو فيها من لا يصلح للإذن، أو فيها من يصلح، لكن لم يأذن. قوله: ﴿حتى يؤذن لكم﴾ أي حتى يأتيكم الإذن، ولو مع خادم يوثق به. قوله: ﴿هو أزكى﴾ أي أطهر للأمن من الرذائل والدناءات.

قوله: ﴿ليس عليكم جناح﴾ هذا كالاستثناء من قوله: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾، وسبب نزولها: أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال: يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والشام على ظهر الطريق والخانات، أفلا ندخلها إلا بإذن؟ فنزلت. قوله: ﴿غير مسكونة﴾ أي غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة، كالربط والخانات والحمامات والحوانيت ونحوها. قوله: [باستكنان] أي طلب كن يستتر فيه من الحر والبرد، وقوله: [وغيره] كالبيع والشراء. قوله: [المسبلة] اقتصر عليها؛ لأن مورد سؤال أبي بكر في الخانات المسبلة التي بين مكة والشام. قوله: [وسيأتي] أي في آخر السورة في قوله: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ أي قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإن الملائكة ترد عليكم، أي وإن كان بها أهل فسلموا عليهم.

قوله: ﴿قل للمؤمنين﴾ الخ شروع في ذكر أحكام تعم المستأذنين وغيرهم. قوله: ﴿يغضوا﴾ أي يخفضوا. قوله: [ومن زائدة] أي يغضوا أبصارهم، وحكمة دخول من في غض البصر دون حفظ الفرج، الإشارة إلى أن أمر النظر

﴿يَصْنَعُونَ﴾ ٣٠: بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾: عما لا يحل لهن نظره ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: عما لا يحل لهن فعله بها ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾: يظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين والثاني يحرم لأنه مظنة الفتنة ورجح حسماً للباب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: جمع بعل أي زوج ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن وشمل ما

أوسع من أمر الفرج. قوله: ﴿ذلك أزكى لهم﴾ أي لأنه أبعد للريبة، ولا مفهوم للبصر والفرج، بل باقي الجوارح كذلك، وخص البصر والفرج بالذكر، لأنهما مقدمتان لغيرهما من الجوارح. قوله: [فيجازيهم عليه] أي فالغاض يجازى بالحسنات، وغيره يجازى بالسيئات.

قوله: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهم﴾ هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات بغض الأبصار وحفظ الفروج، وبسط الكلام في شأنهن لأن النساء شأنهن التبرج والخيلاء والعجب لما روي: إذا أقبلت المرأة، جلس إبليس على رأسها فزينها لمن ينظر، وإذا أدبرت جلس على عجيزتها فزينها لمن ينظر، وقد اشتملت هذه الآية على خمس وعشرين ضميراً للإناث، ما بين مرفوع ومجرور، ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الشأن. قوله: [عما لا يحل لهن فعله بها] أي عن الأمر الذي لا يحل فعله بالفروج، كأن تمكن المرأة من فرجها غير زوجها نظراً أو فعلاً. قوله: ﴿زينتهن﴾ أي موضع زينتهن. قوله: [فيجوز نظره لأجنبي] الخ هذا مذهب مالك، وأحد قولين عند الشافعي. قوله: [حسماً للباب] أي سداً للذريعة.

قوله: ﴿وليضربن بخمرهن﴾ أي يلقين خمرهن على موضع جيوبهن، وهو العنق، والجيب في الأصل طوق القميص، وكانت النساء على عادة الجاهلية، يسدلن خمرهن من خلفهن، فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لسعتها، فأمرن بإرسال خمرهن على جيوبهن ستراً لما يبدو منها. قوله: ﴿زينتهن﴾، أي موضع زينتهن. قوله: ﴿إلا لبعولتهن﴾ حاصل هذه المستثنيات اثنا عشر نوعاً آخرها أو الطفل.

قوله: ﴿أو آبائهن﴾ أي وإن علوا. قوله: ﴿أو أبنائهن﴾ أي ولو من الرضاع وإن سفلوا. قوله: ﴿أو إخوانهن﴾ جمع أخ كان من نسب أو رضاع. قوله: ﴿أو نسائهن﴾ أي نساء جنسهن اللاتي اشتركن معهن في الإيمان، فيخرج الكافرات. قوله: [فيجوز لهم نظره] أي يجوز للرجال المحارم رؤية ما عدا بين السرة والركبة من محارمهم النساء. ويجوز لهن نظر ذلك منهم، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك لا يحل للرجال إلا نظر الوجه والأطراف من النساء المحارم، وأما النساء فيحل لهن نظر ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجال المحارم. قوله: [فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن] أي باتفاق مالك والشافعي، لئلا تصفها الكافرة لأهل دينها فتحصل المفاسد. قوله: [العبيد] أي فيجوز أن

---

* أسباب نزول الآية ٣١ قوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: بلغنا أن جابر بن عبد الله حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في نخل لها، فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات فيبدو ما في أرجلهن، يعني: الخلاخل وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا! فأنزل الله في ذلك ﴿وقل للمؤمنات﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن حضرمي أن امرأة اتخذت صرتين من فضة واتخذت جزعاً، فمرت على قوم فضربت برجلها فوقع الخلخال على الجزع فصوت، فأنزل الله ﴿ولا يضربن بأرجلهن﴾ الآية.

ملكت أيمانهن العبيد ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾: في فضول الطعام ﴿غَيْرِ﴾: بالجر صفة والنصب استثناء ﴿أُولِي الْإِرْبَةِ﴾: أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾: بأن لم ينتشر ذكر كل ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾: بمعنى الأطفال ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾: يطلعوا ﴿عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾: للجماع فيجوز أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾: من خلخال يتقعقع ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾: مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٣١]: تنجون من ذلك لقبول التوبة منه وفي الآية تغليب الذكور على الإناث ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾: جمع أيم وهي من ليس لها زوج بكراً كانت أو ثيباً ومن ليس له زوج وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: أي المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾: وعباد من جموع عبد ﴿إِنْ يَكُونُوا﴾:

يكشفن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة، لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك يفرق بين الوغد وغيره، فالوغد يرى من سيدته الوجه والأطراف، وغيره كالحر الأجنبي يرى منها الوجه والكفين.

قوله: ﴿أو التابعين﴾ الحق أن المراد بالتابع الشيخ الهرم الذي لا يشتهي النساء، أو الأبله الذي لا يعرف الأرض من السماء، ولا الرجل من المرأة. قوله: ﴿غير أولي الإربة﴾ بالكسر الحاجة. قوله: ﴿من الرجال﴾ حال من التابعين، أي فيجوز لمن ذكر نظر ما عدا ما بين السرة والركبة عند الشافعي، وعند مالك يحل نظر الوجه والأطراف فقط.

قوله: ﴿الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ اعلم أن الصبي إما أن لا يبلغ أن يحكي ما رأى، وهذا غيبته كحضوره، أو أن يبلغه وليس فيه ثوران شهوة وهذا كالمحرم، أو يعرف أمر الجماع والشهوة، وهذا كالبالغ باتفاق مالك والشافعي. قوله: ﴿ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ أي فإن ذلك يورث الرجال ميلاً إليهن، وهذا من باب سد الباب وتعليم الأحوط، وإلا فصوت الخلخال مثلاً ليس بعورة. قوله: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾ هذا حسن اختتام لهذه الآية، كأن الله يقول: لا تقنطوا من رحمتي، فمن كان قد وقع منه شيء مما نهيته عنه فليتب، فإن التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود. قوله: [تغليب الذكور] أي في قوله: ﴿وتوبوا﴾ الخ.

قوله: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ الخ، الخطاب للأولياء والسادات، والإنكاح تزويج الغير. قوله: [جمع أيم] أي بوزن فيعل، قيل غير مقلوب، وقيل إن الأصل أيائم فقلب. قوله: [وهي من ليس لها زوج] الخ، أي فلفظ الأيم يطلق على كل من الرجل والمرأة الغير المتزوجين، سواء سبق لهما تزوج أو لا، والأمر للوجوب إن خيف الزنا على المرأة أو الرجل، أو اضطرت المرأة للنفقة، لكن المرأة يزوجها وليها، والرجل يتزوج بنفسه، إن كان رشيداً أو أذن له وليه، وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة تزوج المرأة نفسها، فإن لم تخف الزنا، أو لم تضطر المرأة، كان مباحاً عند الشافعي، ومندوباً عند مالك وأبي حنيفة. واعلم أن النكاح تعتريه الأحكام الأربعة، فتارة يجب وذلك إذا خاف الزنا، ولو كان ينفق عليها من حرام، وتارة يندب إذا كان راغباً فيه ولم يخش الزنا راجياً النسل، وتارة يحرم، كما إذا كان يقطعه عن عبادة واجبة، أو ينفق عليها من حرام مع كونه لم يخش الزنا، وتارة يكره كما إذا كان يقطعه عن عبادة مندوبة. قوله: [وهذا في الأحرار] الخ أي بقرينة قوله: ﴿وإمائكم﴾. قوله: [أي المؤمنين] أي فالعبيد المؤمنون يزوجون وجوباً، إن خيف بتركه الزنا، وهذا عند الشافعي، وعند مالك لا يجب على السيد تزويج عبده، ولو خاف العبد الزنا، وحينئذ فالأمر عنده للندب. قوله: ﴿من عبادكم﴾ أي فيزوجه سيده ولو بحرة، وقوله: ﴿وإمائكم﴾ أي فيزوج السيد أمته لرقيق وكذا لحر، بشرط أن لا يجد للحرائر طولاً، وأن يخشى الزنا، ومحل الشرطين إن لم يكن عقيماً. قوله: [من جموع عبد] أي وله جموع أخر، كعبيد وأعابد وأعبد، ونحو ذلك.

أي الأحرار ﴿فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾: بالتزوج ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: لخلقه ﴿عَلِيمٌ﴾ ٣٢: بهم ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾: أي ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: يوسع عليهم ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: فينكحون ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: بمعنى المكاتبة ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: من العبيد والإماء ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: أي أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة وصيغتها مثلاً كاتبتك على ألفين في شهرين كل شهر ألف فإذا أديتهما فأنت حر فيقول قبلت ﴿وَءَاتُوهُم﴾: أمر للسادة ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾: ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم وفي معنى الإيتاء حط شيء مما التزموه ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ﴾: أي إمائكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾:

قوله: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ أي فإن في فضل الله كفاية عن المال، لقوله عليه الصلاة والسلام: «اطلبوا الغنى بالتزوج»، فالمهم تزوج الصالحين من عباد الله نساء ورجالاً، وإن كانوا فقراء لما في الحديث: «تنكح المرأة لمالها وجمالها ودينها، فعليك بذات الدين تربت يداك». قوله: ﴿والله واسع﴾ أي ذو العطايا العظيمة التي لا تنفد. قوله: ﴿عليم﴾ [بهم] أي بحالهم فيغنيهم. قوله: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً﴾ أي ليجتهدوا في طلب العفة وتحصيل أسبابها، وذلك يكون بالتباعد عن الغلمان والنساء، ويكون بملازمة الصوم والرياضة، لما في الحديث: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»، ويكون بترك استعمال العقاقير التي تقوي الشهوة واستعمال ضدها. قوله: [أي ما ينكحون به] أي فالمصدر بمعنى اسم المفعول ككتاب بمعنى مكتوب. قوله: [عن الزنا] قدره إشارة إلى أن متعلق يستعفف محذوف.

قوله: ﴿والذين﴾ اسم موصول مبتدأ و﴿يبتغون﴾ صلته و﴿الكتاب﴾ معمول ليبتغون، وقوله: ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ حال من فاعل ﴿يبتغون﴾، وقوله: ﴿فكاتبوهم﴾ الجملة خبر، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط. قوله: [بمعنى المكاتبة] أي وهي مفاعلة لأن السيد كتب على نفسه العتق، والعبد كتب على نفسه النجوم. قوله: ﴿فكاتبوهم﴾ الأمر للندب. قوله: [أي أمانة] أي في دينه. قوله: [وقدرة على الكسب] أي بحرفة وغيرها. قوله: ﴿وآتوهم﴾ الأمر قيل للندب وقيل للوجوب. قوله: [حط شيء] أي وهو أفضل من الإعطاء لأنه قد يصرفه في غير جهة الكتابة، والأفضل أن يكون ذلك الحط في آخر نجم.

قوله: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ جمع فتاة، ولا مفهوم للإكراه، بل الرضا بالزنا من الكبائر، وإنما عبر به لأنه سبب

---

* أسباب نزول الآية ٣٣ قوله تعالى: ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ الآية. أخرج ابن السكن في معرفة الصحابة عن عبد الله بن صبيح عن أبيه قال: كنت مملوكاً لحويطب بن عبد العزى فسألته الكتاب، فنزلت ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ الآية.

* وأسباب نزول قوله تعالى من الآية ٣٣: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾ الآية. أخرج مسلم من طريق أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: كان عبد الله بن أوفى يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فأنزل الله ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ الآية. وأخرج أيضاً من هذا الطريق أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة، وأخرى يقال لها أميمة، فكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ الآية. وأخرج الحاكم من طريق أبي الزبير عن جابر قال: كانت مسيكة لبعض الأنصار، فقالت: إن سيدي يكرهني على البغاء فنزلت ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ الآية.

وأخرج البزاز والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كانت لعبد الله بن أبي جارية تزني في الجاهلية فلما حرم الزنا قالت: لا والله لا أزني أبداً، فنزلت ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾. وأخرج البزار بسند ضعيف عن أنس نحوه وسمي الجارية معاذة. وأخرج سعيد بن منصور عن شعبان عن عمرو بن دينار عن عكرمة أن عبد الله بن أبي كانت له أمتان: مسيكة، ومعاذة، فكان يكرههما على الزنا، فقالت إحداهما: إن كان خيراً فقد استكثرت منه، وإن كان غير ذلك فإنه ينبغي أن أدعه، فأنزل الله ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ الآية.

أي الزنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾: تعففاً عنه وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط ﴿لِتَبْتَغُوا﴾: بالإكراه ﴿عَرَضَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾: نزلت في عبد الله بن أبيّ كان يكره جواريه على الكسب بالزنا ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ﴾: لهن ﴿رَحِيمٌ﴾ ٣٣: بهن ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾: بفتح الياء وكسرها في هذه السورة بيّن فيها ما ذكر أو بينة ﴿وَمَثَلاً﴾: خبراً عجيباً وهو خبر عائشة ﴿مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: أي من جنس أمثالهم أي أخبارهم العجيبة كخبر يوسف ومريم ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٣٤: في قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ ولولا إذ سمعتموه قلتم الخ يعظكم الله أن تعودوا الخ وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها ﴿اللهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي منورهما بالشمس والقمر ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾: أي صفته في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكٰوةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: هي القنديل والمصباح السراج أي الفتيلة الموقودة

النزول. قوله: ﴿على البغاء﴾ هو مصدر بغت المرأة تبغي بغاء، أي زنت، وهو مختص بزنا النساء. قوله: ﴿إن اراد تحصناً﴾ لا مفهوم له، بل يحرم الإكراه على الزنا وإن لم يردن التحصن، وإنما نص على ذلك لأنه الواقع من عبد الله بن أبي الذي نزلت في حقه الآية. قوله: [محل الإكراه] أي فلا يتحقق الإكراه إلا عند تلك الإرادة، وأما عند ميلهن لذلك باختيارهن فلا يتصور الإكراه حينئذ، فالتقييد لأجل صحة قوله: ﴿تكرهوا﴾. قوله: [كان يكره جواريه] أي وكن ستاً فشكا ثنتان منهن للنبي ﷺ فنزلت الآية. قوله: ﴿غفور﴾ [لهن] أي ما وقع منهن، لأن المكره وإن لم يكن آثماً، فربما يحصل منه بعض ميل، والإكراه المبيح للزنا هو خوف القتل أو الضرب المؤدي له أو لتلف عضو، وأما القتل فلا يباح تخوف القتل، بل يستسلم نفسه ولا يقتل غيره، وأما ترك الصلاة مثلاً فالإكراه عليه يحصل بالضرب ونحوه. قوله: [بفتح الياء وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بين فيها ما ذكر] راجع للفتح، وقوله: [أو بينة] راجع للكسر. قوله: ﴿ومثلاً﴾ عطف على آيات. قوله: [أي من جنس أمثالهم] أشار بذلك إلى أن في الآية حذف مضافين، والأصل ﴿ومثلاً﴾ من جنس أمثال الذين خلوا.

قوله: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ اعلم أن حقيقة النور كيفية تدركها الباصرة أولاً، وتدرك بواسطتها سائر المبصرات، كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لها، وهو بهذا المعنى مستحيل إطلاقه على الله، وحينئذ فيجاب عن الآية بأن معنى قوله: ﴿نور السموات والأرض﴾ خالق النور في السماوات بالشمس والقمر والنجوم والكواكب والعرش والملائكة، وفي الأرض بالمصابيح والسرج والشموع والأنبياء والعلماء والصالحين، وأفاد هذا المفسر بقوله: [أي منورهما] وقيل معنى ﴿نور السموات والأرض﴾ مظهرهما، لأن النور كما يطلق على الكيفية، يطلق على الظاهر في نفسه المظهر لغيره، وهو بهذا المعنى يصح إطلاقه على الله تعالى، فهو سبحانه وتعالى نور بمعنى مظهر للأشياء من العدم إلى الوجود، قال ابن عطاء الله في الحكم: الكون كله ظلمة، أناره ظهور الحق فيه، فوجود العالم بوجود الله، إذ لولا وجود الله، ما وجد شيء من العالم.

قوله: ﴿مثل نوره﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿كمشكاة﴾ خبر، والمثل بمعنى الصفة، والكلام على حذف مضاف، أي كمثل مشكاة. قوله: [أي صفته في قلب المؤمن] أشار بذلك إلى أن في الكلام شبه استخدام، حيث ذكر النور أولاً بمعنى، ثم ذكره ثانياً بمعنى آخر، فتحصل أنه فسر النور أولاً بالحسي، وثانياً بالمعنوي. قوله: ﴿كمشكاة﴾ اختلف في هذه اللفظة، قيل عربية وقيل حبشية معربة. قوله: ﴿في زجاجة﴾ واحدة الزجاج، وفيه ثلاثة لغات: الضم وبه قرأ العامة، والفتح والكسر وبهما قرئ شذوذاً. قوله: [هي القنديل] بكسر القاف. قوله: [الموقودة] صوابه الموقدة.

والمشكاة الطاقة غير النافذة أي الأنبوبة في القنديل ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾: والنور فيها ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: أي مضيء بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع لدفعها الظلام وبضمها وتشديد الياء منسوب إلى الدر اللؤلؤ ﴿تُوقَدُ﴾: المصباح بالماضي، وفي قراءة: بمضارع أوقد مبنياً للمفعول بالتحتانية، وفي أخرى: توقد بالفوقانية أي الزجاجة ﴿مِنْ﴾: زيت ﴿شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: لصفائه ﴿نُورٌ﴾: به ﴿عَلَى نُورٍ﴾ بالنار ونور الله أي هداه للمؤمن نور على نور

قوله: [غير النافذة] قيد به لأنه في تلك الحالة أجمع للنور. قوله: [أي الأنبوبة] هي السنبلة التي في القنديل، وهو تفسير آخر للمشكاة، وحينئذ فكان المناسب للمفسر أن يقول أو الأنبوبة، فتحصل أنه اختلف في المشكاة، فقيل هي الطاقة الغير النافذة التي وضع فيها القنديل، وعليه فهي ظرف للقنديل، وقيل هي السنبلة التي تكون وسط القنديل توضع فيها الفتيلة وعليه فالقنديل ظرف لها. قوله: [بكسر الدال وضمها] أي مع الهمزة قراءتان سبعيتان. قوله: [وبضمها وتشديد الياء] قراءة سبعية أيضاً فتكون القراءات ثلاثاً. قوله: [بمعنى الدفع] أي وبابه قطع. قوله: [منسوب إلى الدر] أي لشدة صفائه. قوله: [بالماضي] الخ حاصله أن القراءات ثلاث سبعيات بالماضي وبالمضارع بالتحتانية، ويكون الضمير عائداً على المصباح، وبالفوقانية ويكون الضمير عائداً على الزجاجة على حذف مضاف، أي فتيلة الزجاجة.

قوله: ﴿من﴾ [زيت] ﴿شجرة﴾ ﴿من﴾ ابتدائية، وأشار المفسر إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿مباركة﴾ أي لكثرة منافعها، قال ابن عباس: في الزيتون منافع، يسرج بزيته وهو إدام ودهان ودباغ ووقود، وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الإبريسم، وهي أول شجرة نبتت في الدنيا، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان، ونبتت في منازل الأنبياء والأرض المقدسة، ودعا لها سبعون نبياً بالبركة، منهم إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

قوله: ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ بالجر صفة لشجرة، وقرئ شذوذاً بالرفع خبر لمحذوف، أي لا هي شرقية ولا هي غربية، والجملة في محل جر نعت شجرة. قوله: [بل بينهما] الخ أشار بذلك إلى أن المراد بقوله: ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ أنها متوسطة، لا شرقية فقط ولا غربية فقط بل بينهما وهي الشام، فإن زيتونه أجود الزيتون. وفي الحديث «لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة، ولا خير فيهما في مضحى»، والمقناة بقاف ونون مفتوحة أو مضمومة، فهمزة المكان الذي لا تطلع عليه الشمس، والمضحى هو الذي تشرق عليه دائماً فتحرقه، وهو أحد قولين، وقيل معنى لا شرقية ولا غربية أن الشمس تبقى عليها دائماً من أول النهار لآخره، لا يواريها عن الشمس شيء، كالتي تكون في الصحاري الواسعة. فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى، وعلى هذا فلا يتقيد بشام ولا غيرها. قوله: [مضرين] هذا هو محل النفي وهو حال. قوله: ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه والتقدير لأضاء.

قوله: ﴿نور﴾ [به] أي الزيت، وقوله: ﴿على نور﴾ أي مع نور وهو نور المصباح والزجاجة، فالأنوار المشبه بها متعددة كأنوار المشبه، فليس المقصود في الآية التثنية، بل الكثرة، وتراكم الأنوار. قوله: [ونور الله أي هداه] الخ، أي فبراهين الله تزداد في قلب المؤمن برهاناً بعد برهان، إن قلت: لم ضرب المثل بنور الزيت، ولم يضربه بنور الشمس والقمر والشمع مثلاً؟ أجيب بأن الزيت فيه منافع، ويسهل لكل أحد، كما أن المؤمن الكامل الإيمان منافعه كثيرة، واختلف في هذا التشبيه، هل هو تشبيه مركب، بأن قصد فيه تشبيه جملة بجملة، من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء، وذلك بأن يراد مثل نور الله الذي هو هداه وبراهينه الساطعة، كجملة النور الذي يتخذ من هذه الهيئة، أو تشبيه جزء بجزء، بأن يشبه صدر المؤمن بالمشكاة، وقلبه بالزجاجة، ومعارفه بالزيت، وإيمانه بالمصباح.

الإيمانِ ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾: أي دِينِ الإسلام ﴿مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ﴾: يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾: تقريباً لأفهامهم ليَعتبروا فيؤمنوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٣٥: ومنه ضربُ الأمثالِ ﴿فِي بُيُوتٍ﴾: متعلق بيسبح الآتي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: تعظم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾: بتوحيده ﴿يُسَبِّحُ﴾: بفتح الموحدةِ وكسرها أي يصلي ﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ﴾: مصدر بمعنى الغدواتِ أي البكرِ ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ ٣٦: العشايا من بعدِ الزوالِ ﴿رِجَالٌ﴾: فاعلِ يسبح بكسر الباءِ وعلى

قوله: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ أيْ مَنْ يُريد هدايته، فإنّ الأسبابَ دونَ مشيئته لاغية، ولولا العناية ما كان الوصول لذلك النور. قوله: [أي دين الإسلام] المراد به ما يشمل الإيمان، وهو الذي ضرب له المثل المتقدم، وأظهر في مقام الإضمار اعتناء بشأنه. قوله: ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ أيْ تقريباً للمعقول من المحسوس، فحيث كان نورُ الإيمان والمعارف مثله هكذا، فلا تدخل شبهة على المؤمن، إلا شاهدها بعين البصيرة، كما تشاهد بعين البصر، ويشهد الحق بعين البصيرة، كما يشهده بعين البصر، وفي هذا المقام تنافس المتنافسون، فأدناهم أهل المراقبة وأعلاهم أهل المشاهدة، ومن هذا المعنى قوله تعالى ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ وقوله في الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله» وقوله في الحديث أيضاً: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» وللعارفين تفننات وضرب أمثال في هذه المقامات لا يدركها إلا من كان من أهل هذا النور.

قوله: ﴿في بيوت﴾ المراد بها جميع المساجد، وقيل خصوص مساجد أربع: الكعبة ومسجد المدينة وبيت المقدس وقباء، لأنه لم يبنها إلا نبي، فالكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة وقباء بناهما رسول الله ﷺ، والأقرب الأول، لأن العبرة بعموم اللفظ. قوله: [يتعلق بيسبح الآتي] أي سواء قرىء ببنائه للفاعل أو المفعول، وكرر الظرف وهو قوله فيها اعتناء بشأن المساجد، لما ورد: بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء، كما تضيء النجوم لأهل الأرض، ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف دل عليه قوله: ﴿يسبح﴾ والتقدير سبحوا ربكم في بيوت، وعلى هذين فالوقف على عليم، ويصح أن يكون الجار والمجرور صفة لمشكاة أو لمصباح أو لزجاجة، أو متعلق بتوقد، وعلى هذه الأربعة لا توقف على عليم.

قوله: ﴿أذن الله﴾ أيْ أمر، والجملة صفة لبيوت، و﴿أن﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء المقدرة، والتقدير أمر الله برفعها. قوله: [تعظم] أي حساً ومعنى، فالتعظيم الحسي رفعها بالبنيان المتين الحسن، مساوياً لبنيان البلد أو أعلى، ولا منافاة بين هذا، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم» لأن المنهي عنه الزخرفة والتزويق، لا حسن البنيان وإتقانه، ومن التعظيم الحسي، تطهيرها من الأقذار والنجاسات، قال القرطبي: كره بعض أصحابنا تعليم الصبيان في المساجد، لأنهم لا يتحرزون عن الأقذار والأوساخ، فيؤدي ذلك إلى عدم تنظيف المساجد، وقد أمر رسول الله ﷺ بتنظيفها وتطييبها فقال «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم وإقامة حدودكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم، وجمروها في الجمع واجعلوا لها على أبوابها المطاهر». والتعظيم المعنوي بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوي، وغير ذلك مما لا يعني.

قوله: ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ أي بأي ذكر كان. قوله: [بفتح الموحدة وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الفتح يكون نائب الفاعل أحد المجرورات الثلاث، والأول أولى، ولذا اقتصر عليه المفسر، و﴿رجال﴾ فاعل فعل محذوف، أو خبر لمحذوف تقديره يحسبه أو المسبح، وعليه فالوقف على ﴿الآصال﴾ وعلى الكسر، فرجال فاعله، ولا يوقف على ﴿الآصال﴾. قوله: [أي يصلي] فسر التسبيح بالصلاة لاشتمالها عليه، واختلف في المراد بالصلاة، فقيل المراد الصبح في الغدو، وباقي الخمس في الآصال، وقد أشار لهذا المفسر بقوله: [من بعد الزوال] وقيل المراد صلاة

فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ : أي شراء ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ : حذف هاء إقامة تخفيف ﴿وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾ : تضطرب ﴿فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ : من الخوف القلوب بين النجاة والهلاك والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال هو يوم القيامة ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ : أي ثوابه وأحسن بمعنى حسن ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٣٨ : يقال فلان ينفق بغير حساب أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ : جمع قاع أي في فلاة وهو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ : يظنه

الصبح والعصر لما قيل: إنهما الصلاة الوسطى. قوله: [مصدر] أي في الأصل، وأما هنا فالمراد منه الأزمنة. قوله: [أي البكر] أي وهي أوائل النهار، وقوله: [العشايا] هي أواخر النهار.

قوله: ﴿رجال﴾ خصوا بالذكر، لأن شأنهم حضور المساجد للجمعة والجماعة. قوله: [شراء] خص التجارة بالشراء، وإن كان لفظ التجارة يقع على البيع أيضاً لذكره البيع بعده، وقيل المراد بالتجارة حقيقتها، ويكون خص البيع بالذكر، لأن الاشتغال به أعظم، لكون الربح الحاصل من البيع ناجزاً محققاً، والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل فلا يكاد يشغله. قوله: ﴿عن ذكر الله﴾ أي عن حقوق الله صلاة أو غيرها، فقوله: ﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ من ذكر الخاص بعد العام اعتناء بشأنهما، فإن المواظب عليهما كامل الإيمان. قوله: ﴿وإقام الصلاة﴾ أي أدائها في أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها.

قوله: ﴿يخافون يوماً﴾ أي هؤلاء الرجال، وإن أكثروا الذكر والطاعات، فإنهم مع ذلك وجلون خائفون من الله سبحانه وتعالى، لعلمهم بأنهم ما عبدوه حق عبادته. قوله: [بين النجاة والهلاك] راجع لتقليب القلوب، وقيل معنى نقلب القلوب ارتفاعها إلى الحناجر، فلا تنزل ولا تخرج من شدة الهول. قوله: [بين ناحية اليمين والشمال] وقيل تقلب الأبصار شخوصها من هول الأمر وشدته. قوله: ﴿ليجزيهم الله﴾ اللام للعاقبة والصيرورة، أي إن مآل أمرهم وعاقبته الجزاء الحسن، وليست لام العلة، لأن هذه مرتبة عامة المؤمنين، وتلك الأوصاف إنما هي لكامل الإيمان. قوله: [وأحسن بمعنى حسن] أي فالمحترز عنه المجازاة علي القبيح، فالمعنى يجازون على كل عمل حسن، قال تعالى ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ ولا يجازون على ما سبق من العمل القبيح.

قوله: ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أي فلا يقتصر في إعطائهم على جزاء أعمالهم، بل يعطون أشياء لهم تخطر ببالهم. قوله: ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ تذييل ووعد كريم، بأنه تعالى يعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب. قوله: [يقال فلان ينفق بغير حساب] الخ، أي فهو كناية عن كون الله يعطيهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر بغير نهاية، فوق ما وعدهم به.

قوله: ﴿والذين كفروا﴾ الخ، لما ضرب الله المثل للمؤمنين بأشرف الأمثال وأعلاها، ضرب المثل للكفار بأشر الأشياء وأخسها. والحاصل أن الله ضرب للكفار مثلين: مثل لأعمالهم الحسنة بقوله: ﴿كسراب﴾ الخ، ومثل لأعمالهم السيئة بقوله: ﴿أو كظلمات﴾ الخ، والاسم الموصول مبتدأ، و﴿كفروا﴾ صلته، و﴿أعمالهم﴾ مبتدأ ثان، و﴿كسراب﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، ويصح أن يكون ﴿أعمالهم﴾ بدل اشتمال، و﴿كسراب﴾ خبر ﴿الذين﴾. قوله: ﴿أعمالهم﴾ أي الصالحة، كصدقة وعتق وغير ذلك مما لا يتوقف على نية. قوله: ﴿بقيعة﴾ الباء بمعنى في كما يشير له المفسر بقوله: [أي في فلاة]. قوله: [جمع قاع] أي كجيرة جمع جار، وقيل القيعة مفرد بمعنى القاع. قوله: [يشبه الماء الجاري] أي ويسمى الآل أيضاً، قال الشاعر:

﴿الظَّمْآنُ﴾: أي العطشان ﴿مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾: مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله أي لم ينفعه ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾: أي عن عمله ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾: أي جازاه عليه في الدنيا ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ٣٩: أي المجازاة ﴿أَوْ﴾: الذين كفروا أعمالهم السيئة ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾: عميق ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾: أي الموج ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾: أي الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾: أي غيم هذه ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾: ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الثاني وظلمة السحاب ﴿إِذَا أَخْرَجَ﴾: الناظر ﴿يَدَهُ﴾: في هذه الظلمات ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾: أي لم يقرب من رؤيتها ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ ٤٠: أي من لم يهده الله لم يهتد ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ومن

إذا أنا كالذي يجري لورد ... إلى آل فلم يدرك بلالا

ويسمى سراباً لأنه يتسرب أي يجري كالماء. قوله: ﴿يحسبه﴾ بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان، وماضيه حسب بكسر السين، وهو من باب تعب، في لغة جميع العرب، إلا بني كنانة، فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً. قوله: ﴿الظمآن﴾ أي وكذا كل من رآه، وإنما خص ﴿الظمآن﴾ لأنه أحوج من غيره. قوله: ﴿حتى إذا جاءه﴾ أي جاء ما قصده وظنه ماء، وهو غاية في محذوف، أي يستمر سائراً إليه ﴿حتى إذا جاءه﴾ الخ. قوله: [كذلك الكافر] الخ أشار بذلك إلى وجه الشبه، فتحصل أنه شبه حال الكافر من حيث اعتقاده، أن عمله الصالح ينفعه في الآخرة، فإذا جاء يوم القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه، بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم، فعظمت حسرته بحال الظمآن الذي اشتدت عليه حاجته إلى الماء، فإذا شاهد السراب تعلق به، فإذا جاءه لم يجده شيئاً. قوله: ﴿ووجد الله﴾ أي وجد وعد الله بالجزاء على عمله، أو المعنى وجد عذاب الله له. قوله: [أي جازاه عليه في الدنيا] المعنى أن الكافر يوم القيامة يعلم ويتحقق، أن الله جازاه على أعماله الحسنة التي لم تتوقف على نية في الدنيا، بالمال والبنين والعافية، وغير ذلك من لذات الدنيا، هكذا قال المفسر، وهو وإن كان صحيحاً في نفسه، إلا أن المفسرين على خلافه، فإنهم قالوا: معنى وفاه حسابه جازاه عليه في الآخرة بالعذاب. والحاصل أنه إن أريد مثلاً أعماله الصالحة التي تتوقف على نية، فمسلم أنه لا يجد لها جزاء في الآخرة، ولا تنفعه أصلاً، وإن أريد خصوص ما لا يتوقف على نية فقيل لا يجد لها نفعاً أصلاً، وقيل يجد نفعها، إما في الدنيا كتوسعتها عليه وعافيته وغير ذلك أو في الآخرة بتخفيف عذاب غير الكفر. قوله: ﴿أو كظلمات﴾ أو للتقسيم، أي إن أعمال الكافر تنقسم قسمين، قسم كالسراب وهو العمل الصالح، وقسم كالظلمات وهو العمل السيء، وقوله: ﴿أو كظلمات﴾ معطوف على قوله: ﴿كسراب﴾ على حذف مضاف تقديره أو كذي ظلمات يدل عليه قوله: ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾. قوله: ﴿لجي﴾ منسوب للج أو للجة، وهو الماء الغزير. قوله: ﴿يغشاه موج﴾ الخ أي يعلوه، وهو إشارة إلى كثرة الأمواج وتراكمها، والمعنى أن البحر اللجي يكون باطنه مظلماً بسبب غزارة الماء، فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة، فإذا كان مع ذلك سحاب ازدادت الظلمة جداً، ووجه الشبه أن الله تعالى ذكر ثلاث ظلمات: ظلمة البحر والأمواج والسحاب، كذلك الكافر له ثلاث ظلمات: ظلمة الاعتقاد، وظلمة القول، وظلمة الفعل. قوله: ﴿من فوقه سحاب﴾ أي قد غطى أنوار النجوم. قوله: [هذه] ﴿ظلمات﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ظلمات﴾ خبر لمحذوف. قوله: ﴿إذا أخرج يده﴾ خصها لأنها أقرب الأشياء إليه. قوله: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ استفيد من هذا أن النور ليس بالحول ولا بالقوة، بل بفضل الله يعطيه لمن يشاء، والمعنى من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً، فلا دين له. قوله: ﴿ألم تر﴾ الخطاب لكل

التسبيح صلاة ﴿وَالطَّيْرُ﴾: جمع طائر بين السماء والأرض ﴿صَافَّاتٍ﴾: حال باسطات أجنحتهن ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾: الله ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ٤١ فيه تغليب العاقل ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ٤٢: المرجع ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾: يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾: يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾: بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: مخارجه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ﴾: زائدة ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾: في السماء بدل بإعادة الجار ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾: أي بعضه ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ﴾: يقرب ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾: لمعانه

عاقل، وهو توبيخ للكفار، كأن الله يقول لهم: إن تسبيحي ليس قاصراً عليكم، بل جميع من في السماوات والأرض يسبحونني. قوله: [ومن التسبيح صلاة] ذكر ذلك توطئة لقوله: ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾، فالصلاة مندرجة في عموم التسبيح.

قوله: ﴿والطير﴾ بالرفع عطف على ﴿من﴾ والنصب على المعية، و﴿صافات﴾ بالنصب على الحال على كل من القراءتين، وقرىء شذوذاً برفعهما على الابتداء والخبر، ومفعول ﴿صافات﴾ محذوف أي أجنحتها. قوله: [بين السماء والأرض] أشار بهذا إلى أن العطف مغاير، لأنه في حالة الطيران يكون بين السماء والأرض. قوله: ﴿قد علم﴾ [الله] ﴿صلاته﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الضمير في علم على الله، ويصح عوده على كل، أي علم كل صلاة نفسه وتسبيحها. قوله: [فيه تغليب العاقل] أي حيث عبر بالفعل. قوله: [خزائن المطر والرزق] راجع للسماء، وقوله: [والنبات] راجع للأرض، وفي كلام المفسر إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف، والأصل ولله ملك خزائن السماوات والأرض، والأصح إبقاء الآية على ظاهرها كما سلكه غيره، وعلى كل فهو من أدلة تنزيه المخلوقات له. قوله: ﴿وإلى الله المصير﴾ أي مرجع الخلائق كلها إلى الله، فيجازي كل أحد بعمله.

قوله: ﴿ألم تر﴾ الخطاب لكل عاقل لا خصوص النبي ﷺ، لأن من تأمل ذلك حصل له العلم به. قوله: ﴿ثم يؤلف بينه﴾ أي بين أجزائه، لأن كل جزء سحاب، وبهذا اندفع ما قيل: إن بين لا تدخل إلا على متعدد، وإلى هذا يشير المفسر بقوله: [يضم بعضه إلى بعض] الخ. قوله: ﴿ركاماً﴾ الركام الشيء المتراكم بعضه على بعض. قوله: ﴿فترى الودق﴾ أي تبصره. قوله: [مخارجه] أي ثقبه، فالسحاب غربال المطر، قال كعب: لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء، لأفسد ما يقع عليه من الأرض.

قوله: ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من برد﴾ أشار بذلك إلى أن السماء كما ينزل منها المطر الذي هو نفع للعباد، ينزل منها بعض الجبال التي هي البرد، وهو ضر للعباد، فسبحان من جعل السماء منشأ للخير والشر. قوله: [زائدة] الحاصل أن من الأولى ابتدائية لا غير، والثانية فيها ثلاثة أوجه: قيل زائدة، وقيل ابتدائية، وقيل تبعيضية، وهو الأحسن، والثالثة فيها أربعة أوجه الثلاثة المتقدمة، وقيل بيانية وهو الأحسن، وحينئذ فيكون المعنى على ذلك، وينزل بعض جبال كائنة في السماء التي هي البرد، إنزالاً ناشئاً ومبتدأ من السماء. قوله: ﴿فيها﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لجبال. قوله: [بدل بإعادة الجار] هذا راجع لقوله: ﴿من جبال﴾، والمناسب للمفسر أن يقول أو بدل، فيكون قولاً ثانياً، لأن هذا لا يتأتى على جعلها زائدة، بل على جعلها ابتدائية.

قوله: ﴿فيصيب به﴾ أي بالبرد. قوله: ﴿سنا برقه﴾ هو بالقصر في قراءة العامة معناه الضياء، وأما بالمد فمعناه

﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ٤٣ : الناظرة له أي يخطفها ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ : أي يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ : التقليب ﴿لَعِبْرَةً﴾ : دلالة ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ٤٤ : لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ : أي حيوان ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ : أي نطفة ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ : كالحيات والهوام ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ : كالإنسان والطير ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ : كالبهائم والأنعام ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٤٥ ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ : أي بينات هي القرآن ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ﴾ : طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ ٤٦ : أي دين الإسلام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ : أي المنافقون ﴿آمَنَّا﴾ : صدقنا ﴿بِاللَّهِ﴾ : بتوحيده ﴿وَبِالرَّسُولِ﴾ : محمد ﴿وَأَطَعْنَا﴾ : هما فيما حكما به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾ : يعرض ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ : عنه ﴿وَمَا أُولَئِكَ﴾ :

الرفعة، وليس مراداً. قوله: [أي يخطفها] أشار بذلك إلى أن الباء في الأبصار للتعدية، والمعنى يذهبها بسرعة، لأن الضوء القوي يذهب الضعيف، ومن ذلك قول الفقهاء: إذا فعل رجل بآخر فعلاً أذهب بصره، وأريد أن يقتص منه بإذهاب بصره، فإنه يؤتى له بمرآة وتوضع في الشمس، ويجلس الشخص قبالتها، وتقلب المرآة يميناً وشمالاً، فإن ذلك يخطف بصره. قوله: [أي ويأتي بكل منها بدل الآخر] أي ويقصر هذا ويطول هذا، وفي هذا رد على من ينسب الأمور للدهر.

قوله: ﴿لأولي الأبصار﴾ جمع بصيرة، وخصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك، حيث يتأملون فيجدون الماء والنور والنار والظلمة تخرج من شيء واحد، فسبحان القادر على كل شيء. قوله: [على قدرة الله] متعلق بدلالة. قوله: [أي حيوان] أشار بذلك إلى أن المراد بالدابة ما دب على وجه الأرض، لا خصوص ذوات الأربع. قوله: [أي نطفة] هذا بحسب الغالب في الحيوانات الأرضية، وإلا فالملائكة خلقوا من النور، والجن خلقوا من النار، وآدم خلق من الطين، وعيسى خلق من النفس الذي نفخه جبريل في جيب أمه، والدود تخلق من الفاكهة والعفونات، وقيل المراد بالماء حقيقته لما ورد: أن الله خلق ماء، وجعل بعضه ريحاً ونوراً، فخلق منه الملائكة، وجعل بعضه ناراً فخلق منه الجن، وجعل بعضه طيناً فخلق منه آدم.

قوله: ﴿فمنهم﴾ الضمير راجع لكل باعتبار معناه، وفيه تغليب العاقل على غيره، حيث أتى بضمير جماعة الذكور العقلاء في الجميع. قوله: ﴿من يمشي على بطنه﴾ قدمه لغرابته وسماه مشياً مشاكلة لما بعده، وإلا فهو زحف. قوله: [كالحيات والهوام] بالتشديد أي خشاش الأرض، وأدخلت الكاف الدود والسمك. قوله: [كالإنسان والطير] أي والنعام. قوله: ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ أي ومنهم من يمشي على أكثر، كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بأم أربع وأربعين، وإنما لم يصرح بهذا القسم لندوره ولدخوله في قوله: ﴿يخلق الله ما يشاء﴾. قوله: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ أي مما ذكر ومما لم يذكر.

قوله: ﴿لقد أنزلنا﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، أي والله لقد أنزلنا، الخ. قوله: ﴿مبينات﴾ بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿والله يهدي من يشاء﴾ أشار بذلك إلى أن الهدى بيد الله وعنايته، فلا يهتدي إلا من حفه الله بالعناية، فليس ظهور الآيات سبباً في الاهتداء دون عناية الله. قوله: ﴿ويقولون آمنا بالله﴾ شروع في ذكر أحوال المنافقين. قوله: ﴿وأطعنا﴾ قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول ﴿أطعنا﴾ محذوف.

المعرضون ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٤٧: المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: المبلغ عنه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ٤٨: عن المجيء إليه ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ ٤٩: مسرعين طائعين ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: كفر ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾: أي شكوا في نبوته ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾: في الحكم أي فيظلموا فيه لا ﴿بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ٥٠: بالإعراض عنه ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: بالقول اللائق بهم ﴿أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: بالإجابة ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: حينئذ ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ٥١: الناجون ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾: يخافه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾: بسكون الهاء وكسرها بأن يطيعه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ ٥٢: بالجنة ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: غايتها ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾: بالجهاد ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُل﴾: لهم ﴿لَّا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾: للنبي خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

قوله: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله﴾ تفصيل لما أجمل أولاً. قوله: [المبلغ عنه] جواب عما يقال: لم افرد الضمير في ﴿ليحكم﴾ مع أنه تقدمه اثنان؟ فأجاب: بأن الرسول هو المباشر للحكم، وإنما ذكر الله معه تفخيماً لشأنه وتعظيماً لقدرته. قوله: ﴿إذا فريق﴾ ﴿إذا﴾ فجائية قائمة مقام الفاء في ربط الجواب بالشرط. قوله: ﴿معرضون﴾ أي إن كان الحكم عليهم بدليل ما بعده. قوله: [إليه] يصح أن يكون متعلقاً بيأتوا أو بمذعنين. قوله: ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ أشار بذلك إلى أن منشأ الإعراض وسببه أحد أمور ثلاثة. قوله: ﴿أم ارتابوا﴾ ﴿أم﴾ بمعنى بل والهمزة، وكذا يقال فيما بعده، والاستفهام للتقرير. قوله: [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام في هذا الأخير بمعنى النفي. والمعنى لا محل لخوفهم لاستحالة الحيف على الله ورسوله. قوله: [بالإعراض عنه] أي الحكم.

قوله: ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ العامة على نصب قول خبراً لكان، والاسم أن وما دخلت عليه، وقرىء شذوذاً برفعه على أنه اسمها، وأن وما دخلت عليه خبرها. قوله: [بالإجابة] أي قولاً وفعلاً. قوله: [حينئذ] أي حين إذا قالوا هذا القول. قوله: ﴿ومن يطع الله﴾ الخ قال بعض الأحبار: هذه الآية جمعت ما في توراة موسى وإنجيل عيسى. قوله: [يخافه] هذا حل معنى، وإلا فكان حقه أن يقول يخفه. قوله: [وكسرها] أي بإشباع ودونه فهذه ثلاث قراآت، وبسكون القاف مع كسر الهاء بدون إشباع فتكون أربعة، وكلها سبعية. قوله: ﴿هم الفائزون﴾ أي الظافرون بمقصودهم، الناجون من كل مكروه.

قوله: ﴿وأقسموا بالله﴾ الضمير عائد على المنافقين، وهو معطوف على قوله: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول﴾. قوله: ﴿جهد أيمانهم﴾ ﴿جهد﴾ منصوب على المفعولية المطلقة. والمعنى جهدوا اليمين جهداً، حذف الفعل واقيم المصدر مقامه، وأضيف إلى المفعول كضرب الرقاب، وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول الله ﷺ: أينما كنت نكن معك، لئن خرجت خرجنا، ولئن أقمت أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا. قوله: ﴿ليخرجن﴾ اللام موطئة للقسم، ويخرجن فعل مضارع مؤكد بالنون، وأصله ليخرجونن، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فالتقى ساكنان الواو ونون التوكيد، حذفت الواو لالتقائهما، وبقيت الضمة لتدل عليها. قوله: ﴿طاعة﴾ مبتدأ، و﴿معروفة﴾ صفته، والخبر محذوف قدره المفسر بقوله: [خير من قسمكم] ويصح أن يكون ﴿طاعة﴾ خبر المحذوف تقديره أمركم طاعة معروفة،

---

* أسباب نزول الآية ٤٨ قوله تعالى: ﴿وإذا دعوا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من مرسل الحسن قال: كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي إلى النبي ﷺ وهو محق أذعن وعلم أن النبي ﷺ سيقضي له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي ﷺ أعرض فقال: انطلق إلى فلان، فأنزل الله ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله﴾ الآية.

﴿خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٥٣: من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عن طاعته بحذف إحدى التاءين خطاب لهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾: من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾: من طاعته ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ٥٤: أي التبليغ البين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: بدلاً عن الكفار ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾: بالبناء للفاعل والمفعول ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من بني إسرائيل بدلاً عن الجبابرة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾: وهو الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان ويوسع لهم في البلاد فيملكوها ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾: من الكفار ﴿أَمْنًا﴾: وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر وأثنى عليهم بقوله ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾: هو مستأنف في حكم التعليل ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: الإنعام منهم به ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ٥٥: وأول من كفر به قتلة عثمان

أي الأمر المطلوب منكم طاعة معروفة بالصدق وموافقة الواقع، لا مجرد القول باللسان. قوله: ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ تعليل لما قبله، والمعنى لا تحلفوا باللسان، مع كون قلوبكم ليس فيها الامتثال والإخلاص، فإن الله مطلع على بواطنكم وظواهركم، لا تخفى عليه خافية.

قوله: ﴿فإن تولوا﴾ شرط حذف جوابه والتقدير فلا ضرر عليه، وقوله: ﴿فإنما عليه ما حمل﴾ علة لذلك المحذوف. قوله: ﴿ما حمل﴾ أي كلف. قوله: ﴿تهتدوا﴾ أي تصلوا للرشاد والفوز برضا الله، وهذا راجع لقوله: ﴿وعليكم ما حملتم﴾، وقوله: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ راجع لقوله: ﴿فإنما عليه ما حمل﴾ على سبيل اللف والنشر المشوش. قوله: [أي التبليغ البين] أي الظاهر وقد أداه، فعليكم أن تؤدوا ما حملتم من الطاعة لله ورسوله.

قوله: ﴿وعد الله﴾ الخ، ﴿وعد﴾ فعل ماض، ولفظ الجلالة فاعله، والاسم الموصول مفعوله الأول، والمفعول الثاني محذوف تقديره الاستخلاف في الأرض، وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمناً يدل على هذا المحذوف. قوله: ﴿ليستخلفنهم﴾ الخ، فإن اللام موطئة لقسم محذوف تقديره أقسم الله ليستخلفنهم. قوله: ﴿منكم﴾ الجار والمجرور حال ﴿من الذين آمنوا﴾ والخطاب لعموم الأمة. قوله: ﴿في الأرض﴾ أي جميعها، وقد حصل ذلك. قوله: ﴿كما استخلف﴾ ما مصدرية، والمعنى استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم. قوله: [بالبناء للفاعل والمفعول] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿الذي ارتضى لهم﴾ العائد محذوف أي ارتضاه لهم، والمعنى وليجعلن دينهم الذي رضيه لهم، ظاهراً وفائقاً على جميع الأديان. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بما ذكر] أي وهو ما تقدم من الأمور الثلاثة. قوله: ﴿يعبدونني﴾ أي يوحدونني. قوله: ﴿لا يشركون بي شيئاً﴾ حال من فاعل ﴿يعبدونني﴾ أو بدل مما قبله. قوله: [هو مستأنف] أي واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ما لهم يستخلفون ويجعل دينهم ظاهراً على جميع الأديان ويؤمنون، فقيل ﴿يعبدونني﴾ الخ. قوله: ﴿بعد ذلك﴾ [الأنعام] أي بما ذكر من الأمور الثلاثة، فالمراد بالكفر كفر النعم بدليل قوله: ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ وليس المراد به ما قابل الإيمان وإلا لقال الكافرون. قوله: [وأول من كفر به] أي بالأنعام. قوله: [قتلة عثمان] أي هم جماعة من الرعية أخذوه بغتة.

---

* أسباب نزول الآية ٥٥ قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا﴾ الآية. أخرج الحاكم وصححه، والطبراني عن أبيّ بن كعب قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله؟ فنزلت ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن البراء قال: فينا نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد.

رضي الله عنه فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ٥٦: أي رجاء الرحمة ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾: بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾: لنا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: بأن يفوتونا ﴿وَمَأْوَاهُمُ﴾: مرجعهم ﴿النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ٥٧: المرجع هي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من العبيد والإماء ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾: من الأحرار وعرفوا أمر النساء ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾: في ثلاثة أوقات ﴿مِن قَبْلِ صَلَوٰةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾: أي وقت الظهر ﴿وَمِن بَعْدِ صَلَوٰةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾: بالرفع خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه أي هي أوقات وبالنصب بتقدير أوقات منصوباً بدلاً من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾: أي المماليك والصبيان ﴿جُنَاحٌ﴾: في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿بَعْدَهُنَّ﴾: أي بعد الأوقات الثلاثة هم ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾: للخدمة ﴿بَعْضُكُمْ﴾: طائف ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: والجملة مؤكدة لما قبلها ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما بين ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: أي الأحكام ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأمور

قوله: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ معطوف على قوله: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾. قوله: ﴿لعلكم ترحمون﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق. قوله: [بالفوقانية والتحتانية] قراءتان سبعيتان. قوله: [والفاعل الرسول] أي على كل من القراءتين، والاسم الموصول مفعول أول، ومعجزين مفعول ثانٍ. قوله: [بأن يفوتونا] أي يفروا من عذابنا. قوله: ﴿ومأواهم النار﴾ معطوف على جملة ﴿لا تحسبن﴾ أو على مقدر تقديره بل هم مقهورون ومأواهم. قوله: [هي] قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ اختلف في الأمر، فقيل للوجوب وقيل للندب، والأمر متعلق بالمخدومين لا بالخدم. وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو، إلى عمر بن الخطاب ليدعوه، فدعاه فوجده نائماً وقد اغلق عليه الباب، فدق الغلام عليه الباب فناداه ودخل، فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء، فقال عمر: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن يدخلوا في هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد نزلت، فخر ساجداً شكراً لله تعالى. قوله: [وعرفوا أمر النساء] أي ميزوا بين العورة وغيرها. قوله: [في ثلاثة أوقات] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ثلاث مرات﴾ منصوب على الظرفية.

قوله: ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ أي لأنه وقت القيام من النوم، ولبس ثياب اليقظة. قوله: ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ أي التي تلبس في اليقظة، تضعونها لأجل القيلولة. قوله: ﴿من الظهيرة﴾ أي من أجل الظهيرة، وهي شدة الحر. قوله: ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ أي لأنه وقت التجرد من الثياب والنوم في الفراش. قوله: [بالرفع] أي وعليه فالوقف على قوله: ﴿العشاء﴾. قوله: [أي هي أوقات] الخ أي فالأصل أوقات ثلاث عورات، حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. قوله: [وبالنصب] أي وعليه فالوقف على ﴿لكم﴾ والقراءتان سبعيتان. قوله: [وهي لإلقاء الثياب] مبتدأ، وقوله: [تبدو فيها العورات] خبره.

قوله: ﴿عليكم﴾ أي في تمكينكم إياهم من الدخول عليكم. قوله: ﴿ولا عليهم﴾ أي في الدخول لعدم تكليفهم. قوله: [هم] ﴿طوافون﴾ خبر لمحذوف. قوله: ﴿على بعض﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن قوله: ﴿بعضكم﴾ قدره المفسر بقوله: [طائف]. قوله: [والجملة مؤكدة لما قبلها] وقيل ليست مؤكدة لأن المعنى

خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ ٥٨: بما دبره لهم وآية الاستئذان قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنكُمُ﴾: أيها الأحرار ﴿ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾: في جميع الأوقات ﴿كَمَا ٱسْتَأْذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي الأحرار الكبار ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٩ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: قعدن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: لذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ﴾: مظهرات ﴿بِزِينَةٍ﴾: خفية كقلادة وسوار وخلخال ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾: بأن لا يضعنها ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ ٦٠: بما في قلوبكم ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ

الأطفال والمماليك يطوفون عليكم للخدمة، وأنتم تطوفون عليهم للاستخدام، فلو كلفتم الاستئذان في هذه الأوقات وغيرها، لضاق الأمر عليكم. فقوله: ﴿بعضكم على بعض﴾ فيه زيادة على ما قبله. قوله: [وآية الاستئذان] أي قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين﴾ الخ، قوله: [قيل منسوخة] أي لما روي: أن نفراً من العراق قالوا لابن عباس: كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها، ولا يعمل بها أحد؟ فقال ابن عباس: إن الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب، فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله، فأمر الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والحجب، فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد. قوله: [وقيل لا] أي كما روي عن سعيد بن جبير حيث قال: يقولون نسخت، والله ما نسخت ولكن مما تهاون بها الناس. قوله: [ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان] أي لكثرة الغطاء والوطاء، ومع ذلك فالمناسب تعليم الاستئذان في هذه الأوقات للصبيان والمماليك، ليكونوا متخلقين بالأخلاق الجميلة.

قوله: ﴿وإذا بلغ الأطفال﴾ مقابل لقوله: ﴿والذين لم يبلغوا الحلم﴾. قوله: ﴿الذين من قبلهم﴾ أي الذين ذكروا في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ الآية. قوله: ﴿آياته﴾ أي أحكامه. قوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ أي بأمور الخلائق، فالذي ينبغي التخلق بأخلاق الشرع، ولا يعول إنسان على ما يعلمه من صيانة حريمه، ويترك آداب الشرع. قوله: ﴿والقواعد﴾ جمع قاعد بغير تاء، كحائض وطامث، فإن هذا الوصف مخصوص بالنساء، وكل وصف مخصوص بالنساء فلا يحتاج لتمييز بتاء وهو مبتدأ، و﴿اللاتي﴾ صفته، وقوله: ﴿فليس عليهن جناح﴾ خبره، وقرن بالفاء لعموم المبتدإ، فإن أل فيه اسم موصول، أو لكونه وصف بالاسم الموصول. قوله: [قعدن عن الحيض] أي انقطع حيضهن.

قوله: ﴿اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ أي لا يطمعن فيه، لموت شهوتهن عن الرجال. قوله: ﴿أن يضعن﴾ أي ينزعن. قوله: [من الجلباب] أي وهي الملحفة التي يغطى بها جميع البدن، كالملاءة والحبرة. قوله: [والقناع] أي الذي يلبس فوق الخمار، لستر الوجه والعنق. قوله: ﴿غير متبرجات بزينة﴾ أي متزينات، فحيث وجد الشرط جاز لهن كشف الوجه واليدين بين الأجانب لعدم الفتنة، وهو المفتى به عند مالك، وأحد قولين عند الشافعي. قوله: [بأن لا يضعنها] أي بأن يدمن الستر للوجه والكفين بين الأجانب. قوله: ﴿خير لهن﴾ أي لما فيه من سد الذرائع، فالأفضل لهن الستر للوجه واليدين، لأن كل ساقطة لها لاقطة.

قوله: ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ الخ، اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس: لما نزل ﴿يا

---

* أسباب نزول الآية ٦١ قوله تعالى: ﴿ليس على الأعمى﴾ الآية. قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كان الرجل يذهب بالأعمى والأعرج والمريض إلى بيت أبيه أو بيت أخيه أو بيت أخته أو بيته عمته أو بيت خالته، فكانت الزمني يتحرجون من ذلك =

﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾: في مؤاكلة مقابليهم ﴿ولا﴾: حرجَ ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾: أي بيوت أولادكم ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهانا الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يتمكن من الجلوس، ولا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض يضعف عن التناول، ولا يستوفي حقه من الطعام، فنزلت هذه الآية، وعلى هذا فتكون ﴿على﴾ بمعنى في، أي ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض حرج، وقيل سبب نزولها: أن هؤلاء الجماعة كانوا يتحرجون عن مؤاكلة الأصحاء، خوف أن يستقذروهم، وعلى هذا فعلى على بابها، وقيل: إن الآية نزلت في الجهاد، والمعنى ليس على هؤلاء حرج في التخلف عن الجهاد، وقيل كانت الصحابة إذا خرجوا للغزو، دفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون: لا ندخلها وأصحابها غائبون، مخافة أن لا يكون إذنهم عن طيب نفس، فنزلت الآية رخصة لهم، وكل صحيح إذا علمت ذلك، فنفي الحرج عن هؤلاء في أمور مخصوصة، وليس ذلك على العموم، فإن ما كلف به الصحيح كلف به غيره. قوله: [مقابليهم] أي السالمين من هذه الثلاثة.

قوله: ﴿على أنفسكم﴾ معطوف على ﴿الأعمى﴾ والمعنى ليس عليكم حرج في الأكل من بيوتكم. قوله: ﴿من بيوتكم﴾ بضم الباء وكسرها قراءتان سبعيتان هنا وفي جميع ما يأتي. قوله: [أي بيوت أولادكم] أي ذكوراً أو إناثاً، لأن بيوت الولد كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنت ومالك لأبيك» وقوله عليه الصلاة والسلام «إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه، وإن ولده من كسبه» والحامل للمفسر على هذا التقدير، عدم توهم حرمة الأكل من بيت نفسه، وعدم ذكر الأولاد صراحة، فدل ذلك على أن المراد ببيوتكم بيوت أولادكم.

قوله: ﴿أو بيوت آبائكم﴾ أي وإن علوا. قوله: ﴿إخوانكم﴾ جمع أخ ويجمع على إخوة وهو المراد هنا لأن

= يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت هذه الآية رخصة لهم ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ تحرج المسلمون وقالوا: الطعام من أفضل الأموال فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فكف الناس عن ذلك فنزل ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ إلى قوله ﴿أو مفاتحه﴾ الآية.

وأخرج الضحاك قال: كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي ﷺ لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض ولا أعوج، لأن الأعمى لا يبصر طيب الطعام، والمريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح، والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام، فنزلت رخصة في مؤاكلتهم، وأخرج عن مقسم قال: كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج فنزلت.

وأخرج الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس قال: خرج الحارث غازيا مع رسول الله ﷺ فخلف على أهله خالد بن زيد فحرج أن يأكل من طعامه وكان مجهوداً فنزلت. قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح﴾ الآية، أخرج البزار بسند صحيح عن عائشة قالت: كان المسلمون يرغبون في النفر مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتحهم إلى زمناهم ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما أحببتم، وكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا إنهم أذنوا عن غير طيب نفس، فأنزل الله ﴿ليس عليكم جناح﴾ إلى قوله ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ وأخرج ابن جرير عن الزهري أنه سئل عن قوله ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ ما بال الأعمى والأعرج والمريض ذكروا هنا؟ فقال: أخبرني عبد الله بن عبد الله قال: إن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، وكانوا يتحرجون من ذلك، ويقولون لا ندخلها وهم غيب، فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم.

وأخرج عن قتادة قال: نزلت ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾ في حي من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده، وكان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه. وأخرج عن عكرمة وأبي صالح قالا: كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم، فنزلت رخصة لهم.

عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾: أي خزنتموه لغيركم ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: وهو من صدقكم في مودته المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا أي إذا علم رضاهم به ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً﴾: مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتاً﴾: متفرقين جمع شتّ نزل فيمن تحرج أن يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً﴾: لكم لا أهل بها ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: أي قولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليكم وإن كان بها أهل فسلموا عليهم ﴿تَحِيَّةً﴾: مصدر حيا ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾: يثاب عليها ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: أي يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٦١: لكي تفهموا ذلك ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾: أي الرسول ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾:

المراد بهم أخوة النسب، وهم من شاركوك في رحم أو صلب. قوله: ﴿أو بيوت أخواتكم﴾ جمع أخت أي مما تملكه، أو من ملك زوجها إن كان صديقاً له أو مأذونة فيه، وكذا يقال فيما يأتي. قوله: ﴿أو ما ملكتم﴾ بالتخفيف، وقرئ شذوذاً بضم الميم وتشديد اللام مكسورة، أي ملككم غيركم. قوله: ﴿مفاتحه﴾ جمع مفتح بكسر الميم في قراءة العامة، وقرئ مفاتيحه بالياء، ومفتاحه بالإفراد. قوله: [أي خزنتموه لغيركم] أي حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه لقول ابن عباس: عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه على ضيعته وماشيته، فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته، ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخرها. قوله: [وهو من صدقكم في مودته] أي من كان خالصاً لكم في المحبة. قوله: [من بيوت من ذكر] أي الأصناف الأحد عشر، وخصوا بالذكر لأن الشأن التبسط بينهم. قوله: [أي إذا علم رضاهم به] أي ولو بقرينة، وهذا أحد قولين للعلماء وقيل يجوز الأكل من بيوت من ذكر ولو لم يعلم رضاهم به لأن القرابة التي بينهم تقتضي العطف والسماح. فإن قلت: على الأول حينئذ كان مشروطاً بعلم رضاهم، فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الأجانب. وأجيب: بأن هؤلاء يكفي فيهم أدنى قرينة، بل الشرط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا، بخلاف غيرهم من الأجانب، فلا بد من علم الرضا بصريح الإذن أو قرينة. قوله: [مجتمعين] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿جميعاً﴾ حال من فاعل ﴿تأكلوا﴾، وكذا قوله: ﴿أشتاتاً﴾. قوله: [جمع شت] هو مصدر بمعنى التفرق. قوله: [نزل فيمن تحرج] أي فهو كلام مستأنف، بيان لحكم آخر، وهم فريق من المؤمنين يقال لهم بنو ليث بن عمرو من كنانة، كان الرجل منهم لا يأكل، ويمكث يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه، فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً، وقيل نزلت في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين في كثرة الأكل وقلته.

قوله: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً﴾ [لكم] أي مساكنكم. قوله: ﴿تحية﴾ منصوب على المصدر من معنى فسلموا من باب جلست قعوداً وقمت وقوفاً. قوله: ﴿من عند الله﴾ أي ثابتة بأمره. قوله: ﴿مباركة﴾ أي لأنه يرجى بها زيادة الخير والثواب. قوله: [ولكي تفهموا ذلك] أي معالم دينكم فهذا أمر إرشاد وأدب للعباد.

قوله: ﴿إنما المؤمنون﴾ الخ، المقصود من هذه الآية، مدح المؤمنين الخالصين، والتعريض بذم المنافقين، و﴿إنما﴾ أداة حصر، و﴿المؤمنون﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿الذين آمنوا﴾ خبره. قوله: ﴿على أمر جامع﴾ إسناد الجمع

* أسباب نزول الآية ٦٢ قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون﴾ الآية. أخرج ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن عروة ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما قالوا: لما أقبلت قريش عام الأحزاب نزلوا بمجمع الأسيال من رومة بئر بالمدينة، قائدها أبو سفيان وأقبلت غطفان حتى نزلوا بنعمى إلى جانب أحد، وجاء رسول الله ﷺ الخبر، فضرب الخندق على المدينة وعمل فيه وعمل المسلمون فيه وأبطأ رجال من المنافقين وجعلوا يأتون بالضعيف من العمل فيتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذن له، وإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع﴾ إلى قوله ﴿والله بكل شيء عليم﴾.

كخطبة الجمعة ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾: لعروض عذر لهم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: أمرهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾: بالانصراف ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٦٢ ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾: بأن تقولوا يا محمد بل قولوا: يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع وخفض صوت ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾: أي يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء وقد للتحقيق ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾: أي أمر الله أو

للأمر مجاز عقلي، وحقه أن يسند للمؤمنين. قوله: [كخطبة الجمعة] أي والأعياد والحروب والحديث وغير ذلك، وكان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر، لم يخرج حتى يقوم تجاه النبي ﷺ بحيث يراه، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن، فيأذن لمن شاء منهم. قوله: ﴿حتى يستأذنوه﴾ أي يطلبوا منه الإذن فيأذن لهم.

قوله: ﴿إن الذين يستأذنونك﴾ الخ، هذا توكيد لما تقدم، ذكر تفخيماً وتعظيماً للاستئذان. قوله: ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾ أي كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، حيث استأذن الرسول في الرجوع إلى أهله، فأذن له النبي ﷺ وقال: ارجع فلست بمنافق، وكتخلف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله ﷺ حين ماتت، والنبي ﷺ متجهز لغزوة بدر. قوله: ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ في ذلك تفويض الأمر إلى رسول الله ﷺ لأنه الواسطة العظمى بين الخلق وربهم، فإذا أذن لأحد، علم من ذلك أن رضا الله في إذنه، قال العارف:

وخصك بالهدى في كل أمر ... فلست تشاء إلا ما يشاء

قوله: ﴿واستغفر لهم الله﴾ أي ليعوضهم بدل ما فاتهم من مجالستك، من أجل العذر الذي نزل بهم. قوله: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم﴾ أي نداءه بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا: يا محمد، ولا بكنيته فتقولوا: يا أبا القاسم، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بأن تقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، يا إمام المرسلين، يا رسول رب العالمين، يا خاتم النبيين، وغير ذلك، واستفيد من الآية أنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم، لا في حياته ولا بعد وفاته، فبهذا يعلم أن من استخف بجنابه ﷺ فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة. قوله: [وخفض صوت] أي لقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ وهذه الآداب كما تكون في حق النبي، تكون في حق حملة شريعته، فينبغي لتلامذة الأشياخ، أن يفعلوا معهم هذه الآداب ويتخلقوا بها، ليحصل لهم الفتوح والفلاح. قوله: ﴿الذين يتسللون﴾ أي يذهبون واحداً بعد واحد، لأن المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة إذا رقي النبي المنبر، فإذا كثر الناس نظروا يميناً وشمالاً، ويخرجون واحداً بعد واحد، إلى أن يذهبوا جميعاً. قوله: ﴿لواذاً﴾ حال من الواو في ﴿يتسللون﴾ من التلاوذ، وهو الاستتار، بأن يغمز بعضهم بعضاً بالخروج.

قوله: ﴿فليحذر الذين يخالفون﴾ الخ، مرتب على ما قبله، وضمن ﴿يخالفون﴾ معنى يعرضون، فعداه بعن.

---

* أسباب نزول الآية ٦٣ قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا﴾ الآية. أخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل الله ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله.

رسوله ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: بلاء ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦٣]: في الآخرة ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ﴾: أيها المكلفون ﴿عَلَيْهِ﴾: من الإيمان والنفاق ﴿وَ﴾: يعلم ﴿يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾: فيه التفات عن الخطاب أي متى يكون ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ﴾: فيه ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾: من الخير والشر ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾: من أعمالهم وغيرها ﴿عَلِيمٌ﴾[٦٤].

قوله: ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ ﴿أنّ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول يحذر، أي إصابة فتنة. قوله: ﴿أو يصيبهم﴾ ﴿أو﴾ مانعة خلوّ تجوّز الجمع. قوله: ﴿ألا إن لله﴾ الخ كالدليل لما قبله. قوله: ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ ﴿قد﴾ للتحقيق، والمعنى أن الله يعلم الأمر الذي في قلوب المنافقين، من المخالفة والإعراض عن أوامر الله تعالى. قوله: ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ معطوف على ﴿ما﴾ أي يردون إليه، وهو يوم البعث. قوله: ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ أي يخبرهم بأعمالهم، فيثيبهم على الحسنات، ويعاقبهم على السيئات.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٢٥] سورة الفرقان

[مكية إلاّ ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر إلى رحيماً﴾ فمدني وهي سبع وسبعون آية]

﴿تَبَارَكَ﴾: تعالى ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: القرآن لأنه فرّق بين الحقّ والباطل ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: محمد ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ﴾: أي الإنس والجنّ دون الملائكة ﴿نَذِيرًا﴾: مخوفاً من عذاب الله ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفرقان مكية

إلا ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله ﴿رحيماً﴾ فمدني

وهي سبع وسبعون آية

سُميت بذلك لأنّ بها الفرقَ بيْن الحقّ والباطل، لاشتمالها على أحكام التوحيد وأدلته، ومكارم الأخلاق، وأحْوال المعاد. قوله: [إلى قوله رحيماً] أي وهو ثلاث آياتٍ. قوله: [تعالى] أي تنزّه في ذاته وصفاته وأفعاله عن النقائص ومماثلة ما سِواه، لأنه قديم، وما سِواه حادِثٌ، أو معنى ﴿تبارك﴾ تعاظم أي اتصف بكلّ كمالٍ، ولا يوصف بهذا الوصْف غيره تعالى، فلا يقالُ تبارك النبيّ، ولا يقالُ تبارك السّلطان مثلاً، وهو فعل ماضٍ غيرُ متصرفٍ، فلا يأتي منه مضارع، ولا مصْدر، ولا اسم فاعِل. قوله: ﴿الفرقان﴾ من الفَرْق فعله فرَق من باب قتَل، وبها قرئ قوله تعالى ﴿فافرقْ بيننا وبين القوْم الفاسقين﴾ وقرئ شذوذاً من باب ضرَب، وهو بالتخفيف في المعَاني، وبالتشديد في الأجْسام، يقال فرَقْتُ بيْن الكلامَيْن، وفرّقْتُ بيْن العبدَيْن، والصحيحُ أنهما بمعْنى واحِدٍ في المعاني والأجْسام. قوله: [القرآن] أي ويسمّى به البعْض، كما يسمى به الكلّ، فالسورة الواحدة تسْمى فرقاناً، والجميع يُسمى فرقاناً، لأنه معجز للبَشَر، وفارقٌ بيْن الحقّ والباطل، كلاً أوْ بعْضاً، ويصحّ أن يُرادَ به جُملة القرآنِ، ويكون نزل مُستعملاً في حقيقته، بالنسبة لِما نزَل إذ ذاكَ، وبمعنى المستَقْبل بالنسبة لما سَينزل. قوله: [لأنه فرق بين الحق والباطل] أي ميّز بينهما، وقيل لأنه نزل مفرقاً في أوقات كثيرة.

قوله: ﴿على عبده﴾ إنما وصفه بهذا الوصْفِ، لأنه أشرف الأوْصاف وأعلاها. قوله: ﴿ليكون﴾ علة لقوله: ﴿نزل﴾ والضمير عائد على النبي ﷺ، لأنه أكبر مذكور، ويصح أن يكون عائداً على الفرقانِ، أو المنْزل، وهو الله تعالى، والأوضحُ الأول. قوله: [دون الملائكة] أشار بذلك إلى أن الإنذار خاصّ بالإنس والجن، لأن الملائكة لا تجوز

﴿وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[٢]: سوّاه تسوية ﴿وَاتَّخَذُوا﴾: أي الكفار ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: أي الله أي غيره ﴿آلِهَةً﴾: هي الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾: أي دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾: أي جره ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً﴾: أي إماتة لأحد وإحياء لأحد ﴿وَلَا نُشُورًا﴾[٣]: أي بعثاً للأموات ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا﴾: أي ما القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾: كذب ﴿افْتَرَاهُ﴾: محمد ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾: وهم من أهل الكتاب قال تعالى ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[٤]: كفراً وكذباً أي بهما ﴿وَقَالُوا﴾: أيضاً هو ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم جمع أسطورة بالضم

عليهم المعاصي والمخالفة لعصمتهم من ذلك، وإن كان النبي عليه الصلاة والسلام أرسل لهم إرسال تكليف بما يليق بهم على المعتمد. والحاصل: أن إرسال النبي ﷺ للثقلين إرسال تكليف، وكذا للملائكة، وأما للحيوانات التي لا تعقل والجمادات فإرسال تشريف. قوله: ﴿نذيراً﴾ أي وبشيراً، وإنما اقتصر على الإنذار، لأن السورة مكية، وفي ذلك الوقت لم يصلحوا للتبشير.

قوله: ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ نعت للموصول الأول، أو بيان أو بدل أو خبر لمحذوف، أي هو الذي، أو منصوب على المدح، وما بعده من تمام الصلة، فلا يلزم عليه الفصل بأجنبي بين الموصول الأول والثاني، على جعله تابعاً له. قوله: ﴿ولم يتخذ ولداً﴾ رد على اليهود والنصارى. قوله: ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ رد على عباد الأصنام. قوله: ﴿وخلق كل شيء﴾ كالدليل لما قبله، لأن الخالق لكل شيء لا شريك له ولم يتخذ ولداً. قوله: [من شأنه أن يخلق] دفع بذلك ما يقال: إنه دخل في الشيء ذاته تعالى وصفاته. فأجاب: بأن المراد بالشيء ما شأنه أن يتعلق به الخلق، وهو المعدوم. قوله: [سوّاه تسوية] أي عدله تعديلاً، بأن جعله على شكل حسن، ودفع بذلك ما قيل: إن الآية فيها قلب، لأن الخلق متأخر عن التقدير، لأن التقدير أزلي لأنه تعلق العلم والإرادة الأزلي، والخلق حادث لأنه تعلق القدرة التنجيزي الحادث، فأجاب: بأن التقدير معناه التصوير على شكل حسن، ولا شك أن ذلك حاصل بعد إيجاده على طبق العلم والإرادة، وهذا سر قول الغزالي: ليس في الإمكان أبدع مما كان، لأن ما أوجده الله من المخلوقات تعلق به العلم والإرادة أزلاً، فوجد على طبق ذلك، فإذا كان كذلك، كان التغيير لذلك مستحيلاً، لأنه حينئذ ينقلب علم الله جهلاً، وهو لا تتعلق به القدرة. إن قلت: يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ وقوله تعالى ﴿إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين﴾ فإنه يقتضي أن في قدرة الله إذهاب هذا العلم والإتيان بغيره. أجيب: بأن ما في الآية باعتبار التعلق الصلاحي للقدرة والتجويز العقلي، وما قاله الغزالي باعتبار التعلق التنجيزي الذي حصل متعلقه. قوله: [أي الكفار] أي المعلومون من قوله: ﴿للعالمين﴾.

قوله: ﴿آلهة﴾ وصفهم بسبعة أوصاف، أولها قوله: ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ وآخرها قوله: ﴿نشوراً﴾. قوله: ﴿وهم يخلقون﴾ أي يصورون من حجارة وغيرها بنحت عبادها. قوله: ﴿لأنفسهم﴾ أي فضلاً عن غيرهم. قوله: ﴿ضراً﴾ قدمه لأن دفعه أهم، وقدم الموت لمناسبة الضر.

قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ شروع في ذكر أباطيلهم المتعلقة بالقرآن، إثر أكاذيبهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى. قوله: ﴿افتراه﴾ أي اختلقه. قوله: [وهم من أهل الكتاب] أرادوا بهم اليهود حيث قالوا: إنهم يأتون له بالأخبار الماضية، وهو يعبر عنها بعبارات من عنده، فهذا معنى إعانتهم له. قوله: [قال تعالى] أي رداً لمقالتهم. قوله: [كفراً وكذباً] لف ونشر مرتب. قوله: [أي بهما] أشار بذلك إلى أن ﴿ظلماً وزوراً﴾ منصوبان بنزع الخافض، ويصح نصبهما بجاء بتضمينه معنى فعل.

﴿اكْتَتَبَهَا﴾: انتسخها من ذلك القوم غيره ﴿فَهِيَ تُمْلَى﴾: تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾: ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾٥: غدوة وعشياً قال تعالى ردّاً عليهم ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾: الغيب ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا﴾: للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾٦: بهم ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا﴾: هلا ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾٧: يصدّقه ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ﴾: من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾: بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾: أي من ثمارها فيكتفي بها وفي قراءة نأكل بالنون أي نحن فيكون له مزية علينا بها ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾: أي الكافرون للمؤمنين ﴿إِن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾٨: مخدوعاً مغلوباً على عقله قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفقه وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فَضَلُّوا﴾: بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾٩: طريقاً إليه ﴿تَبَارَكَ﴾: تكاثر خير

قوله: ﴿وقالوا﴾ [أيضاً] أي كما قالوا ما تقدم. قوله: ﴿أساطير الأولين﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله هو. قوله: ﴿اكتتبها﴾ أي أمر بكتبها لأنهم يعلمون أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب. قوله: [من ذلك القوم] المناسب أن يقول من أولئك القوم. قوله: [تقرأ] ﴿عليه﴾ أي فليس المراد بالإملاء الإلقاء على الكاتب ليكتبه. قوله: ﴿بكرة وأصيلاً﴾ المراد دائماً أبداً. قوله: [ردّاً عليهم] أي مقالاتهم الشنيعة. قوله: [الغيب] أي ما غاب عنا. قوله: [للمؤمنين] كذا قال المفسر، ويصح أن يكون المراد الكفار، فيكون تعليلاً لمحذوف تقديره وأخّر عقابكم ولم يعاجلكم به لأنه الخ، وقوله: ﴿كان﴾ أي ولم يزل.

قوله: ﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ الخ شروع في بعض قبائحهم التي قالوها في حق الرسول عليه السلام، والمعنى أي شيء حصل لهذا الذي يدعي الرسالة، حالة كونه يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في الأسواق لطلب الرزق كما نفعل؟ فتسميتهم إياه رسولاً بطريق الاستهزاء به. قوله: [هلا] أشار بذلك إلى أن ﴿لولا﴾ تحضيضية. قوله: ﴿فيكون معه نذيراً﴾ بالنصب في قراءة العامة على جواب التحضيض، وقرىء شذوذاً بالرفع عطفاً على ﴿أنزل﴾. قوله: [يصدقه] أي يشهد له بالرسالة والصدق. قوله: ﴿أو تكون له جنة﴾ بالتاء في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بالياء، لأن تأنيث الجنة مجازي.

قوله: ﴿وقال الظالمون﴾ إظهار في موضع الإضمار للإشعار بوصف الظلم وتجاوز الحد فيما قالوا. قوله: [مخدوعاً مغلوباً على عقله] أي فالمراد بالسحر الاختلال في العقل، من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم. قوله: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ خطاب لرسول الله ﷺ على سبيل الاستفهام التعجبي، أي تعجب يا محمد من وصف هؤلاء لك بتلك الأوصاف التي كانت سبباً في ضلالهم. قوله: ﴿فضلوا﴾ [بذلك] أي ضرب الأمثال. قوله: [عن الهدى] أي الحق. قوله: ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ أي لا يقدرون على الوصول إلى الهدى، لما طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.

قوله: ﴿تبارك﴾ اعلم أن هذا الوصف جامع لكل كمال مستلزم لنفي كل نقص، وحينئذ فيحسن تفسيره في كل

---

* أسباب نزول الآية ١٠: أخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن جرير وابن أبي حاتم عن خيثمة قال: قيل للنبي ﷺ إن شئت أعطيناك مفاتيح الأرض وخزائنها لا ينقصك ذلك عندنا في الآخرة، وإن شئت جمعتهما لك في الآخرة قال: بل اجمعهما لي في الآخرة فنزلت ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ الآية.

﴿الَّذِيٓ إِنْ شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَٰلِكَ﴾: الذي قالوه من الكنز والبستان ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي في الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَل﴾: بالجزم ﴿لَّكَ قُصُورًا﴾ ١٠: أيضاً وفي قراءة بالرفع استئنافاً ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾: القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ١١: ناراً مسعرة أي مشتدة ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾: غلياناً كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب ﴿وَزَفِيرًا﴾ ١٢: صوتاً شديداً أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾: بالتشديد والتخفيف بأن يضيق عليهم ومنها حال من مكاناً لأنه في الأصل صفة له ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: مصفدين قد قرنت أي جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال والتشديد للتكثير

مقام بما يناسبه، فلما كان ما تقدم من مقامه تنزيهه فسره بتعالى، ولما كان ما هنا مقام إعطاء، فسره بتكاثر خيره، ولما كان ما يأتي في آخر السورة مقام عظمة وكبرياء، فسره بتعاظم، وهكذا يقال في كل مقام. قوله: ﴿خيراً من ذلك﴾ أي مما اقترحوا بأن يعجل لك أعظم من ذلك في الدنيا.

قوله: ﴿جنات﴾ بدل من ﴿خيراً﴾. قوله: [لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة] علة لقوله: [أي في الدنيا] والمعنى تكاثر خير الله الذي إن شاء جعل لك خيراً مما تمنوه لك في الدنيا وإنما لم تتعلق إرادة الله به لكونه فانياً، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الفاني جزاء لأحبابه لأن الدنيا دار ممر لا مقر، حلالها حساب، وحرامها عقاب، وحاشاه سبحانه وتعالى، أن يوقع حبيبه ومن كان على قدمه في الحساب أو العقاب. قوله: [بالجزم] أي عطفاً على محل ﴿جعل﴾ لأنه جواب الشرط، والمعطوف على الجواب جواب. قوله: [بالرفع استئنافاً] أي معطوف على جواب الشرط بناء على أنه غير مجزوم لقول مالك: وبعد ماض رفعك الجزا حسن. وإنما لم يجزم لضعف تأثير إن في الشرط لكونه ماضياً فارتفع، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ إضراب انتقالي عن ذكر قبائحهم، إلى بيان ما لهم في الآخرة من أنواع العذاب. قوله: ﴿واعتدنا﴾ أي هيأنا وأحضرنا، وفي هذا دليل على أن النار مخلوقة الآن، كما أن الجنة كذلك، لقوله تعالى: ﴿أعدت للمتقين﴾. قوله: [ناراً مسعرة] بالتشديد والتخفيف.

قوله: ﴿إذا رأتهم﴾ أي حقيقة بعينها لما في الحديث: «من كذب علي متعمداً، فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً، قيل يا رسول الله أو لها عينان؟ قال أما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ يخرج عنق من النار له عينان يبصران، ولسان ينطق فيقول: «وكلت بمن جعل مع الله إلهاً آخر، فلهو أبصر به من الطير بحب السمسم فيلتقطه» وفي رواية: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين». وهذا مذهب أهل السنة، وقالت المعتزلة: الكلام على حذف مضاف، أي رأت زبانيتها بناء منهم على أن الرؤية مشروطة بالحياة. قوله: ﴿من مكان بعيد﴾ قيل مسيرة سنة، وقيل مائة سنة، وقيل خمسمائة سنة. قوله: [أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه] أشار بذلك إلى أن السماع ليس على حقيقته، بل المراد منه الرؤية والعلم. وأجيب أيضاً: بأن المراد سماع ما يدل عليه وهو الغليان، وقد أفاده أولاً، فتحصل أن المفسر أجاب بجوابين.

قوله: ﴿وإذا ألقوا﴾ أي طرحوا. قوله: ﴿مكاناً﴾ منصوب على الظرفية أي في مكان. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بأن يضيق عليهم] أي كضيق الحائط على الوتد الذي يدق فيه بعنف. قوله: [لأنه في الأصل صفة له] أي وهو نكرة، ومن المعلوم أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالاً كقول الشاعر:

لمية موحشاً طلل

﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾ ١٣: هلاكاً فيقال لهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً﴾ ١٤: كعذابكم ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾: المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ﴾: ها ﴿الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾: في علمه تعالى ﴿جَزَاءً﴾: ثواباً ﴿وَمَصِيراً﴾ ١٥: مرجعاً ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ خَالِدِينَ﴾: حال لازمة ﴿كَانَ﴾: وعدهم ما ذكر ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُولاً﴾ ١٦: يسأله من وُعِدَ به ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو تسأله لهم الملائكة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾: بالنون والتحتانية ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿فَيَقُولُ﴾: تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين إثباتاً للحجة على العابدين ﴿أَأَنْتُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾: أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ ١٧: طريق الحق بأنفسهم ﴿قَالُوا

والأصل لمية طلل موحش.

قوله: ﴿مقرنين﴾ حال من الواو في ﴿ألقوا﴾ والتقرين تقييد الأرجل وجمع الأيدي والأعناق في السلاسل. قوله: [مصفدين] من التصفيد وهو الشد والإيثاق بالقيود. قوله: ﴿دعوا هنالك﴾ أي في ذلك المكان. قوله: ﴿ثبوراً﴾ أي فيقولون: يا ثبوراه، هذا أوانك فاحضر، لأنه أخف مما هم فيه. قوله: [فيقال لهم] أي على سبيل التهكم والسخرية بهم. قوله: ﴿ثبوراً واحداً﴾ أي مرة واحدة. قوله: [كعذابكم] تشبيه في الكثرة، وفي نسخة باللام، أي لأجل دوام عذابكم وكثرته، فينبغي أن يكون دعاؤكم كذلك. قوله: ﴿قل أذلك خير﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، وإلا فليس في النار خير. قوله: [في علمه تعالى] جواب عما يقال: إنها لم تكن جزاء ومصيراً الآن. فأجاب: بأن المعنى قد سبق علم الله، بأنها تكون لهم جزاء ومصيراً. قوله: [مرجعاً] أي مستقراً.

قوله: ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ أي من النعم اللائقة بهم، وأما ما لا يليق بهم فلا يخطر ببالهم، فكل إنسان يرضيه الله بما أعطاه، ولا يلتفت إلى عطاء من هو أشرف منه، ولا يخطر بباله سؤاله، وبهذا اندفع ما قيل: إن مقتضى الآية أن الإنسان يتمنى مراتب الأنبياء في الجنة ويعطاها. قوله: [حال] أي من الهاء في لهم، أو من الواو في ﴿يشاءون﴾.
قوله: ﴿كان﴾ [وعدهم ما ذكر] أشار بذلك إلى أن اسم ﴿كان﴾ يعود على الوعد المفهوم من قوله: ﴿وعد المتقون﴾.
قوله: [ربنا وآتنا] أي كما قال تعالى حكاية عن دعائهم لأنفسهم وقوله: [ربنا وأدخلهم] أي كما قال تعالى حكاية عن دعاء الملائكة للمؤمنين.

قوله: ﴿ويوم نحشرهم﴾ ظرف مفعول لمحذوف تقديره اذكر، والضمير في نحشرهم للعابدين لغير الله. قوله: [بالنون] أي مع النون في نقول أو الياء، وقوله: [والتحتانية] أي مع التحتانية في يقول، فالقراءات ثلاث سبعيات، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع. قوله: ﴿وما يعبدون﴾ معطوف على مفعول ﴿نحشرهم﴾، وأوقع ﴿ما﴾ على العقلاء وهو قليل، وهذا ما يفيده المفسر بالتمثيل، ويصح أن يراد من ﴿ما﴾ العاقل وغيره كالأصنام، وغلب غير العاقل على العاقل لكثرته. قوله: [إثباتاً للحجة على العابدين] أي وتبكيتاً لهم، وهو جواب عما يقال: إن الله عالم في الأزل بما ذكر، فما فائدة هذا السؤال. قوله: [بتحقيق الهمزتين] أي مع ادخال ألف بينهما وتركه، فالتحقيق فيه قراءتان، والتسهيل كذلك، والإبدال واحدة، فتكون خمساً، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع وكلها سبعية، إن قلت على قراءة الإبدال، يلزم عليه التقاء الساكنين على غير حده وهو ممنوع. أجيب: بأن محل منعه ما لم يكن مسموعاً، وهذا مسموع من رسول الله ﷺ. قوله: ﴿هؤلاء﴾ نعت لعبادي، أو عطف بيان أو بدل منه.

﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك عما لا يليق بك ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي﴾: يستقيم ﴿لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ﴾: أي غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: مفعول أول ومن زائدة لتأكيد النفي وما قبله الثانية فكيف نأمر بعبادتنا ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾: من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾: تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا قَوْماً بُوراً﴾ [١٨]: هلكى قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾: أي كذب المعبودون العابدين ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾: بالفوقانية إنهم آلهة ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: بالتحتانية والفوقانية أي لا هم ولا أنتم ﴿صَرْفاً﴾: دفعاً للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْراً﴾: منعاً لكم منه ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ﴾: يشرك ﴿مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً﴾ [١٩]: شديداً في الآخرة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾: فأنت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: بلية ابتلي الغني بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثاني في كل مالي لا أكون

قوله: ﴿قالوا﴾ أي المعبودون، وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ماذا قالوا في الجواب.

قوله: ﴿من أولياء﴾ أي أتباعاً يعبدوننا، ويصح أن يراد بالأولياء المتبوعون أي معبودون لنا؛ لأن الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع، كالمولي يطلق على الأعلى والأسفل، وكلام المفسر يفيد المعنى الثاني، إذا علمت ذلك فالتبري حاصل في هذه الآية من الأولياء، بمعنى المعبودين أو العابدين لغير الله، وأما بمعنى من تولوا خدمة الله، أو من تولاهم الله، فلم يكلهم لغيره، فقد اتخذهم الله وأمر بالتعلق بأذيالهم. قوله: [مفعول أول] أي لنتخذ قوله: [وما قبله] أي وهو قوله: ﴿من دونك﴾. قوله: [فكيف نأمر بعبادتنا] أي بعبادتهم إيانا، فنحن لم نضلهم.

قوله: ﴿ولكن متعتهم﴾ الخ استدراك لرفع ما يتوهم ثبوته، والمعنى أنت أنعمت عليهم بنعم عظيمة، فجعلوا ذلك سبباً لضلال، وليس لنا مدخل في ذلك، وفي هذا الاستدراك رجوع للحقيقة. قوله: [تركوا الموعظة] أي غفلوا عن التذكر في آياتك، فالنسيان معناه الترك. قوله: ﴿بوراً﴾ يحتمل أنه جمع بائراً، ومصدر من البوار وهو الهلاك.

قوله: ﴿فقد كذبوكم﴾ خطاب للعبدين فالواو واقعة على المعبودين، والكاف على العابدين، وقوله: ﴿بما تقولون﴾ أي فيما تقولون، وقوله: [بالفوقانية] أي باتفاق العشرة، وقوله: [إنهم آلهة] مقول القول. قوله: [أي لا هم] راجع للتحتانية، وقوله: [ولا أنتم] راجع للفوقانية.

قوله: ﴿ومن يظلم منكم﴾ أي أيها المكلفون من العابدين والمعبودين، فظلم العابد بعبادته غير الله، وظلم المعبود برضاه بذلك. قوله: ﴿نذقه﴾ بنون العظمة في قراءة العامة. قوله: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ الخ المقصود من هذه الآية، تسليته للنبي ﷺ والرد على المشركين حيث قالوا: ﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام﴾ الخ. قوله: ﴿إلا إنهم﴾ الجملة حالية، وإن مكسورة باتفاق القراء، واللام للابتداء زحلقت للخبر. والمعنى ما أرسلنا قبلك من المرسلين في حال من الأحوال، إلا في حالة أكلهم الطعام، ومشيهم في الأسواق، أي فهذه عادتهم ودأبهم، فإن هجوك بذلك فقد هجوا جميع الأنبياء فلا تحزن.

قوله: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ أي إن الدنيا دار بلاء وامتحان، فجعل بعض العبيد فتنة لبعض، ليظهر الصابر من غيره. قوله: [ابتلي الغني بالفقير] الخ، أي فالغني ممتحن بالفقير يحسده، والفقير ممتحن بالغني يسخر به

---

* أسباب نزول الآية ٢٠: وأخرج الواحدي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: لما عير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق حزن رسول الله ﷺ، فنزلت ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ الآية. وأخرج ابن جرير نحوه من طريق سعيد وعكرمة عن ابن عباس.

كالأول في كل ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾: على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم استفهام بمعنى الأمر أي اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ ٢٠: بمن يصبر وبمن يجزع ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَائِكَةُ﴾: فكانوا رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾: فنخبر بأن محمداً رسوله قال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا﴾: تكبروا ﴿فِي﴾: شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا﴾: طغوا ﴿عُتُوّاً كَبِيراً﴾ ٢١: بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا وعتوا بالواو على أصله بخلاف عتيا بالإبدال في مريم ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَائِكَةَ﴾: في جملة الخلائق هو يوم القيامة ونصبه باذكر مقدراً ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾: أي الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة ﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾ ٢٢:

ويحتقره، والصحيح ممتحن بالمريض يقول: لِمَ لم نعاف، ونصير مثل هذا، والمريض ممتحن بالصحيح يتكبر عليه ويغتر بصحته، والشريف كالأنبياء والعلماء والصلحاء، ممتحن بالوضيع يحسده على ما أعطاه الله وهكذا، والمخلص من ذلك الصبر على أحكام الله والرضا بها، لأن الواجب على الإنسان أن ينظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه، لئلا يزدري نعمة الله عليه، وفي أمور الآخرة إلى من هو فوقه، ليصرف نفسه فيرجع عليها باللوم والندم، ومن هنا ينبغي صحبة الصالحين والمساكين ومرافقتهم ليقتدي بهم. قوله: [يقول الثاني] أي الفقير والمريض والوضيع، وقوله: [في كل] أي من الأقسام الثلاثة، وبالجملة فالفتنة أن يحسد المعافى المبتلى، والصبر أن يحبس كل منهما نفسه، هذا عن البطر، وهذا عن الضجر، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ويل للعالم من الجاهل، وويل للجاهل من العالم، وويل للمالك من المملوك، وويل للملوك من المالك، وويل للشديد من الضعيف، وويل للضعيف من الشديد، وويل للسلطان من الرعية، وويل للرعية من السلطان، بعضكم لبعض فتنة، وهو قوله تعالى ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون﴾. قوله: [استفهام بمعنى الأمر] هذا أحد وجهين، والوجه الآخر أن الاستفهام على حقيقته، أي لينظر أيحصل منكم صبر أم لا، فيجازيكم على ذلك.

قوله: ﴿وكان ربك بصيراً﴾ في ذلك تأنيس للعبد، أي إن الله بصير ومطلع على من يصبر ومن يجزع، فلا تنبغي الشكوى للخلق، ولا إظهار ما في القلوب، بل إن وجد الشخص في نفسه صبراً فليشكر الله، وإن وجد غير ذلك، فعليه أن يرجع إلى ربه بالندم والتوبة. قوله: [لا يخافون البعث] أي لأنهم منكرون له. فهم يزعمون أنهم آمنون منه. قوله: [هلا] أشار بذلك إلى أن ﴿لولا﴾ تحضيضية. قوله: [فكانوا رسلاً إلينا] أي بالشرائع ونحوها بدل محمد.

قوله: ﴿أو نرى ربنا﴾ أي يكشف الحجاب لنا فنراه عياناً. قوله: [فنخبر] بالبناء للمفعول أي يخبرنا هو بأن محمداً رسوله. قوله: [قال تعالى] أي رداً عليهم مقالتهم. قوله: [تكبروا] أي حيث لم يرضوا بأن يكون رسولهم من البشر، بل طمعوا أن يكون من الملائكة. قوله: ﴿في﴾ [شأن] ﴿أنفسهم﴾ أي أنهم عدوا أنفسهم كبيرة لأمر قام بها. قوله: [بطلبهم رؤية الله] متعلق بعتوا والباء للسببية، ولم يذكر متعلق ﴿استكبروا﴾ وقد علمته، وفي الآية لف ونشر مرتب، فالاستكبار راجع لطلبهم نزول الملائكة، والعتو راجع لطلبهم رؤية الله. قوله: [على أصله] أي من غير إبدال. قوله: [بالإبدال في مريم] أي لمناسبة رؤوس الآية، وأصله عتووا، كسرت التاء فوقعت الواو ساكنة إثر كسرة قلبت ياء، ثم اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء.

قوله: ﴿يوم يرون الملائكة﴾ أي المتولين عذابهم. قوله: ﴿لا بشرى يومئذ﴾ هذه الجملة مقولة لقول محذوف حال من الملائكة، تقديره قائلين لهم لا بشرى. قوله: [فلهم البشرى بالجنة] أي لقوله تعالى ﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾. قوله: ﴿ويقولون﴾ معطوف على ﴿يرون﴾ فالضمير للكفار. قوله: ﴿حجراً محجوراً﴾

على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة أي عوذاً معاذاً يستعيذون من الملائكة قال تعالى ﴿وَقَدِمْنَا﴾: عمدنا ﴿إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾: من الخير كصدقة وصلة رحم وقري ضعيف وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ٢٣: هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس كالغبار المفرق أي مثله في عدم النفع به إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾: من الكافرين في الدنيا ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ٢٤: منهم أي موضع قائلة فيها وهي الاستراحة نصف النهار في الحر وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار كما ورد في حديث ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ﴾: أي كل سماء ﴿بِالْغَمَامِ﴾: أي معه وهو غيم أبيض ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ﴾: من كل سماء ﴿تَنْزِيلًا﴾ ٢٥: هو يوم القيامة ونصبه باذكر مقدراً وفي قراءة بتشديد شين تشقق بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها وفي أخرى ونُنزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة ﴿الْمُلْكُ

العامة على كسر الحاء، وقرىء شذوذاً بفتحها وضمها. قوله: [يستعيذون من الملائكة] أي يطلبون من الله إنقاذهم منهم بهذه العبارة. قوله: [عمدنا] أي تعلقت إرادتنا، ودفع بذلك ما قيل إن القدوم من صفات الحوادث، وهو محال على الله تعالى، ففسره بلازمه وهو القصد، والمراد من القصد في حقه تعالى تعلق إرادته بالشيء. قوله: [وقري ضيف] بكسر القاف مع القصر، أو فتحها مع المد، ومعناه الإحسان إليه. قوله: [في الدنيا] متعلق بعملوا. قوله: [في الكوى] جمع كوة وهي الطاقة في الحائط، بفتح الكاف وضمها. قوله: [لعدم شرطه] أي وهو الإيمان. قوله: [ويجازون عليه في الدنيا] أي بإعطاء المال والولد والعافية وغير ذلك من ملاذ الدنيا، فأعمال الكافر الحسنة التي لا تتوقف على نية، يعطي جزاءها في الدنيا، وأما ما تتوقف على نية، فلا يجد لها جزاء أصلاً لعدم صحتها.

قوله: ﴿خير مستقراً﴾ [من الكافرين] أي أن مستقر المؤمنين في الجنة، خير من مستقر الكافرين في الدنيا، فأفعل التفضيل على بابه، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: [في الدنيا] فهو جواب عما يقال: إن مستقر أهل النار لا خير فيه، ويصح أن يراد استقرار كل في الآخرة، والتفضيل ليس مراداً، بل المقصود التقريع والتوبيخ للكفار. قوله: [من ذلك] أي من قوله: ﴿وأحسن مقيلاً﴾ قوله: [كما ورد في الحديث] قال ابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة، حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، والقيلولة الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم، لأن الله تعالى قال ﴿وأحسن مقيلاً﴾ والجنة لا نوم فيها، ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين، حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس.

قوله: ﴿ويوم تشقق السماء﴾ ﴿يوم﴾ ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر كما قاله المفسر. قوله: [أي كل سماء] أشار بذلك إلى أن أل في السماء استغراقية. قوله: [أي معه] أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى مع، ويصح أن تكون للسببية أو للملابسة، أو بمعنى عن. قوله: [وهو غيم أبيض] أي سحاب فوق السماوات السبع، ثخنه كثخن السماوات السبع، وثقله كثقلها، فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله، وهكذا حتى ينزل إلى الأرض، وفيه ملائكة كل سماء، فينزل أولاً ملائكة سماء الدنيا، وهم مثل الأرض عشر مرات، ثم ملائكة السماء الثانية، وهم مثلهم عشرين مرة وهكذا، وإذا نزل ملائكة الدنيا، اصطفوا حول العالم المجموع في الحشر صفاً، وإذا نزل ملائكة السماء الثانية، اصطفوا خلف هذا الصف صفاً آخر، وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة، كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار، ويطردون عنهم النار، وتقدم بسط ذلك في سورة إبراهيم عند قوله تعالى ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ الخ. قوله: [ونصبه باذكر مقدراً] أي وهو معطوف على ﴿يوم يرون الملائكة﴾ وكذا قوله: ﴿ويوم يعض الظالم﴾. قوله: [في الأصل] أي قبل

﴿يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾: لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ﴾: اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾[٢٦]: بخلاف المؤمنين ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾: المشرك عقبة بن أبي معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبيّ بن خلف ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾: ندماً وتحسراً في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَا﴾: للتنبيه ﴿لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾: محمد ﴿سَبِيلًا﴾[٢٧]: طريقاً إلى الهدى ﴿يَا وَيْلَتَىٰ﴾: ألفه عوض عن ياء الإضافة أي ويلتي ومعناه هلكتي ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾: أي

قلبها شيناً وتسكينها وإدغامها في الشين. قوله: [وفي أخرى وننزل بنونين] الخ، هذه القراءة إنما تأتي عند تشديد الشين، فتحصل أن القراءات ثلاث سبعيات، فعند تشديد الشين يجوز في ننزل القراءتان، وعند التخفيف يجوز في ننزل قراءة واحدة، وهي كونه ماضياً مبنياً للمفعول، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع قراءات.

قوله: ﴿الملك﴾ مبتدأ، و﴿يومئذ﴾ ظرف له، و﴿الحق﴾ نعت له، و﴿للرحمن﴾ خبره. والمعنى أن الملك يوم القيامة لله وحده، وحكمة التقييد بهذا اليوم، وإن كان الملك لله في كل زمن، أن ثبوت الملك له خاصة في ذلك اليوم، فليس لأحد ملك ظاهر أبداً، وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون للخلق تصرف صوري، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: [لا يشركه فيه أحد]. قوله: [بخلاف المؤمنين] أي فليس عليهم عسيراً لما ورد: أنه يهون عليهم حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة.

قوله: ﴿ويوم﴾ منصوب باذكر، أو معطوف على ﴿يوم يرون﴾ كما تقدم. قوله: ﴿يعض الظالم﴾ وهو من باب تعب ونفع، والمعنى أن الكافر حين يرى النار ويسمع تغيظها وزفيرها يعض على يديه، قال عطاء: يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه، ثم ينبتان، ثم يأكلهما، وهكذا كلما نبتت يداه يأكلهما. قوله: [عقبة بن أبي معيط] أشار المفسر بذلك إلى أن الآية نزلت في ظالم خاص، ويقاس عليه كل ظالم، وهو أحد قولين، وقيل نزلت في الظالمين عموماً. قوله: [كان نطق بالشهادتين] الخ، وذلك أنه صنع طعاماً ودعا الناس إليه، ودعا رسول الله ﷺ، فلما قدم الطعام قال رسول الله ﷺ: ما أنا بآكل طعامك، حتى تشهد أن لا إله إلا الله، وأني محمد رسول الله، ففعل، فأكل رسول الله من طعامه، وكان عقبة صديقاً لأبيّ بن خلف، فلما أخبر بذلك قال له: يا عقبة صبأت؟ قال: لا، ولكن دخل عليّ رجل، فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم، فشهدت له فطعم، فقال: ما أنا راض عنك حتى تأتيه فتبزق في وجهه، ففعل عقبة، فعاد بزاقه على وجهه فحرقه، فقال رسول الله ﷺ: لا أراك خارج مكة إلا علوت رأسك بالسيف، فأسر يوم بدر، فأمر علياً فقتله، وطعن النبي أبياً بأحد في المبارزة، فرجع إلى مكة ومات، وحكم الآية عام في كل صاحبين اجتمعا على معصية الله تعالى لما روي: «يحشر المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

قوله: ﴿يقول يا ليتني﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يعض﴾. قوله: [للتنبيه] أي وليست للنداء، لأن المنادى شرطه أن يكون اسماً، وليت حرف تمن أو للنداء، والمنادى محذوف أي يا قوم. قوله: [عوض عن ياء الإضافة] أي وأصله ويلتي بكسر التاء وفتح الياء، فتحت التاء فتحركت، وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فيقال في إعرابه ويلتا مضاف، والألف مضاف إليه في محل جر، وليس لنا ألف في محل جر، إلا ما كانت عوضاً عن ياء المتكلم. قوله: ﴿لم أتخذ فلاناً

---

* أسباب نزول الآية ٢٧: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان أبيّ بن خلف يحضر النبي ﷺ فيزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ إلى قوله ﴿خذولاً﴾. وأخرج مثله عن الشعبي ومقسم. وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال: قال المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبياً فلم يعذبه ربه؟ ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة، فينزل عليه الآية والآيتين، فأنزل الله ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾.

أُبيًا ﴿خَلِيلًا﴾ ٢٨ ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾: أي القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾: بأن ردّني عن الإيمان به قال تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ﴾: الكافر ﴿خَذُولًا﴾ ٢٩: بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾: محمد ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾: قريشاً ﴿اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠: متروكاً قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما جعلنا لك عدوًا من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾: قبلك ﴿عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾: المشركين فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾: لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ ٣١: ناصراً لك على أعدائك ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾: هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾: كالتوراة والإنجيل والزبور قال تعالى: نزلناه ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي متفرقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: نقوي قلبك

﴿خليلاً﴾ فلان كناية عن علم من يعقل من الذكور، وفلانة عن علم من يعقل من الإناث. قوله: ﴿ولقد أضلني﴾ علة لتمنيه، وأكده باللام القسمية، إظهاراً لندمه وتحسره. قوله: [أي القرآن] أي وقيل كلمة الشهادة. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وكان الشيطان﴾ الخ، جملة مستأنفة من كلامه تعالى، وكلام الظالم تم عند قوله: ﴿جاءني﴾. قوله: ﴿وكان الشيطان﴾ أي هو كل عاتٍ متمرد صد عن سبيل الله من الجن والإنس. قوله: [بأن يتركه] أي يترك نصره.

قوله: ﴿وقال الرسول﴾ عطف على قوله: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه، وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الأهوال، وهذا القول قيل صدر منه في الدنيا، وعليه يحمل قول المفسر [فاصبر كما صبروا] وقيل سيقع منه في الآخرة حال إقامة الحجة عليهم، ولذا ورد أنه يقول حين يشاهد نزول العذاب بهم سحقاً سحقاً. قوله: ﴿مهجوراً﴾ أي فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به، فهذه الآية وردت في الكفار المعرضين عن القرآن الذين لم يؤمنوا به، لا فيمن حفظه من المؤمنين ثم نسيه، وإن كان يعاتب عليه في الآخرة لما ورد: «من تعلم القرآن وعلق مصحفه، لم يتعاهده ولم ينظر فيه، جاء يوم القيامة متعلقاً يقول: يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً، اقض بيني وبينه».

قوله: ﴿وكذلك جعلنا﴾ الخ، شروع في تسليته ﷺ، والمعنى كما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك، جعلنا لكل نبي عدواً. قوله: ﴿بربك﴾ الباء زائدة في الفاعل. قوله: ﴿هادياً﴾ أي موصلاً لك إلى الطريق القويم. قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ الخ، حكاية عن بعض قبائح كفار مكة، وشبههم التي تتعلق بالقرآن، ولما كانت تلك الشبهة، ربما تدخل على بعض الضعفاء، اعتنى الله بردها والتوبيخ لمن أبداها. قوله: ﴿لولا نزل عليه القرآن﴾ ﴿نزل﴾ بمعنى أنزل، لأن نزل بالتشديد معناه الإنزال مفرقاً، وأنزل معناه الإنزال جملة، فلو لم يجعل بمعنى أنزل لناقضه. قوله: ﴿جملة﴾ يؤيده قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ حيث عبّر بأنزلنا دون نزلنا، لأن المراد نزوله جملة في سماء الدنيا. قوله: [قال تعالى] أي رداً لتلك الشبهة بأمور ثلاثة، مقتضياً لنزوله مفرقاً، الأول تثبيت فؤاده ﷺ، الثاني ترتيله ليسهل حفظه، الثالث قوله: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾. قوله: [نزلناه] ﴿كذلك﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كذلك﴾ نعت لمصدر محذوف، والمعنى نزلناه تنزيلاً مثل ذلك التنزيل.

قوله: ﴿ليثبت به فؤادك﴾ علة للمحذوف الذي قدره المفسر، والمعنى أنزلناه مفرقاً ليتقوى قلبك على تلقيه، فلا يحصل لك منه ثقل، لأن القرآن في نفسه ثقيل، سيما على من لم يقرأ ولم يكتب، قال تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ ولذلك لما نزل عليه ﷺ [اقرأ] فتر الوحي ثلاث سنين ليشتاق للتلقي، فإن الشيء إذا جاء على شوق كان أثبت.

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ ٣٢: أي أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهل وتؤدة لتيسير فهمه وحفظه ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾: في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ٣٣: بياناً هم ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: أي يسقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: هو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٣٤: أخطأ طريقاً من غيرهم وهو كفرهم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ ٣٥: معيناً ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي القبط فرعون وقومه فذهبا إليهم بالرسالة فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ ٣٦: أهلكناهم إهلاكاً ﴿وَ﴾: اذكر ﴿قَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ بتكذيبهم نوحاً لطول لبثه فيهم فكأنه رسل أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل

قوله: ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ أي فرقناه آية بعد آية، وشيئاً بعد شيء، في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة. قوله: [لتيسير فهمه وحفظه] أي لك ولأمتك عن ظهر قلب، وهذه عطية لهذه الأمة المحمدية لم يعطها غيرهم، ولذا ورد: «وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم» ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سيما للأطفال، ليثبت في قلوبهم، واغتفر التنكيس في تعليمه ليسهل حفظه، فإن الطفل إذا رأى السورة قصيرة، قوي على حفظها ونشط لما بعدها. قوله: ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ أي سؤال عجيب، يريدون به القدح في نبوتك.

قوله: ﴿إلا جئناك بالحق﴾ استثناء مفرغ من عموم الأحوال كأنه قيل: لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال، إلا في حال إتياننا إليك بالحق، وبما هو أحسن بياناً له، والمعنى كلما أوردوا شبهة، أو أتوا بسؤال عجيب، أجبنا عنه بجواب حسن، يرده ويدفعه من غير كلفة عليك فيه، فلو نزل القرآن جملة، لكان النبي هو الذي يبحث في القرآن عن رد تلك الشبهة، كالعالم الذي يكشف في الكتب عن جواب المسائل التي يسأل عنها، فيكون الأمر موكولاً له، فتكون الكلفة عليه، وما كان موكولاً إلى الله، كان أتم مما هو موكول إلى العبد، وفيه قمع للمعاندين. قوله: ﴿وأحسن﴾ معطوف على الحق، فهو مجرور بالفتحة للوصفية ووزن الفعل. قوله: ﴿الذين يحشرون﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: [هم]. قوله: [أي يساقون] أي يسحبون مقلوبين يطؤون الأرض برؤوسهم ووجوههم، وترتفع أقدامهم بقدرة الله تعالى. قوله: [من غيرهم] متعلق بكل من ﴿شر﴾ و﴿أضل﴾، والمراد بغيرهم باقي الكفار، والمعنى أن من عانده ﷺ فهو في أسوإ الأحوال وأشرها في الآخرة. قوله: [وهو كفرهم] الضمير عائد على السبيل.

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ شروع في تسليته ﷺ على مكائد قومه، بذكر بعض قصص الأنبياء على سبيل الإجمال، والمعنى لا تحزن يا محمد، فإن من خالفك وعاندك، يحل به الدمار، كما حل بالمخالف من الأمم المتقدمة. قوله: ﴿وجعلنا معه﴾ معطوف على ﴿آياتنا﴾ والواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، فإن إتيان موسى التوراة، كان بعد رسالة هارون، وهلاك فرعون وقومه، ويمكن أن يجاب عن الآية، بأن المراد بقوله: ﴿آتينا موسى الكتاب﴾ قدرنا له أن يأتيه في علمنا، فهو إخبار عما سيحصل، فالماضي بالنسبة لما سبق في علم الله. قوله: ﴿أخاه﴾ مفعول أول لجعلنا، و﴿هارون﴾ بدل منه، و﴿وزيراً﴾ مفعول ثان لجعلنا، والمعنى جعلنا هارون معيناً لموسى، بوحي مثاله في دعوى القوم إلى التوحيد وإعلاء الكلمة، فهو نبي ورسول بما جاء به موسى، بخلاف وزارة علي للنبي ﷺ المستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» فالمراد منها مطلق الإعانة لا المشاركة في الاتصاف بالرسالة، فإن من أثبتها لعلي فقد كفر. قوله: ﴿بآياتنا﴾ أي أدلة توحيدنا لا خصوص التسع.

قوله: ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ عطف على محذوف قدره المفسر بقوله: [فذهبا] الخ. قوله: ﴿لما كذبوا الرسل﴾ ﴿لما﴾ شرطية، وجوابها قوله: ﴿أغرقناهم﴾ كما قال المفسر. قوله: [لطول لبثه] دفع بذلك ما يقال: لم جمع الرسل

لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿أغرقناهم﴾: جواب لما ﴿وجعلناهم للناس﴾: بعدهم ﴿آية﴾: عبرة ﴿وأعتدنا﴾: في الآخرة ﴿للظالمين﴾: الكافرين ﴿عذاباً أليماً﴾ ٣٧: مؤلماً سوى ما يحل بهم في الدنيا ﴿و﴾: اذكر ﴿عاداً﴾: قوم هود ﴿وثمود﴾: قوم صالح ﴿وأصحاب الرس﴾: اسم بئر ونبيهم قيل شعيب وقيل غيره كانوا قعوداً حولها فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿وقروناً﴾: أقواماً ﴿بين ذلك كثيراً﴾ ٣٨: أي بين عاد وأصحاب الرس ﴿وكلا ضربنا له الأمثال﴾: في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وكلا تبرنا تتبيراً﴾ ٣٩: أهلكنا إهلاكاً بتكذيبهم أنبياءهم ﴿ولقد أتوا﴾: أي مر كفار مكة ﴿على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾: مصدر ساء أي بالحجارة وهي عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾: في سفرهم إلى الشام فيعتبرون والاستفهام للتقرير ﴿بل كانوا لا يرجون﴾: يخافون ﴿نشوراً﴾ ٤٠: بعثاً فلا يؤمنون ﴿وإذا رأوك إن﴾: ما ﴿يتخذونك إلا هزواً﴾: مهزوءاً به يقولون: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ ٤١: في دعواه محتقرين له عن

مع أنه رسول واحد وهو نوح؟ فأجاب بجوابين: الأول أنه جمعه لطول مدته في قومه، فكأنه رسل متعددة. الثاني أن من كذب رسولاً، فقد كذب بالرسل. قوله: ﴿وجعلناهم﴾ أي جعلنا هلاكهم وما وقع منهم. قوله: ﴿للظالمين﴾ وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بوصف الظلم. قوله: [سوى ما يحل] أي ينزل بهم، وهو بهذا المعنى بضم الحاء وكسرها، بخلاف سائر معانيه، فهو بالكسر لا غير.

قوله: ﴿وثموداً﴾ بالصرف على معنى الحي، وتركه على معنى القبيلة، قراءتان سبعيتان. قوله: [اسم بئر] اختلف هل هي اسم البئر التي لم تطو، أو للبئر مطلقاً، وما قاله المفسر أحد أقوال في الرس، وقيل هو قرية باليمن كان فيها بقايا ثمود، فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا، وقيل الأخدود، وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي، ابتلاهم الله بطير عظيم فيه من كل لون، فسموه العنقاء لطول عنقها، وكانت تسكن الجبال وتخطف صبيانهم، فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة، ثم إنهم قتلوه فأهلكوا. قوله: [وقيل غيره] أي وهو حنظلة. قوله: [فانهارت] أي انخسفت بهم.

قوله: ﴿وكلاً﴾ منصوب بفعل محذوف يلاقي ﴿ضربنا﴾ في معناه، تقديره وخوفنا كلاً ضربنا له الأمثال، والمعنى بينا لكل القصص العجيبة فلم يؤمنوا ﴿فتبرناهم تتبيراً﴾ أي فتتناهم تفتيتاً فجعلناهم كالتبر، وهو قطع الذهب والفضة المفتتة. قوله: [مروا] أشار بذلك إلى أنه ضمن أتوا معنى مروا، فعدي بعلى، وإلا فأتى يتعدى بنفسه أو بإلى، والمعنى: مروا في أسفارهم إلى الشام. قوله: [مصدر ساء] أي بحسب الأصل، والمراد في الآية بالمطر السوء الرمي بالحجارة. قوله: [وهي عظمى قرى قوم لوط] أي واسمها سدوم، وتقدم أن القرى خمسة، وقيل إن أل في القرية للجنس فيشمل جميعها، لأن الخسف ونزول الأحجار عم جميعها، وقيل نجت منها واحدة كانت لا تعمل الخبائث. قوله: ﴿يرونها﴾ أي يرون آثارها. قوله: [والاستفهام للتقرير] أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه.

قوله: ﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ أي كانوا كفاراً لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبة، فهو إضراب انتقالي من توبيخهم إلى ذكر بعض قبائحهم وهو عدم إيمانهم بالبعث وعدم خوفهم منه. قوله: ﴿إن يتخذونك﴾ جواب ﴿إذا﴾. قوله: ﴿إلا هزواً﴾ مفعول ثان ليتخذون، وقوله: [مهزوءاً به] أشار به إلى أن المصدر مؤول باسم المفعول لأن المفعول الثاني في الأصل خبر، والمصدر لا يصح الإخبار به إلا بتأويل. قوله: ﴿أهذا الذي﴾ الخ الجملة في محل نصب مقول لقول محذوف قدره المفسر. قوله: [في دعواه] ﴿رسولاً﴾ قدر ذلك دفعاً لما يقال إنهم لا يعترفون برسالته،

الرسالة ﴿إِنْ﴾ : مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ : يصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ : لصرفنا عنها قال تعالى : ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ : عياناً في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٤٢ : أخطأ طريقاً أهم أم المؤمنون ﴿أَرَأَيْتَ﴾ : أخبرني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ : أي مهويه قدم المفعول الثاني لأنه أهم وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت والثاني ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ٤٣ : حافظاً تحفظه عن اتباع هواه لا ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ : سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ : ما تقول لهم ﴿إِنْ﴾ : ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٤٤ : أخطأ طريقاً منها لأنها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ : تنظر ﴿إِلَىٰ﴾ : فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ : من وقت الأسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ : ربك ﴿لَجَعَلَهُ﴾

فكيف يقولون ما ذكر؟ قوله : ﴿ليضلنا عن آلهتنا﴾ أي بكثرة الأدلة والمعجزات. قوله : ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ أي ثبتنا واستمسكنا بعبادتها. قوله : [قال تعالى] أي رداً لقولهم ﴿إن كان ليضلنا﴾. قوله : ﴿من أضل سبيلاً﴾ ﴿من﴾ اسم استفهام مبتدأ، و﴿أضل﴾ خبره، و﴿سبيلاً﴾ تمييز، وقد أشار المفسر إلى ذلك بقوله : [أهم أم المؤمنون]. قوله : [قدم المفعول الثاني] أي وقيل : لا تقديم ولا تأخير، لاستوائهما في التعريف. قوله : [وجملة من] الخ أي بحسب الصورة، وإلا فهي وصلتها في قوة المفرد. قوله : [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله : ﴿أم تحسب﴾ ﴿أم﴾ منقطعة تفسر ببل، والهمزة والاستفهام فيها إنكاري. قوله : ﴿أن أكثرهم﴾ استفيد منه أن الأقل سمع وعقل فآمن. قوله : ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ أي في عدم انتفاعهم بالآيات. قوله : ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ أي لأن الأنعام تنقاد لمن يتعهدها، وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتهرب مما يضر بها، وهؤلاء ليسوا كذلك.

قوله : ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ أقام الله سبحانه وتعالى أدلة محسوسة على انفراده تعالى بالألوهية، وذكر منها خمسة : الأول هذا، والثاني قوله : ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾، الثالث قوله : ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾، الرابع قوله : ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾، الخامس قوله : ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾، وهذا الخطاب للنبي ﷺ ولكل عاقل، فإن من تأمل في تلك الأدلة حق التأمل، عرف أن موجدها فاعل مختار منفرد بالكمال. قوله : [تنظر] أشار بذلك إلى أن الرؤية بصرية، فقوله : ﴿كيف﴾ منصوب بمد على الحال. والمعنى ألم تنظر إلى صنع ربك مد الظل كيف؟ أي على حالة، وقدر المفسر [فعل] إشارة إلى أن المراد رؤية المصنوعات لا رؤية الذات لأن المقصود نصب الأدلة، ليستدل بها على مؤثرها، فإن كل صنعة لا بد لها من صانع، وإن كان يلزم من التفكر في تلك الأشياء رؤية الله بعين القلب، لأنه لا يغيب عن مخلوقه طرفة عين، ومن هنا قيل : العارف يرى الله في كل شيء، فالآثار كالمرآة للناظر، فمن تأمل فيها رأى مؤثرها، ولا تحجب إلا من سبقت له الشقاوة. قوله : [من وقت الأسفار] الخ، المناسب أن يقول : من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، إذ هو أحد أقوال ثلاثة للمفسرين، ثانيها من غروب الشمس إلى طلوعها، ثالثها من طلوع الشمس إلى أن تزول، ومن زوالها إلى غروبها، وأما ما قاله المفسر، فلم يوافقه عليه أحد من المفسرين، وهذا الوقت أعني من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس أطيب الأوقات وأفضلها، ولذا وصفت به الجنة، قال تعالى ﴿وظل ممدود﴾ وفيه يجد المريض راحته، والمسافر وكل ذي علة، وفيه ترد أرواح الأموات منهم إلى الأجساد، وطيب نفوس الأحياء، قال أبو العالية : نهار الجنة هكذا، وأشار إلى ساعة يصلون صلاة الفجر.

﴿سَاكِناً﴾: مقيماً لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾: أي الظل ﴿دَلِيلاً﴾ ٤٥: فلولا الشمس ما عرف الظل ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾: أي الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾ ٤٦: خفياً بطلوع الشمس ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً﴾: ساتراً كاللباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتاً﴾: راحة للأبدان بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾ ٤٧: منشوراً فيه لابتغاء الرزق وغيره ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾: وفي قراءة الريح ﴿نُشُراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: أي متفرقة قدام المطر وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى: بسكونها وفتح النون مصدراً، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشرات، ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة بشير ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾ ٤٨: مطهراً ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾: بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث ذكره باعتبار المكان ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾: أي الماء

قوله: ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ أي ثابتاً مستقراً لا يذهب عن وجه الأرض. قوله: [لا يزول بطلوع الشمس] أي بأن لا تطلع، فلا يزول بأن يستمر الليل مقيماً، أو تطلع من غير ضوء. قوله: ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ أي جعلنا الشمس دليلاً على الظل ليلاً ونهاراً، فالمراد بالظل ما قابل نور الشمس، وكل من الظل ونور الشمس عرض لقيامه بغير، وأما ذات الشمس فجوهر. قوله: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ أي قليلاً شيئاً فشيئاً، وذلك أن الشمس إذا طلعت، ظهر لكل شخص ظل إلى جهة المغرب، فكلما ارتفعت في الأفق، نقص الظل شيئاً فشيئاً، إلى أن تصل الشمس وسط السماء، فعند ذلك ينتهي نقص الظل، فبعض البلاد لا يبقى فيها ظل أبداً في بعض أيام السنة، كمكة وزبيد، وما عداها تبقى له بقية، وهذا على حسب الأشهر القبطية، وضبط ذلك بعضهم بقوله: طزه جبا أبدو حي، فالطاء بتسعة لطوبة، فظل الزوال فيه تسعة أقدام، والزاي بسبعة لأمشير، والهاء بخمسة لبرمهات، والجيم بثلاثة لبرمودة، والباء باثنين لبشنس، والألف بواحدة لبؤنة، والألف الثانية بواحد لأبيب، والباء باثنين لمسرى، والدال بأربعة لتوت، والواو بستة لبابة، والحاء بثمانية لهاتور، والياء بعشرة لكيهك، فإذا زالت الشمس، زاد الظل جهة المشرق شيئاً فشيئاً، حتى تغرب الشمس. قوله: [كاللباس] أشار بذلك إلى أنه من التشبيه البليغ بحذف الأداة، والجامع بين المشبه والمشبه به الستر في كل. قوله: ﴿والنوم سباتاً﴾ من السبت وهو القطع لقطع الأعمال فيه كما قال المفسر. قوله: [بقطع الأعمال] الباء سببية، والجار والمجرور متعلق براحة. قوله: [لابتغاء الرزق] أي طلبه.

قوله: ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾ أي المبشرات وهي ثلاث: الشمال وتأتي من جهة القطب، والجنوب تقابلها، والصبا وتأتي من مطلع الشمس، والدبور تأتي من المغرب وبها أهلكت قوم عاد. قوله: [وفي قراءة الريح] أي وهي سبعية أيضاً، وأل فيها للجنس. قوله: [وفي قراءة بسكون الشين] الخ، حاصل ما ذكره المفسر من القراءات أربع وكلها سبعية، الأولى والثانية جمع نشور كرسول، والثالثة مصدر نشر، والرابعة جمع نشير. قوله: [ومفرد الأولى] أي والثانية. قوله: ﴿وأنزلنا من السماء﴾ فيه التفات من الغيبة للتكلم. قوله: ﴿طهوراً﴾ أي طاهراً في نفسه مطهراً لغيره. قوله: ﴿بلدة﴾ أي أرضاً. قوله: [بالتخفيف] أي لا غير، لأن المخفف لما ليس ذا روح غالباً، وأما بالتشديد لما كانت فيه الروح، قال تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾. وقال بعضهم:

أيا سائلي تفسير ميت وميت ... فدونك قد فسرت ما عنه تسأل
فما كان ذا روح فذلك ميت ... وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

قوله: [يستوي فيه المذكر] الخ، جواب عما يقال: لم ذكر ميتاً، مع أنه نعت لبلدة وهي مؤنثة؟ وقوله: [ذكره]

﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾: إبلاً وبقراً وغنماً ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ ٤٩: جمع إنسان وأصله أناسين فأبدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع إنسي ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾: أي الماء ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾: أصله يتذكروا أدغمت التاء في الذال وفي قراءة ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف أي نعمة الله به ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ٥٠: جحوداً للنعمة حيث قالوا مطرنا بنوء كذا ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ ٥١: يخوف أهلها ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيراً ليعظم أجرك ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾: في هواهم ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾: أي القرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ ٥٢ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: أرسلهما متجاورين ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: شديد العذوبة ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ٥٣: أي ستراً ممنوعاً به

الخ، جواب ثانٍ، فكان المناسب أن يأتي بأو. قوله: ﴿أنعاماً﴾ خصها بالذكر لأنها عزيزة عند أهلها، لكونها سبباً لحياتهم ومعاشهم. قوله: [جمع إنسان] هو الراجح، وقيل جمع إنسي وهو معترض بأن الياء في إنسي للنسب، وهو لا يجمع على فعالي، كما قال ابن مالك: واجعل فعالي لغير ذي نسب. قوله: [وأصله أناسين] أي كسرحان وسراحين. قوله: ﴿ولقد صرفناه﴾ أي فرقناه في البلاد المختلفة والأوقات المتغايرة، على حسب ما قدر في سابق علمه، روي عن ابن مسعود أنه قال: ليس من سنة بأمطر من أخرى، ولكن الله عز وجل قسم هذه الأرزاق، فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر، ينزل منه كل سنة بكيل معلوم، وإذا عمل قوم بالمعاصي، حول الله ذلك إلى غيرهم، وإذا عصوا جميعاً، صرف الله ذلك المطر إلى الفيافي والبحار. قوله: [أدغمت التاء في الذال] أي بعد قلبها دالاً، فذالاً. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [أي نعمة الله به] أي فيقوموا بشكرها ليزدادوا خيراً. قوله: [جحوداً للنعمة] أي حيث أضافوها لغير خالقها. قوله: [مطرنا بنوء كذا] النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب، وطلوع رقيبه من المشرق في ساعته في عدة أيام معلومة لهم، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط، وقيل إلى الطالع، واعتقاد تأثير تلك الأشياء في المصنوعات كفر، لأنه لا أثر لشيء في شيء، بل المؤثر هو الله وحده، وإنما تلك الأشياء، من جملة الأسباب العادية التي توجد الأشياء عندها لا بها، ويمكن تخلفها، كالإحراق للنار، والري للماء، والشبع للأكل.

قوله: ﴿لبعثنا في كل قرية﴾ أي في زمنك. قوله: [ليعظم أجرك] أي فالنبي ﷺ له مثل أجر من آمن به، من بعثه إلى يوم القيامة. قوله: ﴿فلا تطع الكافرين﴾ أي بل اصبر على أحكام ربك. قوله: ﴿جهاداً كبيراً﴾ أي لأنه مجاهدة السفهاء بالحجج، أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف. قوله: [ارسلهما متجاورين] أي أجراهما متلاصقين لا يتمازجان، ولا يبغي أحدهما على الآخر. قوله: ﴿هذا عذب فرات﴾ هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل كيف مرجهما؟ ويحتمل أن تكون حالية بتقدير القول، أي مقولاً فيهما هذا عذب الخ، وسمي الماء العذب فراتاً، لأنه يفرت العطش أي يشقه ويقطعه. قوله: [شديد الملوحة] أي وقيل شديد الحرارة، وقيل شديد المرارة، وهذا من أحسن المقابلة حيث قال: عذب فرات، وملح أجاج. قوله: [حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر] أي فالماء العذب داخل في الملح وجار في خلاله، ومع ذلك لا يتغير طعمه ولا يختلطان، بل يبقى على كل ما هو عليه، بسبب منع الله لكل منهما عن الآخر بحاجز معنوي لا يحس بل بمحض قدرته تعالى، وهذا أكبر الأدلة على انفراد الله تعالى بالألوهية.

قوله: ﴿وحجراً محجوراً﴾ تقدم أن معناه تعوذاً تعوذاً، والمراد هنا الستر المانع، فشبه البحران بطائفتين

اختلاطهما ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ بَشَرًا﴾: من المني إنساناً ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾: ذا نسب ﴿وَصِهْرًا﴾: ذا صهر بأن يتزوج ذكراً كان أو أنثى طلباً للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾٥٤: قادراً على ما يشاء ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾: أي الكفار ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾: بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾: بتركها وهو الأصنام ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾٥٥: معيناً للشيطان بطاعته ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾: بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾٥٦: مخوفاً من النار ﴿قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: أي على تبليغ ما أرسلت به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا﴾: لكن ﴿مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾٥٧: طريقاً بإنفاق ماله في مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ﴾: متلبساً ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: أي قل سبحان الله والحمد لله ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾٥٨: عالماً تعلق به بذنوب هو ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا

متعاديتين، كل منهما تتحصن من الأخرى، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله: ﴿حجراً محجوراً﴾ على طريق الاستعارة المكنية. قوله: ﴿بشراً﴾ أي خلقاً كاملاً مركباً من لحم وعظم وعصب وعروق ودم على شكل حسن، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾. قوله: [ذا نسب] الخ، أي فقسمه قسمين، ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم وذوات صهر، أي أناثاً يصاهر بهن، وأخر الصهر لأنه لا يحصل إلا بعد الكبر والتزوج. قوله: [ذا صهر] صهر الرجل أقارب زوجته، وصهر المرأة أقارب زوجها. قوله: ﴿وكان ربك قديراً﴾ أي حيث خلق من مادة واحدة، إنساناً ذا أعضاء مختلفة، وطباع متباعدة، وأخلاق متعددة، وجعله قسمين متقابلين، فمن كان قادراً على ذلك وأمثاله، فهو حقيق بأن لا يعبد غيره.

قوله: ﴿ويعبدون من دون الله﴾ شروع في ذكر قبائح المشركين، مع ظهور تلك الأدلة. قوله: ﴿ما لا ينفعهم ولا يضرهم﴾ قدم النفع في بعض الآيات وأخره في بعضها تفنناً. قوله: ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ أي يعاون الشيطان ويتابعه بالعداوة والشرك، وأل في الكافر للجنس، فالمراد كل كافر، وقيل معنى ظهيراً مهيناً لا يعبأ به، فعلى بمعنى عند، والمعنى: وكان الكافر عند ربه مهاناً لا حرمة له، مأخوذ من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك. قوله: [بطاعته] أي الشيطان، والباء سببية، والمعنى صار الكافر معيناً للشيطان على معصية الله، بسبب طاعته إياه، والخروج عن طاعة الله.

قوله: ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ أي لم نرسلك في حال من الأحوال، إلا في حال كونك مبشراً ونذيراً، فمن آمن فقد تحقق بالبشارة، ومن استمر على الكفر فله النذارة. قوله: [على تبليغ ما أرسلت به] أي المفهوم من قوله: ﴿أرسلناك﴾. قوله: [لكن] ﴿من شاء﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، والمعنى لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسي، لكن من شاء أن ينفق أمواله لوجه الله تعالى طلباً لمرضاته فليفعل. قوله: [في مرضاته تعالى] أي كالصدقة والنفقة في سبيل الله تعالى. قوله: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ لما قدم أن الكافر خارج عن طاعة ربه، وعن طاعة رسوله، وأمر الرسول أن لا يسألهم أجراً على تبليغه أمره بالاعتماد عليه تعالى، ليكفيه شرورهم ويغنيه عن أجورهم، فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون، فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم، والتوكل هو وثوق القلب بالله تعالى في جميع الأمور، من غير اعتماد على الأسباب وإن تعاطاها. قوله: ﴿الذي لا يموت﴾ صفة كاشفة، لأن معنى الحي في حقه تعالى ذو الحياة الإبدية التي يستحيل عليها الموت والفناء، ووصفه بالحياة بهذا المعنى مستلزم لاتصافه بوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوجودية والسلبية.

قوله: ﴿وسبح﴾ أي نزهه عن كل نقص. قوله: ﴿بحمده﴾ الباء للملابسة كما قال المفسر، أي صفه بالكمالات. قوله: [أي قل سبحان الله والحمد لله] أي فذلك مجمع التسبيح والتحميد لأن معنى تسبيح الله تنزيه الله

﴿بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: هو في اللغة سرير الملك ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: بدل من ضمير استوى أي استواء يليق به ﴿فَسْـَٔلْ﴾: أيها الإنسان ﴿بِهِ﴾: بالرحمن ﴿خَبِيرًا﴾ ٥٩: يخبرك بصفاته ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾: لكفار مكة ﴿ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾: بالفوقانية والتحتانية والآمر محمد ولا نعرفه لا

عن كل نقص، ومعنى الحمد لله كل كمال ثابت لله، فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ، وهما من جملة الباقيات الصالحات وغراس الجنة التي بقيتها لا إله إلا الله والله أكبر، وحكمة تأخير لا إله إلا الله عن هاتين الجملتين ليكون النطق بها عن معرفة ويقين، فهي نتيجة ما قبلها، والله أكبر نتيجة الثلاث قبلها لأنه إذا تنزه عن النقائص، واتصف بالكمالات، وثبت أنه لا إله غيره، فقد انفرد بالكبرياء والعظمة. وحكمة الاقتصار هنا على التسبيح والتحميد، لأنهما مستلزمتان للجملتين بعدهما. قوله: ﴿وكفى به﴾ الباء زائدة في الفاعل. قوله: [عالماً] أي بالمذنب والطائع. قوله: [تعلق به] أي بخبيراً. قوله: [بذنوب] أي لفظ بذنوب وقدم لرعاية الفاصلة، والمعنى أن الله قادر على مجازاة الخلق في كل وقت، فلا ينظر الإنسان لعيوب الناس ولا طاعاتهم، بل عليه بنفسه، ويفوض أمره إليه. قوله: [هو] ﴿الذي﴾ أشار بذلك إلى أن الموصول خبر لمحذوف، وهذه الجملة سيقت تحريضاً للتوكل عليه تعالى، فإن من كان قادراً على ذلك، فهو حقيق بالتوكل عليه.

قوله: ﴿في ستة أيام﴾ أي فالأرض في يومين الأحد والاثنين، وما عليهما في يومين الثلاثاء والأربعاء، والسموات في يومين الخميس والجمعة، وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة. قوله: [أي في قدرها] دفع بذلك ما يقال: إن الأيام لم تكن موجودة إذ ذاك. قوله: [والعدول عنه] أي عن الخلق في لمحة. قوله: [التثبت] أي التأني والتؤدة في الأمور، وعدم العجلة فيها لما ورد: أن العجلة من الشيطان، واستثنى العلماء من ذلك مسائل اقراء الضيف، وتزويج البكر، وتجهيز الميت، والصلاة في أول وقتها، وقضاء الدين، وتعجيل الأوبة للمسافر بعد قضاء حاجته، والتوبة من الذنب. قوله: [هو في اللغة سرير الملك] أي ومنه قوله تعالى: ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾ والمراد هو جسم عظيم محيط بالعالم فوق السماوات السبع. قوله: [بدل من ضمير استوى] ويصح أن يكون خبر المحذوف، أو خبر الذي خلق. قوله: [أي استواء يليق به] هذا إشارة لمذهب السلف وهم من كانوا قبل الخمسمائة، ومذهب الخلف تفسير الاستواء بالاستيلاء عليه والتصرف فيه، وهو أحد معنى الاستواء، واستدلوا لذلك بقول الشاعر:

قـد اسـتـوى بـشـر عـلى الـعـراق من غـيـر سـيـف ودم مـهـراق

وفي قوله: ﴿الرحمن﴾ إشارة إلى أن الله تعالى استوى على العرش بوصف الرحمة فوسع العالمين، وكان سقف الجنة لا بوصف الجلال، وإلا لذاب ولم يبق له أثر. قوله: ﴿فاسأل به خبيراً﴾ ﴿به﴾ متعلق بخبيراً، قدم لرعاية الفاصلة. والمعنى اسأل يا محمد خبيراً بصفاته تعالى، وليس خبيراً بصفاته إلا هو سبحانه وتعالى، ويصح أن يكون الجار والمجرور متعلقاً باسأل، والباء بمعنى عن. والمعنى اسأل عنه خبيراً، أي عالماً بصفاته، يطلعك على ما خفي عليك، والخبير يختلف باختلاف السائل، فإن كان السائل النبي عليه الصلاة والسلام، فالخبير هو الله، وإن كان السائل أصحابه، فالخبير النبي، وإن كان السائل التابعين فالخبير الصحابة عن الله وهكذا، فآل الأمر إلى أن المشايخ العارفين، يفيدون الطالب عن الله، وفيه دليل على وجوب معرفة التوحيد.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي لكفار مكة. قوله: ﴿قالوا وما الرحمن﴾ أي ظناً منهم أن المراد به غيره تعالى لأنهم

﴿وَزَادَهُمْ﴾: هٰذا القول لهم ﴿نُفُوراً﴾ ٦٠: عن الإيمان قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾: تعاظم ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَاءِ بُرُوجاً﴾: اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الأسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾: أيضاً ﴿سِرَاجاً﴾: هو الشمس ﴿وَقَمَراً مُّنِيراً﴾ ٦١: وفي قراءة سُرُجاً بالجمع أي نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾: أي يخلف كل منهما الآخر ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾: بالتشديد والتخفيف كما تقدم ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ ٦٢:

كانوا يطلقون الرحمن على مسيلمة الكذاب. قوله: [وبالفوقانية والتحتانية] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [والآمر محمد] أي على كل من القراءتين. قوله: [ولا نعرفه] راجع لقوله: ﴿لما تأمرنا﴾ فكان المناسب ذكره بلصقه. قوله: [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: [تعاظم] أي انفرد بالعظمة، لأن من كانت هذه أوصافه، فهو منفرد بالكبرياء والعظمة، وتقدم أن لفظة تبارك من الصفات الجامعة، تفسر في كل مقام بما يناسبه.

قوله: ﴿بروجاً﴾ جمع برج وهو في الأصل القصر العالي، سميت هذه المنازل بروجاً لأنها للكواكب السبعة السيارة، كالمنازل الرفيعة التي هي كالقصور لسكانها، فالمراد بالبروج الطرق والمنازل للكواكب السيارة. قوله: [الحمل] أي ويسمى بالكبش. قوله: [والأسد] أي ويسمى بالليث أيضاً، وقوله: [والدلو] ويسمى الدلي أيضاً. قوله: [المريخ] بكسر الميم. قوله: [وله] أي من البروج المذكورة، والحاصل أن خمسة من الكواكب السبعة أخذت عشر بروج، كل واحد اثنين واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر، كل واحد منهما أخذ واحداً من البروج، وتقدم في سورة الحجر نظم الكواكب والبروج، وتقدم أن زحل نجم في السماء السابعة، والمشتري في السادسة، والمريخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزهرة في الثالثة، وعطارد في الثانية، والقمر في الأولى، وتخصيص الشمس بالأسد لكونه بيتها المنسوب لها، فلا ينافي سيرها في البروج كلها، وكذا غيرها من باقي الكواكب السبعة، وذلك لأن البروج أصلها في سماء الدنيا وتمتد للسماء السابعة، فالبروج كلها طرق للكواكب السبعة كلها. قوله: [والزهرة] بفتح الهاء. قوله: [وعطارد] بضم العين ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع. قوله: [وزحل] ممنوع من الصرف للعلمية والعدل كعمر، وقد جعل الله تعالى بهذه الكواكب النفع في العالم السفلي كالأكل والشرب، يوجد النفع عندها لا بها، فهي من جملة الأسباب العادية، فمن اعتقد تأثيرها بطبعها فقد كفر، أو بقوة جعلها الله فيها فقد فسق.

قوله: ﴿وجعل فيها﴾ أي السماء. قوله: [أي نيرات] صفة لموصوف محذوف، أي كواكب نيرات ودخل فيها القمر، فلذلك قال: [وخص القمر] الخ. قوله: [لنوع فضيلة] أي لأن مواقيت العبادة تبنى على الشهور القمرية قال تعالى: ﴿ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾. قوله: [أي يخلف كل منهما الآخر] أي بأن يقوم مقامه، فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه. قوله: [بالتشديد] أي فأصله يتذكر قلبت التاء دالا وأدغمت في الذال. قوله: [والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [كما تقدم] أي في قوله: ﴿لقد صرفناه بينهم ليذكروا﴾. قوله: [ما فاته في أحدهما من خير] الخ، أي فمن فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل من فرائض وسنن وغيرها. قوله: ﴿أو أراد شكوراً﴾ أو مانعة خلو تجوز الجمع.

أي شكوراً لنعمة ربه عليه فيهما ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾: مبتدأ وما بعده صفات له إلى أولئك يجزون غير المعترض فيه ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾: أي بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾: بما يكرهونه ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ ٦٣: أي قولاً يسلمون فيه من الإثم ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾: جمع ساجد ﴿وَقِيَامًا﴾ ٦٤: جمعنى قائمين أي يصلون بالليل ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ٦٥: أي لازماً ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾: بئست ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ٦٦: هي أي موضع استقرار وإقامة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا﴾: على عيالهم ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: بفتح أوله وضمه أي يضيقوا ﴿وَكَانَ﴾: إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ ٦٧: وسطاً ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا

قوله: ﴿وعباد الرحمن﴾ الخ، لما ذكر أحوال المنافقين والكفار وما آل إليه أمرهم، ذكر هنا أوصاف المؤمنين الكاملين، ووصفهم بأوصاف ثمانية، بها تنال المراتب العالية، وإضافتهم إليه تعالى للتشريف، وإلا فكل المخلوقات عباد الله، ويقال: إضافتهم له من حيث كونه رحماناً، لكونهم مظهر الرحمة، وستختص بهم في الآخرة. قوله: [وما بعده] أي من الموصولات الثمانية التي أولها قوله: ﴿الذين يمشون﴾ وآخرها قوله: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا﴾.

قوله: [إلى أولئك] أي وهو الخبر كما سيذكره هناك. قوله: [غير المعترض فيه] أي وهو قوله: ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً﴾ إلى قوله: ﴿متاباً﴾ وهو ثلاث آيات. والحاصل ما ذكره من الأوصاف، أن بعضها متعلق بالخلق، وبعضها متعلق بالخالق. قوله: ﴿هوناً﴾ هو مصدر هان كقال. قوله: [أي بسكينة] أي تؤدة وتأن. قوله: ﴿الجاهلون﴾ أي السفهاء.

قوله: ﴿وقالوا سلاماً﴾ أي مع القدرة على الانتقام، فالمراد الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام، وهذا الخلق من أعظم الأخلاق لما في الحديث: «كاد الحليم أن يكون نبياً». وفي الحديث: «يبلغ الحليم بحلمه ما لا يبلغه الصائم القائم». والآثار في ذلك كثيرة.

قوله: ﴿والذين يبيتون﴾ شروع في ذكر معاملتهم للخالق أثر معاملتهم للخلق، وخص البيتوتة بالذكر لأن العبادة بالليل أبعد عن الرياء، وفي الحديث: «لا زال جبريل يوصيني بقيام الليل، حتى علمت أن أمتي لا ينامون»، وأخر القيام مراعاة للفواصل. قوله: [أي يصلون بالليل] هذا صادق بصلاة العشاء والصبح في جماعة، ولكن كلما كثرت الصلاة بالليل كان خيراً.

قوله: ﴿والذين يقولون﴾ الخ، أي فهم مع حسن المعاملة للخالق وللخلق، ليس عندهم غرور ولا أمن من مكر الله، بل هم خائفون من عذابه، وجلون من هيبته. قوله: ﴿إن عذابها﴾ الخ، تعليل لقولهم: ﴿ربنا اصرف عنا عذاب جهنم﴾. قوله: ﴿كان غراماً﴾ أي في علمه تعالى. قوله: [أي لازماً] أي لزوماً كلياً في حق الكفار، ولزوماً بعده خروج في حق عصاة المؤمنين. قوله: ﴿إنها ساءت﴾ الفاعل ضمير مستتر يفسره التمييز المذكور، والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله: هي. قوله: ﴿مستقراً ومقاماً﴾ هما بمعنى واحد، وهو الذي يشير إليه المفسر، وقيل: مستقراً لعصاة المؤمنين ومقاماً للكافرين. قوله: [بفتح أوله] أي مع كسر التاء وضمها، من بابي ضرب ونصر. وقوله: [وضمه] أي مع كسر التاء لا غير، فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: [أي يضيقوا] أي على عيالهم مع يسارهم. قوله: ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ هو بمعنى قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ الآية.

قوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً﴾ الخ، شروع في بيان اجتنابهم للمعاصي أثر بيان إتيانهم الطاعات.

---

* أسباب نزول الآية ٦٨: وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، =

يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: أي واحداً من الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَاماً﴾ ٦٨: أي عقوبة ﴿يُضَاعَفْ﴾: وفي قراءة يُضَعَّف بالتشديد ﴿لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾: بجزم الفعلين بدلاً، وبرفعهما استئنافاً ﴿مُهَاناً﴾ ٦٩: حال ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً﴾: منهم ﴿فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: المذكورة ﴿حَسَنَاتٍ﴾: في الآخرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ ٧٠: أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَمَن تَابَ﴾: من ذنوبه غير مَنْ ذكر ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَاباً﴾ ٧١: أي يرجع إليه رجوعاً فيجازيه خيراً ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾: أي الكذب والباطل ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ﴾: من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُّواْ كِرَاماً﴾ ٧٢: معرضين عنه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾: وُعظوا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: أي القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّواْ﴾: يسقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ ٧٣: بل خروا سامعين ناظرين منتفعين ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾: بالجمع والإفراد ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: لنا بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ ٧٤: في الخير ﴿أُوْلَٰئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾: الدرجة العليا في الجنة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: على طاعة الله

قوله: ﴿إلا بالحق﴾ أي لا يعتدون النفس المحرمة بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق، بأن تكون مستحقة للقتل، كالمرتد والزاني المحصن والقاتل. قوله: [أي واحداً من الثلاثة] في بعض النسخ أي ما ذكر، وهو المناسب لقوله: ﴿يضاعف﴾ لأن المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك تضاعف له العقوبة. قوله: [وفي قراءة يضعف] أي فهما قراءتان سبعيتان، وكل منهما مع جزم الفعل ورفعه، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: [بدلاً] أي من يلق بدل اشتمال. قوله: ﴿مهاناً﴾ أي ذليلاً حقيراً. قوله: ﴿إلا من تاب﴾ استثناء متصل من الضمير في يلق. قوله: ﴿فأولئك﴾ اسم الإشارة راجع لقوله من تاب. قوله: ﴿يبدل الله سيأتهم﴾ أي يمحو ما سبق منهم من المعاصي بسبب التوبة، ويثبت مكانها الطاعات أو نيتها، وحكى القرطبي: ولا يبعد في كلام الله تعالى إذا صحت توبة العبد، أن يصنع مكان كل سيئة حسنة.

قوله: ﴿ومن تاب﴾ أي عن المعاصي بتركها والندم عليها. قوله: ﴿وعمل صالحاً﴾ أي فعل الطاعات ولو بالنية، كمن فجأه الموت عقب التوبة. قوله: [فيجازيه خيراً] دفع بذلك ما يتوهم اتحاد الشرط والجزاء كأنه قال: من تاب وعمل صالحاً، فإنه يرجع إلى جزاء الله في الآخرة الجزاء الحسن. قوله: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ أي لا يحضرونه أو لا يشهدون به. قوله: ﴿وإذا مروا باللغو﴾ أي من غير تقصد منهم له. قوله: [وغيره] أي وهو الفعل القبيح. قوله: ﴿مروا كراماً﴾ أي مكرمين أنفسهم بالغض عن الفواحش. قوله: [بل خروا سامعين] الخ أشار بذلك إلى أن النفي مسلط على القيد فقط وهو قوله: ﴿صماً وعمياناً﴾ والمعنى إذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا، حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر. قوله: ﴿من أزواجنا﴾ ﴿من﴾ للبيان. قوله: [بالجمع والإفراد] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿قرة أعين﴾ أي ما يحصل به سرورها. قوله: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ أي اجعلنا هداة يقتدي بنا في

= قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك، فأنزل الله تصديقها ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾.

وأخرج الشيخان عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: أن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما علمنا كفارة. فنزلت ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله ﴿غفوراً رحيماً﴾ ونزل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا﴾ الآية. وأخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: لما أنزلت في الفرقان ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي﴾ الآية. قال مشركو أهل مكة: قد قتلنا النفس بغير حق ودعونا مع الله إلهاً آخر وأتينا الفواحش، فنزلت ﴿إلا من تاب﴾ الآية.

﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾: بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء ﴿فِيهَا﴾: في الغرفة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ ٧٥: من الملائكة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ٧٦: موضع إقامة لهم وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن المبتدأ ﴿قُلْ﴾: يا محمد لأهل مكة ﴿مَا﴾: نافية ﴿يَعْبَأُ﴾: يكترث ﴿بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾: إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾: أي فكيف يعبأ بكم وقد ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: الرسول والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾: العذاب ﴿لِزَامًا﴾ ٧٧: ملازماً لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا فقتل منهم يوم بدر سبعون وجواب لولا دل عليه ما قبلها.

مواسم الخيرات والطاعات، بأن تصفي بواطننا من غيرك، حتى يكون حالنا سبباً في هداية الخلق، ولذا قيل: حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل ولفظ إمام يستوي فيه الجمع وغيره، فالمطابقة حاصلة.

قوله: ﴿أولئك﴾ اسم الإشارة عائد على المتصفين بالأوصاف الثمانية. قوله: ﴿الغرفة﴾ اسم جنس أريد به الجمع، والغرفة أعلى منازل الجنة وأفضلها، كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا. قوله: [بالتشديد] أي ومعناه يعطون، والفاعل الله، وقوله: [والتخفيف] أي فمعناه يجدون، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿تحية وسلاماً﴾ جمع بينهما لأن المراد بالتحية الإكرام بالهدايا والتحف، وبالسلام سلامه تعالى عليهم بالقول، أو سلام الملائكة، أو سلام بعضهم على بعض. قوله: [الملائكة] أي أو من الله أو من بعضهم لبعض، والمعنى تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات، فتحصل أن قوله: ﴿تحية وسلاماً﴾ قيل هما بمعنى واحد، وجمع بينهما لاختلاف لفظهما، وقيل متخالفان، فالتحية الإكرام بالهدايا والتحف، والسلام الدعاء، إما من الملائكة، أو من الله، أو من بعضهم لبعض. قوله: ﴿خالدين فيها﴾ أي لا يموتون ولا يخرجون. قوله: [وأولئك] أي الواقع مبتدأ، وقوله: [وما بعده] أي قوله: ﴿يجزون﴾ الواقع خبره.

قوله: ﴿قل ما يعبأبكم ربي﴾ الخ، لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين، أفاد أن المدار على تلك الأوصاف التي بها العبادة لله، فلولا العبادة الواقعة من الخلق، لم يكترث بهم ولم يعتد بهم عنده، فإن الإنسان خلق ليعرف ربه ويعبده، وإلا فهو شبيه بالبهائم، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ففي العبادة يتنافس المتنافسون، وبها يفوز الفائزون. قوله: ﴿لولا دعاؤكم﴾ [إياه] أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف لفاعله.

قوله: ﴿فسوف يكون﴾ [العذاب] أي الذي دل عليه قوله: ﴿فقد كذبتم﴾. قوله: ﴿لزاماً﴾ مصدر لازم كقاتل قتالاً، والمراد هنا اسم الفاعل، وفي الآية تهديد لكفار مكة. قوله: [فقتل منهم يوم بدر سبعون] الخ، روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال: خمس قد مضين: الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر، وقوله خمس أي خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وقعن بالفعل، فالدخان هو قوله تعالى: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ والمراد به شيء يشبه الدخان، وقد نزل بقريش من شدة الجوع، صار الواحد يرى كأن بينه وبين السماء دخاناً، والقمر في قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ والروم في قوله تعالى: ﴿غلبت الروم في أدنى الأرض﴾ والبطشة في قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ وهي القتل يوم بدر، واللزام هو الأسر يومها. قوله: [دل عليه ما قبلها] أي وهو قوله: ﴿قل ما يعبأبكم ربي﴾ والتقدير لولا دعاؤكم، أي طلبكم من الله رفع الشدائد، وأنتم تتعلقون بأستار الكعبة، ما يعبأبكم، أي ما يكترث بكم فلا يرفعها عنكم. قوله: ﴿فقد كذبتم﴾ أي دمتم على تكذيبه بعد إخراجه من بينكم، فسوف يكون العذاب لازماً لكم، لا يرد عنكم، ولا يقبل منكم دعاء فتدبر.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٢٦] - سورة الشعراء

[مكية إلا ﴿والشعراء﴾ إلى آخرها فمدني وهي مائتان وسبع وعشرون آية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسم﴾ ١: الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾: أي هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: القرآن الإضافة بمعنى من ﴿الْمُبِينِ﴾ ٢: المظهر الحق من الباطل ﴿لَعَلَّكَ﴾: يا محمد ﴿بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾: قاتلها غماً من أجل ﴿أَلَّا يَكُونُوا﴾: أي أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ ٣: ولعل هنا للإشفاق أي أشفق عليها بتخفيف هذا الغم ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشعراء مكية

إلا ﴿والشعراء﴾ إلى آخرها - فمدني

وهي مائتان وسبع وعشرون آية

أي السورة التي ذكر فيها الشعراء، سميت باسم بعضها على عادته تعالى، وقد ورد في فضل الطواسين أحاديث منها ما روي عنه ﷺ أنه قال: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المص مكان الإنجيل، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي». قوله: [إلا والشعراء إلى آخرها] أي وجملته أربع آيات.

قوله: ﴿طسم﴾ هكذا كتبت متصلة بعضها ببعض، وفي مصحف ابن مسعود: ط س م مفصولة من بعضها وبها قرىء، فيقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف، وقرىء هنا وفي القصص بكسر الميم على البناء، وأمال الطاء بعض القراء. قوله: [الله أعلم بمراده بذلك] تقدم أن هذا القول أصح وأسلم. قوله: ﴿تلك﴾ مبتدأ، و﴿آيات الكتاب﴾ خبره، واسم الإشارة عائد على آيات هذه السورة. قوله: [والإضافة بمعنى من] أي والمعنى آيات من الكتاب. قوله: [المظهر الحق من الباطل] أشار بذلك إلى أن المبين من أبان بمعنى أظهر، ويصح أن يكون من باب اللازم بمعنى ظهر، أي الظاهر إعجازه.

قوله: ﴿لعلك باخع نفسك﴾ هذا تسلية له ﷺ، والباخع من بخع من باب نفع: قتل نفسه من وجد أو غيظ. قوله: [ولعل هنا للإشفاق] أي فالترجي بمعنى الأمر، والمعنى ارحم نفسك وارأف بها. قوله: [أي أشفق عليها] بقطع الهمزة من الرباعي وبوصلها من الثلاثي، والأول إن تعدى بمن كان بمعنى الخوف، وإن تعدى بعلى كان بمعنى

آيَةً فَظَلَّتْ﴾: بمعنى المضارع أي تظل أي تدوم ﴿أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ ٤: فيؤمنون ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها جُمعت الصفة منه جمع العقلاء ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾: قرآن ﴿مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾: صفة كاشفة ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٥ فَقَدْ كَذَّبُوا﴾: به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ﴾: عواقب ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٦ أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: ينظروا ﴿إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا﴾: أي كثيراً ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ٧: نوع حسن ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: دلالة على كمال قدرته تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ٨: في علم الله وكان قال سيبويه زائدة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿الرَّحِيمُ﴾ ٩: يرحم المؤمنين ﴿وَ﴾: اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَىٰ

الرحمة والرفق. قوله: ﴿إن نشأ ننزل عليهم﴾ الخ، هذا تسلية لرسول الله ﷺ ببيان حقيقة أمرهم، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم، فإننا لو شئنا إيمانهم لأنزلنا عليهم معجزة تأخذ بقلوبهم، فيؤمنون قهراً عليهم، ولكن سبق في علمنا شقاؤهم، فعدم إيمانهم لما لا منهم، فأرح نفسك من التعب القائم بها، و﴿إن﴾ حرف شرط، و﴿نشأ﴾ فعل الشرط، و﴿ننزل﴾ جوابه.

قوله: ﴿آية﴾ أي معجزة تخوفهم، كرفع الجبل فوق رؤوسهم، كما وقع لبني إسرائيل. قوله: [بمعنى المضارع] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فظلت﴾ مستأنف، ويصح أن يكون معطوفاً على ﴿ننزل﴾، فهو في محل جزم. قوله: [ولما وصفت الأعناق بالخضوع] الخ، دفع بذلك ما يقال: كيف جمع الأعناق بجمع العقلاء؟ فأجاب: بأنه لما ناسب الخضوع لها، وهو وصف العقلاء، جمعها بالياء والنون كقوله تعالى ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ ﴿قالتا أتينا طائعين﴾، وإلا فكان مقتضى الظاهر أن يقول خاضعة، وهناك أجوبة أخر، منها أن المراد بالأعناق الرؤساء، ومنها أن لفظ الأعناق مقحم والأصل فظلوا لها خاضعين، ومنها غير ذلك. قوله: ﴿من ذكر﴾ ﴿من﴾ زائدة، وقوله: ﴿من الرحمن﴾ ﴿من﴾ ابتدائية. قوله: [صفة كاشفة] أي لأنه فهم من قوله: ﴿يأتيهم﴾، لأن التعبير بالفعل يفيد التجدد والحدوث. قوله: ﴿إلا كانوا عنه معرضين﴾ أي غير متأملين. قوله: [عواقب] أي وعبر عنها بالأنباء، لأن القرآن أخبر عنها، والمراد ننزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم.

قوله: ﴿أو لم يروا إلى الأرض﴾ أي إلى عجائبها، والهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أغفلوا ولم ينظروا إلى الأرض الخ، وهذا بيان للأدلة التي تحدث في الأرض وقتاً بعد وقت، تدل على أنه منفرد بالألوهية، ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر. قوله: ﴿كم أنبتنا فيها﴾ ﴿كم﴾ في محل نصب مفعول لأنبتنا، و﴿من كل زوج﴾ تمييز لها. قوله: [نوع حسن] أي كثير النفع. قوله: ﴿إن في ذلك لآية﴾ الخ، قد ذكرت هذه الآية في هذه السورة ثمان مرات. قوله: [في علم الله] هذا مبني على أصالة ﴿كان﴾، وقوله: [وكان قال سيبويه] الخ، توجيه ثان فكان المناسب أن يقول: وقال سيبويه كان زائدة. قوله: [ذو العزة] أي الهيبة والجلال. قوله: [ينتقم من الكافرين] أي بمظهر عزته الذي هو القهر والغلبة، وقوله: [يرحم المؤمنين] أي بمظهر رحمته.

قوله: ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ الخ، ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة سبع قصص: أولها قصة موسى وهارون، ثانيها قصة إبراهيم، ثالثها قصة نوح، رابعها قصة هود، خامسها قصة صالح، سادسها قصة لوط، سابعها قصة شعيب، وتقدم حكمة ذكر تلك القصص، أن بها تكون الحجة على الكافرين، والزيادة في علم المؤمنين، ولذا كان المؤمن من هذه الأمة أسعد السعداء، وكافرها أشقى الأشقياء، وحكمة التكرار الزيادة في إيمان المؤمن، وقطع حجة الكافر، والظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [اذكر]، وليس المراد بذكر وقت المناداة، بل المراد ذكر القصة

رَبُّكَ مُوسَى﴾: ليلة رأى النار والشجرة ﴿أَنِ﴾: أي بأن ﴿ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: رسولاً ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿أَلَا﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري ﴿يَتَّقُونَ﴾ ١١: الله بطاعته فيوحدونه ﴿قَالَ﴾: موسى ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ١٢ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾: من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾: بأداء الرسالة للعقدة التي فيه ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى﴾: أخي ﴿هَارُونَ﴾ ١٣: معي ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾: بقتلي القبطي منهم ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ١٤: به ﴿قَالَ﴾: تعالى ﴿كَلَّا﴾: أي لا يقتلونك ﴿فَاذْهَبَا﴾: أي أنت وأخوك ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ١٥: ما تقولون وما يقال لكم أجريا مجرى الجماعة

الواقعة في ذلك الوقت. قوله: [ليلة رأى النار والشجرة] أي رأى النار موقدة في الشجرة الخضراء، وليس هذا مبدأ ما وقع في المناداة، وإنما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى: ﴿إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً﴾ إلى قوله: ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾.

قوله: ﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ يصح أن تكون ﴿أن﴾ مصدرية كما مشى عليه المفسر، أو مفسرة لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وكان النداء بكلام نفسي، سمعه من جميع جهاته بجميع أجزائه من غير واسطة. قوله: [رسولاً] حال من فاعل ﴿ائت﴾. قوله: ﴿قوم فرعون﴾ بدل من القوم الظالمين، وقوله: [معه] أي فرعون، وهذا قد فهم بالأولى لأنه رأس الضلال. قوله: [وبني إسرائيل] معطوف على [أنفسهم]، والتقدير وظلموا بني إسرائيل. قوله: [باستعبادهم] أي معاملتهم إياهم معاملة العبيد في استخدامهم في الأعمال الشاقة والصنائع الخسيسة نحو أربعمائة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين. قوله: [للاستفهام الإنكاري] المناسب أن يقول للاستفهام التعجبي، لأن المعنى على الإنكار فاسد، لأنه للنفي، ومدخولها نفي، ونفي النفي إثبات، فيصير المعنى أنهم اتقوا الله وليس كذلك، ويصح أن تكون ألا للعرض.

قوله: ﴿قال رب إني أخاف﴾ الخ، اعتذار من موسى لإظهار العجز عن الأمر الذي كلفه، وقد أتى بثلاثة أعذار، كل واحد منها مرتب على ما قبله. قوله: ﴿ويضيق صدري ولا ينطلق لساني﴾ هما بالرفع على الاستئناف، أو عطف على خبر إن عند السبع، وقرىء شذوذاً بنصبهما عطفاً على مدخول أن، والمقصود من هذا الاعتذار الإعانة على هذا الأمر المهم، بشرح الصدر، وطلق اللسان، وإرسال أخيه، والأمن من القتل، وقد دل على ذلك قوله في سورة طه ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني﴾ الآيات. قوله: [للعقدة التي فيه] أي الثقل الحاصل بسبب وضع الجمرة عليه وهو صغير، حين نتف لحية فرعون، فاغتم لذلك وهم بقتله، فأشارت عليه زوجته أن يمتحنه، فقدم له تمرة وجمرة، فأخذ الجمرة بتحويل جبريل يده فوضعها على لسانه، فحصل فيه ثقل في النطق.

قوله: ﴿فأرسل إلى هارون﴾ أي وكان في مصر، فأتاه جبريل بالرسالة على حين غفلة، فموسى جاءته الرسالة من ربه بلا واسطة جبريل، وإن كان حاضراً، وهارون جاءته الرسالة في ذلك الوقت أيضاً بواسطة جبريل. قوله: [معي] أي ليكون معيناً لي، وهو بمعنى قوله في سورة القصص ﴿فأرسله معي ردءاً يصدقني﴾. قوله: ﴿ولهم علي ذنب﴾ أي في زعمهم. قوله: ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ أي فيفوت المقصود من الإرسال. قوله: [فيه تغليب الحاضر على الغائب] أي بالنسبة لموسى، وإلا فهما حاضران بالنسبة لله تعالى، لكن سمع موسى الخطاب من الله بلا واسطة، وهارون سمعه بواسطة جبريل. قوله: ﴿بآياتنا﴾ جمع الآيات مع أنهما اثنان العصا واليد، باعتبار ما اشتملت العصا عليه من الآيات

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا﴾: أي كلًّا منا ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾١٦: إليك ﴿أَنْ﴾: أي بأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾: إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾١٧: فأتياه فقالا له ما ذكر ﴿قَالَ﴾: فرعون لموسى ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾: في منازلنا ﴿وَلِيداً﴾: صغيراً قريباً من الولادة بعد فطامه ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾١٨: ثلاثين سنة تلبس من ملابس فرعون وتركب من مراكبه وكان يسمى ابنه ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾: هي قتله القبطي ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾١٩: الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد ﴿قَالَ﴾: موسى ﴿فَعَلْتُهَا إِذاً﴾: أي حينئذ ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾٢٠: عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً﴾: علماً ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾٢١ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾: أصله تمن بها علي ﴿أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾٢٢: بيان لتلك أي اتخذتهم عبيداً ولم تستعبدني لا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للإنكار ﴿قَالَ

له. قوله: ﴿إنا معكم﴾ أي معية خاصة بالعون والنصر. قوله: [أجريا مجرى الجماعة] أي تعظيماً لهما. قوله: [أي كلا منا] قدر ذلك لتحصل المطابقة بين اسم إن وخبرها، الذي هو الرسول حيث أفرده.

قوله: ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي خلصهم وأطلقهم. قوله: [فأتياه] الخ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿قال ألم نربك﴾ الخ، مرتب على محذوف، روي أنهما لما انطلقا إلى فرعون، لم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه، فدخل البواب على فرعون وقال له: ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال له فرعون: ائذن له لعلنا نضحك معه، فدخلا عليه فوجداه قد أخرج سباعاً من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها، فخاف خدامها أن تبطش بموسى وهارون، فأسرعوا إليهما وأسرعت السباع إلى موسى وهارون، فأقبلت تلحس أقدامهما، وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال: ما أنتما؟ قالا: إنا رسول رب العالمين، فعرف موسى، لأنه نشأ في بيته فقال ﴿ألم نربك فينا وليدا﴾ الخ، فامتن عليه أولاً بنعمة التربية، وثانياً بعدم مؤخذاته بما وقع منه من قتل القبطي. قوله: [قريباً من الولادة] قصده بذلك دفع ما ورد على الآية، بأن الوليد يطلق على المولود حال ولادته، وليس مراداً هنا، فإنه كان زمن الرضاع عند أمه، ثم أخذه فرعون بعد الفطام، والأولى إبقاء الآية على ظاهرها، لأن موسى وإن كان عند أمه، إلا أنه تحت نظر فرعون، فهو في تربيته من حين ولادته.

قوله: ﴿من عمرك﴾ حال من سنين لأنه نعت نكرة قدم عليها. قوله: [وعدم الاستعباد] أي اتخاذك لي عبداً مثل بني إسرائيل. قوله: [حينئذ] هذا حل معنى لا حل إعراب، وهي حرف جواب فقط، وقيل حرف جواب وجزاء. قوله: [عما آتاني الله بعدها] الخ، أي فليس علي فيما فعلته في تلك الحالة لوم لعدم التكليف حينئذ، أو المعنى من المخطئين لا من المتعمدين. قوله: ﴿وجعلني من المرسلين﴾ في ذلك رد لما وبخه به فرعون، وهو القتل بغير حق، فكأنه قال: فكيف تدعي الرسالة، وقد حصل منك ما يقدح في تلك الدعوى؟ فأجابه موسى بأنه قتله قبل أن تأتيه الرسالة، ثم أتته بعد ذلك.

قوله: ﴿وتلك نعمة﴾ مبتدأ وخبر. قوله: ﴿تمنها﴾ صفة لنعمة، و﴿أن عبدت﴾ الخ، عطف بيان موضح للمبتدأ، كما قاله المفسر. قوله: [أصله تمن بها علي] أي فحذف الجار فاتصل الضمير، فهو من باب الحذف والإيصال. قوله: [ولم تستعبدني] أي فلا منة لك علي في عدم استعبادك إياي لأن استعبادك غيري ظلم، وقد نجاني الله منه. قوله: [وقدر بعضهم] أي وهو الأخفش. قوله: [أول الكلام] أي والأصل أو تلك نعمة، الخ. قوله: [للإنكار]

﴿فِرْعَوْنُ﴾: لموسى ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ ٢٣: الذي قلت إنك رسوله أي أيّ شيء هو ولمّا لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: أي خالق ذلك ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ ٢٤: بأنه تعالى خالقه فآمنوا به وحده ﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾: من أشراف قومه ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ ٢٥: جوابه الذي لم يطابق السؤال ﴿قَالَ﴾: موسى ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ٢٦: وهذا وإن كان داخلاً فيما قبله يغيظ فرعون ولذلك ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ٢٧ قَالَ﴾: موسى ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٢٨: أنه كذلك فآمنوا به وحده ﴿قَالَ﴾: فرعون لموسى ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ ٢٩: كان سجنه شديداً يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً ﴿قَالَ﴾: له موسى ﴿أَوَلَوْ﴾: أي أتفعل ذلك ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ ٣٠: أي برهان بيّن على رسالتي ﴿قَالَ﴾: فرعون له ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ٣١: فيه ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ٣٢: حية عظيمة ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: وأخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ﴾: ذات شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ ٣٣: خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ٣٤: فائق في علم السحر ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ٣٥ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أخر أمرهما ﴿وَٱبْعَثْ فِي

أيْ وهو بمعنى النفي. قوله: [أي أي شيء هو] أي وذلك لأنَّ ما يُسأل بها عن الحقيقة. والمعنى أي جنس هو من أجناس الموجودات. قوله: ﴿وما بينهما﴾ أي جنس السماوات والأرض، فاندفع ما قيل: لم ثنّي الضمير مع أن مرجعه جمع؟

قوله: ﴿إن كنتم موقنين﴾ أي محققين أن الله تعالى هو الخالق لها. قوله: [من أشراف قومه] أي وكانوا خمسمائة لابسين الأساور، ولم يكن يلبسها إلا السلاطين على عادة الملوك. قوله: [الذي لم يطابق السؤال] أي لأنّ ما يُسأل بها عن الحقيقة، وقد أجابه بالصفات التي يُسأل عنها بأي، والعدول عن المطابقة، لأنّ السؤال عن الحقيقة عبث وسفه لاستحالته. قوله: ﴿قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ إنما ذكر ذلك لأن نفوسهم أقرب الأشياء إليهم. قوله: [وهذا] أي الجواب. قوله: [ولذلك] أي لشدة غيظه. قوله: ﴿قال إن رسولكم﴾ سماه رسولاً استهزاء، وأضافه إلى المخاطبين استنكافاً من نسبته له.

قوله: ﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾ أي فتشاهدون في كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق، ويذهب بها من المغرب. قوله: ﴿إن كنتم تعقلون﴾ أي إن كان لكم عقل، وفيه رد لقوله: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾. قوله: ﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيره﴾ الخ، عدول عن الحاجة إلى التهديد لقصر حجته وجهله وعدم استقامته، روي أنه فزع من موسى فزعاً شديداً، حتى كان اللعين لا يمسك بوله. قوله: [أي أتفعل ذلك] أشار إلى أن الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف. قوله: ﴿قال فائت به﴾ إنما أمر فرعون بالإتيان به، لظنه أنه يقدر على معارضته.

قوله: ﴿ونزع يده﴾ أي من جيبه، قيل لما رأى فرعون الآية الأولى قال: هل لك غيرها؟ فأخرج يده فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق. قوله: [من الأدمة] أي السمرة. قوله: ﴿حوله﴾ ظرف في محل الحال. قوله: ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ لما رأى تلك الآيات الباهرة، خاف على قومه أن يتبعوه، فتنزل

﴿ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾٣٦: جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾٣٧: يفضل موسى في علم السحر ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾٣٨: وهو وقت الضحى من يوم الزينة ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾٣٩ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾٤٠: الاستفهام للحث على الاجتماع والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾٤١ قَالَ: نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا﴾: أي حينئذ ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾٤٢ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾: بعدما قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾٤٣: فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم توسلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾٤٤ ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾: بحذف إحدى التاءين من الأصل تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾٤٥: يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾٤٦ ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾٤٧ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾٤٨: لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر ﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿ءَامَنتُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿لَهُۥ﴾: لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾: أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾: فعلمكم شيئاً منه وغلبكم بآخر ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: ما ينالكم مني ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: أي يد كل واحد

إلى مشاورتهم بعد أن كان مستقلاً بالرأي والتدبير، وأراد تنفيرهم عن موسى عليه السلام. قوله: ﴿فماذا تأمرون﴾ أي أي شيء تأمرونني به. قوله: ﴿يأتوك﴾ مجزوم في جواب الأمر. قوله: [يفضل موسى] أي يفوقه ويزيد عليه. قوله: [من يوم الزينة] كان يوم عيد لهم، وقيل كان يوم سوق. قوله: [والترجي على تقدير غلبتهم] أي الترجي على فرض الغلبة المقتضية للإتباع. قوله: [على الوجهين] أي تحقيقها وتسهيل الثانية، وكان محليه أن يقول وتركه، أي ترك الإدخال على الوجهين، فتكون القراءات أربعاً. قوله: ﴿لأجراً﴾ أي أجرة وجعلاً.

قوله: ﴿قال نعم﴾ أي لكم الأجرة على عملكم السحر، وزادهم بقوله: ﴿وإنكم إذاً﴾ الخ. قوله: [فالأمر فيه] جواب عما يقال: كيف يأمرهم بفعل السحر، مع أنه لا يجوز الأمر به، لأن الأمر به رضا، والرضا بالكفر كفر، وحاصل الجواب: أن الممتنع الأمر به في حال كونه مستحسناً له، وأما الأمر به للتوسل لإبطاله، فليس فيه استحسان ولا رضا، بل هو الممدوح شرعاً. قوله: ﴿وقالوا بعزة فرعون﴾ أي نقسم ونحلف بعزة فرعون، وأقسموا لفرط اعتقادهم في أنفسهم أنهم غالبون. قوله: [من الأصل] أي أصل الصيغة. قوله: [يقلبونه] أي يغيرونه عن حاله الأول من الجمادية، إلى كونه حية تسعى. قوله: [بتمويههم] الباء سببية.

قوله: ﴿فألقي السحرة﴾ أي خروا وسقطوا ساجدين لما رأوا من باهر المعجزة، فلم يتمالكوا أنفسهم. قوله: ﴿رب موسى وهارون﴾ بدل مما قبله للتوضيح وللإشعار، بأن سبب إيمانهم ما أجراه الله على يد موسى وهارون. قوله: [وإبدال الثانية ألفاً] صوابه الثالثة لأنها هي المنقلبة ألفاً، وترك قراءة أخرى، وهي حذف الأولى من الهمزتين وقلب الثانية ألفاً. قوله: [فعلمكم شيئاً منه وغلبكم بآخر] أي أخفاه منكم، وأراد فرعون بهذا الكلام التلبيس على قومه، لئلا يعتقدوا أن السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق.

قوله: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ حاصله أنهم لما آمنوا بأجمعهم، اشتد خوف فرعون على باقي

اليمنى ورجله اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾٤٩ ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾: لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾: بعد موتنا
بأي وجه كان ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾٥٠: راجعون في الآخرة ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾: نرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ﴾: أي بأن
﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾٥١: في زماننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾: بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق
فلم يزيدوا إلا عتوا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾: بني إسرائيل وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة أسر من سرى لغة في
أسرى أي سر بهم ليلا إلى البحر ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾٥٢: يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر فأنجيكم
وأغرقهم ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾: حين أخبر بسيرهم ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾: قيل كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية
﴿حَاشِرِينَ﴾٥٣: جامعين الجيش قائلا ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾: طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾٥٤: قيل كانوا ستمائة ألف وسبعين
ألفا ومقدمة جيشه سبعمائة ألف فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾٥٥: فاعلون ما يغيظنا ﴿وَإِنَّا
لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾٥٦: متيقظون وفي قراءة حاذرون مستعدون قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾: أي فرعون وقومه من

قومه من دخولهم في الإيمان، فنفر الباقي بقوله: ﴿لأقطعن﴾ الخ. قوله: ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ تعليل لنفي الضير، وهل فعل بهم ما توعدهم به خلاف، ولم يرد في القرآن ما يدل على أنه فعل. قوله: [في زماننا] أي من أتباع فرعون، فلا ينافي أن بني إسرائيل سبقوهم بالإيمان.

قوله: ﴿وأوحينا إلى موسى﴾ يحتمل أن يكون بتكليم الله له، أو على لسان جبريل. قوله: [بعد سنين] أي ثلاثين، وذلك أن موسى مكث في مصر أولاً ثلاثين، وفي مدين عشر سنين، ثم لما رجع إلى مصر ثانياً، مكث يدعوهم إلى الله ثلاثين سنة، ثم أغرق الله فرعون وقومه، وعاش بعد ذلك خمسين سنة، فجملة عمره مائة وعشرون سنة. قوله: [بآيات الله] أي باقي التسع، لأن موسى افتتحهم أولاً بالعصا واليد فلم يؤمنوا، فجاءهم بالسنين المجدبة، ثم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس على أموالهم، فلم يفد فيهم ذلك، وقد سبق ذلك مفصلاً في الأعراف.

قوله: ﴿بعبادي﴾ الإضافة للتشريف، والمعنى سر بعبادي المختصين برحمتي، وإلا فالكل من حيث الخلق عباده. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [أي سر بهم ليلاً] تفسير لكل من القراءتين. قوله: [إلى البحر] أي بحر القلزم، فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل في آخر الليل، فترك طريق الشام على يساره وتوجه جهة البحر، فكان الرجل من بني إسرائيل يراجعه في ذلك فيقول: هكذا أمرني ربي، فلما أصبح فرعون، وعلم بسير موسى ببني إسرائيل خرج في أثرهم، وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه الجيوش.

قوله: ﴿إنكم متبعون﴾ علة للأمر بالسير. قوله: [حين أخبر بسيرهم] روي أن قوم موسى قالوا لجماعة فرعون: إن لنا في هذه الليلة عيداً، ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب، ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جانب البحر، فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم. قوله: [ومقدمة جيشه] الخ، أي وجملة جيشه ألف ألف وستمائة. قوله: [فاعلون ما يغيظنا] أي حيث خالفوا ديننا، وطمسوا على أموالنا، وقتلوا أبكارنا، لما روي أن الله أمر الملائكة أن يقتلوا أبكار القبط، وأوحى إلى موسى أن يجمع بني إسرائيل، كل أربعة أبيات في بيت، ثم يذبحوا أولاد الضأن، ويلطخوا أبوابهم بدمائها لتميز الملائكة بيوت بني إسرائيل من بيوت القبط، فدخلت الملائكة فقتلت أبكارهم، فأصبحوا مشغولين بموتاهم، وهذا هو سبب تأخر فرعون وقومه عن موسى وقومه.

قوله: ﴿وإنا لجميع حذرون﴾ أي من عادتنا الحذر والحزم في الأمور. قوله: [وفي قراءة] الخ، أي وهي سبعية

مصر ليلحقوا موسى وقومه ﴿مِنْ جَنَّاتٍ﴾: بساتين كانت على جانبي النيل ﴿وَعُيُونٍ﴾٥٧: أنهار جارية في الدور من النيل ﴿وَكُنُوزٍ﴾: أموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزاً لأنه لم يعط حق الله تعالى منها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾٥٨: مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي إخراجنا كما وصفنا ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾٥٩: بعد إغراق فرعون وقومه ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾: لحقوهم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾٦٠: وقت شروق الشمس ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾: أي رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾٦١: يدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به ﴿قَالَ﴾: موسى ﴿كَلَّا﴾: أي لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾: بنصره ﴿سَيَهْدِينِ﴾٦٢: طريق النجاة قال تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾: فضربه ﴿فَانفَلَقَ﴾: فانشق اثني عشر فرقاً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾٦٣: الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: قربنا ﴿ثَمَّ﴾: هناك ﴿الْآخَرِينَ﴾٦٤: فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ﴾٦٥: بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾٦٦: فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: أي إغراق فرعون وقومه ﴿لَآيَةً﴾: عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾٦٧: بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت

أيضاً بمعنى الأولى، وقيل الحذر المتيقظ، والحاذر الخائف. قوله: [كانت على جانبي النيل] أي من أسوان إلى رشيد، قال كعب الأحبار: أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى في الدنيا: سيحان وجيحان والنيل والفرات، فسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر اللبن في الجنة، والنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة. قوله: [أموال ظاهرة] هذا أحد قولين، وقيل المراد بالكنوز الأموال التي تحت الأرض وخصها بالذكر لأن ما فوق الأرض انطمس، وحينئذ فتسميتها كنوزاً ظاهر. قوله: [مجلس حسن للأمراء والوزراء] قيل كان إذا قعد على سريره، وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب، يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء وعليهم أقبية الديباج مرصعة بالذهب، وقيل المقام الكريم المنابر، وكان ألف منبر لألف جبار، يعظمون عليها فرعون وملكه. قوله: [إخراجنا كما وصفنا] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كذلك﴾ خبر لمحذوف.

قوله: ﴿وأورثناها﴾ أي الجنات والعيون والكنوز، وقيل المراد أورثنا بني إسرائيل ما استعاروه من حلي آل فرعون، والأحسن أن يراد ما هو أعم، فإن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه، وملكوا مشارق الأرض ومغاربها. قوله: [وقت شروق الشمس] أي يوم الملاقاة، وليس المراد أنهم أدركوا بني إسرائيل يوم خروجهم لأنهم تأخروا عنهم، حتى جمعوا جيوشهم ودفنوا موتاهم. قوله: [أي لن يدركونا] أشار بذلك إلى أن كلا للنفي. والمعنى لا سبيل لهم علينا، لأن الله وعدنا بالخلاص منهم.

قوله: ﴿فأوحينا إلى موسى﴾ الخ قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر، هاج البحر فصار يرمي بموج كالجبال، فصار بنو إسرائيل يقولون: أين أمرت، فرعون من خلفنا والبحر أمامنا، وموسى يقول: ههنا، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر، فإذا الرجل واقف على فرسه، ولم يبتل سرجه ولا لبده. قوله: [اثني عشر فرقاً] أي قطعة بعدد أسباط بني إسرائيل. قوله: [بينها مسالك] أي بين الاثني عشر فرقاً. قوله: [على هيئته] أي وهي انفلاقه اثنتي عشرة فرقة. قوله: [وحزقيل] المذكور في قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ الخ، وقوله: [ومريم بنت

ناموسي التي دلت على عظام يوسف عليه السلام ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ٦٨: بالمؤمنين فأنجاهم من الغرق ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أي كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾: خبر ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ ٦٩: ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ٧٠ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾: صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ ٧١: أي نقيم نهاراً على عبادتها زادوه في الجواب افتخاراً به ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ﴾: حين ﴿تَدْعُونَ﴾ ٧٢ ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾: إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾كم ٧٣ إن لم تعبدوهم ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ٧٤: أي مثل فعلنا ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ٧٥ ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ ٧٦ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾: لا أعبدهم ﴿إِلَّا﴾: لكن

ناموسي] أي كانت عجوزاً تعيش من العمر نحو سبعمائة سنة. قوله: [التي دلت على عظام يوسف عليه السلام] أي وسبب ذلك أن الله أمر موسى بأخذ يوسف معه إلى الشام حين خروجه من مصر، فسأل عن قبره فلم يعرف إذ ذاك، فدلته عليه هذه العجوز، بعد أن ضمن لها موسى على الله الجنة، وكان يوسف قد دفن في قعر بحر النيل، فحفر عليه موسى وأخرجه وذهب به إلى الشام.

- فائدة - قال قيس بن حجاج: لما فتحت مصر، أتى أهلها إلى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بؤونة من أشهر القبط، فقالوا: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنة وعادة لا يجري إلا بها، فقال لهم: وما ذاك؟ فقالوا: إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، أرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام ليهدم ما قبله، فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى لا يجري قليلاً ولا كثيراً وهموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعلمه بالقصة، فكتب إليه عمر بن الخطاب: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإني بعثت إليك ببطاقة في داخل كتابي، فألقها في النيل إذا أتاك كتابي، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها، فإذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد، فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك، فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم، فأصبحوا وقد زاد في تلك الليلة ستة عشر ذراعاً، وقطع الله تلك السيرة من تلك السنة.

قوله: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾ عطف على ﴿اذكر﴾ العامل في قوله: ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ الخ، عطف قصة على قصة. قوله: [أي كفار مكة] خصهم بالذكر لأنهم الحاضرون وقت نزول الآية، وإلا فهو خطاب لهم ولمن بعدهم إلى يوم القيامة. قوله: [ويبدل منه] أي بدل مفصل من مجمل. قوله: ﴿ما تعبدون﴾ ﴿ما﴾ اسم استفهام معمول لتعبدون، والمعنى ما هذا الذي تعبدونه، أي ما حقيقته. قوله: [صرحوا بالفعل] الخ، جواب عما يقال: كان القياس أن يقولوا أصناماً كقوله: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ فأجاب بأنهم صرحوا بالفعل، ليعطفوا عليه ما فيه الافتخار. قوله: [أي نقيم نهاراً على عبادتها] هذا معنى نظل الأصلي، ولكن مقتضى الافتخار، أن يكون معناها ندوم على عبادتها ليلاً ونهاراً. قوله: [زادوه] أي قوله: ﴿فنظل﴾ الخ.

قوله: ﴿قال هل يسمعونكم﴾ أتى بالمضارع إشارة إلى أن هذا الوصف مستمر وثابت في الأصنام في الماضي والحال والاستقبال، ولا بد من محذوف هنا، دل عليه قوله: ﴿إذ تدعون﴾ تقديره هل يسمعون دعاءكم؟ قوله: ﴿إذ تدعون﴾ ﴿إذ﴾ هنا بمعنى إذا، استحضاراً للحال الماضية وحكاية لها تبكيتاً عليهم. قوله: ﴿قالوا بل وجدنا﴾ الخ، هذا الجواب يفيد تسليم ما قاله إبراهيم، وإنما اعتذروا عن ذلك بالتقليد، فلما لم يجدوا مخلصاً غيره احتجوا به. قوله: ﴿قال أفرأيتم﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أتأملتم فعلتم أو أبصرتم ما كنتم

﴿رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ ٧٧: فإني أعبده ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ٧٨: إلى الدِّين ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ٨١ وَٱلَّذِي أَطْمَعُ﴾: أرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ ٨٢: أي الجزاء ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾: علماً ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّالِحِينَ﴾ ٨٣: النبيين ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾: ثناء حسناً ﴿فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ ٨٤: الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ٨٥: أي ممن يعطاها ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ٨٦: بأن تتوب عليه فتغفر له وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر في سورة

تعبدونه. قوله: ﴿وآباؤكم﴾ عطف على الضمير في ﴿تعبدون﴾ وهو ضمير رفع متصل، فلذا فصل بالضمير المنفصل، قال ابن مالك:

وإنْ على ضميرِ رفعٍ متّصلِ عطفْتَ فافصلْ بالضميرِ المنفصلِ

قوله: ﴿فإنهم عدو لي﴾ أسند العداوة لنفسه تعريضاً بهم، وهو أبلغ في النصيحة من التصريح بأن يقول فإنهم عدو لكم، إن قلت: كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي لا تعقل؟ أجيب بأجوبة منها: أن المعنى عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم في الدنيا، ومنها أن الكلام على حذف مضاف، أي فإن أصحابهم عدو لي، ومنها أن الكلام على القلب أي فإني عدو لهم. قوله: ﴿إلا رب العالمين﴾ أشار المفسر بقوله: [لكن] إلى أن الاستثناء منقطع، والمعنى لكن رب العالمين ليس بعدوي، بل هو وليي في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿الذي خلقني﴾ نعت لرب العالمين، أو بدل أو عطف بيان أو خبر لمحذوف، وما بعده عطف عليه. قوله: ﴿فهو يهدين﴾ أتى بالفاء هنا، وفي قوله: ﴿يشفين﴾ لترتب الهداية على الخلق والشفاء على المرض، بخلاف الإطعام والإسقاء، فليس بينهما ترتب، وأتى بثم في جانب الأحياء لبعد زمنه عن زمن الموت، لأن المراد به الأحياء في الآخرة. قوله: [إلى الدين] أي وغيره من مصالح دنياي وآخرتي، وإنما خص الدين لأن المقام للرد ولأنه أهم.

قوله: ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ أي في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ أسند المرض لنفسه، وإن كان الكل من الله تأدباً كما قال تعالى ﴿بيدك الخير﴾ ولم يقل الشر، وقال الخضر: ﴿فأردت أن أعيبها﴾، وقال: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾. قوله: ﴿والذي أطمع﴾ عبر بالطمع المفيد عدم الأخذ في الأسباب، مع أنها حاصلة منه لعدم إعتماده عليها. قوله: ﴿أن يغفر لي﴾ ذكر ذلك تواضعاً وتعليماً للأمة، وإلا فهو معصوم من الخطايا.

قوله: ﴿رب هب لي حكماً﴾ لما ذكر تلك الأوصاف قوي رجاؤه في ربه، فطلب منه معالي الأمور، وخير الدنيا والآخرة. قوله: [علماً] أي زيادة فيه. قوله: ﴿وألحقني بالصالحين﴾ أي في العمل أو في درجات الجنة.

قوله: ﴿واجعل لي لسان صدق﴾ من إضافة الموصوف للصفة، أي ذكراً حسناً، من باب تسمية الشيء باسم آلته. قوله: [الذين يأتون بعدي] وقد أجابه الله تعالى، فما من أمة من الأمم، إلا وهي تحبيه وتثني عليه بخير، سيما هذه الأمة المحمدية خصوصاً في المؤمنين منهم، فإنهم يذكرونه بخير في كل تشهد، وإنما طلب ذلك لينتفع به هو، وينتفع به المثني، لكن بشرط الإيمان، وأما حديث «من أحب قوماً حشر معهم وإن لم يعمل بعملهم» فمعناه إذا اشتركوا معهم في الإيمان وإن لم يصلوا لمقامهم.

قوله: ﴿من ورثة جنة النعيم﴾ أي مندرجاً فيهم ومن جملتهم، وإضافة جنة للنعيم من إضافة المحل إلى الحال فيه، فالمراد مطلق الجنة لا خصوص الدار المسماة بذلك، وقد أجابه الله في جميع دعواته، سوى الدعاء بالغفران لأبيه. قوله: [بأن تتوب عليه] الخ ظاهره أن هذا الدعاء صدر من إبراهيم وأبوه حي، ولكن ينافيه قوله: [وهذا قبل أن يتبين له]

براءة ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾: تفضحني ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ ٨٧: أي الناس قال تعالى فيه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ٨٨: أحداً ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٨٩: من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن فإنه ينفعه ذلك ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾: قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٩٠: فيرونها ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾: أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ ٩١: الكافرين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ٩٢ ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره من الأصنام ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾: بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ ٩٣: بدفعه عن أنفسهم لا ﴿فَكُبْكِبُوا﴾: ألقوا ﴿فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ ٩٤ ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس ﴿أَجْمَعُونَ﴾ ٩٥ ﴿قَالُوا﴾: أي الغاوون ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ ٩٦: مع معبوديهم ﴿تَاللَّهِ إِن﴾: مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٩٧: بين ﴿إِذْ﴾: حيث ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٩٨: في العبادة ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾: عن الهدى ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ ٩٩: أي الشياطين أو أولونا الذين اقتدينا بهم ﴿فَمَا لَنَا مِن

فإن التبين المذكور، إنما حصل بموته كافراً، وحينئذ فلا يصح جعله قيداً للدعاء له في حياته بالتوفيق للإيمان، وإنما يصح لو كان المراد الدعاء له بمغفرة الذنوب على حالته التي هو عليها. وأجيب: بأنه لا مانع أن الله أعلم إبراهيم بموت أبيه كافراً وهو حي، فقد صح ما قاله المفسر. قوله: [وهذا] أي الدعاء له بما ذكر. قوله: [كما ذكر في سورة براءة] أي في قوله ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه﴾ الآية. قوله: [تفضحني] أي تكشف عيوبي بين خلقك، وهذا تواضع منه أو بالنظر للتجويز العقلي، فإن تعذيب المطيع جائز عقلاً لا شرعاً. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ الخ من كلام الله تعالى، ويصح أن يكون من كلام إبراهيم، فيكون بدلاً من يوم قبله. قوله: [لكن] ﴿من أتى الله﴾ الخ أشار المفسر بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، ولكن ينافيه تقديره أحداً، فتحصل أن الاستثناء إما منقطع إن جعل من قوله: ﴿مال ولا بنون﴾ ويكون المعنى [لكن] ﴿من أتى الله بقلب سليم﴾ فإنه ينتفع، أو متصل إن جعل من المفعول الذي قدره المفسر، والتقدير لا ينفع المال والبنون أحداً إلا الذي أتى الله بقلب سليم، فإنه ينفعه المال والبنون. قوله: [وهو قلب المؤمن] أي فينتفع بالمال الذي أنفقه في الخير والولد الصالح بدعائه له لما في الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

قوله: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ أي بحيث يشاهدونها في الموقف ويعرفون ما فيها، فتحصل لهم البهجة والسرور، وعبر بالماضي لتحقق الحصول. قوله: ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ أي جعلت لهم بارزة ظاهرة، بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع العذاب، فتحصل لهم المساءة والأحزان، ويوقنون بأنهم مواقعوها، ولا يجدون عنها مصرفاً.

قوله: ﴿وقيل لهم﴾ أي على سبيل التوبيخ. قوله: ﴿أين ما كنتم تعبدون﴾ ﴿أين﴾ خبر مقدم، و﴿ما﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿كنتم تعبدون﴾ صلة ما والعائد محذوف تقديره تعبدونه، وقوله: ﴿من دون الله﴾ حال. قوله: [ألقوا] أي مرة بعد أخرى، لأن الكبكبة تكرير الكب، وهو الإلقاء على الوجه، كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها. قوله: ﴿والغاوون﴾ عطف على ضمير كبكبوا، وسوغه الفصل بالجار والمجرور وضمير الفصل. قوله: [ومن أطاعه] عطف تفسير. قوله: ﴿وهم فيها يختصمون﴾ الجملة حالية، ومقول القول ﴿تالله﴾ الخ. قوله: [واسمها محذوف] الخ قد يقال إنها في الآية مهملة، فلا اسم لها ولا خبر لوجود اللام، قال ابن مالك: وخففت إن فقل العمل الخ.

قوله: ﴿إذ نسويكم﴾ ظرف لكونهم في ضلال مبين. قوله: [أو أولونا] أي السابقون علينا، وهو جمع أول.

﴿شَافِعِينَ﴾١٠٠: كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾١٠١: أي يهمه أمرنا ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا
كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾١٠٢: لو هنا للتمني ونكون جوابه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور من
قصة إبراهيم وقومه ﴿لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ١٠٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ١٠٤ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ
ٱلْمُرْسَلِينَ﴾١٠٥: بتكذيبهم له لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل وتأنيث قوم باعتبار
معناه وتذكيره باعتبار لفظه ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾: نسباً ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾١٠٦: الله ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾١٠٧:
على تبليغ ما أرسلت به ﴿فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾١٠٨: فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾:
على تبليغه ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ﴾: أي ثوابي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ١٠٩ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾١١٠: كرره
تأكيداً ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ﴾: نصدق ﴿لَكَ﴾: لقولك ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾: وفي قراءة وأتباعك جمع تابع مبتدأ
﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾١١١: السفلة كالحاكة والأساكفة ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي﴾: أي علم لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ١١٢ إِنْ﴾: ما

قوله: [من الملائكة والنبيين] الخ فالشفعاء تكثر للمؤمنين كما ورد: لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة. قوله: ﴿ولا صديق حميم﴾ أفرد الصديق وجمع الشفعاء لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الصديق والحميم القريب من قولهم حامة فلان أي خاصته أو الخالص، ويؤيده قول المفسر [أي يهمه أمرنا]، وقوله: [يهمه] بضم أوله وكسر ثانيه، وبفتح أوله وضم ثانيه. قوله: [ونكون جوابه] أي فهو منصوب في جواب التمني. قوله: ﴿لآية﴾ أي عظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر، فإنها على أحسن ترتيب.

قوله: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أي بل لم يؤمن منهم إلا لوط ابن أخيه، وسارة زوجته، كما تقدم في سورة الأنبياء. قوله: [بتكذيبهم له] جواب عما يقال: لم جمع المرسلين، مع أنهم إنما كذبوا رسولاً واحداً وهو نوح؟ فأجاب: بأن تكذيبهم له تكذيب للباقي، فالجمع على حقيقته. قوله: [أو لأنه] الخ جواب ثان، وعليه فالجمع مجاز. قوله: [وتأنيث قوم] أي تأنيث الفعل المسند إليه، وقوله: [باعتبار] معناه أي وهو الأمة والجماعة. قوله: [وتذكيره] أي تذكير الضمير العائد عليه في قوله: ﴿إذ قال لهم﴾ ولا مفهوم لقوم، بل كل اسم جمع أو جمع تكسير لمذكر أو لمؤنث كذلك. قوله: [نسباً] أي لا في الدين. قوله: ﴿نوح﴾ تقدم أن اسمه عبد الغفار أو يشكر، ونوح لقبه. قوله: ﴿ألا تتقون﴾ ألا للعرض. قوله: ﴿إني لكم رسول أمين﴾ إنما أخبر بذلك ليتبع، وليس قصده الافتخار.

قوله: ﴿فاتقوا الله﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه. قوله: ﴿من أجر﴾ ﴿من﴾ زائدة في المفعول، أي أجرة وجعلاً. قوله: [كرره تأكيداً] أي وحسن ذلك كون الأول مرتباً على الرسالة والأمانة، والثاني على عدم سؤاله أجراً منهم. قوله: ﴿قالوا أنؤمن لك﴾ الخ هذا من سخافة عقولهم وفساد رأيهم، حيث جعلوا اتباع الفقراء مانعاً من إيمانهم، وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس خالصاً لوجه الله، بل هو طمع في أن ينالهم شيء من الدنيا. قوله: [وفي قراءة] ظاهره أنها سبعية وليس كذلك بل هي عشرية، والمعتمد جواز القراءة بها. قوله: [وأتباعك] مبتدأ، وخبره ﴿الأرذلون﴾ وأما القراءة الأولى فهي جملة فعلية، وهي حالية على كل حال. قوله: ﴿الأرذلون﴾ جمع أرذل، كالأكبرون جمع أكبر. قوله: [السفلة] المراد بهم الفقراء والضعفاء، وسبب مبادرتهم للإيمان قلة عوائقهم، كالرياسة والغنى، فإن ذلك موجب للأنفة عن الإتباع.

قوله: ﴿قال وما علمي﴾ يحتمل أن تكون ﴿ما﴾ استفهامية، وإليه يشير المفسر بقوله: [أي علم لي] ويحتمل أن تكون نافية. قوله: ﴿بما كانوا يعملون﴾ أي لم أكلف العلم بعقائدهم الباطنية، وإنما كلفت أن ادعوهم إلى الإيمان.

﴿حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾: فيجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾١١٣: تعلمون ذلك ما عبتموهم ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾١١٤
﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾١١٥: بيّن الإنذار ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ﴾: عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمَرْجُومِينَ﴾١١٦: بالحجارة أو بالشتم ﴿قَالَ﴾: نوح ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾: أي
احكم ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾١١٨: قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾١١٩:
المملوء من الناس والحيوان والطير ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾: أي بعد إنجائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾١٢٠: من قومه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٢٢ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ١٢٣ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا
تَتَّقُونَ ١٢٤ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٢٥ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ١٢٧ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: مكان مرتفع ﴿آيَةً﴾: بناء علماً للمارة ﴿تَعْبَثُونَ﴾١٢٨: بمن يمر بكم وتسخرون

قوله: ﴿إن حسابهم﴾ أي حساب بواطنهم. قوله: [ما عبتموهم] قدره إشارة إلى أن ﴿لو﴾ شرطية حذف جوابها. قوله: ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ جواب لما فهمه من طلبهم طرد الضعفاء، وهذا كما سألت قريش النبي ﷺ أن يطرد الموالي والفقراء، كما تقدم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾. قوله: ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ أي للمكلفين أعزاء وغيرهم، فكيف يليق مني طرد الفقراء؟

قوله: ﴿قالوا لئن لم تنته﴾ أي تترك ما أنت عليه من معارضتنا. قوله: ﴿قال رب إن قومي كذبون﴾ إنما قال ذلك تمهيداً للدعاء عليهم كأنه قال: إنهم أعرضوا عن دينك وتوحيدك، فأنا أدعو عليهم لأجل ذلك، والمعنى أنهم استمروا على تكذيبي وأصروا عليه، بعدما كررت عليهم الدعوة، وسيأتي تفصيل ذلك في سورة نوح في قوله ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ الخ. قوله: ﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ من الفتاحة بالضم والكسر وهي الحكومة، أي احكم بيننا بما يستحقه كل منا. قوله: ﴿ومن معي من المؤمنين﴾ آثر الإيمان إشارة إلى أنهم خالصون في الإتباع، وكان من معه من المؤمنين ثمانين؛ أربعون من الرجال وأربعون من النساء، على أحد أقوال تقدمت.

قوله: ﴿ثم اغرقنا بعد﴾ أي بالطوفان، حيث التقى ماء السماء على ماء الأرض. قوله: ﴿الباقين﴾ [من قومه] أي صغاراً وكباراً، فالهلاك الدنيوي عم الكبار والصغار والبهائم، وأما في الآخرة فالخلود في النار مخصوص بمن مات كافراً بعد البلوغ، وأما صبيانهم بل وصبيان المشركين، من أول الدنيا إلى آخرها، فيدخلون الجنة بشفاعة النبي ﷺ.

قوله: ﴿كذبت عاد﴾ اسم أبي قبيلة هود الأعلى، سميت القبيلة باسمه، فالمراد كذبت القبيلة المنسوبة لعاد، وقوله: ﴿المرسلين﴾ المراد هود، وإنما جمع لأن من كذب رسولا واحداً فقد كذب الجميع، لاشتراك الكل في المجيء بالتوحيد. قوله: ﴿أخوهم﴾ أي من النسب لما تقدم أنه من ذرية عاد، وكان هود تاجراً جميل الصورة يشبه آدم، وعاش من العمر أربعمائة وأربعاً وستين سنة. قوله: ﴿ألا تتقون﴾ ﴿ألا﴾ أداة عرض، وهو الطلب بلين ورفق، تأليفاً لقلوب المجرمين لعلهم يهتدون. قوله: ﴿إني لكم رسول أمين﴾ تعليل لعرضه التقوى عليهم، والمعنى إني لكم رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم أمين، لا أزيد ولا أنقص.

قوله: ﴿فاتقوا الله﴾ تفريع على قوله: ﴿إني لكم رسول أمين﴾ أي فحيث كنت رسولاً أميناً، فالواجب عليكم تقوى الله وطاعتي، فطاعته من حيث كونه رسولاً من عند الله لا من حيث ذاته، ولذا لم يقل: ألا تتقون وتطيعوني. قوله: ﴿من أجر﴾ أي جعل وأجرة على رسالتي. قوله: ﴿إلا على رب العالمين﴾ أي لأنه المرسل لي الغني المغني.

قوله: ﴿أتبنون﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ، وهو شروع في توبيخهم على أمور ثلاثة، كل واحد منها مناف

منهم والجملة حال من ضمير تبنون ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: للماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: كأنكم
﴿تَخْلُدُونَ﴾ ١٢٩: فيها لا تموتون ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾: بضرب أو قتل ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ ١٣٠: من غير رأفة ﴿فَاتَّقُوا
اللَّهَ﴾: في ذلك ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ ١٣١: فيما أمرتكم به ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾: أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٣٢ أَمَدَّكُم
بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ ١٣٤: أنهار ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٣٥: في الدنيا
والآخرة إن عصيتموني ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾: مستو عندنا ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ ١٣٦: أصلاً أي لا
نرعوي لوعظك ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَذَا﴾: الذي خوفتنا به ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٣٧: أي اختلاقهم وكذبهم وفي قراءة
بضم الخاء واللام أي ما هذا الذي نحن عليه من أن لا بعث إلا خلق الأولين أي طبيعتهم وعادتهم ﴿وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ﴾ ١٣٨ فَكَذَّبُوهُ﴾: بالعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾: في الدنيا بالريح ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٤٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ١٤١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ

للتقوى: البناء للبعث، واتخاذ المصانع، والتجبر. قوله: ﴿بكل ريع﴾ بكسر الراء ويقال بفتحها، هو المكان المرتفع. قوله: [علماً للمارة] أي كالعلم في الارتفاع. قوله: [بمن يمر بكم] الخ، هذا أحد أوجه في تفسير متعلق البعث، وقيل ﴿تعبثون﴾ بالبناء لظنهم أن المارة يحتاجون إلى البناء ليهتدوا به في الأسفار، مع أنهم يستغنون عنه بالنجوم، وقيل المعنى تبنون بروج الحمام لتعبثوا بها، وقيل المعنى تبنون بنياناً يجتمعون فيه للعبث، وكل صحيح واقع منهم. قوله: ﴿مصانع﴾ جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو ضمها، وهو الحوض والبركة تحت الأرض كالصهاريج. قوله: [كأنكم] فسّر لعل بكأن بدليل القراءة الشاذة كأنكم تخلدون. والأولى إبقاء لعل على بابها من الترجي، ويكون المعنى: راجين أن تخلدوا في الدنيا بسبب عملكم عمل من يرجوا ذلك، لأن مجيء لعل بمعنى كأن لم يرد.

قوله: ﴿وإذا بطشتم﴾ أي فعلتم فعل الجبارين من الضرب بالسياط والقتل بالسيف. قوله: ﴿فاتقوا الله﴾ [في ذلك] أي فيما تقدم من الأمور الثلاثة. قوله: ﴿الذي أمدكم﴾ أي أعطاكم المدد وهو النعم. قوله: ﴿أمدكم بأنعام﴾ بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل. قوله: ﴿وبنين﴾ أي ذرية. قوله: ﴿وجنات﴾ جمع جنة.

قوله: ﴿إن أخاف عليكم﴾ أي إن دمتم على مخالفتي، ولم تشكروا هذه النعم بعد بعثتي. قوله: [في الدنيا] أي بالريح العقيم، وقوله: [وفي الآخرة] أي بالخلود في النار. قوله: ﴿أم لم تكن من الواعظين﴾ هذا أبلغ من أن يقولوا أو لم تعظ، لأن المعنى سواء علينا أوعظت، بأن كنت من أهل الوعظ، أم لم تكن أصلاً من أهله، بأن كنت أمياً مثلنا ولست نبياً. قوله: [أي لا نرعوي لوعظك] أي لا نرتدع ولا ننكف له. قوله: ﴿إلا خلق الأولين﴾ أي من تقدموا قبلك كشيث ونوح، فإنهم كانوا يختلقون أموراً فاقتديت بهم، فاسم الإشارة على هذه القراءة، راجع لما خوفهم به. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، وعليها فاسم الإشارة عائد على معتقدهم، وهو عدم البعث. قوله: [أي طبيعتهم وعادتهم] أي عادة الأولين من قبلنا، أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون، ولا بعث ولا حساب.

قوله: ﴿وما نحن بمعذبين﴾ أي على ما فعلناه من الأعمال. قوله: ﴿فكذبوه﴾ أي استمروا على تكذيبه. قوله: [بالريح] أي الصرصر، وكانت باردة شديدة الصوت لا ماء فيها، وسلطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام، أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في أواخر الشتاء، وسيأتي بسطها في سورة الحاقة. قوله: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ أي بل أقلهم كانوا مع هود في حظيرة تنسم عليهم ريح لينة، حتى مضت تلك المدة، فأخذهم وهاجروا من تلك الأرض إلى مكة. قوله: ﴿العزيز﴾ أي الغالب على أمره. قوله: ﴿الرحيم﴾ أي المنعم على عباده بدقائق النعم.

أَمِينٌ ١٤٣ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٤٤ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٤٥ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا
هَٰهُنَا﴾: من الخير ﴿آمِنِينَ ١٤٦ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ ١٤٨: لطيف لين ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ
الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ ١٤٩: بطرين وفي قراءة فارهين حاذقين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ١٥٠: فيما أمرتكم به ﴿وَلَا
تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ١٥١ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ١٥٢: بطاعة الله ﴿قَالُوا إِنَّمَا
أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ ١٥٣: الذين سُحِروا كثيراً حتى غُلب على عقلهم ﴿مَا أَنْتَ﴾: أيضاً ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: في رسالتك ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ﴾: نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ١٥٥
وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٥٦: لعظم العذاب ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أي عقرها بعضهم برضاهم

قوله: ﴿كذبت ثمود﴾ اسمُ أبي قبيلة صالح الأعلى، سُميت القبيلة باسمه، وتُسمَّى أيضاً عاداً الثانية، وهم ذرية مَن آمن من قوم هود. قوله: ﴿المرسلين﴾ المراد بهم صالح، وتقدم وجه التعبير بالجمع. قوله: ﴿أخوهم﴾ أي في النسب، لاجتماعهم معه في الأب الأعلى، وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة، وبينه وبين هود مائة سنة. قوله: ﴿ألا تتقون﴾ تقدم أن ﴿ألا﴾ أداة عرض كما في قول الشاعر:

يا ابنَ الكرام ألا تدنو فتبصر ما ... قد حدثوك فما راءٍ كمَن سمعا

وحكمة التعبير أولاً بالعرض تأليف قلوبهم للتوحيد بالكلام اللين، لقصر عقلهم وجهلهم. قوله: ﴿أتتركون﴾ الاستفهام إنكاري توبيخي، وما اسم موصول بينها المفسّر بقوله: [من الخيرات] وهنا اسم إشارة للمكان القريب، والمراد دار الدنيا، والمعنى أتظنون أنكم تتركون في الدنيا، متمتعين بأنواع النعم والشهوات، آمنين من كل مكروه، ولا تمتحنون بأوامر ونواهٍ، ولا تحاسبون على شيء فيها؟ لا تظنوا ذلك، بل الواجب عليكم ترك الفاني والاشتغال بالباقي. قوله: ﴿في جنات﴾ بدل من قوله: ﴿ههنا﴾ بإعادة الجار. قوله: ﴿ونخل﴾ هو اسم جنس جمعي، واحده نخلة، يذكر ويؤنث، وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقاً. قوله: ﴿طلعها﴾ هو ثمرها في أول ما يطلع كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو، وبعده الأغريض، ويسمى خلالاً ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم الرطب ثم التمر، يجمعها قولك: طاب زبرت، فأطوار النخيل سبعة كأطوار الإنسان، ولذا ورد في الحديث: «أكرموا عماتكم النخل»، وأفرد النخل بالذكر لفضله على سائر الأشجار.

قوله: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً﴾ أي لطول أعماركم، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم؛ لأن الواحد منهم كان يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف. قوله: [بطرين] أي لنعم ربكم. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [حاذقين] أي ماهرين في العمل. قوله: ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾ الإسناد مجازي في النسبة، والأصل لا تطيعوا المسرفين في أمرهم. قوله: ﴿الذين يفسدون في الأرض﴾ صفة للمسرفين. قوله: ﴿ولا يصلحون﴾ دفع بذلك ما يتوهم أنه يقع منهم الإصلاح في بعض الأوقات. قوله: ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ أي فكيف تدعي أنك رسول إلينا.

قوله: ﴿قال هذه ناقة﴾ الإشارة إليها بعد أن خرجت من الصخرة بدعائه كما طلبوا، عن أبي موسى الأشعري قال: رأيت مبركها فإذا هو ستون ذراعاً في ستين ذراعاً. قوله: ﴿لها شرب﴾ الخ أمرهم صالح بأمرين: الأول قوله: ﴿لها شرب﴾، والثاني قوله: ﴿ولا تمسوها بسوء﴾. قوله: [نصيب من الماء] أي فهي تشرب منه يوماً، وأنتم تشربون منه يوماً، لا تزاحمكم ولا تزاحموها، وفي يومها تشربون من لبنها.

﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾١٥٧: على عقرها ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾: الموعود به فهلكوا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾١٥٨ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾١٥٩ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾١٦٠ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾١٦١ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾١٦٢ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾١٦٣ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾١٦٤ ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾١٦٥: أي من الناس ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾: أي أقبالهن ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾١٦٦: متجاوزون الحلال إلى الحرام ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ﴾: عن إنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾١٦٧: من بلدتنا ﴿قَالَ﴾: لوط ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾١٦٨: المبغضين

قوله: ﴿فعقروها﴾ أي يوم الثلاثاء، وأخذهم العذاب يوم السبت، وقد جعل لهم علامة على نزول العذاب بهم، وهو أنهم في اليوم الأول تصفر وجوههم، ثم تحمر في اليوم الثاني، ثم تسود في اليوم الثالث. قوله: [أي عقرها بعضهم] أي وهو قدار، وكان قصيراً أزرق، وكان ابن زنا، ضربها في ساقيها بالسيف. قال السدي وغيره: أوحى الله إلى صالح، أن قومك سيعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كنا لنفعل، فقال لهم صالح: إنه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها، ويكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد في هذا الشهر ذكر إلا قتلناه، فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر، فذبحوا أبناءهم، ثم للعاشر فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبل ذلك، فكان ابن العاشر أزرق أحمر، فنبت نباتاً سريعاً، فكان إذا مر بالتسعة فرأوه قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا، وغضب التسعة على صالح، لأنه كان سبباً لقتلهم أبناءهم، فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله، فقالوا: نخرج إلى سفر فيرى الناس سفرنا، فنكمن في غار، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده، أتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون، فيصدقون ويعلمون أنا قد خرجنا إلى سفر، وكان صالح لا ينام في القرية، بل كان ينام في المسجد، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم، فلما دخلوا الغار، أرادوا أن يخرجوا، فسقط عليهم الغار فقتلهم، فرأى ذلك ناس ممن كان قد اطلع على ذلك، فصاحوا في القرية: يا عباد الله، أما رضي صالح أنه أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم، فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة.

قوله: ﴿نادمين﴾ [على عقرها] إن قلت: لم لم يرفع عنهم العذاب بسبب ندمهم؟ أجيب: بأن ندمهم لخوف نزول العذاب فقط، لا توبة منهم. قوله: ﴿العزيز الرحيم﴾ حكمة ختم كل قصة في هذه السورة بهذين الاسمين، إشارة إلى أن العذاب النازل بالكفار، لا يغادر منهم أحداً، والرحمة الحاصلة للمؤمنين، لا تغادر منهم أحداً، فكل من مظهر الاسمين ظهر في مستحقه.

قوله: ﴿أخوهم لوط﴾ أي في البلد بسبب السكنى والمجاورة لا في النسب، لأنه ابن أخ إبراهيم عليهما السلام، وهما من بلاد المشرق من أرض بابل، فنزل إبراهيم الخليل من أرض الشام، ولوط بسدوم وقراها. قوله: ﴿الذكران﴾ جمع ذكر، أي أدبارهم. قوله: [أي الناس] وكذا غيرهم من الحيوانات الغير العاقلة، فهذه الخصلة القبيحة، لم تكن في أحد قبل قوم لوط، ثم لما خسف بهم تنوسيت، حتى ظهرت في هذه الأمة المحمدية، فإنا لله وإنا إليه راجعون. قوله: ﴿ما خلق لكم﴾ أي أحل وأباح. قوله: [أي أقبالهن] أي لأنه محل نبات البذر، قال تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾. قوله: ﴿عادون﴾ أي معتدون. قوله: ﴿من القالين﴾ متعلق بمحذوف خبر إن أي لقال من القالين، و﴿من القالين﴾ صفته، و﴿لعملكم﴾ متعلق بالخبر المحذوف، ولا يصح أن يجعل قوله: ﴿من القالين﴾ خبر إن، فيكون عاملاً في ﴿لعملكم﴾ يلزم عليه تقديم معمول الصلة على الموصول وهو أل، مع أنه

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ١٦٩: أي من عذابه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ١٧٠ إِلَّا عَجُوزاً﴾: امرأته ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ ١٧١: الباقين أهلكنا ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ ١٧٢: أهلكناهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً﴾: حجارة من جملة الإهلاك ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ ١٧٣: مطرهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٤ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٧٥ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: وفي قراءة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء، هي غيضة شجر قرب مدين ﴿الْمُرْسَلِينَ ١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾: لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٧٨ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٧٩ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٨٠ أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: أتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ١٨١: الناقصين ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ ١٨٢: الميزان السوي ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ١٨٣: بالقتل وغيره من عثي بكسر المثلثة أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾:

لا يجوز. قوله: [أي من عذابه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن بقاءه على ظاهره بعيد لعصمته منه، فطلب النجاة منه تحصيل للحاصل. قوله: ﴿وأهله﴾ أي بنتيه وزوجته المؤمنة قوله: [الباقين] أي في العذاب، قيل تبعت لوطاً ثم التفتت لقومها فنزل عليها حجر، وقيل لم تتبعه بل بقيت فخسف بها مع قومها. قوله: [أهلكناهم] أي بقلب قراهم حتى جعل عاليها سافلها. قوله: ﴿وأمطرنا عليهم﴾ أي على من منهم خارج القرى كالسفر أو غيره. قوله: [مطرهم] هذا هو المخصوص بالذم.

قوله: ﴿كذب أصحاب الأيكة﴾ هذه آخر القصص التي ذكرت في هذه السورة على سبيل الاختصار، وقد وقع لفظ الأيكة في أربع مواضع في القرآن: في الحجر، وق، وهنا، وص، فالأوليان بأل مع الجر لا غير، والأخريان يقرآن بالوجهين. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [بحذف الهمزة] أي الثانية، وقوله: [على اللام] أي لام التعريف، وأما الهمزة الأولى فقد حذفت للاستغناء عنها، بتحريك اللام لأنها همزة وصل، أتي بها للتوصل للنطق بالساكن، وفي كلام المفسر نظر لأنه يقتضي أن اللام الموجودة لام التعريف وحينئذ فلا يصح قوله: [وفتح الهاء] لأن المقرون بأل يجر بالكسرة وقع فيه نقل أم لا، قال ابن مالك:

وجر بالفتحة ما لا ينصرف ... ما لم يضف أو يك بعد أل ردف

فالمناسب أن يقول: وفي قراءة بوزن ليلة، ليفيد أن اللام من بنية الكلمة وحركتها أصلية، وحينئذ فجره بالفتحة ظاهر للعلمية والتأنيث باعتبار البقعة إن كان هذا اللفظ عربياً، وللعلمية والعجمة إن كان أعجمياً. قوله: [وفتح الهاء] في بعض النسخ وفتح التاء وهي أوضح. قوله: [هي غيضة شجر] بفتح الغين وبالضاد المعجمة، أي مكان فيه شجر ملتف بعضه على بعض، وكان شجرهم الدوم. قوله: [قرب مدين] هي قرية شعيب، سميت باسم بانيها مدين بن إبراهيم، وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام. قوله: ﴿المرسلين﴾ المراد به شعيب، وفي جمعه ما علمت، وقد أرسل شعيب أيضاً لأهل مدين، لكن أهل مدين اهلكوا بالصيحة، وأصحاب الأيكة أهلكوا بعذاب يوم الظلة. قوله: [لأنه لم يكن منهم] أي بل كان من مدين، قال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾. قوله: [الناقصين] أي لحقوق الناس.

قوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي فكانوا إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ومن جملة بخسهم أنهم ينقصون الدراهم والدنانير. قوله: [وغيره] أي كقطع الطريق. قوله: [لمعنى عاملها] أي ولفظهما مختلف. قوله: ﴿والجبلة﴾ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، أي الجماعة والأمم المتقدمة الذين

الخليقة ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ١٨٤ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ١٨٥ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾: بسكون السين وفتحها قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ١٨٧: في رسالتك ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٨٨: فيجازيكم به ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾: هي سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١ وَإِنَّهُۥ﴾: أي القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ ١٩٣: جبريل ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ ١٩٥: بين وفي قراءة بتشديد نزل ونصب الروح والفاعل الله ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: أي ذكر القرآن المنزل على

كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة، كأنها الجبال قوة وصلابة، وهذه قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بضم الجيم والباء وتشديد اللام، وبفتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء. قوله: ﴿وما أنت إلا بشر مثلنا﴾ أتى بالواو هنا دون قصة صالح مبالغة في تكذيبه، لأنه عند دخول الواو، يكون كل من الأمرين التسحير والبشرية مقصوداً بخلاف تركها، فلم يقصد إلا التسحير والثاني دليل له. قوله: [مخففة من الثقيلة] المناسب أن يقول مهملة لا عمل لها، لأن المكسورة إذا خففت قل عملها، والأولى حمل القرآن على الكثير. قوله: [بسكون السين وفتحها] قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿فكذبوه﴾ استمروا على تكذيبه. قوله: ﴿عذاب يوم الظلة﴾ روي أن الله تعالى فتح عليهم باباً من أبواب جهنم، وارسل عليهم حراً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء، فأنضجهم الحر فخرجوا، فارسل الله تعالى سحابة فأظلتهم، فوجدوا لها برداً وروحاً وريحاً طيبة، فنادى بعضهم بعضاً، فلما اجتمعوا تحت سحابة، ألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت بهم الأرض، فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي، فصاروا رماداً، وهذا العذاب الذي حل ورجفت بهم الأرض، فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي، فصاروا رماداً، وهذا العذاب الذي حل بهم، هو الذي طلبوه تهكماً بشعيب بقولهم: فأسقط علينا كسفاً من السماء. قوله: [أصابهم] أي سبعة أيام، ثم لجأوا إلى السحابة بعد السبعة الأيام. قوله: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ شروع في مدح القرآن ومن أنزله والمنزل عليه، والمعنى أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى، ليس بشعر ولا بسحر ولا كهانة كما يزعمون.

قوله: ﴿نزل به﴾ الباء للملابسة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال كأنه قال: نزل في حال ملابسة له على حد خرج زيد بثيابه. قوله: ﴿على قلبك﴾ خصه بالذكر لأنه سلطان الأعضاء، فكل شيء وصل للقلب وصل لسائر الأعضاء، ففي الحديث «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، ألا وهي القلب»، فحيث نزل على قلبه، فقد تمكن من سائر بدنه، فلا يطرأ عليه بعد ذلك نسيان، ولذا ورد: أنه كان إذا كان نزل عليه جبريل بالآية يريد أن يقرأها بلسانه قبل أن يتلوها جبريل عليه ظاهراً، حتى أمر بعدم الاستعجال بالقراءة، قال تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾.

قوله: ﴿لتكون من المنذرين﴾ أي ومن المبشرين. قوله: ﴿بلسان﴾ يصح أن يكون بدلاً من قوله به بإعادة الجار، ويصح أن يكون متعلقاً بالمنذرين، والمعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان العربي وهم: هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية. قوله: [أي ذكر القرآن] دفع بذلك ما يقال: إن ظاهر الآية أن القرآن نفسه ثابت في سائر الكتب، مع أنه ليس كذلك، والمراد بذكره نعته والإخبار عنه، بأنه ينزل على محمد، وأنه صدق وحق.

محمد ﴿لَفِي زُبُرِ﴾: كتب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ ١٩٦: كالتوراة والإنجيل ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾: لكفار مكة ﴿آيَةً﴾: على ذلك ﴿أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ١٩٧: كعبد الله بن سلام وأصحابه ممن آمنوا فإنهم يخبرون بذلك ويكن بالتحتانية ونصب آية وبالفوقانية ورفع آية ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ ١٩٨ جمع أعجم ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم﴾: أي كفار مكة ﴿مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٩٩: أنفة من أتباعه ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿سَلَكْنَاهُ﴾: أدخلنا التكذيب به ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٢٠٠: أي كفار مكة بقراءة النبي ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ٢٠١ ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٠٢ ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ ٢٠٣: لنؤمن فيقال لهم: لا قالوا: متى هذا العذاب؟ قال تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ٢٠٤ ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾: أخبرني ﴿إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ ٢٠٥ ﴿ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ٢٠٦: من العذاب ﴿مَا﴾: استفهامية بمعنى أيّ شيء ﴿أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ ٢٠٧: في دفع العذاب أو تخفيفه أي لم يغن ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ ٢٠٨: رسل تنذر أهلها ﴿ذِكْرَىٰ﴾: عظة لهم

قوله: ﴿أو لم يكن لهم آية﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع. قوله: [وأصحابه] أي وكانوا أربعة غيره: أسد واسيد وثعلبة وابن يامين، فالخمسة من علماء اليهود، وقد حسن اسلامهم. قوله: [ويكن بالتحتانية ونصب آية] أي على أنه خبر ﴿يكن﴾ مقدم، واسمها قوله: ﴿أن يعلمه﴾ الخ. قوله: [ورفع آية] أي على أنه فاعل بتكن، وقوله: ﴿أن يعلمه﴾ بدل من ﴿آية﴾ قوله: [جمع اعجم] أصله اعجمي بياء النسب خفف بحذفها، وبه اندفع ما يقال: إن أفعل فعلاء لا يجمع جمع المذكر السالم. قوله: [أنفة من اتباعه] أي تكبراً. قوله: ﴿كذلك﴾ معمول لسلكناه، والضمير في ﴿سلكناه﴾ للقرآن على حذف مضاف افاده المفسر. قوله: ﴿لا يؤمنون به﴾ الخ الجملة مستأنفة أو حال من الهاء في ﴿سلكناه﴾، وقوله: ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ مقدم من تأخير، وأصل الكلام حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون فيرونه فيقولوا: هل نحن منظرون أي مؤخرون عن الإهلاك ولو طرفة عين لنؤمن، فيقال لهم: لا أي لا تأخير ولا إمهال. قوله: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ استفهام توبيخ وتهكم، حيث استعجلوا ما فيه هلاكهم، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، تقديره أيغفلون ما ينزل بهم؟

قوله: ﴿أفرأيت﴾ معطوف على ﴿فيقولوا﴾ وما بينهما اعتراض، وقوله: ﴿ما كانوا يوعدون﴾ تنازعه رأيت يطلبه مفعولاً أول، و﴿جاءهم﴾ يطلبه فاعلاً، فأعملنا الأول واضمرنا في الثاني ضميراً يعود عليه، أي ﴿ثم جاءهم﴾ هو أي الذي كانوا يوعدونه، وجملة ﴿ما أغنى عنهم﴾ الخ في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني لرأيت. قوله: ﴿ما كانوا يوعدون﴾ أي به، و﴿ما﴾ اسم موصول. قوله: [استفهامية] أي استفهام انكار كما أشار له بقوله: [أي لم يغن] فهذا مساو في المعنى لقول بعضهم إنها نافية، وهي على صنيع المفسر مفعول مقدم لأغنى، وقوله: ﴿ما كانوا يمتعون﴾ فاعل بأغنى، و﴿ما﴾ مصدرية.

قوله: ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ الخ أي إنه جرت عادته سبحانه وتعالى، أنه لا يهلك أهل قرية إلا بعد ارسال الرسول إليهم وعصيانهم، وذلك تفضل منه سبحانه وتعالى، وإلا فلو أهلكهم من أول الأمر لا يعد ظالماً لأنه متصرف في ملكه يحكم لا معقب لحكمه، ففعله دائر بين الفضل والعدل. قوله: ﴿إلا لها منذرون﴾ الجملة صفة لقرية. فإن قلت: لم تركت الواو هنا وذكرت في قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾؟ أجيب: بأن الأصل ترك

---

* أسباب نزول الآية ٢٠٥: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جهم قال: رؤي النبي ﷺ كأنه متحير فسألوه عن ذلك، فقال: ولم؟ ورأيت عدوي يكون من أمتي بعدي، فنزلت ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ فطابت نفسه.

﴿وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾٢٠٩: في إهلاكهم بعد إنذارهم. ونزل ردًّا لقول المشركين ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾: بالقرآن ﴿الشَّيَاطِينُ﴾٢١٠ ﴿وَمَا يَنبَغِي﴾: يصلح ﴿لَهُمْ﴾: أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾٢١١: ذلك ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾: لكلام الملائكة ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾٢١٢: بالشهب ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾٢١٣: إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾٢١٤: وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد أنذرهم جهاراً رواه البخاري ومسلم ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: ألن جانبك ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾٢١٥: الموحدين ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾: أي عشيرتك ﴿فَقُلْ﴾: لهم ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾٢١٦: من عبادة غير الله ﴿وَتَوَكَّلْ﴾: بالواو والفاء ﴿عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾٢١٧: الله أي فوض إليه جميع أمورك ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾٢١٨: إلى الصلاة ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ في أركان

الواو، وإذا زيدت كانت لتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله: ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾. قوله: ﴿ذكرى﴾ مفعول لأجله، أي لأجل تذكيرهم العواقب. قوله: ﴿وما كنا ظالمين﴾ أي لا نفعل فعل الظالمين بأن نهلكهم قبل الإنذار، بل لا نهلكهم إلا بعد إتيان الرسول وإمهالهم الزمن الطويل حتى يتبين لهم الحق من الباطل. قوله: [رداً لقول المشركين] مقول لقول محذوف، تقديره إن الشياطين يلقون القرآن على لسانه، فهو من جملة الكهنة.

قوله: ﴿وما ينبغي لهم﴾ أي لا يمكنهم. قوله: ﴿إنهم عن السمع﴾ الخ علة لقوله: ﴿وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾. قوله: [لكلام الملائكة] إن كان المراد كلامهم بالوحي الذي يبلغونه للأنبياء، فالشياطين معزولون عنه لا يصلون إليه أصلاً، وإن كان المراد به المغيبات التي ستقع في العالم، فكانوا أولاً يسترقونها، فلما ولد ﷺ منعوا من السماوات، فلما بعث سلط عليهم الشهب، وحينئذ فقد انسد باب السماء على الشياطين، وانقطع نزولهم على الكهنة، فبطل قول المشركين إن القرآن تنزلت به الشياطين على رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر﴾ نزل رداً لقول المشركين: اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة، والخطاب له ﷺ والمراد غيره. قوله: [رواه البخاري ومسلم] أي فقد ورد أنه ﷺ قال في إنذاره: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً». وفي رواية أنه ﷺ صعد على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون من قريش قد اجتمعوا، فجعل الذي لا يستطيع أن يخرج، يرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ إلى آخر السورة.

قوله: ﴿واخفض جناحك﴾ أي فبعد الانذار تواضع لمن آمن منهم، وتبرأ ممن بقي على كفره، ولا تخف من تحزبهم واجتماعهم وكثرتهم، فإن الله حافظك وناصرك عليهم فتوكل عليه. قوله: [بالواو والفاء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الواو هو معطوف على قوله: ﴿وأنذر﴾، وعلى الفاء هو بدل من قوله: ﴿فقل إني بريء﴾. قوله: ﴿على العزيز﴾ أي الغالب على أمره، القاهر لكل معارض لأمره. قوله: ﴿الرحيم﴾ أي بالمؤمن الممتثل لأمره. قوله: ﴿حين

---

* أسباب نزول الآية ٢١٤: وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ بدأ بأهل بيته وفصيلته فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾.

الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿فِي ٱلسَّاجِدِينَ﴾ ٢١٩: أي المصلين ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ٢٢٠ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾: أي كفار مكة ﴿عَلَى مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَاطِينُ﴾ ٢٢١: بحذف إحدى التاءين من الأصل ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ ٢٢٢: فاجر مثل مسيلمة وغيره من الكهنة ﴿يُلْقُونَ﴾: أي الشياطين ﴿ٱلسَّمْعَ﴾: أي ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ ٢٢٣: يضمون إلى المسموع كذباً كثيراً وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء ﴿وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ﴾ ٢٢٤: في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم

تقوم﴾ أي منفرداً. قوله: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ أي مع الجماعة. قوله: [إلى الصلاة] لا مفهوم لها، بل يراه حين يقوم للجهاد وللخطبة وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من سائر تنقلاته، وإنما خص الصلاة، لأنها أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين، ولأن قرة عينه فيها كما في الحديث: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، والمراد برؤيته إياه، زيادة تجلي الرحمة عليه، وإلا فرؤية الله حاصلة لكل مخلوق.

قوله: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ ﴿في﴾ على كلام المفسر بمعنى مع، وقيل إن ﴿في﴾ على بابها، والمراد بالساجدين المؤمنون. والمعنى: يراك متقلباً في أصلاب وأرحام المؤمنين، من آدم إلى عبد الله، فأصوله جميعاً مؤمنون، وأورد على هذا آزر أبو إبراهيم فإنه كان كافراً. وأجيب بجوابين الأول أنه كان عمه واسم أبيه تاريخ، الثاني أنه كان أباه حقيقة، وقولهم إن أصوله ﷺ ليسوا كفاراً محله ما دام النور المحمدي في الواحد منهم، فإذا انتقل لمن بعده، فلا مانع من أن يعبد غير الله، وحينئذ فآزر ما كفر، إلا بعد انتقال النور منه إلى إبراهيم ولده.

قوله: ﴿قل هل أنبئكم﴾ الخ، هذا رد لقولهم إنه كاهن. قوله: ﴿على من تنزل الشياطين﴾ الجار والمجرور متعلق بتنزيل، والجملة في محل نصب، سادة مسد المفعول الثاني والثالث إن جعل ﴿أنبئكم﴾ متعدياً لثلاثة، ومسد الثاني فقط إن جعل متعدية لاثنين. قوله: [وغيره] أي كالسطيح. قوله: [من الكهنة] جمع كاهن، وهو الذي يخبر عن الأمور المستقبلة، والعراف هو الذي يخبر عن الأمور الماضية. قوله: ﴿يلقون السمع﴾ يحتمل أن الضمير عائد على الشياطين، والمعنى يلقون ما سمعوه إلى الكهنة، ويحتمل أنه عائد ﴿على كل أفاك أثيم﴾، والمعنى يلقون ما سمعوه من الشياطين إلى عوام الخلق، أو المعنى يصغون إلى الشياطين بكليتهم حين يسمعون منهم.

قوله: ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ الضمير إما عائد على الشياطين أو الكهنة، والأكثرية باعتبار الأقوال، أي أكثر أقوالهم كاذبون فيها، والأقل فيها صدق، وليس المراد أن الأقل فيهم صادق، بل الكل طبعوا على الكذب، وأكثر الكلمات كذب وأقلها صدق. قوله: [وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء] دفع بذلك التناقض بين ما هنا وما تقدم في قوله: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾. وحاصل ذلك: أن هذه الآية إخبار من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السماوات، وتمثيله بمسيلمة باعتبار ما كان قبل وجوده ﷺ، وأما بعد وجوده فلم يصل لمسيلمة ولا غيره شيء من الشياطين.

قوله: ﴿والشعراء﴾ أي الذي يستعملون الشعر، وهو الكلام الموزون بأوزان عربية المقفى قصداً، والمراد

---

* أسباب نزول الآية ٢٢٤: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء، فأنزل الله ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ الآيات، وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة نحوه، وأخرج عن عروة قال: لما نزلت ﴿والشعراء﴾ إلى قوله تعالى ﴿ما لايفعلون﴾ قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله أني منهم، فأنزل الله ﴿إلا الذين آمنوا﴾ إلى آخر السورة. وأخرج ابن جرير والحاكم عن أبي حسن البراد،

مذمومون ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾: من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهِيمُونَ﴾[٢٢٥]: يمضون فيجاوزون الحد مدحاً وهجاء ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾: فعلنا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[٢٢٦]: أي يكذبون ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: من الشعراء ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: أي لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿وَانْتَصَرُوا﴾: بهجوهم الكفار

شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ منهم: عبد الله بن الزبعري السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد، وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم. قوله: [من أودية الكلام وفنونه] أشار بذلك إلى أن الشعراء يخوضون في كل كلام، فهو مشبهون بالهائم في الأودية الذي لا يدري أين يتوجه. قوله: [يمضون] أي يخوضون. قوله: [أي يكذبون] أي لأنهم يمدحون الكرم والشجاعة ويحثون عليهما، ولا يفعلون ما ذكر، ويذمون ضدهما ويصرون عليه، ويهجون الناس بأدنى شيء صدر منهم.

قوله: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ سبب نزولها: أن كعب بن مالك قال للنبي ﷺ: قد أنزل في الشعر، فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده، لكأن ما ترمونهم به نضح النبل». وقوله: قد أنزل في الشعر، أي أنزل القرآن في ذم الشعر وأهله. قوله: [من الشعراء] أي ومنهم حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك وغيرهم. واعلم أن الشعر منه مذموم، وهو مدح من لا يجوز مدحه، وذم من لا يجوز ذمه، وعليه تتخرج الآية الأولى، وقوله عليه السلام: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً». ومنه ممدوح، وهو مدح من يجوز مدحه، وذم من يجوز ذمه، وعليه تتخرج الآية الثانية؛ وقوله ﷺ «ان من الشعر لحكمة» وقال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر من الثلاثة، وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده، فروي أنه دعا عمر بن أبي ربيعة المخزومي، فاستنشده قصيدة فأنشده اياها، وهي قريب من تسعين بيتاً، ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها، وكان حفظها من مرة واحدة، وروي أنه عليه السلام قال يوم قريظة لحسان: «اهج المشركين فإن جبريل معك». وكان يضع له منبراً في المسجد، يقوم علية قائماً، يفاخر عن رسول الله ﷺ وينافح، ويقول رسول الله: «ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله»، وروي عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق النبل» فأرسل ابن رواحة فقال: اهجهم فهاجهم فلم يرض، وأرسل كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه حسان قال: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسود الضارب بذنبه، ثم أدلع بلسانه فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم، فقال النبي ﷺ: لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتى يخلص لك نسبي، فأتاه حسان ثم رجع فقال: والذي بعثك بالحق نبياً، لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين، قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: إن الله يؤيدك بروح القدس، لا يزال يؤيدك ما نافحت عن رسوله، قالت: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى»، فقال حسان:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

هجوت محمداً براً تقياً ... رسول الله شيمته الوفاء

= قال: لما نزلت ﴿والشعراء﴾ الآية جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت، فقالوا: يا رسول الله، والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء، هلكنا، فأنزل الله ﴿إلا الذين آمنوا﴾ الآية، فدعاهم فتلاها عليهم.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾: بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين قال الله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: من الشعراء وغيرهم ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ﴾: مرجع ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾ ٢٢٧: يرجعون بعد الموت.

فإن أبي ووالدتي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصعدات ... على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النساء
فإن أعرضتمو عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا الضراب يوم ... يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا ... يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
تلاقي كل يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له خفاء

قوله: [قال الله تعالى ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾] استدلال على جواز هجوهم للكفار في مقابلة هجو الكفار لهم، وقوله: [فمن اعتدى عليكم] الخ استدلال على شرط المماثلة في المقابلة، فلا يجوز للمظلوم أن يزيد في الذم على ما ظلم به من الهجو. قوله: ﴿أي منقلب﴾ معمول لينقلبون الذي بعده لا لما قبله، لأن الاستفهام له الصدر، وهو مفعول مطلق، أي ينقلبون، أي انقلاب، والجملة سادة مسد مفعولي يعلم، والمعنى يرجعون مرجعاً سيئاً لأن مصيرهم إلى النار، وهو أقبح مرجع وأشره.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٢٧] - سورة النمل

[مكية وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسۤ﴾: الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾: أي هذه الآيات ﴿آيَاتُ ٱلْقُرْآنِ﴾: آيات منه ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[١]: مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة هو ﴿هُدًى﴾: أي هاد من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]: المصدقين به بالجنة ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤْتُونَ﴾: يعطون ﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النمل مكية
وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

أي كلها، وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص: الأولى قصة موسى مع فرعون. الثانية قصة النمل. الثالثة قصة بلقيس. الرابعة قصة صالح مع قومه. الخامسة قصة لوط مع قومه. وما بقي منها حكم ومواعظ. قوله: [ثلاث أو أربع] الخ أي إنه اختلف في النيف الزائد على التسعين على ثلاثة أقوال. قوله: [الله أعلم بمراده بذلك] تقدم أن هذا القول أسلم، وعليه فليس لهذا اللفظ محل من الإعراب، لأنه فرع معرفة المعنى، والموضوع أنه لم يعرف. قوله: ﴿تلك﴾ مبتدأ، و﴿آيات القرآن﴾ خبره، واسم الإشارة عائد على ما في هذه السورة. قوله: [آيات منه] أشار بذلك إلى أن الإضافة على معنى من كما تقول: جلست مع زيد ساعة الليل، تريد ساعة منه. قوله: [مظهر الحق من الباطل] أي فالحق صار بالقرآن ظاهراً واضحاً والباطل كذلك. قوله: [عطف بزيادة صفة] جواب عما يقال: لم عطف الكتاب على القرآن مع أنهما متحدان معنى؟ فأجاب: بأنه سوغ ذلك وصف الكتاب بصفة لم تكن في القرآن.

قوله: ﴿هدى﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: [هو] فالجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره: ما فائدة الإتيان به؟ وما الثمرة المترتبة عليه؟ فأجاب بأنه ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾. قوله: [أي هاد من الضلالة] هذا أحد احتمالات في تفسير الهدى، ويحتمل أن المراد ذو هدى، أو بولغ فيه، حتى جعل نفس الهدى على حد ما قيل في زيد عدل. قوله: ﴿للمؤمنين﴾ حذف من الأول لدلالة الثاني عليه، والقرآن هدى للمؤمنين وبشرى لهم لا للكافرين بدليل قوله تعالى: ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى﴾ وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المعتنى بهم، المشرفون بخدمته تعالى. قوله: [يأتون بها على وجهها] أي بشروطها وأركانها على الوجه الأكمل.

﴿يُوقِنُونَ﴾ ٣: يعلمونها بالاستدلال، وأعيد «هم» لما فصل بينه وبين الخبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ ٤: يتحيرون فيها لقبحها عندنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ ٥: لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَإِنَّكَ﴾: خطاب للنبي ﷺ ﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي يلقى عليك بشدة ﴿مِن لَّدُنْ﴾: من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ ٦: في ذلك اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾: زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾: أبصرت من بعيد ﴿نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾: عن حال الطريق وكان قد ضلها ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾: بالإضافة للبيان وتركها أي شعلة نار في رأس فتيلة أو عود ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ٧: والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وفتحها تستدفؤون من البرد ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ﴾: أي بأن ﴿بُورِكَ﴾: أي بارك الله ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾:

قوله: ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أي الواجبة للأصناف الثمانية. قوله: ﴿وهم﴾ مبتدأ، و﴿يوقنون﴾ خبره، و﴿بالآخرة﴾ متعلق بيوقنون. قوله: [يعلمونها بالاستدلال] أي من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فمن شك في ذلك فقد كفر. قوله: [لما فصل بينه وبين الخبر] أي بمتعلق الخبر وهو قوله: ﴿بالآخرة﴾. قوله: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ مقابل قوله: ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ الخ، على عادته سبحانه وتعالى أنه متى ذكر وصف المؤمنين، يعقبه بذكر ضدهم. قوله: ﴿زينا لهم أعمالهم﴾ أي حسناها لهم بأن جعلناها محبوبة لأنفسهم، وهي في الواقع ليست حسنة، وإنما ذلك ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، قال الشاعر:

يقضى على المرء في أيام محنته ... حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

قوله: [يتحيرون فيها] أي لتعارض تزيين الشيطان وإخبار الرحمن، ولم تكن لهم بصيرة يميزون بها الحسن من القبح، فأهل الكفر متحيرون في كفرهم لكونهم في ظلمات، ومن المعلوم أن السائر في الظلمات متحير بخلاف السائر في النور، فأهل الإيمان مصدقون مصممون على اعتقادهم، وأهل الكفر متشككون متحيرون. قوله: ﴿هم الأخسرون﴾ أي إن خسرانهم في الآخرة أشد من خسرانهم في الدنيا، لدوام العذاب في الآخرة. قوله: [بشدة] أخذ ذلك من تشديد الفعل. قوله: ﴿من لدن حكيم عليم﴾ أي من عند من يضع الشيء في محله، العالم بالكليات والجزئيات، فذكر وصف العلم بعد الحكمة، من ذكر العام بعد الخاص. قوله: [اذكر] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿إذ قال﴾ ظرف لمحذوف، والمعنى اذكر يا محمد لقومك قصة موسى وما وقع له. قوله: [زوجته] أي بنت شعيب، أي وولده وخادمه. قوله: [عند مسيره من مدين] أي ليجتمع بأمه وأخيه بمصر، وكان في ليلة مظلمة باردة مثلجة، وقد ضل عن الطريق، وأخذ زوجته الطلق. قوله: [وكان قد ضلها] أي تاه عنها.

قوله: ﴿أو ءاتيكم﴾ أو مانعة خلو تجوز الجمع. قوله: [أي شعلة نار] أي شعلة مقتبسة من النار، فالإضافة لبيان الجنس كما قال المفسر لأن الشهاب يكون من النار وغيرها كالكوكب. قوله: [بدل من تاء الافتعال] أي لأنها وقعت بعد الصاد، وهي من حروف الاطباق، فقلبت طاء على القاعدة المعلومة. قوله: [بكسر اللام] أي من باب تعب، وقوله: [وفتحها] أي من باب رمى. قوله: ﴿نودي﴾ أي ناداه الله. قوله: [أي بأن] أشار بذلك إلى أن مصدرية، وما بعدها في تأويل مصدر، وحرف الجر مقدر قبلها، أي نودي ببركة ﴿من في النار﴾، الخ، أي بتقديسه وتطهيره مما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة، أي ناداه الله، بأننا قدسناك وطهرناك واخترناك للرسالة، كما تقدم في طه حيث قال: ﴿وأنا اخترتك﴾ الخ.

أي موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أي الملائكة أو العكس وبارك يتعدى بنفسه وبالحرف ويقدر بعد في مكان ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٨: من جملة ما نودي ومعناه تنزيه الله من السوء ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾: أي الشأن ﴿أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٩ ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾: فألقاها ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾: تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾: حية خفيفة ﴿وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: يرجع قال تعالى: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾: منها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾: عندي ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ ١٠: من حية وغيرها ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾: نفسه ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً﴾: أتاه ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾: أي تاب ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١١: أقبل التوبة وأغفر له ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: طوق القميص ﴿تَخْرُجْ﴾: خلاف لونها من الأدمة ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: برص لها شعاع يغشي البصر آية ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾: مرسلاً بها ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ ١٢ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾: أي مضيئة واضحة ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ١٣: بيّن ظاهر ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾: أي لم يقروا ﴿وَ﴾: قد ﴿اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾: أي تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾: تكبراً عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد ﴿فَانْظُرْ﴾: يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ١٤: التي علمتها من

قوله: ﴿من في النار﴾ هو نائب فاعل ﴿بورك﴾، وهذه تحية لموسى وتكرمة له. قوله: [أو العكس] أي فتفسر من الأولى بالملائكة، والثانية بموسى، وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف. قوله: [يتعدى بنفسه] أي فيقال باركك الله. قوله: [وبالحرف] أي اللام وفي وعلى. قوله: [ويقدر بعد في مكان] أي على التفسير الأول، فيقال أن بورك من في مكان النار، وإنما احتيج لهذا التقدير لأن موسى إذ ذاك لم يكن في النار حقيقة، بل كان في المكان القريب منها. قوله: [من جملة ما نودي] أي ناتى به، وإنما أتى بالتنزيه هنا لدفع ما يتوهم أن الكلام الذي سمعه في ذلك المكان، بحرف وصوت، أو كون الله في مكان أو جهة.

قوله: ﴿وألق عصاك﴾ لم يقل هنا وأن كما في القصص، لأنه هنا ذكر بعد أن فعل، فحسن عطف ألق عليه، وما يأتي لم يذكر، فقصد عطف وأن ألق، على قوله أن يا موسى إني أنا الله. قوله: ﴿تهتز﴾ حال من ضمير ﴿رآها﴾. قوله: [حية خفيفة] أي في سرعة الحركة، فلا ينافي عظم جثتها. قوله: [يرجع] أي لم يرجع على عقبه. قوله: ﴿لا تخف﴾ [منها] أي لأنك في حضرتي، ومن كان فيها فهو آمن، لا يخطر بباله خوف من شيء. قوله: [لكن] ﴿من ظلم﴾ الخ، أشار إلى أن الاستثناء منقطع، و﴿من ظلم﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿فإن غفور﴾ خبره. قوله: [أتاه] أي عمله. قوله: [طوق القميص] إنما لم يأمره بإدخالها في كمه، لأنه كان عليه مدرعة قصيرة من صوف لا كم لها، وقيل: لها كم قصير. قوله: ﴿تخرج بيضاء﴾ جواب لقوله: ﴿أدخل﴾ قوله: [لها شعاع] أي لمعان وإشراق. قوله: [آية] أشار بذلك إلى أن ﴿في تسع آيات﴾ في محل نصب متعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير ﴿تخرج﴾، وقد صرح بهذا المحذوف في سورة طه حيث قال هناك: ﴿تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى﴾، فالمعنى هنا حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع.

قوله: ﴿إلى فرعون﴾ متعلق بما قدره المفسر، وقوله: ﴿إنهم كانوا﴾ الخ تعليل لذلك المقدر. قوله: ﴿فلما جاءتهم آياتنا﴾ أي جاءهم موسى بها، وقوله: ﴿مبصرة﴾ اسم فاعل والمراد به المفعول، أطلق اسم الفاعل على المفعول إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها. قوله: [أي مضيئة] أي إضاءة معنوية في جميعها، وحسية في بعضها وهو اليد. قوله: ﴿قالوا هذا﴾ أي ما نشاهده من الخوارق التي أتى بها موسى. قوله: ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ حال من الواو في ﴿جحدوا﴾ ولذا قدر فيه [أي تيقنوا] الخ، أشار به إلى أن السين زائدة. قوله: [راجع إلى الجحد] أي على أنه علة له. قوله: ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ ﴿كيف﴾ خبر مقدم لكان، و﴿عاقبة﴾ اسمها مؤخر،

إهلاكهم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾: ابنه ﴿عِلْماً﴾: بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَا﴾: شكراً لله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾: بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾: النبوة والعلم دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾: أي فهم أصواته ﴿وَأُوتِينَا

والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض. قوله: [من إهلاكهم] أي بالإغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين.

قوله: ﴿ولقد آتينا داود وسليمان﴾ هو بالمد بمعنى أعطينا، وهو شروع في ذكر القصة الثانية، وكان لداود تسعة عشر ولداً أجلهم سليمان، وعاش داود مائة سنة، وسليمان ابنه نيفاً وخمسين سنة، وبين داود وموسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة، وبين سليمان ومحمد ﷺ ألف وسبعمائة سنة. قوله: [بالقضاء بين الناس] أي وهو علم الشرائع. قوله: [ومنطق الطير] أي تصويته. قوله: [وغير ذلك] أي كتسبيح الجبال.

قوله: ﴿وقالا الحمد لله﴾ أي شكر كل منهما ربه على ما أنعم عليه به. قوله: ﴿الذي فضلنا﴾ أي أعطانا هذا الفضل العظيم. قوله: [وتسخير الجن والانس] الخ، ظاهره أن هذا كان لكل من داود وسليمان وهو كذلك، إلا أن سليمان فاق أباه، وكانت له السلطنة الظاهرة. قوله: ﴿على كثير من عباده المؤمنين﴾ أي الذي لم يؤتوا مثلنا، وهذه مزية وهي لا تقتضي الأفضلية، فداود وسليمان وإن أعطيا تلك المزايا، فأولو العزم أفضل منهما، لأن التفضيل من الله لا بالمزايا. قوله: ﴿وورث سليمان داوود﴾ أي قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه التسعة عشر، مع كون النبوة والعطايا التي مع داود مستمرة معه، وليس المراد أن نبوة داود وعطاياه انتقلت منه لسليمان وصار داود بلا شيء.

قوله: ﴿وقال يا أيها الناس﴾ أي قال سليمان لبني اسرائيل: شكراً لله على نعمه. قوله: ﴿علمنا منطق الطير﴾ أي فهمنا الله أصوات الطير، ولا مفهوم للطير، بل كان الزرع والنبات يكلمه ويفهم كلامه، ورد أن سليمان كان جالساً، إذ مر به طائر يطوف، فقال لجلسائه: أتدرون ما يقول هذا الطائر؟ إنه قال لي: السلام عليك أيها الملك المسلط، والنبي لبني إسرائيل، أعطاك الله الكرامة، وأظهرك على عدوك، إني منطلق إلى أفراخي، ثم أمر بك الثانية، وإنه سيرجع إلينا الثانية، ثم رجع فقال لهم: يقول: السلام عليك أيها الملك المسلط، إن شئت أن تأذن لي كيما أكتسب على أفراخي حتى يشبوا ثم آتيك، فافعل بي ما شئت، فأخبرهم سليمان بما قال، وأذن له فانطلق. ومر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ قالوا لا يا نبي الله، قال إنه يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء. ومر بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخاً، فخاف، فقال له سليمان احذر، فقال الهدهد: يا نبي الله هذا صبي ولا عقل له فأنا أسخر به، ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حبالة الصبي وهو في يده فقال له: ما هذا؟ قال ما رأيتها حتى وقعت بها يا نبي الله، قال: ويحك فأنت ترى الماء تحت الأرض، أما ترى الفخ؟ فقال يا نبي الله إذا نزل القضاء عمي البصر. وصاح ورشان عند سليمان بن داود فقال سليمان: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: لدوا للموت وابنوا للخراب. وصاحت فاختة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: ليت الخلق لم يخلقوا، وليتهم إذ خلقوا علموا ما خلقوا له. وصاح عنده طاووس فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: كما تدين تدان. وصاح عنده هدهد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: إنه يقول: إن من لا يرحم لا يرحم. وصاح عنده صرد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: استغفروا الله يا مذنبون. فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتله. وقيل: إن الصرد هو الذي دل آدم على مكان البيت، ولذلك يقال له الصرد الصرام. وصاحت عنده طيطرجى فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: كل حي ميت، وكل جديد

مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: تؤتاه الأنبياء والملوك ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: المؤتى ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ ١٦: البيّن الظاهر ﴿وَحُشِرَ﴾: جمع ﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾: في مسير له ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١٧: يجمعون ثم يساقون، ﴿حتى

بال. وصاحت عنده خطافة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: قدموا خيراً تجدوه. فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتلها. وقيل: إن آدم خرج من الجنة فاشتكى إلى الله تعالى الوحشة، فآنسه الله بالخطاف وألزمها البيوت، فهي لا تفارق بني آدم أنساً لهم، قال: ومعها أربع آيات من كتاب الله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ إلى آخرها، وتمد صوتها بقوله: ﴿العزيز الحكيم﴾. وهدرت حمامة عند سليمان فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: سبحان ربي الأعلى، عدد ما في السماوات والأرض. وصاح قمري عند سليمان فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال إنه يقول: سبحان ربي العظيم المهيمن. قال كعب: وحدثهم سليمان فقال: الغراب يقول: اللهم العن العشار، والحدأ يقول: كل شيء هالك إلا وجهه، والقطاة تقول: من سكت سلم، والببغاء تقول: ويل لمن الدنيا همه، والضفدع تقول: سبحان ربي القدوس، والبازي يقول: سبحان ربي وبحمده، والسرطان يقول: سبحان المذكور بكل مكان، وصاح دراج عند سليمان فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال إنه يقول: الرحمن على العرش استوى، وقال النبي ﷺ: الديك إذا صاح قال: اذكروا الله يا غافلون. وقال النبي ﷺ: النسر إذا صاح قال: يا ابن آدم عش ما شئت فآخرك الموت، وإذا صاح العقاب قال: في البعد من الناس راحة. وإذا صاح القنبر قال: إلهي العن مبغض آل محمد. وإذا صاح الخطاف قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إلى آخرها فيقول ﴿ولا الضالين﴾ فيمد بها صوته كما يمد القارىء».

قوله: ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ قال ذلك تحدثاً بنعمة الله، وشكراً على ما أعطاه. قوله: ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس﴾ أي من الأماكن البعيدة، وكان له نقباء ترد أول العسكر على آخره، لئلا يتقدموا في السير، قال محمد بن كعب القرظي: كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ في مائة فرسخ، خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وقيل نسجت له الجن بساطاً من ذهب وحرير فرسخاً في فرسخ، وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد، وحوله كراسي من ذهب وفضة، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، والناس حوله، والجن والشياطين حول الناس، والوحش حولهم، وتظلله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعني حرة، وسبعمائة سرية، فيأمر الريح العاصف فترفعه، ثم يأمر الرخاء فتسير به. وروي عن كعب الأحبار أنه قال: كان سليمان إذا ركب، حمل أهله وخدمه وحشمه، وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام، تسع كل قدر عشرة من الإبل، فيطبخ الطباخون، ويخبز الخبازون، وهو بين السماء والأرض، واتخذ ميادين للدواب، فتجري بين يديه، والريح تهوي، فسار من إصطخر يريد اليمن، فسلك على مدينة رسول الله ﷺ، فلما وصل إليها قال سليمان: هذه دار هجرة نبي يكون آخر الزمان، طوبى لمن آمن به، وطوبى لمن اتبعه، ولما وصل مكة، رأى حول البيت أصناماً تعبد فجاوزه سليمان، فلما جاوزه بكى البيت، فأوحى الله إليه ما يبكيك؟ قال: يا رب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك، ومعه قوم من أوليائك، مروا علي ولم يصلوا عندي، والأصنام تعبد حولي من دونك، فأوحى الله إليه لا تبك، فإني سوف أملؤك وجوهاً سجداً، وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي، وأجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني، أفرض عليهم فريضة، يحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها، والحمامة إلى بيضها، وأطهرك من الأوثان والأصنام وعبدة الشيطان، ثم مضى سليمان حتى مروا بوادي النمل. قوله: [يجمعون ثم يساقون] أي يمنعون من التقدم حتى يجتمعوا ثم يؤمرون.

﴿إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾: هو بالطائف أو بالشام نمله صغار أو كبار ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: ملكة النمل وقد رأت جند سليمان ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: يكسرنكم ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٨: نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم ﴿فَتَبَسَّمَ﴾: سليمان ابتداء ﴿ضَاحِكًا﴾ انتهاء ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾: وقد سمعه

قوله: ﴿حتى إذا أتوا﴾ غاية لمحذوف، أي فساروا مشاة على الأرض وركباناً حتى إذا أتوا، الخ. قوله: [نمله صغار] أي وهو المعروف، وقوله: [أو كباراً] أي كالبخاتي أو الذئاب. قوله: ﴿قالت نملة﴾ قيل اسمها طاخية وقيل جرمى، وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه وقف على قتادة وهو يقول: سلوني، فأمر أبو حنيفة شخصاً سأل قتادة عن نملة سليمان، هل كانت ذكراً أو أنثى؟ فلم يجب، فقيل لأبي حنيفة في ذلك فقال: كانت أنثى واستدل بلحاق العلامة، قال بعضهم: وفيه نظر لأن لحاق التاء في قالت لا يدل على أنها مؤنثة، لأن تاءه للوحدة لا للتأنيث، وحينئذ فيصح أن يقال: قال نملة، وقالت نملة، وما استدل به أبو حنيفة يفيد الظن لا التحقيق. قوله: [وقد رأت جند سليمان] أي من ثلاثة أميال بدليل قوله الآتي، وقد سمعه من ثلاثة أميال.

قوله: ﴿يا أيها النمل﴾ الخ اشتمل هذا القول على أحد عشر نوعاً من البلاغة، أولها النداء بيا، ثانيها لفظ أي، ثالثها التنبيه، رابعها التسمية بقولها ﴿النمل﴾، خامسها الأمر بقولها ﴿ادخلوا﴾ سادسها التنصيص بقولها ﴿مساكنكم﴾، سابعها التحذير بقولها ﴿لا يحطمنكم﴾ ثامنها التخصيص بقولها ﴿سليمان﴾، تاسعها التعميم بقولها ﴿وجنوده﴾ عاشرها الإشارة بقولها ﴿وهم﴾، حادي عشرها العذر بقولها ﴿لا يشعرون﴾. وكانت تلك النملة عرجاء ذات جناحين، وهي من جملة الحيوانات العشرة التي تدخل الجنة وهي: براق رسول الله ﷺ، وهدهد بلقيس، ونملة سليمان، وعجل إبراهيم، وكبش ولده، وبقرة بني إسرائيل، وكلب أهل الكهف، وحمار العزير، وناقة صالح، وحوت يونس، روي أن سليمان قال لها: لم حذرت النمل، أخفت من ظلمي؟ أما علمت أني نبي عدل، فلم قلت: ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾، فقالت النملة: أما سمعت قولي ﴿وهم لا يشعرون﴾ مع أني لم أرد حطم النفوس، وإنما أردت حطم القلوب، خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت، ويفتتن في الدنيا، ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر، فلما تكلمت مع سليمان، مضت مسرعة إلى قومها فقالت: هل عندكم من شيء نهديه إلى نبي الله؟ قالوا: وما قدر ما نهدي له؟ والله ما عندنا إلا نبقة واحدة، فقالت: حسنة ائتوني بها، فأتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت تجرها، وأمر الله الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والإنس والعلماء والأنبياء على البساط، حتى وقفت بين يديه، ووضعت تلك النبقة من فيها في فيه، وأنشأت تقول:

ألم تر أنا نهدي إلى الله ماله ... وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدى للجليل بقدره ... لقصر عنه البحر يوماً وساحله
ولكننا نهدي إلى من نحبه ... فيرضى بها عنا ويشكر فاعله
وما ذاك إلا من كريم فعاله ... وإلا فما في ملكنا من يشاكله

فقال لها: بارك الله فيكم، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله، وأكثر خلق الله، والنمل حيوان معروف شديد الإحساس والشم، حتى إنه يشم الشيء من بعيد ويدخر قوته، ومن شدة ادراكه أنه يفلق الحبة فلقتين خوفاً من الإنبات، ويفلق حبة الكزبرة أربع فلق، لأنها إذا فلقت فلقتين نبتت، ويأكل في عامه نصف ما جمع، ويستبقي باقيه عدة. قوله ﴿لا يحطمنكم﴾ فيه وجهان، أحدهما أنه نهي، والثاني أنه جواب الأمر. قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ جملة حالية.

قوله: ﴿فتبسم ضاحكاً﴾ مفرع على محذوف تقديره فسمع قولها المذكور فتبسم، وكان سبب ضحكه شيئين: أحدهما

من ثلاثة أميال حملته إليه الريح فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم وكان جنده ركباناً ومشاة في هذا السير ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾: ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾: بها ﴿عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٩: الأنبياء والأولياء ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾: ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة فلم يره ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾: أي أعرض لي ما منعني من رؤيته ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ٢٠: فلم أره لغيبته فلما تحققها قال ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً﴾: تعذيباً ﴿شَدِيداً﴾: بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾: بقطع حلقومه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾: بنون مشددة مكسورة أو مفتوحة يليها نون مكسورة ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ٢١: ببرهان بين

مما دل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم من قولها وهم لا يشعرون. الثاني سروره بما آتاه الله ما لم يؤت أحداً، من إدراك سمعه ما قالته النملة. قوله: [ابتداء] الخ، أي فالتبسم انفتاح الفم من غير صوت، والضحك انفتاحه مع صوت خفيف، والقهقهة انفتاحه مع صوت قوي، وهي لا تكون من الأنبياء. قوله: [في هذا السير] أي في خصوص سيره على وادي النمل، وكان هو وجنوده في غير هذا المكان راكبين على البساط وتسير بهم الريح. قوله: ﴿وعلى والدي﴾ إنما ذكر نعمة والديه تكثيراً للنعمة، ليزداد في الشكر عليها. قوله: ﴿في عبادك الصالحين﴾ على حذف مضاف أي في جملة ﴿عبادك﴾ وفي بمعنى مع، والمراد الكاملون في الصلاح لأن الصلاح مقول بالتشكيك، فما من مقام إلا وفوقه أعلى منه، والكامل يقبل الكمال.

قوله: ﴿وتفقد الطير﴾ شروع في القصة الثالثة، والمعنى نظر في الطير فلم ير الهدهد، وكان سبب سؤاله عن الهدهد أنه كان دليل سليمان على الماء، وكان يعرف موضع الماء، ويرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجة، ويعرف قربه وبعده، فينقر في الأرض، ثم تجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة، قيل لما ذكر ذلك ابن عباس قيل له: إن الصبي يضع له فخاً ويحثو عليه التراب، فيجيء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه، فقال ابن عباس: إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر، قيل ولم يكن له في مسيره إلا هدهد واحد. قوله: [فتستخرجه الشياطين] أي بأن تسلخ وجه الأرض عن الماء، كما تسلخ الشاة.

قوله: ﴿ما لي لا أرى الهدهد﴾ استفهام استخبار. قوله: ﴿أم كان من الغائبين﴾ ﴿أم﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، كأنه لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره، فقال ﴿ما لي لا أرى الهدهد﴾ ثم احتاط فظهر له أنه غائب فأضرب عن ذلك، وهو إضراب انتقالي. قوله: ﴿لأعذبنه عذاباً شديداً﴾ الحلف على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث، فأو بين الكلمتين الأولين للتخيير، وفي الثالث للترديد بينه وبينهما، فهي في الأخير بمعنى إلا. قوله: [بنتف ريشه] هذا أحد أقوال في معنى التعذيب، وقيل هو أن يحشره مع غير أبناء جنسه، وقيل هو أن يطلى بالقطران ويوضع في الشمس. قوله: [بنون مشددة] الخ، أي والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿بسلطان مبين﴾ أي حجة ظاهرة على غيبته، والسبب في غيبة الهدهد أن سليمان عليه السلام، لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم، فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والإنس والطير والوحش فحملتهم الريح، فلما وافى الحرم، أقام ما شاء الله أن يقيم، أي من غير صلاة بالكعبة كراهة في الأصنام، ولم يكن مأموراً بتكسيرها، فاندفع التعارض بين ما هنا وما تقدم، وكان ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة، ويذبح خمسة آلاف ثور، وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضره من أشراف قومه: إن هذا المكان يخرج منه

ظاهر على عذره ﴿فَمَكُثَ﴾: بضم الكافِ وفتحها ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: أي يسيراً من الزمان وحضر لسليمان متواضعاً برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾: أي أطلعت على ما لم

نبي عربيّ، صفته كذا وكذا، ويُعطى النّصر على جميع من عاداه، وتبلغ هيبته مسافة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم، قالوا: فبأي دين يدين يا نبي الله؟ قال بدين الله الحنيفية، فطوبى لمن أدركه وآمن به، قالوا: كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله؟ قال مقدار ألف سنة، فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل، قال: فأقام بمكة حتى قضى نسكه، ثم خرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن، فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً حسناء تزهو خضرتها، فأحب النزول بها ليصلي ويتغدّى، فلما نزل قال الهدهد: قد اشتغل سليمان بالنزول، فارتفع نحو السماء ينظر إلى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك، فبينما هو ينظر يميناً وشمالاً، رأى بستاناً لبلقيس، فنزل إليه فإذا هو بهدهد آخر، وكان اسم هدهد سليمان يعفور، وهدهد اليمن عفير، فقال عفير ليعفور: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود، قال ومن سليمان؟ قال: ملك الإنس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح، فمن أين أنت؟ قال عفير: أنا من هذه البلاد، قال: ومن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها بلقيس، وإن لصاحبك ملكاً عظيماً، ولكن ليس ملك بلقيس دونه، فإنها تملك اليمن، وتحت يدها أربعمائة ملك، كل ملك على كورة، مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل، ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها، ولها اثنا عشر قائداً، مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل، فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج الماء، قال الهدهد اليماني: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها، وأما سليمان فإنه نزل على غير ماء، فسأل عن الماء الجن والإنس فلم يعلموا، فتفقد الهدهد فلم يره، فدعا بعريف الطير وهو النسر، فسأله عن الهدهد فقال: أصلح الله الملك، ما أدري أين هو، وما أرسلته إلى مكان، فغضب سليمان وقال ﴿لأعذبنه عذاباً شديداً﴾ الآية، ثم دعا بالعقاب وهو أشد الطير طيراناً، فقال له: عليّ بالهدهد الساعة، فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم، ثم التفت يميناً وشمالاً، فرأى الهدهد مقبلاً من نحو اليمن، فانقض العقاب يريده، وعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء، فقال: بحق الذي قواك وأقدرك عليّ، إلا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء، فتركه العقاب وقال: ويلك ثكلتك أمك، إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك، فصارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام، فلما انتهيا إلى العسكر تلقاه النسر والطير وقالا له: ويلك أين غبت في يومك هذا؟ فلقد توعدك نبي الله، وأخبراه بما قال سليمان، فقال الهدهد: أو ما استثنى نبي الله؟ فقالوا: بلى إنه قال: ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ فقال نجوت إذاً، وكانت غيبته من الزوال، ولم يرجع إلا بعد العصر، فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان، وكان قاعداً على كرسيه، فقال العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله، فلما قرب منه الهدهد، رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان عليه الصلاة والسلام، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه وقال له: أين كنت؟ لأعذبنك عذاباً شديداً، فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل، فلما سمع سليمان عليه الصلاة والسلام ذلك، ارتعد وعفا عنه ثم سأله: ما الذي أبطأك عني؟ فقال الهدهد: ﴿احطت بما لم تحط به﴾ إلى آخره.

قوله: ﴿فمكث﴾ أي الهدهد. قوله: [بضم الكاف وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان والأول من باب قرب والثاني من باب نصر. قوله: [أي يسيراً من الزمان] أي وهو من الزوال إلى العصر. قوله: [فعفا عنه] أي من أول الأمر قبل أن يذكر العذر. قوله: [وسأله عما لقي في غيبته] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فقال أحطت﴾ الخ مفرع على محذوف. قوله: ﴿فقال أحطت بما لم تحط به﴾ أي علمت ما لم تعلمه أنت ولا جنودك وفي هذا تنبيه على أن الله تعالى

تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾: بالصرف وتركه قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتباره صرف ﴿بِنَبَإٍ﴾: خبر ﴿يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾: أي هي ملكة لهم اسمها بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾: سرير ﴿عَظِيمٌ ٢٣﴾: طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون ذراعاً مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: أي أن يسجدوا له فزيدت لا وأدغم فيها نون أن كما في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ والجملة في محل مفعول يهتدون بإسقاط إلى ﴿ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾: مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات

أي: سليمان عجزه لكونه لم يعلم ذلك مع كون المسافة قريبة وهي ثلاث مراحل. قوله: [بالصرف وتركه] أي فهما قراءتان سبعيتان فالصرف نظراً إلى أنه اسم رجل وتركه نظراً إلى أنه اسم القبيلة للعلمية والتأنيث. قوله: [اسمها بلقيس] بالكسر بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن، قد ولد له أربعون ملكاً هي آخرهم، وكان الملك يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤاً لي، وأبى أن يتزوج منهم، فخطب إلى الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن، قيل في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم أنه كان كثير الصيد، فربما اصطاد من الجن وهم على صورة الظباء فيخلي عنهم، فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقاً، فخطب ابنته فزوجه إياها.

قوله: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ عطف على قوله: ﴿تملكهم﴾ لأنه بمعنى ملكتهم، قال ابن عباس: كان يخدمها ستمائة امرأة. قوله: [يحتاج إليه الملوك] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿من كل شيء﴾ عام أريد به الخصوص. قوله: ﴿ولها عرش عظيم﴾ أي تجلس عليه، أو وصفه بالعظم بالنسبة إلى ملوك الدنيا، وأما وصف عرش الله بالعظم فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما فحصل الفرق. قوله: [طوله ثمانون ذراعاً] الخ وقيل طوله ثمانون وعرضه كذلك، وارتفاعه في الهواء كذلك. قوله: [عليه سبعة أبواب] صوابه أبيات بدليل قوله: [على كل بيت باب مغلق]. قوله: ﴿يسجدون للشمس﴾ أي فهم مجوس.

قوله: ﴿فهم لا يهتدون أن لا يسجدوا لله﴾ الخ ذكر ذلك رداً على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله، لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السماوات والأرض، عالم بجميع المعلومات. قوله: [أي أن يسجدوا له] أشار بذلك إلى أنه على هذه القراءة تكون ﴿أن﴾ ناصبة، و﴿لا﴾ زائدة، و﴿يسجدوا﴾ فعل مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل، وعليها فلا يجوز الوقف على ﴿يهتدون﴾ لأنه من تتمته، كأنه قال: فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا الخ، وقرأ الكسائي بتخفيف ألا، وتوجيهها أن يقال إن لا للافتتاح، ويا حرف تنبيه، واسجدوا فعل أمر، لكن سقطت ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطاً، ووصلت الياء بسين اسجدوا، فاتحدت القراءتان لفظاً وخطاً، وهناك وجه آخر في هذه القراءة، وهو أن يا حرف نداء والمنادى محذوف، والتقدير ألا يا هؤلاء وهو ضعيف، لئلا يؤدي إلى حذف كثير من غير ما يدل على المحذوف. قوله: [من المطر والنبات] لف ونشر مرتب، فالمطر هو المخبوء في السماوات، والنبات هو المخبوء في الأرض.

﴿فِيْ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ﴾: في قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ٢٥: بألسنتهم ﴿ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ٢٦: استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم ﴿قَالَ﴾: سليمان للهدهد ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ﴾: فيما أخبرتنا به ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ٢٧: أي من هذا النوع فهو أبلغ من أم كذبت فيه ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضؤوا وصلوا ثم كتب سليمان كتاباً صورته من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للهدهد ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾: أي بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾: انصرف ﴿عَنْهُمْ﴾: وقف قريباً منهم ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ ٢٨: يردون من الجواب فأخذه وأتاها وحولها جندها وألقاه في حجرها فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفاً ثم وقفت على ما فيه ثم ﴿قَالَتْ﴾: لأشراف قومها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّيٓ﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واواً مكسورة ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ

قوله: ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ اعلم أن ما ذكره الهدهد من قوله: ﴿الذي يخرج الخبء﴾ إلى هنا، إنما هو بيان لحقيقة عقيدته وعلومه التي اقتبسها من سليمان، وليس داخلاً تحت قوله: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ وإنما ذكر الهدهد ذلك، ليغري سليمان على قتالهم، وليبين أنه لم يكن عنده ميل لهم، بل إنما غرضه وصف ملكها.

قوله: [وبينهما بون] أي فضل ومزية. قوله: ﴿قال سننظر﴾ هذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره: فماذا قال سليمان للهدهد حين أخبره بالخبر؟ قوله: [فهو أبلغ من أم كذبت] أي لأنه يفيد أنه إن كان كاذباً في هذه الحادثة، كان معدوداً من الكاذبين ومحسوباً منهم، والكذب له عادة وليست فلتة يعفى عنه فيها، لأن الكذب على الأنبياء أمره عظيم. قوله: [من عبد الله] خص هذا الوصف لأنه أشرف الأوصاف، وقدم اسمه على البسملة، لأنها كانت في ذلك الوقت كافرة، فخاف أن تستخف باسم الله، فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى. قوله: [السلام على من اتبع الهدى] أي أمان الله على من اتبع طريق الحق وترك الضلال. قوله: [فلا تعلوا علي] أي لا تكبروا. قوله: [مسلمين] أي منقادين لدين الله، وفي هذا الخطاب إشعار بأنه رسول من عند الله، يدعوهم إلى دين الله وليس مطلق سلطان، وإلا لقال واتوني طائعين. قوله: [ثم طبعه بالمسك] أي جعل عليه قطعة مسك كالشمع.

قوله: ﴿فألقه إليهم﴾ إما بسكون الهاء أو كسرها من غير اشباع أو بإشباع، ثلاث قراءات سبعيات. قوله: ﴿ماذا يرجعون﴾ إن جعل أنظر بمعنى انتظر فماذا بمعنى الذي، و﴿يرجعون﴾ صلته، والعائد محذوف، ويكون ما مفعول يرجعون. والمعنى انتظر الذي يرجعونه، وإن جعل بمعنى تأمل وتفكر، كانت ما استفهامية، وذا بمعنى الذي، ويرجعون صلتها، والعائد محذوف، والتقدير أي شيء الذي يرجعونه، والموصول هو خبر ما استفهامية، أو ماذا كلها اسم واحد مفعول ليرجعون، تقديره أي شيء يرجعون. قوله: [من الجواب] بيان لما. قوله: [وأتاها وحولها جندها] الخ، وقيل أتاها فوجدها نائمة، وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها، وكذلك كانت تفعل إذا رقدت، فألقى الكتاب على نحرها، وقيل كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع، فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد فسد الكوة بجناحيه، فارتفعت الشمس ولم تعلم، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها. قوله: [فلما رأته ارتعدت] أي حين وجدت الكتاب مختوماً ارتعدت، لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها، فقرأت الكتاب، وتأخر الهدهد غير بعيد، وجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت أشراف قومها. قوله: [بقلبها واواً مكسورة] المناسب أن يقول وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء وقلبها واواً الخ، فالقراءات ثلاث سبعيات.

كَرِيمٌ﴾ ٢٩: مختوم ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾: أي مضمونه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ ٣١ قَالَتْ: يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واواً أي أشيروا علي ﴿فِي أَمْرِي مَا
كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً﴾: قاضيته ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ ٣٢: تحضرون ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أي
أصحاب شدة في الحرب ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ ٣٣ نا نطعك ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا﴾ بالتخريب ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ٣٤: أي مرسلو الكتاب ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم
بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ٣٥: من قبول الهدية أو ردها إن كان ملكاً قبلها أو نبياً لم يقبلها فأرسلت خدماً
ذكوراً وإناثاً ألفاً بالسوية وخمسمائة لبنة من الذهب وتاجاً مكللاً بالجواهر ومسكاً وعنبراً وغير ذلك مع رسول بكتاب
فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة
فراسخ ميداناً وأن يبنوا حوله حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن عن
يمين الميدان وشماله ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾: الرسول بالهدية ومعه أتباعه ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ ٱللَّهُ﴾: من

قوله: ﴿إني ألقي إلي﴾ الخ، لم تذكر صورة الكتاب، بل اقتصرت على ما فيه الفائدة، لشدة معرفتها وبلاغة لفظها. قوله: ﴿كريم﴾ مكرم معظم. قوله: [مختوم] أي لأن الكتاب المختوم، مشعر بالاعتناء بالمرسل إليه، كما ورد: من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به. قوله: ﴿إنه من سليمان﴾ جملة مستأنفة وقعت جواباً لسؤال مقدر تقديره: ماذا مضمونه. قوله: ﴿قالت يا أيها الملأ﴾ أي الأشراف، سموا بذلك لأنهم يملؤون العين بمهابتهم، وكانوا ثلاثمائة واثني عشر، لكل واحد منهم عشرة آلاف من الأتباع. قوله: ﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾ أي إن عادتي معكم لا أفعل أمراً حتى أشاوركم. قوله: ﴿أولو قوة﴾ الخ، استفيد من ذلك أنهم أشاروا عليها بالقتال أولاً، ثم ردوا الأمر إليها. قوله: [نطعك] مجزوم في جواب الأمر.

قوله: ﴿قالت إن الملوك﴾ الخ، أي فلم ترض بالحرب الذي أشاروا عليها به، بل اختارت الصلح وبينت سببه. قوله: ﴿إذا دخلوا قرية﴾ أي عنوة. قوله: ﴿بم يرجع المرسلون﴾ أي منتظرة رجوع الرسل وعودهم إلي. قوله: [إن كان ملكاً قبلها] أي وقاتلناه. قوله: [أو نبياً لم يقبلها] أي وابتعناه، لأنها كانت لبيبة عاقلة تعرف سياسة الأمور. قوله: [ألفاً بالسوية] أي خمسمائة ذكر، وخمسمائة أنثى. قوله: [فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة] أي كما يضرب الطين. قوله: [وأن تبسط من موضعه] أي توضع في الأرض كالبلاط. قوله: [إلى تسعة فراسخ] أي وهو مسيرة يوم وثمن يوم. قوله: [وأن يبنوا] أي الجن. قوله: [عن يمين الميدان وشماله] أي وقصد بذلك إظهار البأس والشدة. وحاصل تفصيل تلك القصة: أن بلقيس عمدت إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، فألبست الجواري لباس الغلمان الأقبية والمناطق، وألبست الغلمان لباس الجواري، وجعلت في أيديهم أساور الذهب، وفي أعناقهم أطواق الذهب، وفي آذانهم أقرطة وشنوفاً، مرصعات بأنواع الجواهر، وحملت الجواري على خمسمائة فرس، والغلمان على خمسمائة برذون، على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج، بعثت إليه لبنات من فضة، وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت، وأرسلت بالمسك والعنبر والعود، وعمدت إلى حقة، جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وخرزة جزع معوجة الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها يقال له المنذر ابن عمرو، وضمت إليه رجالاً من قومها أصحاب عقل ورأي، وكتبت مع المنذر كتاباً تذكر فيه الهدية وقالت: إن كنت نبياً فميز الوصفاء والوصائف، وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها، واثقب الدرة ثقباً مستوياً، وأدخل في الخرزة خيطاً من غير علاج انس ولا جن، وأمرت بلقيس الغلمان

النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾: من الدنيا ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾٣٦ لفخركم بزخارف الدنيا ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾: بما أتيتَ من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ﴾: لا طاقة ﴿لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾: من بلدهم سبأ سميت باسم أبي قبيلتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾٣٧: أي إن لم يأتوني مسلمين فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حرساً

فقالت: إذا كلمكم سليمان، فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء، وأمرت الجواري أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال، ثم قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه، فإن نظر إليك نظرة فيه غضب، فاعلم أنه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أعز منه، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي، فتفهم قوله ورد الجواب، فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر، فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبناً من الذهب والفضة ففعلوا، وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ، وأن يفرش فيه لبن الذهب والفضة، وأن يخلوا قدر تلك اللبنات التي معهم، وأن يعملوا حول الميدان حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة ففعلوا، ثم قال سليمان: أي دواب البر والبحر أحسن؟ فقالوا: يا نبي الله رأينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها، لها أجنحة وأعراف ونواص، قال: علي بها، فأتوه بها، قال: شدوها عن يمين الميدان وشماله، وقال للجن: علي بأولادكم، فاجتمع منهم خلق كثير، فأقامهم على يمين الميدان وشماله، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره، ووضع أربعة آلاف كرسي على يمينه وعلى شماله، وأمر الجن والإنس والشياطين والوحوش والسباع والطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان، ورأوا الدواب التي لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت إليهم أنفسهم، ووضعوا ما معهم من الهدايا، وقيل إن سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة، ترك من طريقهم موضعاً على قدر ما معهم من اللبنات، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً، خافوا أن يتهموا بذلك، فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع، ولما نظروا إلى الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا، فقالت لهم الشياطين: جوزوا لا بأس عليكم، وكانوا يمرون على كراديس الإنس والجن والوحش والطير، حتى وقفوا بين يدي سليمان، فأقبل عليهم بوجه طلق، وتلقاهم ملقى حسناً وسألهم عن حالهم، فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا به وأعطاه كتاب الملكة، فنظر فيه وقال: أين الحقة؟ فأتى بها وحركها، فجاء جبريل عليه السلام فأخبره بما فيها، فقال لهم: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة، فقال الرسول صدقت، فاثقب الدرة وأدخل الخيط في الجزعة، فقال سليمان: من لي بثقبها؟ وسأل الإنس والجن فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الشياطين فقالوا: ترسل إلى الأرضة، فلما جاءت الأرضة أخذت شعرة في فمها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت تصير رزقي في الشجر، فقال لها: ذلك لك، ثم قال: من لهذه الخرزة؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا نبي الله، فأخذت الدودة خيطاً في فمها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: يكون رزقي في الفواكه، فقال: لك ذلك، ثم ميز بين الغلمان والجواري بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها الأخرى وتغسل وجهها، والغلام يأخذ الماء بيديه ويضرب به وجهه، وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها، والغلام يصبه على ظاهره، فميز بين الغلمان والجواري، ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿فلما جاء سليمان﴾ الخ.

قوله: ﴿قال أتمدونن﴾ الخ استفهام انكاري وتوبيخ أي لا ينبغي لكم ذلك. قوله: ﴿وهم صاغرون﴾ حال ثانية مؤكدة للأولى. قوله: [أي إن لم يأتوني مسلمين] أفاد بذلك أن يمين سليمان معلق على عدم إتيانهم مسلمين. قوله: [داخل سبعة أبواب] صوابه أبيات، وقد تقدم أنه داخل سبعة أبيات، فيكون حينئذ في داخل أربعة عشر بيتاً.

وتجهزت إلى المسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به فارتحلت في اثني عشر ألف قيل مع كل قيل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ﴾: في الهمزتين ما تقدم ﴿يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ٣٨: منقادين طائعين فلي أخذه قبل ذلك لا بعده ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ﴾: هو القوي الشديد ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾: الذي تجلس فيه للقضاء وهو من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾: أي على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ ٣٩: أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾: المنزل وهو آصف بن برخيا كان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجاب ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: إذا نظرت به إلى شيء فقال له: انظر إلى السماء فنظر إليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعاً بين يديه ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا﴾: أي ساكناً ﴿عِنْدَهُ قَالَ هَذَا﴾: أي الإتيان لي به ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾: ليختبرني ﴿أَأَشْكُرُ﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى

قوله: [حرسا] بفتحتين جمع حارس. قوله: [قيل] بفتح القاف أي ملك، سمي بذلك لأنه ينفذ ما يقول. قوله: [إلى أن قربت منه] أي من سليمان. قوله: [شعر بها] أي علم، وذلك أنه خرج يوماً فجلس على سريره فسمع وهجا قريباً منه فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان، وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان.

قوله: ﴿يا أيها الملأ﴾ الخطاب لكل من عنده من الجن والانس وغيرهما. قوله: [ما تقدم] أي من التحقيق أو قلب الثانية واواً. قوله: ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾ أي وكان سليمان إذ ذاك في بيت المقدس، وعرشها في سبإ، وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين. قوله: [فلي أخذه قبل ذلك] أي قبل اتيانهم مسلمين، لأنه حربيون حينئذ. قوله: [لا بعده] أي لأن اسلامهم يعصم مالهم، وهذا بحسب الظاهر، وأما باطن الأمر فقصده أن يبهر عقلها بالأمور المستغربة لتزيد ايماناً. قوله: ﴿عفريت﴾ بكسر العين وقرئ شذوذاً بفتحها. قوله: [وهو القوي] أي وكان مثل الجبل، يضع قدمه عند منتهى طرفه، وكان اسمه ذكوان وقيل صخر.

قوله: ﴿أنا آتيك به﴾ يحتمل أنه فعل مضارع، أصله أأتى بهمزتين أبدلت الثانية ألفاً، ويحتمل أنه اسم فاعل كضارب وقائم. قوله: ﴿من مقامك﴾ أي مجلسك. قوله: [أسرع من ذلك] أي لأن المقصود الاتيان به قبل أن تقدم هي، والحال أن بين قدومها مسيرة ساعة ونصف، ومجلسه من الغداة إلى نصف النهار. قوله: ﴿علم من الكتاب﴾ أي وهو التوراة. قوله: [وهو آصف بن برخيا] بالمد والقصر، وكان وزير سليمان وقيل كاتبه، وكان من أولياء الله تعالى، وقيل الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل، وقيل الخضر، وقيل ملك آخر، وقيل سليمان نفسه، وعلى هذا فالخطاب في قوله أنا آتيك للعفريت، وما مشى عليه المفسر هو المشهور. قوله: [كان صديقاً] أي مبالغاً في الصدق مع الله ومع عباده. قوله: ﴿طرفك﴾ هو بالسكون البصر. قوله: [قال] أي آصف، وقوله أي لسليمان. قوله: [دعا بالاسم الأعظم] قيل كان الدعاء الذي دعا به: يا ذا الجلال والاكرام، وقيل يا حي يا قيوم، وقيل يا إلهنا وإله كل شيء، إلهاً واحداً، لا إله إلا أنت ائتني بعرشها. قوله: [بأن جرى تحت الأرض] أي بحمل الملائكة له لأمر الله لهم بذلك. قوله: [أي ساكناً] أي غير متحرك، كأنه وضع من قبل بزمن متسع، وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول، وإلا كان واجب الحذف لأن الظرف يكون مستقراً، وعلى ما ذكره المفسر فالظرف لغو عامله خاص مذكور فتدبر.

قوله: ﴿من فضل ربي﴾ أي احسانه إلي. قوله: [وإدخال ألف] الخ، أي فالقراءات أربع سبعيات، وبقيت

تركه ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾: النعمة ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: أي لأجلها لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾: عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ ٤٠: بالإفضال على من يكفرها ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾: أي غيّروه إلى حال تنكره إذا رأته ﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾: إلى معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ٤١: إلى معرفة ما يُغيّر عليهم قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له إن فيه شيئاً فغيروه بزيادة أو نقص أو غير ذلك ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾: لها ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾: أي أمثل هذا عرشك ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾: أي فعرفته وشبّهت عليهم كما شبهوا عليها إذ لم يقل أهذا عرشك ولو قيل هذا قالت: نعم قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلماً ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ ٤٢ ﴿وَصَدَّهَا﴾: عن عبادة الله ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ٤٣ ﴿قِيلَ لَهَا﴾: أيضاً ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾: هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جارٍ فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له أن

خامسة وهي ادخال ألف بين المحققين. قوله: [لأن ثواب شكره له] أي لأن الشكر سبب في زيادة النعم، قال تعالى ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾. قوله: [بالأفضال على من يكفرها] أي فلا يقطع نعمه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة. قوله: ﴿قال نكروا لها عرشها﴾ معطوف في المعنى على قوله: ﴿قال هذا من فضل ربي﴾ وكلاهما مرتب على قوله: ﴿فلما رآه مستقراً عنده﴾. قوله: [إلى حالة تنكره إذا رأته] أي فالتنكير ابهام الشيء، بحيث لا يعرف ضد التعريف، ومنه النكرة والمعرفة في اصطلاح النحويين. قوله: ﴿ننظر﴾ هو جواب الأمر. قوله: [قصد بذلك] الخ، أشار بذلك إلى حكمة التغيير. قوله: [لما قيل إن فيه شيئاً] أي نقصاً، والقائل له ما ذكر الجن، وقالوا له: إن رجليها كرجلي حمار، وقالوا له أيضاً: إن في ساقيها شعراً لأنهم ظنوا أنه يتزوجها، فكرهوا ذلك لئلا تفشي له أسرار الجن، ولئلا يأتي منها أولاد فيخلفوه في استخدام الجن فيدوم عليهم الذل.

قوله: ﴿قيل﴾ [لها] القائل سليمان أو مأموره. قوله: ﴿أهكذا عرشك﴾ الهمزة للاستفهام، والهاء للتنبيه، والكاف حرف جر وذا اسم اشارة مجرور بها والجار والمجرور خبر مقدم، و﴿عرشك﴾ مبتدأ مؤخر، وفصل بين ها للتنبيه واسم الاشارة بحرف الجر وهو الكاف اعتناء بالتنبيه، وكان مقتضاه أن يقال: أكهذا عرشك. قوله: [أي أمثل هذا] أشار بذلك إلى أن الكاف اسم بمعنى مثل، وقولهم لا يفصل بين ها للتنبيه واسم الاشارة بشيء من حروف الجر إلا بالكاف معناه ولو صورة، وإن كانت في المعنى اسماً بمعنى مثل. قوله: [وشبهت عليهم] الخ، أي فأتت بهذه العبارة مشاكلة لكلام سليمان، والمشاكلة الإتيان بمثل الكلام السابق وإن لم يتحد الكلامان كقوله تعالى ﴿ومكروا ومكر الله﴾. قوله: [قال سليمان] أي تحدثاً بنعمة الله.

قوله: ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ أي العلم بالله وصفاته من قبل أن تؤتى هي العلم بما ذكر، وكنا مسلمين من قبل أن تسلم، فنحن اسبق منها علماً واسلاماً. قوله: ﴿وصدها﴾ أي منعها، وقوله: ﴿ما كانت﴾ فاعل صد، والمعنى منعها عن عبادة الله الذي كانت تعبد من دون الله وهو الشمس. قوله: ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ بكسر إن في قراءة العامة استئناف، وقرىء شذوذاً بفتحها على اسقاط حرف التعليل. قوله: ﴿قيل لها﴾ [أيضاً] أي كما قيل نكروا لها عرشها. قوله: [هو سطح] وقيل الصرح القصر أو صحن الدار. قوله: [من زجاجك أبيض] أي وهو المسمى بالبلور. قوله: [اصطنعه سليمان] أي أمر الشياطين به، فحفروا الحفيرة كالصهريج، وأجروا فيها الماء، ووضعوا فيها سمكاً وضفدعاً وغيرهما من حيوانات البحر، وجعلوا سقفها زجاجاً شفافاً، فصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج، فمن لم يكن عالماً به، يظن أنه ماء مكشوف يخاض فيه مع أنه ليس كذلك. قوله: [لما قيل له] القائل ذلك الجن. قوله: ﴿فلما

ساقيها وقدميها كقدمي الحمار ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾: من الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾: لتخوضه وكان سليمان على سريره في صدر الصرح فرأى ساقيها وقدميها حساناً ﴿قَالَ﴾: لها ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾: مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾: أي زجاج ودعاها إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: بعبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾: كائنة ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٤]: وأراد تزوجها فكره شعر ساقيها فعملت له الشياطين النورة فأزالته فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها كان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾: من القبيلة ﴿صَالِحًا أَنِ﴾: أي بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وحده ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾[٤٥]: في الدين

رأته﴾ أي أبصرته. قوله: ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ أي على عادة من أراد خوض الماء، قيل لما رأت اللجة فزعت وظنت أنه قصد بها الغرق، فلما لم يكن لها بد من امتثال الأمر، سلمت وكشفت عن ساقيها. قوله: [لتخوضه] أي لأجل أن تصل إلى سليمان. قوله: [فرأى ساقيها] الخ، أي فلما علم ذلك صرف بصره عنها. قوله: ﴿ممرد﴾ صفة أولى لصرح، وقوله: ﴿من قوارير﴾ صفة ثانية جمع قارورة. قوله: [مملس] ومنه الأمرد لملاسة وجهه أي نعومته لعدم الشعر به. قوله: [بعبادة غيرك] أي وهو الشمس. قوله: ﴿مع سليمان﴾ حال من التاء في ﴿أسلمت﴾ كما أشار لذلك بقوله: [كائنة] والمعنى أسلمت حالة كوني مصاحبة له في الدين، ولا يصح أن يكون متعلقاً بأسلمت، لأنه يوهم أنها متحدة معه في الإسلام في زمن واحد. قوله: [فعملت له الشياطين النورة] أي بعد أن سأل الأنس عما يزيل الشعر، فقالوا له: يحلق بالموسى، فقالت: لم يمس الحديد جسمي، فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقيها، فسأل الجن فقالوا لا ندري، فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء، فاتخذوا النورة والحمام، فكانت النورة والحمام من يومئذ. قوله: [فتزوجها] أي وولدت منه ولداً وسمته داود، ومات في حياة أبيه، وبقيت معه إلى أن مات وهذا أحد قولين، وقيل إنها لما أسلمت قال لها سليمان: اختاري رجلاً من قومك حتى أزوجك إياه، فقالت: ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال، وقد كان لي من قومي الملك والسلطان؟ قال نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك، ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله، قالت: إن كان ولا بد، فزوجني ذا تبع ملك همدان، فزوجها إياه وذهب بها إلى اليمن، وملك زوجها ذا تبع على اليمن، ودعا سليمان زوبعة ملك الجن وقال له: اعمل لذي تبع ما استعملك فيه، فلم يزل يعمل له ما أراد، إلى أن مات سليمان، وحال الحول ولم يعلم الجن موته، فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صوته: يا معشر الجن، ان سليمان قد مات فارفعوا أيديكم، فرفعوا أيديهم وتفرقوا. قوله: [وأقرها على ملكها] أي وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها في الارتفاع والحسن. قوله: [ويقيم عندها ثلاثة أيام] أي وكان يبكر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام. قوله: [روي أنه ملك] أي أعطي الملك. قوله: [فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه] أي فما سواه يفنى، وهو الباقي بلا زوال، قال العارف:

ما آدم في الكون وما ابليس ... ما ملك سليمان وما بلقيس
الكل اشارة وأنت المعنى ... يا من هو للقلوب مغناطيس

فالأكوان جميعها اشارات دالة على المقصود بالذات وهو الواحد القهار. قوله: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود﴾ شروع في القصة الرابعة من هذه السورة، وثمود اسم لقبيلة صالح سميت باسم أبي القبيلة، فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، وتسمى عاد الثانية، وأما عاد الأولى فهم قوم هود. قوله: ﴿أخاهم صالحاً﴾ أي في النسب لأنه من أولاد ثمود الذي هو أبو القبيلة، وعاش صالح مائتين وثمانين سنة. قوله: [أي بأن] ﴿اعبدوا الله﴾ أشار بذلك إلى أن أن مصدرية،

فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم وفريق كافرون ﴿قال﴾: للمكذبين ﴿يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾: أي بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم إن كان ما أتيتنا به حقاً فأتنا بالعذاب ﴿لولا﴾: هلا ﴿تستغفرون الله﴾: من الشرك ﴿لعلكم ترحمون﴾٤٦: فلا تعذبون ﴿قالوا اطيرنا﴾: أصله تطيرنا أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل أي تشاءمنا ﴿بك وبمن معك﴾: أي المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا ﴿قال طائركم﴾: شؤمكم ﴿عند الله﴾: أتاكم به ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾٤٧: تختبرون بالخير والشر ﴿وكان في المدينة﴾: مدينة ثمود ﴿تسعة رهط﴾: أي رجال ﴿يفسدون في الأرض﴾: بالمعاصي منها قرضهم الدنانير والدراهم ﴿ولا يصلحون﴾٤٨: بالطاعة ﴿قالوا﴾: أي قال بعضهم لبعض ﴿تقاسموا﴾: أي احلفوا ﴿بالله لنبيتنه﴾: بالنون والتاء

وحرف الجر محذوف، ويصح أن تكون مفسرة لوجود ضابطها، وهو تقدم جملة فيها القول دون حروفه. قوله: [وحدوه] أي اعتقدوا أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له في شيء منها. قوله: ﴿فإذا هم﴾ إذا فجائية، والمعنى ففاجأ إرساله تفرقهم واختصامهم، فآمن فريق وكفر فريق، وتقدم حكاية اختصام الفريقين في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ الخ. قوله: [فريق مؤمنون] جمع وصف الفريق مراعاة لمعناه. قوله: [من حين إرساله] أي وبعد ظهور المعجزات.

قوله: ﴿لم تستعجلون بالسيئة﴾ أي لأي شيء تستعجلون بالعذاب وتطلبونه لأنفسكم ولا تطلبون الرحمة؟ ويصح أن يراد بالسيئة والحسنة أسباب العذاب وأسباب الرحمة، والمعنى لم تؤخرون الإيمان الذي هو سبب في الرحمة، وتقدمون الكفر الذي هو سبب العذاب؟ قوله: [هلا] أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية. قوله: [من الشرك] أي بأن تتركوا الشرك وتؤمنوا. قوله: ﴿لعلكم ترحمون﴾ الترجي في كلام الله بمنزلة التحقيق؛ لأنه صادر من قادر عالم بالعواقب لا يخلف وعده. قوله: [أدغمت التاء في الطاء] أي بعد قلبها طاء. قوله: [واجتلبت همزة الوصل]، أي للتوصل للنطق بالساكن. قوله: [أي تشاءمنا] أي أصابنا الشؤم وهو الضيق والشدة. قوله: [حيث قحطوا المطر] أي حبس عنهم.

قوله: ﴿قال طائركم عند الله﴾ أي جزاء عملكم من عند الله عاملكم به، فالشؤم وصفكم لا وصفي، وسمي طائراً لأنه يأتي الظالم بغتة وسرعة كنزول الطائر. قوله: ﴿تفتنون﴾ أتى بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير وهو الراجح، ويجوز مراعاة الاسم الظاهر فيؤتى بالغيبة فيقال مثلاً: نحن قوم نقرأ ويقرؤون. قوله: [تختبرون بالخير والشر] أي لتعلموا أن ما أصابكم من خير فمن الله، وما أصابكم من شر فبما كسبت أيديكم. قوله: [مدينة ثمود] أي وهو الحجر، وتقدم أنه واد بين الشام والمدينة.

قوله: ﴿تسعة رهط﴾ الرهط ما دون العشرة من الرجال، والنفر ما دون السبعة إلى الثلاثة. قوله: [أي رجال] دفع بذلك ما يقال: إن تمييز التسعة جمع مجرور، فكيف يؤتى به مفرداً؟ فأجاب بأنه وإن كان مفرداً في اللفظ فهو جمع في المعنى، وهؤلاء التسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح أن مولوداً يولد في شهرهم هذا يكون عقر الناقة على يديه، فقتل التسعة أولادهم وأبى العاشر أن يقتل ابنه، فعاش ذلك الولد ونبت نباتاً سريعاً، فكان إذا مر بالتسعة حزنوا على قتل أولادهم، فسول لهم الشيطان أن يجتمعوا في غار، فإذا جاء الليل خرجوا إلى صالح وقتلوه، وتقدم أنهم اجتمعوا في الغار، فأرادوا أن يخرجوا منه، فسقط عليهم الغار فقتلهم، وعقر الناقة ولد العاشر وهو قدار بن سالف، وقيل إنهم جاؤوا ليلاً لقتله شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكة بالأحجار كما أفاده المفسر. قوله: [أي احلفوا] أشار

وضم التاء الثانية ﴿وَأَهْلَهُ﴾: أي مَنْ آمَنَ به أي نقتلهم ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾: بالنون والتاء وضم اللام الثانية ﴿لِوَلِيِّهِ﴾: أي ولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾: حضرنا ﴿مُهْلِكَ أَهْلِهِ﴾: بضم الميم وفتحها أي إهلاكهم أو هلاكهم فلا ندري مَنْ قتلهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾٤٩ ﴿وَمَكَرُوا﴾: في ذلك ﴿مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً﴾: أي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾٥٠ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾: أهلكناهم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾٥١ بصيحة جبريل أو برمي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾: أي خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾: بظلمهم أي كفرهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: لعبرة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾٥٢: قدرتنا فيتعظون ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بصالح وهم أربعة آلاف ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾٥٣: الشرك ﴿وَلُوطاً﴾: منصوباً باذكر مقدراً قبله ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾: أي اللواط ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾٥٤: أي يبصر بعضكم بعضاً

بذلك إلى أن قوله: ﴿تقاسموا﴾ فعل أمر، أي قال بعضهم لبعض: احلفوا على كذا. قوله: [بالنون] مع فتح التاء وقوله: [والتاء] كان المناسب أن يقول بالتاء، لأن ضم التاء لا يكون إلا على قراءة التاء، فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي منْ آمن به] أي وسيأتي أنهم أربعة آلاف. قوله: [بالنون] أي مع فتح اللام، وقوله: [والتاء] أي فقراءة النون هنا، مع قراءة النون في الذي قبله، وقراءة التاء مع التاء فهما قراءتان فقط. قوله: [أي ولي دمه] أي دم من قتل صالح ومن معه. قوله: ﴿مهلك أهلك﴾ أي أهل وليّ الدم الذي يقوم عند موت صالح وأقاربه المؤمنين به. قوله: [بضم الميم] أي مع فتح اللام، وقوله: [وفتحها] أي مع فتح اللام وكسرها، فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: [أي إهلاكهم] راجع للضم لأنه من الرباعي. قوله: [وهلاكهم] راجع للفتح بوجهيه لأنه من الثلاثي. قوله: ﴿وإنا لصادقون﴾ أي ونحلف إنا لصادقون، أو المعنى والحال وإنا لصادقون فيما قلنا. قوله: ﴿ومكروا مكراً﴾ أي أرادوا إخفاء ما بيتوا عليه من قتل صالح وأهله. قوله: ﴿ومكرنا مكراً﴾ أي أهلكناهم من حيث لا يشعرون، وهو من باب المشاكلة، نظير قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه　　　قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

وإلا فحقيقة المكر مستحيلة على الله تعالى لأنه التحيل على الغير، وهو من صفات العاجز، والعجز على الله محال. قوله: ﴿فانظر﴾ أي تأمل وتفكر. قول: ﴿إنا دمرناهم﴾ بكسر إنّ على الاستئناف، وفتحها على أنه خبر لمحذوف، أي وهي تدميرنا إياهم، والقراءتان سبعيتان. قوله: [أو برمي الملائكة] أو للتنويع، أي أن عذابه نوعان موزعان عليهم، رمي الحجارة على التسعة بسبب تبييتهم على قتل صالح وأهله، والصيحة على غيرهم بسبب عقر الناقة، ولو قال المفسر: «أهلكناهم برمي الملائكة الحجارة وقومهم أجمعين بصيحة جبريل لكان أوضح. قوله: ﴿فتلك بيوتهم﴾ مبتدأ وخبر أي ديارهم. قوله: [بظلمهم] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والباء سببية. قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من اهلاكهم.

قوله: ﴿وأنجبنا الذين آمنوا﴾ أي من الهلاك، فخرج صالح بهم إلى حضرموت، فلما دخلها مات صالح، فسميت تلك البلدة بذلك، ثم بنى الأربعة الآف مدينة يقال لها حاضوراء. قوله: ﴿وكانوا يتقون﴾ أي يدومون على اتقاء الشرك بأن لم يرتدوا. قوله: [ويبدل منه] أي بدل اشتمال، والمراد ذكر القول لا ذكر وقته. قوله: ﴿لقومه﴾ أي من حيث ارساله إليهم واقامته عندهم وإلا فهو في الأصل من أرض بابل، فلما قدم مع عمه إبراهيم إلى الشام، نزل إبراهيم بفلسطين، ونزل لوط بسدوم. قوله: [يبصر بعضكم بعضا] أشار بذلك إلى أن المراد الابصار بالعين، وقيل المراد ابصار

انهماكاً في المعصية ﴿أَئِنَّكُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ٥٥: عاقبة فعلكم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾: أهله ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ ٥٦: من أدبار الرجال ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا﴾: جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ ٱلْغَابِرِينَ﴾ ٥٧: الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: هو حجارة السجيل أهلكتهم ﴿فَسَاءَ﴾: بئس ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ ٥٨: بالعذاب مطرهم ﴿قُلِ﴾: يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على هلاك كفار الأمم الخالية ﴿وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰ﴾ هم ﴿ءَآللَّهُ﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهّلة والأخرى وتركه ﴿خَيْرٌ﴾: لمن يعبده ﴿أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ٥٩: بالتاء والياء أي أهل مكة به الآلهة خير

القلب، ويكون المعنى وتعلمون أنها قبيحة. قوله: [وادخال الف بينهما] أي وتركه فالقراءات أربع سبعيات.

قوله: ﴿لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾ أشار بذلك إلى أنهم أساؤوا من الطرفين في الفعل والترك، وقوله: ﴿شهوة﴾ مفعول لأجله. قوله: [عاقبة فعلكم] أي وهي العذاب الذي نزل بهم. قوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ خبر ﴿كان﴾ مقدم، وقوله: ﴿إلا أن قالوا﴾ اسمها مؤخر. قوله: ﴿آل لوط﴾ المراد هو وأهله وهم بنتاه وزوجته المؤمنة.

قوله: ﴿من قريتكم﴾ الإضافة للجنس، لأنه تقدم أن قراهم كانت خمسة وأعظمها سذوم. قوله: ﴿يتطهرون﴾ أي يتنزهون وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء. قوله: ﴿فأنجيناه وأهله﴾ أي فخرج لوط بأهله من أرضهم، وطوى الله له الأرض حتى نجا، ووصل إلى إبراهيم. قوله: [الباقين في العذاب] أي الذي حل بهم، وهو أن جبريل اقتلع مدائنهم ثم قلبها فهلك جميع من فيها، قيل كان فيها أربعة آلاف ألف.

قوله: ﴿وأمطرنا عليهم﴾ أي على من كان في ذلك الوقت خارجاً عن المدائن لسفر أو غيره. قوله: [هو حجارة السجيل] أي الطين المحروق. قوله: [مطرهم] هو مخصوص بالذم. قوله: ﴿قل الحمد لله﴾ لما تمم سبحانه وتعالى القصص أمر رسوله بحمده والسلام على المصطفين شكراً له على نصرة أهل الحق والايمان، وقطع دابر أهل الكفر والطغيان، وتمهيداً لما يذكر من أدلة التوحيد التي أقامها رداً على المشركين، والسر في ذلك إنصات العاقل واصغاؤه ليدخل في زمرة من سلم الله عليهم.

قوله: ﴿وسلام﴾ أي أمان. قوله: ﴿الذين اصطفى﴾ قيل هم الأنبياء والرسل، وقيل أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل مؤمنوا هذه الأمة، وقيل كل مؤمن من مبدإ الدنيا إلى منتهاها، ومعنى اصطفى اختارهم أزلاً لخدمته وطاعته في الدنيا، ولجنته ونعيمه في الآخرة، فالأصل اصطفاء الله للعبد، فلولا اصطفاؤه له ما وفق العبد لخدمة ربه، ومن هذا قولهم: لولا السابقة ما كانت اللاحقة. قوله: [بتحقيق الهمزين] الخ، ظاهر المفسر أن القراءات أربع وهو سبق قلم، والصواب أنهما قراءتان فقط تسهيل الثانية مقصورة، وابدالها الفاً ممدودة مداً لازماً، وتقدم أن هذين الوجهين يجريان في خمسة مواضع في القرآن غير هذا، اثنان في الأنعام ﴿آلذكرين﴾ في الموضعين وثلاثة في يونس ﴿آلله أذن لكم﴾ ﴿الآن﴾ في الموضعين.

قوله: ﴿خير﴾ خبر لفظ الجلالة، وهو إما اسم تفضيل باعتبار زعم الكفار، أو صفة لا تفضيل فيها، والكلام على حذف مضاف، والتقدير أتوحيد الله خير لمن عبده، أو الأصنام خير لمن عبدها، فهو تهكم بالمشركين لأنهم اختاروا عبادة الأصنام على عبادة الله، والاختيار للشيء لا يكون إلا لخير ومنفعة، ولا خير في عبادتها. وكان ﷺ إذا قرأها يقول: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم». قوله: ﴿أم ما يشركون﴾ أم هذه متصلة عاطفة على لفظ الجلالة لوجود

لعابديها ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا﴾: فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿بِهِ حَدَائِقَ﴾: جمع حديقة وهو البستان المحوط ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: حسن ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾: لعدم قدرتكم عليه ﴿أَإِلٰهٌ﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضعه السبعة ﴿مَعَ اللهِ﴾: أعانه على ذلك أي ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ ٦٠: يشركون بالله غيره ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾: لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾: فيما بينها ﴿أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً أثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾: بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٦١: توحيده ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾: المكروب الذي مسه الضر ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾: عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾: الإضافة بمعنى في أن يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢: تتعظون بالفوقانية والتحتانية وفيه إدغام التاء في الذال وما زائدة لتقليل القليل ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾: يرشدكم إلى

المعادل، وهو تقدم همزة الاستفهام بخلاف أم الآتية فهي منقطعة تفسر ببل وهمزة الاستفهام الانكاري. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي أهل مكة] تفسير للواو في يشركون. قوله: [أي الآلهة] تفسير لما، والمعنى أم الآلهة التي يشركونها به خير لعابديها.

قوله: ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾ القراءة السبعية بإدغام إحدى الميمين في الأخرى، وأم منقطعة، ومن خلق مبتدأ خبره محذوف تقديره ﴿خير أم ما يشركون﴾ وقرىء شذوذاً بتخفيف، فتكون من موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام. قوله: [فيه الالتفات] أي وحكمته اختصاصه سبحانه وتعالى بهذا الفعل إشارة إلى أن الله تعالى هو المنبت للأشجار، والزرع لا غيره، وخلقها مختلفة الألوان والطعوم، مع كونها تسقى بماء واحد. قوله: [وهو البستان المحوط] أي المجعول عليه حائط لعزته. قوله: ﴿ذات بهجة﴾ صفة لحدائق، وأفرد لكونه جمع كثرة لما لا يعقل.

قوله: ﴿ما كان لكم﴾ أي لا ينبغي لأنكم عاجزون عن اخراج النبات، وإن كنتم قادرين على السقي والغرس ظاهراً. قوله: ﴿أن تنبتوا شجرها﴾ أي فضلاً عن ثمارها وأشكالها. قوله: [وإدخال ألف بينهما] أي وتركه، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: [في مواضعه السبعة] أي مواضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة، وهي لفظ إله خمس مرات، وأئذا، وأئنا. قوله: [أي ليس معه إله] أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري، وكذا يقال فيما بعده. قوله: ﴿بل قوم يعدلون﴾ اضراب انتقالي من تبكيتهم إلى بيان سوء حالهم.

قوله: ﴿أم من جعل الأرض قراراً﴾ أي مستقراً للإنسان والدواب، لا تتحرك بما على ظهرها. قوله: [فيما بينها] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خلالها﴾ ظرف لجعل وتكون بمعنى خلق، ويصح أن تكون بمعنى صير، و﴿خلالها﴾ مفعول ثان. قوله: ﴿حاجزاً﴾ أي معنوياً غير مشاهد. قوله: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي وكفرهم تقليد، والأقل يعلم الأدلة، وكفرهم عناد. قوله: ﴿المضطر﴾ هو اسم مفعول، وهذه الطاء أصلها تاء الافتعال، قلبت طاء لوقوعها إثر حرف الأطباق وهو الضاد.

قوله: ﴿إذا دعاه﴾ أشار بذلك إلى أن اجابة المضطر متوقفة على دعائه، فلا ينبغي لمن كان مضطراً ترك الدعاء، بل يدعو، والله يجيبه، على حسب ما أراد سبحانه وتعالى، لأن الله أرأف على العبد من نفسه، فالعاقل إذا دعا الله يسلم في الاجابة لمراد الله. قوله: [الإضافة بمعنى في] أي فالمعنى يجعلكم خلفاء في الأرض. قوله: [وفيه إدغام التاء في الذال] أي بعد قلبها دالاً فذالاً، وهذا على كل من القراءتين. قوله: [وما زائدة لتقليل القليل] أي فالمراد تأكيد القلة.

مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: أي قدام المطر ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٦٣]: به غيره ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾: في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: بعد الموت وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾: بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾: بالنبات ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾: أي لا يفعل شيئاً مما ذكر إلا الله ولا إله معه ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: حجتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٦٤]: أن معي إلهاً فعل شيئاً مما ذكر وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من الملائكة والناس ﴿الْغَيْبَ﴾: أي ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿اللَّهُ﴾: يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: أي كفار مكة كغيرهم ﴿أَيَّانَ﴾: وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾[٦٥] ﴿بَلْ﴾: بمعنى هل ﴿أَدْرَكَ﴾: وزن أكرم وفي قراءة أخرى ادّارك بتشديد الدال وأصله تدارك أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال واجتلبت همزة الوصل أي بلغ ولحق أو تتابع وتلاحق ﴿عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: أي بها حتى سألوا عن وقت مجيئها ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾[٦٦]: من عمي القلب وهو أبلغ مما قبله والأصل عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أيضاً في إنكار البعث ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا

قوله: [وبعلامات الأرض] أي كالجبال. قوله: [أي قدام المطر] أي أمامه. قوله: [وإن لم يعترفوا بالاعادة] أشار بذلك إلى سؤال وارد حاصله: كيف يقال لهم ﴿أمن يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ مع أنهم منكرون للإعادة؟ وأشار إلى جوابه بقوله: لقيام البراهين عليها وإيضاحه: أن يقال إنهم معترفون بالابتداء، ودلالة الابتداء على الاعادة ظاهرة قوية، وحينئذ فصاروا كأنهم لم يبق لهم عذر في إنكار الاعادة، بل ذلك محض جحود.

قوله: ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ أمره ﷺ بتبكيتهم إثر قيام الأدلة على أنه لا يستحق العبادة غيره. قوله: [أن معي إلهاً] الأوضح أن يقول: أن مع الله إلهاً لأن النبي مأمور بهذا القول، وهو لا يقول لهم: إن كنتم صادقين أن معي إلهاً. قوله: [وسألوه] أي المشركون. قوله: ﴿من في السموات والأرض﴾ ﴿من﴾ فاعل ﴿يعلم﴾ والجار والمجرور صلتها، و﴿الغيب﴾ مفعول به، و﴿إلا﴾ أداة استثناء، ولفظ الجلالة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله: [يعلمه] والتقدير لا يعلم الذي ثبت في السماوات كالملائكة، والأرض كالإنس، الغيب لكن الله هو الذي يعلمه. قوله: [من الملائكة والناس] بيان لمن في السماوات والأرض على سبيل اللف والنشر المرتب. قوله: [لكن] ﴿الله﴾ الخ أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، ولا يصح جعله متصلاً لإيهامه أن الله من جملة من في السماوات والأرض وهو محال. قوله: [وقت] ﴿يبعثون﴾ تفسير لأيان، والمناسب تفسيرها بمتى لأن ﴿أيان﴾ ظرف متضمن معنى همزة الاستفهام ومتى كذلك بخلاف لفظ وقت. قوله: [بمعنى هل] أي التي للاستفهام الانكاري. قوله: [أي بلغ ولحق] راجع للقراءة الأولى، وقوله: [أو تتابع] راجع للثانية، والمعنى هل بلغ علمهم في الآخرة، أو تتابع علمهم الآخرة، حتى سألوا عن وقت مجيء الساعة؟ ليس عندهم علم بذلك، بل ولا إثبات، حتى يسألوا عن وقت الساعة، فسؤالهم محض تعنت وعناد.

قوله: ﴿في شك منها﴾ أي الآخرة. قوله: ﴿بل هم منها عمون﴾ أي عندهم جزم بعدمها، لعدم إدراكهم دلائلها. قوله: [بعد حذف كسرتها] أي وسقطت الياء لوقوعها ساكنة إثر ضمة. قوله: [أيضاً] أي كما قالوا ما تقدم. قوله: ﴿أءذا كنا تراباً﴾ كان فعل ماض ناقص ونا اسمها، و﴿تراباً﴾ خبرها، و﴿آباؤنا﴾ معطوف على اسم كان، وسوّغه

أئنا لمخرجون﴾ ٦٧: من القبور ﴿لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن﴾: ما ﴿هذا إلا أساطير الأولين﴾ ٦٨: جمع أسطورة بالضم أي ما سطر من الكذب ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ ٦٩: بإنكاره وهي هلاكهم بالعذاب ﴿ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون﴾ ٧٠: تسلية للنبي ﷺ أي لا تهتم بمكرهم عليك فإنا ناصروك عليهم ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾: بالعذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ ٧١: فيه ﴿قل عسى أن يكون ردف﴾: قرب ﴿لكم بعض الذي تستعجلون﴾ ٧٢: فحصل لهم القتل ببدر وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ ٧٣: فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾: تخفيه ﴿وما يعلنون﴾ ٧٤: بألسنتهم ﴿وما من غائبة في السماء والأرض﴾: الهاء للمبالغة أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿إلا في كتاب مبين﴾ ٧٥: بين هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل﴾: الموجودين في زمان نبينا ﴿أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ ٧٦: أي ببيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا ﴿وإنه لهدى﴾: من الضلالة ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ ٧٧: من العذاب ﴿إن ربك

الفصل بخبرها. قوله، ﴿لقد وعدنا هذا﴾ وعد فعل ماض، ونا نائب الفاعل مفعول أول، ﴿وهذا﴾ مفعول ثان، و﴿نحن﴾ تأكيد لنا، و﴿آباؤنا﴾ عطف على المفعول الأول، وسوغه الفصل بالمفعول الثاني والضمير المنفصل، والمعنى لقد وعدنا محمد بالبعث، كما وعد من قبله آباءنا به، فلو كان حقاً لحصل.

قوله: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ أمر تهديد لهم إشارة إلى أنهم إن لم يرجعوا، نزل بهم ما نزل بمن قبلهم. قوله: ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ أي لتعتبروا بهم فتنزجروا عن قبائحكم. قوله: [بإنكارهم] أي المجرمين. قوله: [بالعذاب] أي الدنيوي لأنه هو المشاهد آثاره. قوله: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي لا تغتم على عدم إيمانهم فيما مضى، ولا تخف من مكرهم في المستقبل، فالحزن غم لما مضى، والخوف غم لما يستقبل. قوله: ﴿ولا تكن﴾ بثبوت النون هنا وهو الأصل، وقد حذفت من هذا المضارع في القرآن في عشرين موضعاً، تسعة مبدوءة بالتاء، وثمانية بالياء، واثنان بالنون، وواحد بالهمزة وهو حذف غير لازم، قال ابن مالك:

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم

قوله: ﴿في ضيق﴾ بفتح الضاد وكسرها، قراءتان سبعيتان أي حرج. قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ خطاب للنبي ومن معه من المؤمنين. قوله: ﴿قل عسى﴾ الخ، الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق. قوله: [القتل ببدر] أي وغيره، وهذا هو العذاب المعجل. قوله: [وباقي العذاب] الخ، أي هو العذاب المؤجل. قوله: [ومنه] أي الفضل. قوله: ﴿ليعلم ما تكن صدورهم﴾ أي فالتأخير ليس لخفاء حالهم عليه. قوله: [الهاء للمبالغة] أي كرواية وعلامة، وسماها هاء باعتبار الوقف، ولو قال التاء لكان أسهل، وقيل إنها كالتاء الداخلة على المصادر، ونحو العاقبة والعافية، ونظيرها الذبيحة والنطيحة في أنها أسماء غير صفات. قوله: [ومكنون علمه] الواو بمعنى أو، لأنه تفسير ثان، فتسمية كتاباً على سبيل الاستعارة التصريحية، حيث شبه بالكتاب كالسجل الذي يضبط الحوادث ويحصيها ولا يشذ عنه شيء منها. قوله: ﴿أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ أي فقد نص بالتصريح على الأكثر، فلا ينافي قوله: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾، ومن جملته اختلافهم في شأن المسيح، وتفرقهم فيه فرقاً كثيرة، فوقع بينهم التباغض، حتى لعن بعضهم

﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾: كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ﴾: أي عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿الْعَلِيمُ﴾ ٧٨: بما يحكم به فلا
يمكن أحداً مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: ثق به ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ ٧٩:
أي الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ثم ضرب أمثالاً لهم بالموتى وبالصم وبالعمي فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ
الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ٨٠ ﴿وَمَا أَنتَ
بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن﴾: ما ﴿تُسْمِعُ﴾: سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿فَهُم
مُّسْلِمُونَ﴾ ٨١: مخلصون بتوحيد الله ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار
﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾: أي تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها

بعضاً: قوله: [أي عدله] دفع بذلك ما يقال إن القضاء مرادف للحكم فينحل المعنى يقضي بقضائه أو يحكم بحكمه فأجاب بأن المراد بالحكم العدل. قوله: [فلا يمكن أحداً مخالفته] الخ تفريع على العزيز، فكان المناسب تقديمه بلصقه. قوله: ﴿فتوكل على الله﴾ الخ تفريع على كونه عزيزاً عليماً، أي فإذا ثبتت له هذه الأوصاف فالواجب على كل شخص تفويض الأمور إليه والثقة به. قوله: ﴿إنك على الحق المبين﴾ علة للتوكل وكذا قوله: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾. قوله: [بينها وبين الياء] أي فتقرأ متوسطة بين الهمزة والياء والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿مدبرين﴾ أي معرضين. قوله: ﴿بهادي العمي﴾ ضمنه معنى الصرف فعداه بعن. قوله: ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ أي من سبق في علم الله أنه يكون مؤمناً ومن هنا قولهم لولا السابقة ما كانت اللاحقة. قوله: ﴿وإذا وقع القول﴾ أي قرب وقوعه، وإنما عبر بالماضي لحصوله في علم الله لأن الماضي والحال والاستقبال في علم الله واحد لإحاطته بها، والمراد بالقول: مواعيد القرآن بالفضائح والخزي والعذاب الدائم وغير ذلك للكفار. قوله: [حق العذاب] تفسير لوقع والمعنى قرب نزوله بهم. قوله: ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ أي وهي الجساسة، ورد في الحديث «أن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم عليه السلام، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب» وروي أن لها أربع قوائم، ولها زغب وريش وجناحان، وعن ابن جريج في وصفها: رأس ثور، وعين خنزير، وأذن فيل، وقرن إيل، وعنق نعامة، وصدر أسد، ولون نمر، وخاصرة هرة، وذنب كبش، وخف بعير، وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن علي رضي الله عنه: أنها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون، فلا يخرج كل يوم إلا ثلثها. وعن النبي ﷺ أنه سئل من أين تخرج الدابة، فقال: من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى، يعني المسجد الحرام. وروي أنها تخرج ثلاث خرجات، تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهراً طويلاً، فبينما الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها، فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد. وقيل تخرج من الصفا لما روي: «بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم، أي تتحرك تحرك القنديل، وتنشق الصفا مما يلي المسعى، فتخرج الدابة من الصفا، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام، فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا، فتنكت نكتة بيضاء، فتفشو حتى يضيء بها وجهه، وتكتب بين عينيه مؤمن، وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه، فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه، وتكتب بين عينيه كافر، ثم تقول لهم: أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار». وروي أن أول الآيات خروجاً، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها، واختلف أيضاً في تعيين هذه الدابة فقيل هي فصيل ناقة صالح، وهو أصح الأقوال، فإنه لما عقرت أمه هرب، فانفتح له حجر فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه الحجر، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عز وجل، وقيل غير ذلك.

عنا ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾: أي كفار مكة وعلى قراءة فتح همزة أنّ تقدر الباء بعد تكلمهم ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ٨٢: أي لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾: جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾: وهم رؤساؤهم المتبوعون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ٨٣: أي يجمعون برد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا﴾: مكان الحساب ﴿قَالَ﴾: تعالى لهم ﴿أَكَذَّبْتُم﴾: أنبيائي ﴿بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا﴾: من جهة تكذيبكم ﴿بِهَا عِلْمًا أَمَّا﴾: فيه إدغام ما الاستفهامية ﴿ذَا﴾: موصول أي ما الذي ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٨٤: مما أمرتم به ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾: حق العذاب ﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا﴾: أي أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ ٨٥: إذ لا حجة لهم ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾: خلقنا ﴿ٱللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾: كغيرهم ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٨٦: خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: القرن النفخة الأولى من إسرافيل ﴿فَفَزِعَ مَن

قوله: [تقول لهم] تفسير لتكلمهم. قوله: [عنا] متعلق بمحذوف، أي حال كونها حاكية وناقلة لما تقول [عنا] بأن تقول: قال الله ﴿إن الناس﴾ الخ. قوله: [أي كفار مكة] المناسب حمل الناس على الموجودين وقت خروجها من الكفار.

قوله: [وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء] أي للتعدية أو للسببية، وأما على قراءة الكسر، فهو مستأنف من كلامه تعالى تقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل، والقراءتان سبعيتان. قوله: [ينقطع الأمر بالمعروف الخ] أي لعدم إفادة ذلك، لأنه في ذلك الوقت يظهر المؤمن والكافر عياناً بوسم الدابة، فمن وسمته بالكفر لا يمكن تغييره، فحينئذ لا ينفع أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، ووجد في بعض النسخ، ولا يبقى منيب ولا تائب ولا يؤمن كافر، أي لا يوجد في هذا الوقت من يتوب إلى الله أي يرجع إليه، ولا تقبل توبة تائب من العصاة ولا إيمان كافر.

قوله: ﴿ويوم نحشر﴾ أي الحشر الخاص بهم للعذاب، بعد انفضاض الحشر العام لجميع الخلق. قوله: ﴿من كل أمة﴾ ﴿من﴾ تبعيضية، وقوله: ﴿ممن يكذب﴾ بيانية للفوج. قوله: ﴿فوجاً﴾ الفوج في الأصل الجماعة المارة المسرعة، ثم أطلق على الجماعة مطلقاً. قوله: [رؤساؤهم] أي كأبي جهل وأبي بن خلف وفرعون وقارون والنمرود وغيرهم من رؤساء الضلال، فكل رؤساء زمن نحشرهم على حدة. قوله: [يرد آخرهم إلى أولهم] المناسب أن يقول: يرد أولهم على آخرهم، أي يحبس أولهم ويوقف حتى يأتي آخرهم، ويجتمعون حتى يساقون.

قوله: ﴿أكذبتم بآياتي﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، والمعنى أنكرتموها وجحدتموها. قوله: ﴿ولم تحيطوا بها علماً﴾ الجملة حالية مؤكدة للانكار والتوبيخ، والمعنى أنكرتموها من غير فهمها وتأملها، فهم مؤاخذون بالجهل والكفر. قوله: ﴿أمّاذا﴾ أم منقطعة بمعنى بل، وما اسم استفهام أدغمت ميم أم في ما. قوله: [فيه إدغام ما الاستفهامية] أي الإدغام فيها. قوله: [حق العذاب] أي نزل بهم وهو كبهم في النار. قوله: ﴿فهم لا ينطقون﴾ أي بحجة واعتذار. قوله: ﴿ألم يروا﴾ أي يعلموا. قوله: ﴿أنا جعلنا الليل﴾ أي مظلماً بدلالة قوله: ﴿والنهار مبصراً﴾ عليه كما حذف ليتصرفوا فيه من قوله: ﴿والنهار مبصراً﴾ بدلالة قوله: ﴿ليسكنوا فيه﴾ عليه، ففي الآية احتباك. قوله: [بمعنى يبصر فيه] أي فالإسناد مجازي من الإسناد إلى الزمان. قوله: [ليتصرفوا فيه] أي بالسعي في مصالحهم. قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي الجعل المذكور. قوله: [دلالات على قدرته تعالى] أي من حيث اختلاف الليل والنهار والظلمة.

قوله: ﴿ويوم ينفخ في الصور﴾ معطوف على قوله: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾. قوله: [النفخة الأولى]

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى فصعق والتعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: أي جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وعن ابن عباس هم الشهداء إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿وَكُلٌّ﴾: تنوينه عوض عن المضاف إليه أي وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَتَوْهُ﴾: بصيغة الفعل واسم الفاعل ﴿دَاخِرِينَ﴾ ٨٧: صاغرين والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾: تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسَبُهَا﴾: تظنها ﴿جَامِدَةً﴾: واقفة مكانها لعظمها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾: المطر إذا ضربته الريح أي تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبسوسة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثوراً ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾: مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله أي صنع الله ذلك صنعاً ﴿الَّذِي

أي وتسمى نفخة الصعق، ونفخة الفزع فعبّر عنها بالفزع، وفي سورة الزمر بالصعق، قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ الخ، فعند حصولها يموت كل حي ما عدا ما استثني، وأما النفخة الثانية فعندها يحيا كل من كان ميتاً، فالنفخة اثنتان وبينهما أربعون سنة، وقيل إنها ثلاث: نفخة الزلزلة وذلك حين تسير الجبال وترتج الأرض بأهلها، ونفخة الموت، ونفخة الإحياء، والقول الأول هو المشهور، والصحيح في الصور أنه قرن من نور خلقه الله وأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخص ببصره إلى العرش، ينتظر متى يؤمر بالنفخة، وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء، والأرض، ويسمى بالبوق في لغة اليمن. قوله: [من إسرافيل] أي وهو أحد الرؤساء الأربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

قوله: ﴿من في السموات ومن في الأرض﴾ أي من كل من كان حياً في ذلك الوقت. قوله: [أي خافوا الخوف المفضي إلى الموت] أي استمر بهم الخوف إلى أن ماتوا به. قوله: [والتعبير بالماضي] الخ جواب عما يقال: إن الفزع مستقبل فلم عبّر بالماضي؟ فأجاب بأنه لتحققه نزل منزلة الواقع، لأن الماضي والحال والاستقبال بالنسبة لعلمه تعالى واحد لتعلق العلم به. قوله: [أي جبريل] الخ، أي فهؤلاء الأربعة لا يموتون عند النفخة الأولى بخلاف باقي الملائكة، وإنما يموتون بين النفختين، ويحيون قبل الثانية. قوله: [وعن ابن عباس هم الشهداء] وقيل أهل الجنة من الحور العين والولدان وخزنة الجنة والنار، وقيل: موسى، وقيل جميع الأنبياء. قوله: [إذ هم أحياء] أي حياة برزخية لا تزول ولا تحول، ولكن ليست كحياة الدنيا. قوله: [أي كلها] أي المخلوقات من صعق ومن لم يصعق. قوله: [بصيغة الفعل] أي الماضي، فيقرأ بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة وواو ساكنة. قوله: [واسم الفاعل] أي فيقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو، وأصله آتون له، حذفت اللام للتخفيف والنون للإضافة، والقراءتان سبعيتان. قوله: [صاغرين] أي أذلاء لهيبة الله تعالى، فيشمل الطائع والعاصي، وليس المراد ذل المعاصي، والمعنى أن إسرافيل حين ينفخ في الصور النفخة الثانية التي بها يكون إحياء الخلق، يأتي كل إنسان ذليلاً لهيبة الله تعالى.

قوله: ﴿وترى الجبال﴾ عطف على قوله: ﴿ينفخ﴾. قوله: [وقت النفخة] أي الثانية، لأن تبديل الأرض وتسيير الجبال وتسوية الأرض، إنما يكون بعد النفخة الثانية، كما يشهد به قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ الآية. قوله: [لعظمها] أي وذلك لأن الأجرام الكبار، إذا تحركت مرة واحدة، لا تكاد تبصر حركتها. قوله: [المطر] الصواب إبقاء اللفظ على ظاهره، لأن تفسير السحاب بالمطر لم يقله أحد، ولعل الباء سقطت من قلم المصنف، والأصل من السحاب بالمطر. قوله: [حتى تقع] أي الجبال على الأرض. قوله: [مبسوسة] أي مفتتة كالرمل السائل. قوله: [كالعهن] أي الصوف المنفوش. قوله: [مؤكد لمضمون الجملة قبله] أي لأن ما تقدم من نفخ الصور وتسيير الجبال وغير ذلك، إنما هو من صنع الله لا غيره.

﴿أَتْقَنَ﴾: أحكم ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: صنعه ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ⁸⁸: بالياء والتاء أي أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾: أي لا إله إلا الله يوم القيامة ﴿فَلَهُ خَيْرٌ﴾: ثواب ﴿مِنْهَا﴾: أي بسببها وليس للتفضيل إذ لا فعل خير منها وفي آية أخرى عشر أمثالها ﴿وَهُمْ﴾: أي الجاؤون بها ﴿مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾: بالإضافة وكسر الميم وفتحها وفزع منوناً وفتح الميم ﴿ءَامِنُونَ﴾ ⁸⁹ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: أي الشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾: بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى ويقال لهم تبكيتاً ﴿هَلْ﴾: أي ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾: جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ⁹⁰: من الشرك والمعاصي قل لهم ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ﴾: أي مكة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾: أي جعلها حرماً آمناً لا يسفك فيها دم إنسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها وذلك من النعم على قريش أهلها في رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وَلَهُ﴾: تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ⁹¹: لله بتوحيده ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ

قوله: ﴿الذي أتقن كل شيء﴾ أي وضعه في محله على أكمل حالاته. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي لا إله إلا الله] إنما حمله على هذا التفسير ذكر المقابل لأن الكب في النار ليس بمطلق سيئة، بل إنما يكون بالكفر وهو يقابل الإيمان، وحينئذ فأل في الحسنة للعهد، أي الحسنة المعهودة وهي كلمة التوحيد، وقيل الحسنة كل عمل خير من صلاة وزكاة وصدقة وغير ذلك من وجوه البر.

قوله: ﴿فله خير منها﴾ أي وهو الخلود في الجنة. قوله: [أي بسببها] أشار بذلك إلى أن ﴿من﴾ للسببية، ويصح أن تكون للتعليل، أي من أجل مجيئه بها. قوله: [وليس للتفضيل] أي ليس خير أفعل تفضيل، لأنه ليس عبادة أفضل من لا إله إلا الله، ويؤيد ما قاله المفسر ما روي عن ابن عباس أنه قال له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء من خير من الإيمان فلا، لأنه لا شيء خير من لا إله إلا الله. قوله: [بالإضافة] أي إضافة فزع لليوم. قوله: [وكسر الميم] أي للإعراب، وقوله: [وفتحها] أي فتحة بناء وهي قراءة ثانية في الإضافة، وقوله: [فزع منوناً] معطوف على قوله: [بالإضافة] فتكون القراءات ثلاثاً سبعيات، فكان الأوضح أن يعبر بأو بدل الواو في الأخير.

قوله: ﴿آمنون﴾ أي لا يصيبهم منه شيء، والمراد بالفزع هنا الخوف من العذاب والفزع المتقدم الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة في ذلك اليوم، فلا تنافي بين إثباته فيما تقدم ونفيه هنا. قوله: ﴿فكبت وجوههم﴾ أي ألقوا عليها في النار. قوله: [ويقال لهم] أي وقت كبهم على وجوههم في النار، والقائل لهم خزنتها. قوله: [أي ما] ﴿تجزون﴾ الخ أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي. قوله: [قل لهم] ﴿إنما أمرت﴾ الخ أمر ﷺ بأن يقول لهم ما ذكر، بعد بيان ما يحصل في المعاد، إشارة إلى أن عبادة الله هي المقصودة بالذات له، آمنوا أو كفروا، فيتسبب عن ذلك اهتمامهم بأمر أنفسهم، ورجوعهم عما يوجب نقصانهم.

قوله: ﴿الذي حرمها﴾ صفة للرب ولا يعارضه قوله ﷺ: «إن ابراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة» لأن اسناد التحريم لله باعتبار حكمه وقضائه، واسناد التحريم لإبراهيم باعتبار اخباره بذلك وإظهاره. قوله: [ولا يختلى خلاها] أي لا يقطع حشيشها الرطب. قوله: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أي أثبت على ما كنت عليه. قوله: ﴿وأن أتلوا

﴿ٱلْقُرْآنَ﴾: عليكم تلاوة الدعوى إلى الإيمان ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: له ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: أي لأجلها فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ﴾: عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فقل﴾: له ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ ٩٢: المخوفين فليس عليَّ إلا التبليغ وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾: فأراهم الله يوم بدر القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ٩٣: بالياء والتاء وإنما يمهلهم لوقتهم.

القرآن﴾ أي أواظب عليه لتكشف لي حقائقه ودقائقه، لأن علوم القرآن كثيرة، فتكرار التلاوة أزداد علوماً ومعارف، وفي هذه الآية إشعار أن تلاوة القرآن أعظم العبادات قدراً عند الله.

قوله: ﴿فمن اهتدى﴾ ﴿له﴾ أي للإيمان. قوله: ﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ هو جواب الشرط، والرابط محذوف قدره المفسر بقوله له. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أي فهو منسوخ. قوله: ﴿وقل الحمد لله﴾ أي على ما أعطاني من النعم العظيمة التي أجلها النبوة التي بها إرشاد الخلق لصلاحهم. قوله: ﴿سيريكم آياته﴾ أي في الدنيا. قوله: [وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم] أي وجوه الذين قتلوا وأدبارهم. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى هو وعيد محض، وعلى الثانية فيه وعد للطائعين ووعيد للعاصين.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٢٨] ـ سورة القَصَص

[مكّيّة إلاّ ﴿إن الذي فرض﴾ الآيةَ نزلت بالجُحفة وإلا ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إلى ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ وهي سبع أو ثمان وثمانون آية]

﴿طسٓمٓ﴾[١]: الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾: أي هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: الإضافة بمعنى مِنْ ﴿الْمُبِينِ﴾[٢]: المظهر الحَقّ من الباطل ﴿نَتْلُوا﴾: نقصّ ﴿عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ﴾: خبر ﴿مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾: الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣]: لأجلهم لأنهم المنتفعون به ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾: تعظم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القصص مكية

إلا ﴿إن الذي فرض﴾ الآية نزلت بالجحفة. وإلا ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إلى قوله ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾

وهي سبعة أو ثمان وثمانون آية

سَميت بذلك لاشتمالها على الحكايات والأخبار المروية عن الله، لأن القصص مصدر بمعنى الإخبار، وتسمى أيضاً سورة موسى. قوله: [نزلت بالجحفة] أي حين خرج رسول الله ﷺ من الغار ليلاً مهاجراً في غير الطريق مخافة الطلب، فلمّا رجع إلى الطريق ونزل بالجحفة، عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها، فنزلت تلك الآية تسلية وتبشيراً له، بأنه يرجع إلى مكان عوده وهو مكة أحسن مرجع، ومن هنا صح استعمال هذه الآية للعارفين عند توديع المسافر، وقيل المعاد الموت، وقيل الآخرة، وكل صحيح، وهذه الآية ليست مكية ولا مدنية لأنها لم تنزل قبل الهجرة، ولم تنزل بعد استقرارها، بل نزلت بالطريق. قوله: [إلى قوله: لا نبتغي الجاهلين] أي وهو أربع آيات. قوله: [أي هذه الآيات] أي آيات هذه السورة والإشارة لمحقق حاضر في علم الله تعالى.

قوله: ﴿نتلو عليك﴾ مفعوله محذوف أي شيئاً. قوله: ﴿من نبإ﴾ صفة لذلك المحذوف، ويصح أن تكون ﴿مِنْ﴾ اسم بمعنى بعض هي المفعول، أو زائدة على مذهب الأخفش، و﴿نبأ﴾ هو المفعول. قوله: ﴿بالحق﴾ حال إما من فاعل ﴿نتلو﴾ أو من مفعوله، والمعنى حال كوننا ملتبسين بالصدق، أو كون الخبر ملتبساً بالصدق. قوله: [لأجلهم] أشار بذلك إلى أن اللام للتعليل، أي إن المقصود بالذكر المؤمنون، لأنهم هم المنتفعون بذلك، قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء، ورحمة للمؤمنين﴾.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً﴾: فرقاً في خدمته ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً﴾: ﴿مِّنْهُمْ﴾: هم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾: المولودين ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَآءَهُمْ﴾: يستبقيهن أحياء لقول بعض الكهنة له أن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ٤: بالقتل وغيره ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ﴾ ٥: ملك فرعون ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلأَرْضِ﴾: أرض مصر والشام ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾: وفي قراءة ويرى بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿مِنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ ٦: يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾: وحي إلهام أو منام ﴿إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾: وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾: البحر أي النيل ﴿وَلاَ تَخَافِي﴾: غرقه ﴿وَلاَ تَحْزَنِي﴾: لفراقه ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ٧: فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي وخافت عليه فوضعته في تابوت مطلى بالقار من داخل ممهد له فيه وأغلقته وألقته في بحر النيل ليلاً ﴿فَٱلْتَقَطَهُ﴾: بالتابوت صبيحة الليل ﴿آلُ﴾: أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾:

قوله: ﴿إن فرعون﴾ كلام مستأنف بيان للنبأ. قوله: [تعظم] أي تكبر وافتخر. قوله: ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ أي أصنافاً، فجعل الصنائع الشريفة والامارة للقبط، وجعل الصنائع الخسيسة لبني إسرائيل، من بناء وحرث وحفر وغير ذلك، ومن لم يستعمله ضرب عليه جزية. قوله: ﴿يذبح أبناءهم﴾ بدل اشتمال من قوله: ﴿يستضعف﴾ الخ، وذلك أن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا المعاصي، فسلط الله عليهم القبط، فاستضعفوهم وذبحوا أبناءهم بأمر فرعون، قيل إنه ذبح سبعين ألفاً، إلى أن أنجاهم الله على يد موسى عليه السلام. قوله: ﴿إنه كان من المفسدين﴾ أي الراسخين في الفساد. قوله: [بالقتل وغيره] أي كدعوى الألوهية. قوله: ﴿ونريد أن نمن﴾ أي نتفضل عليهم بإنجائهم من بأسه. قوله: [يقتدى بهم] أي بعد أن كانوا أذلاء مسخرين. قوله: ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ أي نملكهم مصر والشام يتصرفون فيها كيف يشاؤون. قوله: ﴿ونري فرعون﴾ أي نبصره، و﴿فرعون﴾ وما عطف عليه مفعول أول، و﴿ما كانوا يحذرون﴾ مفعول ثان. قوله: [وفي قراءة] أي وعليها فلها مفعول واحد فقط وهو قوله: ﴿ما كانوا يحذرون﴾ وعلى هذه فتجب امالة الراء إمالة محضة. قوله: [ورفع الأسماء الثلاثة] أي على الفاعلية. قوله: ﴿منهم﴾ أي المستضعفين. قوله: [يخافون من المولود] الخ، أي وقد حصل ما خافوه، حين أتتهم معجزات موسى عليه السلام، وحين أدركهم الغرق. قوله: [وحي إلهام أو منام] هذان قولان للمفسرين، وقيل كان بملك تمثل لها، واعترض بأنها ليست بنبية، وأجيب بأن الممنوع نزول الملائكة على غير الأنبياء بالشرائع، وأما بغيرها فجائز، كنزول الملك على البار بأمه التي تقدمت قصته في البقرة. قوله: ﴿إلى أم موسى﴾ أي واسمها يوحانذ بضم الياء وكسر النون وبالذال المعجمة، وقيل لوخا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب، وقد اشتملت هذه الآية على أمرين وهما ﴿أرضعيه﴾ و﴿ألقيه﴾، ونهيين وهما ﴿لا تخافي﴾ و﴿لا تحزني﴾، وخبرين وبشارتين وهما ﴿إنا رادوه إليك﴾ و﴿جاعلوه من المرسلين﴾ فهما خبران تضمنا بشارتين. قوله: ﴿أن أرضعيه﴾ يصح أن تكون مفسرة أو مصدرية. قوله: ﴿فإذا خفت عليه﴾ أي من الذبح. قوله: ﴿ولا تخافي﴾ [غرقه] دفع بذلك التناقض بين إثبات الخوف ونفيه، فالمثبت هو خوف الذبح، والمنفي هو خوف الغرق. قوله: ﴿إنا رادوه إليك﴾ أي لتأمني عليه، وهو علة للنهي عن الخوف والحزن. قوله: [فوضعته في تابوت] أي وكان طوله خمسة أشبار وعرضه كذلك، وجعلت المفتاح في التابوت. قوله: [مطلي بالقار] أي الزفت. قوله: [ممهد] أي مفرش له فيه، ففرشت في قطناً محلوجاً. قوله: [وأغلقته] أي وقيرت رأسه.

وحاصله: أن أم موسى لما تقاربت ولادتها، وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالي بني إسرائيل مصافية لأم موسى ومصاحبة لها، فلما ضربها الطلق، أرسلت إليها فقالت: قد نزل بي ما نزل، فليسعفني حبك إياي اليوم بمعالجتها، فلما أن وقع موسى بالأرض هالها نور بين عيني موسى، فارتعش كل مفصل فيها، ودخل حب موسى قلبها، ثم قالت القابلة لها: يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني، إلا ومرادي قتل مولودك، ولكن وجدت لابنك هذا حباً، ما وجدت حب شيء مثل حبه، فاحفظي ابنك، فلما خرجت القابلة من عندها، أبصرها بعض العيون فجاؤوا على بابها ليدخلوا على أم موسى، فقالت أخته: يا أماه هذا الحرس بالباب، فلفت موسى بخرقة وألقته في التنور وهو مسجور، وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع، قال: فدخلوا فإذا التنور مسجور، ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن، فقالوا: ما أدخل عليك القابلة؟ فقالت: هي مصافية لي، فدخلت علي زائرة. فخرجوا من عندها، فرجع لها عقلها فقالت لأخت موسى: وأين الصبي؟ فقالت: لا أدري، فسمعت بكاء الصبي من التنور، فانطلقت إليه وقد جعل الله عليه النار برداً وسلاماً فاحتملته، ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان، خافت على ابنها، وقذف الله في نفسها أن تتخذ تابوتاً، ثم تقذف التابوت في النيل، فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون، فاشترت منه تابوتاً صغيراً، فقال النجار: ما تصنعين بهذا التابوت؟ فقالت: لي ابن أخبؤه في التابوت، وكرهت الكذب ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به، انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى، فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام، وجعل يشير بيده، فلم يدر الأمناء ما يقول، فأعياهم أمره، قال كبيرهم: اضربوه. فضربوه وأخرجوه، فلما انتهى النجار إلى موضعه، رد الله عليه لسانه فتكلم، فانطلق أيضاً يريد الأمناء، فأتاهم ليخبرهم، فأخذ لسانه وبصره، فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً، فضربوه وأخرجوه، فبقي حيران، فجعل لله عليه إن رد لسانه وبصره، أن لا يدل عليه، وأن يكون معه ويحفظه حيث ما كانوا، وعرف الله منه الصدق، فرد عليه لسانه وبصره، فخر لله ساجداً وقال: يا رب دلني على هذا العبد الصالح، فدله الله عليه، فآمن به وصدقه. وقيل: لما حملت أم موسى به، كتمت أمرها عن جميع الناس، فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله، وذلك شيء ستره الله تعالى، لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل، فلما كانت السنة التي ولد فيها، بعث فرعون القوابل إليهن، ففتشن النساء تفتيشاً، لم يفتشن قبل ذلك مثله، وحملت أم موسى. فلم يتغير لونها، ولم تكبر بطنها، وكانت القوابل لا يتعرضن لها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها، ولدته ولا رقيب لها ولا قابلة، ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم، وأوحى الله إليها ﴿**أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم**﴾ وهو البحر ليلاً، وكان لفرعون يومئذ بنت، لم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه، وكان بها برص شديد، وكان فرعون قد جمع لها الأطباء والسحرة، فنظروا في أمرها فقالوا: أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر، فيوجد فيه شبه الإنسان، فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم، كذا، في شهر كذا، حين تشرق الشمس، فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس له كان على شفير النيل، وكان معه امرأته آسية بنت مزاحم، وأقبلت بنت فرعون في جواريها، حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها، تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن، إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج، فقال فرعون: إن هذا لشيء في البحر قد تعلق بشجرة ائتوني به، فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه، وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها، فعالجته ففتحت الباب، فإذا هي بصبي صغير في التابوت، وإذا النور بين عينيه، وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمص منها لبناً، فألقى الله محبته في قلب آسية، وأحبه فرعون وعطف عليه، وأقبلت بنت فرعون، فلما أخرجوا الصبي من التابوت، عمدت إلى ما يسيل من ريقه، فلطخت به برصها، فبرئت في الحال بإذن الله تعالى، فقبلته وضمته إلى صدرها، فقال

فوضعوه بين يديه وفتح وأخرج موسى منه وهو يمص من إبهامه لبناً ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾: في عاقبة الأمر ﴿عَدُوًّا﴾: يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾: يستعبد نساءهم وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كأحزنه ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾: وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝٨﴾: من الخطيئة أي عاصين فعوقبوا على يديه ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾: وقد هم مع أعوانه بقتله هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾: فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾: بعاقبة أمرهم معه ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾: لما علمت بالتقاطه ﴿فَارِغًا﴾: مما سواه ﴿إِن﴾: مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾: أي بأنه ابنها

الغواة من قوم فرعون: أيها الملك، إنا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا، رمي به في البحر خوفاً منك، فهم فرعون بقتله فقالت آسية: ﴿قرة عين لي لك، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا﴾ أي فنصيب منه خيراً ﴿أو نتخذه ولداً﴾، وكانت آسية لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها، وقال فرعون: أما أنا فلا حاجة لي فيه، قال رسول الله ﷺ: لو قال فرعون يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها، فقيل لآسية: سميه: فقالت: سميته موسى، لأنا وجدناه في الماء والشجر، لأن مو هو الماء، وشا هو الشجر، فأصل موسى بالمهملة موشى بالمعجمة.

قوله: ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ عطف على ما قدره المفسر بقوله: [فأرضعته] الخ. قوله: [صبيحة الليل] أي وكان يوم الاثنين. قوله: [وفتح] أي فتحته آسية بعد أن عالجوه بالفتح والكسر فلم يقدروا. قوله: [في عاقبة الأمر] أشار بذلك إلى أن اللام للعاقبة والصيرورة لا للعلة، لأن علة التقاطهم أن يكون حبيباً وابناً، ففي الآية استعارة تبعية في متعلق معنى الحرف، يقدر تشبيه ترتب نحو العداوة والحزن، على نحو الالتقاط بترتب العلة الغائبة في المحبة والتبني بجامع مطلق الترتب الأعم من الطرفين، فالترتب الثاني متعلق معنى اللام، فقدر استعارة الترتب الكلي المشبه به بالترتب الكلي المشبه، فسرى التشبيه لمعنى اللام الذي هو الترتب مع الجزئي، فاستعير لفظ اللام واستعمل في الترتيب الجزئي، والعداوة والحزن قرينة، أفاده الملوي. قوله: [وفي قراءة] الخ، أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [من حزنه] هو من باب ضرب ونصر. قوله: [فعوقبوا على يديه] أي إنه تربى على أيديهم، فهو أبلغ في إذلالهم.

قوله: ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ أي وهي آسية بنت مزاحم، وكانت من خيار النساء، قيل كانت من ذرية الريان بن الوليد الذي كان في زمن يوسف الصديق عليه السلام، وقيل من بنات الأنبياء من بني إسرائيل من سبط موسى عليه السلام، وقيل كانت عمته فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الولد أكبر من ابن سنة، وأنت تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي، وقيل إنها قالت له: إنه أتى من أرض أخرى، ليس هو من بني إسرائيل. قوله: [هو] ﴿قرة عين﴾ أشار المفسر إلى أنه خبر لمحذوف. قوله: ﴿عسى أن ينفعنا﴾ الخ أي لما رأت فيه من العلامات الدالة على النجابة والبركة. قوله: [فأطاعوها] أي على عادة أمراء مصر، من كونهم يطيعون النساء فيما يقلنه. قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ حال من آل فرعون.

قوله: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى﴾ يصح أن يبقى أصبح على ظاهره إن ثبت أنه ألقته ليلاً أو يجعل بمعنى صار إن كانت ألقته نهاراً. قوله: ﴿فارغاً﴾ [مما سواه] أي من التفكر في غيره، كما ورد أنه أتاها الشيطان وقال: كرهت أن يقتل فرعون ابنك، فيكون لك أجره وثوابه، وتوليت أنت قتله فأغرقتيه في البحر! فحزنت لذلك وانحصرت فكرتها فيه ونسيت ما أوحي به إليها. قوله: ﴿لتبدي به﴾ ضمنه معنى تصرح فعداه بالباء، ويصح أن يبقى على ظاهره، وتكون الباء زائدة أي تظهره.

﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾: بالصبر أي سكناه ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٠: المصدقين بوعد الله وجواب لولا دل عليه ما قبلها ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾: مريم ﴿قُصِّيهِ﴾: أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾: أبصرته ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾: من مكان بعيد اختلاساً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١١: أنها أخته وإنها ترقبه ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾: أي قبل رده إلى أمه أي منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾: أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ﴾: لما رأت حنوهم عليه ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾: بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ ١٢: وفسرت ضمير له بالملك جواباً لهم فأجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن فأذن لها في إرضاعه في بيتها فرجعت به كما قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: بلقائه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾: حينئذ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: برده إليها ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾: أي الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٣: بهذا الوعد ولا بأن هذه أخته وهذه أمه فمكث عندها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار وأخذتها لأنها مال حربي فأتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: وهو ثلاثون سنة أو ثلاث ﴿وَاسْتَوَى﴾: أي بلغ أربعين سنة ﴿آتَيْنَاهُ

قوله: ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ جوابها محذوف أي لأبدت به كما أشار له المفسر. قوله: [بوعد الله] أي المدلول عليه بقوله: ﴿إنا رادوه إليك﴾ الخ. قوله: ﴿لأخته﴾ أي شقيقته. قوله: [مريم] هو أحد أقوال، وقيل اسمها كلثمة وقيل كلثوم. قوله: ﴿عن جنب﴾ حال إما من الفاعل أو من الضمير المجرور بالباء، أي أبصرته مستخفية كائنة عن جنب وأبصرته بعيداً منها. قوله: [اختلاساً] أي اختفاء. قوله: [وأنها ترقبه] أي تنظره.

قوله: ﴿وحرمنا عليه﴾ أي على موسى. قوله: ﴿من قبل﴾ هو ظرف مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه. قوله: [أي منعناه] أشار بذلك إلى أن المراد من التحريم لازمه وهو المنع، لأن الصبي ليس من أهل التكليف. قوله: [من المراضع المحضرة] أي التي احضرها فرعون. قوله: ﴿وهم له ناصحون﴾ أي مخلصون في العمل من شوائب الفساد. قوله: [حنوهم عليه] أي عطفهم وميلهم إليه. قوله: [وغيره] أي كالتربية واصلاح الحال. قوله: [فقبل ثديها] أي بعد أن مكث عندهم ثمانية أيام لا يقبل ثدي مرضعة أصلاً، قيل أن هامان لما سمع قولها ﴿وهم له ناصحون﴾ قال إنها لتعرفه وأهله، فخذوها واحبسوها حتى تخبر بحاله، فقالت: إنما أردت وهم له أي للملك ناصحون، فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله، فأتت بأم موسى وهو على يد فرعون يبكي طالباً للرضاع، وهو يعلله شفقة عليه، فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها، فقال لها: من أنت منه، فقد أبى كل ثدي إلا ثديك: فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن، لا أكاد أوتى بصبي إلا قبلني، فدفعه إليها وقال لها: أقيمي عندنا لإرضاعه، فقالت: لا أقدر على فراق بيتي، فإن رضيتم أرضعته في بيتي، وإلا فلا حاجة لي فيه، وأظهرت الزهد فيه نفياً للتهمة عنها، فرضوا بذلك، فرجعت إلى بيتها من يومها، ولم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها وأتحفها بالذهب والجواهر.

قوله: ﴿كي تقر عينها﴾ أي تبرد وتسكن من ألم الفراق. قوله: ﴿ولا تحزن﴾ عطف على ﴿تقر﴾ منصوب بأن مضمرة بعد ﴿كي﴾. قوله: [فمكث عندها إلى أن فطمته] أي وهو سنتان. قوله: [وأخذتها لأنها مال حربي] جواب عما يقال: كيف جاز لها أن تأخذ أجرة منه على إرضاع ولدها؟ قوله: [أو وثلاث] أو لتنويع الخلاف. قوله: [أي بلغ أربعين سنة] المناسب أن يقول أي كمل عقله وانتهى شبابه، لأن موسى أقام في مصر ثلاثين سنة، ثم ذهب إلى مدين وأقام فيها

حُكْماً﴾: حكمة ﴿وَعِلْماً﴾: فقهاً في الدين قبل أن يُبعث نبياً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما جزيناه ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ١٤: لأنفسهم ﴿وَدَخَلَ﴾: موسى ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾: مدينة فرعون وهو منف بعد أن غاب عنه مدة ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾: وقت القيلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ﴾: أي إسرائيل ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾: أي قبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾: فقال له موسى خل سبيله فقيل إنه قال لموسى لقد هممت أن أحمله عليك ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾: أي ضربه بجمع كفه وكان شديد القوة والبطش ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾: أي قتله ولم يكن قصد قتله ودفنه في الرمل ﴿قَالَ هَٰذَا﴾: أي قتله ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: المهيج غضبي ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾: لابن آدم ﴿مُّضِلٌّ﴾: له ﴿مُّبِينٌ﴾ ١٥: بين الإضلال ﴿قَالَ﴾: نادماً ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: بقتله ﴿فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ١٦: أي المتصف بهما أزلاً وأبداً ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ﴾: بحق إنعامك ﴿عَلَيَّ﴾: بالمغفرة اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً﴾: عوناً ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ ١٧: الكافرين بعد هذه إن عصمتني ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ﴾: ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾: يستغيث به على قبطي آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ ١٨: بين الغواية لما فعلته أمس

عشر سنين، ووقعة قتل القبطي كانت قبل ذهابه لمدين، فهي السبب فيه. قوله: [كما جزيناه] أي مثل ذلك الذي فعلناه بموسى وأمه، نجزي المحسنين على إحسانهم. قوله: [منف] بضم فسكون ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث أو العجمة، وهي من أعمال مصر، وقيل هي قرية يقال لها أم خنان على فرسخين من مصر، وقيل هي مدينة عين الشمس، وقيل هي مصر. قوله: [وقت القيلولة] وقيل بين المغرب والعشاء، وسبب دخوله المدينة في ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن فرعون، وكان يركب مراكبه، ويلبس لباسه، فركب فرعون يوماً وكان موسى غائباً، فلما قدم قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب موسى في أثره، فأدركه المقيل في أرض منف، فدخلها ليس في طرقها أحد. قوله: ﴿وهذا من عدوه﴾ أي وكان طباخاً لفرعون واسمه فليثون، وأراد أن يسخر الإسرائيلي لحمل الحطب.

قوله: ﴿فاستغاثه﴾ أي طلب غوثه ونصره. قوله: [أن أحمله] أي الحطب. قوله: ﴿فوكزه موسى﴾ أي دفعه بجمع كفه، وأما اللكز فهو الضرب بأطراف الأصابع. قوله: [بجمع كفه] أي بكفه مجموعة، فهو من إضافة الصفة للموصوف. قوله: ﴿فقضى عليه﴾ أي أوقع عليه القضاء وهو الموت. قوله: [ولم يكن قصد قتله] جواب عما يقال: كيف تجرأ على قتل القبطي؟ وحاصل إيضاح الجواب: أن قتله كان خطأ، وقد يقال: قتله من باب دفع الصائل وهو واجب، والاستغفار من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾ نسبته للشيطان من حيث إنه لم يؤمر بقتل القبطي، وظهر له أن قتله خلاف الأولى، لما يترتب عليه من الفتن، والشيطان تفرحه الفتن.

قوله: ﴿إني ظلمت نفسي﴾ الحق أن هذا تواضع منه، وحسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: [بحق إنعامك ﴿علي﴾] أشار بهذا إلى أن ما مصدرية، والكلام على حذف مضاف، وأشار بقوله: [اعصمني] إلى أن الباء متعلقة بمقدر هو هذا، وقوله: ﴿فلن أكون﴾ جواب شرط قدره بقوله: [إن عصمتني] وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جماعته وتكثير سواده. قوله: ﴿فإذا الذي﴾ إذا فجائية، و﴿الذي﴾ مبتدأ نعت لمحذوف أي فإذا الإسرائيلي الذي. و﴿استنصره﴾ صلته، و﴿يستصرخه﴾ خبر المبتدإ. قوله: [على قبطي آخر] أي يريد أن يستخدمه، والاستصراخ الاستغاثة، وسميت بذلك لأن المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث. قوله: [قال له موسى] قال ابن عباس: إن القبط قالوا لفرعون: إن بني إسرائيل قتلوا منا رجلاً فخذ لنا بحقنا، فقال: اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه، فبينما هم يطوفون

واليوم ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾: زائدة ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾: لموسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾: المستغيث ظاناً أنه يبطش به لمّا قال له ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ﴾: ما ﴿تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ١٩: فسمع القبطي ذلك فعلم أن القاتل موسى فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى فأخذوا في الطريق إليه ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾: هو مؤمن آل فرعون ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾: آخرها ﴿يَسْعَى﴾: يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ﴾: من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾: يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾: من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ٢٠: في الأمر بالخروج ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾: لحوق طالب أو غوث الله إياه ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ٢١: قوم فرعون ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾: قصد بوجهه ﴿تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾: جهتها وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين بن إبراهيم ولم يكن يعرف طريقها ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ٢٢: أي قصد الطريق أي الطريق الوسط إليها فأرسل الله له ملكاً بيده عنزة فانطلق به إليها ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾: بئر فيها أي وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾: جماعة ﴿مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾: مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾: أي سواهم

لا يجدون بينة، إذ مرّ موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً آخر، فاستغاثه على الفرعوني، وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، فقال للإسرائيلي: ﴿إنك لغوي مبين﴾ قوله: [لمّا فعلته أمس واليوم] أي حيث قاتلت بالأمس رجلاً، فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه.

قوله: ﴿فلما أن أراد أن يبطش﴾ الخ، وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة على الاسرائيلي، فمدّ يده ليبطش بالقبطي، فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به هو، لما رأى من غضبه سمع من قوله: ﴿إنك لغوي مبين﴾ فقال ﴿يا موسى أتريد﴾ الخ. قوله: ﴿جباراً في الأرض﴾ الجبار هو الذي يقتل ويضرب ويتعاظم، ولا ينظر في العواقب. قوله: ﴿من المصلحين﴾ أي بين الناس. قوله: [هو مؤمن آل فرعون] هو ابن عم فرعون واسمه حزقيل، وقيل شمعون، قيل سمعان، وهو الذي ذكر في قوله ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾. قوله: ﴿يسعى﴾ صفة لرجل أو حال منه، لوجود المخصص قبله. قوله: [يتشاورون فيك] أي يأمر بعضهم بعضاً بقتلك. قوله: [أو غوث الله إياه] أو مانعة خلو تجوز الجمع.

قوله: ﴿قال رب نجني﴾ الخ، أي خلصني منهم واحفظني من لحوقهم. قوله: ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي بإلهام من الله لعلمه بأن أرض مدين لا تسلط لفرعون عليها، وأن بينه وبين أهل مدين قرابة، لكونهم من ذرية إبراهيم وهو كذلك. قوله: [ابن إبراهيم] أي الخليل عليه السلام، وله ولد آخر اسمه مداين، فأولاده أربعة إسماعيل وإسحاق ومدين ومداين، وإنما لم يصرح في القرآن بمدين ومداين لأنهما لم يكونا نبيين. قوله: [ولم يكن يعرف طريقها] وخرج بلا زاد ولا رفيق، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض، حتى رئيت خضرته في باطنه من خارج، وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه، وهو أول ابتلاء من الله لموسى.

قوله: ﴿سواء السبيل﴾ من إضافة الصفة للموصوف، أي السبيل السوي. قوله: [أي الطريق الوسط] أي وكان لها ثلاث طرق، فأخذ موسى يمشي في الوسطى، وجاء الطلاب في أثره، فساروا في الآخرين ولم يعرفوا محله. قوله: [ملكاً] أي وكان راكباً على فرس قيل هو جبريل. قوله: [بيده عنزة] هي فوق العصا دون الرمح، في طرفها حربة كحربة الرمح. قوله: [بئر فيها] أشار بذلك إلى أنه أطلق الحالّ وأراد المحل، فأطلق الماء وأريد البئر. قوله: [أي وصل إليها]

﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾: تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾: موسى لهما ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾: أي ما شأنكما لا تسقيان ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾: جمع راع أي يرجعون من سقيهم خوف الزحام فنسقي وفي قراءة: يُصدر من الرباعي أي يصرفوا مواشيهم عن الماء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ٢٣: لا يقدر أن يسقي ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾: من بئر أخرى بقربهما رفع حجراً عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾: انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾: لسمرة من شدة حر الشمس وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾: طعام ﴿فَقِيرٌ﴾ ٢٤: محتاج فرجعتا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه فسألهما عن ذلك فأخبرتاه بمن سقى لهما فقال لإحداهما ادعيه لي قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾: أي واضعة كم درعها على وجهها حياء منه ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾: فأجابها منكراً في نفسه أخذ الأجرة كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدها فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها فقال لها: امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت إلى أن جاء أباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء فقال له اجلس فتعش قال: أخاف أن يكون عوضاً مما سقيت لهما وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضاً قال: لا عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فأكل وأخبره بحاله قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾: مصدر بمعنى المقصوص من قتله القبطي وقصدهم قتله وخوفه من فرعون ﴿قَالَ لَا

أشار بذلك إلى أن المراد بالورود هنا الوصول، لأن الورود يطلق على الدخول في الشيء، وعلى الاطلاع على الشيء والوصول إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ على مشهور التفاسير. قوله: [جماعة] أي كثيرة. قوله: ﴿يسقون﴾ الجملة حال من فاعل ﴿وجد﴾، لأنها بمعنى لقي، فتنصب مفعولاً واحداً. قوله: [مواشيهم] هو معمول ﴿يسقون﴾ وقد حذف في هذه الآية معمول ﴿يسقون﴾ و﴿تذودان﴾ و﴿لا نسقي﴾ لأن المقصود الفعل لا المفعول. قوله: [جمع راع] أي على غير قياس، وقياسه بضم الراء كقاض وقضاة. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ أي فهذا وجه مباشرتنا للسقي بأنفسنا، قال الأجهوري في شرح خطبة الشيخ خليل. - تتمة - عاش شعيب نبي الله ثلاثة آلاف سنة، ذكره الشيخ زروق، وفي رواية وكان في غنمه اثنا عشر ألف كلب، وفي رواية أنه عاش ثلاثة آلاف سنة. وستمائة سنة اهـ ملخصاً من حاشية شيخنا الشيخ سليمان الجمل على فضائل رمضان للأجهوري. قوله: [لا يقدر أن يسقي] أي فيرسلنا اضطراراً. قوله: ﴿فسقى لهما﴾ أي سقى أغنامهما لأجلهما. قوله: [إلا عشرة أنفس] وقيل سبعة وقيل ثلاثون وقيل أربعون وقيل مائة. قوله: [لسمرة] بضم الميم، وهي شجرة عظيمة من شجر الطلح، وهي التي أمر ﷺ ليلة الإسراء بالنزول والصلاة عندها. قوله: ﴿إني لما أنزلت إلي﴾ إن حرف توكيد والياء اسمها، و﴿لما أنزلت﴾ متعلق بفقير وهو خبر إن، و﴿أنزلت﴾ بمعنى تنزل، والمعنى إني فقير ومحتاج لما تنزله إلي من أي شيء، كان قليلاً أو كثيراً. قوله: [ادعيه لي] أي اطلبيه ليحضر عندي. قوله: ﴿فجاءته﴾ الخ، عطف على ما قدره المفسر بقوله: [فرجعتا] الخ. قوله: ﴿تمشي﴾ حال من فاعل جاء، وقوله: ﴿على استحياء﴾ حال من الضمير في ﴿تمشي﴾، والاستحياء هو الحياء بالمد، وهو حالة تعتري الشخص تحمله على تجنب الرذائل. قوله: [كم درعها] أي قميصها. قوله: [منكراً في نفسه أخذ الأجرة] أي فلم يكن قصده بالإجابة أخذ الأجرة، بل للتبرك بأبيها. قوله: [وهو شعيب] هذا هو الصحيح، وقيل هو يثرون ابن أخي شعيب، وكان شعيب قد مات، وقيل هو رجل ممن آمن

تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٢٥: إذ لا سلطان لفرعون على مدين ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾: وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾: اتخذه أجيراً يرعى غنمنا أي بدلنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ ٢٦: أي استأجره لقوته وأمانته فسألها عنه فأخبرته بما تقدم من رفع حجر البئر ومن قوله لها: امشي خلفي وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوّب رأسه فلم يرفعه فرغب في إنكاحه ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ﴾: وهي الكبرى أو الصغرى ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾: تكون أجيراً لي في رعي غنمي ﴿ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾: أي سنين ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾: أي رعي عشر سنين ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾: التمام ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾: باشتراط العشر ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: للتبرك ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ٢٧: الوافين بالعهد ﴿قَالَ﴾: موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾: الذي قلته ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾: الثمان أو العشر وما زائدة أي رعيه ﴿قَضَيْتُ﴾: به أي فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ﴾: بطلب الزيادة عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾: أنا وأنت ﴿وَكِيلٌ﴾ ٢٨: حفيظ أو شهيد فتم العقد بذلك وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصي الأنبياء عنده فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة فأخذها

بشعيب، وشعيب هو ابن متبعون بن عنفاش بن مدين بن إبراهيم عليه السلام. قوله: [وهي المرسلة] أي وهي التي تزوجها موسى عليه السلام.

قوله: ﴿إن خير من استأجرت﴾ تعليل للأمر بالاستئجار. قوله: [فسألها عنهما] أي بأن قال لها: وما أعلمك قوته وأمانته. قوله: [وزيادة] أي على ما ذكرته من القوة والأمانة، وقد يقال إن هذا من جملة الأمانة فلا زيادة. قوله: [صوّب رأسه] أي خفضه. قوله: [فرغب في نكاحه] أي رغب شعيب في إنكاحه ابنته. قوله: ﴿هاتين﴾ استفيد منه أنه كان له غيرهما، قيل كان له سبع بنات. قوله: ﴿على أن تأجرني﴾ حال من الفاعل أو المفعول، ومفعول ﴿تأجرني﴾ محذوف، والمعنى تأجرني نفسك. وقوله: ﴿ثماني حجج﴾ ظرف له. قوله: ﴿فمن عندك﴾ [التمام] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فمن عندك﴾ خبر لمحذوف والتقدير فالتمام من عندك تفضلاً، لا إلزاماً. قوله: [للتبرك] أي فالاستثناء للتبرك والتفويض إلى توفيقه تعالى لا للتعليق لأن صلاحه محقق. قوله: ﴿ذلك﴾ اسم الاشارة مبتدأ، و﴿بيني وبينك﴾ خبره، والمعنى ذلك الذي وقع منك وعاهدتني عليه ثابت بيننا جميعاً، لا يخرج عنه واحد منا، ويصح أن يكون ذلك مفعولاً لمحذوف أي قبلت ذلك، وقوله: ﴿بيني وبينك﴾ الخ حال من اسم الإشارة، والمعنى قبلت ذلك العقد حال كونه كائناً بيني وبينك، لم يكن علينا شهيد إلا الله.

قوله: ﴿أيما الأجلين﴾ أي شرطية، وجوابها فلا عدوان عليّ، وما زائدة كما قال المفسر. قوله: [الثمان أو العشر] بالنصب تفسير لأي. قوله: [فتم العقد] أي عقد النكاح والاجارة. إن قلت: إن الذي وقع من شعيب وعد، والنكاح لا يكون إلا بصيغة ابرام، وأيضاً لم يبين المنكوحة، وأيضاً الصداق ليست ثمرته عائدة عليها. وأجيب بجوابين: الأول أن هذا كان في شرعه جائز. الثاني أنه يمكن تنزيله على شرعنا، بأنه قصد بالوعد إنشاء الصيغة، وقد وقع من موسى القبول بقوله: ﴿ذلك﴾ وبأنه يمكن أنه بين المنكوحة بإشارة مثلاً، وأن الغنم يمكن أن يكون بعضها مملوكاً لها، فثمرة الرعي عائدة عليها. قوله: [فوقع في يدها عصا آدم] قيل إنه أودعها ملك في صورة رجل عند شعيب، فأمر ابنته أن تأتيه بعصا، فأتته بها فردها سبع مرات، فلم يقع في يدها غيرها، فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة عنده، فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع، فأتاهما الملك فقال ألقياها، فمن رفعها فهي له. فعالجها الشيخ فلم يطقها، فرفعها موسى عليه السلام فكانت له. قوله: [من آس الجنة] أي وتوارثها الأنبياء بعد آدم، فصارت منه إلى

موسى بعلم شعيب ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾: أي رعيه وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: زوجته بإذن أبيها نحو مصر ﴿آنَسَ﴾: أبصر من بعيد ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: اسم جبل ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾: هنا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾: عن الطريق وكان قد أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾: بتثليث الجيم قطعة وشعلة ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ٢٩: تستدفئون والطاء بدل من تاء الافتعال من صَلَى بالنار بكسر اللام وفتحها ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ﴾: جانب ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: لموسى ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾: لموسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: بدل من شاطئ بإعادة الجار لنباتها فيه وهي شجرة عناب أو عليق أو عوسج ﴿أَن﴾: مفسرة لا مخففة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٣٠ ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾: هارباً منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: أي يرجع فنودي

نوح، ثم إلى إبراهيم، حتى وصلت لشعيب، وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته. قوله: [وهو المظنون به] أي وإن لم يصرح القرآن به لكمال مروءته، فالمعول عليه أنه وفى العشر. قوله: ﴿بأهله﴾ أي زوجته وولده وخادمه. قوله: [نحو مصر] أي لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه. وَرَدَ أنه لما عزم على السير قال لزوجته: اطلبي من أبيك أن يعطينا بعض الغنم، فطلبت من أبيها ذلك فقال: لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شبهها، من كل أبلق وبلقاء، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك الماء واسق منه الغنم، ففعل ذلك، فما أخطأت واحدة إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء، فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله إلى موسى وابنته، فوفى له بشرطه وأعطاه الأغنام.

قوله: ﴿من جانب الطور﴾ أي الأيمن بدليل ما يأتي. قوله: [عن الطريق] أي لنستدل عليها. قوله: [بتثليث الجيم] أي وكلها سبعية فالكسر قراءة الجمهور، والضم قراءة حمزة، والفتح قراءة عاصم. قوله: [قطعة وشعلة] أي عود غليظ كان في رأسه نار أو لا، قيل وهو ما رأسه نار. قوله: ﴿من النار﴾ وصف مخصص على الأول وكاشف على الثاني. قوله: [والطاء بدل من تاء الافتعال] أي فأصله تصتلون، وقعت التاء بعد أحد حروف الاطباق فقلبت طاء.

قوله: [بكسر اللام] أي من باب رَضِيَ، وقوله: [وفتحها] أي من باب رَمَى.

قوله: ﴿نودي من شاطىء الوادي﴾ الخ قيل إن موسى لما رأى النار مشتعلة في الشجرة الخضراء، علم أن ذلك لا يقدر عليه إلا الله، فلما نودي علم أن الله هو المتكلم بذلك النداء. قوله: ﴿الأيمن﴾ صفة للشاطىء أو للوادي، من اليمن وهو البركة، أو اليمين مقابل اليسار، والمعنى الشاطىء الذي يلي يمين موسى. قوله: ﴿في البقعة﴾ متعلق بنودي. قوله: ﴿المباركة﴾ [لموسى] أي لأنه في ذلك المحل حصلت له البركة التامة، فتلك الليلة أسعد لياليه، كليلة الإسراء لرسول الله ﷺ. قوله: ﴿من الشجرة﴾ حال من الضمير في نودي، والتقدير نودي موسى، والحال أنه كائن في وجهة الشجرة، وليس المراد أنه سمع الكلام من جهة الشجرة فقط، بل المحققون على أنه سمع الكلام بجميع أجزائه، بلا حرف ولا صوت من جميع جهاته، كما يكون لنا في الآخرة عند رؤية ذاته تعالى بلا كيف ولا انحصار. قوله: [بدل] أي بدل اشتمال. قوله: [أو عوسج] أي شوك. قوله: [مفسرة] أي لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه. قوله: [لا مخففة] أي لعدم افادتها المعنى المقصود.

قوله: ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾ هكذا قال هنا، وفي سورة طه: ﴿إني أنا ربك﴾. وقال في النمل: ﴿نودي أن بورك من في النار ومن حولها﴾ ولا تنافي بل الكل قاله الله له. قوله: ﴿وأن ألق﴾ عطف على قوله: ﴿أن يا موسى﴾.

قوله: [من سرعة حركتها] أي فهو وجه شبهها بالجان، وقوله في الآية الأخرى ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ أي في عظم

﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾٣١ ﴿اسْلُكْ﴾: أدخل ﴿يَدَكَ﴾: اليمنى بمعنى الكف ﴿فِي جَيْبِكَ﴾: هو
طوق القميص وأخرجها ﴿تَخْرُجْ﴾: خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: أي برص فأدخلها
وأخرجها تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾: بفتح الحرفين وسكون الثاني
مع فتح الأول وضمه أي الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأولى وعبّر عنها
بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر ﴿فَذَانِكَ﴾: بالتشديد والتخفيف أي العصا واليد وهما مؤنثان وإنما ذكر
المشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره ﴿بُرْهَانَانِ﴾: مرسلان ﴿مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾٣٢
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾: هو القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾٣٣: به ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي
لِسَانًا﴾: أبين ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: معينًا وفي قراءة بفتح الدال بلا همزة ﴿يُصَدِّقُنِي﴾: بالجزم جواب الدعاء وفي
قراءة بالرفع وجملته صفة ردءًا ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾٣٤ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾: نقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا
سُلْطَانًا﴾: غلبة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾: بسوء اذهبا ﴿بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾٣٥: لهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ

الجثة، فتحصل أنها باعتبار الجثة كالثعبان العظيم، وباعتبار الخفة وسرعة الحركة كالحية الصغيرة. قوله: ﴿ولى مدبرًا﴾ أي باعتبار الطبع البشري حين رآها بهذه الصفة، وَرَدَ أنها لم تدع شجرة ولا صخرة إلا ابتلعتها، حتى إن موسى سمع صرير أسنانها، وقعقعة الشجر والصخر في جوفها، فحينئذ ولى مدبرًا. قوله: [من الأدمة] أي الحمرة. قوله: [تغشى البصر] أي تغطيه.

قوله: ﴿واضمم إليك جناحك﴾ جعل الجناح هنا مضمومًا، وفي آية طه مضمومًا إليه حيث قال: ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ لأن المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى، وبالجناح المضموم إليه اليد اليسرى، وكل من اليدين جناح. قوله: ﴿من الرهب﴾ متعلق باضمم. قوله: [بفتح الحرفين] الخ فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: [بأن تدخلها] أي تدخل اليد اليمنى التي حصل فيها البياض في جيبك، فتعود لحالتها الأولى، فيزول عنك الخوف والفزع الذي حصل لك. قوله: [كالجناح للطائر] أي لأن الطائر إذا خاف نشر جناحيه، وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان، فالمشددة تثنية ذلك بلام البعد، والمخففة تثنية ذاك، فالتشديد عوض عن اللام في المفرد. قوله: [وإنما ذكر المشار به] الخ، جواب عما يقال: إن العصا واليد مؤنثتان، فكان اللائق الإشارة إليهما بتان، فأجاب بأنه روعي الخبر. قوله: [مرسلان] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿من ربك﴾ متعلق بمحذوف صفة لـ﴿برهانان﴾. قوله: ﴿وملئه﴾ أي جماعته. قوله: ﴿لسانًا﴾ أي كلامًا. قوله: [ردءًا] حال من ضمير أرسله. قوله: [بفتح الدال] أي مع التنوين وهي سبعية أيضًا.

قوله: ﴿يصدقني﴾ أي يقويني في الصدق عند الخصم، بتوضيح الحجج والبراهين. قوله: [جواب الدعاء] أي الذي هو قوله: ﴿فأرسله معي﴾ لأن طلب الأدنى من الأعلى دعاء. قوله: ﴿أن يكذبون﴾ أي بسبب العقدة التي كانت في فيه، بسبب الجمرة التي وضعها وهو صغير في فيه. قوله: [نقويك] أي فشد العضد كناية عن التقوية من إطلاق السبب وإرادة المسبب، لأن شد العضد يستلزم شد اليد، وشد اليد مستلزم للقوة. قوله: [بسوء] متعلق بيصلون، وقوله: ﴿بآياتنا﴾ متعلق بمحذوف قدره بقوله: [اذهبا] بدليل الآية الأخرى ﴿اذهبا إلى فرعون﴾ وجمعهما في ضمير واحد، مع أن هارون لم يكن حاضرًا مجلس المناجاة، بل كان في ذلك الوقت بمصر لأن الله أرسل جبريل إلى هارون بالرسالة وهو بمصر في ذلك الوقت، فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسطة، وهارون سمعه بواسطة جبريل.

﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات حال ﴿قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾: مختلق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾: كائناً ﴿فِي﴾: أيام ﴿آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ ٣٦ ﴿وَقَالَ﴾: بواو وبدونها ﴿مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ﴾: أي عالم ﴿بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ﴾: الضمير للرب ﴿وَمَن﴾: عطف على من ﴿تَكُونُ﴾: بالفوقانية والتحتانية ﴿لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾: أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أي هو أنا في الشقين فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ٣٧: الكافرون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾: فاطبخ لي الآجر ﴿فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾: قصراً عالياً ﴿لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: أنظر إليه وأقف عليه ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ٣٨: في ادعائه إلهاً آخر وإنه رسوله ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا

قوله: ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا﴾ المراد بها العصا واليد، وجمعهما لأن كل واحدة اشتملت على آيات متعددة، وتقدم ذلك في سورة طه. قوله: ﴿قالوا﴾ أي فرعون وقومه. قوله: [مختلق] أي مخترع من قبل نفسه. قوله: ﴿وما سمعنا بهذا﴾ الخ، هذا محض عناد وكذب، إذ هم يعرفون أن قبله الرسل، كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم. قوله: [بواو وبدونها] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الواو يكون تابعاً لما قبله، وعلى حذفها يكون الكلام مستأنفاً في جواب سؤال. قوله: [أي عالم] أشار بذلك إلى أنه لا مفاضلة في أوصاف الله تعالى، لأن التفاضل من مقتضيات الحدوث وهو مستحيل عليه، فلا تفاضل بين صفاته مع بعضها، ولا مع صفات خلقه. قوله: [عطف على من قبلها] أي فهي في محل جر، والعلم مسلط عليها. قوله: [بالفوقانية والتحتانية] أي فهما قراءتان سبعيتان. فله خبر ﴿تكون﴾ مقدم، و﴿عاقبة﴾ اسمها مؤخر على كلا الوجهين، وذكر الفعل على قراءة التحتانية للفصل، ولأنه مجازي التأنيث.

قوله: [أي العاقبة المحمودة] الخ، أشار بذلك إلى أن المراد بالدار الدار الآخرة، وأن الاضافة على معنى في، ويصح أن المراد بالدار دار الدنيا، والمراد بالعاقبة المحمودة الجنة، إذ العاقبة قسمان: مذمومة ومحمودة، فالجنة عاقبة محمودة، والنار عاقبة مذمومة. قوله: [وهو أنا في الشقين] تفسير للموصول كأنه قال: إن لم تشهدوا لي بالصدق وبأن العاقبة المحمودة لي، فالله عالم بأني جئت بالهدى، وبأن العاقبة المحمودة لي. قوله: ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ تعليل لقوله: ﴿ربي أعلم﴾ الخ.

قوله: ﴿وقال فرعون﴾ الخ، أي بعد أن شاهد إيمان السحرة وما وقع منهم. قوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ أي ليس لي علم بوجود إله غيري، وليس مراده بإلهية نفسه كونه خالقاً للسماوات والأرض وما فيهما، إذ لا يشك عاقل في أن الله هو الخالق لكل شيء، وكان اعتقاده أن العالم العلوي أثر في العالم السفلي، فلا حاجة للصانع. قوله: [على الطين] أي بعد اتخاذه لبناً، وقيل إنه أول من اتخذ الآجر وبنى به، وهو الذي علم صنعته لهامان، ولما أمر وزيره هامان ببناء الصرح، جمع هامان العمال والفعلة، حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء، سوى الأتباع والأجراء، فطبخ الآجر والجبس، ونشر الخشب، وسبك المسامير، فبنوه ورفعوه، حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بناء أحد من الخلق، فلما فرغوا، ارتقى فرعون فوقه، وأمر بنشابة فضربها نحو السماء، فردت إليه وهي ملطخة دماً فقال: قد قتلت إله موسى، وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكباً على البراذين، فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس، فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع، قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف ألف، وقطعة وقعت في البحر، وقطعة وقعت في المغرب، ولم يبق أحد عمل في الصرح عملاً إلا هلك. قوله: ﴿لعلي أطلع﴾ كأنه من قبحه توهم أن إله موسى في السماء يمكن الرقي إليه. قوله: [وأنه رسوله] أي أن موسى رسول الإله.

يَرْجِعُونَ﴾٣٩: بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾: طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾: البحر المالح فغرقوا ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾٤٠: حين صاروا إلى الهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾: في الدنيا ﴿أَئِمَّةً﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾: بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾٤١: بدفع العذاب عنهم ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: خزياً ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾٤٢: المبعدين ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾: قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾: حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنواراً للقلوب ﴿وَهُدًى﴾: من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾: لمن آمن به ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾٤٣: يتعظون بما فيه من المواعظ ﴿وَمَا كُنْتَ﴾: يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾: الجبل أو الوادي أو المكان ﴿الْغَرْبِيِّ﴾: من موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْنَا﴾: أوحينا ﴿إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾: بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾٤٤: لذلك فتعلمه فتخبر به ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً﴾: أمماً من بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: أي طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً﴾: مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾

قوله: ﴿واستكبر﴾ أي تكبر. قوله: ﴿في الأرض﴾ أي أرض مصر. قوله: [بالبناء للفاعل والمفعول] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿فأخذناه﴾ أي عقب تكبره وعناده. قوله: ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ ليخبر به المشركين، فيرجعوا عن كفرهم وعنادهم. قوله: [وإبدال الثانية ياء] أي فهما قراءتان سبعيتان، لكن قراءة الإبدال من طريق الطيبة لا من طريق الشاطبية. قوله: [بدعائهم إلى الشرك] أي المؤدي للنار. قوله: ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ أي المطرودين أو الموسومين بعلامة منكرة، كزرقة العيون وسواد الوجه.

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ إخبار من الله لقريش بامتنانه على بني إسرائيل، حين أهلك الأمم الماضية، لما عاندوا وكذبوا رسلهم، وساروا في زمن فترة بإنزال التوراة ليتعبدوا بها، والمقصود من ذلك تعداد النعم على هذه الأمة المحمدية، والمعنى كما أنزل على موسى التوراة وقومه في فترة وجهل، أنزل على محمد القرآن وقومه في فترة وجهل ليهتدوا به. قوله: [وعاد وثمود] عطف على [قوم نوح] ولم ينونه لأنه علم على القبيلة، وهو بهذا الاعتبار ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث. قوله: [وغيرهم] أي كفرعون. قوله: [حال من الكتاب] أي إما على حذف مضاف أي ذا بصائر، أو مبالغة على حد ما قيل في زيد عدل، وكذا يقال في قوله: ﴿هدى ورحمة﴾. قوله: [أي أنواراً للقلوب] أي تبصر به القلوب، كما أن إنسان العين تبصر به العين. قوله: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي فالعاقل إذا علم أن كتاب الله من أوصافه أنه منور للقلوب، وهاد من الضلالة، ورحمة لمن صدق به، بادر إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولا يرضى لنفسه بالتواني والكسل والعناد.

قوله: ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ الخ المقصود من ذلك إقامة الحجة على من كذبه ﷺ، يعني كيف تكذبونه بعد إتيانه بتفاصيل ما حصل للأمم السابقة وأنبيائهم؟ والحال أنكم تعلمون أنه لم يكن حاضراً ذلك ولا مشاهداً له. قوله: ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ إن قلت: إن هذا معلوم نفيه من قوله: ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ فما ثمرة ذكره عقبه؟ أجيب بأنه لا يلزم من كونه هناك على فرض حصول مشاهدته لذلك، ولذلك قال ابن عباس: لم تحضر ذلك الموضع، ولو حضرته ما شاهدت ما وقع فيه. قوله: [بعد موسى] أي لأن أنبياء بني إسرائيل الذين يتعبدون بالتوراة كداود وسليمان وزكريا ويحيى وذا الكفل كائنون بعد موسى. قوله: [واندرست العلوم] أي فكيف يأتيك الخبر من

﴿تتلوا عليهم آياتنا﴾: خبر ثانٍ فتعرف قصتهم فتخبر بها ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ ٤٥: لك وإليك بأخبار المتقدمين ﴿وما كنت بجانب الطور﴾: الجبل ﴿إذ﴾: حين ﴿نادينا﴾: موسى أن خذ الكتاب بقوة ﴿ولكن﴾: أرسلناك ﴿رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك﴾: وهم أهل مكة ﴿لعلهم يتذكرون﴾ ٤٦: يتعظون ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾: عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾: من الكفر وغيره ﴿فيقولوا ربنا لولا﴾: هلا ﴿أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾: المرسل بها ﴿ونكون من المؤمنين﴾ ٤٧: وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ والمعنى لولا الإصابة المسبب عنها قولهم أو لولا قولهم المسبب عنها أي لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولاً ﴿فلما جاءهم الحق﴾: محمد ﴿من عندنا قالوا لولا﴾: هلا ﴿أوتي مثل ما أوتي موسى﴾: من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما أو الكتاب جملة واحدة قال تعالى ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾: حيث ﴿قالوا﴾: فيه وفي محمد ﴿ساحران﴾: وفي قراءة سحران أي القرآن والتوراة ﴿تظاهرا﴾: تعاونا ﴿وقالوا إنا بكل﴾: من النبيين

غير وحي. قوله: [وأوحينا إليك خبر موسى وغيره] أي ليكون معجزة لك وتذكيراً لقومك.

قوله: ﴿وما كنت ثاوياً﴾ إن قلت: إن قصة مدين متقدمة على قصة الإرسال، فكان مقتضى الترتيب ذكرها قبلها. أجيب: بأن المقصود تعداد العجائب من غير نظر للترتيب، إشارة إلى أن أي واحدة تكفي في إثبات صدقه فيما يخبر به عن ربه. قوله: [مقيماً] أي إقامة طويلة تشعر بمعرفتك قصتهم. قوله: ﴿في أهل مدين﴾ متعلق بثاوياً. قوله: ﴿ولكنا كنا مرسلين﴾ أي أنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار تتلوها عليهم، ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها.

قوله: ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ أي كما لم تحضر يا محمد جانب المكان الغربي، إذ أرسل الله موسى إلى فرعون، فكذلك لم تحضر جانب الطور، إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة، وبين الإرسال وإيتاء التوراة نحو ثلاثين سنة، وهذا بالنظر للعالم الجسماني لإقامة الحجة على الخصم، وأما بالنظر للعالم الروحاني، فهو حاضر رسالة كل رسول، وما وقع له من لدن آدم إلى أن ظهر بجسمه الشريف، ولكن لا يخاطب به أهل العناد. قوله: ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ أي لوجودهم في فترة بينك وبين عيسى وهي ستمائة سنة.

قوله: ﴿ولولا أن تصيبهم﴾ الخ ﴿لولا﴾ حرف امتناع لوجود، و﴿أن﴾ وما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ، وخبره محذوف وجوباً تقديره موجود كما قال المفسر. قوله: ﴿فيقولوا﴾ عطف على ﴿تصيبهم﴾ والفاء للسببية. قوله: [وجواب لولا] أي الأولى، وأما الثانية فهي تحضيضية. قوله: [أو لولا قولهم] الخ، أي فالمعنى الأولى فيه انتفاء الجواب، وهو عدم الإرسال لثبوت ضده وهو الإرسال، لوجود السبب والمسبب معاً. والمعنى الثاني لوجود المسبب الناشىء عن السبب فتدبر. قوله: [لما أرسلناك إليهم رسولاً] أي فالحامل على ذلك تعللهم بهذا القول، فالمعنى امتنع عدم إرسالنا لك، لوجود المصائب المسبب عنها قولهم ﴿ربنا لولا أرسلت﴾ الخ، إن قلت: إن الآية تقتضي وجود إصابتهم بالمصائب وقولهم المذكور، والواقع أنهم حين نزول تلك الآيات لم يصابوا ولم يقولوا. أجيب: بأن الآية على سبيل الفرض والتقدير، فالمعنى لولا إصابة المصائب لهم، واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير، لما أرسلناك إليهم، فهو بمعنى قوله تعالى ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾ الآية. قوله: ﴿قالوا﴾ أي تعنتاً. قوله: [أو الكتاب جملة] أشار بذلك إلى قول آخر في تفسير المثل. قوله: ﴿من قبل﴾ أي قبل ظهورك.

قوله: ﴿ساحران﴾ خبر لمحذوف أي هما. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [تعاونا] أي بتصديق

والكتابين ﴿كَافِرُونَ﴾ ⁴⁸ ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾: من الكتابين ﴿أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ⁴⁹: في قولكم ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾: دعاءك بالإتيان بكتاب ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ﴾: أي لا أضل منه ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ⁵⁰: الكافرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾: بينا ﴿لَهُمُ الْقَوْلَ﴾: القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ⁵¹: يتعظون فيؤمنون ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾: أي القرآن ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ⁵²: أيضاً نزلت في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: القرآن ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ ⁵³: موحدين ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾: بإيمانهم بالكتابين ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: بصبرهم على

كل منهما الآخر، وذلك أن كفار مكة، بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود بالمدينة في عيد لهم، فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته وصفته، فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ما ذكر. قوله: [والكتابين] الواو بمعنى أو. قوله: ﴿قل فأتوا بكتاب﴾ الخ أي إذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين، فائتوا بكتاب من عند الله واضح في هداية الخلق، فإن أتيتم به اتبعته، وهذا تنزل للخصم زيادة في إقامة الحجة عليهم. قوله: ﴿أتبعه﴾ مجزوم في جواب شرط مقدر تقديره إن أتيتم به أتبعه.

قوله: ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ أي لم يفعلوا ما أمرتهم به. قوله: ﴿إنما يتبعون أهواءهم﴾ أي ليس لهم مستند إلا اتباع هواهم الفاسد. قوله: [لا أضل منه] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿ولقد وصلنا﴾ العامة على تشديد الصاد، وهو مأخوذ إما من وصل الشيء بالشيء، بمعنى جعله تابعاً له لأن القرآن تابع بعضه بعضاً، قال تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ أو من وصل الحبل جعله أوصالاً أي أنواعاً لأن القرآن أنواع، كالوعد والوعيد، والقصص والعبر والمواعظ.

قوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ الاسم الموصول مبتدأ، و﴿آتيناهم﴾ صلته، وهم مبتدأ ثان وبه متعلق بيؤمنون، و﴿يؤمنون﴾ خبر الثاني، وهو وخبره خبر الأول. قوله: [أيضاً] أي كما آمنوا بكتابهم. قوله: [نزلت في جماعة أسلموا من اليهود] الخ قال ابن عباس: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب، أربعون من نجران، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من أهل الشام، وقيل إنها نزلت في أربعين رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة آمنوا بالنبي ﷺ، فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا: يا رسول الله إن لنا أموالاً، فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين، فأذن لهم فانصرفوا، فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، والمقصود من قصد هؤلاء الثناء عليهم والفخر بهم على المشركين. قوله: ﴿إنا كنا من قبله مسلمين﴾ أي فإسلامنا ليس بمتجدد، بل هو موافق لما عندنا، لأن في كتبهم صفة النبي ونعته، فتمسكوا بكتابهم ولم يغيروا ولم يبدلوا إلى أن بعث رسول الله ﷺ، فنظروا في صفاته

---

* أسباب نزول الآية ٥١: أخرج ابن جرير والطبراني عن رفاعة القرظي قال: نزلت ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ في عشرة أنا أحدهم. وأخرج ابن جرير عن علي بن رفاعة قال: خرج عشرة رهط من أهل الكتاب، منهم رفاعة، يعني أباه، إلى النبي ﷺ فآمنوا فأوذوا، فنزلت ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ الآية. وأخرج عن قتادة قال: كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على الحق حتى بعث الله محمداً ﷺ فآمنوا، منهم عبد الله بن سلام.
* أسباب نزول الآية ٥٢ قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ الآية. سيأتي سبب نزولها في سورة الحديد.

العمل بهما ﴿وَيَدْرَؤُونَ﴾: يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾٥٤: يتصدقون ﴿وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ﴾: الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: سلام متاركة أي سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿لَا نَبْتَغِي ٱلْجَاهِلِينَ﴾٥٥: لا نصحبهم. ونزل في حرصه ﷺ على إيمان عمه أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: هدايته ﴿وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾: أي عالم ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾٥٦ ﴿وَقَالُوا﴾: أي قومه ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾: أي ننتزع منها بسرعة قال تعالى

وأحواله، فلما وجدوها مطابقة لما عندهم، أظهروا ما كان عندهم من الاسلام. قوله: [بصبرهم] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، وقوله: [على العمل بهما] أي أو على أذى المشركين ومن عاداهم من أهل دينهم.

قوله: ﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾ أي يدفعون الكلام القبيح، كالسب والشتم الحاصل لهم من أعدائهم بالحسنة، أي الكلمة الطيبة الجميلة، أو المعنى إذا وقعت منهم معصية أتبعوها بطاعة كالتوبة. قوله: ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ الخ، وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تباً لكم، أعرضتم عن دينكم وتركتموه، فيعرضون عنهم ويقولون ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ قوله: [سلام متاركة] أي إعراض وفراق لا سلام تحية. قوله: [لا نصحبهم] الأوضح أن يقول: لا نطلب صحبتهم. قوله: [ونزل في حرصه] الخ، وذلك أنه لما احتضرته الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ وقال: «يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال: يا ابن أخي، قد علمت أنك لصادق، ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها، ولأقررت بها عينك عند الفراق، لما رأى من شدة وجدك ونصيحتك، ثم أنشد:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ: عبد المطلب وهاشم وبني عبد مناف ثم مات، فأتى علي ابنه للنبي ﷺ وقال له: عمك الضال قد مات، فقال له: اذهب فواره» وما تقدم من أنه لم يؤمن حتى مات هو الصحيح، وقيل: إنه أحيي وأسلم ثم مات، ونقل هذا القول عن بعض الصوفية. قوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ أي لا تقدر على هدايته. إن قلت: إن بين هذه الآية وآية ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ تناف. أجيب: بأن المنفي هنا خلق الاهتداء، والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم. قوله: ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ أي فسلم أمرك لله، فإنه أعلم بأهل السعادة وأهل الشقاوة، ولا يبالي بأحد. قوله: [أي قومه] أي وهم بعض أهل مكة، كالحرث بن عثمان بن نوفل ابن عبد مناف، فإنه أتى النبي ﷺ فقال له: إنا نعلم أنك على الحق، ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب، أن يتخطفونا من أرضنا. قوله: ﴿الهدى﴾ أي وهو دين الإسلام.

---

* أسباب نزول الآية ٥٦ قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ الآية. أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: قل لا إله إلا الله أشهد لك يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني نساء قريش يقلن إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾. وأخرج النسائي وابن عساكر في تاريخ دمشق بسند جيد عن أبي سعيد بن رافع قال: سألت ابن عمر عن هذه الآية ﴿إنك لا تهدي من أحببت أفي أبي جهل وأبي طالب؟ قال: نعم.

* أسباب نزول الآية ٥٧ قوله تعالى: ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك﴾ الآية. أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أن أناساً من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن نتبعك تخطفنا الناس، فنزلت. أخرج النسائي عن ابن عباس أن الحارث بن عامر بن نوفل هو الذي قال ذلك.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾: يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿يُجْبَىٰ﴾: بالفوقانية والتحتانية ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من كل أوب ﴿رِّزْقًا﴾: لهم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾: أي عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٥٧: أن ما نقوله حق ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾: أي عيشها وأريد بالقرية أهلها ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: للمارة يوماً أو بعضه ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ ٥٨: منهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾: بظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾: أي أعظمها ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ ٥٩: بتكذيب الرسل ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾: أي تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾: أي ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٦٠: بالتاء والياء أن الباقي

قوله: ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ أي نجعل مكانهم حرماً ذا أمن، وعدي بنفسه لأنه بمعنى جعل، يدل عليه الآية الأخرى وهي: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً﴾. قوله: [يأمنون فيه] أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازاً عقلياً. قوله: ﴿تجبى﴾ أي تحمل وتساق. قوله: [بالفوقانية والتحتانية] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ثمرات كل شيء﴾ مجاز عن الكثرة كقوله: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ قال بعض العارفين: من يتعلق ببيت الله الحرام ويسعى إليه، فهو من خيار الخلق لقوله في الآية ﴿تجبى إليه ثمرات كل شيء﴾. قوله: [من كل أوب] أي ناحية وطريق وجهة. قوله: ﴿رزقاً﴾ إما بمعنى مرزوقاً، فيكون منصوباً على الحال من ثمرات، أو باق على مصدريته، فيكون مفعولاً مطلقاً مؤكداً لمعنى يجبى، أي نرزقهم رزقاً. قوله: [أن ما نقوله حق] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿يعلمون﴾ محذوف.

قوله: ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ رد بذلك على الكفار، وبين لهم أن العبارة بالعكس، وأن خوف التخطف يكون بالكفر لا بالإيمان، وأنهم ما داموا مصرين على كفرهم، يحل بهم وبال بطرهم كما حصل لمن قبلهم. قوله: ﴿بطرت معيشتها﴾ أي كفرت نعمة ربها في زمن معيشتها أي حياتها. قوله: ﴿فتلك مساكنهم﴾ أي خربة بسبب ظلمهم، والإشارة إلى قوم لوط وصالح وشعيب وهود، فإن الكفار تمر على تلك المساكن، وتنزل بها في بعض الأوقات. قوله: [للمارة يوماً أو بعضه] أي لأن المار في الطريق إذا نزل للاستراحة، إنما يستمر في الغالب يوماً أو بعضه.

قوله: ﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ الخ، بيان للحكمة الإلهية التي سبقت بها مشيئته تعالى، والمعنى ما ثبت في حكمة أن يهلك قرية قبل الانذار. قوله: [أي أعظمها] أي وهي المدن بالنسبة لما حواليها، فجرت عادة الله أن يبعث الرسول من أهل المدائن لأنهم أعقل وأفطن، ويتبعهم غيرهم، ولما كان النبي ﷺ مبعوثاً لجميع الخلق، كانت بلده أفضل البلاد على الإطلاق، وقبيلته أشرف القبائل على الإطلاق. قوله: ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾ أي لقطع الحجج والمعاذير. قوله: ﴿إلا وأهلها ظالمون﴾ استثناء من عموم الأحوال، كأنه قال: ما كنا مهلكهم في حال من الأحوال، إلا في حال كونهم ظالمين. قوله: ﴿وما أوتيتم من شيء﴾ الخ ﴿ما﴾ اسم موصول مبتدأ، و﴿أوتيتم﴾ صلته، و﴿من شيء﴾ بيان لما، وقوله: ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ خبره، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى العموم، ويصح أن تكون ﴿ما﴾ شرطية، وقوله: ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة جواب الشرط. قوله: [ثم يفنى] أي يذهب بفنائكم، فجميع ما في الدنيا عرض زائل، يذهب بذهاب أهله، ولا يبقى إلا جزاؤه، فحلال الدنيا حساب، وحرامها عقاب. قوله: [وهو ثوابه] أي ثواب الأعمال التي قصد بها وجهه سبحانه وتعالى. قوله: ﴿خير وأبقى﴾ أي دائم بدوام الله. قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أتركتم التدبير في أحوالكم فلا تعقلون، فمن آثر الفاني على الباقي، فلا عقل عنده، كما في الحديث: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له» ولله در الشافعي حيث قال:

خير من الفاني ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه﴾: مصيبه وهو الجنة ﴿كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا﴾: فيزول عن قريب ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾٦١: النار الأول المؤمن والثاني الكافر أي لا تساوي بينهما ﴿و﴾: اذكر ﴿يوم يناديهم﴾: الله ﴿فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾هم٦٢ شركائي ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ بدخول النار وهم رؤساء الضلالة ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾: هم مبتدأ وصفة ﴿أغويناهم﴾: خبره فغووا ﴿كما غوينا﴾: لم نكرههم على الغي ﴿تبرأنا إليك﴾: منهم ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾٦٣: ما نافية وقدم

إن لله عباداً فطنا   طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا   أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا   صالح الأعمال فيها سفنا

وليس المراد من ذلك ترك رأساً والخروج عنها بالمرة، بل المراد لا يجعلها أكبر همه ولا مبلغ علمه، وإنما يطلب الدنيا ليستعين بها على خدمة ربه، لتكون مزرعة لآخرته، لما في الحديث: «نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح» فالمضر شغل القلب والنية السوء. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أن الباقي خير من الفاني] قدره إشارة إلى أن مفعول يفعلون محذوف، واستفيد منه أن عقل الناس المشتغلون بطاعة الله، الذين اختاروا الباقي على الفاني، ومن هنا قال الامام الشافعي رضي الله عنه: من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس، صرف إلى المشتغلين بطاعة الله تعالى. قوله: ﴿أفمن وعدناه﴾ الخ، من مبتدأ، وجملة ﴿وعدناه﴾ صلتها، وقوله كمن وعدناه الخ خبر المبتدأ، والمعنى أيستوي من وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه، بمن انهمك في طلب الفاني، حتى صار يوم القيامة من المحضرين للعذاب، فهو نظير قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾. قوله: [مصيبه] أي مدركه لا محالة، لأن وعده لا يتخلف. قوله: ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أي المشوب بالأكدار. قوله: [الأول] أي وهو من ﴿وعدناه﴾ والثاني وهو من ﴿متعناه﴾. قوله: [أي لا تساوي بينهما] أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿ويوم يناديهم﴾ أي المشركين الذين عبدوا غير الله على لسان ملائكة العذاب، أو النداء من الله لهم والمنفي في آية ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ كلام الرضا والرحمة، فلا ينافي أنه يكلمهم كلام غضب وسخط. قوله: ﴿فيقول أين شركائي﴾ تفسير للنداء. قوله: ﴿تزعمونهم﴾ [شركائي] أشار بذلك إلى أن مفعولي تزعمون محذوفان. قوله: ﴿قال الذي حق عليهم القول﴾ كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا قالوا؟ وجواب هذا السؤال: أنه حصل التنازع والتخاصم بين الرؤساء والأتباع فقال الأتباع: إنهم أضلونا، وقال الرؤساء ﴿ربنا هؤلاء﴾ الخ، فهو بمعنى قوله تعالى ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ الخ، وبمعنى ﴿وإذ يتحاجون في النار﴾ الخ. قوله: ﴿حق عليهم القول﴾ أي ثبت وتحقق وهو قوله ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾. قوله: [وهم رؤساء الضلال] أي الذين أطاعوهم في كل ما أمروهم به ونهوهم عنه.

قوله: ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ الخ، اسم الاشارة مبتدأ، والموصول نعته، و﴿أغوينا﴾ صلته، والعائد محذوف قدره المفسر، و﴿أغويناهم﴾ خبره، وصح الاخبار به لتقييده بقوله: ﴿كما غوينا﴾ ففيه زيادة فائدة على

---

* أسباب نزول الآية ٦١ قوله تعالى: ﴿أفمن وعدناه﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله: ﴿أفمن وعدناه﴾ الآية قال: نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جهل بن هشام، وأخرج من وجه آخر عنه: أنها نزلت في حمزة وأبي جهل.

المفعول للفاصلة ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾: أي الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾: دعاءهم ﴿وَرَأَوُا﴾: هم ﴿الْعَذَابَ﴾: أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ ٦٤: في الدنيا لما رأوه في الآخرة ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ٦٥: إليكم ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾: الأخبار المنجية في الجواب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي لم يجدوا خبراً لهم فيه نجاة ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ٦٦: عنه فيسكتون ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾: من الشرك ﴿وَآمَنَ﴾: صدق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: أدى الفرائض ﴿فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ ٦٧: الناجين بوعد الله ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾: ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾: للمشركين ﴿الْخِيَرَةُ﴾: الاختيار في

الصلة، والمعنى تسببنا لهم في الغي، فقبلوا منا ولم يتبعوا الرسل وما أنزل عليهم من الكتب التي فيها المواعظ والأوامر والنواهي، فلم نخيرهم عن أنفسنا، بل اخترنا لهم ما اخترناه لأنفسنا، فاتبعونا بهواهم. قوله: ﴿تبرأنا إليك﴾ [منهم] هذا تقدير لما قبله. قوله: [وقدم المفعول] أي وهو قوله: ﴿إيانا﴾. قوله: ﴿وقيل ادعوا شركاءهم﴾ أي استغيثوا بآلهتكم متى عبدتموها لتنصركم وتدفع عنكم ما نزل بكم، هذا القول للتهكم والتبكيت لهم. قوله: ﴿ورأوا العذاب﴾ أي نازلاً بهم. قوله: [ما رأوه] هو جواب ﴿لو﴾.

قوله: ﴿ويوم يناديهم﴾ معطوف على ما قبله فتحصل أنهم يسألون عن إشراكهم وجوابهم للرسل. قوله: ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ أي خفيت عليهم فلم يهتدوا لجواب فيه راحة لهم، أو الكلام على القلب، والأصل فعموا عن الأنباء، أي ضلوا وتحيروا في ذلك، فلم يهتدوا إلى جواب به نجاتهم. قوله: ﴿فهم لا يتساءلون﴾ [عنه] أي عن الخبر المنجي لحصول الدهشة لهم ولقنوطهم من رحمة الله حينئذ. قوله: ﴿فأما من تاب﴾ الخ، أي رجع عن كفره في حال الحياة. قوله: ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقق لأنه وعد كريم، ومن شأنه لا يخلف وعده.

قوله: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة، استعظم النبوة ونزول القرآن على رسول الله ﷺ وقال: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، فنزلت هذه الآية رداً عليه، واختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على أقوال كثيرة، فقيل يخلق ما يشاء من خلقه ويختار ما يشاء منهم لطاعته، وقيل يخلق ما يشاء من خلقه، ويختار ما يشاء لنبوته، وقيل يخلق ما يشاء محمداً، ويختار الأنصار لدينه، وقيل يخلق ما يشاء محمداً، ويختار ما يشاء أصحابه وأمته لما روي: «أن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين، واختار من أصحابي أربعة يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، فجعلهم أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير، واختار أمتي على سائر الأمم، واختار لي من أمتي أربعة قرون» اهـ. فقد اختار محمداً على سائر المخلوقات، واختار أمته على سائر الأمم، فكما هو أفضل الخلق على الإطلاق، أمته أفضل الأمم على الاطلاق.

قوله: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ بالتحريك والاسكان معناهما واحد وهو الاختيار، و﴿ما﴾ نافية، و﴿كان﴾ فعل ناقص، والجار والمجرور خبرها مقدم، و﴿الخيرة﴾ اسمها مؤخر، والجملة مستأنفة، فالوقف على يختار، والمعنى ليس للخلق جميعاً الاختيار في شيء لا ظاهراً ولا باطناً، بل الخيرة لله تعالى في أفعاله، لما في الحديث القدسي: «يا عبدي أنت تريد، وأنا أريد، ولا يكون إلا ما أريد، فإن سلمت لي ما أريد أعطيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي ما أريد أتعبتك فيما تريد، ولا يكون إلا ما أريد» وإنما خص المفسر المشركين بذلك مراعاة لسبب النزول، ويصح أن تكون ﴿ما﴾ مصدرية، وما بعدها مؤول بمصدر، والمعنى ويختار اختيارهم فيه، ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف،

شيءٍ ﴿سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٦٨: عن إشراكهم ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: تسرّ قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ٦٩: بألسنتهم من ذلك ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ﴾: الدنيا ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾: الجنة ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٧٠: بالنشور ﴿قُلْ﴾: لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أي أخبروني ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾: بالنشور ﴿قل﴾: لأهل مكة ﴿أرأيتم﴾: أي أخبروني ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾: دائماً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾: بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم

والتقدير ويختار الذي لهم فيه الاختيار، وحينئذٍ فلا يصح الوقف على يختار، والأول أظهر، فالواجب على الإنسان أن يعتقد أنه لا تأثير لشيء من الكائنات في شيءٍ أبداً، وإنما يظهر على أيدي الخلق أسباب عادية يمكن تخلفها.

قوله: ﴿سبحان الله﴾ أي تنزيهاً له عما لا يليق به. قوله: [من الكفر وغيره] أي كالإيمان، فيجازي الكافر بالخلود في الجنة. قوله: ﴿له الحمد في الأولى والآخرة﴾ أي هو مستحق للثناء بالجميل في الدنيا والجنة، لأنه لا معطي للنعم فيهما، إلا هو سبحانه وتعالى، فالمؤمنون يحمدونه في الجنة بقولهم: الحمد لله الذي صدقنا وعده، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، كما حمدوه في الدنيا، لكن الحمد لله في الدنيا مكلفون به، وأما في الآخرة فهو تلذذ لانقطاع التكليف بالموت. قال العلماء: لا ينبغي لأحد أن يقدم على أمر من أمور الدنيا والآخرة، حتى يسأل الله تعالى الخيرة في ذلك، وذلك بأن يصلي ركعتين صلاة الاستخارة، يقرأ في الركعة الأولى بعد أم القرآن ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ الآية، وفي الثانية ﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ الآية، ثم يدعو بالدعاء الوارد في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به، قال: ويسمي حاجته». وروي عن أنس أن النبي ﷺ قال له: «يا أنس إذا هممت بأمر، فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى ما يسبق إلى قلبك واعمله، فإن الخير فيه» انتهى، فإن لم يكن يحفظ الشخص هاتين الآيتين فليقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ والإخلاص، فإن لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقرأ: اللهم خر لي، واختر لي، كما روي عن عائشة عن أبي بكر رضي الله عنهما. واعلم أن هذه الكيفية هي الواردة في الحديث الصحيح، وأما الاستخارة بالمنام أو بالمصحف أو السبحة، فليس وارداً عن النبي ﷺ، ولذا كرهه العلماء وقالوا: إنه نوع من الطيرة.

قوله: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله﴾ الخ ﴿أرأيتم﴾، و﴿جعل﴾ تنازعا في الليل، أعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف، وهو مفعوله الأول، ومفعوله الثاني جملة الاستفهام بعده، و﴿إن﴾ حرف شرط، و﴿جعل﴾ فعل الشرط، و﴿الله﴾ فاعله، و﴿الليل﴾ مفعول أول، و﴿سرمداً﴾ مفعول ثان، وجواب الشرط محذوف تقديره ماذا تفعلون، وتقدم الكلام على نظيرتها في الأنعام. قوله: ﴿سرمداً﴾ من السرد وهو المتابعة والاطراد. قوله: [دائماً] أي بأن يسكن الشمس تحت الأرض. قوله: ﴿إلى يوم القيامة﴾ متعلق بجعل. قوله: ﴿من إله غير الله﴾ [بزعمكم] دفع بذلك ما يقال: إن المقام لهل لأنها لطلب التصديق، لا من التي لطلب التعيين، لأنه يوهم وجود آلهة غيره تعالى، فأجاب:

﴿بضياء﴾: نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أفلا تسمعون﴾ ٧١: ذلك سماع تفهم فترجعون عن الإشراك ﴿قل﴾: لهم ﴿أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله﴾: بزعمكم ﴿يأتيكم بليل تسكنون﴾: تستريحون ﴿فيه﴾: من التعب ﴿أفلا تبصرون﴾ ٧٢: ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه ﴿ومن رحمته﴾: تعالى ﴿جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾: في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾: في النهار للكسب ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ٧٣: النعمة فيهما ﴿و﴾: اذكر ﴿يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ ٧٤: ذكر ثانياً ليبنى عليه ﴿ونزعنا﴾: أخرجنا ﴿من كل أمة شهيداً﴾: وهو نبيهم يشهد عليهم مما قالوا ﴿فقلنا﴾: لهم ﴿هاتوا برهانكم﴾: على ما قلتم من الإشراك ﴿فعلموا أن الحق﴾: في الإلهية ﴿لله﴾: لا يشاركه فيه أحد ﴿وضل﴾: غاب ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ ٧٥: في الدنيا من أن معه شريكاً تعالى عن ذلك ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾: ابن عمه وابن خالته وآمن به ﴿فبغى عليهم﴾: بالكبر والعلو وكثرة المال ﴿وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء﴾: تثقل ﴿بالعصبة﴾: الجماعة ﴿أولي﴾: أصحاب ﴿القوة﴾: أي تثقلهم فالباء للتعدية وعدتهم قيل سبعون

بأنه مجاراة للمشركين في زعمهم وجود آلهة معه. قوله: [سماع تفهم] أي تدبر واعتبار لأن مجرد الابصار لا يفيد. قوله: ﴿إن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾ أي بأن يسكن الشمس في وسط السماء.

قوله: ﴿ومن رحمته﴾ أي تفضله وإحسانه. قوله: ﴿جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ الخ، أي لأن المرء في الدنيا لا بد وأن يحصل له التعب، ليحصل ما يحتاجه إليه في معاشه، فجعل الله له محل تكسب وهو النهار، ومحل راحة وسكون ليستريح من ذلك التعب وهو الليل. قوله: ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ استفيد من الآية مدح السعي في طلب الرزق كما ورد: الكاسب حبيب الله. قوله: [ذكر ثانياً ليبنى عليه] ﴿ونزعنا﴾ الخ، أي وإشارة إلى أن الشرك أمره عظيم، لا شيء أجلب منه لغضب الله، كما أن التوحيد عظيم، لا شيء أجلب منه لرضا الله. قوله: [يشهد عليهم بما قالوا] أي وأمة محمد يشهدون للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأمم بالتكذيب. قوله: ﴿أن الحق لله﴾ أي التوحيد لله خاصة لا لغيره. قوله: [من أن معه شريكاً] بيان لما.

قوله: ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ هو اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. قوله: [ابن عمه] أي واسم ذلك العم يصهر، بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة، ابن قاهث بقاف وهاء مفتوحة وثاء مثلثة، ويصهر أبو قارون، وعمران أبو موسى أخوان، ولدا قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وقيل إن قارون عم موسى. قوله: [وآمن به] أي وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة، فسمع كلام الله ثم حسد موسى على رسالته، وهارون على إمامته. قوله: [بالكبر] أي احتقار ما سواه، ومن جملة تكبره أن زاد في ثيابه شبراً، ومن جملة بغيه بالكبر حسده لموسى عليه السلام على النبوة، وكان يسمى المنور لحسن صورته.

قوله: ﴿من الكنوز﴾ سميت كنوزاً لما قيل إنه وجد كنزاً من كنوز يوسف عليه السلام، وقيل لامتناعه من أداء الزكاة. قوله: ﴿ما إن مفاتحه﴾ الخ، ﴿ما﴾ اسم موصول صفة لموصوف محذوف، و﴿إن﴾ حرف توكيد ونصب، و﴿مفاتحه﴾ اسمها، وجملة ﴿لتنوء﴾ خبرها، والجملة صلة الموصول، والتقدير وآتيناه من الكنوز الشيء الذي مفاتحه تثقل العصبة أولي القوة، وكانت مفاتحه أولاً من حديد، فلما كثرت جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر، وقيل من جلود الإبل، كل مفتاح على قدر الأصبع، وكانت تحمل معه على أربعين وقيل على ستين بغلاً. قوله: ﴿لتنوء

وقيل أربعون وقيل عشرة وقيل غير ذلك اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾: المؤمنون من بني إسرائيل ﴿لَا تَفْرَحْ﴾: بكثرة المال فرح بطر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ ٧٦: بذلك ﴿وَابْتَغِ﴾: اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾: من المال ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾: بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَنسَ﴾: تترك ﴿نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: أي أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِن﴾: للناس بالصدقة ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾: تطلب ﴿الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾: بعمل المعاصي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ٧٧: بمعنى أنه يعاقبهم ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾: أي المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾: أي في مقابلته وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهرون قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾: الأمم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾: للمال أي هو عالم بذلك ويهلكهم الله ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ٧٨: لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب ﴿فَخَرَجَ﴾: قارون ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾:

بالعصبة﴾ الباء للتعدية، والمعنى لتثقل المفاتح العصبة. قوله: **[فرح بطر]** أي لأنه هو المذموم، وأما الفرح بالدنيا من حيث إنها تعينه على أمور الآخرة، كقضاء الدين والصدقة وإطعام الجائع وغير ذلك فلا بأس به. قوله: **[بأن تنفقه في طاعة الله]** أي كصلة الرحم والصدقة وغير ذلك.

قوله: **﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾** أي بأن تصرف عمرك في مرضاة ربك، ولا تدع نفسك من غير خير، فتصير يوم القيامة مفلساً، لما في الحديث «اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك». وقيل المراد بالنصيب الكفن ومؤن التجهيز، قال الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداآن تدرج فيهما وحنوط

قوله: **﴿وأحسن﴾ [للناس بالصدقة]** المناسب حمله على العموم، ويكون تفسيراً لقوله: **﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾** وقوله: **﴿كما أحسن الله إليك﴾** الكاف للتشبيه، وما مصدرية، والمعنى وأحسن احساناً كإحسان الله إليك، أو للتعليل.

قوله: **﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾** جواب لما قالوه من الجمل الخمس، كأنه ينكر محض الفضل، والمعنى إنما أوتيته حال كوني متصفاً بالعلم الذي عندي، فأعطاني الله تلك الأموال لكوني مستحقاً لها لفضلي وعلمي. قوله: **[وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة]** وقيل العلم الذي فضل به هو علم الكيمياء، فإن موسى علمه ثلثه، ويوشع ثلثه، وكالب ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف ما عندهما إلى ما عنده، فكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة، ومن النحاس فيجعله ذهباً، فكثر بذلك ماله وتكبر، وعلى هذا فقوله: **﴿على علم عندي﴾** المراد به علم الكيمياء، ويكون المعنى اكتسبته بعلمي الذي عندي، لا من فضل الله كما تقولون. قوله: **﴿أو لم يعلم﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أيدعي ولم يعلم أن الله الخ، والاستفهام للتوبيخ، والمعنى أنه إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك.

قوله: **﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾** أي لا يسألهم الله عن ذنوبهم إذا أراد عقابهم. إن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى **﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾**؟ أجيب: بأن السؤال قسمان: سؤال استعتاب، وسؤال توبيخ وتقريع، فالمنفي سؤال الاستعتاب الذي يعقبه العفو والغفران، كسؤال المسلم العاصي، والمثبت سؤال التوبيخ الذي لا يعقبه إلا النار. قوله: **﴿فخرج على قومه﴾** عطف على قوله **﴿إنما أوتيته على علم﴾** وما بينهما

بأتباعه الكثيرين ركباناً متحلين بملابس الذهب والحرير على خيول وبغال متحلية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَـٰرُونُ﴾: في الدنيا ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾: نصيب ﴿عَظِيمٍ﴾ ٧٩: وافٍ فيها ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ﴾: بما وعد الله في الآخرة ﴿وَيْلَكُمْ﴾: كلمة زجر ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾: في الآخرة بالجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾: مما أوتي قارون في الدنيا ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾: أي الجنة المثاب بها ﴿إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ ٨٠: على الطاعة وعن المعصية ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾: بقارون ﴿وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ

اعتراض، وكان خروجه يوم السبت، وقوله: [بأتباعه] قيل كانوا أربعة آلاف، وقيل تسعين ألفاً عليهم المعصفرات، وهو أول يوم رئي فيه المعصفرات، وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام، وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج، وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر، وكانت بغلته شهباء بياضها أكثر من سوادها، سرجها من ذهب، وكان على سرجها الأرجوان، بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء.

قوله: ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ أي وكانوا مؤمنين غير أنهم محجوبون. قوله: [كلمة زجر] أي وهي منصوبة بمقدر، أي ألزمكم الله ويلكم، والأصل في الويل الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع. قوله: [مما أوتي قارون في الدنيا] أي لأن الثواب منافعه عظيمة. قوله: ﴿ولا يلقاها﴾ أي يوفق للعمل بها. قوله: [على الطاعة وعن المعصية] أي وعلى الرضا بأحكامه تعالى.

قوله: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ قال أهل العلم بالأخبار والسير: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون، وأقرأهم للتوراة، وأجملهم وأغناهم، وكان حسن الصوت، فبغى وطغى واعتزل بأتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما، وهو يؤذيه في كل وقت، ولا يزيد إلا عتواً وتجبراً ومعاداة لموسى، حتى بنى داراً، وجعل بابها من الذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون، ويطعمهم الطعام، ويحدثونه ويضاحكونه، قال ابن عباس: فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار واحد، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فحسبه، فوجده شيئاً كثيراً فلم تسمح نفسه بذلك، فجمع بني إسرائيل وقال لهم: ان موسى قد أمركم بكل شيء، فأطعتموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم، قالت بنو إسرائيل: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت، قال: آمركم أن تأتوا بفلانة الزانية، فنجعل لها جعلاً، على أن تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك، خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه، فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم، وقيل جعل لها طشتاً من ذهب، وقيل قال لها قارون: أمولك وأخلطك بنسائي، على أن تقذفي موسى بنفسك غداً، إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد، جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى إلى موسى فقال له: إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم موسى، وهم في براح من الأرض، فقام فيهم فقال: يا بني إسرائيل، من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدنا ثمانين، ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة، ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت. قال قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. قال: فإن بني إسرائيل، يزعمون أنك فجرت بفلانة الزانية، قال موسى: ادعوها، فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة، أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت، فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها: أحدث توبة أفضل من أن أوذي رسول الله، فقالت: لا والله، ولكن جعل لي قارون جعلاً، على أن أقذفك بنفسي، فخر موسى ساجداً يبكي، وقال: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي، فأوحى الله إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك، فمرها بما شئت، فقال موسى: يا بني إسرائيل، إن الله بعثني إلى قارون، كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليثبت مكانه،

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ ⁸¹: منه ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾: أي من قريب ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ﴾: يوسّع ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾: يضيّق على من يشاء وَ«وَيْ» اسم فعل بمعنى أعجبُ أي أنا والكاف بمعنى اللام ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾: بالبناء للفاعل والمفعول ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ⁸²: لنعمة الله كقارون ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾: أي الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾: بالبغي ﴿وَلَا فَسَادًا﴾: بعمل المعاصي ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾: المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ⁸³: عقاب الله بعمل الطاعات ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾: ثواب بسببها وهو عشر أمثالها ﴿وَمَنْ

ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا، فلم يبقَ مع قارون إلا رجلان، ثم قال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذتهم الأرض بأقدامهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى الركب، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم الأرض إلى أوساطهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى الأعناق، وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى، ويناشده قارون الله والرحم، حتى قيل إنه ناشده سبعين مرة، وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيهم، فانطبقت عليهم. قال قتادة: خسفت به، فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل، لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة. وفي الخبر: إذا وصل قارون إلى قرار الأرض السابعة، نفخ إسرافيل في الصور، وأصبحت بنو إسرائيل يتحدثون فيما بينهم: إن موسى إنما دعا على قارون، ليستبد بداره وكنوزه وأمواله، فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض، قال بعضهم: مقتضى هذا الحديث، أن الأرض لا تأكل جسمه، فيمكن أن يلغز ويقال لنا: كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون. قوله: ﴿مِن فئة﴾ ﴿مِن﴾ زائدة، و﴿فئة﴾ اسم ﴿كان﴾ إن كانت ناقصة، والجار والمجرور خبرها، أو فاعل بها إن كانت تامة. قوله: ﴿من المنتصرين﴾ أي الممتنعين بأنفسهم. قوله: [أي من قريب] أشار بذلك إلى أن المراد بالأمس الوقت الماضي القريب لا اليوم الذي قبل يومك.

قوله: ﴿ويكأن الله﴾ الخ ﴿ويكأن﴾ فيها خمسة مذاهب، الأول: أن وَيْ كلمة برأسها اسم فعل بمعنى أعجب، والكاف للتعليل، وأنّ وما دخلت عليه مجرور بها أي أعجب لأن الله يبسط الرزق الخ، فالوقف على وي، وهو قراءة الكسائي. الثاني: إن كأن للتشبيه، غير أنه ذهب معناه منها وصارت للتحقيق، وحينئذ فالوقف على وي كالذي قبله. الثالث: إن ويك كلمة برأسها، والكاف حرف خطاب، وأن معمولة لمحذوف، أي أعلم أن الله يبسط الرزق الخ، وحينئذ فالوقف على ويك، وهو قراءة أبي عمرو. الرابع: أن أصلها ويلك حذفت اللام، وحينئذ فالوقف على الكاف أيضاً. الخامس: أن ويكأن كلها كلمة بسيطة، ومعناها ألم تر أن الله يبسط الرزق الخ، وحينئذ فالوقف على النون.

قوله: ﴿لولا أن من الله علينا﴾ أي بالإيمان والرحمة. قوله: [بالبناء للفاعل والمفعول] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ويكأنه﴾ تأكيد لما قبله، ويجري فيها ما يجري في التي قبلها. قوله: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، فإن فرعون وقارون تكبرا وتجبرا واختارا العلو، فآل أمرهما للخسران والوبال والدمار، وموسى وهارون اختارا التواضع، فآل أمرهما للعز الدائم الذي لا يزول ولا يحول. قوله: [أي الجنة] أي وما فيها من النعيم الدائم، ورؤية وجه الله الكريم، وسماع كلامه القديم. قوله: ﴿لا يريدون علواً﴾ التعبير بالإرادة أبلغ في النفي لأنه نفي وزيادة. قوله: ﴿نجعلها﴾ أي نصيرها. قوله: [بالبغي] أي الظلم والكبر كما وقع لفرعون وقارون وجنودهما. قوله: [بعمل المعاصي] أي كالقتل والزنا والسرقة وغير ذلك من الأمور التي تخالف أوامره تعالى. قوله: ﴿للمتقين﴾ أظهر في مقام الإضمار إظهاراً لشأنهم ومدحاً لهم بنسبتهم للتقوى وتسجيلاً على ضدهم.

جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا﴾: جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٨٤: أي مثله ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾: أنزله ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾: إلى مكة وكان قد اشتاقها ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٨٥: نزل جواباً لقول كفار مكة له إنك في ضلال أي فهو الجائي بالهدى وهم في ضلال وأعلم بمعنى عالم ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾: القرآن ﴿إِلَّا﴾: لكن ألقي إليك ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾: معيناً ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ ٨٦: على دينهم الذي دعوك إليه ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾: أصله يصدونك حذفت نون الرفع للجازم والواو الفاعل لالتقائها مع النون الساكنة ﴿عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾: أي لا ترجع إليهم في ذلك

قوله: ﴿من جاء بالحسنة﴾ تقدم أنه إن أريد ﴿بالحسنة﴾ لا إله إلا الله، فالمراد بالخير الجنة، و﴿من﴾ للتعليل، وليس في الصيغة تفضيل، وإن أريد بها مطلق طاعة فالمراد بالخير منها عشر أمثالها، كما جاء مفسراً به في الآية الأخرى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ فقول المفسر [ثواب بسببها] الخ إشارة للمعنى الثاني. قوله: ﴿وهو عشر أمثالها﴾ هذا أقل المضاعفة، وتضاعف لسبعين ولسبعمائة، والله يضاعف لمن يشاء، وهذا في الحسنة التي فعلها بنفسه أو فعلت من أجله، كالقراءة والذكر، إذا فعل وأهدى ثوابه للميت مثلاً، وأما الحسنة التي تؤخذ في نظير الظلامة فلا تضاعف، بل تؤخذ الحسنة للمظلوم، وأما المضاعفة فتكتب للظالم، لأنها محض فضل من الله تعالى، ليس للعبد فيه فعل، والمضاعفة مخصوصة بهذه الأمة، وأما غيرها فلا مضاعفة له.

قوله: ﴿فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ الخ أظهر في مقام الإضمار تسجيلاً وتقبيحاً على فاعل السيئات، لينزجر عن فعلها. قوله: [أي مثله] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [أنزله] أي أو فرضه. بمعنى أوجب عليك تبليغه للعباد والتمسك به. قوله: [إلى مكة وكان قد اشتاقها] تقدم أن سبب نزول هذه الآية، أنه ﷺ لما أذن له في الهجرة إلى المدينة، وخرج من الغار مع أبي بكر ليلاً، سار في غير الطريق، فلما نزل بالجحفة بين مكة والمدينة. وعرف طريق مكة، اشتاق إليها، وذكر مولده ومولد أبيه، فنزل عليه جبريل وقال له: أتشتاق إلى بلدك ومولدك، فقال عليه السلام: نعم، فقال جبريل: إن الله تعالى يقول: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن، لرادك إلى معاد﴾ يعني إلى مكة ظاهراً عليهم، وسميت البلد معاداً، لأن شأن الإنسان أن ينصرف من بلده ويعود إليها، وتقدم أن هذه الآية ينبغي قراءتها للمسافر، تفاؤلاً بعوده لوطنه، ولا يقال: إن الآية قيلت للنبي ﷺ فكيف تقال لغيره؟ لأنه لا يقال: إن القرآن نزل للتعبد والاقتداء به، فكأنه قال: كما صدقت وعد نبيك فاصدق وعدي. قوله: [جواباً لقول كفار مكة] الخ، أي كما قالت بنو إسرائيل لموسى مثل ذلك، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وقال موسى ربي أعلم من جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار﴾. قوله: [وأعلم بمعنى عالم] إنما احتيج إلى تحويله لتعديته للمفعول بنفسه، وإلا فكان مقتضى الظاهر تعديته بمن. قوله: ﴿وما كنت ترجو﴾ أي قبل مجيء الرسالة إليك. قوله: ﴿أن يلقى إليك الكتاب﴾ أي فإنزاله عليك ليس عن ميعاد، ولا بطلب منك، ومن هنا قال العلماء: إن النبوة ليست مكتسبة لأحد، قال في الجوهرة:

ولم تكن نبوة مكتسبة ... ولو رقى في الخير أعلى عقبه. الخ

قوله: [لكن ألقي إليك] أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع. قوله: ﴿فلا تكونن ظهيراً للكفرين﴾ الخطاب له، والمراد غيره، لاستحالة ذلك عليه. قوله: [حذفت نون الرفع للجازم] أي وهو لا الناهية. قوله: [لالتقائها مع النون

---

* أسباب نزول الآية ٨٥ قوله تعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة. فأنزل الله ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾.

﴿وَٱدْعُ﴾: النّاس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: بتوحيده وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٨٧]: بإعانتهم ولم يؤثر الجازم في الفِعْل لبنائه ﴿وَلَا تَدْعُ﴾: تعبد ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾: إلا إياه ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاء النافذ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٨٨]: بالنشور من قبوركم.

الساكنة] أي ووجود دليل يدل عليها وهو الضمة، وما مشى عليه المفسّر في تصريف الفِعْل، إنما يأتي على ندور، وهو تأكيد الفِعْل الخالي عن الطّلب، فالأولى أنْ يقول: وأصله يصدونك، دخل الجازم فحذف النون ثم أكد فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، ووجود الضمة دليلاً عليها. قوله: ﴿بعد إذ نزلت إليك﴾ أي بعد وقت إنزالها عليك. قوله: [أي لا ترجع إليهم] أي لا تركن إلى أقوالهم.

قوله: ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ الخطاب له والمراد غيره. قوله: [ولم يؤثر الجاز في الفعل] أي لفظاً وإن كان مؤثراً محلاً. قوله: [لبنائه] أيْ بسبب مباشرة نون التوكيد له، بخلاف قوله: ﴿ولا يصدنك﴾ فتأثر بالجازم، وإن كان مؤكداً بالنون لعدم مباشرتها للفعل، فإنه فصل بينها بواو الجماعة، قال ابن مالك: وأعربوا مضارعاً إن عريا. من نون توكيد مباشر. قوله: [تعبد] أشار بذلك إلى أن المراد بالدعاء العبادة، وحينئذ فليس في الآية دليل على ما زعمه الخوارج، من أن الطّلب من الغير حيّاً أو ميتاً شرك، فإنه جهل مركب لأنّ سؤال الغير من حيث إجراء الله النفع أو الضر على يده قد يكون واجباً، لأنه من التمسك بالأسباب، ولا ينكر الأسباب إلا جحود أو جهول. قوله: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ أي وكل ما سوى الله تعالى قابل للهلاك وجائز عليه، لأن وجوده ليس ذاتياً له، قال بعض العارفين:

الله قل وذر الوجود وما حوى ... إنْ كنت مُرتاداً بلوغ كمال
فالكل دون الله إنْ حققته ... عدم على التفصيل والإجمال
من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عين محال
والعارفون فنوا به لم يشهدوا ... شيئاً سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكاً ... في الحال والماضي والاستقبال

قيل: المراد بالهلاك الانعدام بالفعل، ويستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السّيوطي في قوله:

ثمانية حكم البقاء يعمها ... من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي ونار وجنة ... وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وهو معنى قول صاحب الجوهرة:

وكل شيء هالك قد خصصوا ... عمومه فاطلب لما قد لخصوا

ولا مفهوم لما عدّه السيوطي، بل منها أجساد الأنبياء والشهداء ومن في حكمه والحور والولدان. قوله: [إلا إياه] أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات، ويصح أن المراد به ما عمل لأجله سبحانه وتعالى، فإن ثوابه باق. قوله: ﴿وإليه ترجعون﴾ أي في جميع أحوالكم.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
[٢٩] - سورة العنكبوت

[مكية وهي تسع وستون آية]

﴿الٓمٓ﴾¹: الله أعلم بمراده بذلك ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ﴾: أي بقولهم ﴿ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾²: يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم نزل في جماعة آمنوا فآذاهم المشركون ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العنكبوت مكية
وهي تسع وستون آية

مبتدأ وخبر، وفي بعض النسخ سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية مكيّة، ففيه الفصل بين المبتدإ والخبر بالجملة الحالية، وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها، من باب تسمية الكل باسم الجزء، وتقدم أن أسماء السور توقيفي
بالجملة الحالية، وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها، من باب تسمية الكل باسم الجزء، وتقدم أن أسماء توقيفي
فإنها مدنية. قوله: [الله أعلم بمراده] تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لأنه من المتشابه الذي يفوض علمه لله تعالى. قوله: ﴿أحسب الناس﴾ الاستفهام يصح أن يكون للتقرير، وحينئذٍ فيكون المعنى: يجب على الناس أن يعترفوا بأنهم لا يتركون سدًى، بل يمتحنون ويبتلون لأن الدنيا دار بلاء وامتحان، أو للتوبيخ، وعليه فالمعنى لا يليق منهم هذا الحسبان، أي الظن والتخمين، بل الواجب عليهم علمهم بأنهم لا يتركون، وحسب فعل ماض، و﴿الناس﴾ فاعله، و﴿لأن﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر سدت مسد مفعولي حسب، و﴿أن يقولوا﴾ علة للحسبان، وقوله: ﴿وهم لا يفتنون﴾ الجملة حالية مقيدة لقوله: ﴿أحسب الناس﴾ ويكون المعنى: أحسب الناس أن يتركوا من غير افتتان بمجرد نطقهم بالشهادتين، أو من أجل نطقه بالشهادتين، بل لا بد من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين، ليتميز الراسخ من غيره. قوله: [بما يتبين به حقيقة إيمانهم] أي من المشاق كالهجرة والجهاد، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال.

* أسباب نزول الآية ٢: أخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي في قوله ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا﴾ الآية، قال: أنزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة أنه لا يقبل منكم حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة فتبعهم المشركون فردوهم، فنزلت هذه الآية فكتبوا إليهم أنه قد نزل فيكم كذا وكذا، فقالوا: نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه، فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ الآية. وأخرج عن قتادة قال: أنزلت ﴿ألم أحسب الناس﴾ في أناس من أهل مكة خرجوا يريدون النبي ﷺ، فعرض لهم المشركون فرجعوا، فكتب إليهم إخوانهم بما نزل فيهم فخرجوا فقتل من قتل وخلص من خلص، فنزل القرآن ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ الآية. وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله ﴿أحسب الناس﴾ الآية.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا﴾: في إيمانهم علم مشاهدة ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ﴾ [٣] فيه ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الشرك والمعاصي ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾: يفوتونا فلا ننتقم منهم ﴿سَآءَ﴾: بئس ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَحْكُمُونَ﴾ه [٤] حكمهم هذا ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا﴾: يخاف ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾: به ﴿لَأَتٍ﴾: فليستعد له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوال العباد ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [٥] بأفعالهم ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾: جهاد حرب أو نفس ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾: فإن

قوله: [نزل في جماعة] أي كعمار بن ياسر، وعياش بن أبي ربيعة، الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشا، وكانوا يُعذبون بمكة، والمقصود من الآية تسلية هؤلاء، وتعليم من يأتي بعدهم.

قوله: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ الخ، إما حال من الناس، وحينئذٍ فالمعنى أحسبوا ذلك، والحال أنهم علموا أن ذلك ليس سُنة الله ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ أو من فاعل يفتنون، والمعنى أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم، ولا يسلكوا بهم مسالك الأمم السابقة، روى البخاري عن خباب بن الأرت قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر، ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون». قوله: ﴿الذين صدقوا﴾ الخ، عبّر في جانب الصدق بالفعل الماضي، وفي جانب الكذب باسم الفاعل، إشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر، لم يظهر منهم إلا ما كان مخبأ، وأما الصادقون فقد زال وصف الكذب عنهم، وتجدد لهم الصدق، فناسبه التعبير بالفعل. قوله: [علم مشاهدة] جواب عما يقال: إن علم الله لا تجدد فيه، والجواب أن المراد ليظهر متعلق علم الله للناس بتبيان الصادق من الكذب.

قوله: ﴿أم حسب الذين﴾ الخ، انتقال من توبيخ إلى توبيخ، فالأول توبيخ للناس على ظنهم بلوغ الدرجات بمجرد الإيمان، من غير مشقة ولا تعب، والثاني أشد منه، وهو توبيخهم على ظنهم أنهم يفوتون عذاب الله ويفرون منه، مع دوامهم على الكفر. قوله: [الذي] ﴿يحكمونه﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن ﴿ما﴾ اسم موصول فاعل ﴿ساء﴾ و﴿يحكمون﴾ صلته، والعائد محذوف، والمخصوص بالذم محذوف قدره. بقوله: [حكمهم] وهذا يصح أن تكون ﴿ما﴾ مميزاً، والفاعل ضمير مفسر بما قال ابن مالك:

وما مميز وقيل فاعل ... في نحو نعم ما يقول الفاضل

قوله: ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ أي يعتقد ويجزم بأنه يلاقي الله، فيرجو رحمته ويخاف عقابه، وهذا تفسير أتم ما قاله المفسر، لأن المؤمن المصدق بلقاء الله لا بد له من الرجاء والخوف معاً، ويؤيد ما قلناه جواب الشرط الذي قدره بقوله: [فليستعد له] أي يتهيأ ويستحضر للرحمة والنجاة من العذاب. قوله: ﴿فإن أجل الله لآت﴾ ليس هذا هو جواب الشرط، وإلا لزم أن من لا يرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آتياً له، بل الجواب ما قدره المفسر. قوله: [بأفعالهم] أي وعقائدهم. قوله: [جهاد حرب] أي وهو الجهاد الأصغر، وقوله: [أو نفس] أي وهو الجهاد الأكبر، وذلك لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، والنفس أخته، ولا تغيب عن الإنسان أبداً، وهي خفية تظهر المحبة لصاحبها، بخلاف العدو من الكفار، وأيضاً إذا قتله الكافر كان شهيداً، وأما إذا قتلته نفسه، فإما عاص أو كافر، فلا شك أن جهاد النفس أكبر من جهاد الكفار، ولذا ورد في الحديث أنه قال بعد رجوعه من الجهاد: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قيل: يا رسول الله، وأي جهاد أكبر من هذا؟ قال: جهاد النفس والشيطان».

منفعة جهاده له لا لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ﴾ ٦: الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم ﴿وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: بعمل الصالحات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾: بمعنى حسن ونصبه بنزع الخافض الباء ﴿ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٧: وهو الصالحات ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾: أي إيصاء ذا حسن بأن يبرهما ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾: بإشراكه ﴿عِلْمٌ﴾: موافقة للواقع فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾: في

قوله: ﴿فإنما يجاهد لنفسه﴾ أي فلا تمنوا بطاعتكم وخدمتكم على ربكم فالفضل له في توفيقكم لعبادته، فالحصر إضافي فلا ينافي أنه ينتفع غيره بجهاده، كما ينتفع الآباء بصلاح الأولاد، فالمقصود نفي النفع عن الله لاستحالته عليه. قوله: ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ أي فلا يصل منهم نفع ولا ضر كما في الحديث القدسي: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً».

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ الخ، مبتدأ خبره الجملة القسمية، وهذا وعد حسن للمتصفين بالإيمان. قوله: ﴿لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ أي لا نؤاخذهم بها، وهذا ظاهر في غير المعصومين، وأما المعصومون فلا سيئات لهم، فما معنى تكفيرها؟ أجيب: بأن الكلام على الفرض والتقدير، يعني لو وجدت منهم سيئات تكفر، أو المراد بالسيئات خلاف الأولى على حسب مقامهم، ومن هنا قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: [بمعنى حسن] أي فاسم التفضيل ليس على بابه، لأنه يوهم أنهم يجازون على الأحسن لا على الحسن، وقد يقال: المراد بالأحسن الثواب الواقع في مقابلة الأعمال الصالحة، فالمعنى عليه حينئذ نضاعف لهم الثواب في نظير أعمالهم الصالحة فتأمل.

قوله: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾* سبب نزولها هي وآية لقمان والأحقاف، أن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، والسابقين إلى الإسلام، لما أسلم آلت أمه حمنة بنت أبي سفيان، أن لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بسقف، حتى تموت أو يكفر سعد بمحمد، فأبى سعد أن يطيعها، فصبرت ثلاثة أيام، لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل، حتى غشي عليها، فأتاها وقال لها: والله لو كان لك مائة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما كفرت بمحمد ﷺ، فإن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت، فنزلت الآية بالوصية عليها، وإنما أمر الله الأولاد ببر والديهم دون العكس، لأن الأولاد جبلوا على القسوة وعدم طاعة الوالدين، فكلفهم الله بما يخالف طبعهم، والآباء مجبولون على الرحمة والشفقة بالأولاد، فوكلهم لما جبلوا عليه. قوله: [أي إيصاء ذا حسن] أشار بذلك إلى أن حسناً صفة لمصدر محذوف على حذف مضاف، ويصح أن يبقى على مصدريته مبالغة على حد: زيد عدل. قوله: [بأن يبرهما] أي يحسن إليهما، وأوجه البر كثيرة جداً منها لين الجانب والخدمة وبذل المال لهما وطاعتهما في غير معاصي الله وغير ذلك.

قوله: ﴿وإن جاهداك لتشرك بي﴾ أتى هنا باللام، وفي لقمان بعلى حيث قال: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي﴾ لأن ما هنا موافق لما قبله في قوله: ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ وما في لقمان ضمن ﴿جاهداك﴾ معنى حملاك. قوله: ﴿ما ليس لك به علم﴾ ﴿ما﴾ مفعول تشرك، أي إلهاً لا علم لك به. قوله: [موافقة للواقع] علة لمحذوف تقديره ذكر هذا القيد موافقة للواقع، أي أن الواقع أن الإله واحد، فليس إله لك به علم، وإله لا علم لك به، وأما الأصنام فإشراكها مع الله في العبادة عجز وسخافة عقل، إذ لو تأمل الكافر أدنى تأمل، ما علم إلهاً غير الله ولا ظنه ولا

* أسباب نزول الآية ٨ قوله تعالى: ﴿وإن جاهداك﴾ الآية. أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال: قالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر، والله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر، فنزلت: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي﴾ الآية.

الإشراك ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾٨: فأجازيكم به ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾٩: الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾: أي أذاهم له ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾: في الخوف منه فيطيعهم فينافق ﴿وَلَئِن﴾: لام قسم ﴿جَاءَ نَصْرٌ﴾: للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: فغنموا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾: في الإيمان فأشركونا في الغنيمة قال تعالى ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾: أي بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾١٠: قلوبهم من الإيمان والنفاق بلى ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾١١: فيجازي الفريقين واللام في الفعلين لام قسم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾: ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾: في اتباعنا إن كانت والأمر بمعنى الخبر قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾١٢: في ذلك ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: أوزارهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾١٣: يكذبون على الله سؤال توبيخ واللام في

توهمه. قوله: ﴿إلي مرجعكم﴾ فيه وعد حسن لمن بر بوالديه واتبع الهدى، ووعيد لمن عق والديه واتبع سبيل الردى. قوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي بالصالح والسيىء، فيترتب على كل جزاؤه.

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ الخ ﴿الذين﴾ اسم موصول مبتدأ، و﴿آمنوا﴾ صلته، وقوله: ﴿لندخلنهم﴾ الخ، خبره. قوله: [بأن نحشرهم معهم] أي يوم القيامة، بل ويجتمعون بهم في البرزخ، فإذا مات المؤمن الصالح اجتمعت روحه بمن أحب من الأنبياء والأولياء حتى تقوم القيامة، فحينئذ يكون مرافقاً لهم في الدرجات العالية، قال تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً﴾.

قوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ الخ لما بين حال المؤمنين والكافرين فيما تقدم، بين هنا حال المنافقين وهم من أظهروا الإسلام وأخفوا الكفر، و﴿من الناس﴾ خبر مقدم، و﴿من يقول﴾ مبتدأ مؤخر، وقوله: ﴿آمنا بالله﴾ الخ، مقول القول. قوله: ﴿فإذا أوذي في الله﴾ أي آذاه الكفار على إظهار الإيمان. قوله: ﴿جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ أي لم يصبر على الأذى، بل ترك الدين الحق، والتشبيه من حيث إن عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر، فكذلك المنافقون جعلوا أذاهم مانعاً من الإيمان، وكان يمكنهم الصبر على الأذى إلى حد الاكراه، وتكون قلوبهم مطمئنة بالإيمان. قوله: [فيطيعهم] أي ظاهراً وباطناً، وأما المكره فقد أطاع ظاهراً لا باطناً، والمؤاخذة مرجعها للقلب. قوله: [والواو] الخ عطف على نون الرفع مسلط عليه قوله: [حذف منه]. قوله: [لالتقاء الساكنين] أي ولوجود الضمة دليلاً عليها. قوله: ﴿إنا كنا معكم﴾ [في الايمان] أي وإن الذي وقع منا، إنما هو على سبيل الاكراه. [أي بعالم] أشار بذلك إلى أن التفضيل في صفات الله وأسمائه ليس مراداً.

قوله: ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ الخ، أي ليظهر متعلق علمه للناس، فيفتضح المنافق، ويظهر شرف المؤمنين الخالص. قوله: [إن كانت] أي فرض حصولها، وإلا فهم ليسوا مسلمين أن في اتباعهم خطايا. قوله: [والأمر بمعنى الخبر] أي فالمعنى ليكن منكم الاتباع ومنا الحمل. قوله: ﴿وأثقالاً مع أثقالهم﴾ أي لأن الدال على الشر كفاعله، من غير أن ينقص من وزر الاتباع شيء. قوله: ﴿عما كانوا يفترون﴾ أي يختلقون من الاباطيل التي من جملتها قولهم [اتبعوا سبيلنا] الخ.

---

* أسباب نزول الآية: ١٠ قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ الآية. تقدم سبب نزولها في سورة النساء.

الفعلين لام قسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾: وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾: يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾: أي الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾١٤: مشركون ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾: أي نوحاً ﴿وَأَصْحَابَ ٱلسَّفِينَةِ﴾: أي الذين كانوا معه فيها ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾: عبرة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾١٥: لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾: خافوا عقابه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾١٦: الخير من غيره ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي غيره ﴿أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾: تقولون كذباً إن الأوثان شركاء لله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً﴾: لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فَٱبْتَغُوا عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾: اطلبوه منه ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ

قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ الخ، لما قدم سبحانه وتعالى تكاليف هذه الأمة، وبيّن أن من أطاع فله الجنة، ومن عصى فله النار، بيّن هنا أن هذه التكاليف ليست مختصة بهذه الأمة، بل من قبلهم كانوا كذلك، وتقدم أن نوحاً اسمه عبد الغفار، وقيل يشكر، وكان يسمى السكن لأن الناس بعد آدم سكنوا إليه فهو أبوهم، ولقب بنوح لكثرة نوحه على قومه، وقيل على خطيئته لما روي أنه مر بكلب فقال في نفسه ما أقبحه، فأوحى الله إليه أعبتني أم عبت الكلب؟ أخلق أنت أحسن منه، ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن إدريس بن برد بن أهاليل بن قينان بن نوش بن شيث ابن آدم عليه السلام. قوله: [وعمره أربعون سنة أو أكثر] تقدم أنه اختلف في الأكثر، فقيل بعث على رأس خمسين، وقيل مائتين وخمسين، وقيل مائة سنة، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿فلبث فيهم ألف سنة﴾ الخ، الحكمة في ذكر لبثه هذه المدة، تسليته ﷺ على عدم دخول الكفار في الإسلام، فكأن الله يقول لنبيه: لا تحزن فإن نوحاً لبث هذا العدد الكثير، ولم يؤمن من قومه إلا القليل، فصبر وما ضجر، فأنت أولى بالصبر، لقلة مدة مكثك وكثرة من آمن من قومك، والحكمة في المغايرة بين العام والسنة التفنن، وخص لفظ العام بالخمسين إشارة إلى أن نوحاً لما غرقوا استراح وبقي في زمن حسن، والعرب تعبر عن الخصب بالعام، وعن الجدب بالسنة. قوله: [طاف بهم وعلاهم] أي أحاط بهم وارتفع فوق أعلى جبل أربعين ذراعاً. قوله: [الذين كانوا معه فيها] قيل كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة، وقيل تسعة أولاده الثلاثة وستة من غيرهم وقيل غير ذلك. قوله: [ستين أو أكثر] قيل عاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة.

قوله: ﴿وإبراهيم﴾ قرأ العامة بالنصب عطف على ﴿نوحاً﴾ أو معمول لمحذوف، كما درج عليه المفسر حيث قدر [اذكر] وقرىء شذوذاً بالرفع على أنه مبتدأ، والخبر محذوف تقديره ومن المرسلين إبراهيم. قوله: ﴿اعبدوا الله﴾ أي امتثلوا ما يأمركم به على لسان نبيكم. قوله: ﴿واتقوه﴾ أي اجتنبوا نواهيه. قوله: ﴿ذلكم﴾ أي ما ذكر من العبادة والتقوى. قوله: ﴿خير لكم﴾ [مما أنتم عليه] الخ، أي في زعمكم أن فيه خيراً، والأحسن أن يقال: فلكم خير لكم من جميع الحظوظات المعجلة. قوله: [الخير] أي وهو عبادة الله، وقوله: [من غيره] أي وهو عبادة غيره. قوله: ﴿أوثاناً﴾ جمع وثن، وهو ما يصنع من حجر وغيره ليتخذ معبوداً. قوله: ﴿وتخلقون إفكاً﴾ أي تختلقونه وتخترعونه. قوله: ﴿لا يملكون لكم رزقاً﴾ أي لا يستطيعون ذلك لعجزهم وعدم قدرتهم عليه. قوله: [فاطلبوه منه] أي ولا تطلبوه من غيره، لأنه تكفل لكل دابة برزقها، قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾.

قوله: ﴿واعبدوه واشكروا له﴾ أي لأن بالشكر تزداد النعم، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾. قوله: ﴿إليه

تُرْجَعُونَ﴾ ١٧ ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾: أي تكذبوني يا أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من قبلي ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ١٨: إلا البلاغ البين في هاتين القصتين تسلية للنبي ﷺ ـ وقال تعالى في قومه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: بالياء والتاء ينظروا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾: هو بضم أوله وقرىء بفتحه من بدأ وأبدأ بمعنى أي يخلقهم ابتداء ﴿ثُمَّ﴾: هو ﴿يُعِيدُهُ﴾: أي الخلق كما بدأهم ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ١٩: فكيف ينكرون الثاني ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: لمن كان قبلكم وأماتهم ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾: مدًّا وقصراً مع سكون الشين ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٠: ومنه البدء والإعادة ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾: رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ٢١: تردون ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: ربكم عن إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: لو كنتم فيها أي لا تفوتونه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾: يمنعكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٢٢: ينصركم من عذابه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾: أي القرآن والبعث ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾: أي جنتي ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٢٣: مؤلم قال تعالى في قصة إبراهيم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾: التي قذفوه فيها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: أي إنجائه

ترجعون﴾ أي تردون فيثيب الطائع ويعذب العاصي. قوله: ﴿وإن تكذبوا﴾ شرط حذف جوابه تقديره: فلا يضرني تكذيبكم، وإنما تضرون أنفسكم. وقوله: ﴿فقد كذب أمم من قبلكم﴾ دليل الجواب، ومن هنا قوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ جمل معترضة كلام إبراهيم، وجواب قومه له، إشارة إلى أن المقصود بالخطاب أمة محمد ﷺ. قوله: [من قبلي] ﴿من﴾ اسم موصول مفعول كذب، والمعنى فلم يضر الرسل تكذيب قومهم لهم. قوله: [في هاتين القصتين] أي قصة نوح وإبراهيم. قوله: [وقد قال تعالى] أي رداً على منكري البعث. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿كيف يبدىء الله الخلق﴾ لما تقدم ذكر التوحيد والرسالة ذكر الحشر، وهذه الأصول الثلاثة يجب الإيمان بها، ولا ينفك بعضها عن بعض. قوله: [وقرىء بفتحه] أي شذوذاً. قوله: [من بدأ وأبدأ] لف ونشر مشوش. قوله: ﴿ثم﴾ [هو] ﴿يعيده﴾ قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة ليست معطوفة على ما قبلها، بل هي مستأنفة.

قوله: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ أمر من الله لمحمد ﷺ بأن يقل لمنكري البعث ما ذكر، ليشاهدوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات، ومن قدر على إنشائها ابتداء يقدر على إعادتها. قوله: [مع سكون الشين] راجع للقصر، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿يعذب من يشاء﴾ أي في الدنيا والآخرة. وقوله: ﴿ويرحم من يشاء﴾ أي فيهما فلا يسأل عما يفعل. قوله: [لو كنتم فيها] أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض والسماء حقيقتهما، ويصح أن يراد بهما جهة السفل والعلو. قوله: [أي القرآن والبعث] لف ونشر مرتب، فالأول راجع للآيات، والثاني للقاء. قوله: ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾ أي يوم القيامة، وعبّر بالماضي لتحقق وقوعه.

قوله: ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه﴾ الخ، أي لم يكن جواب قوم إبراهيم له، حين أمرهم بعبادة الله، وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان، جزاء لما صدر منه من النصيحة إلا ذلك، فإن النفس الخبيثة أبت أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها، وهذا الكلام واقع من كبارهم لصغارهم لأن الشأن أن الأمر بالقتل أو التحريق يكون من الكبار، والذي يتولى ذلك الصغار، وإنما أجابوا بذلك عناداً بعد ظهور الحجة منه. قوله: ﴿أو حرقوه﴾ أتى هنا بالترديد، واقتصر في الأنبياء على أحد الأمرين، وهو الذي فعلوه، إلى أن ما هنا حكاية عن أصل تشاورهم، وما في

منها ﴿لَآيَاتٍ﴾: هي عدم تأثيرها فيه مع عظمها وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٤: يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بها ﴿وَقَالَ﴾: إبراهيم ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونها وما مصدرية ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ خبر إن وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة المعنى تواددتم على عبادتها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾: يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَأْوَاكُمُ﴾: مصيركم جميعاً ﴿النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ ٢٥: مانعين منها ﴿فَآمَنَ لَهُ﴾: صدّق بإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾: وهو ابن أخيه هاران ﴿وَقَالَ﴾: إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾: من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾: أي إلى حيث أمرني ربي وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ ٢٦: في صنعه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾: بعد إسماعيل ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: بعد إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾: فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته ﴿وَالْكِتَابَ﴾: بمعنى الكتب أي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾: وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٢٧: الذين لهم الدرجات العلى ﴿وَ﴾: اذكر ﴿لُوطًا﴾

الأنبياء عن عزمهم وتصميمهم على ما فعلوه. قوله: ﴿فأنجاه الله من النار﴾ في الكلام حذف، التقدير فقذفوه في النار فأنجاه الله الخ، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: [التي قذفوه فيها]. قوله: [هي] أي الآيات. قوله: [وإخمادها] أي سكون لهبها مع بقاء جمرها، وأما الإهماد فهو طفء النار بالمرة. قوله: [في زمن يسير] أي مقدار طرفة عين. قوله: [لأنهم المنتفعون] علة لمحذوف، والتقدير خصوا بالذكر لأنهم الخ.

قوله: ﴿وقال﴾ [إبراهيم] عطف على قوله: ﴿فأنجاه الله من النار﴾. قوله: ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً﴾ إن حرف توكيد ونصب، وما مصدرية، و﴿اتخذتم﴾ صلتها مسبوكة بمصدر اسم إن، و﴿أوثاناً﴾ مفعول أول، والمفعول الثاني محذوف قدره المفسر بقوله: [تعبدونها] و﴿مودة﴾ خبر إن، و﴿من دون الله﴾ حال من ﴿أوثاناً﴾ وهذا على قراءة الرفع، وقوله: [وعلى قراءة النصب] مفعول [وما كافة] أي سواء قرئ بتنوين ﴿مودة﴾ ونصب ﴿بينكم﴾ أو بعدم التنوين وخفض بينكم واتخذ إما متعد لواحد أو لاثنين، والثاني هو قوله: ﴿من دون الله﴾ ويصح أن تكون ما اسماً موصولاً، و﴿اتخذتم﴾ صلته والعائد محذوف، والتقدير إن الذي اتخذتموه من دون الله أوثاناً تعبدونها لأجل المودة بينكم، ونقل عن عاصم أنه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم، وخرجت على إضافة مودة للظرف، وبني لإضافته لغير متمكن كقراءة ﴿لقد تقطع بينكم﴾ بالفتح إذا جعل بينكم فاعلاً، فتحصل أن القراءات أربع: الرفع مع جر بين وفتحها، والنصب مع جر بين وفتحها، وكلها سبعي. قوله: [المعنى] أي الحاصل من تلك القراءات. قوله: [يتبرأ القادة] أي ينكرونهم ويقولون لهم لا نعرفكم. قوله: [صدق بإبراهيم] أي نبوته وإن كان مؤمناً قبل ذلك، ويجب الوقف على لوط لأن قوله: ﴿وقال إني مهاجر﴾ من كلام إبراهيم، فلو وصل لتوهم أنه من كلام لوط. قوله: [أي إلى حيث أمرني ربي] دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر اللفظ إثبات الجهة له سبحانه وتعالى. قوله: [وهاجر من سواد العراق] أي فنزل بحران هو وزوجته سارة ولوط ابن أخيه، ثم انتقل منها فنزل بفلسطين ونزل لوط بسدوم، كان عمر إبراهيم إذ ذاك خمساً وسبعين سنة.

قوله: ﴿ووهبنا له﴾ أي بعد هجرته. قوله: [بعد إسماعيل] أي بأربع عشرة سنة. قوله: ﴿في ذريته﴾ أي إبراهيم. قوله: [فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته] أي لانحصار الأنبياء في إسماعيل وإسحاق ومدين جد شعيب. قوله: [وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان] أي فجميع أهل الأديان يحبونه ويذكرونه بخير وينتمون إليه. قوله: ﴿لمن

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾: أي أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٨: الإنس والجن ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾: طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس الممر بكم ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ﴾: أي متحدثكم ﴿الْمُنْكَرَ﴾: فعل الفاحشة بعضكم ببعض ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٢٩: في استقباح ذلك وإن العذاب نازل بفاعليه ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي﴾: بتحقيق قولي في إنزال العذاب ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ ٣٠: العاصين بإتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾: بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: أي قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ٣١: كافرين ﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾: أي الرسل ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٣٢: الباقين في العذاب ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾: حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: صدراً لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه فأعلموه أنهم رسل ربه ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٣٣: ونصب أهلك عطف على محل الكاف ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾: عذاباً ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا﴾: بالفعل الذي ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ٣٤: به أي بسبب فسقهم ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا

الصالحين﴾ أي الكاملين في الصلاح. قوله: ﴿ولوطاً﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [اذكر]. قوله: ﴿لقومه﴾ أي أهل سذوم وتوابعها. قوله: [وإدخال ألف بينهما] أي وعدمه، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: [الإنس والجن] أي من عهد آدم إلى قوم لوط. قوله: [بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم] قيل إنهم كانوا يجلسون في مجالسهم، وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى، فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه، فأيهم أصابه كان أولى به، فيأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاض بذلك. قوله: [فعل الفاحشة] أي والضراط وكشف العورات وغير ذلك من القبائح.

قوله: ﴿إلا أن قالوا ائتنا﴾ الخ، أي على سبيل الاستهزاء. قوله: [بإتيان الرجال] أي وفعل بقية الفواحش. قوله: [فاستجاب الله دعاءه] أي فأمر الملائكة بإهلاكهم، وأرسلهم مبشرين ومنذرين، فبشروا إبراهيم بالذرية الطيبة، وأنذروا قوم لوط بالعذاب. قوله: [بإسحاق ويعقوب] أي وبهلاك قوم لوط. قوله: ﴿قال إن فيها لوطاً﴾ هذا بعد المجادلة التي تقدمت في قوله: ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾ حيث قال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا: لا، إلى أن قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا: لا، ﴿قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها﴾. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [الباقين في العذاب] أي لم يخلصوا منه، لأن الدال على الشر كفاعله، وهي قد دلت القوم على أضياف لوط، فصارت واحدة منهم بسبب ذلك.

قوله: ﴿ولما أن جاءت﴾ ﴿أن﴾ زائدة للتوكيد. قوله: [حزن بسببهم] أشار بذلك إلى أن الباء في بهم سببية. قوله: ﴿ذراعاً﴾ تمييز محول عن الفاعل أي ضاق ذرعه، وقوله: [صدراً] تفسير للحاصل المعنى، وإلا فالذرع معناه الطاقة والقوة. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [على محل الكاف] أي وهو النصب على أنها مفعول منجو. قوله: [عذاباً] قيل هو حجارة، وقيل نار، وقيل خسف، وعليه فالمراد بكونه من السماء أن الحكم به

﴿مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾: ظاهرة هي آثار خرابها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٣٥: يتدبرون ﴿وَ﴾: أرسلنا ﴿إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ﴾: اخشوه هو يوم القيامة ﴿وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ٣٦: حال مؤكدة لعاملها من عَثِيَ بكسر المثلثة أفسد ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ٣٧: باركين على الركب ميتين ﴿وَ﴾: أهلكنا ﴿عَاداً وَثَمُوداً﴾: بالصرف وتركه بمعنى الحي والقبيلة ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾: إهلاكهم ﴿مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾: بالحجر واليمن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ٣٨: ذوي بصائر ﴿وَ﴾: أهلكنا ﴿قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾: من قبل ﴿مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الحجج الظاهرات ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ ٣٩: فائتين عذابنا ﴿فَكُلاًّ﴾: من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً﴾: ريحاً عاصفة فيها حصباء كقوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾: كثمود ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ﴾: كقارون ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾: كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ

من السماء. قوله: [هي آثار خرابها] وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها، أبقاها الله عز وجل حتى أدركتها أوائل هذه الأمة، وقيل هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض. قوله: ﴿لقوم يعقلون﴾ متعلق بتركنا أو ببينة، وخصهم لأنهم المنتفعون بالاتعاظ بها.

قوله: ﴿إلى مدين﴾ متعلق بمحذوف معطوف على [أرسلنا] في قصة نوح. قوله: ﴿أخاهم شعيباً﴾ أي لأنه من ذرية مدين بن إبراهيم الذي هو أبو القبيلة، فكما هو منسوب لمدين هم كذلك. قوله: ﴿اعبدوا الله﴾ أي وحدوه. قوله: ﴿وارجوا اليوم﴾ يصح أن يبقى الرجاء على معناه، ويكون المعنى ارجوا رحمة الله في اليوم الآخر، ويصح أن يكون بمعنى خافوا، والمعنى خافوا عقاب الله في اليوم الآخر، وإليه يشير المفسر بقوله: [اخشوه]. قوله: [من عثي بكسر المثلثة] أي من باب تعب، ويصح أن يكون من باب قال. قوله: ﴿فكذبوه﴾ إن قلت: مقتضى الظاهر أن يقال: فلم يمتثلوا أوامره؛ لأن التكذيب إنما يكون في الأخبار. أجيب: بأن ما ذكره من الأمر والنهي متضمن للخبر، كأنه قيل: الله واحد فاعبدوه، والحشر كائن فارجوه، والفساد محرم فاجتنبوه، فالتكذيب راجع إلى الأخبار.

قوله: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي الزلزلة التي نشأت من صيحة جبريل عليهم، وتقدم في هود ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ ولا منافاة بين الموضعين، فإن سبب الرجفة الصيحة، والرجفة سبب في هلاكهم، فتارة يضاف الأخذ للسبب، وتارة لسبب السبب. قوله: [بالصرف وتركه] راجع لثمود فقط، وقوله: [بمعنى الحي والقبيلة] لف ونشر مرتب، لكونه بمعنى الحي اسم جنس، لم توجد فيه العلمية التي هي إحدى علتي منع الصرف، وكونه بمعنى القبيلة يكون علم شخص على أبي القبيلة، فقد وجدت فيه العلتان. قوله: [إهلاكهم] أشار بذلك إلى أن فاعل تبين ضمير عائد على الإهلاك. قوله: [بالحجر] راجع لثمود، وهو واد بين الشام والمدينة، وقوله: [واليمن] راجع لعاد. قوله: ﴿وكانوا مستبصرين﴾ أي بواسطة الرسل، فلم يكن لهم عذر في ذلك، لأن الرسل بينوا طريق الحق بالحجج الواضحة له. قوله: [ذوي بصائر] أي عقلاء متمكنين من النظر والاستبصار، لكنهم لم يفعلوا تكبراً وعناداً.

قوله: ﴿وقارون﴾ قدمه على ﴿فرعون﴾ لشرفه عليه لكونه ابن عم موسى. قوله: ﴿وهامان﴾ هو وزير فرعون. قوله: ﴿فاستكبروا﴾ أي تكبروا عن عبادة الله. قوله: ﴿بذنبه﴾ الباء سببية أي بسبب ذنبه. قوله: ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ أي يعاملهم معاملة ملك ظالم في رعيته، وعلى فرض لو عذبهم بغير ذنب لا يكون ظالماً لأنه الخالق

﴿يَظْلِمُونَ﴾ ٤٠: بارتكاب الذنب ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾: أي أصناماً يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾: لنفسها تأوي إليه ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾: أضعف ﴿الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾: لا يدفع عنها حراً ولا برداً كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ٤١: ذلك ما عبدوها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾: بمعنى الذي ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون بالياء والتاء ﴿مِن دُونِهِ﴾: غيره ﴿مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ ٤٢: في صنعه ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾: في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾: نجعلها ﴿لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا﴾: أي يفهمها ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٤٣: المتدبرون ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: أي محقاً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: دالة على قدرته تعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٤٤: خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾: شرعاً أي من شأنها ذلك ما دام المرء

المتصرف في ملكه على ما يريد. قوله: [يرجون نفعها] هذا هو وجه الشبه، أي فمثل الذين اتخذوا من دون الله أصناماً يعبدونها، في اعتمادهم عليها ورجائهم نفعاً، كمثل العنكبوت في اتخاذها بيتاً، لا يغني عنها في حر ولا برد ولا مطر ولا أذى، وحمل المفسر الأولياء على الأصنام مخرج للأولياء بمعنى المتولين في خدمة ربهم، فإن اتخاذهم بمعنى التبرك بهم والالتجاء لهم والتعلق بأذيالهم مأمور به، وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لا بهم، خلافاً لمن جهل وعاند وزعم أن التبرك بهم شرك. قوله: ﴿كمثل العنكبوت﴾ هو حيوان معروف، له ثمانية أرجل وستة أعين، يقال إنه أقنع الحيوانات، جعل الله رزقه أحرص الحيوان وهو الذباب والبق، ونونه أصلية، والواو والتاء زائدتان، بدليل قولهم في الجمع عناكب، وفي التصغير عنيكيب.

قوله: ﴿وإن أوهن البيوت﴾ الجملة حالية. قوله: [كذلك الأصنام لا تنفع عابديها] أي فمن التجأ لغير الله فلا ينفعه شيء، ومن التجأ لله وقاه بغير سبب وبسبب ضعيف، ومن هنا وقاية رسول الله ﷺ من الكفار حين نزل الغار، بالعنكبوت وبيض الحمام، مع كونهما أضعف الأشياء. قوله: [ما عبدوها] قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف. قوله: [بمعنى الذي] أشار بذلك إلى أن ﴿ما﴾ اسم موصول، وجملة ﴿يدعون﴾ صلتها، والموصول وصلته معمول ليعلم. قوله: [أي يفهمها] أي يفهم صحتها وفائدتها. قوله: ﴿إلا العالمون﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بذلك، وأما الكافرون فيزدادون طغياناً وعتواً. قوله: [محقاً] أشار بذلك إلى أن الباء في ﴿بالحق﴾ للملابسة، والجار والمجرور حال. قوله: [خصوا بالذكر] جواب عما يقال إن في خلق السماوات والأرض آية لكل عاقل.

قوله: ﴿اتل ما أوحي إليك﴾ أي ما أوحاه الله إليك بنزول جبريل، والمعنى تقرب إلى الله بتلاوته وترداده أنت وأمتك لأن فيه محاسن الآداب ومكارم الأخلاق. قوله: ﴿من الكتاب﴾ بيان لما. قوله: ﴿وأقم الصلاة﴾ أي دم على إقامتها، بأركانها وشروطها وآدابها، فإنها عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، والخطاب للنبي والمراد هو وأمته، بدليل مدحهم في آية ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ الآية.

قوله: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ أي المواظبة عليها، تكون سبباً في تطهيره عن الفحشاء والمنكر، إذا استوفيت شروطها وآدابها، لأن الواجب حين الاقبال على الصلاة التطهير من الحدث الحسي والمعنوي بتجديد التوبة، فإذا وقف بين يدي الله، وخشع وتذكر أنه واقف بين يدي مولاه، وأنه مطلع عليه يراه، فحينئذ يظهر على جوارحه هيبتها، وقوله: [ما دام المرء فيها] هذا أحد قولين، والقول الصحيح أنها تنهى عنها في سائر الأوقات، لما روي

فيها ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: من غيره من الطاعات ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ ٤٥: فيجازيكم به ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي﴾: أي المجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾: كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾: بأن حاربوا وأبوا أن يقروا بالجزية فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوٓاْ﴾: لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ ٤٦: مطيعون ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن

أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله ﷺ، ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ارتكبه، فوصف للنبي ﷺ حاله فقال: إن صلاته ستنهاه، فلم يلبث أن تاب وحسن حاله. وروي عن بعض السلف، أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه، فكلم في ذلك فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى، وحق لي هذا مع ملوك الدنيا، فكيف مع ملك الملوك، وأما من صلاته بخلاف ذلك، بأن كانت لا خشوع فيها ولا تذكر، فإنها لا تكون سبباً في نهيه عن الفحشاء والمنكر، بل يستمر على ما هو عليه من البعد، لما ورد: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم تزده من الله إلا بعداً.

قوله: ﴿ولذكر الله﴾ أي بسائر أنواعه أكبر، أي أفضل الطاعات على الإطلاق، لما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله. وروي أن رسول الله ﷺ سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيراً، قالوا: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ فقال: لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله كثيراً أفضل منه درجة. فالذكر أفضل الأعمال، وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة، ولذا ورد عن الجنيد أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه، فيلقنهم الذكر ويأمرهم بالإكثار منه فتنور قلوبهم. قوله: ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ أي من خير وشر فيجازيكم عليه.

قوله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ أي لا تدعوهم إلى دين الله إلا بالكلام اللين المعروف والإحسان لعلهم يهتدون، وقوله: ﴿إلا الذين ظلموا﴾ أي فادعوهم إلى دين الله بالإغلاظ والشدة، وقاتلوا حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ الآية، وعلى هذا التقدير فالآية محكمة وهو التحقيق. قوله: [بأن حاربوا] الخ أشار بذلك إلى أن المراد بالظلم الامتناع مما يلزمهم شرعاً فلا يقال إن الكل ظالمون لأنهم كفار. قوله: [أو يعطوا الجزية] أي يلتزموا بإعطائها.

قوله: ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ أي لما روي أنه كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ الآية»، وفي رواية «وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم». ومحل ذلك ما لم يتعرضوا لأمور توجب نقض عهدهم، كأن يظهروا أن شرعهم غير منسوخ، وأن نبينا غير صادق فيما جاء به، وغير ذلك، فحينئذ نقاتلهم، ومحله أيضاً ما لم يخبرونا بخبر موافق لما في كتابنا، وإلا فيجب تصديقهم من حيث إن الله أخبرنا به.

كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: التوراة كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالقرآن ﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾: أي أهل مكة ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾: بعد ظهورها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ ٤٧: أي اليهود وظهر لهم أن القرآن حق والجائي محق وجحدوا ذلك ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ﴾: أي القرآن ﴿مِن كِتَابٍ﴾: الله ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا﴾: أي لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لَّارْتَابَ﴾: شك ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ ٤٨: اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ﴿بَلْ هُوَ﴾: أي القرآن الذي جئت به ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: أي المؤمنين يحفظونه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ ٤٩: أي اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم ﴿وَقَالُوا﴾: أي كفار مكة ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: أي محمد ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: وفي قراءة آيات كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾: ينزلها كيف يشاء ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ٥٠: مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾: فيما طلبوا ﴿أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: الكتاب ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ﴾:

قوله: ﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ أي نفعناهم به، بأن أعطيناهم نوره، وظهرت ثمرته عليهم، وهم الذين يؤمنون به، وإلا فجميع علمائهم أوتوا الكتاب، ولم يسلم منهم إلا القليل، ويصح أن يكون المراد ﴿ففريق من أهل الكتاب﴾ الخ. قوله: ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ أي ينكرها بعد معرفتها. قوله: [أي اليهود] لا مفهوم له بل النصارى والمشركون كذلك فالمناسب أن يقول: إلا الكافرون كاليهود.

قوله: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب﴾ شروع في اثبات الدليل على أن القرآن من عند الله وأنه معجز للبشر، كأن الله يقول لأهل الكتاب: أنتم لا عذر لكم في إنكار القرآن، ولا في تكذيب النبي ﷺ لأن من جملة صفاته في كتبهم، أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ووجد بهذه الصفة، فلو فرض أنه كان يكتب أو يقرأ، لحصل لكم الشك في نبوته، وفي القرآن لوجوده على خلاف الصفة التي في كتبهم. قوله: ﴿من كتاب﴾ مفعول ﴿تتلو﴾ و﴿من﴾ زائدة. قوله: [أي لو كنت قارئاً كاتباً] لف ونشر مرتب. قوله: [اليهود] لا مفهوم له. قوله: ﴿بل هو آيات بينات﴾ إضراب عما تقدم من الارتياب. قوله: [أي المؤمنين يحفظونه] أي لفظاً ومعنى لما ورد: «وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم أي كالأناجيل»، والمعنى أن القرآن محفوظ في صدورهم وثابت فيها، كما كان كتاب النصارى ثابتاً في أناجيلهم. قوله: ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ أي القرآن. قوله: [اليهود] تقدم ما فيه. قوله: [وفي قراءة آيات] أي وهما سبعتان. قوله: [ينزلها كيف يشاء] أي على ما يريد، ولا دخل لأحد في ذلك لأن المعجزة أمر خارق للعادة يأتي بفضل الله.

قوله: ﴿أو لم يكفهم﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، التقدير أجهلوا ولم يكفهم الخ، والاستفهام للتوبيخ. قوله: ﴿أنا أنزلنا﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل يكف، والتقدير أو لم يكفهم إنزالنا. قوله: [مستمرة لا انقضاء لها] أخذ ذلك من قوله: ﴿يتلى عليهم﴾. قوله: [بخلاف ما ذكر من الآيات] أي فانقضت

---

* أسباب نزول الآية ٥١ قوله تعالى: ﴿أو لم يكفهم﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والدارمي في مسنده من طريق عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: جاء أناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود، فقال النبي ﷺ: كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم، فنزلت ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾.

عظة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥١ : ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾ : بصدقي ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : ومنه حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ : وهو ما يعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُوا بِاللهِ﴾ : منكم ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٥٢ : في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ : له ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ : عاجلا ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٥٣ : بوقت إتيانه ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ : في الدنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ٥٤ ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ﴾ : فيه بالنون أي نأمر بالقول وبالياء أي يقول الموكل بالعذاب ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٥٥ : أي جزاءه فلا تفوتوننا ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ ٥٦ : في أرض تيسرت فيها العبادة بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها نزل في ضعفاء مسلمي مكة كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ٥٧ : بالتاء والياء بعد البعث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ : ننزلهن وفي قراءة بالمثلثة بعد النون من الثواء الإقامة وتعديته إلى غرفا بحذف في ﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ : مقدرين

بموت الرسل. قوله: ﴿لقوم يؤمنون﴾ خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بذلك. قوله: [ومنه حالي وحالكم] أي من جملة ما في السموات والأرض. قوله: ﴿الذين آمنوا بالباطل﴾ أي خضعوا له وعبدوه. قوله: [حيث اشتروا الكفر بالإيمان] أي أخذوا الكفر وتركوا الإيمان. قوله: ﴿ولولا أجل مسمى﴾ [له] أي للعذاب. قوله: ﴿وليأتينهم بغتة﴾ أي كوقعة بدر، فإنها أتتهم على حين غفلة. قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي لا يظنون أن العذاب يأتيهم أصلاً.

قوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ تعجب من قلة فطنتهم ومن تعنتهم، والمعنى: كيف يستعجلون العذاب، والحال أن جهنم محيطة بهم يوم القيامة لا مفر لهم منها؟ قوله: ﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ ظرف لقوله محيطة، والمعنى على الاستقبال، أي ستحيط بهم في ذلك اليوم. قوله: ﴿من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ تفسير للاحاطة وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾. قوله: [أي نأمر بالقول] إنما أوله جمعاً بين ما هنا، وبين قوله في الأخرى ﴿لا يكلمهم الله يوم القيامة﴾. قوله: [أي جزاءه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿يا عبادي الذين آمنوا﴾ خطاب لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من اظهار الإسلام في مكة كما قال المفسر، والإضافة لتشريف المضاف. قوله: ﴿فإياي فاعبدون﴾ إياي منصوب بفعل محذوف دل عليه المذكور. قوله: [كانوا في ضيق] الخ، أي فوسع الله لهم الأمر، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فمن تعسرت عليه العبادة في بلده، فعليه أن يهاجر منها لبلد تتيسر له فيها لقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فالمهم العبادة في أي مكان تيسر، ولا يعول على مكان في الدنيا، لأنها دار ممر لا مقر، والمار في طريق لا يعول على مسكن ولا قرار في طريقه.

قوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ أي لا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت، فإن ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ فالحكمة في تخويفهم من الموت، كون مفارقة الأوطان تهون عليهم، فإن من أيقن بالموت هان عليه كل شيء في الدنيا. قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ لما ذكر أحوال الكفار، وما آل إليه أمرهم، أتبعه بذكر أحوال المؤمنين، وما آل إليه أمرهم. قوله: [وفي قراءة بالمثلثة] أي الساكنة بعد النون، وبعدها واو مكسورة ثم ياء مفتوحة، و[غرفاً] على هذه القراءة، إما منصوب بنزع الخافض كما قال المفسر، أو مفعول به بتضمين مثوى معنى نزل فيتعدى،

الخُلود ﴿فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ٥٨: هذا الأجر هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: أي على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ٥٩: فيرزقهم من حيث لا يحتسبون ﴿وَكَأَيِّنْ﴾: كم ﴿مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾: لضعفهم ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾: أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ ٦٠: بضمائركم ﴿وَلَئِنْ﴾: لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾: أي الكفار ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ٦١: يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيق ﴿لَهُ﴾: بعد البسط أي لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٦٢: ومنه محل البسط والتضييق ﴿وَلَئِنْ﴾: لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فكيف يشركون به ﴿قُلِ﴾: لهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على ثبوت الحجة عليكم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٦٣: تناقضهم في ذلك ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾: وأما القرب فمن أمور الآخرة لظهور

لاثنين. قوله: ﴿تجري من تحتها﴾ أي الغرف. قوله: [مقدرين الخلود] ﴿فيها﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة، أي أنهم حين الدخول يقدرون الخلود لأنه أتم في النعيم لسماعهم النداء من قبل الله: يا أهل الجنة خلود بلا موت. قوله: [هذا الأجر] أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف. قوله: ﴿الذي صبروا﴾ نعت للعالمين، أو خبر لمحذوف كما قال المفسر. قوله: [لإظهار الدين] متعلق بالهجرة. قوله: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ سبب نزولها: أنه ﷺ لما أمر المؤمنين بالهجرة قالوا: كيف نخرج إلى المدينة، وليس بها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا: وقوله: ﴿لا تحمل رزقها﴾ أي لا تدخره لغد كالبهائم والطير، قال سفيان بن عيينة: ليس شيء من الخلق يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة. قوله: ﴿الله يرزقها وإياكم﴾ أي فلا فرق بين الحريص والمتوكل والضعيف والقوي في أمر الرزق، بل ذلك بتقدير الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ فينبغي للإنسان أن يفوض أمر الرزق له تعالى، ولا ينافي هذا أخذه في الأسباب، لأن الله تعالى أوجد الأشياء عند أسبابها لا بها، فالأسباب لا تنكر، ومن أنكرها فقد ضل وخسر. قوله: ﴿ولئن سألتهم﴾ أي كفار مكة. قوله: ﴿من خلق السماوات والأرض﴾ الخ، أتى في جانب السماوات والأرض بالخلق، وفي جانب الشمس والقمر بالتسخير، إشارة إلى أن الحكمة في خلقهما التسخير الذي ينشأ عنه الليل والنهار، اللذان بهما قوام العالم بخلاف السماوات والأرض، فالنفع في مجرد خلقهما. قوله: ﴿فأنى يؤفكون﴾ الاستفهام للتوبيخ. قوله: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ أي فلا تركن لغيره، فليس مالكاً لضر ولا نفع. قوله: ﴿فأحيى به﴾ أي النبات الناشىء عن الماء. قوله: ﴿من بعد موتها﴾ أي جدبها وقحط أهلها. قوله: [فكيف يشركون به] أي بعد إقرارهم. قوله: ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ أي والأقل يعقل، ومن عقل منهم اهتدى وآمن. قوله: ﴿وما هذه

---

* أسباب نزول الآية ٦٠ قوله تعالى: ﴿وكأين من دابة﴾ الآية. أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله ﷺ دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط التمر ويأكل، فقال لي: يا ابن عمر مالك لا تأكل؟ قلت: لا أشتهيه. قال: لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا لقيت قوماً يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين؟ قال: فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾. فقال رسول الله ﷺ: إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهماً ولا أخبأ رزقاً لغد.

ثمرتها فيها ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾: بمعنى الحياة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾٦٤: ذلك ما آثروا الدنيا عليها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أي الدعاء أي لا يدعون معه غيره لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾٦٥: به ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾: من النعمة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾: باجتماعهم على عبادة الأصنام وفي قراءة بسكون اللام أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾٦٦: عاقبة ذلك ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾: بلدهم مكة ﴿حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: قتلا وسبيا دونهم ﴿أَفَبِٱلْبَاطِلِ﴾: الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾٦٧: بإشراكهم ﴿وَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾: النبي أو الكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مأوى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾٦٨: أي فيها ذلك وهو منهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾: في حقنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: أي طرق السير إلينا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾٦٩: المؤمنين بالنصر والعون.

الحياة الدنيا﴾ أشار بذلك إلى أن الدنيا حقيرة لا تزن جناح بعوضة، فينبغي للعاقل التجافي عنها، ويأخذ منها بقدر ما يوصله للآخرة، قال بعض العارفين:

تأمل في الوجود بعين فكر ترى الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعا سوف يفنى ويبقى وجه ربك ذو الجلال

قوله: ﴿إلا لهو ولعب﴾ اللهو الاشتغال بما فيه نفع عاجل، واللعب الاشتغال بما لا نفع فيه أصلا. قوله: [وأما القرب] أي كالتوحيد والذكر والعبادة. قوله: [بمعنى الحياة] أي الدائمة الخالدة التي لا زوال فيها. قوله: [ما آثروا الدنيا عليها] جواب لو، أي ما قدموا لذة الدنيا على الآخرة. قوله: ﴿فإذا ركبوا في الفلك﴾ الخ، أي وذلك لأن الكفار كانوا إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام، فإذا اشتدت الريح ألقوها في البحر وقالوا: يا رب يا رب، ودعوا الله مخلصين لحالة الكرب. قوله: ﴿إذا هم يشركون﴾ جواب لما، والمعنى عادوا إلى شركهم لأجل كفرهم بما أعطاهم الله، وتلذذهم بأعراض الدنيا، فلم يقابلوا النعم بالشكر بخلاف المؤمنين. قوله: ﴿ليكفروا﴾ اللام لام العاقبة والصيرورة. قوله: ﴿وليتمتعوا﴾ عطف عليه. قوله: [وفي قراءة بسكون اللام] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أمر تهديد] أي في الفعلين، بدليل الوعيد المرتب عليهما بقوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ فالحاصل أنه إذا سكنت اللام في الثاني تعين كونها للأمر في الفعلين، وإن لم تسكن كانت في الفعلين للعاقبة والصيرورة.

قوله: ﴿أو لم يروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أعموا ولم يروا، الخ. قوله: ﴿ويتخطف الناس﴾ الجملة حالية على تقدير المبتدإ، أي وهم يتخطف، الخ. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ قال المفسرون: إن هذه الآية نزلت قبل الأمر بالجهاد لكونها مكية، وحينئذ فالمراد بالجهاد فيها جهاد النفس، قال الحسن: الجهاد مخالفة الهوى، وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به، وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا

---

* أسباب نزول الآية ٦٧ قوله تعالى: ﴿أو لم يروا﴾ الآية. أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنهم قالوا: يا محمد، ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس لتقتلنا والأعراب أكثر منا، فمتى ما يبلغهم أنا قد دخلنا في دينك اختطفنا فكنا أكلة رأس. فأنزل الله ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا﴾.

. . . .

في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. وقيل: الذين جاهدوا فيما علموا، لنهدينهم إلى ما لم يعلموا، لما في الحديث: «من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يعلم». قوله: ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ أي طرق الوصول إلى مرضاتنا، فالطريق هي العمل بالأحكام الشرعية، وثمرتها الحقيقة وهي العلوم والمعارف المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً﴾. قوله: ﴿لمع المحسنين﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر، لإظهار شرفهم بوصف الاحسان، والمعنى وإن الله لمعهم بالعون والنصر والمحبة، فهي معية خاصة، وإليها الإشارة بقوله ﷺ في الحديث القدسي: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث».

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٣٠] - سورة الرّوم

[مكية وهي ستون أو تسع وخمسون آية]

﴿الٓمٓ﴾١ : الله أعلم بمراده به ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾٢ : وهم أهل الكتاب غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الروم مكية

وهي ستون أو تسع وخمسون آية

مبتدأ، و﴿ستون﴾ خبر أول، و[مكية] خبر ثان، وظاهر المفسر أن كلها مكي، وقيل إلا قوله تعالى ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ الآية. قوله: [الله أعلم بمراده بذلك] تقدم أن هذا أصح التفاسير. قوله: ﴿غلبت الروم﴾ ﴿الروم﴾ اسم قبيلة سميت باسم جدها، وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، وسمي عيصو لأنه كان مع يعقوب في بطن، فعند خروجهما تزاحما، وأراد كل منهما أن يخرج قبل الآخر، فقال عيصوا ليعقوب: إن لم أخرج قبلك، وإلا خرجت من جنبها، فتأخر يعقوب شفقة منه، فلهذا كان أبا الأنبياء، وعيصو أبا الجبارين، وسبب نزول هذه الآية، أنه كان بين فارس والروم قتال، وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم، لأن فارس كانوا مجوساً أميين، والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب، فبعث كسرى جيشاً إلى الروم، واستعمل عليهم رجلاً يقال له شهريزان، بعث قيصر جيشاً، وأمر عليه رجلاً يدعى بخنس، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم، فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق عليهم، وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وفارس اميون، وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، و إنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله هذه الآيات، فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال: فرحتم بظهور اخوانكم

* أسباب نزول الآية ١: أخرج الترمذي عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت ﴿ألم غلبت الروم﴾ إلى قوله ﴿بنصر الله﴾ يعني: بفتح الغين. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود نحوه. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال. بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة قبل أن يخرج رسول الله ﷺ، فيقولون: الروم يشهدون أنهم أهل كتاب وقد غلبتهم المجوس وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فكيف غلب المجوس الروم وهم أهل كتاب؟ فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم، فأنزل الله ﴿ألم غلبت الروم﴾. وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ويحيى بن يعمر وقتادة، فالرواية الأولى على قراءة غلبت بالفتح، لأنها نزلت يوم غلبهم يوم بدر، والثانية على قراءة الضم، فيكون معناه: وهم من بعد غلبهم فارس سيغلبهم المسلمون، حتى يصح معنى الكلام، وإلا لم يكن له كبير معنى.

يعبدون الأوثان ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾: أي أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة التقى فيها الجيشان والبادي بالغزو الفرس ﴿وَهُم﴾: أي الروم ﴿مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾: أضيف المصدر إلى المفعول أي غالبة فارس إياهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ ٣: فارس ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾: هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول وغلبت الروم فارس ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾: أي من قبل غلب الروم ومن بعده المعنى أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً بأمر الله أي إرادته

فلا تفرحوا، فوالله لتظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ، فقام إليه أبي بن خلف الجمحي وقال: كذبت، فقال له الصديق: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: اجعل أجلاً أناحبك، أي أقامرك وأراهنك عليه، فراهنه على عشر قلائص منه وعشر قلائص من الآخر فقال أبي: إن ظهرت الروم على فارس غرمت ذلك، وإن ظهرت فارس على الروم غرمت لي، ففعلوا، وجعلوا الأجل ثلاث سنين، فجاء أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، وكان ذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي ﷺ: ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر، وماده في الأجل، فخرج أبو بكر فلقي أبياً فقال: لعلك ندمت؟ فقال: لا، قال: فتعال أزايدك في الخطر، وأماددك في الأجل، فاجعلها مائة قلوص، ومائة قلوص إلى تسع سنين، وقيل إلى سبع سنين، فقال: قد علمت، فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة، أتاه ولزمه وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلاً، فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر، فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد، أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال: لا والله، لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً ثم خرج إلى أحد، ثم رجع أبي بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي ﷺ إياها حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم، وقيل كان يوم بدر، وربطت الروم خيولهم بالمدائن، وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية، فأخذ أبو بكر مال الخطر من ورثته وجاء به إلى النبي ﷺ، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال النبي ﷺ: تصدق به. قوله: [وهم من أهل كتاب] أي نصارى، فنصرتهم علامة على نصرة النبي وأصحابه، وقوله: [وليسوا أهل الكتاب] أي بل هم مجوس، فنصرتهم علامة على نصر كفار مكة، ﴿فكل حزب بما لديهم فرحون﴾. قوله: [بل يعبدون الأوثان] أي التي من جملتها النار. قوله: [وقالوا للمسلمين] الخ، هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة. قوله: [أقرب أرض الروم] أي فأدنى أفعل تفضيل، وأل عوض عن المضاف إليه. قوله: [بالجزيرة] المراد بها ما بين دجلة والفرات، وليس المراد بها جزيرة العرب.

قوله: ﴿وهم﴾ مبتدأ، وجملة ﴿سيغلبون﴾ خبره. قوله: ﴿في بضع سنين﴾ متعلق بيغلبون وهو على حذف مضاف، أي في انتهاء بضع سنين، وأبهم البضع لإدخال الرعب والخوف عليهم في كل وقت. قوله: [فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول] أي يوم بدر، وإن كانت الواقعة الأولى قبل الهجرة بخمس سنين، أو يوم الحديبية إن كانت الأولى قبل الهجرة بسنة، والمراد بالجيشين جيش كسرى وجيش قيصر ملك الروم، فأقبل في خمسمائة ألف رومي إلى الفرس وغلبوهم، ومات كسرى ملك الفرس. قوله: ﴿لله الأمر﴾ أي لا لغيره. قوله: ﴿من قبل ومن بعد﴾ القراءة المشهورة ببناء ﴿قبل﴾ و﴿بعد﴾ على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه. قوله: [أي من قبل غلب الروم] أي من قبل كونهم غالبين، وقوله: [ومن بعده] أي من بعد كونهم مغلوبين. قوله: [المعنى أن غلبة فارس] الخ، جواب عما يقال: ما فائدة قوله: ﴿غلبهم﴾ بعد قوله: ﴿غلبت الروم﴾؟ وحاصل الجواب: أن فائدته إظهار أن ذلك بأمر الله، لأن شأن من غلب بعد كونه مغلوباً أن يكون ضعيفاً، فلو كانت الغلبة بحولهم وقوتهم لما غلبوا أولاً. قوله: [أي يوم تغلب الروم] أشار بذلك إلى أن تنوين ﴿يومئذ﴾ عوض عن جملة.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: أي يوم تغلب الروم ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ[٤] بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾: إياهم على فارس وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾[٥]: بالمؤمنين ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: مصدر بدل من اللفظ بفعله والأصل وعدهم الله النصر ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾: به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦]: وعده تعالى بنصرهم ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغراس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[٧]: إعادة هم تأكيد ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيٓ أَنفُسِهِم﴾: ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: لذلك تفنى عند انتهائه وبعده البعث ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي كفار مكة ﴿بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾[٨]: أي لا يؤمنون بالبعث بعد الموت ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم وهي إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿كَانُوٓا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: كعاد وثمود ﴿وَأَثَارُوا ٱلْأَرْضَ﴾: حرثوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾: أي كفار مكة ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: بإهلاكهم بغير جرم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٩]: بتكذيبهم رسلهم ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: تأنيث الأسوأ الأقبح خبر كان على رفع عاقبة واسم كان على نصب

قوله: ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ أي فاستبشر المؤمنون بنصر الروم على فارس؛ وعلموا أن الغلبة لهم على كفار مكة. قوله: [يوم بدر] هذا أحد قولين، وهي مبني على أن الواقعة الأولى كانت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل يوم الحديبية، بناء على أن الأولى قبل الهجرة بسنة. قوله: [مصدر] أي مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت، وعامله محذوف أي وعدهم الله وعداً. قوله: [به] أي النصر. قوله: ﴿لا يعلمون﴾ أي لجهلهم وعدم تفكرهم واعتبارهم. قوله: ﴿يعلمون﴾ أي الأكثر. قوله: ﴿ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ أي وإما باطناً منها، وهو كونها مجازاً إلى الآخرة، يتزود فيها بالأعمال الصالحة فليس لهم به علم. قوله: [إعاده] أي لفظ [هم].

قوله: ﴿أو لم يتفكروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير اعموا ولم يتفكروا. قوله: ﴿إلا بالحق﴾ أي بالحكمة لا عبثاً. قوله: [تفنى عند انتهائه] أي تنعدم السماوات والأرض وما بينهما عند انقضاء ذلك الأجل. قوله: ﴿بلقاء ربهم﴾ متعلق بكافرون، واللام غير مانعة من ذلك لوقوعها في غير محلها وهو خبر ﴿إن﴾. قوله: ﴿أو لم يسيروا في الأرض﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير اقعدوا ولم يسيروا؟ والاستفهام للتوبيخ، والجملة معطوفة على جملة ﴿أو لم يتفكروا﴾ عطف سبب على مسبب، لأن السير سبب للتفكر. قوله: ﴿وأثاروا الأرض﴾ بالقصر لعامة القراء وقرىء شذوذاً، وآثار بألف بعد الهمزة. قوله: ﴿أكثر مما عمروها﴾ نعت لمصدر محذوف، أي عمارة أكثر من عمارتهم.

قوله: ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي فلم يذعنوا لها بل كذبوا بها. قوله: ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ أي يعاملهم معاملة ملك ظالم جبار، بل معاملة ملك عدل رحيم، وعلى فرض أخذهم من غير جرم لا يكون ظالماً إذ لا مشارك له في خلقه، ولكن من فضله تعالى ألزم نفسه ما لا يلزمه. قوله: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوآى﴾ بيان لعاقبة أمرهم إثر بيان حالهم في الدنيا. قوله: [خبر كان على رفع عاقبة] أي و﴿عاقبة﴾ اسمها، وهي مضافة للموصول، و﴿أساؤوا﴾ صلته، و﴿السوآى﴾ صفة لموصوف محذوف، أي المجازاة السوآى وهي جهنم خبر ﴿كان﴾، وقوله:

عاقبة والمراد بها جهنم وإساءتهم ﴿أَنْ﴾: أي بأن ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: القرآن ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ١٠ ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ
الْخَلْقَ﴾: أي ينشىء الخلق خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: أي خلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ١١: بالياء وبالتاء
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ١٢: يسكت المشركون لانقطاع حجتهم ﴿وَلَمْ يَكُنْ﴾: أي لا يكون ﴿لَهُمْ
مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾: ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَاءُ وَكَانُوا﴾: أي يكونون ﴿بِشُرَكَائِهِمْ
كَافِرِينَ﴾ ١٣: أي متبرئين منهم ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾: تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ ١٤: أي المؤمنون والكافرون ﴿فَأَمَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾: جنة ﴿يُحْبَرُونَ﴾ ١٥: يسرون ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾: البعث وغيره ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ١٦ ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾: أي سبحوا الله
بمعنى صلوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: أي تدخلون في المساء وفيه صلاتان المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ١٧:
تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: اعتراض ومعناه يحمده أهلهما
﴿وَعَشِيًّا﴾: عطف على حين وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ١٨: تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر
﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: كالإنسان من النطفة والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾: النطفة والبيضة ﴿مِنَ

[واسم كان على نصب عاقبة] أي فالسوآى اسم ﴿كان﴾ مؤخر، و﴿عاقبة﴾ خبر ﴿كان﴾ مقدم، وعلى كل فقوله: ﴿أن كذبوا﴾ خبر لمحذوف تقديره وإساءتهم أن كذبوا، فهي جملة مستأنفة بيان لصلة الموصول، فيصح الوقف على السوآى، وهذا مما اختاره المفسر من أوجه شتى وهو أنورها، وذكر الفعل لأن الاسم كان على كل مجازي التأنيث. قوله: [والمراد بها] أي السوآى. قوله: [أي بأن] ﴿كذبوا﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير الباء وهي للسببية.

قوله: ﴿الله يبدأ الخلق﴾ عبر بالمضارع إشارة إلى أن البدء متجدد شيئاً فشيئاً ما دامت الدنيا. قوله: [أي ينشىء خلق الناس] أي يظهرهم من العدم. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ أي وهو يوم الإعادة. قوله: [يسكت المشركون] أي عن جواب يدفع عنهم العذاب. قوله: [أي لا يكون] أشار بذلك إلى أن الماضي بمعنى المضارع؛ لأن المنفي بلم ماضي المعنى. قوله: ﴿بشركائهم﴾ متعلق بكافرين. قوله: [تأكيد] أي لفظي. قوله: [أي المؤمنون والكافرون] أخذ هذا التعميم من قوله أولاً، ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾. قوله: ﴿فهم في روضة﴾ الروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة. قوله: ﴿يحبرون﴾ أي يكرمون وينعمون بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. روي أن في الجنة أشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع، بعث الله ريحاً من تحت العرش، فتقع في تلك الأشجار، فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً. قوله: ﴿وأما الذين كفروا﴾ مقابل قوله: ﴿فأما الذين آمنوا﴾. قوله: [وغيره] أي كالجنة والنار. قوله: ﴿محضرون﴾ أي حاضرون.

قوله: ﴿فسبحان الله﴾ الخ، وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ذكر أولاً أنه يبدأ الخلق ويعيده، وأن الخلق يكونون فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، ذكر هنا أنه منزه عن النقائص، إشارة إلى أن تسبيحه وتحميده، وسيلتان للنجاة من العذاب وحلول دار الثواب. قوله: [بمعنى صلوا] إنما فسر التسبيح بالصلاة؛ لأن التنزيه يكون باللسان والجنان والأركان، ولا شيء أجمع لذلك كله من الصلاة. قوله: [أي تدخلون في المساء] أشار بذلك إلى أن ﴿تمسون﴾ و﴿تصبحون﴾ فعلان تامان. قوله: [وفيه صلاتان] الخ، أشار بذلك إلى أن هذه الآية جمعت الصلوات الخمس، وخصها بالذكر دون سائر العبادات؛ لأنها عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين. قوله: [اعتراض] أي بين المعطوف والمعطوف عليه. والحكمة في ذلك، الإشارة إلى أن التوفيق للعبادة نعمة ينبغي أن يحمد عليها. قوله:

﴿ٱلْحَيِّ وَيُحْيِي ٱلْأَرْضَ﴾: بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: أي يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإخراج ﴿تُخْرَجُونَ﴾[١٩]: من القبور بالبناء للفاعل والمفعول ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: تعالى الدالة على قدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾: أي أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ﴾: من دم ولحم ﴿تَنتَشِرُونَ﴾[٢٠]: في الأرض ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: تخلقت حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾: وتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾: جميعاً ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢١]: في صنع الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾: أي لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾: من بياض وسواد وغيرهما وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّلْعَالِمِينَ﴾[٢٢]: بفتح اللام وكسرها أي ذوي العقول وأولي العلم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: بإرادته راحة لكم

﴿وكذلك تخرجون﴾ أي فالقادر على إخراج الحي من الميت وعكسه، وإحياء الأرض قادر على إحياء الخلق بعد موتهم، ففي ذلك رد على منكري البعث. قوله: [للفاعل والمفعول] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾ شروع في ذكر جملة من الآيات الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى، وذكر لفظ من آيات ست مرات تنتهي عند قوله ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ وابتدأها بذكر خلق الإنسان، ثم بخلق العالم علوياً وسفلياً، إشارة إلى أن الإنسان هو المنتفع بها. والحكمة في ذكر تلك الآيات ليهتدي بها من أراد الله هدايته، وتقوم الحجة على من لم يهتد. قوله: [أي أصلكم آدم] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، ويصح أن يبقى الكلام على ظاهره، لأن النطفة ناشئة من الغذاء، وهو ناشىء من التراب. قوله: ﴿ثم إذا أنتم بشر﴾ عبر بثم إشارة إلى تراخي أطواره، لكونه أولاً نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى آخر أطواره، وأتى بعدها بإذا الفجائية، إشارة إلى أنه لم يفصل بين تلك الأطوار وبين البشرية فاصل، وإن كان الكثير الإتيان بها بعد الفاء. قوله: ﴿أزواجا﴾ أي زوجات. قوله: [من ضلع آدم] أي الأيسر القصير وهو نائم، فلما استيقظ ورآها مال إليها، فقالت له الملائكة: مه يا آدم حتى تؤدي مهرها، فقال: وما مهرها؟ فقيل له: أن تصلي على محمد ﷺ. قوله: [وسائر النساء] أي باقيهن. قوله: ﴿مودة ورحمة﴾ قيل المراد بالمودة الجماع، والرحمة الولد، وقيل المودة المحبة، والرحمة الشفقة، فإذا تخلف هذا الأمر، بأن لم توجد بينهما محبة ولا مودة، فالمناسب المفارقة. قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي فيما ذكر من خلقهم من تراب، وخلق أزواجهم من أنفسهم، وإلقاء المودة والرحمة بينهم. قوله: ﴿لقوم يتفكرون﴾ أي يتأملون في تلك الأشياء، ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الإيمان، سيما إذا تأمل في خلق الله إياه من نطفة، ثم جعله بشراً سوياً، ثم جعل له زوجة من جنسه، ولم تكن جنية ولا بهيمة، وأسكن بينهما المحبة والشفقة، فإذا أراد جماعها زينها له، وجعل بينهما اللذة، فإذا نزلت النطفة منه، جعلها راحة له، وخلق منها بشراً سوياً، وغير ذلك من أنواع التفكرات، فإذا تأمل الإنسان في ذلك، كان سبباً في زيادة معارفه وأدبه مع ربه، ولذا قال بعض العارفين: لذة الجماع ربما كانت من أبواب الوصول إلى الله تعالى، ومنه ما روي: «حبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة». قوله: ﴿ومن آيته خلق السماوات والأرض﴾ أي إنشاؤهما من العدم إلى الوجود. قوله: [أي لغاتكم] أي بأن خلق فيكم علماً ضرورياً، تفهمون به لغاتكم ولغات بعضكم على اختلافها. قوله: ﴿وألوانكم﴾ أي فجعلكم ألواناً مختلفة، منكم الأبيض والأسود والمتوسط، وغاير بين أشكالكم، حتى إن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما يختلفان في شيء من ذلك، وإن كانا في غاية التشابه، وإنما قرن هذا بخلق السماوات والأرض، وإن كان من جملة خلق الإنسان، إشارة إلى أنه آية مستقلة دالة على وحدانية الصانع. قوله: [بفتح اللام وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي ذوي العقول وأولي العلم] أي وهم أهل المعرفة الذين

﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم﴾: بالنهار ﴿مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾: أي تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ٢٣: سماع تدبر واعتبار ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾: أي إراءتكم ﴿ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾: للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾: للمقيم في المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: أي يبسها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢٤: يتدبرون ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾: بإرادته من غير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ٢٥: منها أحياء فخروجكم منها بدعوة من آياته تعالى ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ ٢٦: مطيعون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: للناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾: من البدء بالنظر إلى ما عند المخاطبين من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه والأ فهما عند الله تعالى سواء في السهولة ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي الصفة العليا وهي أنه لا إله إلا الله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾:

لا تحجبهم المصنوعات عن صانعها، بل يشهدون الصانع في المصنوعات، قال العارف:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

قوله: ﴿منامكم بالليل والنهار﴾ قيل في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار، حذف حرف الجر لاتصاله بالليل، والأحسن أن يبقى على حاله، والنوم بالنهار من جملة النعم، لا سيما أوقات القيلولة في البلاد الحارة. قوله: [بإرادته] أي فلا قدرة لأحد على اجتلابه. قوله: [راحة لكم] أي من آثار التعب الحاصل لكم. قوله: ﴿لقوم يسمعون﴾ غاير بين رؤوس الآي تفنناً، فإن أهل العقل هم أهل الفكر والسمع.

قوله: ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، و﴿يريكم﴾ مؤول بمصدر مبتدأ مؤخر، وحذفت أن من الفعل لدلالة ما قبله وما بعده عليه، وهكذا يقال فيما تقدم وما يأتي. قوله: ﴿أن تقوم السماء والأرض﴾ أي تثبت وتستقر. قوله: [من غير عمد] بفتحتين اسم جمع لعمود وقيل جمع له، أو ضمتين جمع عمود كرسل ورسول. قوله: ﴿من الأرض﴾ متعلق بدعاكم. قوله: [في الصور] أي نفخة البعث فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها، لأن فيه طاقات بعدد الأرواح، فتجتمع فيه ثم تخرج بالنفخة دفعة واحدة، فلا تخطئ روح جسدها. قوله: ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ عبر في ابتداء خلق الإنسان بثم حيث قال: ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، وتركها هنا لأنه من ابتداء الخلق تحصل المهلة والتراخي لكونه على أطوار مختلفة، بخلاف الإعادة فلا تدريج فيها، بل يحصل دفعة واحدة. قوله: [مطيعون] أي لأفعاله طاعة انقياد لا طاعة عبادة، وقيل المعنى قائمون للحساب، وقيل مقرون بالعبودية إما باللسان أو الحال.

قوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ الضمير عائد على الاعادة المفهومة من قوله: ﴿يعيده﴾ وذكر الضمير مراعاة للخبر. قوله: [بالنظر إلى ما عند المخاطبين] أي فهو مبني على ما تقتضيه عقولهم، لأن من أعاد منهم شيئاً، كان أهون عليه وأسهل من إنشائه، وهو جواب عما يقال: إن أفعال الله كلها متساوية بالنسبة إلى قدرته تعالى، وأجيب أيضاً: بأن اسم التفضيل ليس على بابه، فأهون بمعنى هين. قوله: [أي الصفة العليا] أشار بذلك إلى أن المثل بمعنى الصفة، والأعلى بمعنى العليا، أي المرتفعة المنزهة عن كل نقص. قوله: [وهي أنه لا إله إلا الله] أي فالمراد بها الوصف بالوحدانية

---

* أسباب نزول الآية ٢٧: وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: تعجب الكفار من احياء الله الموتى، فنزلت ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾.

في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ ٢٧: في خلقه ﴿ضَرَبَ﴾: جعل ﴿لَكُم﴾ أيها المشركون ﴿مَّثَلاً﴾: كائناً ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: وهو ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾: أي من مماليككم ﴿مِّن شُرَكَاءَ﴾: لكم ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: من الأموال وغيرها ﴿فَأَنتُمْ﴾: وهم ﴿فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: أي أمثالكم من الأحرار والاستفهام بمعنى النفي. المعنى: ليس مماليككم شركاء لكم إلى آخره عندكم، فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له؟ ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٢٨: يتدبرون ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بالإشراك ﴿أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾: أي لا هادي له ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ ٢٩: مانعين من عذاب الله. ﴿فَأَقِمْ﴾: يا محمد ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾: مائلاً إليه أي أخلص دينك لله أنت ومن تبعك ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾: خلقته ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾: وهي دينه أي الزموها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: لدينه أي لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذَٰلِكَ

ولوازمها من كل كمال، والتنزيه عن كل نقص. قوله: ﴿ضرب لكم مثلاً﴾ أي صفة وشكلاً تقيسون عليه. قوله: [كائناً] ﴿من أنفسكم﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿من﴾ ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة لمثلاً.

قوله: ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء﴾ الخ، ﴿هل﴾ حرف استفهام، و﴿لكم﴾ خبر مقدم، و﴿شركاء﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿من﴾ زائدة، و﴿مما ملكت إيمانكم﴾ حال من ﴿شركاء﴾ لكونه نعت نكرة قدم عليها، و﴿من﴾ تبعيضية فتحصل أن ﴿من﴾ الأولى ابتدائية، والثانية تبعيضية، والثالثة زائدة. قوله: ﴿فيما رزقناكم﴾ أي ملكناكم، وأشار بذلك إلى أن الرزق حقيقة لله تعالى، وإيضاح هذا المثل أن يقال: إذا لم يصح أن تكون مماليككم شركاء فيما بأيديكم من رزق الله، فلا يصح بالأولى جعل بعض مماليك الله شركاء فيما هو له حقيقة. قوله: ﴿فأنتم فيه سواء﴾ أي مستوون معهم في التصرف على حكم عادة الشركاء.

قوله: ﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ من جملة المنفي، فهو مرتب عليه، فالمراد نفي الثلاثة الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم كخوف أنفسكم، والمعنى أنتم تنفون عنهم تلك الأوصاف الثلاثة، من أجل كونهم مماليك لكم، فكيف تثبتون تلك الأوصاف لبعض مماليك الله؟ قوله: [بمعنى النفي] أي فهو استفهام إنكاري. قوله: ﴿لقوم يعقلون﴾ أي فهذا المثل إنما ينفع العاقل الذي يتدبر الأمور. قوله: ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ الخ، اضراب عما ذكر أولاً، اشارة إلى أنهم لا حجة لهم في الإشراك، ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم. قوله: [هادي له] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿فأقم وجهك﴾ شروع في تسليته ﷺ، والمراد بإقامة الوجه، بذل الهمة ظاهراً وباطناً في الدين. قوله: [أنت ومن تبعك] أشار بذلك إلى أن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأمته. قوله: ﴿فطرت الله﴾ منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله: [الزموها] وهي ترسم بالتاء المجرورة، وليس في القرآن غيرها، وقوله: [وهي دينه] أي دين الإسلام، وعلى هذا فالخلق جميعاً مجبولون على توحيد يوم ألست بربكم، ولذا قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه» فهذا غير ما سبق في علم الله، وأما هو فعلم أن قوماً يكفرون وقوماً يؤمنون، فمن سبق في علم الله إيمانه، فقد استمر على فطرته الأصلية، ومن سبق في علم الله كفره، فقد رجع عن فطرته، وإن كان سبق منه

---

* أسباب نزول الآية ٢٨ وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان يلبي أهل الشرك: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فأنزل الله ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم﴾ الآية. وأخرج جويبر مثله عن داود بن أبي هند عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه.

﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: المستقيم توحيد الله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٠: توحيد الله ﴿مُنِيبِينَ﴾: راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾: تعالى فيما أمر به ونهى عنه حال من فاعل أقم وما أريد به أي أقيموا ﴿وَاتَّقُوهُ﴾: خافوه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ٣١ ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾: بدل بإعادة الجار ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾: فرقاً في ذلك ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾: منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: عندهم ﴿فَرِحُونَ﴾ ٣٢: مسرورون، وفي قراءة: فارقوا، أي تركوا دينهم الذي أمروا به ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾: أي كفار مكة ﴿ضُرٌّ﴾: شدة ﴿دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾: راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾: دون غيره ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾: بالمطر ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ٣٣ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾: أريد به التهديد ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٣٤: عاقبة تمتعكم فيه التفات عن الغيبة ﴿أَمْ﴾: بمعنى همزة الإنكار ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾: حجة وكتاباً ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾: تكلم دلالة ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ ٣٥: أي يأمرهم بالإشراك لا ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾: كفار مكة وغيرهم ﴿رَحْمَةً﴾: نعمة ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾: فرح بطر ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: شدة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ ٣٦: ييأسون من الرحمة ومن شأن المؤمن

التوحيد، وحينئذ يكون معنى الآية: الزم أنت ومن اتبعك الفطرة التي فطرك ربك عليها وهي التوحيد، وهذا أحد أقوال ثلاثة في معنى الفطرة، وقيل المراد بها: الخلقة الأصلية التي ابتدأهم الله عليها من سعادة وشقاوة، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ، فمن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة وإن عمل أعمال الهدى، ومن ابتدأ الله خلقه للهدى صيره إلى الهدى وإن عمل بأعمال أهل الضلالة، وقيل إنها الخلقة والطبيعة التي في نفس الطفل يكون بها مهيأ لمعرفة ربه، ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حجاب، كما خلق أسماعهم وأبصارهم قابلة للمسموعات والمبصرات، فما دامت باقية على تلك الهيئة أدركت الحق ودين الإسلام، ولا يحجبها عنه إلا وساوس الشياطين بعد البلوغ، ولذا كان كل من مات من بني آدم قبل بلوغه في الجنة، وإن كان من أولاد المشركين، وهذا القول قريب من معنى القول الأول. قوله: [أي لا تبدلوه] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ خبر، والمراد منه الأمر. قوله: [توحيد الله] تفسير لقوله: ﴿ذلك﴾.

قوله: ﴿يعلمون﴾ [توحيد الله] أي بل جهلوا ذلك، فعبدوا غير الله. قوله: [حال من فاعل أقم] أي وما بينهما اعتراض. قوله: [وما أريد به] أي بالخطاب فإنه أريد به محمد ومن تبعه. قوله: [أي أقيموا] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿واتقوه﴾ عطف على محذوف مأخوذ من الحال قبله. قوله: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ أي فأهل السعادة فرحون بسعادتهم، وأهل الشقاوة فرحون بما زينه لهم الشيطان لظنهم أنهم على حق. قوله: [وفي قراءة فارقوا] أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿وإذا مس الناس﴾ ﴿إذا﴾ شرطية وجوابها قوله: ﴿دعوا ربهم﴾، وقوله: [أي كفار مكة] خص ذلك بهم لأنه سبب النزول، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ. قوله: ﴿إذا فريق﴾ ﴿إذا﴾ فجائية قائمة مقام الفاء، فهي رابطة للشرط. قوله: [أريد به التهديد] أي فاللام لام الأمر للتوبيخ والتقريع، على حد: ﴿اعملوا ما شئتم﴾. قوله: [عاقبة تمتعكم] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿تعلمون﴾ محذوف. قوله: [فيه التفات عن الغيبة] أي إلى الخطاب لأجل المبالغة في زجرهم. قوله: [بمعنى همزة الانكار] أي فهي منقطعة، تفسر تارة بالهمزة وحدها، وتارة بالهمزة وبل. قوله: ﴿فهو يتكلم﴾ داخل في حيز النفي. قوله: [أي يأمرهم بالاشراك] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، والأحسن أن يجعلها موصولة، أي بالأمر الذي كانوا يشركون بسببه. قوله: [فرح بطر] أي عجب وكبر، فيصرفونها فيما يغضبه تعالى، ولو

أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾: امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٣٧: بها ﴿فَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾: من البر والصلة ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر من الصدقة وأمة النبي تبع له في ذلك ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾: أي ثوابه بما يعملون ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ٣٨: الفائزون ﴿وَمَا آتَيْتُم مِن رِبًا﴾: بأن يعطى شيئاً هبة أو هدية ليطلب أكثر منه فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ﴾: المعطين أي يزيد ﴿فَلَا يَرْبُوا﴾: يزكو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي لا ثواب فيه للمعطين ﴿وَمَا آتَيْتُم مِن زَكَوٰةٍ﴾: صدقة ﴿تُرِيدُونَ﴾: بها ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ٣٩: ثوابهم بما أرادوه فيه التفات عن الخطاب ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم﴾: ممن أشركتم بالله ﴿مَن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِن شَيْءٍ﴾: لا ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٤٠: به ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ﴾: أي القفار بقحط المطر وقلة النبات

فرحوا بها فرح سرور لصرفوها فيما يرضيه. قوله: ﴿يقنطون﴾ بفتح النون وكسرها سبعيتان. قوله: [ومن شأن المؤمن] أي من خصلته وهيئته. قوله: [ويرجو ربه عند الشدة] أي لأنه يشهد أنه لا كاشف لها غيره ولا رحيم سواه. قوله: [امتحاناً] أي اختباراً لينظر أيشكر أم يطغى. قوله: [ابتلاء] أي فينظر هل يصبر ويرضى، أم يضجر ويشكو.

قوله: ﴿فآت ذا القربى حقه﴾ هذه الآية في صدقة التطوع لا في الزكاة الواجبة، لأن السورة مكية، والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة بالمدينة. قوله: [القرابة] أخذ أبو حنيفة من الآية، أن النفقة على الأرحام عموماً واجبة على القادر، وعند مالك والشافعي النفقة على الأصول والفروع واجبة، وما عدا ذلك مندوب. قوله: [وأمة النبي] الخ، أشار بذلك إلى أن الأمر وإن كان للنبي، فالمراد هو وأمته. قوله: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي الظافرون بمقصودهم.

قوله: ﴿وما آتيتم﴾ بالمد والقصر قراءتان سبعيتان. قوله: [بأن يعطى شيئاً] الخ، أشار بذلك إلى أن هذه الآية نزلت في هبة الثواب، وهي أن يريد الرجل بهديته أكثر منها، وهي مكروهة في حقنا، وأما في حقه ﷺ فمحرمة لقوله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ والحكم فيها إذا وقعت أنه إذا شرط عليه الثواب لزمه الدفع، وإن لم يشترط عليه، فلا يلزمه إلا دفع قيمتها إن كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له لأمر غني لفقير. قوله: [فسمي] أي المعطى وهو الهدية. قوله: [باسم المطلوب] أي الذي يأخذ من المهدى إليه مقابلة ما أعطاه. قوله: ﴿في أموال الناس﴾ أي في تحصيلها. قوله: [المعطين] أي الآخذين للهبة والهدية. قوله: [أي لا ثواب فيه للمعطين] أي الدافعين لما ذكر، فالأول اسم مفعول، والثاني اسم فاعل. قوله: [صدقة] أي صدقة تطوع، وعبر عنها بالزكاة إشارة إلى أنها مطهرة للأموال والأبدان والاخلاق. قوله: ﴿هم المضعفون﴾ أي الذين تضاعف لهم الحسنات. قوله: [فيه التفات عن الخطاب] أي تعظيماً لحالهم أو قصداً للعموم كأنه قيل من فعل ذلك فأولئك هم المضعفون.

قوله: ﴿الله الذي خلقكم﴾ جملة من مبتدإ وخبر، وهي تفيد الحصر لكونها معرفة الطرفين. قوله: ﴿هل من شركائكم﴾ الخ خبر مقدم، و﴿من﴾ للتبعيض، و﴿من يفعل﴾ مبتدأ مؤخر، وقوله: ﴿من ذلكم﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من شيء، لكونه نعت نكرة تقدم عليها، و﴿من شيء﴾ مفعول يفعل، و﴿من﴾ زائدة، والتقدير من الذي يفعل شيئاً من ذلكم من شركائكم، واسم الإشارة يعود على ما ذكر من الأمور الأربعة، وهي الخلق والرزق والإماتة والأحياء. قوله: [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: ﴿سبحانه وتعالى﴾ هذا نتيجة ما قبله، أي فإذا ثبت

﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: أي البلاد التي على الأنهار بقلة مائها ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾: من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾: بالياء والنون ﴿بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا﴾: أي عقوبته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٤١: يتوبون ﴿قُلْ﴾: لكفار مكة ﴿سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ ٤٢: فأهلكوا بإشراكهم ومساكنهم ومنازلهم خاوية ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾: دين الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ﴾: هو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ ٤٣: فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: وبال كفره وهو النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ ٤٤: يوطئون منازلهم في الجنة ﴿لِيَجْزِيَ﴾: متعلق بيصدعون ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِ﴾: يثيبهم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ٤٥: أي يعاقبهم ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾: تعالى ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾: بمعنى لتبشركم بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾: بها ﴿مِّن رَّحْمَتِهِ﴾: المطر

أنه تعالى هو الفاعل لذلك كله، ولا شريك له في شيء عنها، فالواجب تسبيحه وتنزيهه عن كل نقص. قوله: [أي القفار] بكسر القاف جمع قفر وهي الأرض التي لا ماء بها ولا نبات، وأما القفار بفتح القاف فهو الخبز الذي لا أدم معه.

قوله: [بقحط المطر] أي منعه من النزول. قوله: [أي البلاد التي على الأنهار] وقيل إن قلة المطر، كما تؤثر في البر تؤثر في البحر، فتخلوا أجواف الأصداف وتعمو داويه، فإذا امطرت السماء تفتحت الأصداف في البحر، فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ، وتكثر دواب البحر.

قوله: ﴿بما كسبت﴾ الباء سببية وما مصدرية أي بسبب كسبهم. قوله: [من العاصي] أي ومبدؤها قتل قابيل هابيل، لأن الأرض كانت قبل ذلك نضرة مثمرة، لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها الثمر، وكان البحر عذباً، وكان الأسد لا يصول على الغنم ونحوها، فلما قتله اقشعرت الأرض، ونبت الشوك في الأشجار، وصار ماء البحر ملحاً، وتسلطت الحيوانات بعضها على بعض. قوله: ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ اللام للعاقبة والصيرورة متعلق بقوله: ﴿ظهر الفساد﴾ الخ، وهذا فيمن أظهر الفساد وتكبر وتجبر وكفر، وإلا فالمصائب للصالحين رفع درجات، ولعصاة المؤمنين تكفير سيئات. قوله: [أي عقوبته] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ أي وهي الدمار والهلاك إن لم يتوبوا، وكذلك يحل بكفار مكة إن لم يتوبوا، قال تعالى: ﴿كذلك نجزي القوم الظالمين﴾.

قوله: ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأمته، والمعنى ابذل همتك في دين الاسلام واشتغل به ولا تحزن عليهم. قوله: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له﴾ أي وأما بعد مجيئه فلا ينفع العامل عمله، بل كل إنسان يلقى جزاء ما عمله قبل ذلك، قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ مفسرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة﴾. قوله: ﴿من الله﴾ متعلق بيأتي. قوله: ﴿يومئذ يصدعون﴾ التنوين عوض عن جملة أي يوم إذ يأتي هذا اليوم. قوله: [فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد] أي فأصله يتصدعون، أبدلت التاء صاداً وأدغمت في الصاد. قوله: [يتفرقون بعد الحساب] أي عند سماع قوله تعالى: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾. قوله: [وبال كفره] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [يوطئون منازلهم] أي فالأعمال الصالحة في الدنيا بها تهيؤ المنازل في الجنة. قوله: [متعلق بيصدعون] أي والتقدير يتفرقون ليجزي الذين آمنوا من فضله، والذين كفروا بعدله. قوله: ﴿الرياح﴾ أي الشمال والصبا والجنوب، فإنها رياح الرحمة، وأما الدبور فهي ريح العذاب، يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً». قوله: ﴿وليذيقكم﴾ عطف على ﴿مبشرات﴾ كأنه قال:

والخصب ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾: السفن بها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بإرادته ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾: تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٤٦: هذه النعم يا أهل مكة فتوحدونه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم فكذبوهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: أهلكنا الذين كذبوهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٤٧: على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: تزعجه ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: من قلة وكثرة ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾: بفتح السين وسكونها قطعاً متفرقة ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: أي وسطه ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾: بالودق ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ٤٨: يفرحون بالمطر ﴿وَإِن﴾: وقد ﴿كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ﴾: تأكيد ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ ٤٩: آيسين من إنزاله ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ أَثَرِ﴾: وفي قراءة: آثار ﴿رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾: أي نعمته بالمطر ﴿كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: أي يبسها بأن تنبت ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٥٠ ﴿وَلَئِنْ﴾: لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾: مضرة على نبات ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾: صاروا جواب القسم ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: أي بعد اصفراره ﴿يَكْفُرُونَ﴾ ٥١: يجحدون النعمة بالمطر ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ

لتبشركم وليذيقكم. قوله: ﴿من رحمته﴾ ﴿من﴾ تبعيضية أي بعض رحمته. قوله: [يا أهل مكة] خصهم لأنهم سبب نزول الآية، وأما فالعبرة بعموم اللفظ.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً﴾ هذه الآيات معترضة بين الآيات المنفصلة والمفصلة؛ لأن قوله: ﴿الله الذي يرسل الرياح﴾ تفصيل لقوله: ﴿ومن آيته أن يرسل الرياح﴾ وحكمة ذلك تسليته ﷺ وتأنيسه، حيث وعده بنصر المؤمنين عموماً. قوله: ﴿فانتقمنا من الذين اجرموا﴾ عطف على محذوف قدره بقوله: [فكذبوهم]. قوله: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ ﴿كان﴾ فعل ماض ناقص، و﴿نصر﴾ اسمها مؤخر، و﴿حقاً﴾ خبرها مقدم، و﴿علينا﴾ متعلق بحقاً أو بمحذوف صفة، وهذا وعد حسن من الله للمؤمنين، بنصرهم على أعدائهم في الدنيا والآخرة وهو لا يتخلف.

قوله: ﴿الله الذي يرسل الرياح﴾ مبتدأ وخبر، وهو تفصيل لما أجمل أولاً كما تقدم التنبيه عليه. قوله: [تزعجه] أي تهيجه وتحركه. قوله: ﴿فيبسطه في السماء﴾ أي ينشره في جهتها متصلاً بعضه ببعض. قوله: [بفتح السين وسكونها] أي فهما قراءتان سبعيتان، فالمفتوح جمع كسفة والمسكن مخفف المفتوح، فقوله [قطعاً] تفسير للوجهين.
قوله: ﴿إذا هم يستبشرون﴾ ﴿إذا﴾ فجائية، والمعنى فاجأهم الفرح. قوله: ﴿وإن كانوا﴾ فسر ﴿إن﴾ بقد تبعاً لغيره، فالواو للحال، و[قد] للتحقيق، وبعضهم جعلها مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والجملة خبرها بدليل اللام لمبلسين، فإنها اللام الفارقة، وكل صحيح. قوله: [تأكيد] أي إشارة إلى أنه أتاهم الفرح بعد تمادي يأسهم. قوله ﴿فانظر إلى أثر رحمة الله﴾ أي ما ينشأ عن المطر من خضرة الأشجار وأثمارها وبهجتها ونضارتها. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [مضرة] أي وهي ريح الدبور.

قوله: ﴿فرأوه مصفراً﴾ أي بعد خضرته. قوله: [جواب القسم] أي وقد سد مسد جواب الشرط للقاعدة المعلومة، من أنه عند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب المتأخر منهما. قوله: [يجحدون النعمة] أي فشأنهم يفرحون عند الخصب، فإذا جاءتهم مصيبة في زرعهم، جحدوا سابق نعمة الله عليهم. قوله: ﴿فإنك لا تسمع

﴿إذا﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ٥٢ ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ﴾: ما ﴿تُسْمِعُ﴾: سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ٥٣: مخلصون بتوحيد الله ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾: ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾: آخر وهو ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾: أي قوة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾: ضعف الكبر وشيب الهرم والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ ٥٤: على ما يشاء ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ﴾: يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَا لَبِثُوا﴾: في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: قال تعالى ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ ٥٥: يصرفون عن الحق البعث كما صرفوا عن الحق الصدق في مدة اللبث ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾: من الملائكة وغيرهم ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾: الذي أنكرتموه ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٥٦: وقوعه ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ﴾: بالياء والتاء ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾: في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ٥٧: لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يرضي الله ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾: جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: تنبيهاً لهم ﴿وَلَئِنْ﴾: لام قسم ﴿جِئْتَهُمْ﴾: يا محمد ﴿بِآيَةٍ﴾: مثل العصا واليد لموسى ﴿لَيَقُولَنَّ﴾: حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: منهم ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنْتُمْ﴾: أي محمد وأصحابه ﴿إِلَّا

الموتى﴾ تعليل لمحذوف، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم، فهم موتى صم عمي، وأنت لا تسمع من كان كذلك.

قوله: [بتحقيق الهمزتين] الخ، أي وهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ أي يصدق بها. قوله: ﴿من ضعف﴾ أي أصل ضعيف. قوله: [ماء مهين] أي حقير ضعيف قليل. قوله: ﴿وشيبة﴾ أي وهو بياض الشعر الأسود، يحصل أوله غالباً في السنة الثالثة والأربعين، وهو أول سن الكهولة، والأخذ في النقص بعد الخمسين لثلاث وستين، فيزيد وهو أول سن الشيخوخة، فيزيد الضعف في الجسم والعقل إلى آخر العمر، هذا في غير أهل التقوى والصلاح، وأما هم فيزيد عقلهم لآخر عمرهم. قوله: [بضم أوله وفتحه] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿تقوم الساعة﴾ أي تحصل وتوجد، والمراد بها القيامة، سميت بذلك لحصولها في آخر ساعة من ساعات الدنيا. قوله: [الكافرون] أي المنكرون للبعث. قوله: [مكثوا في القبور] إنما استقلوا تلك المدة لأن عذاب القبر خفيف بالنسبة لما شاهدوه من عذاب النار، وقيل المراد مكثوا في الدنيا، فاستقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة. قوله: [يصرفون عن الحق] أي الإقرار والاعتراف به في الدنيا.

قوله: ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ أي رداً عليهم وتكذيباً لهم. قوله: [وغيرهم] أي كالأنبياء والمؤمنين. قوله: [أنكرتموه] أي في الدنيا. قوله: ﴿فيومئذ﴾ التنوين عوض عن جمل محذوفة، أي يوم إذ قامت الساعة وحلف المشركون كاذبين، ورد عليهم الملائكة وغيرهم وبينوا كذبهم لا تنفع، الخ. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿معذرتهم﴾ أي اعتذارهم. قوله: [العتبى] كالرجعى وزناً ومعنى، والمعنى لا يجابن لما طلبوه من الرجوع إلى الدنيا. قوله: ﴿من كل مثل﴾ ﴿من﴾ للتبعيض أي بعض كل صفة لأجل إرشادهم.

قوله: ﴿ولئن جئتهم بآية﴾ أي مما اقترحوا. قوله: [حذف منه نون الرفع] الخ، هذا سبق قلم من المفسر، فالصواب أن يقول: هو فعل مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، و﴿الذين﴾ فاعله، لأن اللام مفتوحة باتفاق

مُبْطِلُونَ﴾ ٥٨: أصحاب أباطيل ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٥٩: التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بنصرك عليهم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ٦٠: بالبعث أي لا يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر أي لا تتركنه.

القراء. قوله: [منهم] حال من الكافرين. قوله: ﴿فاصبر﴾ أي إذا علمت حالهم، وأنهم لا يؤمنون لوجود الطبع على قلوبهم فاصبر، الخ. قوله: ﴿إن وعد الله حق﴾ تعليل للأمر بالصبر. قوله: [والطيش] عطف مرادف على [الخفة]. قوله: [أي لا تتركنه] أي لا تترك الصبر بسبب تكذيبهم وإيذائهم.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٣١] ـ سورة لقمان

[مكية إلّا ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآيتانِ فمدنيتان وهي أربع وثلاثون آيةً]

﴿الٓمٓ﴾١: الله أعلم بمراده به ﴿تِلْكَ﴾: أي هذه الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾٢: ذي الحِكْمة والإضافة بمعنى مِنْ هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾: بالرفع ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾٣: وفي قراءةِ العامةِ بالنصب حالاً من الآياتِ العامل فيها ما في تلك مِنْ معنى الإشارةِ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: بيانٌ للمحْسِنين ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾٤: هم الثاني تأكيدٌ ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾٥: الفائزون ﴿وَمِنَ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة لقمان مكية

إلا ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآيتان فمدنيتان. وهي أربع وثلاثون آية

مُبتدأ وخبر، سُميت بذلك لذكر قصة لقمان فيها. قوله: [إلا] ﴿ولو أن ما في الأرض﴾ الخ، هذا أحد أقوالٍ ثلاثة، وقيل مكية كلها، وقيل إلا ثلاث آياتٍ من قوله ﴿ولو أن ما في الأرض﴾ إلى ﴿خبير﴾ وهذا القول الثالث للبيضاوي. قوله: [أي هذه الآيات] أيْ آياتِ السورة، وأُشير إليها بإشارة البعيد لعلو رتبتها ورفعةِ قدرها عند الله، وإن كانت قريبةً من الأذهان. قوله: [ذي الحكمة] أيْ المشتمِلُ على الحكمة، وهي العلم النافع، ويصح أن يُراد بالحكيم المُحكَم، أي المتقَن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويصح أن يراد ﴿الحكيم﴾ قائله، حذف المضاف، وأقيمَ المضافُ إليه، وهو الضمير المجرور، فبانقلابه مرفوعاً استكن في الصفة المشبهة. قوله: [بالرفع] أي لحمزة على أنه خبر لمحذوف قدره بقوله: [هو]. قوله: [وفي قراءة العامة] أي وهم السبعة ما عدا حمزة. قوله: [حالاً من الآيات] أيْ حالَ كون كل منهما حالاً. قوله: [من معنى الإشارة] أيْ كأنه قال: أشير إلى تلك الآيات، حالَ كونها هُدًى ورحمة.

قوله: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ أيْ يؤدونها بأركانها وآدابها. قوله: ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أيْ يعطونها لمستحقيها. قوله: ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ أي يؤمنون بلقاء الله والبعث. قوله: [الفائزون] أي بما أعدّ لهم من النعيم المقيم.

النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾: أي ما يُلهي عنه عما يعني ﴿لِيُضِلَّ﴾: بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا﴾: بالنصب عطفاً على يضل وبالرفع عطفاً على يشتري ﴿هُزُوًا﴾: مهزوءاً بها ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ٦: ذو إهانة ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾: أي القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾: متكبراً ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: صمماً وجملتا التشبيه حالان من ضمير ولّى أو الثانية بيان للأولى ﴿فَبَشِّرْهُ﴾: أعلمه ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٧: مؤلم وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحارث كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ ٨ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: حال مقدرة أي مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾: أي وعدهم الله ذلك وحقه حقاً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده ﴿الْحَكِيمُ﴾ ٩: الذي لا يضع شيئاً إلا في محله ﴿خَلَقَ

قوله: ﴿ومن الناس من يشتري﴾ الخ، شروع في ذكر مقابل الفريق الأول على حكم عادته تعالى في كتابه، والجار والمجرور خبر مقدم، والاسم الموصول مبتدأ مؤخر، واعلم أن مَن لفظها مفرد، ومعناها جمع، فروعي لفظها في جميع الضمائر الآتية، وروعي معناها في ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾. قوله: ﴿لهو الحديث﴾ إما من إضافة الصفة للموصوف، أي الحديث اللهو، أي المشتغل عما يعني، أو الإضافة على معنى مِن، وإليه يشير المفسر بقوله: [أي ما يلهى منه]. قوله: [بفتح الياء] أي ليستمر على الضلال، وقوله: [وضمها] أي ليوقع غيره في الضلال، فهو ضال مضل، والقراءتان سبعيتان. قوله: [طريق الإسلام] أي الأمور الموصلة للإسلام، فاللهو كل ما يشغل عن عبادة الله، وذكره من الأضاحيك والخرافات والمغاني والمزامير، وغيرها من الأمور الباطلة.

قوله: ﴿بغير علم﴾ حال من فاعل ﴿يشتري﴾ أي حالة كونه جاهل القلب، وإن كان عليم اللسان. قوله: ﴿ويتخذها﴾ أي الآيات. قوله: [بالنصب] الخ، أي والقراءتان سبعيتان. قوله: [مهزوءاً بها] أي لمحاكاته لها بالخرافات. قوله: [أعلمه] أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة مطلق الإعلام بالخبر، وإن لم يكن فيه بشارة، ودفع بذلك ما يقال: إن الإخبار بالعذاب الأليم ليس بشارة بل هو نذارة، وقوله: [وذكر البشارة] الخ، جواب آخر، فكان المناسب أن يذكره بأو. قوله: [النضر بن الحرث] أي ابن كلدة كان صديقاً لقريش. قوله: [فيستملحون حديثه] أي يعدّونه مليحاً فيصغون له.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ بيان لحال المؤمنين بالقرآن بعد بيان حال الكافرين به. قوله: ﴿جنات النعيم﴾ المراد بها جميع الجنان، لا خصوص المسماة بهذا الاسم. قوله: [أي مقدراً خلودهم] أي فهم عند دخولهم يقدرون الخلود، لسماعهم النداء من قبل الله، يا أهل الجنة خلود بلا موت. قوله: ﴿وعد الله حقاً﴾ مصدران مؤكدان لمضمون الجملة الأولى، والعامل مختلف، والتقدير وعد ذلك وحقه حقاً. قوله: [الذي لا يغلبه شيء] أي لا يقهره أحد.

قوله: ﴿خلق السموات﴾ الخ، هذا دليل على أنه عزيز حكيم، لا يمنعه أحد عن إنجاز وعده ووعيده. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٦: أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) قال: نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية. وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: نزلت في النضر بن الحارث اشترى قينة وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول: أطعميه واسقيه وغنيه هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه، فنزلت.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾: أي العمد جمع عماد وهو الأسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي
ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً مرتفعة ﴿أَن﴾: لا ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرك ﴿بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا﴾: فيه
التفات عن الغيبة ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ ١٠: صنف حسن ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ﴾: أي
مخلوقه ﴿فَأَرُونِي﴾: أخبروني يا أهل مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: غيره أي آلهتكم حتى أشركتموها به تعالى
وما استفهام إنكار مبتدأ وذا بمعنى الذي بصلته خبره وأروني معلق عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين ﴿بَلِ﴾:
للانتقال ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ ١١: بين بإشراكهم وأنتم منهم ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: منها العلم
والديانة والإصابة في القول وحكمه كثيرة مأثورة كان يفتي قبل بعثة داود وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا وقال

قوله: [أي العمد] أشار بذلك إلى أن جملة ﴿ترونها﴾ صفة لعمد. قوله: [جمع عماد] أي كأهب جمع إهاب. قوله: [الأسطوانة] بضم الهمزة وهي السارية. قوله: [وهو صادق] الخ أي لأن السالبة تصدق بنفي الموضوع وهو المراد هنا، ويصح أن يراد الشق الثاني، وهو أن يكون لها عمد لا ترى، وهي قدرة الله تعالى. قوله: ﴿رواسي﴾ أي ثوابت. قوله: [جبالاً مرتفعة] قال ابن عباس: هي سبعة عشر جبلاً منها ق وأبو قبيس والجودي ولبنان وطور سينين. قوله: ﴿أن تميد بكم﴾ قدر المفسر لام التعليل ولا النافية إشارة إلى أن حكمة تثبيت الأرض بالجبال عدم تحركها بأهلها. قوله: ﴿وبث فيها﴾ أي نشر، وقوله: ﴿من كل دابة﴾ ﴿من﴾ زائدة. قوله: [فيه التفات] أي من الغيبة إلى التكلم، زيادة في التبكيت وإلزام الحجة.

قوله: ﴿هذا خلق الله﴾ أي ما ذكر من السماوات والأرض وما فيهما. قوله: [استفهام إنكاري] توبيخ وتقريع. قوله: [معلق عن العمل] أي في اللفظ، وأما في المحل فهو عامل النصب. قوله: [سد مسد المفعولين] ظاهره أن أروني تنصب ثلاثة مفاعيل، الياء وجملة الاستفهام التي سدت مسد الثاني والثالث، وهذا غير ما ذكروه من أن أرى إن كان بمعنى أخبر، فإنها تتعدى لمفعولين: الأول مفرد صريح، والثاني جملة الاستفهام، فالمناسب للمفسر أن يقول: سدت مسد الثاني. قوله: [للانتقال] أي من تبكيتهم إلى الإخبار بتقبيح الظالمين عموماً.

قوله: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ اختلف في لقمان، فقيل اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وقيل عربي ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون، واختلف فيه أيضاً، فقيل هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر، فعلى هذا هو ابن ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل كان ابن أخت أيوب، وقيل كان ابن خالته، يقال إنه عاش ألف سنة حتى أدرك داود، واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، إلا عكرمة والشعبي فقالا بنبوته، وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة، وروي أنه كان نائماً في وسط النهار، فنودي يا لقمان، هل لك أن نجعلك خليفة في الأرض، فتحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت فقال: إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء، وإن عزم علي فسمعاً وطاعة، فإني أعلم أن الله تعالى، إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لم يا لقمان؟ قال: إن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاه المظلوم من كل مكان، إن عدل نجا، وإن أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً، خير من أن يكون شريفاً، ومن يختر الدنيا على الآخرة، تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة، فعجبت الملائكة من حسن منطقه، فنام نومة فأعطي الحكمة، فانتبه وهو يتكلم بها، ثم نودي بها داود بعده فقبلها، وكان لقمان يوازر داود بحكمته، وقيل كان خياطاً، وقيل كان راعي غنم، فروي أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال: ألست فلاناً الراعي؟ قال: بلى، قال: فيم بلغت ما بلغت؟ قال: بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني. قوله: [منها العلم والديانة] أي

في ذلك ألا أكتفي إذا كفيتُ وقيل له أي الناس شر قال الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً ﴿أَنِ﴾: أي وقلنا له أن ﴿اشْكُرْ لِلَّهِ﴾: على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾: عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ ١٢: محمود في صنعه ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾: تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ﴾: بالله ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ١٣: فرجع إليه وأسلم ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ

فالحكمة هي العلم والعمل، ولا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعها، وقيل الحكمة المعرفة والأمانة، وقيل هي نور في القلب، تدرك به الأشياء كما تدرك بالبصر. قوله: [وحكمه كثيرة] قال وهب: تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة، أدخلها الناس في كلامهم. قوله: [وقال في ذلك] أي في شأن الاعتذار عن ترك الفتيا. قوله: [وقلنا له أن] ﴿اشكر﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن أن زائدة، وجملة ﴿أن أشكر﴾ مقول القول، والأنسب [أن] تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه. قوله: [ما أعطاك من الحكمة] أي فهي نعمة يجب الشكر عليها بصرفها في مصارفها. قوله: ﴿ومن يشكر﴾ الخ، تعليل للأمر بالشكر. قوله: [محمود في صنعه] أي فهو حقيق بأن يحمد من دون المخلوقات.

قوله: ﴿وإذ قال لقمان لابنه﴾ أي واسمه ثاران وقيل مشكم وقيل أنعم، قيل كان ابنه وامرأته كافرين، فما زال يعظهما حتى أسلما. قيل وضع لقمان جراباً من خردل إلى جنبه، وجعل يعظ ابنه موعظة موعظة، ويخرج خردلة خردلة، فنفد الخردل فقال: يا بني وعظتك موعظة لو وعظتها جبلاً لتفطر، فتفطر ابنه ومات. قوله: ﴿وهو يعظه﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿يا بني﴾ بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان. قوله: [اشفاق] أي محبة. قوله: [فرجع إليه] أي إلى دين أبيه وهو الإسلام، وقال أيضاً: يا بني اتخذ تقوى الله تعالى تجارة، يأتك الربح من غير بضاعة، يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس، فإن الجنائز تذكرك الآخرة، والعرس يشهيك الدنيا. يا بني لا تكن أعجز من هذا الديك الذي يصوت بالأسحار، وأنت نائم على فراشك. يا بني لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة. يا بني لا ترغب في ود الجاهل، فيرى أنك ترضى عمله. يا بني اتق الله ولا تر الناس أنك تخشى، ليكرموك بذلك وقلبك فاجر. يا بني ما ندمت على الصمت قط، فإن الكلام إذا كان من فضة، كان السكوت من ذهب. يا بني اعتزل الشر كما يعتزلك، فإن الشر للشر خلق. يا بني عليك بمجالس العلماء، واستمع كلام الحكماء، فإن الله تعالى يحيي القلب الميت بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر، فإن من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من موضعها أيسر من إفهام من لا يفهم، يا بني لا ترسل رسولك جاهلاً، فإن لم تجد حكيماً فكن رسول نفسك. يا بني لا تنكح أمة غيرك، فتورث بنيك حزناً طويلاً. يا بني يأتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم. يا بني اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك غبياً يعلموك، وإن يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تصبك معهم. يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله عز وجل، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك غبياً يزيدوك غباوة، وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم. يا بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء. يا بني إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان بها، وشراعها التوكل على الله، لعلك أن تنجو. يا بني إني حملت الجندل والحديد، فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرارة كلها، فلم أذق أشد من الفقر. يا بني إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك. يا بني لا تتعلم ما لا تعلم،

﴿بِوَالِدَيْهِ﴾: أمرناه أن يبرّهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾: فوهنت ﴿وَهْناً عَلَى وَهْنٍ﴾: أي ضعفت للحمل وضعفت للطلق وضعفت للولادة ﴿وَفِصَالُهُ﴾: أي فطامه ﴿فِي عَامَيْنِ﴾: وقلنا له ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ ١٤: أي المرجع ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: موافقة للواقع ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾: أي بالمعروف البرّ والصلة ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ﴾: طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: رجع ﴿إِلَيَّ﴾: بالطاعة ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ١٥: فأجازيكم عليه وجملة الوصية وما بعدها اعتراض ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾: أي الخصلة السيئة ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي في أخفى

حتى تعمل بما تعلم. يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره. يا بني إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدار أنت إليها تسير، أقرب من دار أنت عنها ترحل. يا بني عود لسانك أن يقول: اللهم اغفر لي، فإنه لله ساعات لا ترد. يا بني إياك والدين، فإنه ذل النهار وهم الليل. يا بني ارج الله رجاء لا يجرئك على معصيته، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته. إلى غير ذلك من المواعظ المأثورة عنه عليه السلام.

قوله: ﴿ووصينا الإنسان﴾ الخ، هاتان الآيتان نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص كما تقدم، فهما معترضتان بين كلامي لقمان، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأل في الإنسان للجنس. قوله: [أن يبرهما] أي يحسن إليهما. قوله: [فوهنت] قدر الفعل إشارة إلى أن ﴿وهناً﴾ مفعول مطلق، والأحسن جعله حالاً من أمه أي ذات وهن. قوله: ﴿على وهن﴾ صفة لوهناً أي ضعفاً كائناً على ضعف، والمراد التوالي لا خصوص وهنين بدليل قوله المفسر [أي ضعفت للحمل] الخ. قوله: [أي فطامه] أي ترك رضاعه. قوله: ﴿في عامين﴾ أي في انقضائهما.

قوله: ﴿أن اشكر لي﴾ أن يحتمل أنها مفسرة لجملة ﴿وصينا﴾ أو مصدرية. قوله: [أي المرجع] أي فأجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على اساءته. قوله: [موافقة للواقع] أي فلا مفهوم له، وهو جواب عما يقال: إن الشريك مستحيل على الله تعالى، فربما يتوهم وجود الشريك له به علم. قوله: ﴿وصاحبهما في الدنيا﴾ أي أمورها التي لا تتعلق بالدين. قوله: [أي بالمعروف] أشار بذلك إلى أنه منصوب بنزع الخافض.

قوله: ﴿واتبع سبيل من أناب الي﴾ قيل إن الخطاب للمكلفين عموماً، ويراد بمن أناب النبي وأصحابه ومن على قدمهم، وقيل الخطاب لسعد بن أبي وقاص، والمراد بمن أناب أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أنه حين أسلم، أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له: قد صدقت هذا الرجل وآمنت به؟ قال: نعم هو صادق فآمنوا، ثم جاء بهم النبي ﷺ حتى أسلموا، فهؤلاء سابقون للإسلام بإرشاد أبي بكر رضي الله عنه. قوله: [فأجازيكم عليه] أي على العمل الحسن والسيء. قوله: [وجملة الوصية] أي وهي قوله: ﴿ووصينا الإنسان﴾ الخ، وقوله: [وما بعدها] أي وهو قوله: ﴿وإن جاهداك﴾ الخ، وقوله: [اعتراض] أي بين كلامي لقمان.

قوله: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة﴾ الخ، رجوع لذكر وصايا لقمان لولده، وسبب تلك المقالة أنه قال له ولده: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد، كيف يعلمها الله؟ فقال له تلك المقالة وهذا السؤال ليس عن اعتقاد لمضمونه، إذ هو مسلم لا يعتقد أن الله تخفى عليه خافية، وإنما مقصوده الانتقال من العلم بالدليل إلى المعرفة والمشاهدة، ولذا مات من استيلاء الهيبة على قلبه. قوله: ﴿من خردل﴾ هو حب الكبر وهو أصغر حب، والمراد أصغر شيء، بدليل ضرب المثل بالذرة في الآية. قوله: ﴿في صخرة﴾ قيل المراد بها التي تحت الأرضين السبع، وهي التي

مكان من ذلك ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾: فيحاسب عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾ ١٦: بمكانها ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾: بسبب الأمر والنهي ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ ١٧: أي معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾: وفي قراءة تصاعر ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تمل وجهك عنهم تكبراً ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحاً﴾: أي خيلاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ ١٨: على الناس ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: توسّط فيه بين الدبيب والإسراع وعليك السكينة والوقار ﴿وَٱغْضُضْ﴾: اخفض ﴿مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ﴾: أقبحها ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ ١٩: أوله زفير وآخره شهيق

يكتب فيها أعمال الفجّار، وخضرة السّماء منها لما قيل: خلق الأرض على حوت، والحوت في الماء على ظهر صفاة، والصّفاة على ظهر ملك، وقيل على ظهر ثور وهو على الصخرة، وهي التي ذكرها لقمان، فليست في السماء ولا في الأرض. قوله: [أي في أخفى مكان من ذلك] أي من الصخرة والسّماوات والأرض، فأخفى الصّخرة باطنها، وأخفى السماوات أعلاها، وأخفى الأرض أسفلها. قوله: ﴿يأت بها الله﴾ جواب الشرط. قوله: ﴿إن الله لطيف﴾ أي عالم بخفيات الأمور. قوله: ﴿خبير﴾ أي عالم ببواطن الأشياء كظواهرها، قيل إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلّم بها لقمان، فانشقت مرارة ابنه من هيبتها وعظمها، فمات مسلماً شهيداً رضي الله عنه.

قوله: ﴿يا بني أقم الصلاة﴾ أي بشروطها وأركانها وآدابها، لكونها عماد الدين ومناجاة الله تعالى. قوله: ﴿وأمر بالمعروف﴾ أي بكل ما عرف شرعاً، لأن الدال على الخير كفاعله. قوله: ﴿وانه عن المنكر﴾ أي باليد أو اللّسان أو القلب على حسب الطاقة، فإن لم يفد فالهجر أولى بالمعروف. قوله: [بسبب الأمر والنهي] المناسب حمله على العموم، فالصبر على المصائب، سواء كانت من الخلق أو الخالق أمره عظيم، لأن الكل في الحقيقة من الله، والمراد بالصّبر التسليم لأحكام الله والرجوع إليه، قال تعالى ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ قوله: [التي يعزم عليها لوجوبها] أي تحتمها على المكلفين، فلا ترخيص في تركها.

قوله: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ الصّعر بفتحتين في الأصل داء يصيب البعير يلوي عنقه، ثم استعمل في ميل العنق وانقلاب الوجه إلى أحد الشدقين، لأجل الفخر على الناس، والمراد لا تتكبر فتحتقر الناس، ولا تعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. قوله: [وفي قراءة تصاعر] أي وهما سبعيتان ومعناهما واحد. قوله: [أي خيلاء] أي عجباً وتكبراً، قال تعالى: ﴿إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾. قوله: ﴿فخور﴾ [على الناس] أي لظنه أن نعمة الله أسبغت عليه لاستحقاقه إيّاها، فتكبر بها على الناس. قوله: ﴿واقصد في مشيك﴾ لما أمره أولاً بتحسين الباطن، أمره ثانياً بتحسن الظاهر، ليجمع له في وصيته بين كمال الظاهر والباطن. قوله: [بين الدبيب] أي وهو ضعف المشي جداً، قال الشاعر:

زعمتني شيخاً ولست بشيخ إنما الشيخ من يدب دبيبا

قوله: [والإسراع] أي وهي قوة المشي وهي مذمومة لما ورد: سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن. إن قلت: ورد في الحديث: كنا نجهد أنفسنا خلف رسول الله ﷺ، فيقتضي أنه كان يسرع في مشيه. أجيب بأنه ﷺ في نفسه مشية متوسطة، وبالنسبة للصحابة هو أعلى مشياً منهم، لما في الحديث المتقدم: وهو غير مكترث كأن الأرض تطوى له. قوله: ﴿من صوتك﴾ يحتمل أن ﴿من﴾ تبعيضية، أو الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمحذوف، أي شيئاً من صوتك. قوله: ﴿لصوت الحمير﴾ أي هذا الجنس لما فيه من العلو المفرط من غير حاجة، فإن كل حيوان يصيح من

﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾: تعلموا يا مخاطبين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَسْبَغَ﴾: أوسع وأتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً﴾: وهي حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك ﴿وَبَاطِنَةً﴾: هي المعرفة وغيرها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي أهل مكة ﴿مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾: من رسول ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ ٢٠: أنزله الله بل بالتقليد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾: قال تعالى: ﴿أَ﴾: يتبعونه ﴿وَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ ٢١: أي موجباته لا ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي يقبل على طاعته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: موحد ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ ٢٢: مرجعها ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ﴾: يا محمد ﴿كُفْرُهُۥٓ﴾: لا تهتم بكفره ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ

ثقل أو تعب أو غير ذلك، والحمار يصيح لغير سبب، وصياح كل شيء تسبيح لله تعالى، إلا الحمار. إن قلت: إن دق النحاس بالحديد أشد صوتاً من الحمير، أجيب: بأن الصوت الشديد لحاجة يتحمله العقلاء، بخلاف الصوت الخالي عن الثمرة والفائدة، وهو صوت الحمار. قوله: [أوله زفير] أي صوت قوي، وقوله: [وآخره شهيق] أي صوت ضعيف، وهما صفة صوت أهل النار.

قوله: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم﴾ الخ، رجوع لما سبق من خطاب المشركين والرد عليهم. قوله: [يا مخاطبين] القياس بالواو لأنه منادى مفرد، وهو مبني على ما يرفع به، إلا أن يقال: إنه نكرة غير مقصودة فهو منصوب. قوله: ﴿نعمه﴾ إما بالجمع فظاهرة وباطنة حالان، أو الإفراد بتاء التأنيث نكرة فهما نعتان لها، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [هي حسن الصورة] الخ، وقيل الظاهرة نعمة الدنيا، والباطنة نعمة العقبى، وقيل الظاهرة ما ترى بالأبصار، كالمال والجاه والجمال في الناس، والباطنة ما يجده الإنسان في نفسه من حسن اليقين والعلم بالله تعالى، وكل صحيح. قوله: [وتسوية الأعضاء] أي تناسبها.

قوله: ﴿ومن الناس﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأبي بن خلف ومن حذا حذوهما، كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وصفاته من غير علم. قوله: ﴿بغير علم﴾ أي بل بالجهل وعدم المعرفة. قوله: ﴿ولا هدى﴾ أي من رسول جاءهم به. قوله: ﴿ولا كتاب منير﴾ أي نير واضح الدلالة.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم﴾ الجمع باعتبار المعنى. قوله: ﴿أ﴾ [يتبعونه] أشار بذلك إلى أن الشرط للحال والتقدير أيتبعونه، والحال أن الشيطان يدعوهم إلى العذاب، وحينئذ فلا جواب للو. قوله: ﴿يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ أي يدعو آباءهم، لأن مدار إنكار الإتباع، كون الرؤساء تابعين للشيطان. قوله: [لا] أي لا يليق منهم ذلك. قوله: [أي يقبل على طاعته] أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات، والمعنى من يبذل ذاته في طاعة ربه، والحال أنه موحد، فقد استمسك الخ، وهذا هو حقيقة الشكر، فالاقبال على الله ظاهراً وباطناً، موجب للأمن من عذاب الله، ومن زوال تلك النعمة، وهذه الآية معنى قوله تعالى ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾. قوله: [موحد] إنما فسره بذلك ليشمل الإسلام في حق العامة وهو التوحيد، وإلا فالإحسان الكامل أن تعبد الله كأنك تراه. قوله: [بالطرف الأوثق] أي الموصل إلى الله بلا إنقطاع، فقد مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله، بمن أراد أن يرقى إلى شاهق جبل، فتمسك بأوثق حبل، فهو تشبيه تمثيلي بذكر طرفي التشبيه. قوله: [مرجعها] أي فيجازي عليها. قوله: ﴿ومن كفر﴾ الخ، هذا مقابل الفريق الأول. قوله: ﴿فلا يحزنك كفره﴾ بفتح الياء وضم الزاي، وبضم

﴿ٱلصُّدُورِ﴾ ٢٣: أي بما فيها كغيره فمجاز عليه ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾: في الدنيا ﴿قَلِيلاً﴾ أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾: في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ٢٤: وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصاً ﴿وَلَئِن﴾: لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٥: وجوبه عليهم ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً وعبيداً فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾: عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ ٢٦: المحمود في صنعه ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ﴾: عطف على اسم أن ﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾: مداداً ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾: المعبّر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولو بأكثر من ذلك

الياء وكسر الزاي قراءتان سبعيتان، أي فتسل ولا تغتم على ذلك. قوله: ﴿فننبئهم بما عملوا﴾ أي نخبرهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا. قوله: ﴿ثم نضطرهم﴾ أتى بثم إشارة إلى أن العذاب الغليظ، إنما يكون لهم في الآخرة لا في الدنيا، كما أن المؤمن إذا نعم في الدنيا بأنواع النعم، فليس ذلك جزاء لأعماله الصالحة. قوله: [لا يجدون عنه محيصاً] أي ملجأ. قوله: ﴿ليقولن الله﴾ الجملة جواب القسم، وحذف جواب الشرط للقاعدة، ولفظ الجلالة مرفوع، إما على أنه فاعل بفعل محذوف تقديره خلقهن الله، بدليل آية ﴿خلقهن العزيز العليم﴾، أو خبر لمحذوف تقديره الخالق لهن. قوله: [وواو الضمير] أي لالتقائها ساكنة مع نون التوكيد، وبقيت الضمة دليلاً عليها. قوله: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [وجوبه عليهم] أي بل يعتقدون أن الإشراك يقرب إلى الله، مع كونهم ينسبون الخلق لله وحده.

قوله: ﴿لله ما في السماوات والأرض﴾ هذا نتيجة ما قبله، أي فحيث ثبت أنه الخالق لها، تحقق أنه المالك لها. قوله: [المحمود في صنعه] أي المتصف بالكمالات أزلاً وأبداً، لا يستحق الحمد غيره. قوله: ﴿ولو أن ما في الأرض﴾ ﴿أن﴾ حرف توكيد ونصب و﴿ما﴾ اسم موصول في محل نصب اسمها، وجملة الجار والمجرور مع متعلقه صلة الموصول، و﴿من شجرة﴾ بيان لما، وتوحيد شجرة إشارة إلى استغراق الأفراد كأنه قال: لو أن كل شجرة تجعل أقلاماً الخ، وقوله: ﴿أقلام﴾ خبر ﴿أن﴾. قوله: ﴿والبحر﴾ أي المحيط، لأن الحقيقة إذا أطلقت تنصرف للفرد الكامل. قوله: [عطف على اسم أن] أشار بذلك إلى توجيه قراءة النصب، وترك توجيه قراءة الرفع، وتوجيهها أن يقال: إما عطف على جملة ﴿أن﴾ واسمها وخبرها، لأن موضعها رفع على الفاعلية لفعل محذوف، والتقدير لو ثبت أن ما في الأرض الخ، أو مبتدأ خبره ﴿يمده﴾ والجملة حالية. قوله: [مداد] خبر لمحذوف تقديره والجميع مداد، وهو جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما تجعل تلك الأبحر؟ فأجاب بقوله: [مداد] يدل على ذلك قوله في الآية الأخرى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾ الخ. قوله: ﴿كلمات الله﴾ أي مدلولات كلامه النفسي القديم القائم بذاته تعالى، بدليل قوله المعبّر بها، فإن مدلول الكلام القديم، هو ما أحاط به العلم القديم، وأما الكلام المنزل للقراءة والتعبد به كالكتب السماوية، فهو دال على بعض مدلول الكلام القديم، فلذلك كان له مبدأ وغاية.

---

* أسباب نزول الآية ٢٧: وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح، فأنزل الله: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ فقالوا: تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً، وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآية. وأخرج ابن اسحاق عن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ فلما هاجر الى المدينة أتاه أحبار اليهود فقالوا: ألم يبلغنا عنك أنك تقول: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ إيانا تريد أم قومك؟ فقال: كلاً عنيت، قالوا: فإنك تتلو أنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: هي في علم الله قليل، فأنزل الله ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ وأخرجه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس. وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة وابن جرير عن قتادة قال: قال المشركون: انما هذا كلام يوشك أن ينفد، فنزل ﴿ولو أن ما في الأرض﴾ الآية.

لأن معلوماته تعالى غير متناهية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ ٢٧: لا يخرج شيء عن علمه وحكمته ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: خلقاً وبعثاً لأنه بكلمة كن فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ ٢٨: يبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم يا مخاطباً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ﴾: يدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾: يدخله ﴿فِي ٱلَّيْلِ﴾: فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾: منهما ﴿يَجْرِيٓ﴾: في فلكه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو يوم القيامة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢٩ ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾: بالياء والتاء يعبدون ﴿مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾: الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾: على خلقه بالقهر ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ ٣٠: العظيم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾: السفن ﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم﴾: يا مخاطبين بذلك ﴿مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: عبراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ ٣١: لنعمته ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾: أي علا الكفار ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾: كالجبال التي تظل من تحتها ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أي الدعاء بأن ينجيهم أي لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: متوسط بين الكفر والإيمان ومنهم باق على كفره ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: ومنها الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غدار ﴿كَفُورٍ﴾ ٣٢: لنعم الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: أي أهل مكة ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِي﴾: يغني

قوله: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ سبب نزولها: أن أبي بن خلف وجماعة قالوا للنبي ﷺ: إن الله خلقنا أطواراً، نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم تقول: إنا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة فنزلت، والمعنى أن الله لا يصعب عليه شيء، بل خلق العالم وبعثه برمته، كخلق نفس واحدة وبعثها. قوله: [خلقاً وبعثاً] لف ونشر مرتب. قوله: [يا مخاطباً] نصبه لكونه قصد أنه نكرة غير مقصودة. قوله: [بما نقص] أي بالجزء الذي نقص من الأجر، وهو أربع ساعات دائرة بين الليل والنهار، زائدة على الاثني عشر، فتارة يزيدها الليل، وتارة يزيدها النهار.

قوله: ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ عطف على ﴿يولج﴾ وعبر في الأولى بالمضارع، لأن الإيلاج متجدد بخلاف التسخير. قوله: ﴿إلى أجل مسمى﴾ عبر هنا بإلى، وفي فاطر والزمر باللام تفنناً، لأن اللام وإلى للانتهاء. قوله: ﴿ذلك﴾ [المذكور] أي من الآيات الكريمة، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿بأن الله هو الحق﴾. قوله: [الثابت] أي الذي لا يقبل الزوال، أزلاً ولا أبداً. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿ألم تر أن الفلك﴾ الخ، هذا دليل آخر على إثبات الألوهية لله وحده. قوله: ﴿بنعمة الله﴾ أي إحسانه. قوله: [أي علا الكفار] أي أحاط بهم، فعلا فعل ماض لا حرف جر. قوله: [أي لا يدعون معه غيره] أي كالأصنام لأنهم في ذلك الوقت في غاية الشدة والهول، فلا يجدون ملجأ لكشف ما نزل بهم غيره تعالى. قوله: [متوسط بين الكفر والإيمان] المناسب تفسير المقتصد بالعدل الموفي، بما عاهد الله عليه من التوحيد، ليكون موافقاً لسبب النزول، فإنها نزلت في عكرمة بن أبي جهل، وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر، فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة: لئن أنجانا الله من هذا، لأرجعن إلى محمد ﷺ، ولأضعن يدي في يده فسكن الريح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه. قوله: [ومنهم باق على كفره] أي وهو المشار إليه بقوله: ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ الخ. قوله: [غدار] أي لأنه نقض العهد، ورجع إلى ما كان عليه.

﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ فيه شيئاً ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ﴾ فيه ﴿شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ بالبعث ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾: عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ﴾: في حلمه وإمهاله ﴿الْغَرُورُ﴾ ٣٣: الشيطان ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: متى تقوم ﴿وَيُنَزِّلُ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿الْغَيْثَ﴾: بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾: أذكر أم أنثى ولا يعلم واحداً من الثلاثة غير الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾: من خير أو شر ويعلمه الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾: ويعلمه الله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ﴾: بكل شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ ٣٤: بباطنه كظاهره روى البخاري عن ابن عمر حديث مفاتح الغيب خمسة ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ إلى آخر السورة.

قوله: ﴿اتقوا ربكم﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه. قوله: ﴿لا يجزي والد عن ولده﴾ الخ كل من الجملتين نعت ليوماً، والمعنى أن يوم القيامة يقول كل إنسان، نفسي نفسي لا أملك غيرها، ولا يهتم بقريب ولا بعيد، وهذه الآية مخصوصة بالكفار، وأما المسلمون فينتفعون من بعضهم، فالأولاد تنفع الآباء، والآباء تنفع الأولاد، قال تعالى ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ وأما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة ابنته: «أنا لا أغني عنك من الله شيئاً» فهو تحذير لها من الكفر الذي به تنقطع الأنساب. قوله: ﴿ولا مولود﴾ مبتدأ، وهو مبتدأ ثان، و﴿جاز﴾ خبر الثاني، وهو وخبره خبر الأول، أو معطوف على والد. قوله: [في حلمه وإمهاله] أشار بذلك أن الباء سببية، والكلام على حذف مضاف، والأصل لا يغرنكم بسبب حلم الله وإمهاله الغرور.

قوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ الخ نزلت لما قال الحرث بن عمرو للنبي ﷺ: متى الساعة؟ وأنا قد ألقيت الحب في الأرض فمتى السماء تمطر؟ وامرأتي حامل فهل حملها ذكر أم أنثى؟ وأي شيء أعمله غداً؟ ولقد علمت بأي أرض ولدت، فبأي أرض أموت؟ قوله: [متى تقوم] أي وقت قيامها. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بوقت يعلمه] أي وفي أي مكان ينزله.

قوله: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ أي من حيث ذاتها، وأما باعلام الله للعبد فلا مانع منه، كالأنبياء وبعض الأولياء، قال تعالى ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ وقال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ قال العلماء: وكذا ولي، فلا مانع من كون الله يطلع بعض عباده الصالحين على بعض هذه المغيبات، فتكون معجزة للنبي وكرامة للولي، ولذلك قال العلماء: الحق أنه لم يخرج نبينا من الدنيا، حتى أطلعه الله على تلك الخمس، ولكنه أمر بكتمها، والحكمة في كونه تعالى أضاف العلم إلى نفسه في الثلاثة الأول: ونفى العلم عن العباد في الأخيرتين منها، مع أن الخمسة سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها، ونفي علم العباد بها، أن الثلاثة الأول أمرها عظيم، لا يتوهم في الخلق علمها، بخلاف الأخيرتين فهما من صفات العباد، فربما يتوهمون علمها، فإذا انتفى عنهم علمهما، كان انتفاء علمهم بغيرها أولى. قوله: ﴿بأي أرض تموت﴾ لم يقل بأي وقت تموت فيه، لأن انتقال الإنسان من مكان إلى آخر في وسعه واختياره، فتوهمه علم مكان موته أقرب بخلاف الزمان، ففيه تنبيه على انتفاء علم الأقرب، ليفهم منه علم الأبعد بالأولى. قوله: ﴿إن الله عليم خبير﴾ أشار بذلك إلى أن علمه تعالى، ليس مختصاً بهذه الأشياء المتقدمة، بل هو عليم ببواطن الأشياء كظواهرها.

* * *

---

* أسباب نزول الآية ٣٤: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: جاء رجل من أهل البادية فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني بما تلد؟ وبلادنا مجدبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت، فأخبرني متى أموت؟ فأنزل الله ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٣٢] ـ سورة السجدة

[مكية وهي ثلاثون آية]

﴿الٓمٓ﴾[١]: الله أعلم بمراده به ﴿تَنْزِيلُ الكِتَابِ﴾: القرآن مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهِ﴾: خبر أول ﴿مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[٢]: خبر ثان ﴿أَمْ﴾: بل ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ﴾: محمد؟ لا ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ﴾: به ﴿قَوْماً

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة السجدة مكية

وهي ثلاثون آية

أي التي ذكر فيها السَّجدة. قوله: [مكية] ظاهره أن جميعها مكي، وقال غيره: إلا ثلاث آيات، وقيل إلا خمس آيات أولها قوله: ﴿تتجافى جنوبهم﴾ وآخرها قوله: ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ وورد في فضلها أحاديث، منها ما في الصحيح عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ﴿آلم تنزيل الكتاب﴾ السجدة، و﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ وقد أخذ بهذا الحديث الإمام الشافعي رضي الله عنه، ولم يأخذ به مالك، لعدم استمرار العَمَل عليه، ومنها أنه ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿ألم تنزيل﴾ السَّجدة، و﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ وتسمى أيضاً المنجية، لأنها إحدى المنجيات السَّبع وهي: هذه السورة، ويس، والدخان، والواقعة، وهل أتى، والملك، والبروج. ولما ورد عن خالد بن معدان أنه قال: اقرؤوا المنجية وهي ﴿آلم تنزيل﴾ فإنه بلغني أن رجلاً كان يقرؤها، ما يقرأ شيئاً غيرها، وكان كثير الخطايا، فنشرت جناحها عليه وقالت: رب اغفر له فإنه كان يكثر قراءتي، فشفعها الرب فيه، وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة، وارفعوا له درجة.

قوله: ﴿تنزيل الكتاب﴾ أي نزوله ومجيئه. قوله: ﴿من رب العالمين﴾ أي لفظاً ومعنى. [خبر ثان] هذا أحسن الأعاريب في هذا الموضع، ويصح أن يكون حالاً من ضمير الخبر. قوله: ﴿أم يقولون افتراه﴾ أم: منقطعة تفسر ببل، والهمزة عند البصريين، والمفسر قدرها ببل فقط، وهو غير مناسب بدليل قوله: [لا] فإنه إشارة إلى أن الاستفهام إنكاري، مع أنه لم يذكر الهمزة، ولعلها سقطت من قلم ناسخ المبيضة. قوله: ﴿بل هو الحق﴾ إضراب انتقالي من نفي الافتراء عنه إلى إثبات حقيقته، ويصح أن يكون إبطالياً لقوله، كأنه قيل ليس هو كما قالوا، بل هو الحق، وقولهم كل ما في القرآن من الإضراب انتقالي يحمل على غير هذا، والمعنى أن القرآن محصور في الحق، لا يخرج عنه لغيره، واستفيد الحصر من الجملة المعرفة الطرفين.

﴿مَا﴾: نافية ﴿أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٣]: بإنذارك ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾: هو في اللغة سرير الملك استواء يليق به ﴿مَا لَكُمْ﴾: يا كفار مكة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: أي غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾: اسم ما بزيادة من أي ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[٤]: هذا فتؤمنون ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾: مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾: يرجع

قوله: ﴿لتنذر قوماً﴾ هو فعل ينصب مفعولين، الأول قوماً، والثاني محذوف قدره المفسر بقوله: [به] وقدره غيره العقاب. قوله: ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ جعل المفسر الجملة منفية صفة لقوماً، واختلف في القوم فقيل: المراد بهم العرب، لأنهم أمة لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ، وتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ وقيل المراد بهم أهل الفترة، الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما السلام، فيشمل بني آدم برمتهم. قوله: ﴿لعلهم يهتدون﴾ الترجي بالنسبة له ﷺ، والمعنى لتنذر قوماً راجياً لاهتدائهم لا آيساً منه. قوله: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض﴾ مبتدأ وخبر، وهو شروع في ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى. قوله: [أولها الأحد وآخرها الجمعة] أي على سبيل التوزيع، فخلق الأرض أولاً في الأحد والاثنين وخلق ما فيها في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السماوات في الخميس والجمعة، وفي ذلك إشكال، وهو أن الأيام لم تكن معروفة إذ ذاك، فضلاً عن تسميتها، لعدم وجود الشمس والأفلاك التي بها تعرف الأيام. وأجيب: بأن المراد في مقدار ستة أيام، كائنة في علمه تعالى، بحيث تكون عند ظهورها لنا، أولها الأحد، وآخرها الجمعة، ومقتضى هذا، أنها كأيام الدنيا وبه قال الحسن، وقال ابن عباس والضحاك: اليوم منها مقداره ألف سنة. قوله: [سرير الملك] أي ومنه قال نكروا لها عرشها، والمراد به هنا الجسم النوراني المحيط بالعالم كله. قوله: [استواء يليق به] هذه إشارة لطريق السلف الذين يؤمنون بالمتشابه، ويفوضون علمه لله تعالى، وهو أسلم، ولذا سلكه المفسر، وطريقة الخلف يؤولون الاستواء بالاستيلاء والقهر، إذ هو أحد معنى الاستواء، ومنه قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وتقدم الكلام في هذا غير مرة. قوله: ﴿ما لكم من دونه من ولي﴾ هذا نتيجة ما قبله، أي فحيث ثبت أنه الخالق للسماوات والأرض وما بينهما، وهو المالك للعرش وما حوى، فلا ولي ولا شفيع غيره. قوله: [يا كفار مكة] خصهم لأنهم سبب نزول الآية، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ. قوله: [اسم ما] أشار بذلك إلى أن ﴿ما﴾ حجازية، و﴿ولي﴾ اسمها مؤخر، و﴿من دونه﴾ خبرها مقدم، وفيه أن شرط أعمالها الترتيب وهو مفقود هنا، إلا أن يقال: إنه مشى على قول ضعيف للنحويين من عدم اشتراطه في عملها، والأحسن جعلها تميمية، و﴿من دونه﴾ خبر مقدم، و﴿ولي﴾ مبتدأ مؤخر، لأن القرآن لا ينبغي حمله على ضعيف. قوله: ﴿أفلا تتذكرون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أغفلتم فلا تتذكرون. قوله: ﴿يدبر الأمر﴾ أي الشأن، والحال والمعنى يتصرف على طبق علمه وإرادته، وهو القضاء والقدر المشار إليهما بقول الأجهوري:

إرادة الله مع التعلق ... في أزل قضاؤه فحقق
والقدر الإيجاد للأشيا على ... وجه معين أراده علا

وبعضهم قد قال معنى الأول:

العلم مع تعلق في الأزل
والقدر الإيجاد للأمور ... على وفاق علمه المذكور

الْأَمر والتدبير ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾٥: في الدنيا وفي سورة سأل خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا كما جاء في الحديث ﴿ذَلِكَ﴾: الخالق المدبر ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿الْعَزِيزُ﴾: المنيع في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾٦: بأهل طاعته ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: بفتح اللام فعلاً ماضياً صفة وبسكونها بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾: آدم ﴿مِنْ طِينٍ﴾٧ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾: ذريته ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾: علقة ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾٨: ضعيف هو النطفة ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾: أي خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾: أي جعله حياً حساساً بعد أن كان جماداً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾: أي لذريته ﴿السَّمْعَ﴾: بمعنى الأسماع ﴿وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: القلوب ﴿قَلِيلًا مَا

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فالتصرف الذي يظهر في الخلق، من حيث وجوده على طبق العلم والإرادة قدر، ومن حيث تعلق علم الله وإرادته به قضاء فكل شيء بقضاء وقدر. قوله: ﴿من السماء إلى الأرض﴾ قال ابن عباس: معناه ينزل القضاء والقدر، وقيل ينزل الوحي مع جبريل، وروي أنه يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين، فأما جبريل فموكل بالارياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والماء، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم، وقد قيل: إن العرش موضع التدبير، كما أن ما دون العرش موضع التفصيل، قال تعالى: ﴿ثم استوى على العرش يدبر الأمر يفصل الآيات﴾ وما دون السماوات موضع التصريف. قوله: [مدة الدنيا] أي وهي كما ورد سبعة آلاف سنة، بعث رسول الله ﷺ في الألف السادس، ومدة أمته تزيد على الألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة، كما ذكره السيوطي في الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف، وهذا أحد أقوال تقدمت. قوله: [يرجع الأمر والتدبير] ﴿إليه﴾ أي ينتقل التصريف الظاهري من أيدي العبيد يوم القيامة، ويكون لله وحده ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾. قوله: [لشدة أهواله] الخ، هذا إشارة لوجه الجمع بين الآيتين، أي فالمراد من ذكر الألف وذكر الخمسين، التنبيه على طوله والتخويف منه، لا العدد المذكور بخصوصه، وجمع أيضاً بأن موقف القيامة خمسون موقفاً، كل موقف ألف، فهذه الآية بينت أحد المواقف، وآية سأل بينت المواقف كلها، وهذا هو الأقرب، وجمع أيضاً بأن العذاب مختلف، فيعذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة، ثم ينقل إلى جنس آخر مدته خمسون ألف سنة. قوله: [من صلاة مكتوبة] صادق بصلاة الصبح، فهو في حق المؤمنين قصير جداً.

قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ، و﴿عالم﴾ خبر أول، و﴿العزيز﴾ خبر ثان، و﴿الرحيم﴾ خبر ثالث، و﴿الذي أحسن﴾ خبر رابع، وهذه قراءة العامة، وقرئ شذوذاً برفع ﴿عالم﴾ وخفض ﴿العزيز الرحيم﴾ على أنهما بدلان من الهاء في إليه، وقرئ أيضاً بجر ﴿عالم﴾ وما بعده، وخرجت على جعل اسم الإشارة فاعلاً ليعرج، و﴿عالم﴾ وما بعده بدل من الضمير في إليه. قوله: ﴿الذي أحسن﴾ أي أحكم وأتقن. قوله: [صفة] أي لكل أو لشيء. قوله: [وبسكونها] أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بدل اشتمال] أي من كل شيء. قوله: [ذريته] سميت نسلاً لأنها تنسل أي تنفصل. قوله: [أي خلق آدم] أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿سواه﴾ عائد على [آدم] ويصح أن يكون عائداً على النسل، ويكون المعنى سوى أعضاءه في الرحم وصورها بعد أن كان يشبه الجماد، حيث كان نطفة ثم علقة ثم مضغة. قوله: ﴿من روحه﴾ الإضافة للتشريف. قوله: [أي لذريته] فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، والنكتة أن الخطاب إنما يكون مع الحي، فلما نفخ فيه الروح حسن خطابه.

تَشْكُرُونَ﴾٩: ما زائدة مؤكدة للقلة **﴿وَقَالُوا﴾**: أي منكرو البعث **﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾**: غبنا فيها بأن صرنا ترابًا مختلطًا بترابها **﴿أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾**: استفهام إنكاري بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين قال تعالى: **﴿بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾**: بالبعث **﴿كَافِرُونَ﴾**١٠ **﴿قُلْ﴾**: لهم **﴿يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾**: أي يقبض أرواحكم **﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾**١١: أحياء فيجازيكم بأعمالكم **﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾**: الكافرون **﴿نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾**: مطأطئوها حياء يقولون **﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾**: ما أنكرنا من البعث **﴿وَسَمِعْنَا﴾**: منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه **﴿فَارْجِعْنَا﴾**: إلى الدنيا **﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾**: فيها **﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾**١٢: الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون وجواب لو: لرأيت أمرًا فظيعًا قال تعالى: **﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾**: فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها **﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾**: وهو **﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾**: الجن **﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾**١٣: وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها **﴿فَذُوقُوا﴾**: العذاب **﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾**: أي بترككم الإيمان به **﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾**: تركناكم في العذاب **﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾**: الدائم **﴿بِمَا**

قوله: **﴿وقالوا أئذا ضللنا﴾** حكاية لبعض قبائحهم وأباطيلهم، وقرأ العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا، وقرئ شذوذًا بكسر اللام وبضم الضاد وكسر اللام مشددة. قوله: **[وإدخال ألف بينهما]** أي وتركه، فتكون القراءات أربعًا سبعيات. قوله: **[في الموضعين]** أي وهما أئذا ضللنا أئنا. قوله: **﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾** انتقال من جحدهم البعث إلى جحدهم لقاء الله بالمرة.

قوله: **﴿قل﴾** **[لهم]** أي للكفار، وخصهم بالذكر لوجود التشنيع بعد ذلك. قوله: **﴿يتوفاكم ملك الموت﴾** أسند التوفي في هذه الآية لملك الموت، وفي آية الأنعام للرسل، وفي الزمر لله تعالى، ولا منافاة بينها، فما هنا محمول على مباشرة أخذها حتى تصل للحلقوم، وما في الأنعام محمول على معالجة أعوان عزرائيل لمن أمر بقبض روحه، فإن المباشر لإخراجها من الظفر إلى الحلقوم أعوانه، وما في الزمر محمول على الحقيقة، فإن المتوفي حقيقة هو الله تعالى، روي أن الدنيا جعلت لملك الموت مثل راحة اليد، فيأخذ منها من شاء أخذه من غير مشقة، فهو يقبض أرواح الخلق من مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وروي أن خطوته ما بين المشرق والمغرب، وروي أنه جعلت له الأرض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء، وقيل إنه على معراج بين السماء والأرض، وقيل إن له حربة تبلغ ما بين المشرق، وهو يتصفح وجوه الناس، فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين، فإذا رأى إنسانًا قد انقضى أجله، ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له: الآن ينزل بك عسكر الموت. قوله: **[فيجازيكم بأعمالكم]** أي عليها من خير وشر.

قوله: **﴿ولو ترى﴾** الخطاب لكل أحد ممن يصلح. قوله: **﴿ناكسوا رؤوسهم﴾** أي خافضوها. قوله: **﴿وسمعنا﴾** **[منك تصديق الرسل]** أي فيما أخبرونا به من الوعد والوعيد. قوله: **﴿إنا موقنون﴾** **[الآن]** أي آمنا في الحال، ويحتمل أن المعنى لم يقع منا الشرك كقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين. قوله: **[لرأيت أمرًا فظيعًا]** أي شنيعًا عجيبًا. قوله: **﴿هداها﴾** أي إيمانها. والمعنى لو أردنا خلق كل نفس على الإيمان والطاعة لفعلنا ذلك. قوله: **﴿ولكن حق القول مني﴾** أي ثبت وتقرر وعيدي. قوله: **﴿من الجنة﴾** قدمهم لأن دخول الجن النار أكثر من الإنس. قوله: **[أي بترككم الإيمان]** أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك. قوله: **﴿وذوقوا عذاب الخلد﴾** ذكره لبيان مفعول ذوقوا الأول.

قوله: **﴿بما كنتم تعملون﴾** أي بسبب عملكم.

كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾١٤: من الكفر والتكذيب ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾: وعظوا ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا﴾: متلبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: أي قالوا سبحان الله وبحمده ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾١٥: عن الإيمان والطاعة ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾: ترتفع ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾: مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجداً ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾: من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾: في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾١٦: يتصدقون ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ﴾: خبيء ﴿لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: ما تقر به أعينهم وفي قراءة بسكون الياء مضارع ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾١٧ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾١٨: أي المؤمنون والفاسقون ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

قوله: ﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾ الخ هذا تسلية له ﷺ على بقاء من كفر على كفره، كأن الله يقول لنبيه ﷺ: لا تحزن فإن أهل الإيمان مجبولون على الاتعاظ بالقرآن، وأهل الكفر مجبولون على عدم الاتعاظ به، فالخلق فريقان في علم الله. قوله: [القرآن] استشكل ظاهر تلك الآية، بأنه يقتضي مدح كل من سمع القرآن واتعظ به، ويسجد له وإن لم يكن له موضع سجود. وأجيب: بأن السنة بينت مواضع السجود في القرآن، فمدح المتعظين بالقرآن، في كل آية الساجدين في مواضع السجود. قوله: ﴿خروا سجداً﴾ أي على وجوههم تعظيماً لآياته وامتثالاً لأمره، وخص السجود بالذكر لأنه غاية الذل والخضوع، وهو لا يكون إلا لله وفعله لغيره كفر لأنه روح الصلاة وأعظم أركانها، ولأنه يقرب العبد من الله تعالى لما في الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». قوله: [متلبسين] ﴿بحمد ربهم﴾ أي جمعوا في سجودهم بين التنزيه والحمد، فالتنزيه حاصل بوضع الأعضاء على الأرض، وبقولهم سبحان الله والحمد لله حاصل بقولهم وبحمده، فالسجود يطلب فيه التسبيح والتحميد، ويطلب فيه أيضاً الدعاء، ومما ورد فيما يقال في سجدات القرآن: اللهم اكتب لي بها أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام. قوله: ﴿وهم لا يستكبرون﴾ أي لا يتكبرون ولا يأنفون.

قوله: ﴿تتجافى جنوبهم﴾ أسند التجافي للجنوب، لأن الواعظ الذي يكون سبباً في القيام للصلاة ونحوها من جهة الجنوب وهو القلب، فالإنسان إذا كان مشغولاً بربه، سلط عليه واعظ في قلبه يقلقه، فيكون قليل النوم والهجوع، قال تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ فإذا اضطجع قصد بذلك التقوي على القيام والخدمة، وبالجملة فتكون جميع أفعاله دائرة بين الواجب والمندوب. قوله: [لصلاتهم بالليل] أي لما فيها من نور القلب ورضا الرب، لما في الحديث: «ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل، حتى علمت أن خيار أمتي لا ينامون». قوله: ﴿فلا تعلم نفس﴾ أي لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهم. والمعنى لا تعلم ذلك تفصيلاً، وإلا فنحن نعلمه إجمالاً، كالأشجار والأنهار والغرف والحور والولدان وغير ذلك، لأن عطاء الجنة لا تحيط به العقول، ففي الحديث: «لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها». قوله: ﴿من قرة أعين﴾ أي سرورها وفرحها، فلا يلتفتون لغيره. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [مضارع] أي والفاعل مستتر تقديره أنا، ففي الحديث: «أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». قوله: ﴿جزاء﴾ مفعول مطلق أو مفعول لأجله.

قوله: ﴿أفمن كان مؤمناً﴾ الخ سبب نزولها أنه كان بين علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط تنازع، فقال

* أسباب نزول الآية ١٦: أخرج البزار عن بلال قال: كنا نجلس في المسجد وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب الى العشاء، فنزلت هذه الآية ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ في اسناده عبد الله بن شبيب ضعيف.
* أسباب نزول الآية ١٨: وأخرج الترمذي وصححه عن أنس: أن هذه الآية ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة. وأخرج الواحدي وابن عساكر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي =

﴿الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا﴾: هو ما يعد للضيف ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ٢٠ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾: عذاب الدنيا بالقتل والأسر والجدب سنين والأمراض ﴿دُونَ﴾: قبل ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾: عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: أي من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ ٢١﴾: إلى الإيمان ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾: القرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾: أي لا أحد أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾: أي المشركين ﴿مُنْتَقِمُونَ ٢٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾: وقد التقيا ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾: أي موسى أو الكتاب ﴿هُدًى﴾: هادياً ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٢٣ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾: بتحقيق الهمزتين

الوليد بن عقبة لعلي: اسكت فإنك صبي، وأنا والله أبسط منك لساناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة، فقال علي: اسكت فإنك فاسق. وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾. ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾. قوله: ﴿كمن كان فاسقاً﴾ أي كافراً. قوله: ﴿لا يستوون﴾ أي في المآل، وقد راعى المعنى فجمع لأن المراد الفريق في كلٍّ، وروي أنه ﷺ كان يتعمد الوقف على قوله: ﴿فاسقاً﴾ ويبتدئ بقوله: ﴿لا يستوون﴾.

قوله: ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ تفصيل لما أجمل أولاً. قوله: ﴿نزلاً﴾ أي مهيأة ومعدة لإكرامهم، كما تهيأ التحف للضيف النازل بالكرام. قوله: ﴿بما كانوا يعملون﴾ أي بسبب كونهم يعملون الصالحات.

قوله: ﴿وأما الذين فسقوا﴾ لم يقل وعملوا السيئات، إشارة إلى أن مجرد الكفر كاف في الخلود في النار، فلا التفات إلى الأعمال معه، وأما العمل الصالح فله مع الإيمان تأثير، فلذا قرنه به. قوله: ﴿فمأواهم النار﴾ أي مسكنهم ومنزلهم. قوله: ﴿كلما أرادوا﴾ الخ، بيان لكون النار مأواهم. روي أن النار تضربهم فيرتفعون إلى طبقاتها، حتى إذا قربوا من بابها، وأرادوا أن يخرجوا منها، يضربهم لهبها فيهوون إلى قعرها، وهكذا يفعل بهم أبداً. قوله: ﴿وقيل لهم﴾ عطف على ﴿أعيدوا﴾ والقائل لهم الخزنة. قوله: ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ صفة لعذاب، وعبر هنا بالتذكير، نظراً للمضاف وهو العذاب، وفي سبأ بالتأنيث، نظراً إلى المضاف إليه وهو النار. قوله: [والجدب سنين] أي بمكة سبع سنين، حتى أكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب. قوله: [أي من بقي منهم] أي بعد القحط وبعد يوم بدر، والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، وقد تحقق ذلك عند الفتح.

قوله: ﴿ومن أظلم﴾ الخ، هذا بيان إجمالي لحال المكذب إثر بيانه تفصيلاً. قوله: ﴿ثم أعرض عنها﴾ أي ترك الإيمان بها. قوله: [أي لا أحد] الخ، أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ الحكمة في ذكر موسى قربه من النبي ووجود من كان على دينه، لتقوم الحجة عليهم. قوله: [وقد التقيا ليلة الإسراء] أي في الأرض عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره، وفي السماء السادسة، كما ورد بذلك الحديث، وفي كلامه إشارة إلى أن الضمير في لقائه عائد على موسى، والمصدر مضاف لمفعوله، أي من لقائك موسى ليلة الإسراء، وهو أقوى الاحتمالات في هذا الموضع. قوله: ﴿وجعلنا منهم أئمة﴾ أي وهم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل، أو

= طالب: أنا أحد منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾. وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار مثله. وأخرج ابن عدي والخطيب في تاريخه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله. وأخرج الخطيب وابن عساكر من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس: أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط وذلك في سباب كان بينهما، كذا في هذه الرواية: أنها نزلت في عقبة بن الوليد، لا الوليد.

وإبدال الثانية ياء، قادة ﴿يَهْدُونَ﴾: الناس ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾: على دينهم وعلى البلاء من عدوهم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿يُوقِنُونَ﴾ ٢٤: وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ٢٥: من أمر الدين ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيراً ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾: الأمم بكفرهم ﴿يَمْشُونَ﴾: حال من ضمير لهم ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾: في أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾: دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ٢٦ سماع تدبر واتعاظ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ ٢٧: هذا فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾: للمؤمنين ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾: بيننا وبينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٢٨ ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾: بإنزال العذاب بهم ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ٢٩: يمهلون لتوبة أو معذرة ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ﴾ إنزال العذاب بهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ ٣٠: بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك وهذا قبل الأمر بقتالهم.

أتباع الأنبياء. قوله: [وابدال الثانية ياء] تقدم أنها سبعية، لكن من طريق الطيبة، لا من طريق الشاطبية. قوله: ﴿لما صبروا﴾ أي تحملوا المشاق، فالصبر عواقبه خير كما قيل:

الصبر كالصبر مر في مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

والمعنى جعلنا منهم أئمة حين صبرهم. قوله: ﴿وكانوا﴾ عطف على ﴿صبروا﴾. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، وخرجت على جعل اللام للتعليل وما مصدرية، أي جعلناهم أئمة لأجل صبرهم. قوله: [بينهم] أي المؤمنين والمشركين، أو بين الأنبياء وأممهم. قوله: ﴿أو لم يهد لهم﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أغفلوا ولم يتبين لهم، الخ. قوله: ﴿من القرون﴾ ﴿من﴾ بيانية لكم، و﴿من قبلهم﴾ حال من ﴿القرون﴾. قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من كثرة إهلاك الأمم الخالية. قوله: [اليابسة التي لا نبات فيها] أي التي قطع وأزيل بالمرة، فالجرز معناه القطع، سميت الأرض اليابسة بذلك لقطع النبات منها، وقيل المراد بالجرز موضع باليمن. قوله: ﴿تأكل منه أنعامهم وأنفسهم﴾ قدم الأنعام لأن أكلها مقدم لكونها تأكله قبل أن يثمر.

قوله: ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ سبب نزولها: أن المسلمين كانوا يقولون: إن الله سيفتح لنا على المشركين، ويفصل بيننا وبينهم، وكان أهل مكة إذا سمعوهم يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاء: متى هذا الفتح؟ قوله: ﴿قل يوم الفتح﴾ المراد به يوم القيامة لأنه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين. قوله: ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ أي لأن الإيمان المقبول، هو الذي يكون في الدنيا، ولا يقبل بعد خروجهم منها. قوله: ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي يؤخرون، وقوله: [أو معذرة] أي اعتذار. قوله: ﴿فأعرض عنهم﴾ أي اتركهم ولا تتعرض لهم. قوله: [وهذا قبل الأمر بقتالهم] أي فهو منسوخ بآية الجهاد، ويحتمل أن الآية محكمة، ومعنى فأعرض عنهم، أي اقبل عذر من أسلم منهم، واترك ما هو عليه، وقد وقع منه ذلك، فقد عفا عن وحشي حين أسلم بعد قتله حمزة عمه ﷺ، وعن جميع من دخل عليهم مكة عام الفتح.

---

* أسباب نزول الآية ٢٨: وأخرج ابن جرير عن قتادة: قال الصحابة: إن لنا يوماً يوشك أن نستريح فيه ونتعم، فقال المشركون: ﴿متى هذا الفتح ان كنتم صادقين﴾ فنزلت.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٣٣] - سورة الأحزاب

[مَدنية وهي ثلاث وسبعون آية]

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: دُم على تقواه ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ﴾: فيما يخالف شريعتك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الأحزاب مدنية

وهي ثلاث وسبعون آية

أي التي ذكر فيها قصة الأحزاب، وهذه السورة اشتملت على مدح النبي والصادقين من أصحابه والتشنيع على المنافقين وذمهم، وكانت هذه السورة قدر سورة البقرة، وكانت فيها آية الرجم «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم» فألقى الله منها ما هو بأيدينا ورفع الزائدة، خلافاً للروافض حيث كانوا زعموا أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلها الداجن. قوله: [مَدنية] أي بإجماع.

قوله: ﴿يا أيها النبي﴾ لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الأنبياء حيث قال: يا موسى، يا عيسى، يا داود، لكونه ﷺ أفضل الخلق على الاطلاق، فخاطبه بما يشعر بالتعظيم والإجلال حيث قال: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، وإن ذكر اسمه صريحاً أردفه بما يشعر بالتعظيم حيث قال: (محمد رسول الله) (وما محمد إلا رسول) إلى غير ذلك. قوله: [أي دم على تقواه] دفع بذلك ما يقال: إن في الآية تحصيل الحاصل، وسبب نزول هذه الآية أن أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور عمرو بن سفيان السلمي قدموا المدينة، فنزلوا على عبد الله بن أبي رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك، فشق ذلك على النبي ﷺ فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لنا في قتلهم، فقال: إني أعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي عمر أن يخرجهم من المدينة.

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: ان أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة ان لم يرجع قتلوه. فأنزل الله ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾.

﴿كَانَ عَلِيماً﴾: بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيماً﴾[1]: فيما يخلقه ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: أي القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[2]: وفي قراءة بالفوقانية ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: في أمرك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾[3]: حافظاً لك وأمته تبع له في ذلك كله ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾: رداً على من قال من الكفار إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱللَّائِي﴾: بهمزة وياء وبلا ياء ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾: بلا ألف قبل الهاء وبها والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنْهُنَّ﴾: بقول الواحد مثلاً لزوجته أنت علي كظهر أمي ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾: أي كالأمهات في تحريمها بذلك لتعد ذلك في الجاهلية طلاقاً وإنما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر في سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾: جمع دعي وهو من يدعى لغير أبيه ابناً له ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾: حقيقة ﴿ذَٰلِكُمْ

قوله: ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ تعليل للأمر والنهي. قوله: ﴿إن الله كان بما يعملون خبيراً﴾ الواو ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة التحتانية، وضمير النبي وأمته على قراءة الفوقانية، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وتوكل على الله﴾ أي اعتمد عليه وفوض أمورك إليه. قوله: ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ الباء زائدة في فاعل كفى و﴿وكيلا﴾ حال. قوله: [تبع له في ذلك] أي فيما ذكر من قوله: ﴿اتق الله﴾ إلى هنا. قوله: ﴿من قلبين في جوفه﴾ أي لأن القلب عليه مدار قوى الجسد فيمتنع تعدده، لأنه يؤدي للتناقض، وهو أن يكون كل منهما أصلاً لكل قوى الجسد وغير أصل له. قوله: [رداً على من قال] الخ، أي وهو أبو معمر، جميل بن معمر الفهري، كان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء، إلا من أجل أن له قلبين، وكان يقول: لي قلبان أعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد. فلما هزم الله المشركين يوم بدر، انهزم أبو معمر، فلقيه أبو سفيان وإحدى نعليه بيده والأخرى برجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا، فقال: ما بال إحدى نعليك في يدك، والأخرى في رجلك، فقال أبو معمر: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده. قوله: [بهمزة وياء وبلا ياء] أي فهما قراءتان سبعيتان وهو جمع التي، قال ابن مالك: باللات واللاء التي قد جمعا. قوله: [بلا ألف قبل الهاء] أي فأصله تتظهرون بتاءين، سكنت الثانية وقلبت ظاء وأدغمت في الظاء. قوله: [وبها والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء] أي فهما قراءتان سبعيتان، وبقي قراءتان سبعيتان أيضاً، وهما فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء وأصلها بتاءين حذفت إحداهما وضم التاء وكسر الهاء وتخفيف الظاء أيضاً مضارع ظاهر، وهذه القراءات واردة في قد سمع أيضاً، غير فتح التاء والهاء وتخفيف الظاء لأن المضارع هناك مبدوء بالياء فلا تتأتى فيه، وفي الماضي ثلاث لغات: تظهر كتكلم، وتظاهر كتقاتل، وظاهر كقاتل. قوله: [بقول الواحد مثلاً لزوجته] الخ، أي وضابطه أن يشبه زوجته كلاً أو بعضاً بظهر مؤبدة التحريم. قوله: ﴿أمهاتكم﴾ مفعول ثان لجعل. قوله: [بشرطه] أي وهو العزم على العود، فإن لم يعزم على العود، فلا تجب عليه الكفارة ما لم يمسها، وإلا تحتمت عليه، ولو طلقها بعد ذلك.

قوله: ﴿وما جعل أدعياءكم﴾ نزلت في حق زيد بن حارثة، وهو كما روي كان من سبايا الشام، فاشتراه حكيم بن

---

* أسباب نزول الآية ٤: قوله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل﴾ الآية. أخرج الترمذي وحسنه عن ابن عباس قال؛ قام النبي ﷺ يوماً يصلي فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترى أن له قلبين: قلباً معكم، وقلباً معه، فأنزل الله: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق خصيف عن سعيد بن جبير ومجاهد، وعكرمة قالوا: كان رجل يدعى ذا القلبين، فنزلت.
وأخرج ابن جرير من طريق قتادة عن الحسن مثله، وزاد: وكان يقول: لي نفس تأمرني ونفس تنهاني. وأخرج من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: نزلت في رجل من بني فهم قال: إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمع يقال له: جميل بن معمر.

﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: أي اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي ﷺ قالوا: تزوج محمد امرأة ابنه فأكذبهم الله تعالى في ذلك. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾: في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾: سبيل الحق لكن ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾: أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾: بنو عمكم ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِ﴾: في ذلك ﴿وَلَٰكِن﴾: في ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: فيه وهو بعد النهي ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾: بكم في ذلك ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: في حرمة نكاحهن عليهم ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾: ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: في الإرث ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ

حزام بن خويلد، فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته خديجة للنبي ﷺ فأعتقه وتبناه، فأقام عنده مدة، ثم جاء عنده أبوه وعمه في فدائه، فقال لهما النبي ﷺ: خيِّراه، فاختار الرق مع رسول الله ﷺ على حريته وقومه، فقال النبي ﷺ عند ذلك: يا معشر قريش، اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه، وكان يطوف على خلق قريش يشهدهم على ذلك، فرضي ذلك عمه وأبوه وانصرفا، فزوجه رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، فمكثت معه مدة، ثم أخبر الله نبيه أنه زوجه زينب، فلما طلقها زيد، تزوجها رسول الله، فتكلم المنافقون وقالوا: تزوج محمد حليلة ابنه وهو يحرمها، فنزلت هذه الآية ردًا عليهم، وستأتي هذه القصة في أثناء السورة. قوله: [جمع دعي] أي بمعنى مدعو وأصله دعيو، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء. قوله: [أي اليهود] تفسير للكاف في أفواهكم.

قوله: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ روي عن عمر بن الخطاب قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة، إلا زيد بن محمد، حتى نزلت ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ قوله: ﴿هو أقسط﴾ أي دعاؤهم لآبائهم أبلغ في العدل والصدق. قوله: ﴿فإخوانكم في الدين﴾ أي فادعوهم بمادة الأخوة، بأن تقولوا له يا أخي مثلاً. قوله: [بنو عمكم] تفسير للموالي، فإنه يطلق على معان من جملتها ابن العم، والمعنى إذا لم تعرفوا نسب شخص، وأردتم خطابه فقولوا له: يا ابن عمي مثلاً. قوله: ﴿وليس عليكم جناح﴾ أي إثم. قوله: ﴿ولكن ما تعمدت﴾ أي ولكن الجناح فيما تعمدته قلوبكم.

قوله: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أي أنه ﷺ أحق بكل مؤمن من نفسه كان في زمنه أولاً، فطاعة النبي مقدمة على طاعة النفس، في كل شيء من أمور الدين والدنيا لأنها طاعة لله، قال تعالى ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ وإذا كان أولى بهم من أنفسهم، فهو أولى بمالهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالأولى، فحقه ﷺ على أمته أعظم من حق السيد على عبده، وهذه الآية أعظم دليل على أنه ﷺ هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت للخلق. قوله: [فيما دعاهم إليه] أي من أمور الدين أو الدنيا أو الآخرة، فإذا طلب النبي شيئاً من أمر الدنيا أو الدين، وطلبت النفس خلافه، فالحق في الطاعة للنبي، وحينئذ فلا يتأتى من النبي الغصب ولا السرقة، ولكن من كمال أخلاقه، أنه كان يتداين من اليهود، ويشتري الشيء بالثمن، وإنما جعله الله أولى بالمؤمنين لأنه ﷺ لا يفعل شيئاً عن هوى نفسه، بل عن وحي، فجميع أفعاله وأقواله عن ربه.

قوله: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ أي من عقد عليهن، سواء دخل بهن أو لا، مات عنهن أو طلقهن، وسراريه اللاتي تمتع بهن كذلك. قوله: [في حرمة نكاحهن عليهم] أي والتعظيم والاحترام والبر، لا في غير ذلك من النظر والخلوة،

---

* أسباب نزول الآية ٥: قوله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ الآية. أخرج البخاري عن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾.

﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾: أي من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فنسخ **﴿إِلَّا﴾**: لكن **﴿أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾**: بوصية فجائز **﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾**: أي نسخ الإرث بالإيمان والهجرة بإرث ذوي الأرحام **﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾**[٦]: وأريد بالكتاب في الموضعين اللوح المحفوظ **﴿وَ﴾**: اذكر **﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾**: حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهي أصغر النمل **﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾**: بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام **﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾**[٧]: شديداً بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى ثم أخذ الميثاق **﴿لِّيَسْأَلَ﴾**: الله **﴿الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾**: في تبليغ الرسالة تبكيتاً للكافرين بهم **﴿وَأَعَدَّ﴾**: تعالى **﴿لِلْكَافِرِينَ﴾**: بهم **﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾**[٨]: مؤلماً هو عطف على أخذنا **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾**: من الكفار متحزبون أيام حفر

فإنهن في ذلك كالأجانب. قوله: **﴿وأولو الأرحام﴾** مبتدأ، و**﴿بعضهم﴾** بدل أو مبتدأ ثان، و**﴿أولى﴾** خبر. قوله: **[في الإرث]** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير الأقارب أولى بإرث بعضهم، من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب. قوله: **[أي من الإرث بالإيمان والهجرة]** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿من المؤمنين﴾** متعلق بأولى. يعني أن الأقارب أولى بإرث بعضهم، من الإرث بسبب الإيمان والهجرة الذي كان في صدر الإسلام، وذلك أن النبي ﷺ كان يؤاخي بين الرجلين، فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت **﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾**.

قوله: **﴿إلا أن تفعلوا﴾** استثناء منقطع، ولذا فسره بلكن. قوله: **﴿إلى أوليائكم﴾** أي من توالونه من الأجانب.
قوله: **[بوصية]** أي فلما نسخ الإرث بالإيمان والهجرة توصل إلى نفع الأجانب بالوصية، وهي خارجة من ثلث المال.
قوله: **﴿مسطوراً﴾** أي مكتوباً. قوله: **﴿وإذ أخذنا﴾** ظرف لمحذوف قدره بقوله: **[اذكر]**. قوله: **[وهي أصغر النمل]** أي فكل أربعين منها أصغر من جناح بعوضة. قوله: **[بأن يعبدوا الله]** أي يوحدوه، وهو تفسير للميثاق. قوله: **[ويدعوا إلى عبادته]** أي يبلغوا شرائعه للخلق، فعهد الأنبياء ليس كعهد مطلق الخلق. قوله: **[من عطف الخاص على العام]** أي والنكتة كونهم أولي العزم ومشاهير الرسل، وقدمه ﷺ لمزيد شرفه وتعظيمه قوله: **[بما حملوه]** أي وهو عبادة الله والدعاء إليها. قوله: **[وهو اليمين]** أي الحلف بالله على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، فالميثاق الثاني غير الأول، لأن الأول إيصاء على التوحيد، والدعوى إليه من غير يمين، والثاني مغلظ باليمين، والشيء مع غيره غيره في نفسه.

قوله: **﴿ليسأل الصادقين﴾** متعلق بأخذنا، وفي الكلام التفات من التكلم للغيبة، كما أشار له المفسر بقوله: **[ثم أخذ الميثاق]** والمراد بالصادقين الرسل. قوله: **[تبكيتاً للكافرين]** أي تقبيحاً عليهم، أي فالحكمة في سؤال الرسل عن صدقهم، وهو تبليغهم ما أمروا به، مع علمه تعالى أنهم صادقون التقبيح على الكفار يوم القيامة. قوله: **[هو عطف على أخذنا]** ويصح أن يكون في الكلام احتباك، وهو الحذف من الثاني نظير ما أثبت في الأول، والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم، فأعد لهم نعيماً مقيماً، ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم، وأعد لهم عذاباً أليماً.

قوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾** هذا شروع في ذكر قصة غزوة الأحزاب، وكانت في شوال

---

* أسباب نزول الآية ٩: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ الآية. أخرج البيهقي في الدلائل عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعوداً وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ يقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له فيتسللون =

. . . .

سنة أربع وقيل خمس، وسببها أنه لما وقع إجلاء بني النضير من أماكنهم، سار منهم جمع من أكابرهم، منهم حيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، إلى أن قدموا مكة على قريش، فحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً، وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد، ثم قالت قريش لأولئك اليهود: يا معشر اليهود، إنكم أهل الكتاب الأول، فأخبرونا أنحن على الحق أم محمد؟ فقالوا: بل أنتم على الحق، فأنزل الله **﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾** إلى قوله **﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾** فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ونشطوا لحرب محمد، ثم خرج أولئك اليهود، حتى جاؤوا غطفان وقيس غيلان فاجتمعوا على ذلك، وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن، ولما تهيأ الكل للخروج، أتى ركب من خزاعة في أربع ليالٍ، حتى أخبروا محمداً بما اجتمعوا عليه، فشرع في حفر الخندق، بإشارة سلمان الفارسي فقال له: يا رسول الله، إنا كنا بفارس إذا حاصرونا خندقنا علينا، فعمل فيه النبي والمسلمون حتى احكموه، وكان النبي يقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، ومكثوا في حفره ستة أيام، وقيل خمسة عشر، وقيل أربعة وعشرين، وقيل شهراً. قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا وإذا ببطن الخندق صخرة كسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ وأخبره بخبر هذه الصخرة، فأتى سلمان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مدورة من بطن الخندق، فكسرت حديدنا وشقت علينا، فمرنا فيها بأمرك، فإنا لا نحب أن نجاوز خطتك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان إلى الخندق، وأخذ المعول من سلمان، وضربها به ضربة صدعها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، يعني المدينة، حتى كأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون معه، ثم ضربها الثانية، فبرق منها برق مثل الأول، فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون معه، ثم ضربها الثالثة فكسرها، فبرق منها برق مثل الأول، وأخذ بيد سلمان ورقي، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قط، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم وقال: أرأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا: نعم، قال: ضربت ضربتي الأولى، فبرق البرق الذي رأيتم، فأضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثانية، فبرق لي الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور قيصر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا، فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق، وعدنا النصر بعد الحصر، فقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبر أنه ينظر من يثرب، قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا؟ فنزل قوله تعالى: **﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾** وقوله تعالى: **﴿قل اللهم مالك الملك﴾** الآية فلما فرغوا من حفره، أقبلت قريش والقبائل وجملتهم اثنا عشر ألفاً، فنزلوا حول المدينة، والخندق بينهم وبين المسلمين، فلما رأته قريش قالوا: هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون معه، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره والخندق بينهم وبين القوم، وخرج عدو

= إذا استقبلنا النبي ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى علي، فقال: ائتني بخبر القوم فجئت فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضربهم بها وهم يقولون: الرحيل الرحيل، فجئت فأخبرته خبر القوم، وأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود﴾ الآية.

الله حيي بن أخطب رئيس بني النضير، حتى أتى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة، فلما سمع كعب حيياً، أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له وقال له: ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤوم، إني عاهدت محمداً فلست بناقض، فإني لم أر منه إلا وفاء وصدقاً، فما زال حيي به ويقول له: جئتك بعز الدهر، حتى فتح له ونقض عهد رسول الله، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله، بعث لهم سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، وعبد الله بن رواحة، فوجدوهم نقضوا عهد رسول الله ﷺ، فشاتموهم وقالوا لهم: لا عهد بيننا وبينكم، ورجعوا وأخبروا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين، فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل، ومكثوا في ذلك الحصار خمسة عشر يوماً، وقيل أربعة وعشرين يوماً، فاشتد على المسلمين الخوف، ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي من غطفان، جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: إني أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: أخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة، فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة، وكان نديماً لهم في الجاهلية، فقال لهم: قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان جاؤوا لحرب محمد، وقد ظاهرتموهم عليه، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيئتكم، البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره، وإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوا، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين هذا الرجل، ولا طاقة لكم عليه إن خلا بكم، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً، حتى لا يتأخروا، قالوا: لقد أشرت برأي ونصح، ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه: قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمداً، فقد بلغني أمر، رأيت حقاً علي أن أبلغكم نصحاً لكم فاكتموا علي، قالوا: نفعل، قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك منا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم، فنعطيكم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم، فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعث إليكم يهود يلتمسون رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً، ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان أنتم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت، قال: فاكتموا علي، قالوا: نفعل، فقال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم مثل ما حذرهم، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ، أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابهم ما لم يخف عليكم، ولسنا مع الذين نقاتل معكم، حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكون بأيدينا ثقة لنا، حتى نناجز معكم محمداً، فإنا نخشى إن ضرمتكم الحرب، واشتد عليكم القتال، أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد، فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: تعلمون والله أن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انتهزوا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان، إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم، وخذل الله عز وجل بينهم، وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً، وهي ريح الصبا، في ليلة شديدة البرد والظلمة، فقلعت بيوتهم، وقطعت أطنابهم، وكفأت قدورهم، وصارت تلقي الرجل على الأرض، وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم

الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾: من الملائكة ﴿وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: بالتاء من حفر الخندق وبالياء من تحزيب المشركين ﴿بَصِيراً﴾ ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ﴾: مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾: جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم من شدة الخوف ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللهِ ٱلظُّنُونَا﴾: المختلفة بالنصر واليأس ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: اختبروا ليتبين المخلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: حركوا ﴿زِلْزَالاً شَدِيداً﴾:

ولم تقاتل، بل نفثت في قلوبهم الرعب، ثم إن رسول الله ﷺ قال: من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم، أدخله الله الجنة، فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هوياً من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله، فسكت القوم، وما قام منا أحد، ثم صلى هوياً من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله، فسكت القوم، وما قام منا أحد من شدة الخوف والجوع والبرد، ثم قال: يا حذيفة، فقلت: لبيك يا رسول الله وقمت حتى أتيته، فأخذ بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال: ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم، ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع إلي، ثم قال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، فأخذت سهمي ثم انطلقت أمشي نحوهم، كأنما أمشي في حمام، فذهبت فدخلت في القوم، وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً لله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، وأبو سفيان قاعد يصطلي، فأخذت سهماً فوضعته في كبد قوسي، فأردت أن أرميه، ولو رميته لأصبته، فذكرت قول رسول الله ﷺ لا تحدثن حدثاً حتى ترجع، فرددت سهمي في كنانتي، فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، فقال يا معشر قريش، ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو، فأخذت بيد جليسي فقلت: من أنت؟ فقال: سبحان الله أما تعرفني؟ أنا فلان بن فلان رجل من هوازن، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، فقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فاستمروا راجعين إلى بلادهم، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ كأني أمشي في حمام، فأتيته وهو قائم يصلي، فلما سلم أخبرته، فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل، فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفا، فأتاني النبي ﷺ فأنامني عند رجليه، وألقى علي طرف ثوبه، وألصق صدري ببطن قدميه، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: قم يا نومان.

قوله: ﴿إذ جاءتكم﴾ بدل من ﴿نعمة﴾ والعامل ﴿اذكروا﴾. قوله: [متحزبون] أي مجتمعون، وتقدم أنهم كانوا اثني عشر ألفاً، وكان المسلمون إذ ذاك ثلاثة آلاف، والمنافقون من جملتهم. قوله: ﴿ريحاً﴾ أي وهي الصبا التي تهب من المشرق ولم تتجاوزهم. قوله: [ملائكة] أي وكانوا ألفاً ولم يقاتلوا، وإنما ألقوا الرعب في قلوبهم. قوله: [وبالياء] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿إذ جاؤوكم﴾ بدل من إذ جاءتكم. قوله: [من أعلى الوادي] أي وهم أسد وغطفان. قوله: [وأسفله] أي وهم قريش وكنانة. قوله: [من المشرق والمغرب] لف ونشر مرتب. قوله: [من كل جانب] أي المحيط من كل جانب. قوله: [وهي منتهى الحلقوم] أي من أسفله. قوله: ﴿الظنونا﴾ بألف بعد النون وصلاً ووقفاً، وبدونها في الحالين، وبإثباتها وقفاً، وحذفها وصلاً، ثلاث قراءات سبعيات، وتجري في قوله أيضاً ﴿ٱلسَّبِيلَا﴾ و ﴿الرَّسُولَا﴾ في آخر السورة. قوله: [بالنصر] أي من المؤمنين، وقوله: [واليأس] أي من المنافقين وبعض الضعفاء. قوله: ﴿هنالك﴾ ظرف

من شدة الفزع ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضعف اعتقاد ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾: بالنصر ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾١٢: باطلاً ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: أي المنافقين ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾: هي أرض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: بضم الميم وفتحها أي لا إقامة ولا مكانة ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾: إلى منازلكم من المدينة وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع جبل خارج المدينة للقتال ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾: في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: غير حصينة يخشى عليها قال تعالى: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن﴾: ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾١٣: من القتال ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾: أي المدينة ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: نواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟﴾: أي سألهم الداخلون ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾: الشرك ﴿لَءَاتَوْهَا﴾: بالمد والقصر أي أعطوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾١٤

مكان أي في ذلك المكان وهو الخندق. قوله: ﴿زلزالاً﴾ بكسر الزاي في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بفتح الزاي، وهما لغتان في مصدر الفعل المضعّف إذا جاء على فعلال، كصلصال وقلقال.

قوله: ﴿وإذ يقول المنافقون﴾ الخ القائل معتب بن بشير، وقال أيضاً: يعدنا محمد بفتح فارس والروم، وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً وخوفاً، ما هذا إلا وعد غرور. قوله: ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ القائل هو أوس بن قيظي، بكسر القاف المعجمة من رؤساء المنافقين. قوله: [هي أرض المدينة] أي فسميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها قديماً، وقد نهى النبي ﷺ عن تسميتها بذلك، وسماها طيبة وطابة وقبة الإسلام ودار الهجرة. قوله: [ووزن الفعل] أي فهي على وزن يضرب. قوله: [بضم الميم وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [ولا مكانة] أي تمكنا فهو بمعنى الإقامة. قوله: [جبل خارج المدينة] أي بينها وبين الخندق، فجعل المسلمون ظهورهم إليه ووجوههم للعدو.

قوله: ﴿ويستأذن﴾ عطف على ﴿قالت طائفة﴾ وعبّر بالمضارع استحضاراً للصورة. قوله: [يخشى عليها] أي من السراق لكونها قصيرة البناء. قوله: [قال تعالى] أي تكذيباً لهم. قوله: ﴿ولو دخلت عليهم﴾ أي دخلها الأحزاب. قوله: [الشرك] أي ومقاتلة المسلمين. قوله: [بالمد والقصر] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي أعطوها وفعلوها] لف ونشر مرتب. قوله: ﴿وما تلبثوا بها إلا يسيراً﴾ أي أقاموا بالمدينة بعد نقض العهد وإظهار الكفر وقتال المسلمين إلا

---

* أسباب نزول الآية ١٢: وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه عن جده قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب، فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة، فأخذ رسول الله ﷺ المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتي المدينة، فكبر وكبر المسلمون، ثم ضرب الثانية فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون، ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، فكبر وكبر المسلمون، فسئل عن ذلك، فقال: ضربت الأولى فأضاءت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثانية فأضاءت لي قصور الحمر من أرض الروم، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة فأضاءت لي قصور صنعاء. وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، فقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل القرآن ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾.

وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في متعب بن قشير الأنصاري وهو صاحب هذه المقالة. وأخرج ابن اسحاق والبيهقي أيضاً عن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما قال: قال متعب بن قشير: كان محمد يرى أن يأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط، قال أوس بن قيظي في ملأ من قومه: إن بيوتنا عورة، وهي خارجة من المدينة ائذن لنا فنرجع إلى نسائنا وأبنائنا، فأنزل الله على رسوله حين فزع عنهم ما كانوا فيه من البلاء يذكرهم نعمته عليهم وكفايته إياهم بعد سوء الظن منهم ومقالة من قال من أهل النفاق ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود﴾ الآية.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا﴾ ١٥ : عن الوفاء به ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ
فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا﴾ : إن فررتم ﴿لَا تُمَتَّعُونَ﴾ : في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ١٦ : بقية آجالكم
﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ : يجيركم ﴿مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ : هلاكاً وهزيمة ﴿أَوْ﴾ : يصيبكم بسوء إن
﴿أَرَادَ﴾ : الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾ : خيراً ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ : أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ : ينفعهم ﴿وَلَا
نَصِيرًا﴾ ١٧ : يدفع الضر عنهم ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾ : المثبطين ﴿مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ﴾ : تعالوا
﴿إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ : القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ١٨ : رياء وسمعة ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ : بالمعاونة جمع شحيح وهو حال
من ضمير يأتون ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي﴾ : كنظر أو كدوران الذي ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ
مِنَ الْمَوْتِ﴾ : أي سكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ : وحيزت الغنائم ﴿سَلَقُوكُمْ﴾ : آذوكم أو ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ
أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ : أي الغنيمة يطلبونها ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ : حقيقة ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ : الإحباط

زمناً قليلاً ويهلكون، فالعزة لله ورسوله والمسلمين، فالمعنى لو دخل الكفار المدينة، وارتد هؤلاء المنافقون، وقاتلوكم مع الكفار، لأخذ الله بأيديكم سريعاً بقطع دابرهم، فلا تخشوا منهم داخل المدينة أو خارجها. قوله: ﴿من قبل﴾ أي قبل غزوة الخندق. قوله: ﴿لا يولون الأدبار﴾ أي بل يثبتون على القتال حتى يموتوا شهداء. قوله: ﴿مسؤولاً﴾ [عن الوفاء به] أي مسؤولاً صاحبه هل وفى به أم لا.

قوله: ﴿إن فررتم من الموت أو القتل﴾ أي لأنه مصيبكم لا محالة. قوله: ﴿وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً﴾ أي وإن نفعكم الفرار وتمتعتم بالتأخير، لم يكن ذلك التمتع إلا زمناً قليلاً. قوله: ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ قدر له المفسر عاملاً يناسبه وهو قوله: ﴿أو﴾ [يصيبكم بسوء] لأنه لا يصلح لتسلط العامل السابق وهو ﴿يعصمكم﴾ على حد: علفتها تبناً وماء بارداً. قوله: [المثبطين] أي المكسلين غيرهم من القتال في سبيل الله وهم المنافقون.

قوله: ﴿والقائلين﴾ عطف على ﴿المعوقين﴾ وقوله: ﴿لإخوانهم﴾ أي في الكفر والعداوة لرسول الله ﷺ، والمراد بالقائلين اليهود من بني قريظة. قوله: ﴿هلم إلينا﴾ اسم فعل، ويلزم صيغة واحدة للواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وهذه لغة أهل الحجاز، وعند تميم هو فعل أمر، تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتأنيث، ومقتضى عبارة المفسر أنه لازم حيث فسره بتعالوا، ويصح جعله متعدياً بمعنى قربوا، ومفعوله محذوف، والتقدير أنفسكم إلينا. قوله: [رياء وسمعة] أي لأن شأن من يكسل غيره عن الحرب لا يفعله إلا قليلاً لغرض خبيث.

قوله: ﴿أشحة عليكم﴾ أي مانعين للخير عنكم. قوله: [جمع شحيح] هذا هو المسموع فيه وقياسه أفعلاء، كخليل وأخلاء، والشح البخل. قوله: ﴿رأيتهم ينظرون إليك﴾ الخ هذا وصف لهم بالجبن، لأن شأن الجبان الخائف ينظر يميناً وشمالاً شاخصاً ببصره. قوله: [كنظر أو كدوران] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كالذي يغشى عليه﴾ نعت لمصدر محذوف من ﴿ينظرون﴾ أو من ﴿تدور﴾. قوله: ﴿كالذي يغشى عليه من الموت﴾ أي لأنه يشخص ببصره ويذهب عقله. قوله: ﴿سلقوكم﴾ السلق بسط العضو ومده للقهر، كان يداً أو لساناً، ففي الآية استعارة بالكناية، حيث شبه اللسان بالسيف، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو السلق بمعنى الضرب، فإثباته تخييل والحداد ترشيح. قوله: ﴿أشحة على الخير﴾ أي مانعين له، فلا نفع في أنفسهم ولا في مالهم. قوله: ﴿لم يؤمنوا﴾ [حقيقة] أي بقلوبهم وإن أسلموا ظاهراً.

قوله: ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ أي أظهر بطلانها. قوله: ﴿يحسبون﴾ أي المنافقون لشدة جبنهم. قوله:

﴿عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾ ١٩: بإرادته ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾: من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾: إلى مكة لخوفهم منهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾: كرة أخرى ﴿يَوَدُّوا﴾: يتمنوا ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾: أي كائنون في البادية ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾: أخباركم مع الكفار ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾: هذه الكرة ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً﴾ ٢٠ رياءً وخوفاً من التعيير ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ﴾: بكسر الهمزة وضمها ﴿حَسَنَةٌ﴾: اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه ﴿لِمَنْ﴾: بدل من لكم ﴿كَانَ يَرْجُو اللهَ﴾: يخافه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾ ٢١: بخلاف من ليس كذلك ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾: من الكفار ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ﴾: من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾: في الوعد ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾: ذلك ﴿إِلَّا إِيمَاناً﴾: تصديقاً بوعد الله ﴿وَتَسْلِيماً﴾ ٢٢: لأمره ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾: من الثبات مع النبي ﷺ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾: مات

﴿الأحزاب﴾ أي قريشاً وغطفان واليهود. قوله: ﴿لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي ساكنون في البادية خارج المدينة، ليكونوا في بعد عن الأحزاب. قوله: ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ يصح أن يكون حالاً من الواو في ﴿بادون﴾ أو جملة مستأنفة، والمعنى يسألون كل قادم من جانب المدينة، عما جرى بينكم وبين الكفار، وقائلين فيما بينهم: إن غلب المسلمون قاسمناهم في الغنيمة، وإن غلب الكفار فنحن معهم.

قوله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ هذه الآية وما بعدها إلى قوله: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب﴾ من تمام قصة الأحزاب، وفيها عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله ﷺ من المؤمنين والمنافقين. قوله: [بكسر الهمزة وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [اقتداء] أشار بذلك إلى أن الأسوة اسم بمعنى المصدر وهو الائتساء، يقال ائتسى فلان بفلان أي اقتدى به. قوله: [في القتال] لا مفهوم له، بل الاقتداء برسول الله ﷺ واجب في الأقوال والأفعال والأحوال، لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى، بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه، ولذا قال العارف:

وخصك بالهدى في كل أمر ... فلست تشاء إلا ما يشاء

وإنما خص القتال بالذكر لأنه معرض السبب. قوله: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ أي فالمتصف بهذه الأوصاف ثبتت له الأسوة الحسنة في رسول الله، وأما من لم يكن متصفاً بتلك الأوصاف، فليس كذلك. قوله: ﴿وذكر الله كثيراً﴾ أي بلسانه أو جنانه أو ما هو أعم. قوله: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ أي أبصروهم محدقين حول المدينة. قوله: ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله﴾ أي بقوله: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ وقوله: ﴿ورسوله﴾ أي بقوله: إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر، والعاقبة لكم عليهم. قوله: ﴿وصدق الله ورسوله﴾ أي ظهر صدق خبر الله ورسوله في الوعد بالنصر، فاستبشروا بالنصر قبل حصوله، وأظهر في محل الإضمار، زيادة في تعظيم اسم الله، ولأنه لو أضمر لجمع بين اسم الله واسم رسوله في ضمير واحد، مع أن النبي ﷺ عاب على من قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال له: بئس خطيب القوم أنت، قل: ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾. قوله: ﴿وما زادهم﴾ [ذلك] أي الوعد أو الصدق.

قوله: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا﴾ الخ، هم جماعة من الصحابة نذروا أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله ﷺ

---

* أسباب نزول الآية ٢٣: قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال﴾ الآية. أخرج مسلم والترمذي وغيرهما عن أنس قال: غاب عمي أنس بن النضر

أو قُتل في سبيل الله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ذلك ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[٢٣]: في العهد وهم بخلاف حال المنافقين ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ﴾: بأن يميتهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾: لمن تاب ﴿رَّحِيمًا﴾[٢٤]: به ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾: مرادهم من الظفر بالمؤمنين ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾: بالريح والملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾: على إيجاد ما يريده ﴿عَزِيزًا﴾[٢٥]: غالباً على أمره ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: أي قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾:

ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا. قوله: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ أي وفّى نذره بموته في القتال، يقال: نحب ينحب، من باب قتل نذر، ومن باب ضرب بكى. قوله: ﴿ومنهم من ينتظر﴾ [ذلك] أي قضاء النحب بالموت في سبيل الله. قوله: [بخلاف حال المنافقين] أي فقد بدلوا وغيروا، فكان الواحد منهم إذا أراد القتال، إنما يقاتل خوفاً على نفسه وماله، لا طمعاً في رضا الله. قوله: ﴿ليجزي الله الصادقين﴾ متعلق بمحذوف تقديره خلق المؤمنين والمنافقين وفرق بين نياتهم ليجزي الله، الخ. قوله: [بأن يميتهم على نفاقهم] أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿شاء﴾ محذوف، ودفع بذلك ما يقال: إن عذابهم متحتم، فكيف علق على المشيئة؟ فالتعليق بحسب علمنا، وأما في علم الله فالأمر محتم، إما بالسعادة أو الشقاوة، وسيظهر ذلك للعباد. قوله: ﴿بغيظهم﴾ الجملة حالية أي ملتبسين بالغيظ. قوله: ﴿لم ينالوا خيراً﴾ حال ثانية. قوله: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ أي لم يحصل بينهم اختلاط في الحرب، وإنما كان بينهم ضرب بالسهام والخندق بينهم. قوله: [بالريح] أي فكفأت قدورهم وقطعت خيامهم. قوله: [والملائكة] أي بإلقاء الرعب في قلوبهم، وتقدم بسط ذلك في القصة.

قوله: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب﴾ الخ، شروع في ذكر قصة بني قريظة، وذكرت عقب الأحزاب لكون بني قريظة كانوا ممن جملة الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه ونقضوا عهده وحاربوه، قال العلماء بالسير: لما أصبح رسول الله ﷺ من الليلة التي انصرف فيها الأحزاب راجعين إلى بلادهم، انصرف هو والمؤمنون إلى المدينة ووضعوا السلاح، فلما كان الظهر أتى جبريل وعليه عمامة من إستبرق، راكباً على بغلة بيضاء، عليها قطيفة من ديباج، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه، وقد غسلت شقه الأيمن، فقال: يا رسول الله قد وضعت السلاح؟ قال: نعم، قال جبريل: عفا الله عنك، ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، فقال: إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فانهض إليهم، فإني قد قطعت أوتارهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال، وألقيت الرعب في قلوبهم، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: إن من كان مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، فحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فقال لهم رسول الله ﷺ: أتنزلون على حكمي؟ فأبوا فقال: أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس؟ فرضوا به، فحكمه فيهم، فقال سعد: إني أحكم فيهم، أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء ـ فقال ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات، فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحرث، من نساء بني النجار، ثم خرج إلى سوق المدينة الذي هو سوقها اليوم، فخندق فيه خندقاً، ثم بعث إليهم، فأتى بهم إليه وفيهم حيي بن أخطب رئيس بني النضير، وكعب بن أسد رئيس بني قريظة، وكانوا ستمائة أو سبعمائة، فأمر علياً

= عن بدر فكبر عليه فقال: أول مشهد قد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع، فشهد يوم أحد، فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية، ونزلت هذه الآية ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ إلى آخرها.

حصونهم جمع صيصة وهو ما يتحصن به ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: منهم وهم المقاتلة ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾٢٦: منهم أي الذراري ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾: بعد وهي خيبر أخذت بعد قريظة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾٢٧ يا ﴿أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾: وهن تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾: أي متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ

والزبير بضرب أعناقهم، وطرحهم في ذلك الخندق، فلما فرغ من قتلهم وانقضى شأنهم توفي سعد المذكور بالجرح الذي أصابه في وقعة الأحزاب، وحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، قالت عائشة: فوالذي نفس محمد بيده، إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، قالت: وكانوا كما قال الله تعالى ﴿رحماء بينهم﴾. قوله: [وهو ما يتحصن به] أي شواء كان من الحصون أو لا، حتى الشوكة والقرن وباب الدار ونحو ذلك تسمى صيصية.

قوله: ﴿فريقاً تقتلون﴾ بيان لما فعل بهم. قوله: [وهم المقاتلة] أي وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة. قوله: [أي الذراري] أي وكانوا سبعمائة وقيل وخمسين. قوله: [بعد] أي الآن وعبّر بالماضي لتحقق الحصول. قوله: [وهي خيبر] أي وغيرها من كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة. قوله: [أخذت بعد قريظة] أي بسنتين أو ثلاث، على الخلاف المتقدم في قريظة، هل هي في الرابعة أو الخامسة، وخيبر كانت في السابعة في أول المحرم، وهي مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية، وذات مزارع ونخل كثير، بينها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل، فأقبل عليها صبيحة النهار، وفي تلك الليلة لم يصح لهم ذيك ولم يتحركوا، وكان فيها عشرة آلاف مقاتل، فنزل رسول الله ﷺ عليها وحاصرها، وبنى هناك مسجداً صلى به طول مقامه عندها، وقطع من نخلها أربعمائة نخلة، وسبى أهلها، وأصاب من سبيها صفية بنت حيي بن أخطب رئيس بني النضير، وكانت وقعت في سهم دحية الكلبي، فتنازع بعض الصحابة في شأن ذلك، فأخذها رسول الله وأرضاه، وكانت من سبط هارون أخي موسى، فأسلمت ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها.

قوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ اختلف المفسرون في هذا التخيير، هل كان تفويضاً في الطلاق إليهن، فيقع بنفس الاختيار، أم لا؟ فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم، إلى أنه لم يكن تفويضاً في الطلاق، وإنما خيّرهن على أنهن إن اخترن الدنيا فارقهن، لقوله تعالى: ﴿فتعالين أمتعكن وأسرحكن﴾ وذهب قوم إلى أنه كان تفويضاً، وأنهن لو اخترن الدنيا لكان طلاقاً، فلا يحتاج لإنشاء صيغة من رسول الله ﷺ. قوله: [وهن تسع] أي وهن اللاتي مات عنهن، وقد جمعهن بعض العلماء بقوله:

توفي رسول الله عن تسع نسوة ... إليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست نظمهن مهذب

---

* أسباب نزول الآية ٢٨: قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ الآية. أخرج مسلم وأحمد والنسائي من طريق ابن الزبير عن جابر قال: أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لهما فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ حتى بدا ناجذه، وقال: هن حولي يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقول: تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده؟ وأنزل الله الخيار، فبدأ بعائشة، فقال ﷺ: إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تتعجلي فيه حتى تستأمري أبويك. قالت: ما هو؟ فتلا عليها ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ الآية، قالت عائشة: أفيك أستأمر أبوي، بل أختار الله ورسوله.

﴿سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ ٢٨: أطلقكن من غير ضرار ﴿وَإِنْ كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾: أي الجنة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ﴾: بإرادة الآخرة ﴿أَجْراً عَظِيماً﴾ ٢٩: أي الجنة فاخترن الآخرة على الدنيا ﴿يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾: بفتح الياء وكسرها أي بينت أو هي بينة ﴿يُضَاعَفْ﴾: وفي قراءة: يضعّف بالتشديد، وفي

فعائشة هي بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وميمونة بنت الحرث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير، وهند هي أم سلمة بنت أبي أمية، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحرث الخزاعية المصطفية، ورملة هي أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرث، وسودة هي بنت زمعة. قوله: ﴿إن كنتن تردن الحياة الدنيا﴾ أي التنعم فيها. قوله: ﴿وزينتها﴾ أي زخارفها، روي أن أبا بكر جاء ليستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذنت لأبي بكر فدخل، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل فوجد النبي ﷺ جالساً واجماً ساكتاً وحوله نساؤه، قال عمر: فقلت: والله لأقولن شيئاً أضحك به النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ما ليس عنده، فقلن: والله لانسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ما ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً، ثم نزلت هذه الآية ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ حتى بلغ ﴿للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾ قال: فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً، أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وكلهن قلن كما قالت عائشة، فشكر لهن ذلك، فأنزل الله ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ ثم رفع ذلك الحرج بقوله تعالى ﴿وما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ وبقوله: ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾.

قوله: ﴿فتعالين﴾ فعل أمر مبني على السكون، ونون النسوة فاعل. قوله: ﴿أمتعكن﴾ جواب الشرط وما بينهما اعتراض، ويصح أن يكون مجزوماً في جواب الأمر، والجواب ﴿فتعالين﴾ قوله: [أطلقكن من غير ضرار] أي من غير تعب ومشقة. قوله: [فاخترن الآخرة على الدنيا] أي ودمن على ذلك، فكن زاهدات في الدنيا، حتى ورد أن عائشة دخل عليها ثمانون ألف درهم من بيت المال، فأمرت جاريتها بتفرقتها، ففرقتها في مجلس واحد، فلما فرغت طلبت عائشة منها شيئاً تفطر به وكانت صائمة، فلم تجد منها شيئاً.

قوله: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة﴾ الخ هذه الآيات خطاب من الله لأزواج النبي ﷺ إظهاراً لفضلهن وعظم قدرهن عند الله تعالى لأن العتاب والتشديد في الخطاب مشعر برفعة رتبتهن لشدة قربهن من رسول الله ﷺ، لأنهن ضجيعاته في الجنة، فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله، خلافاً لمن شذ وزعم أن حب النبي والقرب منه والتعلق به شرك. قوله: ﴿بفاحشة﴾ قيل المراد بها الزنا، والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل، لحدت حدين لعظم قدرها، كالحر بالنسبة للأمة، وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبي، بل جميع نساء الأنبياء مصونات من الزنا، ولذا قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما خانت امرأة نوح ولوط في الإيمان والطاعة، وقيل المراد بها النشوز وسوء الخلق، وقيل الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط، وإن وردت منكرة فهي سائر المعاصي، وإن وردت منعوتة كما هنا فهي عقوق الزوج وسوء عشرته، وقيل المراد بها جميع المعاصي وهو الأظهر، وهذا على سبيل الفرض والتقدير على حد: لئن أشركت ليحبطن عملك، وإلا فنساء النبي مطهرات مصونات من الفواحش. قوله: [بفتح الياء وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي بينت] الخ لف ونشر مرتب. قوله: [وفي

أخرى: نضعف بالنون معه ونصب العذاب ﴿لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ ٣٠ ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾: يطع ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: أي مثلي ثواب غيرهن من النساء وفي قراءة: بالتحتية في تعمل ونؤتها ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ ٣١: في الجنة زيادة ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾: كجماعة ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾: الله فإنكن أعظم ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾: للرجال ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: نفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ٣٢: من غير خضوع ﴿وَقَرْنَ﴾: بكسر القاف وفتحها ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾: من القرار وأصله أقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾: بترك إحدى التاءين من أصله ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: أي ما

قراءة يضعف] أي والثلاث سبعيات. قوله: [العذاب] أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. قوله: [أي مثليه] أي فضعف الشيء مثله، وضعفاه مثلاه، وأضعافه أمثاله.

قوله: ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ أي سهلاً، فلا يبالي الله بأحد وإن عظمت رتبته، فليس أمر الله كأمر الخلق بترك تعذيب الأعزة حيث أذنبوا لكثرة أوليائهم وأعوانهم، بل المكرم عند الله هو التقي. قوله: ﴿وتعمل صالحاً﴾ أي تدم عليه، وفيه مراعاة معنى من على قراءة التاء، ومراعاة لفظها على قراءة الياء. قوله: ﴿مرتين﴾ أي مرة على الطاعة والتقوى، ومرة أخرى على خدمة رسول الله ﷺ الخدمة الباطنية التي لا تتيسر من غيرهن.

قوله: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ تقدم أن حكمة التشديد عليهن شدة قربهن من رسول الله ﷺ، وهو دليل على رفعة قدرهن وعظم رتبتهن، فلا يليق منهن التوغل في الشهوات وتطلب زينة الدنيا، لأن رسول الله ﷺ قال: «لست من الدنيا وليست الدنيا مني، والمقربون منه كذلك». والمعنى ليست الواحدة منكن كالواحدة من آحاد النساء، فالتفاضل في الأفراد. قوله: ﴿إن اتقيتن﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، كما يشير له المفسر بقوله: [فإنكن أعظم] والمعنى إن اتقيتن الله، فلا يقاس بالواحدة منكن واحدة من سائر النساء. قوله: ﴿فلا تخضعن﴾ كلام مستأنف مفرع على التقوى. قوله: ﴿بالقول﴾ أي بأن تتكلمن بكلام رقيق يميل قلوب الرجال إليكن، إذ لا يليق منكن ذلك لكونكن أعظم النساء.

قوله: ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ في ذلك احتراس عما يقال: إنهن أمهات المؤمنين، والإنسان لا يطمع في أمه، فأجاب: بأن الذي يقع منه الطمع إنما هو المنافق، لأن شهوته حاصلة معه، وهو منزوع الخشية والخوف من الله، ولكن نهين عموماً سداً للذريعة. قوله: ﴿قولاً معروفاً﴾ أي حسناً فيه تعظيم الكبير ورحمة الصغير لا ريبة فيه. قوله: [بكسر القاف وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [من القرار] أي الثبات بيان لمعنى القراءتين. قوله: [وأصله اقررن بكسر الراء] أي من باب ضرب، وقوله: [وفتحها] أي من باب علم، فماضي الأول مفتوح، والأمر مكسور، والثاني بالعكس. قوله: [نقلت حركة الراء] أي الأولى، وحركتها إما كسرة على الأول، أو فتحة على الثاني. قوله: [مع همزة الوصل] أي الاستغناء عنها بتحريك القاف، والمعنى اثبتن في بيوتكن ولا تخرجن إلا لضرورة.

قوله: ﴿تبرج الجاهلية الأولى﴾ اختلف في زمنها، فقيل هي ما قبل بعثة إبراهيم، وقيل ما بين آدم ونوح، وقيل ما بين نوح وإدريس، وقيل ما بين نوح وإبراهيم، وقيل ما بين موسى وعيسى، وقيل ما بين عيسى ومحمد ﷺ، وقيل هي ما قبل الإسلام مطلقاً، وعليه اقتصر المفسر، وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه، وليس المعنى أن ثم جاهلية

قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾: الإثم يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: أي نساء النبي ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾: منه ﴿تَطْهِيرًا ٣٣ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: السنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾: بأوليائه ﴿خَبِيرًا ٣٤﴾: بجميع خلقه ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾: المطيعات ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾: في الإيمان ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾: على الطاعات ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ﴾: المتواضعين ﴿وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ

قوله: [من إظهار محاسنهن للرجال] أي فكانت المرأة تلبس القميص من الدر غير مخيط الجانبين، وكانت النساء يظهرن ما يقبح إظهاره، حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها، فينفرد خلها بما فوق الإزار، وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل، وربما سأل أحدهما صاحبه البدل. قوله: [والإظهار بعد الإسلام] الخ جواب عما يقال: إن إظهار الزينة واقع من فسقة النساء بعد الإسلام، فلا حاجة لذكر الجاهلية الأولى، فأجاب: بأنه تقدم النهي عنه في قوله: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾.

قوله: ﴿وأقمن الصلاة﴾ أي بشروطها وآدابها. قوله: ﴿وآتين الزكاة﴾ أي لمستحقيها. قوله: ﴿وأطعن الله ورسوله﴾ أي في جميع الأوامر والنواهي، فلا تليق منكن المخالفة فيما أمر الله ورسوله به. قوله: ﴿الرجس﴾ أي الذنب المدنس لعرضكن. قوله: ﴿أهل البيت﴾ منصوب على أنه منادى، وحرف النداء محذوف قدره المفسر. قوله: [أي نساء النبي] قصره عليهن لمراعاة السياق، وإلا فقد قيل: الآية عامة في أهل بيت سكنه وهن أزواجه، وأهل بيت نسبه وهن ذريته. قوله: ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ أكده إشارة إلى الزيادة في التطهير بسبب التكاليف كالعبادة والتقوى بسبب الطهارة، وهي الخلوص من دنس المعاصي، فمن ادعى الطهارة مع ارتكابه المعاصي، فهو ضال كذاب. قوله: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن﴾ أي لتذكرن به أنفسكن أو غيركن، وفيه تذكير لهن بهذه النعمة العظيمة، حيث جعلن من أهل بيت النبوة، وشاهدن نزول الوحي، وكل ذلك موجب للزوم التقوى. قوله: ﴿من آيات الله﴾ بيان لما. قوله: ﴿لطيفاً﴾ أي عالماً بخفيات الأمور. قوله: ﴿خبيراً﴾ أي مطلعاً على كل شيء.

قوله: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ الخ سبب نزولها: أن أزواج النبي ﷺ جلسن يتذاكرن فيما بينهن ويقلن: إن الله ذكر الرجال في القرآن، ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نذكر به، إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة، فسألت أم سلمة رسول الله ﷺ وكانت كثيرة السؤال له فقالت: يا رسول الله ما بال ربنا يذكر الرجال في كتابه ولا يذكر النساء؟ فنخشى أن لا يكون فيهن خير، فنزلت جبراً لخاطرهن. قوله: ﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾ إنما عطف وصفهم بالإيمان على وصفهم بالإسلام، وإن كانا متحدين شرعاً نظراً إلى أنهما مختلفان مفهوماً، إذ الإسلام التلفظ بالشهادتين، بشرط تصديق القلب بما جاء به النبي ﷺ، والإيمان الإذعان القلبي بشرط النطق باللسان، ويكفي في العطف أدنى تغاير.

---

* أسباب نزول الآية ٣٥: قوله تعالى: ﴿إن المسلمين﴾ الآية. وأخرج الترمذي وحسنه من طريق عكرمة عن أم عمارة الأنصاري أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ الآية. وأخرج الطبراني بسند لا بأس به عن ابن عباس قال: قالت النساء: يا رسول الله، ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات، فنزلت ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ الآية. وتقدم حديث أم سلمة في آخر سورة آل عمران. وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: لما ذكر أزواج النبي ﷺ قال النساء: لو كان فينا خير لذكرنا، فأنزل الله ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ الآية.

﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾: عن الحرام ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾: للمعاصي ﴿وَأَجْراً عَظِيماً﴾ ٣٥: على الطاعات ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ تَكُونَ﴾: بالتاء والياء ﴿لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾: أي الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾: خلاف أمر الله ورسوله نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب خطبها النبي ﷺ وعنى لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما، لظنهما قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه ثم رضيا للآية ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً﴾ ٣٦: بيناً فزوجها النبي ﷺ، ثم بعد

قوله: ﴿والحافظات﴾ حذف المفعول لدلالة ما قبله عليه والتقدير والحافظات فروجهن. قوله: ﴿والذاكرين الله كثيراً﴾ أي بأي ذكر كان، من تسبيح أو تهليل أو تحميد أو صلاة على النبي ﷺ، والكثرة مختلفة باختلاف الأشخاص، فالكثرة في حق العامة أقلها ثلاثمائة، وفي حق المريدين اثنا عشر ألفاً، وفي حق العارفين عدم خطور الغير على قلوبهم، ومنه قول العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري يوماً حكمت بردتي

قوله: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ أي لا ينبغي ولا يصلح ولا يليق، وهذا اللفظ يستعمل تارة في الحظر والمنع كما هنا، وتارة في الامتناع عقلاً كما في قوله تعالى ﴿وما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ وتارة في الامتناع شرعاً كقوله تعالى ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾. قوله: ﴿إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ ذكر اسم الله للتعظيم، وإشارة إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله لكونه لا ينطق عن الهوى، وإذا يصح أن تكون ظرفاً معمولاً لما تعلق به خبر كان، والتقدير وما كان مستقراً لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله ورسوله أمراً كون الخيرة لهم، ويصح أن تكون شرطية، وجوابها محذوف دل عليه ما قبله. قوله: ﴿أن تكون﴾ اسم كان مؤخر، والجار والمجرور خبر مقدم. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فالتاء ظاهرة والياء نظراً إلى أن الخيرة مجازي التأنيث، أو للفصل بين العامل والمعمول. قوله: ﴿الخيرة﴾ بفتح الياء وقرىء شذوذاً بإسكانها، ومعناهما واحد وهو الاختيار. قوله: [أي الاختيار] أشار بذلك إلى أن الخيرة مصدر.

قوله: ﴿من أمرهم﴾ حال من الخيرة. قوله: [وأخته زينب] أي بنت جحش، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. قوله: [خطبها النبي وعنى لزيد] أي بعد أن كان زوجه أولاً أم أيمن بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن، كانت لعبد الله أبي النبي ﷺ فأعتقها، وقيل أعتقها النبي ﷺ، وعاشت بعده ﷺ خمسة أشهر وقيل سنة، وولدت لزيد أسامة، وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس. قوله: [فكرها ذلك] أي كون الخطبة لزيد، وقالت لرسول الله ﷺ: أنا بنت عمتك، فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة، وزيد أسود. قوله: [ثم رضيا للآية] أي حين نزلت الآية توبيخاً لهما.

قوله: ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ الخ هذا من تمام ما نزل في شأنهما، فكان المناسب للمفسر تأخير ذكر سبب

---

* أسباب نزول الآية ٣٦: قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن﴾ الآية، أخرج الطبراني بسند صحيح عن قتادة قال: خطب النبي ﷺ زينب وهو يريدها لزيد فظنت أنه يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت، فأنزل الله ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ الآية، فرضيت وسلمت. وأخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه، وقالت: أنا خير منه حسباً، فأنزل الله ﴿وما كان لمؤمن﴾ الآية كلها. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت أول امرأة هاجرت من النساء فوهبت نفسها للنبي ﷺ، فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها قالا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده، فنزلت.

حين من زواجهما وقع في نفس زيد كراهتها ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها فقال: أمسك عليك زوجك كما قال تعالى ﴿وَإِذْ﴾ منصوب باذكر ﴿تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾: بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾: بالإعتاق وهو زيد بن حارثة كان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: في أمر طلاقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: مظهره من محبتها أن لو فارقها زيد تزوجتها ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾: أن يقولوا تزوج زوجة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾: في كل شيء وتزوجها ولا عليك من قول الناس ثم طلقها زيد

النزول عن هذه الآية. قوله: ﴿فقد ضل﴾ أي أخطأ طريق الصواب. قوله: [فزوجها النبي لزيد] أي وأعطاها رسول الله عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً ودرعاً وملحفة وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر. قوله: [ثم وقع بصره عليها] هذا بناء على أن معنى قوله تعالى ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ هو حبها الذي درج عليه المفسر تبعاً لغيره، وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لا سيما بجنابه الشريف، وأيضاً يبعد أن النبي يخفى عليه حالها، مع كونه بنت عمته وفي حجره. قوله: [فقال: ﴿أمسك عليك زوجك﴾] أي لا تفارقها. قوله: [منصوب باذكر] أي فهو معمول لمحذوف. قوله: [اشتراه رسول الله] فيه تسمح، بل الذي في السير أن خديجة اشترته بأربعمائة درهم، ثم وهبته لرسول الله ﷺ، وهذا الشراء صوري، وإلا فهو كان حراً لأنه لم يكن الرق بالسبي مشروعاً، لكونهم أهل فترة، وهم ناجون ليس فيهم حربي، والعلماء عرفوا الرق بأنه عجز حكمي سببه الكفر، روي أن عمه لقيه يوماً بمكة، فعرفه وضمه إلى صدره وقال له يا غلام لمن أنت؟ قال: لمحمد بن عبد الله، فأتوه وقالوا: هذا ابننا فرده علينا، فقال: اعرضوا عليه، فإن اختاركم فخذوه، فبعث إلى زيد وخيره فقال: يا رسول الله ما أختار عليك أحداً، فجذبه عمه وقال: يا زيد اخترت العبودية على أبيك وعمك؟ قال: نعم هي أحب إلي من أن أكون عندكم، فتبناه رسول الله ﷺ. قوله: [من محبتها] بيان لما أبداه، وهذا القول مردود لما تقدم أنه تنزه عنه رسول الله، والصواب أن يقول: أن الذي أخفاه في نفسه هو ما أخبره الله به، من أنها ستصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد لها، لما روي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان قد أوحى الله إليه أن زيداً يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما شكا [زيد] للنبي خلق زينب وأنها لا تطيعه، وأعلمه بأنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، وخشي رسول الله أن يلحقه قول الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبنيه، فعاتبه الله على الكتم لأجل هذا العذر، والحكمة في تزوج رسول الله بزينب إبطال حكم التبني، والتفرقة بين ولد الصلب وولد التبني، من حيث إن ولد الصلب يحرم التزوج بزوجته، وولد التبني لا يحرم. قوله: [وتزوجها] هكذا في بعض النسخ بصيغة الأمر، وفي نسخة ويزوجكها فعل مضارع.

---

* أسباب نزول الآية ٣٧: قوله تعالى: ﴿وإذ تقول﴾ الآيات. أخرج البخاري عن أنس أن هذه الآية ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ نزلت في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة. وأخرج الحاكم عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو الى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش، فقال النبي ﷺ أمسك عليك أهلك، فنزلت ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾.
وأخرج مسلم وأحمد والنسائي قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: اذهب فاذكرها علي، فانطلق فأخبرها فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ، فدخل عليها بغير إذن، ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه، ثم أخبرته أن القوم قد خرجوا، فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ الآية.

(١) هذا تفسير لا يليق بمقام النبوة وقد أجاب عن الشارح الصاوي رحمه الله واجاد.

وانقضت عدتها قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾: حاجة ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾: فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: مقضيه ﴿مَفْعُولًا﴾ ٣٧ ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾: أحل ﴿اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ﴾: أي كسنة الله فنصب بنزع الخافض ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾: من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: فعله ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ ٣٨: مقضياً ﴿الَّذِينَ﴾: نعت للذين قبله ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾: فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ٣٩: حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبتهم ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾: فليس أبا زيد أي والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب ﴿وَلَٰكِن﴾: كان ﴿رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾: فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبياً وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم

قوله: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ أي بأن لم يبق له فيها أرب وطلقها وانقضت عدتها، وفي ذكر اسمه صريحاً دون غيره من الصحابة جبر وتأنيس له، وعوض من الفخر بأبوة محمد ﷺ، فكان اسمه قرآناً يتلى في الدنيا والآخرة على ألسنة البشر والملائكة، وزاد في الآية أن قال: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ أي بالإيمان، فدل على أنه من أهل الجنة، فعلم ذلك قبل موته، فهذه فضيلة أخرى. قوله: [دخل عليها النبي ﷺ بغير إذن] أي ولا عقد ولا صداق، وهذا من خصوصياته التي لم يشاركه فيها أحد بالإجماع، وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة، وقيل سنة ثلاث، وهي أول من مات بعده من زوجاته، ماتت بعده بعشر سنين، ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة، وكانت تفتخر على أزواج النبي وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات، وكانت تقول للنبي: جدي وجدك واحد، وليس من نسائك من هي كذلك غيري، وقد أنكحنيك الله، والسفير في ذلك جبريل. قوله: [وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً] أي فذبح شاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركوه، ولم يولم النبي على أحد من نسائه، كما أولم على زينب.

قوله: ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج﴾ الخ، أي فهو دليل على أن هذا الأمر ليس مخصوصاً به ﷺ. قوله: ﴿وكان أمر الله مفعولا﴾ أي موجوداً لا محالة. قوله: ﴿من حرج﴾ أي إثم. قوله: [فنصب بنزع الخافض] ويصح نصبه على المصدرية، وفي هذه الآية رد على اليهود حيث عابوا على النبي ﷺ كثرة النساء. قوله: [توسعة لهم في النكاح] أي فقد كان لداود مائة امرأة، ولسليمان ولده سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية. قوله: ﴿قدراً مقدوراً﴾ هو من التأكيد كظل ظليل وليل أليل.

قوله: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ أي أبوة حقيقية، فلا ينافي أنه أبوهم من حيث إنه شفيق عليهم وناصح لهم، يجب عليهم تعظيمه وتوقيره. قوله: ﴿ولكن رسول الله﴾ العامة على تخفيف لكن، ونصب رسول على أنه خبر لكان المحذوفة، وقرىء شذوذاً بتشديد ﴿لكن﴾، و﴿رسول﴾ اسمها، وخبرها محذوف تقديره أب من غير ورائة، إذ لم يعش له ولد ذكر، وقرىء أيضاً بتخفيفها، ورفع رسول على الابتداء، والخبر مقدر أي هو أو بالعكس، ووجه الاستدراك رفع ما يتوهم من نفي الأبوة عنه، أن حقه ليس أكيداً، فأفاد أن حقه آكد من حق الأب الحقيقي بوصف الرسالة. قوله: [فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبياً] النفي في الحقيقة متوجه للوصف، أي كون ابنه رجلاً، وكونه نبياً بعده، وإلا فقد كان له من الذكر أولاد ثلاث، إبراهيم والقاسم والطيب، ولكنهم ماتوا قبل البلوغ، فلم يبلغوا مبلغ

---

* أسباب نزول الآية ٤٠: وأخرج الترمذي عن عائشة قالت: لما تزوج النبي ﷺ زينب قالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ الآية.

أي به ختموا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ ٤٠ : منه بأن لا نبيّ بعده وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ ٤١ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ ٤٢ : أول النهار وآخره ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ : أي يرحمكم ﴿وَمَلاَئِكَتُهُ﴾ : أي يستغفرون لكم ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ : ليديم إخراجه إياكم ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ﴾ : أي الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ : أي الإيمان ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ ٤٣ ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ : منه تعالى ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ﴾ : بلسان الملائكة

الرجال، فكونه خاتم النبيين، يلزم منه عدم وجود ولد بالغ له، وأورد عليه بمنع الملازمة، إذ كثير من الأنبياء وجد لهم أولاد بالغون وليسوا بأنبياء، وأجيب: بأن الملازمة ليست عقلية، بل على مقتضى الحكمة الإلهية، وهي أن الله أكرم بعض الرسل بجعل أولادهم أنبياء كالخليل، ونبينا أكرمهم وأفضلهم، فلو عاش أولاده اقتضى تشريف الله له جعلهم أنبياء، لجمعه المزايا المتفرقة في غيره فتدبر. قوله: [وإذا نزل السيد عيسى] الخ، جواب عما يقال: كيف قال تعالى ﴿وخاتم النبيين﴾ وعيسى ينزل بعده وهو نبي؟ ولا يرد على هذا، وضع الجزية، وعدم قبول غير الإسلام، ونحو ذلك مما جاء في الأحاديث مما يخالف شرعنا، لأن ذلك شرع نبينا محمد عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ في هذا إشارة إلى تشريف المؤمنين عموماً، حيث ناداهم وأمرهم بذكره وتسبيحه، وصلى عليهم هو وملائكته، وأفاض عليهم الأنوار وحياهم، والمقصود من ذكر العباد ربهم كون الله يذكرهم، قال تعالى: ﴿اذكروني أذكركم﴾ وليس المقصود منه انتفاعه تعالى بذلك، تنزه الله عن أن يصل له من عباده نفع أو ضر، قال تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم﴾ فذكرنا لأنفسنا، لأنه لا غنى لنا عن ربنا طرفة عين، وإذا كان كذلك، فلا تليق الغفلة عنه أبداً، بل المطلوب ذكره دائماً وأبداً، واعلم أن الله تعالى لم يفرض فريضة على عباده، إلا جعل لها حداً معلوماً، وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فلم يجعل له حداً، ولم يعذر أحداً في تركه، إلا من كان مغلوباً على عقله، ولذا أمرهم به في جميع الأحوال، قال تعالى: ﴿فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ ففيه إشارة إلى أن الذكر أمره عظيم وفضله جسيم. قوله: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ خص التسبيح بالذكر، وإن كان داخلاً فيه، لكونه أعلى مراتبه، والحكمة تخصيص التسبيح بهذين الوقتين لكونهما أشرف الأوقات، بسبب تنزل الملائكة فيهما.

قوله: ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ استئناف في معنى التعليل للأمر بالذكر والتسبيح. قوله: ﴿وملائكته﴾ عطف على الضمير المستتر في ﴿يصلي﴾ والفاصل موجود. قوله: [أي يستغفرون لكم] أي يطلبون لكم من الله المغفرة، قال تعالى: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ الآيات. قوله: [ليديم إخراجه إياكم] جواب عما يقال: إن إخراجه إيانا من الظلمات حاصل بمجرد الإيمان، وإيضاح الجواب: أن المراد دوام هذا الإخراج، لأن الغفلة عن الخالق إذا دامت، ربما أخرجت العبد من النور والعياذ بالله. قوله: ﴿من الظلمات إلى النور﴾ جمع الأول لتعداد أنواع الكفر، وأفرد الثاني لأن الإيمان شيء واحد لا تعدد فيه، فمن ادعى الإيمان، وأثبت التعدد والمخالفة، فهو ضال مضل، خارج عن السنة والجماعة.

قوله: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ أي يقبل القليل من أعمالهم، ويعفو عن الكثير من ذنوبهم، حيث أخلصوا في إيمانهم. قوله: ﴿تحيتهم﴾ [منه تعالى] أي التحية الصادرة منه تعالى زيادة في الاعتناء بهم، وتعظيماً لقدرهم. قوله: ﴿يوم يلقونه﴾ اختلف في وقت اللقي، فقيل: عند الموت، وقيل: عند الخروج من القبور، وقيل: عند دخول الجنة. قوله: [بلسان الملائكة] أي لما ورد: إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن يقول له: ربك يقرئك السلام، وفي

---

* أسباب نزول الآية ٤٣: قوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ الآية. أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: لما نزلت ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله، ما أنزل الله عليك خيراً إلا أشركنا فيه، فنزلت ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً﴾٤٤: هو الجنة ﴿يا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾: على من أرسلت إليهم ﴿وَمُبَشِّراً﴾: من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيراً﴾٤٥: منذراً من كذبك بالنار ﴿وَدَاعِياً إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بأمره ﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾٤٦: أي مثله في الاهتداء به ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾٤٧: هو الجنة ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ﴾: فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعْ﴾: اترك ﴿أَذَاهُمْ﴾: لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فهو كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً﴾٤٨: مفوضاً إليه ﴿يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: وفي قراءة: تماسوهن أي تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾:

الحقيقة هم يسمعون السلام من الله ومن الملائكة ومن الخلق غيرهم، قال تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ وقال تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم﴾. وقال تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قليلاً سلاماً سلاماً﴾. قوله: [هو الجنة] أي وما فيها من النعيم المقيم. قوله: [على من أرسلت إليهم] أي لترقب أحوالهم، وتكون شاهداً لما صدر منهم من الأعمال الحسنة والقبيحة، فالأعمال تعرض عليه حياً وميتاً، ويصح أن يكون المراد شاهداً يوم القيامة للمؤمنين وعلى الكافرين، فهو مقبول الدعوى، لا يحتاج في دعواه إلى شهادة أحد، فيشهد للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأمم إما بالتصديق أو بالتكذيب. قوله: [بأمره] دفع بذلك ما يقال: الإذن حاصل بقوله: ﴿أرسلناك﴾ فأجاب: بأن المراد بالإذن الأمر والحكمة في الإذن تسهيل الأمر وتيسيره، لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذر، فإذا حصل الإذن سهل وتيسر، ومن هنا أخذ الأشياخ استعمال الإجازة للمريدين، فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد، فقد سهلت له الطريق وتيسرت، ومن لم تحصل له الإجازة وتصدر بنفسه، فقد عطل نفسه وغيره، وانسدت عليه الطرق. قوله: ﴿وسراجاً منيراً﴾ يحتمل أن المراد بالسراج الشمس وهو ظاهر، ويحتمل أن المراد به المصباح، وحينئذ فيقال إنما شبه بالسراج، ولم يشبه بالشمس مع أن نورها أتم، لأن السراج يسهل اقتباس الأنوار منه، وهو ﷺ تقتبس منه الأنوار الحسية والمعنوية.

قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي حيث كنت متصفاً بالصفات الخمسة فبشر المؤمنين. قوله: ﴿ولا تطع الكافرين﴾ أي لا تدار الكفار، ولا تلن لهم جانبك في أمر الدين، بل اثبت على ما أوحي إليك وبلغه، ولا تكتم منه شيئاً. قوله: ﴿ودع أذاهم﴾ إما من إضافة المصدر لفاعله، أي أذيتهم إياك، فلا تقاتلهم جزاء على ما صدر منهم، أو لمفعوله أي اترك أذيتك لهم في نظير كفرهم، واصفح عنهم واصبر، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وهذا منسوخ بآية القتال. قوله: ﴿وتوكل على الله﴾ أي ثق به في أمورك واعتمد عليه يكفك أمور الدين والدنيا. قوله: ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ الباء زائدة في الفاعل، أي إن الله تعالى كاف من توكل عليه أمور الدنيا والآخرة، وفي الآية إشارة إلى أن التوكل أمره عظيم، فإذا عجز الإنسان عن أمر، فعليه بالتوكل على الله والتفويض إليه، فإن الله يكفيه ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿فإذا نكحتم المؤمنات﴾ المراد بالنكاح العقد بدليل قوله: ﴿ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ وذكر المؤمنات خرج مخرج الغالب، إذ الكتابيات كذلك، وإنما خص المؤمنات بالذكر إشارة إلى أن الأولى للمؤمن أن

---

* أسباب نزول الآية ٤٧: قوله تعالى: ﴿وبشر المؤمنين﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري قالا لما نزلت ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ قال رجال من المؤمنين. هنيئاً لك يا رسول الله، قد علمنا ما يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات﴾ الآية، وأنزل في سورة الأحزاب ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً﴾. وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن الربيع بن أنس قال: لما نزلت ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ نزل بعدها ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ فقالوا: يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فنزل ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً﴾ قال: الفضل الكبير: الجنة.

تحصونها بالإقراء وغيرها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطوهن ما يستمتعن به، أي إن لم يسم لهن أصدقة وإلا فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس وعليه الشافعي ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾ ٤٩: خلوا سبيلهن من غير إضرار ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾: مهورهن ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾: من الكفار بالسبي كصفية وجويرية ﴿وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن

ينكح المؤمنات، وأما نكاح الكتابيات فمكروه، أو خلاف الأولى. قوله: ﴿ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أي ولو طال زمن العقد. قوله: [وفي قراءة] أي وهما سبعيتان. قوله: [أي تجامعوهن] تفسير لكل من القراءتين. قوله: ﴿تعتدونها﴾ إما من العدد أو من الاعتداد أي تحسبونها أو تستوفون عددها من قولهم: عد الدراهم فاعتدها أي استوفى عددها. قوله: [وعليه الشافعي] أي ومالك، فالمطلقة قبل الدخول إن سمي لها صداق، فلا متعة لها ولا عدة عليها، وإن لم يسم لها صداق بأن نكحت تفويضاً، فلا عدة عليها ولها المتعة، إما وجوباً كما هو عند الشافعي، أو ندباً كما هو عند مالك. قوله: [خلوا سبيلهن] أي اتركوهن. قوله: [من غير ضرار] أي بأن تمسكوهن تعنتاً حتى يفتدين منكم، أو تؤذوهن وتتكلموا في أعراضهن.

قوله: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك﴾ الخ، اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية فقيل: المعنى أن الله أحل له أن يتزوج بكل امرأة دفع مهرها الخ، فعلى هذا تكون الآية ناسخة للتحريم الكائن بعد التخيير المدلول عليها بقوله: ﴿لا تحل لك النساء من بعد﴾ فهذه الآية وإن كانت متقدمة في التلاوة، فهي متأخرة في النزول عن الآية المنسوخة بها، كآية الوفاة في البقرة، وقيل المراد ﴿أحللنا لك أزواجك﴾ الكائنات عندك لأنهن اخترنك على الدنيا، ويؤيده قول ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يتزوج من أي النساء شاء، وكان يشق على نسائه، فلما نزلت هذه الآية، وحرم عليه بها النساء إلا من سمي، سر نساؤه بذلك، والقول الأول أصح. قوله: ﴿اللاتي آتيت أجورهن﴾ بيان لما كان يفعله من مكارم الأخلاق، وإلا فالله أحل له أن يتزوج بلا مهر.

قوله: ﴿مما أفاء الله عليك﴾ بيان لما ملكت يمينك، وهذا القيد خرج مخرج الغالب، بل الملك بالشراء كذلك. قوله: [كصفية] هي بنت حيي بن أخطب من نسل هارون أخي موسى، وتقدم أنها كانت من سبي خيبر، أذن النبي ﷺ لدحية الكلبي في أخذ جارية فأخذها، فقيل للنبي ﷺ أعطيته سيدة بني قريظة والنضير، وهي لا تصلح إلا لك، فخشي عليهم الفتنة، فأعطاه غيرها ثم أعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع إلى المدينة، وفي رواية: أنه ﷺ قال لها: هل لك في؟ قالت: نعم يا رسول الله، إني كنت أتمنى ذلك في الشرك، وكان بعينها خضرة، فسألها عنها فقالت: إنها كانت نائمة، ورأس زوجها ملكهم في حجرها، فرأت قمراً وقع في حجرها، فلما استيقظ أخبرته فلطمها وقال: تتمنين ملك

---

* أسباب نزول الآية ٥٠: قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك﴾ الآية. أخرج الترمذي وحسنه الحاكم وصححه من طريق السدي عن أبي صالح عن ابن عباس عن أم هانيء بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت اليه فعذرني، فأنزل الله ﴿إنا أحللنا لك﴾ الى قوله ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ فلم أكن أحل له لأني لم أهاجر. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن أم هانيء قالت: نزلت في هذه الآية ﴿وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك﴾ أراد النبي ﷺ أن يتزوجني فنهي عني، إذا لم أهاجر. قوله تعالى: ﴿وامرأة مؤمنة﴾ الآية.

أخرج ابن سعد عن عكرمة في قوله ﴿وامرأة مؤمنة﴾ الآية، قال: نزلت في أم شريك الدوسية. وأخرج ابن سعد عن منير بن عبد الله الدؤلي أن أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية عرضت نفسها على النبي ﷺ وكانت جميلة فقبلها، فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك، فسماها الله مؤمنة، فقال ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾ فلما نزلت الآية. قالت عائشة: إن الله يسرع لك في هواك.

﴿مَعَكَ﴾: بخلاف من لم يهاجرن ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾: يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: النكاح بلفظ الهبة من غير صداق ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أي المؤمنين ﴿فِيٓ أَزْوَاجِهِمْ﴾: من الأحكام بأن لا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَ﴾: في ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: من الإماء بشراء وغيره بأن تكون الأمة ممن يحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وأن تستبرأ قبل الوطء ﴿لِكَيْلَا﴾: متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ضيق في النكاح

يثرب، ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت في البقيع. قوله: [وجويرية] أي وهي بنت الحرث الخزاعية، وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، فكاتبها فجاءت تسأل النبي ﷺ وعرفته بنفسها فقال: هل لك إلى ما هو خير من ذلك، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك؟ فقالت: نعم، فسمع الناس بذلك، فأعتقوا ما بأيديهم من قومها وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، قالت عائشة: فما رأينا امرأة كانت أعظم في قومها بركة منها، أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق، وقسم لها النبي ﷺ، وكانت بنت عشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين.

قوله: ﴿وبنات عمك وبنات عماتك﴾ أي نساء قريش المنسوبات لأبيك، وقوله: ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ أي نساء بني زهرة المنسوبات لأمك، وحكمة إفراد العم والخال دون العمة والخالة أن العم والخال يعمان إذا أضيفا لكونهما مفردين خاليين من تاء الوحدة، والعمة والخالة لا يعمان لوجود التاء. قوله: [بخلاف من لم يهاجرن] أي فلا يحللن له، وهذا الحكم كان قبل الفتح، حين كانت الهجرة شرطاً في الإسلام، فلما نسخ حكم الهجرة، نسخ هذا الحكم.

قوله: ﴿وامرأته مؤمنة﴾ معطوف على مفعول ﴿أحللنا﴾ اي واما غير المؤمنة فلا تحل له، وظاهر الآية أن النكاح ينعقد في حقه ﷺ بالهبة، وحينئذ فيكون من خصوصياته، والنساء اللاتي وهبن أنفسهن أربع: ميمونة بنت الحرث، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية، وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم. واعلم أنه يحرم على النبي تزوج الحرة الكتابية لما في الحديث: «سألت ربي أن لا أزوج إلا من كان معي في الجنة فأعطاني». ولقوله تعالى ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ ولا يليق أن تكون المشركة أم المؤمنين، ويحرم عليه أيضاً نكاح الأمة ولو مسلمة، لأن نكاحها مشروط بأمرين: خوف العنت، وعدم وجود مهر الحرة، وكلا الأمرين مفقود منه ﷺ، وأما تسريه بالأمة الكتابية ففيه خلاف.

قوله: ﴿إن وهبت نفسها للنبي﴾ أظهر في محل الإضمار تشريفاً لهذا الوصف، وإظهاراً لعظمة قدره عليه.

قوله: ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ هذا الشرط في الشرط الأول، فإن هبتها نفسها لا توجب حلها، إلا إذا أراد نكاحها، بأن يحصل منه القبول بعد الهبة، أو يسألها في ذلك قبل الهبة فتدبر. قوله: ﴿خالصة﴾ مصدر معمول لمحذوف، أي خلصت لك خالصة، ومجيء المصدر على هذا الوزن كثير، كالعاقبة والعافية والكاذبة. قوله: [من غير صداق] أي ومن غير ولي وشهود. قوله: [وغيره] أي كهبة. قوله: [بخلاف المجوسية] الخ فلا تحل لمالكها إلا إذا استسلمها، وذلك كجواري السودان والحبشة والمغرب، لأنهن يجبرن على الإسلام، ولذا لا يجوز للكفار شراؤهن كما هو مقرر في الفقه. قوله: [وأن تستبرأ قبل الوطء] أي كتابية كانت أو مجوسية. قوله: [متعلق بما قبل ذلك] أي وهو قوله: ﴿إنا أحللنا لك﴾ والمعنى: أحللنا لك أزواجك، وما ملكت يمينك، والموهوبة لك، لئلا يكون عليك ضيق. قوله: [لما يعسر التحرز عنه] أي لقولهم إذا ضاق الأمر اتسع.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً﴾: لما يعسر التحرز عنه ﴿رَحِيماً﴾ ٥٠ بالتوسعة في ذلك ﴿تُرْجِيءُ﴾: بالهمزة والياء بدله تؤخر ﴿مَنْ تَشَاءُ مِنهُنَّ﴾: أي أزواجك عن نوبتها ﴿وَتُؤْوِي﴾: تضم ﴿إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾: منهن فتأتيها ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾: طلبت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: في طلبها وضمها إليك خير في ذلك بعد أن كان القسم واجباً عليه ﴿ذَٰلِكَ﴾: التخيير ﴿أَدْنَىٰ﴾: أقرب إلى ﴿أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ﴾: ما ذكر المخير فيه ﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيد للفاعل في يرضين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: من أمر النساء والميل إلى بعضهن وإنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً﴾: بخلقه ﴿حَلِيماً﴾ ٥١: عن عقابهم ﴿لَا تَحِلُّ﴾:

قوله: ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ الخ، اتفق المفسرون على أن المقصود من هذه الآية التوسعة على رسول الله ﷺ في معاشرته لنسائه، واختلفوا في تأويله، وأصح ما قيل فيها: التوسعة على رسول الله ﷺ في ترك القسم، فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته، لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار على النبي ﷺ على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وأقول: أوتهب المرأة نفسها لرجل، فلما أنزل الله عز وجل ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت﴾ قالت: قلت: والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، وقيل: إن ذلك في الواهبات أنفسهن، وحينئذ فيكون المعنى تأخذ من شئت منهن، وتترك من شئت، وقيل: إن ذلك في الطلاق فالمعنى لك طلاق من شئت منهن، وإمساك من شئت، وعلى كل حال، فالآية معناها التوسعة عليه في أمر النساء. قوله: [والياء بدله] أي بدل الهمزة، وحينئذ فهو مرفوع بضمة مقدرة على الياء، منع من ظهورها الثقل. قوله: [عن نوبتها] أي من القسم.

قوله: ﴿ومن ابتغيت﴾ الخ أي التي طلبت ردها إلى فراشك، بعد أن عزلتها وأسقطتها من القسمة، فلا جناح عليك. قوله: [بعد أن كان القسم واجباً عليه] هذا أحد قولين، وقيل: كان مخيراً من أول الأمر، ولم يكن واجباً عليه ابتداء. قوله: ﴿ذلك أدنى أن تقر أعينهن﴾ هذا إشارة إلى حكمة تخييره في القسم وعدم وجوبه عليه، والمعنى لم يجب عليه القسم بين نسائه مع أنه عدل لأن التخيير أقرب إلى سكون أعينهن وعدم حزنهن، وأقرب إلى رضاهن بما حصل لهن، لأنهن إذا علمن أن الله لم يوجب على النبي شيئاً من القسم، وحصل منه القسم تسررن بذلك وقنعن به. قوله: [تأكيد للفاعل] أي فهو بالرفع، وهذه قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بالنصب توكيد للمفعول.

قوله: ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ خطاب للنبي على جهة التعظيم، ويحتمل أن يراد العموم. قوله: [والميل إلى بعضهن] أي بالطبع، فكان يميل إلى بعضهن أكثر، وكان يقول: «اللهم إن هذا حظي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما لا أملك»، واتفق العلماء على أنه ﷺ كان يعدل بينهن في القسمة حتى مات، غير سودة رضي الله عنها، فإنها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها. قوله: ﴿حليماً﴾ [عن عقابهم] أي يعلم العيب ويستره، فينبغي للإنسان أن لا يفرط في حقوقه لأن انتقام الحليم وغضبه أمر عظيم لما في الحديث: «اتقوا غيظ الحليم». ففي الآية ترغيب وترهيب. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٥١: قوله تعالى: ﴿ترجي من تشاء﴾ أخرج الشيخان عن عائشة أنها كانت تقول: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها؟ فأنزل الله ﴿ترجي من تشاء﴾ الآية، فقالت عائشة: أرى ربك يسارع لك في هواك، وأخرج ابن سعد عن أبي رزين قال: هم رسول الله ﷺ أن يطلق من نسائه، فلما رأين ذلك جعلنه في حل من أنفسهن يؤثر من يشاء على من يشاء فأنزل الله ﴿إنا أحللنا أزواجك﴾ الى قوله ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ الآية.

* أسباب نزول الآية ٥٢: قوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾. أخرج ابن سعد عن عكرمة قال: خير رسول الله ﷺ أزواجه فاخترن الله ورسوله، فأنزل الله ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾.

بالتاء والياء ﴿لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾: بعد التسع اللاتي اخترنك ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ﴾: بترك إحدى التاءين في الأصل ﴿بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾: بأن تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: من الإماء فتحل لك وقد ملك ﷺ بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾٥٢: حفيظاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾: في الدخول بالدعاء ﴿إِلَىٰ

[بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بعد التسع] أي بعد اجتماعهن في عصمتك، فهن بمنزلة الأربع لآحاد الأمة، فقد قصر الله نبيه عليهن جزاء لهن على اختيارهن الله ورسوله، وهن التسع اللاتي توفي عنهن وهن: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وصفية بنت حيي، وميمونة بنت الحرث الهلالية، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحرث المصطلقية، وقيل المراد بعد التخيير. قوله: ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امرأتك، وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك، والمراد هنا نهيه عن المفارقة والإبدال بأي وجه. قوله: ﴿من أزواج﴾ ﴿من﴾ زائدة في المفعول.

قوله: ﴿ولو أعجبك حسنهن﴾ حال من فاعل ﴿تبدل﴾. قوله: ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ استثناء متصل من النساء، لأنه يتناول الأزواج والإماء، وقيل منقطع لإخراجه من الأزواج. قوله: [وقد ملك بعدهن مارية] أي القبطية، أهداها له المقوقس ملك القبط، وهم أهل مصر والإسكندرية، وذلك أنه ﷺ بعث له حاطب بن أبي بلتعة بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإنما عليك إثم القبط، و﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾، الآية. فلما جاء حاطب بالكتاب إلى المقوقس وجده في الإسكندرية، فدفعه إليه فقرأه، ثم جعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية، ثم كتب جوابه في كتاب صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وعلمت أن نبياً قد بقي، وما كنت أظن إلا أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، أي فإنه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، أي وهما مارية وسيرين، وعشرين ثوباً من قباطي مصر، وطيباً وعوداً ونداً ومسكاً، مع ألف مثقال من الذهب، ومع قدح من قوارير، وبغلة للركوب، وأهدى إليه جارية أخرى زيادة على الجاريتين، وخصياً يقال له مابور، والبغلة هي دلدل وكانت شهباء، وفرساً وهو اللزاز، فإنه سأل حاطباً: ما الذي يحب صاحبك من الخيل؟ فقال له الأشقر، وقد تركت عنده فرساً يقال لها المرتجز، فانتخب له فرساً من خيل مصر الموصوفة، فأسرج وألجم، وهو فرسه الميمون، وأهدى إليه عسلاً من عسل بنها، قرية من قرى مصر، فأعجب به ﷺ وقال: إن كان هذا عسلكم، فهذا أحلى، ثم دعا فيه بالبركة. قوله: [وولدت له إبراهيم] أي في ذي الحجة سنة ثمان، وعاش سبعين يوماً، وقيل: سنة وعشرة أشهر، وقوله: [ومات في حياته] أي ولم يصل عليه بنفسه، بل أمرهم فصلوا عليه.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الخ هذه الآية نزلت في شأن وليمة زينب بنت جحش، حين

---

* أسباب نزول الآية ٥٣: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا﴾ الآية، تقدم حديث عمر في سورة البقرة. وأخرج الشيخان عن أنس قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام. وقعد ثلاثة ثم انطلقوا، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم انطلقوا، فجاء حتى دخل، وذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني

طَعَامٍ﴾: فتدخلوا ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾: منتظرين ﴿إِنَاهُ﴾: نضجه مصدر أنى يأني ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا﴾: تمكثوا ﴿مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: من بعضكم لبعض ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾: المكث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾: أن يخرجكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾: أن يخرجكم أي لا يترك بيانه وقرىء

بنى بها رسول الله ﷺ، عن أنس بن مالك قال: كنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وكان أول ما أنزل في بناء رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، حين أصبح النبي ﷺ بها عروساً، فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط عند النبي ﷺ فأطالوا المكث، فقام رسول الله ﷺ فخرج، وخرجت معه لكي يخرجوا، فمشى النبي ﷺ ومشيت، حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، حتى إذا دخل على زينب، فإذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع النبي ﷺ ورجعت حتى إذا بلغ حجرة عائشة، وظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي ﷺ بيني وبينه الستر، وأنزل الحجاب. قوله: ﴿إلا أن يؤذن لكم﴾ أي إلا بسبب الإذن لكم.

قوله: ﴿إلى طعام﴾ متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعي كما قدره المفسر. قوله: [فتدخلوا] ﴿غير ناظرين إناه﴾ هذا التقدير غير مناسب لأنه يقتضي أن الدخول مع الإذن لا يجوز معه انتظار نضج الطعام، مع أنه يجوز، فالمناسب حذف هذا التقدير، إذ هذه الآية نزلت في قوم كانوا يدخلون من غير إذن، وينتظرون نضج الطعام، فنهاهم الله عن كل من الأمرين. والحاصل أن أسباب النزول في هذه الآيات تعددت، منها أن قوماً كانوا يدخلون بيوت النبي بغير دعوى وينتظرون نضج الطعام، ومنها أن قوماً كانوا يدخلون بإذن ويتخلفون بعدما طعموا مستأنسين لحديث، ومنها مؤاكلة الأجانب مع رسول الله ﷺ بحضور زوجاته، فنزلت آية الحجاب، ونهى عن ذلك كله، وهذه آيات الحجاب لخصوص أمهات المؤمنين، وأما لعموم الأمة، فقد تقدم في سورة النور تأمل. قوله: [مصدر أنى يأني] أي من باب رمى، وقياس مصدره أني، لكن لم يسمع، وإنما المسموع إنى بالكسر والقصر.

قوله: ﴿فإذا طعمتم﴾ أي أكلتم الطعام. قوله: ﴿فانتشروا﴾ أي اذهبوا حيث شئتم في الحال، ولا تمكثوا بعد الأكل والشرب. قوله: ﴿ولا﴾ [تمكثوا] ﴿مستأنسين﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿مستأنسين﴾ حال من محذوف، وذلك المحذوف معطوف على انتشروا. قوله: ﴿كان يؤذي النبي﴾ أي لتضييقه عليه. قوله: ﴿فيستحيي منكم﴾ أي من إخراجكم. قوله: ﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ المراد بالحق إخراجكم من منزله، وأطلق الاستحياء في حق الله، وأريد لازمه وهو ترك البيان. قوله: [بيان واحدة] أي قراءة شاذة في الثاني. قوله: ﴿فاسألوهن من وراء حجاب﴾ روي

= وبينه، وأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الى قوله ﴿إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾. وأخرج الترمذي وحسنه عن أنس قال: كنت مع رسول الله ﷺ فأتى باب امرأة عرس بها فإذا عندها قوم، فانطلق ثم رجع وقد خرجوا فدخل فأرخى بيني وبينه ستراً فذكرته لأبي طلحة فقال: لئن كان كما تقول لينزلن في هذا شيء، فنزلت آية الحجاب.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت: كنت آكل مع النبي ﷺ في قعب فمر عمر، فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال: أوه لو أطاع فيكن ما رأتكن عين، فنزلت آية الحجاب. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: دخل رجل على النبي ﷺ فأطال الجلوس فخرج النبي ﷺ ثلاث مرات ليخرج فلم يفعل، فدخل عمر فرأى الكراهية في وجهه، فقال للرجل: لعلك آذيت النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: لقد قمت ثلاثاً لكي يتبعني فلم يفعل، فقال له عمر: يا رسول الله، لو اتخذت حجاباً فإن نساءك لسن كسائر النساء وذلك أطهر لقلوبهن، فنزلت آية الحجاب. قال الحافظ ابن حجر: يمكن الجمع بأن ذلك وقع قبل قصة زينب فلقربه منها أطلق نزول آية الحجاب بهذا السبب ولا مانع من تعدد الأسباب.

وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا نهض الى بيته بادروه فأخذوا المجالس فلا يعرف ذلك في وجه رسول الله ﷺ ولا يبسط يده الى الطعام استحياء منهم فعوتبوا في ذلك، فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الآية. =

يستحي بياء واحدة ﴿وإذا سألتموهن﴾: أي أزواج النبي ﷺ ﴿متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾: ستر ﴿ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾: من الخواطر المريبة ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾: بشيء ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله﴾ ذنباً ﴿عظيماً﴾ ٥٣ ﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه﴾: في نكاحهن بعده ﴿فإن الله كان بكل شيء عليماً﴾ ٥٤: فيجازيكم عليه ﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن﴾: أي المؤمنات ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾: من الإماء والعبيد أن يروهن

أن عمر قال: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت، وروي أن رسول الله ﷺ كان يأكل ومعه بعض أصحابه، فأصابت يد رجل منهم عائشة، وهي تأكل معهم، فكره النبي ذلك، فنزلت هذه الآية. قوله: ﴿ذلكم﴾ أي ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن، وعدم الاستئناس للحديث، وسؤال المتاع من وراء الحجاب. قوله: [من الخواطر المريبة] أي أنفى وأبعد لدفع الريبة والتهمة، وهو يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة، مع من لا تحل له، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه.

قوله: ﴿وما كان لكم﴾ أي ما صح وما استقام لكم، وقوله: ﴿أن تؤذوا﴾ هو اسم ﴿كان﴾، و﴿لكم﴾ خبرها، و﴿أن تنكحوا﴾ عطف على اسم ﴿كان﴾ نزلت هذه الآية في رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبيد الله، قال في سره: إذا قبض رسول الله ﷺ نكحت عائشة، ثم ندم هذا الرجل، ومشى على رجليه، وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله، وأعتق رقبة، فكفر الله عنه. قوله: ﴿من بعده﴾ أي بعد وفاته أو فراقه، ولو قبل الدخول بها، لأن كل من عقد عليها رسول الله ﷺ يتأبد تحريمها على أمته، وأما إماؤه فلا يحرمن على غيره إلا بمسيسه لهن. قوله: ﴿إن ذلكم﴾ أي ما ذكر من إيذائه ونكاح أزواجه من بعده. قوله: ﴿إن تبدوا شيئاً﴾ أي تظهروه على ألسنتكم، وقوله: ﴿أو تخفوه﴾ أي في صدوركم، وقوله: [فيجازيكم عليه] جواب الشرط، وقوله: ﴿فإن الله كان بكل شيء عليماً﴾ تعليل للجواب وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾.

قوله: ﴿لا جناح عليهن في آبائهن﴾ الخ هذا في المعنى مستثنى من قوله: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً﴾ الآية، روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال آباؤهن وأبناؤهن: يا رسول الله أو نكلمهن أيضاً من وراء حجاب، فنزلت هذه الآية. قوله: ﴿في آبائهن﴾ أي أصولهن وإن علوا، وقوله: ﴿ولا أبنائهن﴾ المراد فروعهن وإن سفلوا. قوله: ﴿ولا نسائهن﴾ الإضافة من حيث المشاركة في الوصف وهو الإسلام، فقول المفسر [أي المؤمنات] تفسير للمضاف، ومفهومه أن النساء الكافرات لا يجوز لهن النظر لأزواج النبي ﷺ وهو كذلك، ولا مفهوم لأزواج النبي، بل جميع النساء

= قوله تعالى: ﴿وما كان لكم﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: بلغ النبي ﷺ أن رجلا يقول: لو قد توفي النبي ﷺ تزوجت فلانة من بعده، فنزلت ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ الآية. وأخرج عن ابن عباس قال: نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده. قال سفيان: ذكروا أنها عائشة. وأخرج عن السدي قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أيحجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده، فأنزلت هذه الآية.

وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن عمرو بن حزم قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنه قال: إذا توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة. وأخرج جويبر عن ابن عباس: أن رجلا أتى بعض أزواج النبي ﷺ فكلمها وهو ابن عمها، فقال النبي ﷺ: لا تقومن هذا المقام بعد يومك هذا، فقال: يا رسول الله، إنها ابنة عمي والله ما قلت لها منكراً ولا قالت لي قال النبي ﷺ: قد عرفت ذلك إنه ليس أحد أغير من الله، وإنه ليس أحد أغير مني. فمضى ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمي لأتزوجنها من بعده، فأنزل الله هذه الآية. قال ابن عباس: فأعتق ذلك الرجل رقبة وحمل على عشرة أبعرة في سبيل الله، وحج ماشياً توبة من كلمته.

ويكلموهن من غير حجاب ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾: فيما أمرتن به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا﴾ ٥٥: لا يخفى عليه شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾: محمد ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ ٥٦: أي قولوا اللهمّ صلِّ على محمدٍ وسلِّمْ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: وهم الكفار يصفون الله بما هو منزه عنه من

المسلمات كذلك، فلا يحل للمسلمة أن تبدي شيئاً منها للكافرة، لئلا تصفها لزوجها الكافر. قوله: ﴿واتقين الله﴾ عطف على محذوف، والتقدير امتثلن ما أمرتن به، واتقين الله، وحكمة تخصيص الحجاب هنا بأمهات المؤمنين، وإن تقدم في سورة النور عموماً دفع توهم أن أزواج النبي كالأمهات من كل وجه، فأفاد هنا أنهن كالأمهات في التعظيم والتوقير، لا في الخلوة والنظر، فإنهن كالأجانب بل هن أشد، فذكر لهن حجاباً مخصوصاً، فلا يقال إنه مكرر مع ما تقدم في النور. قوله: [لا يخفى عليه شيء] أي من الطاعات والمعاصي الظاهرة والخفية.

قوله: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ الخ هذه الآية فيها أعظم دليل على أنه ﷺ مهبط الرحمات، وأفضل الخلق على الإطلاق، إذ الصلاة من الله على نبيه، رحمته المقرونة بالتعظيم، ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة، لقوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ فانظر الفرق بين الصلاتين، والفضل بين المقامين. قوله: ﴿وملائكته﴾ بالنصب معطوف على اسم ﴿إن﴾، وقوله: ﴿يصلون﴾ خبر عن الملائكة، وخبر لفظ الجلالة محذوف تقديره: إن الله يصلي وملائكته يصلون، وهذا هو الأتم لتغاير الصلاتين، والمراد بالملائكة جميعهم، والصلاة من الملائكة الدعاء للنبي بما يليق به، وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم، وحينئذ فقد وسعت رحمة النبي كل شيء، تبعاً لرحمة الله، فصار بذلك مهبط الرحمات، ومنبع التجليات.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ أي ادعوا له بما يليق به، وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي تشريفهم بذلك، حيث اقتدوا بالله في مطلق الصلاة، وإظهار تعظيمه ﷺ، ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم، وحق على من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه، فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه. إن قلت: إن صلاتهم طلب من الله أن يصلي عليه، وهو مصل عليه مطلقاً طلبوا أو لا؟ أجيب: بأن الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته ﷺ، طلبوا من القادر المالك أن يكافئه، ولا شك أن الصلاة الواصلة للنبي ﷺ من الله لا تقف عند حد، فكلما طلبت من الله زادت على نبيه، فهي دائمة بدوام الله.

قوله: ﴿وسلموا تسليماً﴾ إن قلت: خص السلام بالمؤمنين، دون الله والملائكة. أجيب: بأن هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر ما يؤذي النبي، والأذية إنما هي من البشر، فناسب التخصيص بهم، لأن في السلام سلامة من الآفات، وأكد السلام دون الصلاة، لأنها لما أسندت لله وملائكته، كانت غنية عن التأكيد. واعلم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي ﷺ، ثم اختلفوا في تعيين الواجب، فعند مالك تجب الصلاة والسلام في العمر مرة، وعند الشافعي تجب في التشهد الأخير من كل فرض، وعند غيرهما تجب في كل مجلس مرة، وقيل: تجب عند ذكره، وقيل: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد، وبالجملة فالصلاة على النبي أمرها عظيم، وفضلها جسيم، وهي من أفضل الطاعات، وأجل القربات، حتى قال بعض العارفين: إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ، لأن الشيخ والسند فيها صاحبها، لأنها تعرض عليه، ويصلي على المصلي بخلاف غيرها من الأذكار، فلا بد فيها من الشيخ العارف، وإلا دخلها الشيطان، ولم ينتفع صاحبها بها. قوله: [أي قولوا اللهم صل على محمد وسلم] أي اجمعوا بين الصلاة والسلام، وصيغ الصلاة على النبي ﷺ كثيرة لا تحصى، وأفضلها ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب، فمن تمسك بأي صيغة منها، حصل له الخير العظيم.

الولد والشريك ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾: أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ٥٧: ذا إهانة وهو النار ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾: يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَانًا﴾: تحملوا كذباً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ٥٨: بيناً ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾: جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة أي يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عيناً واحدة ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ﴾: أقرب إلى ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾: بأنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾: بالتعرض لهن بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن فكان المنافقون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾: لما سلف منهن من ترك الستر ﴿رَّحِيمًا﴾ ٥٩: بهن إذ سترهن ﴿لَّئِن﴾: لام قسم ﴿لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ﴾: عن نفاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾:

قوله: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ الإيذاء في حق الله معناه تعدي حدوده، وفي حق الرسول ظاهر. قوله: [وهم الكفار] أي اليهود والنصارى والمشركون. قوله: ﴿لعنهم الله في الدنيا﴾ أي حجبهم عن الطاعة والتوحيد. قوله: ﴿والآخرة﴾ أي بتخليدهم في العذاب الدائم. قوله: [أبعدهم] أي عن رحمته. قوله: [ذا إهانة] أي هوان واستخفاف.

قوله: ﴿والذين يؤذون المؤمنين﴾ الخ، قيل: نزلت في علي بن أبي طالب، كانوا يؤذونه ويسمعونه، وقيل: نزلت في شأن عائشة رضي الله عنها، وقيل: نزلت في شأن المنافقين الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يطلبون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فإن سكتت المرأة اتبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها، وفي هذه الآية زجر لمن يسيء الظن بالمؤمنين والمؤمنات، ويتكلم فيهم من غير علم، وهي بمعنى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾.

قوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ الخ، سبب نزولها: أن المنافقين كانوا يتعرضون للنساء بالأذية، يريدون منهن الزنا، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل واحد، تخرج الحرة والأمة في درع وخمار، فتكون ذلك لأزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت. قوله: ﴿يدنين﴾ أي يرخين ويغطين. قوله: [التي تشتمل بها] أي تتغطى وتتستر بها المرأة من فوق الدرع والخمار. قوله: [فلا يغطين وجوههن] أي فكن لا يغطين وجوههن، وهذا فيما مضى، وأما الآن فالواجب على الحرة والأمة الستر بثياب غير مزينة خوف الفتنة. قوله: [لما سلف منهن من ترك الستر] ورد أن عمر بن الخطاب مر بجارية متقنعة، فعلاها بالدرة وقال لها أتتشبهين بالحرائر يا لكاع، ألقي القناع.

قوله: ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ أي كعبد الله بن أبي وأصحابه. قوله: ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ أي فجور

---

* أسباب نزول الآية ٥٧: قوله تعالى: ﴿إن الذين يؤذون﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ الآية. قال: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن أبي وناس معه قذفوا عائشة. فخطب النبي ﷺ وقال: من يعذرني من رجل يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني. فنزلت.
* أسباب نزول الآية ٥٩: قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك﴾ الآية. أخرج البخاري عن عائشة قالت خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله اليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي مالك قال: كان نساء النبي ﷺ يخرجن بالليل لحاجتهن، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذين، فشكوا ذلك فقيل ذلك للمنافقين فقالوا: إنما نفعله بالإماء، فنزلت هذه الآية ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ ثم أخرج نحوه عن الحسن ومحمد بن كعب القرظي.

بالزنا ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: المؤمنون بقولهم قد أتاكم العدو وسراياكم قتلوا أو هزموا ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾:
لنسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾: يساكنونك ﴿فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٦٠: ثم يخرجون ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ مبعدين عن
الرحمة ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾: وجدوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ ٦١: أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾: أي
سن الله ذلك ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾: من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ
تَبْدِيلًا﴾ ٦٢: منه ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾: أي أهل مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: متى تكون ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا
يُدْرِيكَ﴾: يعلمك بها أي أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا﴾ ٦٣ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَافِرِينَ﴾: أبعدهم
﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ٦٤: ناراً شديدة يدخلونها ﴿خَالِدِينَ﴾: مقدراً خلودهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾: يحفظهم
عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ٦٥: يدفعها عنهم ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا

وهم الزناة، وهم من جملة المنافقين. قوله: ﴿والمرجفون في المدينة﴾ أي بالكذب، وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجت سرايا ﷺ يوقعون في الناس أنهم قد قتلوا وهزموا ويقولون: قد أتاكم العدو. قوله: [لنسلطنك عليهم] أي فتخرجهم من مجلسك وتقتلهم، وقد فعل بهم ﷺ ذلك، فإنه لما نزلت سورة براءة، جمعهم وصعد على المنبر فقال النبي ﷺ: يا فلان قم فاخرج فإنك منافق، ويا فلان قم، فقام إخوانهم من المسلمين، وتولوا إخراجهم من المسجد. قوله: ﴿ملعونين﴾ حال من محذوف قدره المفسر بقوله: [ثم يخرجون]. قوله: [أي الحكم فيهم هذا] أي الأخذ والقتل. قوله: [على جهة الأمر به] أي أن الآية خبر بمعنى الأمر. [أي سن الله ذلك] أشار بذلك إلى أن سنة مصدر مؤكد، وفيه تسلية للنبي ﷺ، أي فلا تحزن على وجود المنافقين في قومك، فإنه سنة قديمة، كما كان في قوم موسى، منهم موسى السامري وأتباعه، وقارون وأتباعه. قوله: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ أي تغييراً ونسخاً، لكونها بنيت على أساس متين، فليست مثل الأحكام التي تتبدل وتنسخ.

قوله: ﴿يسألك الناس﴾ أي على سبيل الاستهزاء والسخرية لأنهم ينكرونها. واعلم أن السائل للنبي عن الساعة أهل مكة واليهود، فسؤال أهل مكة استهزاء، وسؤال اليهود امتحان، لأن الله أخفى علمها في التوراة، فإن أجابهم بالتعيين ثبت عندهم كذبه، وإن أجابهم بقوله: علمها عند ربي مثلاً، ثبتت نبوته وصدقه، فقول المفسر [أي أهل مكة] أي واليهود. قوله: ﴿عن الساعة﴾ أي عن أصل ثبوتها، وعن وقت قيامها. قوله: ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ أي لم يطلع عليها أحد، وهذا إنما هو وقت السؤال، وإلا فلم يخرج نبينا ﷺ من الدنيا، حتى أطلعه الله على جميع المغيبات ومن جملتها الساعة، لكن أمر بكتم ذلك.

قوله: ﴿وما يدريك﴾ ﴿ما﴾ استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿يدريك﴾ خبره، والاستفهام إنكاري. قوله: ﴿لعل الساعة تكون قريباً﴾ ﴿لعل﴾ حرف ترج ونصب، و﴿الساعة﴾ اسمها، وجملة ﴿تكون﴾ خبرها، و﴿قريباً﴾ حال وتكون تامة، ولذا فسرها بتوجد، والمعنى قل أترجي وجود الساعة عن قريب، فكل منهما جملة مستقلة لما ورد: أن الدنيا سبعة آلاف سنة، بعث رسول الله ﷺ في الألف السابع، فلم يبق من الدنيا إلا القليل. قوله: [أبعدهم] أي عن رحمته. قوله: [مقدراً خلودهم] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خالدين﴾ حال مقدرة. قوله: ﴿فيها﴾ أي في السعير، وأنثه مراعاة لمعناه. قوله: ﴿أبداً﴾ تأكيد لما استفيد من قوله: ﴿خالدين﴾.

قوله: ﴿يوم تقلب﴾ إما ظرف لخالدين، أو ليقولون مقدم عليه، والمعنى تصرف من جهة إلى جهة، كاللحم يشوى بالنار. قوله: ﴿يقولون يا ليتنا﴾ كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ماذا صنعوا عند ذلك؟ فقيل:

﴿ٱلرَّسُولَا﴾ ٦٦ ﴿وَقَالُوا﴾: أي الأتباع منهم ﴿رَبَّنَا إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾: وفي قراءة ساداتنا جمع الجمع ﴿وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا﴾ ٦٧: طريق الهدى ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: أي مثلي عذابنا ﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾: عذبهم ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾ ٦٨: عدده وفي قراءة بالموحدة أي عظيماً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا﴾: مع نبيكم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ﴾: بقولهم مثلاً ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾: بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففر الحجر به حتى وقف بين ملأ من بني إسرائيل فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به فرأوه لا أدرة به وهي نفخة في الخصية ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ ٦٩: ذا جاه. ومما أوذي به نبينا ﷺ أنه قسم قسماً فقال رجل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى فغضب النبي ﷺ من ذلك وقال: «يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» رواه البخاري ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ٧٠: صواباً ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: يتقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ٧١: نال غاية مطلوبه ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾: الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾: بأن خلق فيها فهماً ونطقاً

يقولون متحسرين على ما فاتهم ﴿يا ليتنا﴾ الخ. قوله: ﴿وأطعنا الرسولا﴾ بألف بعد اللام، ويبدونها هنا، وفي قوله: ﴿السبيلا﴾ قراءتان سبعيتان، وتقدم التنبيه على ذلك. قوله: ﴿سادتنا﴾ جمع إما لسيد أو لسائد على غير قياس. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [جمع الجمع] أي جمع تصحيح بالألف والتاء لسادة، الذي مفرده إما سيد أو سائد. قوله: [أي مثلي عذابنا] أي لأنهم ضلوا وأضلوا. قوله: [وفي قراءة بالموحدة] أي وهما سبعيتان. قوله: [ما يمنعه أن يغتسل معنا] الخ أي لما روي أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا، إلا أنه آدر، فذهب يوماً يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فجعل موسى عليه السلام يعدو إثره يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل سوأة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظروا إليه، فأخذ ثوبه فاستتر به، وطفق بالحجر ضرباً، قال أبو هريرة: والله إن به ندباً، أي أثراً، ستة أو سبعة من ضرب موسى.

قوله: ﴿فبرأه الله﴾ أي أظهر له براءته لهم. قوله: [وهي نفخة في الخصية] أي بسبب انصباب مادة أو ريح غليظ فيها. قوله: ﴿وكان عند الله وجيهاً﴾ المراد عنديه مكانة وقدر لا مكان. قوله: [فغضب النبي من ذلك] أي وقال كما في رواية: «إن لم أعدل من يعدل، خسرت وندمت إن لم أعدل». قوله: ﴿قولاً سديداً﴾ المراد قولاً فيه رضا الله، بأن يكون مما يعني الإنسان، فدخل في ذلك جميع الطاعات القولية، وهذا التفسير أتم من غيره. قوله: [يتقبلها] أي يثبكم عليها. قوله: ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ أي يمحها من الصحف، أو يسترها عن الملائكة.

قوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال﴾ اختلف في المراد بالأمانة، فأحسن ما قيل فيها: إنها التكاليف الشرعية، وقيل: إنها قواعد الدين الخمس، وقيل: هي الودائع، وقيل: الفرج، وقيل: غير ذلك، روي أن الله تعالى قال للسماوات والأرض والجبال: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتن جوزيتن، وإن عصيتن عوقبتن، قلن: لا يا رب نحن مسخرات لأمرك، لا نريد ثواباً ولا عقاباً، وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله لئلا يقمن بها، لا معصية ولا مخالفة لأمره، وكان العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً، ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها. قوله: [من الثواب] بيان لما، أي عرضناها مع الثواب والعقاب على السماوات الخ. قوله: [بأن خلق فيها فهماً] أي حتى عقلت الخطاب، وقوله: [ونطقاً] أي حتى ردت الجواب.

﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾: خفن ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنْسَانُ﴾: آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً﴾: لنفسه بما حمله ﴿جَهُولاً﴾ ٧٢: به ﴿لِيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾: اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم ﴿ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ﴾: المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾: المؤدين الأمانة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً﴾: للمؤمنين ﴿رَحِيماً﴾ ٧٣: بهم.

قوله: ﴿فأبين أن يحملنها﴾ أي استصغاراً أو خوفاً من عدم الوفاء بها، فليس إباؤهن كإباء إبليس من السجود لآدم؛ لأن السجود كان فرضاً، والأمانة كانت عرضاً، وإباؤه استكباراً، وإباؤهن استصغاراً. قوله: ﴿وأشفقن منها﴾ أي خفن من عدم القيام بها وعدم أدائها. قوله: ﴿وحملها الإنسان﴾ عطف على محذوف تقديره فعرضناها على الإنسان فحملها. قوله: [بعد عرضها عليه] روي أن الله عز وجل قال لآدم: إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم تطقها. فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت، وإن أسأت عوقبت، فحملها آدم فقال: بين أذني وعاتقي، قال الله تعالى: أما إذا تحملت فسأعينك، وأجعل لبصرك حجاباً، فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل، فأرخ عليه حجابه، وأجعل للسانك لحيين وغلاقاً، فإذا خشيت فأغلق عليه، وأجعل لفرجك لباساً، فلا تكشفه على ما حرمت عليك، قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها، وبين أن أخرج من الجنة، إلا مقدار ما بين الظهر إلى العصر.

قوله: ﴿إنه كان ظلوماً﴾ [لنفسه] أي حيث حملها ما لا تطيقه، وقوله: ﴿جهولاً﴾ [به] أي بما حمله، وقيل جهولاً بقدر ربه؛ لأنه لا يعلم قدره غيره، وهذا يناسب تفسير الإنسان بآدم، وعود الضمير عليه، وإن أريد بالضمير ما يشمله وأولاده، فيكون في الكلام استخدام، فيقال في الأنبياء والصالحين منهم كذلك، وفي غيرهم الظلم والجهل، من حيث خيانته في الأمانة ومجاوزته حد الشرع.

قوله: ﴿ليعذب الله المنافقين﴾ اللام للعاقبة والصيرورة على حد ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

قوله: ﴿وكان الله غفوراً﴾ [للمؤمنين] أي حيث عفا عما سلف منهم. قوله: ﴿رحيماً﴾ [بهم] أي حيث أثابهم وأكرمهم بأنواع الكرامات، وحكمة إخبار الأمة بما حصل من تحمل آدم الأمانة ليكونوا على أهبة، ويعرفوا أنهم متحملون أمراً عظيماً لم تقدر على حمله الأرض والسماوات والجبال، وقيل في حق المعصوم: إنه كان ظلوماً جهولاً.

***

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٣٤]- سورة سبأ

[مكية إلا ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ الآية وهي أربع أو خمس وخمسون آية]

﴿الحمدُ لله﴾: حمد تعالى نفسه بذلك والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل لله تعالى ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾: ملكاً وخلقاً ﴿وله الحمد في الآخرة﴾: كالدنيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وهو الحكيم﴾: في فعله ﴿الخبير﴾: بخلقه ﴿يعلم ما يلج﴾: يدخل ﴿في الأرض﴾: كماء

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة سبأ مكية

إلا ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ الآية. وهي أربع أو خمس وخمسون آية

بالصرف وتركه كما سيأتي، سميت بذلك لذكر قصة سبأ فيها، من باب تسمية الشيء باسم بعضه. قوله: [حمد تعالى] من باب فهم. قوله: [المراد به] بالجر نعت لاسم الإشارة. قوله: [الثناء بمضمونه] أي إنشاء الثناء بمضمونه، وهو الوصف بالجميل، وليس المراد إنشاء المضمون، لأن اتصافه بالجميل أزلي ثابت له سبحانه وتعالى، وإنما تعبدنا الله تعالى بتجديد حمد موافق للحمد الأزلي، وهذا يؤيد قول بعض العلماء: إن أل في الحمد عهدية، لأن الله لما علم عجز خلقه عن كنهه، حمد نفسه بنفسه أزلاً، وأمرهم أن يحمدوه بحمد موافق لحمده، فتحصل أن الوصف بالجميل ثابت لله أزلاً، وإنشاء الثناء به حادث. فقول الله تعالى ﴿الحمد لله﴾ اللفظ والتلفظ حادثان دالان على معنى قديم، وهو اتصاف الله بالجميل. إن قلت: الحمد مدح، ومدح النفس مذموم بين الخلق، فما وجه ذلك؟ أجيب: بأن أوصاف الرب لا تقاس على أوصاف العبيد، ألا ترى الاتصاف بالعظمة والكبرياء، فإنها نقص في الخلق، كمال في الخالق، وبهذا انهدم قول المعتزلة: إن كل ما حسنه العقل يوصف به الرب، وكل ما قبحه العقل ينزه عنه، وبنوا على ذلك أموراً فاسدة منها وجوب الصلاح والأصلح، وغير ذلك. قوله: [ملكاً وخلقاً] أي إن كل ما في السماوات وما في الأرض، مملوك ومخلوق له سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ أي في نظير النعم التي تعطى لأهل الإيمان، فالحمد في الآخرة مخصوص بمن آمن، وأما الكفار فليسوا من أهله. قوله: [كالدنيا] أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء. قوله: [يحمده أولياؤه] المراد بهم المؤمنون. قوله: [إذا دخلوا الجنة] أي فيقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، الحمد لله الذي صدقنا وعده.

قوله: ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ أي فلا اعتراض عليه في فعل من الأفعال.

وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: كنبات وغيره ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من رزق وغيره ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾: يصعد ﴿فِيهَا﴾: من عمل وغيره ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾: بأوليائه ﴿الْغَفُورُ﴾[٢]: لهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾: القيامة ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾: بالجر صفة والرفع خبر مبتدأ وعالم بالجر ﴿لَا يَعْزُبُ﴾: يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغر نملة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٣]: بين هو اللوح المحفوظ ﴿لِيَجْزِيَ﴾: فيها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٤]: حسن في الجنة ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي﴾: إبطال ﴿آيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿مُعَجِّزِينَ﴾: وفي قراءة هنا وفيما يأتي معاجزين أي مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا فيفوتونا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾: سيء العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾[٥]: مؤلم

قوله: ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ تفصيل لبعض معلوماته التي تعلق بها مصالح الدين والدنيا. قوله: [كماء وغيره] أي كالكنوز والأموات. قوله: [كنبات وغيره] أي كالكنوز والأموات إذا أخرجت من القبور. قوله: [من رزق وغيره] أي كالبركات والملائكة والصواعق. قوله: ﴿وما يعرج فيها﴾ ضمن العروج معنى الاستقرار، فعداه بفي دون إلى. قوله: [من عمل وغيره] أي كالملائكة، فهو سبحانه وتعالى محيط بجميع ذلك. قوله: ﴿الغفور﴾ [لهم] أي إذا عصوه أو فرطوا في بعض حقوقه، وفي ذلك إشارة إلى أن رحمة الله وغفرانه مختصان بمن يدخل الجنة، وهذا في الآخرة، وأما في الدنيا، فرحمته وسعت كل شيء. قوله: ﴿لا تأتينا الساعة﴾ أراد الكفار بضمير التكلم جميع الخلق لا خصوص أنفسهم، وأرادوا أيضاً بنفي إتيانها، نفي وجودها لا عدم حضورها، مع كونها في نفس الأمر.

قوله: ﴿قل بلى﴾ رد لكلامهم لأن كلامهم نفي. فأجيب بالنفي، ونفي النفي إثبات. قوله: ﴿وربي﴾ أتى بالقسم تأكيداً للرد، وقوله: ﴿عالم الغيب﴾ تقوية للتأكيد، والحكمة في وصفه تعالى بهذا الوصف، الاهتمام بشأن المقسم عليه. قوله: [بالجر] الخ أي فالقراءات الثلاث سبعيات وجهان في صيغة اسم الفاعل، ووجه واحد في صيغة المبالغة. قوله: ﴿لا يعزب﴾ بضم الزاي في قراءة الجمهور، وكسرها في قراءة الكسائي. قوله: ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ الخ قرأ العامة بضم الراء في أصغر وأكبر على أنه مبتدأ، وخبره قوله: ﴿إلا في كتاب مبين﴾ وقرىء بفتح الراء، على أن لا نافية للجنس، و﴿أصغر﴾ اسمها، وقوله: ﴿إلا في كتاب مبين﴾ خبرها، والمعنى على كل من القراءتين واحد، وهو أن كل ما كان، وما يكون، وما هو كائن من سائر المخلوقات ثابت في اللوح المحفوظ ومبين فيه زيادة على تعلق علم الله به وإثباتها في اللوح لا لاحتياج تنزه الله عنه. إن قلت: أي حاجة إلى ذكر الأكبر بعد الأصغر، إذ هو مفهوم بالأولى؟ أجيب: بأنه لرفع توهم أن إثبات الأصغر خوف توهم النسيان، وأما الأكبر فلا ينسى، فلا حاجة إلى إثباته، فأفاد أن كلاً مرسوم في اللوح المحفوظ لا لاحتياج.

قوله: ﴿ليجزي الذين آمنوا﴾ الخ علة لقوله: ﴿لتأتينكم﴾ كأنه قال: لتأتينكم لأجل جزاء المؤمنين والكافرين، واللام للعاقبة والصيرورة. قوله: [حسن في الجنة] أي محمود العاقبة، وأعظمه رؤية الله تعالى. قوله: ﴿والذين سعوا﴾ عطف على قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ وما بينهما اعتراض سيق لبيان جزاء المؤمنين، وهذا أحسن من جعله مبتدأ خبره ﴿أولئك لهم عذاب﴾ الخ. قوله: [في إبطال] ﴿آياتنا﴾ أي بالطعن فيها ونسبتها إلى الأكاذيب. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [مقدرين عجزنا] الخ لف ونشر مرتب، والمعنى مؤملين أنهم يعجزون رسولنا بسبب سعيهم في إبطال القرآن. قوله: [أو مسابقين لنا] أي مغالبين لنا بسبب طعنهم في القرآن، ظانين أن مغالبتهم تمنع عنهم

بالجرّ والرفع صفة لرجز وعذاب ﴿وَيَرَى﴾: يعلم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: أي القرآن ﴿هُوَ﴾ فصل ﴿الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ﴾: طريق ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾٦: أي الله ذي العزة المحمود ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي قال بعضهم على جهة التعجيب لبعض ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾: هو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾: قطعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: بمعنى تمزيق ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾٧ ﴿أَفْتَرَى﴾: بفتح الهمزة للاستفهام واستغني بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: في ذلك ﴿أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون تخيل به ذلك قال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِي الْعَذَابِ﴾: فيها ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾٨: عن الحق في الدنيا ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾: ينظروا ﴿إِلَى مَا بَيْنَ

العذاب، وذلك أن القرآن يثبت البعث والعذاب لمن كفر، فيطعنون فيه ويريدون إبطاله، لظنهم أن ذلك الإبطال ينفعهم، فيفروا من البعث والعذاب لاعتقادهم بطلانه. قوله: [لظنهم أن لا بعث] الخ علة لقوله: ﴿سعوا﴾. قوله: [بالجر والرفع] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿ويرى﴾ إما بالرفع بضمة مقدرة على الاستئناف، أو بالنصب على أنه معطوف على يجزي، فقول المفسر [يعلم] يصح قراءته بالوجهين، و﴿الذين﴾ فاعل، و﴿الذي أنزل﴾ مفعول أول وهو ضمير فصل، و﴿الحق﴾ مفعول ثان. وقوله: ﴿ويهدي﴾ إما عطف على ﴿الحق﴾ من باب عطف الفعل على الاسم الخالص، كأنه قيل: ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك الحق وهادياً، أو مستأنف، أو حال بتقدير وهو يهدي. قوله: [مؤمنو أهل الكتاب] هذا أحد أقوال، وقيل: المراد، بهم أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل: جميع المسلمين. قوله: ﴿العزيز﴾ أي عديم النظير والشبيه والمثيل، أو من عز بمعنى قهر وغلب. قوله: ﴿الحميد﴾ فعيل بمعنى مفعول، أي محمود في ذاته وصفاته وأفعاله. قوله: [هو محمد] نكروه تجاهلاً وسخرية، كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل، مع أنه عندهم أشهر من الشمس في رائعة النهار.

قوله: ﴿إذا مزقتم﴾ يتعين أن عامل الظرف محذوف تقديره تبعثون وتحشرون إذا مزقتم الخ، يدل عليه قوله: ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ ولا يصح أن يكون عامله ﴿ينبئكم﴾ لأن الإخبار لم يقع في ذلك الوقت، ولا قوله: ﴿مزقتم﴾ لأنه مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا ﴿خلق جديد﴾ لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها، وعبارة المفسر غير وافية بالمراد، فلو قال: يخبركم أنكم تبعثون إذا مزقتم لوفى بالمقصود. قوله: [بمعنى تمزيق] أشار بذلك إلى أن ممزق اسم مصدر، لأن كل ما زاد على الثلاث يجيء بالميم، مصدره وزمانه ومكانه، على زنة اسم مفعول. قوله: ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ أي تنشؤون خلقاً جديداً بعد تمزيق أجسامكم.

قوله: ﴿أفترى على الله كذباً﴾ يحتمل أن يكون من تمام قول الكافرين ﴿هل ندلكم﴾ الخ، ويحتمل أن يكون من كلام السامع جواباً للقائل. قوله: [واستغني بها] أي بهمزة الاستفهام لأنها كافية في التوصل للنطق بالساكن. قوله: [في ذلك] أي الإخبار بالبعث. قوله: [جنون] أي خبل في عقله. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أن هذا انشاء كلام من الله رداً عليهم، وما تقدم وإن كان كلامه، إلا أنه حكاية عنهم. قوله: ﴿العذاب﴾ أي في الآخرة، وذكره إشارة إلى أنه متحتم الوقوع، فنزل المتوقع منزلة الواقع، وقدمه على ﴿الضلال﴾ وإن كان الضلال حاصلاً لهم بالفعل، لأن التسلية بحصول العذاب لهم أتم من الإخبار بكونهم في الضلال.

قوله: ﴿أفلم يروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أعموا فلم يروا، الخ. قوله: ﴿إلى

﴿أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما فوقهم وما تحتهم ﴿مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾: بسكون السين وفتحها قطعة ﴿مِنَ ٱلسَّمَاءِ﴾: وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: المرئي ﴿لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ ٩: راجع إلى ربه تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾: نبوة وكتاباً وقلنا ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي﴾: ارجعي ﴿مَعَهُ﴾: بالتسبيح ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: بالنصب عطفاً على محل الجبال أي ودعوناها تسبح معه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ ١٠: فكان في يده كالعجين وقلنا ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾: منه ﴿سَابِغَاتٍ﴾: دروعاً كوامل يجرها لابسها على الأرض ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾: أي نسج الدروع قيل لصانعها سراد أي اجعله بحيث

﴿ما بين أيديهم﴾ المراد به ما ينظر له من غير التفات، وقوله: ﴿وما خلفهم﴾ المراد به ما ينظر له بالتفات، فالمراد جميع الجهات. قوله: ﴿من السماء والأرض﴾ بيان لما، والمعنى أفلم يتفكروا في أحوال السماء والأرض، فيستدلوا على باهر قدرته تعالى؟ وقد علمنا الله كيفية النظر بقوله: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ الآية. قوله: ﴿إن نشأ﴾ هذا تحذير للكفار كأنه قيل: لم يبق من أسباب وقوع العذاب بكم إلا تعلق مشيئتنا به. قوله: ﴿نخسف بهم الأرض﴾ أي كما خسفناها بقارون. قوله: ﴿أو نسقط عليهم كسفاً﴾ أي كما أسقطناها على أصحاب الأيكة. قوله: [بسكون السين وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان، وكل منهما جمع كسفة، فقول المفسر [قطعة] المناسب قطعاً. قوله: [في الأفعال الثلاثة] أي نشأ ونخسف ونسقط. قوله: ﴿إن في ذلك﴾ [المرئي] أي من السماء والأرض.

قوله: ﴿ولقد آتينا﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا. قوله: [وكتاباً] أي وهو الزبور. قوله: [وقلنا] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿يا جبال﴾ مقول لقول محذوف معطوف على قوله: ﴿آتينا﴾ فهو زيادة على الفضل. قوله: ﴿أوبي﴾ بفتح الهمزة وتشديد الواو أمر من التأويب وهو الترجيع، وهو قراءة العامة، وقرئ شذوذاً أُوبي بضم الهمزة وسكون الواو، أمر من آب بمعنى رجع أي ارجعي وعودي معه في التسبيح كلما سبح، فكان داود إذا سبح أجابته الجبال وعطفت عليه ﴿الطير﴾ من فوقه، وقيل: كان إذا أدركه فتور، أسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له. قوله: [عطفاً على محل الجبال] أي لأن محله نصب، لكونه منادى مفرداً، أو مفعولاً معه، وقرئ بالرفع عطف على لفظ الجبال، تشبيهاً للحركة البنائية بالحركة الإعرابية، قال ابن مالك:

وإن يكن مصحوب أل ما نسقا ... ففيه وجهان ورفع ينتقى

قوله: ﴿وألنا له الحديد﴾ سبب ذلك: أن الله تعالى أرسل ملكاً في صورة رجل، فسأله داود عن حال نفسه فقال له: ما تقول في داود؟ فقال: نعم هو لولا خصلة فيه، فقال داود: ما هي؟ قال: إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال، فسأل داود ربه أن يسبب له سبباً يستغني به عن بيت المال، فألان الله له الحديد، وعلمه صنعة الدروع، فهو أول من اتخذها، وكانت قبل ذلك صفائح، قيل: كان يعمل كل يوم درعاً ويبيعها بأربعة آلاف درهم، وينفق ويتصدق منها، فلذا قال ﷺ: «كان داود لا يأكل من عمل يده». قوله: [فكان في يده كالعجين] أي من غير نار ولا آلة. قوله: [دروعاً كوامل] أشار بذلك إلى أن ﴿سابغات﴾ صفة لموصوف محذوف.

قوله: ﴿وقدر في السرد﴾ اختلف في معنى الآية فقيل: اجعله على سبيل الحاجة ولا تنهمك فيه، بل اشتغل بعبادة ربك، وقيل: قدر المسامير في حلق الدروع، لا غلاظاً ولا دقاقاً، ورد ذلك بأنه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة إليها بسبب إلانة الحديد، وحينئذ فالأظهر ما قاله المفسر من أن السرد الدروع، والتقدير اجعل كل حلقة مساوية

تتناسب حلقه ﴿وَاعْمَلُوا﴾: أي آل داود معه ﴿صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ١١: فأجازيكم به ﴿وَ﴾: سخرنا ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾: وقراءة الرفع بتقدير تسخير ﴿غُدُوُّهَا﴾: مسيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾: سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾: أي مسيرته ﴿وَأَسَلْنَا﴾: أذبنا ﴿لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾: أي النحاس فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾: بأمر ﴿رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ﴾: يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: له بطاعته ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ١٢: النار في الآخرة وقيل في الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ﴾: أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾: جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء أي صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن

لأختها ضيقة، لا ينفذ منها السهم في الغلظ، لا تقبل الكسر، ولا تثقل حاملها، والكل نسبة واحدة. قوله: **[بحيث تتناسب حلقه]** بفتحتين أو بكسر ففتح جمع حلقة بفتح فسكون أو بفتحتين. قوله: **[أي آل داود]** تفسير للواو في **﴿اعملوا﴾**. قوله: **﴿صالحاً﴾** أي عملاً صالحاً، ولا تتكلموا على عز أبيكم وجاهه. قوله: **[فأجازيكم عليه]** أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله: **﴿ولسليمان الريح﴾** الجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله: **[سخرنا]** بدليل التصريح به في قوله تعالى **﴿وسخرنا له الريح تجري بأمره﴾**. قوله: **[بتقدير تسخير]** أي فالجار والمجرور خبر مقدم، و**﴿الريح﴾** مبتدأ مؤخر على حذف مضاف، والأصل وتسخير الريح كائن لسليمان، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. قوله: **﴿غدوها شهر﴾** مبتدأ وخبر، والمعنى سيرها من الغداة إلى الزوال، مسيرة شهر للسائر المجد، ومن الزوال للغروب مسيرة شهر، عن الحسن: كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل في اصطخر، وبينهما مسيرة شهر، ثم يروح من اصطخر فيبيت ببابل، وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع، وتقدم أن الريح كانت تحمل البساط بجيوشه لأي جهة توجه إليها، فالعاصف تقلع البساط، والرخاء تسيره.

قوله: **﴿وأرسلنا له عين القطر﴾** أي جعلنا النحاس في معدنه جارياً كالعين النابعة من الأرض، وكانت تلك العين باليمن. قوله: **[فأجريت ثلاثة أيام]** قيل: مرة واحدة، وقيل: كان يسيل في كل شهر ثلاثة أيام. قوله: **[وعمل الناس]** الخ مبتدأ خبره قوله: **[مما أعطي سليمان]** أي صنع الناس النحاس وإذابته بالنار من آثار كرامة سليمان لأنه قبل ذلك لم يكن يلين بنار ولا غيرها. قوله: **﴿من يعمل بين يديه﴾** يصح أن يكون مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، ويصح أن يكون مفعولاً لمحذوف تقديره: وسخرنا من الجن من يعمل، ومن على كل حال واقعة على فريق. قوله: **[بطاعته]** أي بطاعة سليمان. قوله: **[بأن يضربه ملك]** الخ أي فقد وكل الله ملكاً بالجن المسخرين لسليمان، وجعل في يده سوطاً من نار، فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان، ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته. قوله: **[أبنية مرتفعة]** أي مساجد وغيرها، وسميت بذلك لأن صاحبها يحارب فيها غيره لحمايتها، وقيل: المراد بالمحاريب خصوص المساجد، والأقرب ما قاله المفسر، وليس المراد بها الطاقات التي تقف فيها الأئمة في المساجد إذ هي حادثة في المساجد بعد زمن النبي ﷺ، وسميت بالمحاريب تشبيهاً لها بالأبنية المرتفعة لأنها رفيعة القدر، ولذا خصوها بالأئمة.

قوله: **﴿وتماثيل﴾** قال بعضهم: إنها صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء، كانت تصور في المساجد ليراها الناس، فيزدادوا عبادة واجتهاداً، يدل على ذلك قوله ﷺ: «إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصورة» أي ليذكروا عبادتهم، فيجتهدوا في العبادة. قوله: **[ولم يكن اتخاذ**

اتخاذ الصور حراماً في شريعته ﴿وَجِفَانٍ﴾: جمع جفنة ﴿كَالْجَوَابِ﴾: جمع جابية وهي حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾: ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم وقلنا ﴿اعْمَلُوا﴾: يا ﴿آلَ دَاوُدَ﴾: بطاعة الله ﴿شُكْراً﴾: له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[١٣]: العامل بطاعتي شكراً لنعمتي ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾: على سليمان ﴿الْمَوْتَ﴾: أي مات ومكث قائماً

الصور حراماً] الخ، جواب عما يقال: إن اتخاذ الصور حرام، فكيف يليق اتخاذها من سليمان؟ واعلم أن اتخاذ الصور أولاً كان لمقصد حسن، فلما ساء المقصد بسبب اتخاذها آلهة تعبد من دون الله، حرم الله اتخاذها على العباد. قوله: [وهي حوض كبير] أي وسمي جابية، لأن الماء يجبى فيه أي يجمع. قوله: ﴿آل داود﴾ المراد سليمان وأهل بيته. قوله: ﴿شكراً﴾ مفعول لاجله، أي اعملوا لأجل الشكر لله، على ما أعطاكم من تلك النعم العظيمة التي لا تضاهي، وهذا أعظم المقاصد، وهو العمل لأجل شكر الله على نعمه، فالواجب على العباد خدمة الله وطاعته لذاته وسابق نعمه عليهم حيث أوجدهم من العدم، وجعل لهم السمع والبصر والأفئدة والعافية، وغير ذلك من أنواع النعم التي لا تحصى. قوله: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ أي لكون هذا المقصد عزيزاً، لم يوفق له إلا القليل من الناس، وغالب الناس عبادتهم وطاعتهم، إما لأجل طلب الدنيا، أو خوفاً من النار وطمعاً في الجنة.

ـ فائدة ـ من جملة عمل الجن لسليمان بيت المقدس، وذلك أن داود ابتدأ بناءه في موضع فسطاط موسى التي كان ينزل فيها، فرفعه قدر قامة، فأوحى الله إليه لم يكن تمامه على يديك، بل على يد ابن لك اسمه سليمان، فلما قضي على داود، واستخلف سليمان وأحب إتمامه، جمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال، فأرسل بعضهم في تحصيل الرخام، وبعضهم في تحصيل البلور من معادنه، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح، فلما فرغ منها، ابتدأ في بناء المسجد، فوجه الشياطين فرقاً منهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من أماكنها، ومنهم من يأتيه بالمسك والطيب والعنبر من أماكنه، فأتي من ذلك بشيء كثير، ثم أحضر الصناع لنحت تلك الأحجار، وإصلاح تلك الجواهر، وثقب تلك اليواقيت واللآلىء، فبناه بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وجعل عمده من البلور الصافي، وسقفه بأنواع الجواهر، وبسط أرضه بالعنبر، فلم يكن على وجه الأرض يومئذ بيت أبهى ولا أنور منه، فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلم يزل على هذا البناء حتى غزاه بختنصر، فخرب المدينة وهدمه، وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر، وحمله إلى ملكه بالعراق حين بطرت بنو إسرائيل النعم، وقتلوا زكريا ويحيى، وكان ابتداء بيت المقدس في السنة الرابعة من ملك سليمان، وكان عمره سبعاً وستين سنة، وملك وهو ابن سبع عشرة، وكان ملكه خمسين سنة، وقرب بعد فراغه منه، اثني عشر ألف ثور، ومائة وعشرين ألف شاة، واتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيداً، وقام على الصخرة رافعاً يديه إلى الله تعالى بالدعاء وقال: اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان، وقويتني على بناء هذا المسجد، اللهم فأوزعني شكرك على ما أنعمت علي، وتوفني على ملتك ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال: لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه، ولا خائف إلا أمنته، ولا سقيم إلا شفيته، ولا فقير إلا أغنيته، والخامسة أن لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه، إلا من أراد إلحاداً، أو ظلماً يا رب العالمين، وروي أن سليمان لما بنى بيت المقدس، سأل الله تعالى خلالاً ثلاثاً: حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله حين فرغ من بنائه، أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، إذا علمت ذلك، فبيت المقدس تم بناؤه وهو حي، وهو الصحيح.

قوله: ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ الخ، روي أن سليمان كان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين،

على عصاه حولاً ميتاً والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضة عصاه فخر ميتاً ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول أكلتها الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾: بالهمز وتركه بألف عصاه لأنها ينسأ يطرد ويزجر بها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: ميتاً ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾: انكشف لهم ﴿أَن﴾: مخففة أي أنهم ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾: ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ ١٤: العمل الشاق لهم لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضة من العصا بعد موته يوماً وليلة مثلاً ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾: بالصرف وعدمه قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿فِى مَسْكَنِهِمْ﴾: باليمن ﴿ءَايَةٌ﴾: دالة على قدرة الله تعالى ﴿جَنَّتَانِ﴾: بدل ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾: عن يمين واديهم

والشهر والشهرين، فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه، فلما أعلمه الله بوقت موته قال: اللهم أخف على الجن موتي، حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غد، ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب وقام يصلي، واتكأ على عصاه على كرسيه فمات، فكان الجن ينظرون إليه ويحسبون أنه حي، ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لتكرره منه قبل ذلك، فالحكمة في إخفاء موته ظهور أن الجن لا يعلمون الغيب، لا تتميم بناء بيت المقدس كما قيل، فإن الصحيح أنه تم قبل موته بالزمن الطويل. قوله: [حتى أكلت الأرضة عصاه] فلما أكلتها أحبها الجن وشكروا لها، فهم يأتونها بالماء والطين في خروق الخشب وقالوا: لو كنت تأكلين الطعام والشراب لأتيناك بهما. قوله: [مصدر أرضت الخشبة] أي أكلت، فمعنى دابة الأرض دابة الأكل، وهذا أحد وجهين، والوجه الآخر أن المراد بالأرض المعروفة، ونسبت لها لخروجها منها. قوله: [بالهمز] أي الساكن أو المفتوح، فتكون القراءات ثلاثاً سبعيات. قوله: [الشاق لهم] اللام بمعنى على، وفي نسخة له أي لسليمان. قوله: [لظنهم حياته] علة لقوله: ﴿ما لبثوا﴾. قوله: [وعلم كونه] الخ إما بالبناء للمفعول، أو مصدر مبتدأ خبره قوله: [بحساب] الخ، فتحصل أن الجن أرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت في يوم وليلة مقداراً؛ فحسبوا على ذلك، فوجدوه قد مات منذ سنة.

قوله: ﴿لقد كان لسبإ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، أي والله لقد كان الخ، و ﴿لسبإ﴾ خبر ﴿كان﴾ مقدم، و ﴿آية﴾ اسمها مؤخر، و ﴿مساكنهم﴾ حال. قوله: [بالصرف وعدمه] أي وفي عدم الصرف قراءتان، فتح الهمز وسكونها، فالقراءات ثلاث. قوله: [سميت باسم جد لهم] أي وهو سبأ بن يشجب بجيم مضمومة ابن يعرب بن قحطان، روي أن رجلاً قال: يا رسول الله، وما سبأ، أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشراً من العرب، فتيامن منهم ستة، أي سكنوا اليمن، وتشاءم منهم أربعة أي سكنوا الشام، فأما الذين تشاءموا، فلخم وجذام وغسان وعاملة، وأما الذين تيامنوا: فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار، فقال رجل: يا رسول الله، وما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة، والمقصود من تلك القصة إتعاظ هذه الأمة المحمدية، ليعتبروا ويشكروا نعمة الله عليهم، وإلا يحل بهم ما حل بمن قبلهم. قوله: ﴿في مساكنهم﴾ بالجمع كمساجد، والإفراد إما بكسر الكاف أو فتحها، ففيه ثلاث قراءات سبعيات. قوله: [باليمن] أي وكان بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام. قوله: [دالة على قدرة الله] أي فإذا تأمل العاقل فيها، استدل على باهر قدرته، وأنه الخالق لجميع المخلوقات. قوله: [بدل] أي من آية التي هي

* أسباب نزول الآية ١٥: اخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح قال: حدثني فلان أن فروة بن مسيك الغطفاني قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله إن سبأ قوم كان لهم في الجاهلية عز، وإني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام، أفأقاتلهم؟ فقال: ما أمرت فيهم بشيء بعد، فأنزلت هذه الآية ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم﴾ الآيات.

وشماله وقيل لهم ﴿كُلُوا مِن رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾: على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾: ليس فيها سباخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها ﴿وَ﴾ الله ﴿رَبٌّ غَفُورٌ ١٥ فَأَعْرَضُوا﴾: عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع عرمة وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته أي سيل واديهم الممسوك بما ذكر فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ﴾: تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: مر بشع بإضافة أكل بمعنى مأكول وتركها ويعطف عليه ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ١٦ ذَٰلِكَ﴾: التبديل ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾: بكفرهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ ١٧: بالياء والنون مع كسر الزاي ونصب الكفور أي ما يناقش إلا هو ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ وهم باليمن

اسم كان، وصح إبدال المثنى من المفرد لأنه في قوة المتعدد، وذلك أن الجنتين لما كانتا متماثلتين، وكانت كل واحدة دالة على قدرة الله، من غير انضمام غيرها لها، صح جعلهما آية واحدة، نظير قوله تعالى ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾.

قوله: [عن يمين واديهم وشماله] هذا أحد قولين، وقيل: عن يمين الذاهب وشماله. قوله: [وقيل لهم] أي على لسان أنبيائهم، لأنه بعث لهم ثلاثة عشر نبياً، فدعوهم إلى الله وذكروهم بنعمه، وهذا الأمر للإذن والإباحة. قوله: ﴿واشكروا له﴾ أي اصرفوا نعمه في مصارفها. قوله: [أرض سبأ] الخ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بلدة طيبة﴾ خبر لمحذوف، فهو كلام مستأنف. قوله: [ليس بها سباخ] جمع سبخة وهي الأرض ذات الملح. قوله: [ولا بعوضة] البعوض البق، وقوله: [ولا برغوث] بضم الباء. قوله: [فيموت] أي القمل ومثله باقي الهوام. قوله: ﴿ورب غفور﴾ أي يستر ذنوبكم. قوله: ﴿فأعرضوا﴾ [عن شكره] أي عن أمره وإتباع رسله، لما روي أنه أرسل الرسل لهم ثلاثة عشر نبياً، فدعوهم إلى الله وذكروهم بنعمه وأنذروهم عقابه، فكذبوهم وقالوا: ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا له، فليحبس عنا هذه النعم إن استطاع وكان لهم رئيس يلقب بالحمار، وكان له ولد فمات، فرفع رأسه إلى السماء فبزق وكفر، فلا يمر بأرضه أحد إلا دعاه للكفر، فإن أجابه وإلا قتله. قوله: [وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره] أي فكان واديهم أرضاً متسعة بين جبال شامخة، فبنت بلقيس سداً حول ذلك الوادي بالصخر والقار، وجعلت له أبواباً ثلاثة، بعضها فوق بعض، وصار ماء يتساقط من الجبال خلف السد من كل جهة، فكانوا يسقون من الأعلى، ثم من الأوسط، ثم من الأدنى؛ على حسب علو الماء وهبوطه، فالعرم هو هذا السد، وقيل: العرم اسم للفأر الذي نقب السد لما ورد أنهم كانوا يزعمون أنهم يجدون في كهانتهم أنه يخرب سدهم فارة، فلم يتركوا فرجة بين صخرتين، إلا ربطوا إلى جانبها هرة، فلما جاء ما أراده الله بهم، أقبلت فارة حمراء إلى بعض تلك الهررة، فثاورتها حتى استأخرت عن الحجر، ثم وثبت ودخلت في الفرجة التي عندها، ونقبت السد حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون، فلما جاء السيل، دخل تلك الفرجة حتى بلغ السد، وفاض الماء على أموالهم فأغرقها ودفن بيوتهم.

قوله: ﴿جنتين﴾ تسميتها بذلك تهكم بهم لمشاكلة الأول. قوله: [مفرد على الأصل] أي لأن أصلها ذوية، تحركت الياء وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً فصار ذوات، ثم حذفت الواو تخفيفاً، ففي تثنيته وجهان: اعتبار الأصل، واعتبار العارض، فالأول ذواتان، والثاني ذاتان. قوله: [مر بشع] قيل: هو شجر الأراك، وقيل: كل شجر له شوك. قوله: [بإضافة أكل] أي بضم الكاف لا غير، وقوله: [وتركها] أي بضم الكاف وسكونها، فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: [ويعطف عليه] أي على أكل. قوله: ﴿من سدر قليل﴾ الصحيح أن السدر وهو النبق نوعان: نوع يؤكل ثمره وينتفع بورقه، ونوع له ثمر غض، لا يؤكل أصلاً، ولا ينتفع بورقه، وهو المسمى بالضال، وهو المراد هنا. قوله: ﴿ذلك﴾ مفعول ثان لجزينا مقدم عليه. قوله: [بكفرهم] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية. قوله: [بالياء والنون] أي فهما

﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾: بالماء والشجر وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾: متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾: بحيث يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى إلى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء أي وقلنا ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ١٨: لا تخافون في ليل ولا في نهار ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَٰعِدْ﴾: وفي قراءة: باعَد ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: إلى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: فرقناهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾: عبراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ ١٩: على النعم ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِمْ﴾: أي الكفار منهم سبأ ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾: أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾: فصدق بالتخفيف في ظنه أو صدّق بالتشديد ظنه أي وجده صادقاً ﴿إِلَّا﴾: بمعنى لكن ﴿فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٠: للبيان أي هم المؤمنون لم يتبعوه ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم

قراءتان سبعيتان. قوله: [أي ما يناقش إلا هو] أشار بذلك إلى أن الحصر منصب على المناقشة والتدقيق في الحساب والمؤاخذة بكل الذنوب، وإلا فمطلق المجازاة تكون للمؤمن والكافر، لكن المؤمن يعامل بالفضل والكافر يعامل بالعدل.

قوله: ﴿وجعلنا بينهم﴾ عطف على ما تقدم، عطف قصة على قصة. قوله: ﴿قرى ظاهرة﴾ قيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية، متصلة من سبأ إلى الشام. قوله: ﴿وقدرنا فيها السير﴾ أي جعلنا السير بين قراهم، وبين القرى المباركة، سيراً مقدراً، من منزل إلى منزل، ومن قرية إلى قرية. قوله: [ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء] أي فكانوا يسيرون غير جائعين ولا ظامئين ولا خائفين، مسيرة أربعة أشهر في أماكن لا يحرك بعضهم بعضاً، ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يحركه.

قوله: ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ أي لما بطروا وطغوا وكرهوا الراحة، تمنوا طول السفر والتعب في المعايش، نظير قول بني إسرائيل ﴿ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض﴾ الآية، وكتمني أهل مكة العذاب بقولهم ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ الآية. قوله: [مفاوز] جمع مفازة وهو الموضع المهلك، مأخوذ من فوز بالتشديد إذا مات، وقيل: من فاز إذا نجا وسلم، سمي بذلك تفاؤلاً بالسلامة. قوله: ﴿أحاديث﴾ أي يتحدث بأخبارهم. قوله: [فرقناهم في البلاد] أي لضيق عيشهم وخراب أماكنهم، وهي سنة باقية في كل من بطر النعمة وظلم، فقد أفادنا الله في تلك الآيات، أنه أصابهم بنعمتين، وابتلاهم بنقمتين. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ظنه﴾ أي وسبب ظنه، إما رؤيته إنهماكهم في الشهوات، أو قول الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ أو وسوسته لآدم في الجنة فأخرج منها، فظن ضعف أولاده بالنسبة له، وإن كان لم تؤثر وسوسته لآدم. قوله: [فصدق بالتخفيف في ظنه] أشار بذلك إلى أن قوله: [ظنه] على قراءة التخفيف منصوب على نزع الخافض، والمعنى صار فيما ظنه أولاً من إغوائهم على يقين، وقوله: [أو صدق] بالتشديد الخ أي فظنه مفعول لصدق، والمعنى حقق ظنه ووجده صادقاً. قوله: [بمعنى لكن] أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وحمله على ذلك تفسيره الضمير بالكفار، ويصح أن يكون متصلاً، لأن بعض المؤمنين يذنب ويتبع إبليس في بعض المعاصي، ويكون قوله: ﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ المراد بهم من لم يتبعه أصلاً، والأقرب الأول، لأن المعصومين استثناهم من حين طرده

﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾: تسليطاً منا ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: علم ظهور ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾: فنجازي كلاً منهما ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[٢١]: رقيب ﴿قُلِ﴾: يا محمد لكفار مكة ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: أي زعمتموهم آلهة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره لينفعوكم بزعمكم قال تعالى فيهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ﴾: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾: من خير أو شر ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾: شركة ﴿وَمَا لَهُ﴾: تعالى ﴿مِنْهُمْ﴾: من الآلهة ﴿مِنْ ظَهِيرٍ﴾[٢٢]: معين ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾: تعالى رداً لقولهم إن آلهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾: بفتح الهمزة وضمها ﴿لَهُ﴾: فيها ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ﴾: بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾: كشف عنها الفزع بالإذن فيها ﴿قَالُوا﴾: قال بعضهم لبعض استبشاراً ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾: فيها ﴿قَالُوا﴾: القول ﴿الْحَقَّ﴾: أي قد أذن فيها

بقوله: ﴿لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾. قوله: [تسليطاً منا] أي فالشيطان سبب في الإغواء، لا خالق الإغواء، فمن أراد الله حفظه، منع الشيطان عنه، ومن أراد الله إغواءه، سلط عليه الشيطان، والكل فعل الله تعالى.

قوله: [علم ظهور] أي فالمعنى ليظهر متعلق علمنا، فاللام للعاقبة لا للتعليل، والمعنى الآية: ما كان له عليهم إيجاد إضلال، بل خالق الهدى والضلال هو نحن، وإنما سبقت حكمتنا بتسليطه، ليتميز بين عبادنا، من خلقنا فيه الكفر، ومن خلقنا فيه الإيمان، فاتباعه وعدمه، علامة على ما يتعلق به علمه تعالى فتدبر. قوله: [رقيب] أي فهو تعالى قادر على منع إبليس منهم، عالم بما سيقع.

قوله: ﴿قل ادعوا﴾ بكسر اللام على أصل التخلص، وبالضم إتباعاً، قراءتان سبعيتان. قوله: [أي زعمتموهم آلهة] أي فالمفعولان محذوفان، الأول لطوله بصلته، والثاني لقيام صفته ـ أعني قوله من دون الله ـ مقامه. قوله: [لينفعوكم] متعلق بادعوا، أي ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، ويجلبوا لكم سعة العيش. قوله: ﴿مثقال ذرة﴾ أي لا يملكون أمراً من الأمور في العالم، وذكر السماوات والأرض للتعميم عرفاً. قوله: [معين] أي على خلق شيء. بل الله تعالى المنفرد بالإيجاد والإعدام.

قوله: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ أي إن الشفاعة لا تكون من هؤلاء المعبودين من دون الله، من الملائكة والأنبياء والأصنام، إلا أن يأذن الله للملائكة والأنبياء في الشفاعة لغير الكفار، وأما الكفار فلا شفاعة فيهم لقوله تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾. قوله: [رداً لقولهم] الخ، أي حيث قالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾، وإيضاحه أن الشفاعة لا تكون ولا تحصل إلا بالإذن والرضا، وهم قد ارتكبوا ما يقتضي للغضب وهو الكفر، فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضي للغضب، وعدم الإذن في الشفاعة؟ إن هذا الزعم باطل. قوله: ﴿إلا لمن أذن له﴾ يصح وقوع من على الشافعين، والمعنى إلا لشافع أذن له في الشفاعة، ويصح وقوعها على المشفوع لهم، والمعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمشفوع أذن أن يشفع له، فاللام على كل حال متعلقة بأذن، والضمير عائد على الموصول على الوجهين. قوله: [بفتح الهمزة] أي والضمير عائد على الله تعالى للذكره أولاً، وقوله: [وضمها] أي بالبناء للمفعول، والآذن هو الله تعالى، والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿حتى إذا فزع﴾ غاية في محذوف تقديره يتربصون ويتوقعون مدة من الزمان، فزعين حتى إذا فزع إلى آخره، والتضعيف للسلب كالهمزة، كما أشار له بقوله: [كشف عنها الفزع] والمعنى حتى إذا أزيل الفزع من قلوب الشافعين والمشفوع لهم، بكلمة يتكلم بها رب العزة في الأذن بالشفاعة سأل بعضهم بعضاً. قوله: [بالبناء للفاعل] أي والفاعل ضمير يعود على الله، وقوله: [والمفعول] أي والجار والمجرور نائب الفاعل، والقراءتان سبعيتان. قوله: [استبشاراً] أي لزوال الكرب والحزن عن القلوب، واختلف هل هذا الأمر في الآخرة أو الدنيا؟ فقيل في الآخرة، ويؤيده

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ ٢٣ العظيم ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ : المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ :
النبات ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ : إنْ لم يقولوه لا جواب غيره ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ : أي أحد الفريقين ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ﴾ ٢٤ : بيّن في الإبهام تلطف بهم داعٍ إلى الإيمان إذا وفقوا له ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ : أذنبنا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ
عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٥ : لأنا بريئون منكم ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ : يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ : يحكم ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ :
فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ : الحاكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ٢٦ : بما يحكم به ﴿قُلْ أَرُونِىَ﴾ :
أعلموني ﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ : في العبادة ﴿كَلَّا﴾ : ردع لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ :

ما في سورة النبأ ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ وعلى هذا فيكون في الكلام حذف، والتقدير لا تنفع الشفاعة عنده يوم القيامة، إلا لمَنْ أذن له، ففزع ما وَرَدَ على القلوب من المهابة، حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم، سأل بعضهم بعضاً، وقيل: في الدنيا، ويؤيده ما وَرَدَ عن النبي ﷺ «إن الله تعالى إذا أراد أن يوحي بأمر وتكلم بالوحي، أخذت السماوات والأرض منه رجفة أو رعدة شديدة خوفاً من الله تعالى، فإذا سمع أهل السماوات بذلك صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ما أراد، ثم يمر جبريل بالملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال: فيقول كلهم كما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمر الله تعالى». وعن ابن عباس قال: كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحي، وكان إذا نزل الوحي، سمع له صوت كإمرار السلسلة على الصفوان، فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، ثم يقول: يكون في هذا العام كذا ويكون كذا، فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة، والكهنة تخبر الناس، فيجدونه كذلك، فلما بعث الله سيدنا محمداً ﷺ، دحروا ومنعوا بالشهب، فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن بذلك؟ هلك من في السماء، فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً، وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة، وصاحب الغنم يذبح كل يوم شاة، حتى أسرعوا في أموالهم، فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب أيها الناس أمسكوا على أموالكم، فإنه لم يمت من في السماء، أما ترون معالمكم من النجوم كما هي، والشمس والقمر والليل والنهار؟ فقال إبليس: لقد حدث في الأرض اليوم حدث، فائتوني من كل تربة أرض فأتوه بها، فلما شم تربة مكة قال: من ههنا جاء الحدث، فانصتوا فإذا رسول الله ﷺ قد بعث، فتحصل أن الفزع على القول بأنه في الآخرة يكون من جميع الخلق، وعلى القول بأنه في الدنيا يكون من الملائكة خاصة، والآية محتملة للأمرين، والعموم أولى؛ لأن الكفار زعموا أن آلهتهم تنفعهم في الدنيا والآخرة، فرد الله عليهم بهذه الآية الشاملة للأمرين فتدبر. قوله: [القول] ﴿الحق﴾ أشار بذلك إلى أن الحق صفة لمصدر محذوف مقول القول. قوله: ﴿وهو العلي الكبير﴾ هذا من تمام كلام الشفعاء؛ اعترافاً بعظمة الله وكبريائه.

قوله: ﴿قل من يرزقكم﴾ الخ، هذا السؤال تبكيت للمشركين، وإشارة إلى أن آلهتهم لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾ إلى قوله: ﴿فسيقولون الله﴾. قوله: ﴿لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ غاير بين الحرفين؛ إشارة إلى أن المؤمنين مستعلون على الهدى، كراكب الجواد يسير به حيث يشاء، والكفار محبوسون في الضلال، كالمنغمس في الظلمات الذي لا يبصر شيئاً. قوله: [في الإبهام] خبر مقدم، و[تلطف] مبتدأ مؤخر، و[داع] صفة لتلطف.

قوله: ﴿لا تسألون عما أجرمنا﴾ الخ، فيه تلطف بهم وتواضع، حيث أسند الإجرام لأنفسهم والعمل للمخاطبين. قوله: [يوم القيامة] أي في الموقف. قوله: [أعلموني] أشار بذلك إلى أن أرى علمية، فتتعدى إلى ثلاثة

الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ٢٧: في تدبيره لخلقه فلا يكون له شريك في ملكه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً﴾: حال من الناس قدم للاهتمام ﴿لِّلنَّاسِ بَشِيرًا﴾: مبشراً للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾: منذراً للكافرين بالعذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٨: ذلك ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ٢٩: فيه ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ ٣٠: عليه وهو يوم القيامة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أهل مكة ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي تقدمه كالتوراة والإنجيل الدالين على البعث لإنكارهم له قال تعالى فيهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾: يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ

مفاعيل: أولها ياء المتكلم، وثانيها الموصول، وثالثها شركاء، ويصح أن تكون بصرية فتتعدى إلى مفعولين: الأول المتكلم، والثاني الموصول، وشركاء حال من عائد الموصول والقصد من ذلك تبكيتهم وإظهار خطئهم بعد إقامة الحجة عليهم. قوله: ﴿بل هو﴾ الضمير إما عائد على الله، أو ضمير الشأن، وما بعده مبتدأ وخبر، والجملة خبره.

قوله: ﴿إلا كافة﴾ الحصر إضافي، جيء به للرد على المشركين الذين يعتقدون أن رسالته غير عامة لجميع بني آدم. قوله: [حال من الناس] تبع فيه ابن عطية، واعترضه الزمخشري بأن تقدم الحال على صاحبها المجرور خطأ، بمنزلة تقدم المجرور على الجار، ورد بأن الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور وما يتعلق به، وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعاملها، فتقديمها على صاحبها وحده أجوز، لتقدم عاملها وهو أرسلنا، وهذا أحد وجهين في الآية، ويصح جعل ﴿كافة﴾ حالاً من الكاف في ﴿أرسلناك﴾ والتاء للمبالغة كهي في علامة وراوية، والمعنى إلا جامعاً للناس في التبليغ لا يخرج عن تبليغك أحد، فكافة اسم فاعل من كف بمعنى جمع، أو مصدر كالعاقبة، والعاقبة إما مبالغة أو على حذف مضاف، أي ذا كافة للناس، أو صفة لمصدر محذوف تقديره إلا إرسالة كافة، أي محيطة بهم وشاملة لهم، فلا يخرج منها أحد، والأوجه الثلاثة على أنه حال من الكاف وهي متقاربة، فتحصل أن هذه الآيات دلت على أنه مرسل لجميع الإنس بشيراً ونذيراً، وأما إرساله لغيرهم، فمأخوذ من آيات أخر منها ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ لكن إرساله للإنس والجن إرسال تكليف وللملائكة قيل: إرسال تكليف، وقيل تشريف، وللحيوانات الغير العاقلة والجمادات إرسال تشريف. قوله: ﴿لا يعلمون﴾ [ذلك] أي ما ذكر من عموم رسالته، وكونه بشيراً ونذيراً.

قوله: ﴿ويقولون﴾ أي على سبيل الاستهزاء والسخرية. قوله: ﴿إن كنتم﴾ الخطاب للنبي والمؤمنين. قوله: ﴿لا تستأخرون عنه﴾ أي إن أردتم التأخر، وقوله: ﴿ولا تستقدمون﴾ أي إن أردتم التقدم والاستعجال كما هو مطلوبكم. إن قلت: إن الجواب ليس مطابقاً للسؤال لأن السؤال عن طلب تعيين الوقت، والجواب يقتضي أنهم منكرون للوقت من أصله. وأجيب: بأن الجواب مطابق بالنظر لحالهم لا لسؤالهم لأن سؤالهم وإن كان على صورة الاستفهام عن الوقت، إلا أن مرادهم الإنكار والتعنت، والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم.

قوله: ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن﴾ الخ سبب ذلك أن أهل الكتاب قالوا لهم: إن صفة محمد في كتبنا، فلما سألوهم ووافق ما قال أهل الكتاب، قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن، ولا بالذي بين يديه. قوله: [الدالين على البعث] أي وعلى صفة محمد ﷺ، فإنهم يكفرون بها أيضاً. قوله: [قال تعالى فيهم] أي في بيان أحوالهم في الآخرة.

قوله: ﴿ولو ترى﴾ مفعول ﴿ترى﴾ وجواب ﴿لو﴾ محذوف، والتقدير: ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم عند ربهم، حال كونهم يرجع بعضهم إلى بعض القول لرأيت أمراً فظيعاً. قوله: ﴿إذ الظالمون﴾ ﴿إذ﴾ ظرف لترى بمعنى وقت. قوله: ﴿موقوفون﴾ أي محبوسون في الموقف للحساب. قوله: ﴿عند ربهم﴾ العندية للمكانة والعظمة لا

﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا﴾: الرؤساء ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾: صددتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ٣١: بالنبي ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾: لا ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ ٣٢: في أنفسكم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: أي مكر فيهما منكم بنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: شركاء ﴿وَأَسَرُّوا﴾: أي الفريقان ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾: على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ﴾: أي أخفاها كل عن رفيقه مخافة التعيير ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في النار ﴿هَلْ﴾: ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾: جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٣٣: في الدنيا ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: رؤساؤها المتنعمون ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ ٣٤ ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾: ممن آمن ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ ٣٥ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾: امتحاناً

المكان. قوله: ﴿يرجع بعضهم﴾ حال من ضمير ﴿موقوفون﴾ والقول منصوب بيرجع. قوله: ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ تفسير لقوله: ﴿يرجع﴾ فالجملة لا محل لها من الإعراب. قوله: ﴿لولا أنتم﴾ ما بعد ﴿لولا﴾ مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله: [صددتمونا] الخ، وقوله: ﴿لكنا مؤمنين﴾ جواب ﴿لولا﴾. قوله: ﴿قال الذين استكبروا﴾ أي جواباً للمستضعفين. قوله: ﴿أنحن صددناكم﴾ أي منعناكم. قوله: [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله: ﴿وقال الذين استضعفوا﴾ ترك العاطف فيما سبق لأنه مرّ أولاً كلامهم، فأتى بالجواب مستأنفاً من غير عاطف، ثم أتى بكلام آخر للمستضعفين معطوفاً على كلامهم الأول. قوله: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ رد وإبطال لكلام المستكبرين، ومكر فاعل بفعل محذوف، أي صدنا مكركم بنا في الليل والنهار، فحذف المضاف إليه، وأقيم الظرف مقامه على الاتساع، والإسناد مجازي. قوله: ﴿إذ تأمروننا﴾ ظرف للمكر، أي مكركم وقت أمركم لنا، الخ. قوله: ﴿وأسروا الندامة﴾ جملة حالية، أو مستأنفة. قوله: [أي أخفاها كل عن رفيقه] أي فكل أخفى الندم على فعله في الدنيا من الكفر والمعاصي مخافة أن يعيره الآخر. قوله: ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ أي زيادة على تعذيبهم بالنار.

قوله: ﴿وما أرسلنا﴾ الخ هذا تسلية له ﷺ. قوله: ﴿إلا قال مترفوها﴾ حال من قرية وإن كانت نكرة لوقوعها في سياق النفي، فنعم فقد وجد المسوغ. قوله: ﴿بما أرسلتم به﴾ متعلق بكافرون، قدم للاهتمام ورعاية للفواصل. قوله: ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ أي فلو لم يكن راضياً بما نحن عليه، لما أعطانا الأموال والأولاد في الدنيا، وإذا كان كذلك، فلا يعذبنا في الآخرة. قوله: ﴿وما نحن بمعذبين﴾ أي لأنه لما أكرمنا في الدنيا، فلا يهيننا في الآخرة على فرض وجودها.

قوله: ﴿قل إن ربي يبسط الرزق﴾ الخ أي فبسط الرزق وضيقه في الدنيا ليس دليلاً على رضا الله، فقد يبسط

---

* أسباب نزول الآية ٣٤: وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق سفيان عن عاصم عن ابن رزين قال: كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الشام وبقي الآخر فلما بعث النبي ﷺ، كتب الى صاحبه يسأله ما عمل فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إلا رذالة الناس ومساكينهم، فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلني عليه، وكان يقرأ بعض الكتب، فأتى النبي ﷺ فقال: إلام تدعو؟ فقال: الى كذا وكذا فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: وما علمك بذلك؟ قال: إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم، فنزلت هذه الآية ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ فأرسل إليه النبي ﷺ: إن الله قد أنزل تصديق ما قلت.

﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٦ ذلك ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾: قربى أي تقريباً ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾: أي جزاء العمل الحسنة مثلاً بعشر فأكثر ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾: من الجنة ﴿آمِنُونَ﴾ ٣٧: من الموت وغيره وفي قراءة الغرفة بمعنى الجمع ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾: القرآن بالإبطال ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: لنا مقدرين عجزنا وأنهم يفوتوننا ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ٣٨ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه ﴿لَهُ﴾: بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾: في الخير ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ٣٩: يقال كل إنسان يرزق عائلته أي من رزق الله ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾

الرزق للكافر، ويضيقه على المؤمن الخالص، وقد يكون بالعكس، وإنما هو تابع للقسمة الأزلية، قال تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾. قوله: ﴿لا يعلمون﴾ [ذلك] أي فيظنون أن بسط الرزق وتضييقه تابع لرضا الله وغضبه.

قوله: ﴿وما أموالكم﴾ الخ كلام مستأنف سيق لتقرير ما سبق وتحقيقه. قوله: ﴿بالتي تقربكم﴾ صفة للأموال والأولاد لأن جمع التكسير للعاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة، ويصح أن تكون التي صفة لموصوف محذوف تقديره بالأحوال التي. قوله: [قربى] أشار بذلك إلى أن ﴿زلفى﴾ مصدر من معنى الفعل. قوله: [لكن] ﴿من آمن﴾ أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وحمله على ذلك جعل الخطاب للكفار، ويصح أن يكون متصلاً، والخطاب الأول عام، كأنه قيل: وما الأموال والأولاد تقرب أحداً، إلا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله، وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح. قوله: ﴿فأولئك﴾ الخ ﴿فأولئك﴾ مبتدأ، و﴿لهم﴾ خبر مقدم، و﴿جزاء﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر أولئك، وهو استئناف لبيان جزاء أعمالهم. قوله: ﴿جزاء الضعف﴾ من إضافة الموصوف لصفته، أي الجزاء المضاعف. قوله: [مثلاً] أي أو الحسنة بسبعين أو بسبعمائة أو أكثر. قوله: [وغيره] أي من سائر المكاره، فلا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [مقدرين عجزنا] أي معتقدين أننا عاجزون فلا نقدر عليهم. قوله: ﴿إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء﴾ الخ اختلف في هذه الآية، فقيل: مكررة مع التي قبلها للتأكيد، وقيل: مغايرة لها، فالأولى محمولة على أشخاص متعددين، وهذه محمولة على شخص واحد باعتبار وقتين، فوقت البسط غير وقت القبض، وهو الاحتمال الأول في قول المفسر، أو الأولى محمولة على الكفار، وهذه في حق المؤمنين، وكل صحيح. قوله: [ابتلاء] علة لقوله: ﴿ويقدر له﴾ أي يختبر هل يصبر أو لا.

قوله: ﴿وما أنفقتم من شيء﴾ أي على أنفسكم وعيالكم أو تصدقتم به. قوله: ﴿فهو يخلفه﴾ أي بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد، أو بالثواب في الآخرة، وفي الحديث: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»، ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ الآيات، وأتى بهذه الآية عقب التي قبلها إشارة إلى أن الانفاق لا يضيق الرزق، بل ربما كان سبباً في توسعته، فالحيلة في توسعة الرزق الانفاق في وجوه الخير، والثقة بالله والتوكل عليه.

قوله: ﴿وهو خير الرازقين﴾ أي أحسنهم وأجلهم، لكونه خالق السبب والمسبب. قوله: [يقال كل إنسان] الخ، أي لغة، ودفع بذلك ما قيل: إن الرزاق في الحقيقة واحد وهو الله. فأجاب: بأن الجمع باعتبار الصورة، فالله خالق الرزق، والعبيد متسببون فيه. إن قلت: أي مشاركة بين المفضل والمفضل عليه؟ أجيب: بأن الرزاق يطلق على

﴿جَمِيعاً﴾: أي المشركين ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ ٤٠ قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك عن الشريك ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾: أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بَلْ﴾: للانتقال ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾: الشياطين أي يطيعونهم في عبادتهم إيانا ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ٤١: مصدقون فيما يقولون لهم قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾: أي بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿نَفْعاً﴾: شفاعة ﴿وَلَا ضَرّاً﴾: تعذيباً ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ٤٢ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات بلسان نبينا محمد ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾: من الأصنام ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾: أي القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾: كذب ﴿مُفْتَرًى﴾: على الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾: القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ﴾: ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ٤٣: بين قال تعالى ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ ٤٤: فمن أين كذبوك ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ

الموصل للرزق والخالق له، والرب يوصف بالأمرين، والعبد يوصف بالإيصال فقط، فخيرية الله من حيث إنه خالق وموصل، فعلم أن العبد يقال له رازق بهذا، ولا يقال له رزاق لأنه من الأسماء المختصة به تعالى. قوله: [يرزق عائلته] أي عياله، وعيال الرجل من يعولهم، واحده عيل كجيد. قوله: [وإبدال الأولى ياء] هذا سبق قلم من المفسر، إذ لم يقرأ بهذه أحد من القراء، وأما تحقيقهما وإسقاط الأولى فقراءتان سبعيتان، وبقي ثلاث قراءات سبعيات: تحقيق الأولى، وتسهيل الثانية وعكسه، وإبدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الأولى، فتكون الجملة خمساً.

قوله: ﴿كانوا يعبدون﴾ خطاب للملائكة وتقريع للكفار، وذلك كقوله تعالى لعيسى ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ مع كون الله تعالى عالماً بأن الملائكة وعيسى بريئون من ذلك. قوله: ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ أي أنت الذي نواليك ونتقرب إليك بالعبادة، فلم يكن لنا دخل في عبادتهم لنا. قوله: [أي يطيعونهم] أي فالمراد بعبادة الجن طاعتهم فيما يوسوسون لهم، وقيل كانوا يتمثلون لهم، ويخيلون إليهم أنهم الملائكة، كما وقع لجماعة من خزاعة كانوا يعبدون الجن، ويزعمون أن الجن تتراءى لهم، وأنهم ملائكة، وأنهم بنات الله. قوله: ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ إن قلت: حيث أثبت أولاً أنهم كانوا يعبدون الجن، لزم منه أن جميعهم مؤمنون بهم، فكيف قال أكثرهم؟ أجيب: بأن قول الملائكة أكثرهم من باب الاحتياط تحرزاً عن إدعاء الإحاطة بهم، كأنهم قالوا: إن الذين رأيناهم واطلعنا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن، ولعل في الوجود من يطلع عليه من الكفار وأجيب أيضاً: بأن العبادة عمل ظاهر، والإيمان عمل باطن، والظاهر عنوان الباطن غالباً، فقالوا: بل كانوا يعبدون الجن لإطلاعهم على أعمالهم، وقالوا أكثرهم بهم مؤمنون، لعدم اطلاعهم على ما في القلوب. قوله: [أي بعض المعبودين] أي وهم الملائكة، وقوله: [لبعض العابدين] أي وهم الكفار.

قوله: ﴿ونقول﴾ عطف على ﴿لا يملك﴾. قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ أي دلائل توحيدنا. قوله: ﴿إلا إفك﴾ أي كذب غير مطابق للواقع، ومع كونه كذلك هو ﴿مفترى﴾ أي مختلق من حيث نسبته إلى الله، فقوله: ﴿مفترى﴾ تأسيس لا تأكيد. قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ التصريح بالفاعل إنكار عظيم وتعجيب بليغ. قوله: [قال تعالى] أي رداً عليهم. قوله: ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها﴾ أي فالمعنى لا عذر لهم في عدم تصديقك، بخلاف أهل الكتاب، فإن لهم كتاباً وديناً، ويحتجون بأن نبيهم حذرهم من ترك دينه، وإن كان عذراً باطلاً وحجة واهية.

مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا﴾: أي هؤلاء ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾: من القوة وطول العمر وكثرة المال ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾: إليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ٤٥: إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك أي هو واقع موقعه ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾: هي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾: أي لأجله ﴿مَثْنَى﴾: اثنين اثنين ﴿وَفُرَادَى﴾: واحداً واحداً ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾: فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾: محمد ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾: جنون ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾: أي قبل ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ٤٦: في الآخرة إن عصيتموه ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ﴾: على الإنذار والتبليغ ﴿مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾: أي لا أسألكم عليه أجراً ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾: ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤٧: مطلع يعلم صدقي ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي

قوله: ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ أي نبي يخوفهم ويحذرهم من عقاب الله. قوله: ﴿معشار ما آتيناهم﴾ قيل: المعشار لغة في العشر، وقيل: المعشار هو عشر العشير، والعشير هو عشر العشر، فيكون جزءاً من ألف وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة في القليل. قوله: [من القوة] الخ أي ومع ذلك، فلم ينفعهم شيء من ذلك في دفع الهلاك. قوله: ﴿فكذبوا رسلي﴾ عطف على قوله: ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ عطف مسبب على سبب. قوله: ﴿فكيف كان نكير﴾ عطف على محذوف تقديره: فحين كذبوا رسلي، جاءهم إنكاري بالتدمير، فكيف كان نكيري لهم؟ قوله: [واقع موقعه] أي فهو غاية العدل، وعدم الجور والظلم.

قوله: ﴿قل إنما أعظكم﴾ أي آمركم وأوصيكم، وقوله: ﴿بواحدة﴾ صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة واحدة. قوله: ﴿أن تقوموا﴾ ﴿أن﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر خبر لمحذوف، قدره المفسر بقوله: [هي] وليس المراد بالقيام حقيقته، وهو الانتصاب على القدمين، بل المراد صرف الهمة، والاشتغال والتفكر في أمر محمد وما جاء به لأن أول واجب على المكلف، النظر المؤدي للمعرفة. قوله: ﴿مثنى وفرادى﴾ حالان من فاعل ﴿تقوموا﴾ وإنما أمرهم بذلك لأن الجماعة ربما يكون في اجتماعها تشويش الخاطر ومنع التفكر، بسبب الأغراض والتعصب، وأما الاثنان فيتفكران، ويعرض كل واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكرته، وأما الواحد فيفكر في نفسه ويقول: هل رأينا من هذا الرجل جنوناً، أو جربنا عليه كذباً قط، وقد علمتم أن محمداً ما به جنون، بل علمتموه أرجح قريش عقلاً، وأوزنهم حلماً، وأحدهم ذهناً، وأرضاهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأزكاهم نفساً، وإذا علمتم ذلك، كفاكم أن تطلبوا منه آية على صدقه، وإذا جاء بها تبين أنه صادق فيما جاء به، وإذا كان كذلك، فالواجب إتباعه وتصديقه. قوله: [فتعلموا] أشار بذلك إلى أن نتيجة الفكر العلم، ومعمول التفكر محذوف، والتقدير فتفكروا في أحوال محمد، فينتج لكم العلم بأن ما بصاحبكم جنون ولا نقص.

قوله: ﴿ما بصاحبكم﴾ أضافه لهم إشارة إلى أنه كان مشهوراً بينهم، وحاله معروف عندهم، فكانوا يدعونه بالصادق الأمين، فإذا تفكروا وقاسوا حاله بعد النبوة، على حاله قبلها، فيفيدهم العلم بكمال أوصافه. قوله: ﴿إن هو﴾ أي المحدث عنه وهو محمد ﷺ. قوله: ﴿بين يدي عذاب شديد﴾ أي وهو مقدمة عذاب لكم في الدنيا والآخرة، إن لم تؤمنوا وتصدقوه فيما جاء به فيخبركم به قبل وقوعه. قوله: ﴿قل ما سألتكم من أجر﴾ يحتمل أن ﴿ما﴾ شرطية مفعول لسألتكم، و﴿من أجر﴾ بيان، وقوله: ﴿فهو لكم﴾ جواب للشرط، ويحتمل أنها موصولة مبتدأ، وقوله: ﴿فهو لكم﴾ خبرها، وقرن الخبر بالفاء لما في الموصول من العموم، وعلى كل فيحتمل أن المعنى: ما أسألكم أجراً ألبتة، فيكون كقولك لمن لم يعطك شيئاً أصلاً: إن أعطيتني شيئاً فخذه، ويؤيده قوله: ﴿إن أجري إلا على الله﴾، وقول المفسر: [أي لا أسألكم عليه أجراً] ويحتمل أن المعنى: لم أسألكم شيئاً يعود نفعه علي، فهو كقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾، وقوله: ﴿ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾.

﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يلقيه إلى أنبيائه ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ٤٨: ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾: الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾: أي لم يبق له أثر ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾: عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾: أي إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾: من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾: الدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾ ٥٠ ﴿وَلَوْ تَرَى﴾: يا محمد ﴿إِذْ فَزِعُوا﴾: عند البعث لرأيت أمراً عظيماً ﴿فَلَا فَوْتَ﴾: لهم منا أي لا يفوتونا ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ٥١: أي القبور ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾: بمحمد أو القرآن ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾:

قوله: ﴿قل إن ربي﴾ أي مالكي وسيدي. قوله: ﴿يقذف بالحق﴾ مفعول ﴿يقذف﴾ محذوف تقديره يقذف الباطل بالحق، ويؤيده قوله تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ أي ندفع الباطل بالحق ونصرفه به، ويصح أن تكون الباء للملابسة، والمفعول محذوف أيضاً، والتقدير: يقذف الوحي إلى أنبيائه ملتبساً بالحق، أو ضمن يقذف معنى يقضي ويحكم، والأقرب الأول لأن خير ما فسرته بالوارد. قوله: ﴿علام الغيوب﴾ خبر ثان لأن، أو خبر مبتدأ محذوف. قوله: [ما غاب عن خلقه] أي فتسميته غيباً بالنسبة للخلق، وإلا فالكل شهادة عنده تعالى.

قوله: ﴿قل جاء الحق﴾ أفاد بذلك أن الوعد منجز ومتحقق بالفعل، فليس مجرد وعد. قوله: ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ أي لم يبق له بداية ولا إعادة أي نهاية، فهو كناية عن ذهابه بالمرة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قل جاء الحق وزهق الباطل﴾ إن قلت: إن السورة مكية، والكفر في ذلك الوقت كان له شوكة قوية، والإسلام كان ضعيفاً، فكيف قال ﴿قل جاء الحق﴾ الخ؟ أجيب بأنه لتحقق وقوعه نزله منزلة الواقع، فعبر عنه بالماضي كقوله: ﴿أتى أمر الله﴾.

قوله: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ سبب نزولها: أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: تركت دين آبائك فضللت، والمعنى: فقل لهم يا محمد: إن حصل لي ضلال كما زعمتم، فإن وبال ضلالي على نفسي، لا يضر غيري، وقراءة العامة بفتح اللام من باب ضرب، وقرىء شذوذاً بكسر اللام من باب علم. قوله: ﴿وإن اهتديت﴾ الخ، أي لأن الاهتداء لا يكون إلا بهدايته وتوفيقه. قوله: ﴿فبما يوحي إلي ربي﴾ أي بسبب إيحاء ربي إلي، أو بسبب الذي يوحيه إلي، فما مصدرية أو موصولة، والمعنى: فهداي بفضل الله تعالى، فحاصل المعنى المراد: أنه إن كان بي ضلال، فمن نفسي لنفسي، وإن كان بي هدى، فمن فضل الله بالوحي إلي، على حد قوله تعالى: ﴿وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾. قوله: ﴿إنه سميع﴾ أي يسمع كل ما خفي وما ظهر، وقوله: ﴿قريب﴾ أي قربت مكانة لا مكان. قوله: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت﴾ يحتمل أن مفعول ﴿ترى﴾ محذوف تقديره ولو ترى حالهم وقت فزعهم، ويحتمل أن ﴿إذ﴾ مفعول ﴿ترى﴾ أي ولو ترى وقت فزعهم، وإسناد الرؤية للوقت مجاز، وحقه أن يسند لهم، وقوله: [عند البعث] أحد أقوال في وقت الفزع، وقيل: في الدنيا يوم بدر، حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة، فلم يستطيعوا الفرار إلى التوبة، وقيل: نزلت في ثمانين ألفاً، يأتون في آخر الزمان، يغزون الكعبة ليخربوها، فلما يدخلون البيداء يخسف بهم، فهو الأخذ من مكان قريب. قوله: [لرأيت أمراً عظيماً] أشار بذلك إلى أن جواب لو محذوف.

قوله: ﴿فلا فوت﴾ أي لا مخلص ولا مهرب. قوله: [أي القبور] أي وهي قريبة من مساكنهم في الدنيا، أو المعنى قبضت أرواحهم في أماكنها فلم يمكنهم الفرار، وقيل: أخذوا من مكان قريب، وهي القبور لجهنم، فيخرجون من قبورهم لها. قوله: ﴿وقالوا آمنا به﴾ أي قالوا ذلك وقت حصول الفزع، وهو وقت نزول العذاب بهم. قوله: [وأنى لهم] أي كيف يمكنهم الخلاص والظفر بمطلوبهم وهم في الآخرة، مع أن ذلك لا يحصل ولا يكون إلا في الدنيا، وهي بعيدة من الآخرة؟ فالماضي بعيد إذ لا يعود، والمستقبل قريب لأنه آت، وكل آت قريب. قوله: ﴿التناوش﴾ أي

بالواو وبالهمزة بدلها أي تناول الإيمان ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ٥٢ : عن محله إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ : في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ : يرمون ﴿بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ٥٣ : أي بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا في النبي ساحر شاعر كاهن وفي القرآن سحر شعر كهانة ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ : من الإيمان أي قبوله ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ : أشباههم في الكفر ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ : أي قبلهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ ٥٤ : موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

الرجوع إلى الدنيا للإيمان وقبول التوبة. قوله: [بالواو وبالهمزة] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وقد كفروا﴾ الخ، الجملة حالية، أي يستبعد تناولهم الإيمان في الآخرة، والحال أنهم كفروا في الدنيا. قوله: ﴿ويقذفون بالغيب﴾ أي يتكلمون في الرسول بالمطاعن والنقص من جانب بعيد من أمره، وهو الشبه التي اقترحوها في جانب الرسول، ويتكلمون في العذاب، ويحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم، من حيث إنهم لم يعلموا ذلك، فالمكان البعيد هو ظنهم الفاسد، فهو بعيد عن رتبة العلم. قوله: [غيبة بعيدة] أي عن الصدق. قوله: ﴿وحيل بينهم﴾ أي في الآخرة. قوله: [أي قبوله] أي بحيث يخلصهم في الآخرة. قوله: ﴿بأشياعهم﴾ جمع شيع، وشيع جمع شيعة، فالأشياع جمع الجمع، وهم قوم الرجل وأنصاره وأتباعه، والمراد بهم هنا أشباههم في الكفر كما قال المفسر. قوله: ﴿من قبل﴾ صفة للأشياع. قوله: [أي قبلهم] أي الذين كانوا سابقين عليهم في الزمان لا في العذاب، فإن زمن عذابهم في القيامة متحد. قوله: [موقع في الريبة لهم] أي فهو من أراب به إذا أوقعه في الريبة وهي الشك، فهو كقولهم: عجب عجيب، وشعر شاعر، من باب التأكيد. قوله: [ولم يعتدوا بدلائله] حال من الواو في [آمنوا] أي آمنوا به في الآخرة، والحال أنهم لم يعتدوا في الدنيا بدلائله.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٣٥] ـ سورة فاطر

[مكيّة وهي خمس أو ست وأربعون آية]

﴿الحَمْدُ لِلَّهِ﴾ : حمد الله تعالى نفسه بذلك كما بيّن في أول سبأ ﴿فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ﴾ : خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ : إلى الأنبياء ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ﴾ : في

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فاطر مكية

وهي خمس أو ست وأربعون آية

أي تسمى سورة الملائكة أيضاً. قوله: [**حمد الله تعالى نفسه**] أي تعظيماً لنفسه، وتعليماً لخلقه كيفية الثناء عليه، فأل في الحمد الصادر منه تعالى، يحتمل أن تكون للاستغراق أو للجنس، ولا يصح أن تكون عهدية، لأنه لم يكن ثم شيء معهود غير الحاصل بهذه الجملة، وأما في كلام العباد، فالأولى أن تكون عهدية، والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه. قوله: [**كما بين في أول سورة سبأ**] أي حيث قال هناك: حمد تعالى نفسه بذلك، والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد، وهو الوصف الجميل، وعلم أن السور المفتتحة بالحمد أربع: الأنعام والكهف وسبأ وفاطر، وحكمة افتتاحها بذلك، أن فيها تفصيل النعم الدينية والدنيوية التي احتوت عليها الفاتحة. قوله: [**على غير مثال ذلك**] أي وإن كان لهما مادة، وهو النور المحمدي، فالمنفي المثال السابق فقط.

قوله: ﴿**جاعل الملائكة**﴾ نعت ثان للفظ الجلالة، و﴿**جاعل**﴾ وإن كان بمعنى المضي، إلا أنه للاستمرار، فباعتبار دلالته على المضي، تكون إضافته محضة، فيصلح لوصف المعرفة به، وباعتبار دلالته على الحال والاستقبال، يصلح للعمل في ﴿**رسلاً**﴾. قوله: [**إلى الأنبياء**] أي بالوحي، وحينئذ فيراد بعض الملائكة لا كلهم، وعبارة البيضاوي أوضح من هذه وأولى، ونصها: جاعل الملائكة رسلاً وسائط بين الله تعالى، وبين أنبيائه والصالحين من عباده، يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة، أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه.

قوله: ﴿**أولي أجنحة**﴾ يصح أن يكون صفة لرسلاً، وهو وإن كان صحيحاً من جهة اللفظ لتوافقهما تنكيراً إلا أنه يوهم أن الأجنحة لخصوص الرسل، مع أنها لكل الملائكة، فالأحسن جعله صفة أو حالاً من الملائكة، نظراً لأل الجنسية. قوله: ﴿**مثنى**﴾ بدل من ﴿**أجنحة**﴾ مجرور بفتحة مقدرة، نيابة عن الكسرة المقدرة لأنه اسم لا ينصرف،

الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾: كرزق ومطر ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ﴾: من ذلك ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾[٢]: في فعله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: أي أهل مكة ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ﴾: من زائدة وخالق مبتدأ ﴿غَيْرُ اللَّهِ﴾: بالرفع والجر نعت لخالق لفظاً ومحلاً وخبر المبتدأ ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾: المطر ﴿وَ﴾: من ﴿الْأَرْضِ﴾: النبات والاستفهام للتقرير أي لا خالق رازق غيره

والمانع له من الصرف الوصفية والعدل، لكونه معدولا عن اثنين اثنين. قوله: ﴿وثلاث ورباع﴾ إن قلت: في أي محل يكون الجناح الثالث لذي الثلاثة؟ قلت: لعله يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بالقوة.

قوله: ﴿يزيد في الخلق﴾ جملة مستأنفة سيقت لبيان باهر قدرته تعالى. قوله: [في الملائكة] أي في صورهم، فقد قال الزمخشري: رأيت في بعض الكتب، أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة، فجناحان يلفون بهما أجسادهم، وجناحان للطير يسيرون بهما في الأمر من أمور الله، وجناحان على وجوههم حياء من الله تعالى، وفي الحديث: رأيت جبريل عند سدرة المنتهى، وله ستمائة جناح، يتناثر من رأسه الدر والياقوت». وروي أنه سأل جبريل أن يتراءى له في صورته فقال: إنك لن تطيق ذلك، فقال: إني أحب أن تفعل، فخرج رسول الله ﷺ في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل في صورته، فغشي على رسول الله ﷺ، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده، وإحدى يديه على صدره، والأخرى بين كتفيه، فقال: سبحان الله ما كنت أرى شيئاً من الخلق هكذا، فقال جبريل: فكيف لو رأيت إسرافيل، له اثنا عشر ألف جناح، جناح منها بالمشرق، وجناح بالمغرب، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحايين، أي يتصاغر الأزمان لعظمة الله، حتى يعود مثل الوصع، وهو العصفور الصغير. قوله: [وغيرها] أي من جميع الخلق، كطول القامة، واعتدال الصورة، وتمام الأعضاء، وقوة البطش، وحسن الصوت، والشعر، والخط، وغير ذلك من الكمالات التي أعطاها الله لخلقه. قوله: ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ كالتعليل لما قبله.

قوله: ﴿ما يفتح الله﴾ ﴿ما﴾ شرطية، و ﴿يفتح﴾ فعل الشرط، وقوله: ﴿فلا ممسك لها﴾ جواب الشرط، أو موصولة مبتدأ، و ﴿يفتح﴾ صلتها. وقوله: ﴿فلا ممسك لها﴾ خبر المبتدأ، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من العموم، وقوله: ﴿من رحمة﴾ بيان لما. قوله: [كرزق] أي دنيوي أو أخروي، وعبر في جانب الرحمة بالفتح، إشارة إلى أنها شيء عزيز نفيس، شأنه أن يوضع في خزائن، وأتى بها منكرة، لتعم كل رحمة دنيوية أو أخروية. قوله: ﴿فلا ممسك لها﴾ أنث مراعاة لمعنى ﴿ما﴾ وهو الرحمة. قوله: ﴿وما يمسك﴾ يصح أن يبقى على عمومه، فالتذكير في قوله ظاهر، ويصح أن يكون قد حذف من الثاني لدلالة الأول عليه، والتذكير مراعاة اللفظ، وقد أشار المفسر لهذا الثاني بقوله: [من ذلك] يعني من الرحمة. قوله: [أي أهل مكة] تفسير للناس باعتبار سبب النزول، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ.

قوله: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أي اشكروه على تلك النعم التي أسداها إليكم. قوله: [بإسكانكم] الخ، أشار بذلك إلى أن النعمة بمعنى الإنعام، ويصح أن تكون بمعنى المنعم به. قوله: [وخالق مبتدأ] أي مرفوع بضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. قوله: [بالجر والرفع] أي فهما قراءتان سبعيتان، وقوله: [لفظاً أو محلاً] لف ونشر مرتب، وفي بعض النسخ بتقديم الرفع، فيكون لفاً ونشراً مشوشاً، وقرئ شذوذاً بالنصب على الاستثناء. قوله: [والاستفهام للتقرير] أي والتوبيخ. قوله: [أي لا خالق رازق غيره] هذا حل معنى

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾٣: من أي تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾: يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾: في ذلك فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾٤: في الآخرة فيجازي المكذبين وينصر المرسلين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ﴾: في حلمه وإمهاله ﴿الْغَرُورُ﴾٥: الشيطان ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾: بطاعة الله ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾: أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾٦: النار الشديدة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾٧: هذا بيان ما لموافقي الشيطان وما لمخالفيه. ونزل في أبي جهل وغيره

لا حل إعراب، وإلا لقال: لا خالق غيره رازق لكم. قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ كلام مستأنف لتقرير النفي المتقدم. قوله: ﴿فأنى تؤفكون﴾ من الإفك بالفتح وهو الصرف، وبابه ضرب، ومنه قوله تعالى ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا﴾ وأما الإفك بالكسر فهو الكذب. قوله: [من أين تصرفون عن توحيده] أي كيف تعبدون غيره. مع أنه ليس في ذلك الغير وصف يقتضي عبادته من دون الله.

قوله: ﴿وإن يكذبوك﴾ أي يدوموا على تكذيبك، وهذا تسلية له ﷺ. قوله: [فاصبر كما صبروا] قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، والمعنى فتأس بمن قبلك ولا تحزن. قوله: [فيجازي المكذبين] أي بإدخالهم النار، وقوله: [وينصر المرسلين] أي بقبول شفاعتهم وإدخالهم دار الكرامة. قوله: [وغيره] أي كالحساب والعقاب. قوله: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ المراد نهيهم عن الاغترار بها، والمعنى فلا تغتروا بالدنيا، فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها. قوله: [في حلمه] أي بسببه، والمعنى لا تجعلوا حلمه وإمهاله سبباً في إتباعكم الشيطان. قوله: ﴿الغرور﴾ هو بالفتح في قراءة العامة كالصبور والشكور، وقرئ شذوذاً بضمها، إما جمع غار كقاعد وقعود، أو مصدر كالجلوس. قوله: ﴿إن الشيطان لكم عدو﴾ أي عظيم، فإن عداوته قديمة مؤسسة من عهد آدم. قوله: ﴿فاتخذوه عدواً﴾ أي فكونوا منه على حذر في جميع أحوالكم، ولا تأمنوا له في السر والعلانية، ولا تقبلوا منه صرفاً ولا عدلاً، قال البوصيري:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً ... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

قوله: ﴿إنما يدعو حزبه﴾ الخ بيان لوجه عداوته وتحذير من طاعته. قوله: [هذا] أي قوله: ﴿الذين كفروا﴾ إلى آخره، والمعنى من كفر من أول الزمان إلى آخره، فله العذاب الشديد، ومن آمن من أول الزمان إلى آخره، فله المغفرة والأجر الكبير. قوله: [ونزل في أبي جهل وغيره] أي من مشركي مكة، كالعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وعقبة بن أبي معيط وأضرابهم، ويؤيد هذا القول آيات منها: ﴿ليس عليك هداهم﴾. ومنها: ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾. ومنها: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ وغير ذلك، ففي هذه الآيات تسلية له ﷺ على كفر قومه، وقيل: هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة، ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم لما هو مشاهد الآن في نظائرهم يحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون، استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون،

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾: بالتمويه ﴿فَرَآهُ حَسَناً﴾: مَنْ مبتدأ خبره كمن هداه الله لا دلّ عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾: على المزيّن لهم ﴿حَسَرَاتٍ﴾: باغتمامك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ٨: فيجازيهم عليه ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ﴾: وفي قراءة الريح ﴿فَتُثِيرُ سَحَاباً﴾: المضارع لحكاية الحال الماضية أي تزعجه ﴿فَسُقْنَاهُ﴾: فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: بالتشديد والتخفيف لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يبسها أي أنبتنا به الزرع والكلأ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ ٩: أي البعث والإحياء ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾: أي في الدنيا والآخرة فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ

نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم. وقيل: نزلت في اليهود والنصارى. وقيل: نزلت في الشيطان، حيث زيّن له أنه العابد التقي، وآدم العاصي، فخالف ربه لاعتقاده أنه على شيء.

قوله: ﴿أفمن زين له سوء عمله﴾ أي زيّن له الشيطان ونفسه الأمارة عمله السيء، فهو من إضافة الصفة للموصوف. قوله: [بالتمويه] أي التحسين ظاهراً بأن غلب وهمه على عقله، فرأى الحق باطلاً، والباطل حقاً، وأما من هداه الله فقد رأى الحق حقاً فاتبعه، ورأى الباطل باطلاً فاجتنبه. قوله: [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: [دل عليه] أي على تقدير الخبر، والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله: ﴿فإن الله يضل من يشاء﴾ الخ عليه، وفي هذه الآية رد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه، فلو كان كذلك، ما أسند الإضلال والهدى لله تعالى.

قوله: ﴿فلا تذهب نفسك عليهم﴾ عامة القراء على فتح التاء والهاء، ورفع نفس على الفاعلية، ويكون المعنى: لا تتعاط أسباب ذلك، وقرئ شذوذاً بضم التاء وكسر الهاء، و﴿نفسك﴾ مفعول به، ويكون المعنى: لا تهلكها على عدم إيمانهم. قوله: ﴿حسرات﴾ مفعول لأجله، جمع حسرة، وهي شدة التلهف على الشيء الفائت. قوله: [فيجازيهم عليه] أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. قوله: [وفي قراءة الريح] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [لحكاية الحال الماضية] أي استحضاراً لتلك الصورة العجيبة التي تدل على كمال قدرته تعالى. قوله: [أي تزعجه] أي تحركه وتثيره. قوله: [فيه التفات عن الغيبة] أي الكائنة في قوله: ﴿والله الذي أرسل﴾. قوله: ﴿إلى بلد ميت﴾ البلد يذكر ويؤنث، يطلق على القطعة من الأرض، عامرة أو خالية. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [لا نبات بها] أي فالمراد بالموت عدم النبات والمرعى، وبالحياة وجودهما. قوله: [من البلد] [من] بيانية. قوله: ﴿كذلك النشور﴾ أي كمثل إحياء الأرض بالنبات إحياء الأموات، ووجه الشبه أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها، كذلك الأعضاء تقبل الحياة اللائقة بها، فإن البلد الميت تساق إليها المياه فتحيا بها، والأجساد تساق إليها الأرواح فتحيا بها.

قوله: ﴿ومن كان يريد العزة فللّه العزة جميعاً﴾ ﴿من﴾ شرطية مبتدأ، وجوابها محذوف، قدره المفسر بقوله: [فليطعه] وقوله: ﴿فللّه العزة﴾ تعليل للجواب، واختلف في هذه الآية فقيل: المراد من كان يريد أن يسأل عن العزة لمن هي؟ فقل له: لله العزة جميعاً. وقيل: المراد من أراد العزة لنفسه فليطلبها من الله، فإن العزة له لا لغيره، وطلبها يكون بطاعته والالتجاء إليه، والوقوف على بابه، لما ورد في الحديث: «من أراد عز الدارين فليطع العزيز»، ومن طلب العزة من غيره تعالى كسي من وصفه، وهو الذل، لأن وصف العبد الذل، ووصف الله العز، فمن التجأ إلى الله، كساه

---

* أسباب نزول الآية ٨: أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية ﴿أفمن زين له سوء عمله﴾ الآية حيث قال النبي ﷺ: «اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام»، فهدى الله عمر وأضل أبا جهل، ففيهما أنزلت.

﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: يعلمه وهو لا إله إلا الله ونحوها ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾: يقبله ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾: المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: بالنبي في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر في الأنفال ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ ١٠: يهلك ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾: بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: أي مني بخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: ذكوراً وإناثاً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾: حال أي معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾: أي ما يزاد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾: أي ذلك المعمّر أو معمّر آخر ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾: هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ١١: هين ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: شديد

الله من وصفه، ومن التجأ إلى العبد كساه الله من وصف ذلك العبد لما ورد: من استعز بقوم أورثه الله ذلهم، وقال الشاعر:

وإذا تـذلـلـت الـرقـاب تـواضـعـاً ... مـنـا إلـيـك فـعـزهـا فـي ذلـهـا

قوله: [يعلمه] أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازاً، فالصعود مجاز عن العلم، كما يقال: ارتفع الأمر إلى القاضي، يعني علمه، وعبّر عنه بالصعود، إشارة لقبوله، لأن موضع الثواب فوق، وموضع العذاب أسفل، وقيل: المعنى يصعد إلى سمائه، وقيل: يحتمل الكتاب الذي كتب فيه طاعة العبد إلى السماء. قوله: [ونحوها] أي من الأذكار والتسبيح وقراءة القرآن. قوله: ﴿والعمل الصالح﴾ أي كالصلاة والصوم، وغير ذلك من الطاعات. قوله: ﴿والذين يمكرون﴾ بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء، بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح. قوله: [المكرات] قدره إشارة إلى أن السيئات صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق ليمكرون، لأن مكر لازم لا ينصب المفعول، والمكر: الحيلة والخديعة. قوله: [في دار الندوة] أي وهي التي بناها قصي بن كلاب للتحدث والمشاورة. قوله: [كما ذكر في الأنفال] أي في قوله ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ الآيات، وقد فصلت هناك. قوله: ﴿ومكر أولئك﴾ أتى باسم الإشارة البعيد إشارة لبعدهم عن الرحمة واشتهارهم بالبغي والفساد. قوله: ﴿هو يبور﴾ ﴿هو﴾ مبتدأ ثان، و﴿يبور﴾ خبره، والجملة خبر الأول، ويصح أن يكون ضمير فصل لا محل له من الإعراب، وقولهم: إن الفصل لا يقع قبل الخبر إذا كان فعلاً مردود بجواز ذلك. قوله: [بخلق أبيكم آدم منه] ويصح أن يراد ﴿خلقكم من تراب﴾ بواسطة أن النطفة من الغذاء وهو من التراب. قوله: ﴿أزواجاً﴾ أي أصنافاً. قوله: ﴿من أنثى﴾ ﴿من﴾ زائدة في الفاعل. قوله: [حال] أي من أنثى.

قوله: ﴿وما يعمر من معمر﴾ بفتح الميم في قراءة العامة. قال ابن عباس: ما يعمّر من معمّر، إلا كتب عمره كم هو سنة؟ وكم هو شهراً؟ وكم هو يوماً؟ وكم هو ساعة؟ ثم يكتب في كتاب آخر: نقص من عمره يوم، نقص شهر، نقص سنة، حتى يستوفي أجله، فما مضى من أجله فهو النقصان، وما يستقبله فهو الذي يعمّره، وهذا هو الأحسن، وقيل: إن الله كتب عمر الإنسان مائة سنة إن أطاع، وتسعين إن عصى، فأيهما بلغ فهو كتاب، وهذا مثل قوله عليه السلام: من أحب أن يبسط الله له في رزقه، وينسأ له في أثره، أي يؤخر في عمره، فليصل رحمه، أي إنه يكتب في اللوح المحفوظ: عمر فلان كذا سنة، فإن وصل رحمه يزيد في عمره كذا سنة، فبين ذلك في موضع آخر من اللوح المحفوظ، أنه سيصل رحمه، فمن أطلع على الأول دون الثاني ظن أنه زيادة أو نقصان. قوله: [أو معمر آخر] أي على حد: عندي درهم ونصفه، أي فالمعنى: ما يزاد في عمر شخص بأن يكون أجله طويلاً، ولا ينقص من عمر آخر بأن يكون عمره قصيراً إلا في كتاب. قوله: ﴿إن ذلك﴾ أي كتابة الأعمار والآجال. قوله: ﴿على الله يسير﴾ أي سهل غير متعذر.

قوله: ﴿وما يستوي البحران﴾ هذا مثل للمؤمن والكافر، وقوله: [شديد العذوبة] أي يكسر وهج العطش.

العذوبة ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾: شربه ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: شديد الملوحة ﴿وَمِنْ كُلٍّ﴾: منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾: من الملح وقيل منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾: تبصر ﴿الْفُلْكَ﴾: السفن ﴿فِيهِ﴾: في كل منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾: تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لِتَبْتَغُوا﴾: تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٢]: الله على ذلك ﴿يُولِجُ﴾: يدخل الله ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾: فيزيد ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾: يدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾: فيزيد ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾: منهما ﴿يَجْرِي﴾: في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾: يوم القيامة ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: أي غيره وهم الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [١٣] لفافة النواة ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا﴾: فرضاً ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: ما أجابوكم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: بإشراككم إياهم مع الله أي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾: بأحوال الدارين ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [١٤]: عالم وهو الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾: بكل حال ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾: عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ [١٥] المحمود في صنعه بهم ﴿إِنْ

قوله: ﴿سائغ﴾ أي يسهل الحرارة. قوله: [شربه] إنما فسر الشراب بالشرب؛ لأن الشراب هو المشروب، فيلزم إضافة الشيء لنفسه. قوله: ﴿أجاج﴾ أي يحرق الحلق بملوحته. قوله: ﴿ومن كل تأكلون﴾ الخ يحتمل أنه استطراد لبيان صفة البحرين وما فيهما من المنافع، والمثل قد تم بما قبله وهو الأظهر، وقيل: هو من تمام التمثيل، يعني أنهما وإن اشتركا في بعض الأوصاف، لا يستويان في جميعها كالبحرين، فإنهما وإن اشتركا في بعض المنافع لا يستويان في جميعها. قوله: [هو السمك] المراد به حيوانات البحر كلها، فيجوز أكلها. قوله: [وقيل منهما] أي ووجهه أن في البحر الملح عيوناً عذبة تمتزج بالملح، فيخرج اللؤلؤ منهما عند الامتزاج. قوله: [والمرجان] هو عروق حمر، تطلع من البحر كأصابع الكف، وقيل: هو صغار اللؤلؤ.

قوله: ﴿لتبتغوا﴾ متعلق بمواخر. قوله: [بالتجارة] أي وغيرها كالغزو والحج. قوله: [على ذلك] أي على ما أسداه إليكم من تلك النعم. قوله: ﴿يولج الليل في النهار﴾ أي فيطول النهار، حتى يصير من طلوع الشمس لغروبها، أربع عشرة ساعة كأيام الصيف، وقوله: ﴿ويولج النهار في الليل﴾ أي فيطول الليل، حتى يكون من الغروب للطلوع أربع عشرة ساعة كأيام الشتاء، فالدائر بين الليل والنهار أربع ساعات، تارة تكون في الليل، وتارة تكون في النهار.

قوله: ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ معطوف على ﴿يولج﴾ وعبر بالمضارع في جانب الليل والنهار، لأن إيلاج أحدهما في الآخر يتجدد كل عام، وأما الشمس والقمر فتسخيرهما من يوم خلقهما الله، فلا تجدد فيه، وإنما التجدد في آثارهما، فلذا عبر في جانبهما بالماضي. قوله: ﴿والذين تدعون من دونه﴾ الخ، هذا من جملة الأدلة على انفراده تعالى بالألوهية. قوله: [لفافة النواة] بكسر اللام، وهي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة. واعلم أن في النواة أربعة أشياء، ويضرب بها المثل في القلة: الفتيل: وهو ما في شق النواة، والقطمير: وهو اللفافة، والنقير: وهو ما في ظهرها، والثفروق: وهو ما بين القمع والنواة. قوله: [ما أجابوكم] أي بجلب نفع، ولا دفع ضر. قوله: [بإشراككم إياهم] أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للفاعل. قوله: [أي يتبرؤون منكم] أي بقولهم: ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾. قوله: ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ أي لا يخبرك أحد مثلي، لأني عالم بالأشياء وغيري لا يعلمها، وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عاماً غير مختص بأحد، ويحتمل أن يكون خطاباً له ﷺ.

قوله: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ إنما خاطب الناس بذلك، وإن كان كل ما سوى الله فقيراً؛ لأن الناس

﴿يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ١٦ : بدلكم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ١٧ : شديد ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ : نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ : آثمة أي لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ : نفس ﴿أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ﴾ : نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ : بالوزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ : منه أحداً ليحمل بعضه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ : المدعو ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ : قرابة كالأب والابن وعدم الحمل في الشقين حكم من الله تعالى ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ : أي يخافونه وما رأوه لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ :

هم الذين يدعون الغنى وينسبونه لأنفسهم. والمعنى: يا أيها الناس، أنتم أشد الخلق افتقاراً واحتياجاً إلى الله في أنفسكم وعيالكم وأموالكم، وفيما يعرض لكم من سائر الأمور، فلا غنى لكم عنه طرفة عين، ولا أقل من ذلك، ومن هنا قول الصديق رضي الله عنه: من عرف نفسه عرف ربه، أي من عرف نفسه بالفقر والذل والعجز والمسكنة، عرف ربه بالغنى والعز والقدرة والكمال. قوله: [بكل حال] أي في حالة الفقر والغنى والضعف والقوة والذل والعز، فالعبد مفتقر لربه في أي حالة كان بها ذلك العبد. قوله: ﴿الحميد﴾ إنما ذكره بعد الغنى لدفع توهم أن غناه تعالى تارة ينفع وتارة لا، فأفاد أنه كما أنه غني، هو منعم جواد محمود على إنعامه لكونه يعطي النوال قبل السؤال، للبر والفاجر.

قوله: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ هذا بيان لغناه المطلق، يعني أن إذهابكم ليس متوقفاً على شيء، إلا على مشيئته، فإبقاؤكم من محض فضله. قوله: ﴿بخلق جديد﴾ أي بعالم آخر غير ما تعرفونه. قوله: [شديد] أي متعذر ومتعسر. قوله: ﴿وازرة﴾ فاعل ﴿تزر﴾ وهو صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله: [نفس] والمعنى لا تحمل نفس وازرة وزر نفس أخرى، وأما غير الوازرة، فتحصل وزر الوازرة، بمعنى تشفع لها في غفرانه، لا بمعنى أنه ينتقل من الوازرة لغيرها. إن قلت: ما الجمع بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم﴾ الآية؟ أجيب: بأن تلك الآية محمولة على من ضل، وتسبب في الضلال لغيره، فعليه وزر ضلاله، ووزر تسببه، لأن تسببه من فعله، فلم يحمل إلا أثقال نفسه، فرجع الأمر إلى أن الإنسان لا يحمل وزر غيره أصلاً، بل كل نفس بما كسبت رهينة.

قوله: ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها﴾ أي وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب نفساً إلى حملها، وهو بالكسر ما يحمل على ظهر أو رأس، وبالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة. قوله: ﴿لا يحمل منه شيء﴾ العامة على قراءة يحمل مبنياً للمفعول، و﴿شيء﴾ نائب الفاعل، وقرىء شذوذاً تحمل، بفتح التاء وكسر الميم، مسنداً إلى ضمير النفس المحذوفة، وشيئاً مفعول تحمل. قوله: ﴿ولو كان ذا قربى﴾ العامة على قراءة ﴿ذا﴾ بالنصب خبر ﴿كان﴾ واسمها ضمير يعود على [المدعو] كما قدره المفسر، وقرىء شذوذاً بالرفع على أن ﴿كان﴾ تامة، والمعنى وإن تدع نفس مذنبة نفساً أخرى، إلى حمل شيء من ذنبها، لا يحمل منه شيء، ولو كانت تلك النفس الأخرى قريبة للداعية، كابنها أو أبيها لما ورد: يلقى الأب والأم الابن فيقولان له: يا بني احمل عنا بعض ذنوبنا، فيقول: لا استطيع حسبي ما علي. قوله: [في الشقين] أي الحمل القهري والاختياري. قوله: [حكم من الله تعالى] أي وهو لا يخلو عن حكمة عظيمة.

قوله: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم﴾ ﴿إنما﴾ أداة حصر، والمعنى إن إنذارك مقصور على الذين يخشون ربهم، وقوله: ﴿بالغيب﴾ حال من فاعل ﴿يخشون﴾ أي يخشونه، حال كونهم غائبين عنه، فالغيبة وصف العبيد لا وصف الرب، فإن وصف الرب القرب، قال تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ووصف العبيد الغيبة والحجاب، فالعبيد محجوبون عن ربهم بصفات جلاله، ويصح أن يكون حالاً من المفعول، أي يخشونه، والحالة أنه غائب عنهم، أي محتجب بجلاله فلا يرونه، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: [وما رأوه] فعدم رؤية الله تعالى إنما هو من تحجبه بصفات الجلال، فإذا تجلى بالجمال رأته الأبصار، وذلك يحصل في الآخرة لأهل الإيمان، وقد حصل في الدنيا لسيد الخلق على الإطلاق، وقد يتجلى بالجمال للقلوب في الدنيا فتراه، وهي الجنة المعجلة لأهل الله المقربين.

أداموها ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾: تطهر من الشرك وغيره ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾: فصلاحه مختص به ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ١٨: المرجع فيجزي بالعمل في الآخرة ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ ١٩: الكافر والمؤمن ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾: الكفر ﴿وَلَا النُّورُ﴾ ٢٠: الإيمان ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ ٢١: الجنة والنار ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: المؤمنون ولا الكفار وزيادة لا في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾: هدايته فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ٢٢: أي الكفار شبههم بالموتى فيجيبون ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: منذر لهم ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾: من أجاب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ ٢٣: من لم يجب إليه ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾: سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ٢٤: نبي ينذرها ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾: أي أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾: كصحف إبراهيم ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ٢٥: هو التوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بتكذيبهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ٢٦: إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك أي هو

قوله: [لأنهم المتنفعون بالإنذار] جواب عما يقال: كيف قصر الإنذار على أهل الخشية، مع أنه لجميع المكلفين. فأجاب: بأن وجه قصره عليهم انتفاعهم به، فكأنه قال: إنما ينفع إنذارك أهل الخشية. قوله: [أداموها] أي واظبوا عليها، بأركانها وشروطها وآدابها، وفي نسخة أدوها. قوله: [وغيره] أي كالمعاصي. قوله: [فصلاحه مختص به] أي فهو قاصر عليه لا يتعداه، فيجزي بالعمل في الآخرة، أي الخير والشر.

قوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ الخ، مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، وأفاد أولاً الفرق بين ذاتيهما، وثانياً بين وصفيهما، وثالثاً بين داريهما في الآخرة، وأما قوله: ﴿وما يستوي الأحياء﴾ الخ فهو مثل آخر على أبلغ وجه، لأن الأعمى ربما يكون فيه بعض نفع، بخلاف الميت. قوله: ﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ جمع ﴿الظلمات﴾ باعتبار أنواع الكفر، فإن أنواعه كثيرة، بخلاف الإيمان، فهو نوع واحد. قوله: ﴿ولا الحرور﴾ هي الريح الحارة، خلاف السموم، فالحرور تكون بالنهار، والسموم بالليل، وقيل: الحرور والسموم: الليل والنهار. قوله: [وزيادة لا في الثلاثة] أي في الجمل الثلاث التي أولها ﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ وثانيها ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ وثالثها ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ وإنما زيدت للتأكيد في الجميع، لأن نفي المساواة معلوم من ما النافية. قوله: ﴿إن الله يسمع من يشاء﴾ من هنا إلى قوله: ﴿نكير﴾ تسلية له ﷺ. قوله: [شبههم بالموتى] أي في عدم التأثر بدعوته.

قوله: ﴿إن أنت إلا نذير﴾ أي فليس عليك إلا التبليغ، والهدى بيد الله يؤتيه من يشاء. قوله: ﴿بالحق﴾ حال من الكاف، بدليل قول المفسر [بالهدى] كأنه قال: أرسلناك حال كونك هادياً. قوله: ﴿وإن من أمة﴾ أي تعلمها، وقوله: [نبي ينذرها] أي يخوفها من عقاب الله، وتنقضي شريعته بموته، فما بين الرسولين من أهل الفترة، وهم ناجون من أهل الجنة، وإن غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله، بنص قوله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ وأما ما ورد من تعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لحي، وامرىء القيس، وحاتم الطائي، فقيل: إن ذلك لحكمة يعلمها الله لا لكفرهم، والتحقيق أنه خبر آحاد، وهو لا يعارض النص القطعي، وتقدم الكلام في ذلك عند قوله تعالى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾. قوله: ﴿وبالزبر﴾ اسم لكل ما يكتب. قوله: [كصحف إبراهيم] أي وهي ثلاثون، وكصحف موسى قبل التوراة وهي عشرة، وكصحف شيث وهي ستون، فجملة الصحف مائة، تضم لها الكتب الأربعة، فجملة الكتب السماوية مائة وأربعة. [فاصبر كما صبروا] قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف. قوله: [أي هو واقع موقعه] أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريري.

واقع موقعه. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾: فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾: كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾: جمع جدة طريق في الجبل وغيره ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾: وصفر ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾: بالشدة والضعف ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ ٢٧: عطف على جدد أي صخور شديدة السواد يقال كثيراً أسود غربيب وقليلاً غربيب أسود ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾: كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾: بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ ٢٨: لذنوب عباده المؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾: يقرؤون ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أداموها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: زكاة أو غيرها ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ ٢٩: تهلك ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾: ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾: لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ ٣٠: لطاعتهم ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ ٣١: عالم

قوله: ﴿ألم تر﴾ خطاب لك من تتأتى منه الرؤية، وهو كلام مستأنف، سيق لبيان باهر قدرته تعالى وكمال حكمته. قوله: [فيه التفات] أي وحكمته أن المنة في الإخراج أبلغ من إنزال الماء، وكما في الإخراج من الصنع البديع الدال على كمال القدرة الإلهية. قوله: ﴿ثمرات مختلفاً ألوانها﴾ أي في أصل اللون، كالأخضر والأصفر والأحمر، وفي شدة اللون الواحد وضعفه. قوله: ﴿ومن الجبال جدد﴾ قرأ العامة بضم الجيم وفتح الدال، جمع جدة وهي الطريق، وقرىء شذوذاً بضم الجيم والدال جمع جديدة، وبفتحهما. قوله: ﴿مختلفاً ألوانها﴾ مختلف صفة لجدود، و﴿ألوانها﴾ فاعل به، و﴿مختلف﴾ خبر مقدم، و﴿ألوانها﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لجدد. قوله: ﴿وغرابيب سود﴾ الغربيب تأكيد للأسود، كالقاني تأكيد للأحمر، وإنما قدمه عليه للمبالغة. قوله: [يقال كثيراً] أي بتقديم الموصوف على الصفة، وهذا هو الأصل، وقوله: [وقليلاً] أي بتقديم الصفة على الموصوف، وهذا خلاف الأصل، ويرتكب للمبالغة.

قوله: ﴿ومن الناس﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿مختلف ألوانه﴾ صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ، أي صنف مختلف ألوانه من الناس، وقوله: ﴿كذلك﴾ صفة لمصدر محذوف، أي اختلافاً كذلك. قوله: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ أي أن خشية الله شرطها العلم والمعرفة به، فمن اشتدت معرفته لربه، كان أخشاهم له، ولذا ورد في الحديث «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له». وقرىء شذوذاً برفع الجلالة ونصب العلماء، والمعنى إنما يعظم الله من العباد العلماء، وإنما كان كذلك لكونهم أعرف الناس بربهم وأتقاهم له، فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداء بالله تعالى، فإن الله أخبر أنه يعظمهم ويجلهم. قوله: ﴿إن الله عزيز غفور﴾ تعليل لوجوب الخشية كأنه قيل: يجب على كل إنسان أن يخشى الله تعالى لأنه عزيز قاهر لما سواه، غفور للمذنبين.

قوله: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ أي يقرؤونه على طهارة أولاً، على ظهر قلب أو في المصحف، وفضل الله واسع. قوله: [زكاة أو غيرها] لف ونشر مشوش، وهو تحضيض على الانفاق كيفما تيسر. قوله: ﴿يرجون تجارة﴾ خبر ﴿إن﴾ أي يرجون ثواب تجارة. قوله: ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ اللام للعاقبة والصيرورة. قوله: ﴿شكور﴾ أي يثيبهم على طاعتهم. قوله: ﴿من الكتاب﴾ ﴿من﴾ لبيان الجنس أو للتبعيض. قوله: ﴿هو الحق﴾ هو إما ضمير فصل أو مبتدأ،

---

* أسباب نزول الآية ٢٩: وأخرج عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن ابن عباس: أن حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي، نزل فيه ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة﴾ الآية.

بالبواطن والظواهر ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾: أعطينا ﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: وهم أمتك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾: يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾: يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادته ﴿ذَلِكَ﴾: أي إيراثهم الكتاب ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ٣٢ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾: الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول خبر جنات المبتدأ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾: خبر ثان ﴿فِيهَا مِنْ﴾: بعض ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾: مرصع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ٣٣ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾: جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾: للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾: للطاعات ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾: أي الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ ٣٥: إعياء من التعب لعدم التكليف فيها وذكر الثاني

و﴿الحق﴾ خبر، والجملة خبر ﴿الذي﴾ و﴿مصدقاً﴾ حال مؤكدة. قوله: [عالم بالبواطن والظواهر] لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿ثم أورثنا﴾ أتى بثم إشارة لبعد رتبتهم عن رتبة غيرهم من الأمم. قوله: [أعطينا] أشار بذلك إلى أن المراد بالتوريث الإعطاء، ووجه تسميته ميراثاً أن الميراث يحصل للوارث بلا تعب ولا نصب، وكذلك إعطاء الكتاب حاصل بلا تعب ولا نصب. قوله: ﴿من عبادنا﴾ بيان للمصطفين. قوله: [وهم أمتك] أي أمة الإجابة، سواء حفظوه كلاً أو بعضاً، أو لا، وإلا فليس المراد بإعطاء الكتاب حفظه، بل الاهتداء بهديه والاقتداء به. قوله: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ الخ، أي من غلبت سيئاته على حسناته، والمقتصد من غلبت حسناته على سيئاته، والسابق من لا تقع منه سيئة أصلاً، ولذا ورد في الحديث في تفسير هذه الآية: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له». وقيل: الظالم هو راجح السيئات، والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته، والسابق هو الذي رجحت حسناته، وقيل: الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه، والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه، والسابق من باطنه خير من ظاهره، وقدم الظالم على من بعده، ليقوى رجاؤه في ربه، ولئلا يعجب الطائع بعمله فيهلك، وهذا نحو ما قيل في قوله تعالى ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.

قوله: ﴿بإذن الله﴾ متعلق بقوله سابق، وإنما خص مع أن الكل بإذن الله تنبيهاً على عزة هذه المرتبة، فأضيفت لله. قوله: ﴿يدخلونها﴾ الخ أتى بضمير جماعة الذكور في تلك الآيات تغليباً للمذكر على المؤنث، وإلا فلا خصوصية للذكور. قوله: [بالبناء للفاعل وللمفعول] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [مرصع بالذهب] تقدم أنه أحد قولين، وقيل: إنهم يحلون فيها أسورة من ذهب، وأسورة من فضة، وأسورة من لؤلؤ. قوله: ﴿وقالوا﴾ عبر بالماضي لتحقق وقوعه. قوله: [جميعه] أي كخوف الأمراض والفقر والموت وزوال النعم، وغير ذلك من آفات الدنيا وهمومها. قوله: ﴿الذي أحلنا﴾ أي أدخلنا وأسكننا. قوله: ﴿دار المقامة﴾ مفعول ثان لأحلنا، والمراد بها الجنة التي تقدم ذكرها. قوله: ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ حال من ضمير أحلنا البارز. قوله: [تعب] أي فلا نوم في الجنة لعدم التعب بها. قوله: [إعياء من التعب] أي فإذا اشتهى الشخص من أهل الجنة، أن يسير وينظر ويتمتع بجميع ما أعطاه الله، من الحور والغرف والقصور، في أقل زمن فعل، ولا يحصل له إعياء ولا مشقة، وبالجملة فأحوال الجنة لا تقاس على أحوال الدنيا، وهذه الآية فيها أعظم بشرى لهذه الأمة المحمدية. قوله: [وذكر الثاني] جواب عما يقال: ما الفائدة في نفي اللغوب، مع أن انتفاءه يعلم من انتفاء النصب، لأن انتفاء السبب، يستلزم انتفاء المسبب.

---

* أسباب نزول الآية ٣٥: وأخرج البيهقي في البعث وابن أبي حاتم من طريق نفيع بن الحارث عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا فهل في الجنة من نوم؟ قال: لا إن النوم شريك الموت، ليس في الجنة موت، قال: فما راحتهم؟ فأعظم ذلك رسول الله ﷺ وقال: ليس فيها لغوب كل أمرهم راحة فنزلت ﴿لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾.

التابع للأول للتصريح بنفيه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ : بالموت ﴿فَيَمُوتُواْ﴾ : يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ : طرفة عين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ : كما جزيناهم ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ ٣٦ : كافر بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب كل ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ : يستغيثون بشدة وعويل يقولون ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ : منها ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ : فيقال لهم ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا﴾ : وقتاً ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ : الرسول فما أجبتم ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ : الكافرين ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ ٣٧ يدفع العذاب عنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ٣٨ : بما في القلوب فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ : جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضاً ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ : منكم

قوله: ﴿والذين كفروا﴾ الخ، هذا مقابل قوله: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه، إذا ذكر أوصاف المؤمنين أعقبه بذكر أوصاف الكفار. قوله: ﴿لا يقضى عليهم﴾ أي لا يحكم عليهم بالموت، وقوله: ﴿فيموتوا﴾ مسبب عن قوله: ﴿لا يقضى﴾ وهو منفي أيضاً، لأنه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب. إن قلت: إن في هذه الآية دليلاً على أن أهل النار لا يموتون، وفي آية أخرى ﴿لا يموت فيها ولا يحيى﴾ فيقتضي أن أهل النار بحالة بين الحالتين، مع أنه لا واسطة. وأجيب: بأن المعنى لا يموتون فيستريحون من العذاب، ولا يحيون حياة طيبة.

قوله: ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ أي بحيث ينقطع عنهم زمناً ما، وبهذا اندفع ما قيل: إن بعض أهل النار يخفف عنه، كأبي طالب، وأبي لهب؛ لما ورد: أن رسول الله ﷺ تشفع في أبي طالب، فنقل من ضحضاح من نار، ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه، وورد: أن أبا لهب يسقي في نقرة إبهامه ماء، كل ليلة اثنين لعتقه جاريته ثويبة حين بشرته بولادته ﷺ، فتحصل أن المراد بعدم التخفيف عدم انقطاعه عنهم، وإن كان يحصل لبعضهم بعض تخفيف فيه. قوله: [بالياء] أي المضمومة مع فتح الزاي ورفع ﴿كل﴾، وقوله: [والنون المفتوحة] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿يصطرخون فيها﴾ أي يصيحون فيها. قوله: [وعويل] العويل رفع الصوت بالبكاء. قوله: [يقولون] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿ربنا أخرجنا﴾ الخ، مقول لقول محذوف معطوف على قوله: ﴿يصطرخون﴾. قوله: [منها] قدره هنا لدلالة الآية الأخرى عليه. قوله: ﴿صالحاً﴾ صفة لموصوف محذوف تقديره عملاً صالحاً. قوله: [فيقال لهم] أي على سبيل التوبيخ والتبكيت.

قوله: ﴿أو لم نعمركم﴾ الهمزة داخلة على محذوف تقديره: أتعتذرون وتقولون ﴿ربنا أخرجنا﴾ الخ، ولم نؤخركم ونمهلكم ونعطكم عمراً، يتمكن فيه مريد التذكر من التذكر والتفكر. قوله: ﴿ما يتذكر﴾ ﴿ما﴾ نكرة موصوفة بمعنى وقت، ولذا قدره المفسر. قوله: ﴿وجاءكم النذير﴾ عطف على معنى الجملة الاستفهامية، كأنه قال: قروا بأننا عمرناكم وجاءكم النذير. قوله: [الرسول] أي رسول كان، لأن هذا الكلام مع عموم الكفار، من أول الزمان لآخره.

قوله: ﴿فذوقوا﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: [فما أجبتم] فاندفع ما يقال: إن ظاهر الآية، ربما يوهم أن إذاقتهم العذاب، مترتبة على مجيء الرسول، مع أنه ليس كذلك. قوله: ﴿من نصير﴾ ﴿من﴾ زائدة و﴿نصير﴾ مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. قوله: ﴿غيب السماوات والأرض﴾ أي ما غاب عنا فيهما. قوله: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ تعليل لما قبله، كأنه قيل: إذا علم ما خفي في الصدور كان أعلم بغيرها، من باب أولى، وقوله: [بالنظر إلى حال الناس] جواب عما يقال: علم الله لا تفاوت فيه، بل جميع الأشياء مستوية في علمه، لا فرق

﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: أي وبال كفره ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً﴾: غضباً ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً﴾ ٣٩: للآخرة ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء لله تعالى ﴿أَرُونِي﴾: أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾: شركة مع الله ﴿فِي﴾: خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حجة ﴿مِّنْهُ﴾: بأن لهم معي شركة لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِن﴾: ما ﴿يَعِدُ ٱلظَّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿بَعْضُهُم بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً﴾ ٤٠: باطلاً بقولهم الأصنام تشفع لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾: أي يمنعهما من الزوال ﴿وَلَئِن﴾: لام قسم ﴿زَالَتَا إِنْ﴾: ما ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾: يمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: أي سواه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ ٤١: في تأخير عقاب الكفار

بيّن ما خفي منها على الخالق، وما ظهر لهم، فأجاب بما ذكر، أي إن الأولوية من حيث عادة الناس الجارية، أن من علم الخفي، يعلم الظاهر بالأولى.

قوله: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الارض﴾ أي رعاة مسؤولين عن رعاياكم، من أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وخدمكم، فكل إنسان خليفة في الأرض وهو راع، وكل راع مسؤول عن رعيته. قوله: [جمع خليفة] كذا في بعض النسخ بالتاء، وفي بعض النسخ بلا تاء، والأولى أولى، لأن خليفاً جمعه خلفاء، وأما خليفة فجمعه خلائف. قوله: [أي وبال كفره] أي فلا يضر إلا نفسه. قوله: ﴿ولا يزيد الكافرين﴾ بيان لوبال كفرهم وعاقبته.

قوله: ﴿قل أرأيتم﴾ الخ، رأى بصرية تتعدى لمفعول واحد إن كانت بلا همز، وبالهمز كما هنا تتعدى لمفعولين: الأول قوله: ﴿شركاءكم﴾ والثاني قوله: ﴿ماذا خلقوا من الأرض﴾ على سبيل التنازع، لأن كلاً من أرأيتم وأروني، طالب ماذا خلقوا من الأرض على أنه مفعول له. قوله: ﴿شركاءكم﴾ أضافهم لهم من حيث إنهم جعلوهم شركاء، أو من حيث إنهم أشركوهم في أموالهم، فإنهم كانوا يعينون شيئاً من أموالهم لآلهتهم، وينفقونه على خدمتها، ويذبحون عندها. قوله: ﴿ماذا خلقوا من الأرض﴾ أي أي شيء خلقه من الأمور التي في الأرض، كالحيوانات والنباتات والأشجار وغير ذلك. قوله: ﴿أم لهم شرك﴾ ﴿أم﴾ في الموضعين منقطعة تفسر ببل والهمزة. قوله: ﴿آتيناهم﴾ أي الشركاء. قوله: ﴿على بينة﴾ بالإفراد والجمع قراءتان سبعيتان. قوله: [لا شيء من ذلك] جواب الاستفهام في الجمل الثلاث وهو إنكاري.

قوله: ﴿بل إن يعد الظالمون﴾ لما ذكر نفي الحجج، أضرب عنه بذكر الأمر الحامل للرؤساء على الشرك وإضلال الأتباع، وهو قولهم لهم إنهم شفعاء عند الله. قوله: ﴿بعضهم﴾ بدل من ﴿الظالمون﴾ قوله: [بقولهم] أي الرؤساء للأتباع. قوله: [أي يمنعهما من الزوال] أشار بذلك إلى أن الإمساك بمعنى المنع، وقوله: ﴿أن تزولا﴾ ﴿أن﴾ وما دخلت عليه، في تأويل مصدر مفعول ثان على إسقاط من. قوله: ﴿ولئن زالتا﴾ اجتمع قسم وشرط، فقوله: ﴿إن أمسكهما﴾ جواب الأول، وحذف جواب الثاني على القاعدة المعروفة. قوله: ﴿من أحد﴾ ﴿من﴾ زائدة في الفاعل، وقوله: ﴿من بعده﴾ ﴿من﴾ ابتدائية، والتقدير: ما أمسكهما أحد مبتدأ وناشئاً من غيره.

قوله: ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ تعليل لقوله: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض﴾ أي فإمساكهما حاصل بحلمه وغفرانه، وإلا فكانتا جديرتين بأن تزولا، كما قال تعالى ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾ الآية، فحلم الله تعالى من أكبر

﴿وَأَقْسَمُوا﴾: أي كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾: اليهود والنصارى وغيرهم أي أيّ واحدة منها لمّا رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً إذ قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾: مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ ٤٢: تباعداً عن الهدى ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: عن الإيمان مفعول له ﴿وَمَكْرَ﴾: العمل ﴿السَّيِّئِ﴾: من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾: يحيط ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾: وهو الماكر ووصف المكر بالسيء أصل وإضافته إليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذراً من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾: سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ٤٣: أي لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا

النعم على العباد إذ لولاه لما بقي شيء من العالم، فقول العامة: حلم الله يفتت الكبود، إساءة أدب. قوله: [أي كفار مكة] أي قبل أن يبعث الله محمداً ﷺ حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، فلعنوا من كذب نبيه منهم، وأقسموا بالله تعالى، لئن جاءهم نبي ينذرهم، ﴿ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾. قوله: ﴿جهد أيمانهم﴾ الجهد بالفتح بلوغ الغاية في الاجتهاد، وأما بالضم فهو الطاقة، وإنما كان الحلف بالله غاية أيمانهم لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وأصنامهم، فإذا أرادوا التأكيد والتشديد حلفوا بالله.

قوله: ﴿ليكونن﴾ هذه حكاية لكلامهم بالمعنى، وإلا فلفظه لنكونن الخ. قوله: ﴿من إحدى الأمم﴾ المراد من إحدى الأحد الدائرة، فالمعنى من كل الأمم، فقول المفسر [أي أي واحدة منها] الأوضح أن يقول أي كل واحدة منها. قوله: ﴿ما زادهم إلا نفوراً﴾ جواب لما، وفيه إشعار بأن فيهم أصل النفور لكونهم جاهلية لم يأتهم نذير من عهد إسماعيل. قوله: [مفعول له] أي لأجل الاستكبار، ويصح أن يكون بدلاً من نفوراً، أو حالاً من ضمير زادهم، أي حال كونهم مستكبرين. قوله: [ووصف المكر بالسيء] أي في قوله: ﴿ولا يحيق المكر السيء﴾، وقوله: [أصل] أي جاء على الأصل من استعمال الصفة تابعة للموصوف. قوله: [وإضافته إليه قبل] أي في قوله: ﴿ومكر السيء﴾. قوله: [استعمال آخر] أي جاء على خلاف الأصل حيث أضيف فيه الموصوف للصفة. قوله: [قدر فيه مضاف] أي مضاف إليه، وقوله: [حذراً من الإضافة إلى الصفة] أي من إضافة المكر الذي هو الموصوف إلى السيء، الذي هو الصفة، فيجعل المكر مضافاً لمحذوف، والسيء صفة لذلك المحذوف، وتلك الإضافة من إضافة العام للخاص، لأن المكر يشمل الاعتقاد والعمل، فإضافته للعمل تخصيص له.

قوله: ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين﴾ أي فلا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم. قوله: [سنة الله فيهم] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿سنة الأولين﴾ مصدر مضاف لمفعوله، وسيأتي إضافته لفاعله في قوله: ﴿لسنة الله﴾. قوله: ﴿فلن تجد﴾ الفاء للتعليل كأنه قيل: لا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم، لأنك أيها العاقل لن تجد الخ. قوله: [أي لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه] أشار بذلك إلى أن المراد بالتبديل تغيير العذاب بغيره، والتحويل نقله لغير

---

* أسباب نزول الآية ٤٢: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي هلال: أنه بلغه أن قريشاً كانت تقول: لو أن الله بعث منا نبياً ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها، ولا أسمع لنبيها، ولا أشد تمسكاً بكتابها منا، فأنزل الله ﴿وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين﴾ و﴿لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم﴾ وكانت اليهود تستفتح به على النصارى، فيقولون: إنا نجد نبياً يخرج.

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ﴾: يسبقه ويفوته ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً﴾: أي بالأشياء كلها ﴿قَدِيراً﴾ ٤٤: عليها ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾: من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾: أي الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾: نسمة تدب عليها ﴿وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً﴾ ٤٥: فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

مستحقه، وجمع بينهما للتهديد والتقريع. قوله: ﴿أو لم يسيروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير أتركوا السفر ولم يسيروا، وهو استشهاد على أن سنة الله لا تبديل لها ولا تحويل، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ونفي النفي إثبات. والمعنى: بل ساروا في الأرض، ومروا على ديار قوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب وغيرهم، فنظروا آثار ديارهم. قوله: ﴿كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أي على أي حالة كانت، ليعلموا أنهم ما أخذوا إلا بتكذيب رسلهم، فيخافوا أن يفعل بهم مثل ذلك. قوله: ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾ أي أطول أعماراً، والجملة حالية أو معطوفة على قوله: ﴿من قبلهم﴾.

قوله: ﴿وما كان الله ليعجزه﴾ الخ، تقرير لما فهم من استئصال الأمم السابقة. قوله: ﴿إنه كان عليماً قديراً﴾ تعليل لما قبله. قوله: ﴿بما كسبوا﴾ الباء سببية، وما مصدرية أو موصولة، أي بسبب كسبهم أو الذي كسبوه. قوله: [من المعاصي] بيان لما. قوله: ﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾ أي من جميع ما دب على وجهها من الحيوانات العاقلة وغيرها، وذلك بأن يمسك عنها ماء السماء مثلاً، فينقطع عنهم النبات، فيموتون جوعاً، فالظالم لظلمه، وغيره لشؤم الظالم، وعبر بالظهر تشبيهاً للأرض بالدابة من حيث التمكن عليها، ويعبر تارة بوجه الأرض، من حيث إن ظاهرها كالوجه للحيوان، وغيره كالبطن، وهو الباطن منها، فتحصل أنه يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهرها، فهو من قبيل إطلاق الضدين على شيء واحد. قوله: [نسمة] من التنسم وهو التنفس، أي ذوي روح. قوله: [فيجازيهم بأعمالهم] أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فإن الله﴾ الخ، تعليل له.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

[٣٦] - سورة يس

[مكية أو إلا قوله: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا﴾ الآية أو مدنية وهي اثنتان وثمانون آية]

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يس مكية

أو إلا قوله ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا﴾ الآية أو مدنية

وهي اثنتان وثمانون آية

أي كلها، وقوله: [أو إلا قوله وإذا قيل] الخ، قول ثان، وقوله: [أو مدنية] أي كلها، وهو قول ثالث، وورد في فضل سورة يس أحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ اقرؤوا يس على موتاكم ومنها: ما من ميت يقرأ عليه يس إلا هون الله عليه. ومنها: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله، غفر الله له في تلك الليلة. ومنها: إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس، كتب الله له بها قراءة القرآن عشر مرات، ومنها: إن في القرآن لسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها، ألا وهي سورة يس، تدعى في التوراة المعمة، قيل: يا رسول الله وما المعمة؟ قال: تعم صاحبها بخير الدنيا، وتدفع عنه أهوال الآخرة، وتدعى أيضاً الدافعة والقاضية، قيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة. ومنها: من قرأ يس حين يصبح، أعطي يسر يومه حتى يمسي، ومن قرأها في صدر ليلته، أعطي يسر ليلته حتى يصبح. ومنها عن أبي جعفر: من وجد في قلبه قسوة، فليكتب سورة يس في جام أي إناء بزعفران ثم يشربه. ومنها: من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له. ومنها: من دخل المقبرة فقرأ سورة يس، خفف العذاب عن أهلها ذلك اليوم، وكان له بعدد من فيها حسنات. ومنها عن يحيى بن أبي كثير: بلغني أن من قرأ سورة يس ليلاً، لم يزل في فرح حتى يصبح، ومن قرأها حين يصبح، لم يزل في فرح حتى يمسي وقد حدثني بهذا من جربها. ومنها: إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، من قرأها يريد بها وجه الله، غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن عشر مرات، وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس، نزل بكل حرف منها عشرة أملاك، يقومون بين يديه صفوفاً، يصلون عليه، ويستغفرون له، ويشهدون غسله، ويتبعون جنازته، ويصلون عليه، ويشهدون دفنه. وأيما مسلم قرأ سورة يس، وهو في سكرات الموت، لم يقبض ملك الموت روحه، حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه، فيقبض روحه وهو ريان، ويمكث في قبره وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء، حتى يدخل الجنة وهو ريان. ومنها: يس لما قرئت له. وحكمة اختيار الصالحين في استعمالها التكرار، كأربع أو سبع أو إحدى وأربعين وغير ذلك شدة الحجاب والغفلة على القلب، فبالتكرار تصفو مرآته وترق طبيعته، وإن كان الفضل المذكور لا يتوقف على تكرار، كما يشهد له هذه الأحاديث.

﴿يس﴾[1]: الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[2]: المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿إِنَّكَ﴾: يا محمد ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[3] ﴿عَلَى﴾: متعلق بما قبله ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[4]: أي طريق الأنبياء قبلك التوحيد والهدى والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له لست مرسلاً ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ﴾: في ملكه ﴿الرَّحِيمِ﴾[5]: بخلقه خبر مبتدأ مقدر أي القرآن ﴿لِتُنْذِرَ﴾: به ﴿قَوْمًا﴾: متعلق بتنزيل ﴿مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾: أي لم ينذروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾: أي القوم ﴿غَافِلُونَ﴾[6]: عن الإيمان والرشد ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾: وجب ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾: بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[7]: أي الأكثر ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾: بأن تضم إليها الأيدي لأن الغل يجمع اليد إلى العنق

قوله: ﴿يس﴾ القراء السبعة على تسكين النون، بإدغامها في الواو بعدها، أو بإظهارها، وقرىء شذوذاً بضم النون وفتحها وكسرها، فالأول خبر لمبتدإ محذوف أي هذه، ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث، والثاني إما على البناء على الفتح تخفيفاً، كأين وكيف، أو مفعول به لفعل محذوف تقديره اتل، أو مجرور بحرف قسم محذوف وهو ممنوع من الصرف، والثالث مبني على الكسر، على أصل التخلص من التقاء الساكنين. قوله: [الله أعلم بمراده به] هذا أحد أقوال في تفسير الحروف المقطعة، كحم وطس، وتقدم أن هذا القول أسلم، وقيل: معناه يا إنسان، وأصله يا أنيسين، فاقتصر على شطره لكثرة النداء به، وقيل: هو اسم لرسول الله ﷺ، وقيل: اسم للقرآن.

قوله: ﴿والقرآن الحكيم﴾ كلام مستأنف لا محل له من الإعراب، وهو قسم، وجوابه قوله: ﴿إنك لمن المرسلين﴾. قوله: [المحكم] أي المتقن الذي هو في أعلى طبقات البلاغة. قوله: [متعلق بما قبله] أي بالمرسلين، ويصح أن يكون خبراً ثانياً لإن، كأنه قيل: إنك لمن المرسلين إنك على صراط مستقيم. قوله: [أي طريق الأنبياء قبلك] أي وقولهم: إن شرع رسول الله ﷺ ناسخ لجميع الشرائع، فهو باعتبار الفروع، وأما الأصول فالكل مستوون فيها، ولا يتعلق بها نسخ. قال تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ الآية، وقال تعالى ﴿فبهداهم اقتده﴾. قوله: [وغيره] أي إن واللام والجملة الأسمية. قوله: [خبر مبتدأ مقدر] هذا أحد وجهين في الآية، والآخر النصب على أنه مفعول لمحذوف، أي أمدح، أو مفعول مطلق لنزل، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿لتنذر قوماً﴾ أي العرب وغيرهم. قوله: [في زمن الفترة] هو بالنسبة للعرب، ما بين إسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وبالنسبة لغيرهم ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. قوله: ﴿فهم غافلون﴾ مرتب على نفي الإنذار. قوله: [أي القوم] تفسير للضمير، ويصح أن يكون الضمير راجعاً للفريقين هم وآباؤهم.

قوله: ﴿لقد حق القول﴾ أي وهو قوله: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾. قوله: ﴿على أكثرهم﴾ أي أكثر المكلفين في كل زمن، فالأقل متحتم إيمانه، والأكثر متحتم كفره، وتقدم لنا في سورة الأنعام أن الأقل واحد من ألف. قوله: ﴿فهم لا يؤمنون﴾ تفريع على ما قبله، وأشار بذلك إلى أن الإيمان والكفر بتقدير الله، فمن طبعه على أحدهما، فلا يستطيع التحول عنه، وإنما الأمر بالإيمان باعتبار التكليف الظاهري والنوع الاختياري، ومن هنا قول بعض العارفين:

الكل تقدير مولانا وتأسيسه ... فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في السجدة فيجهر بالقراءة حتى تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة الى أعناقهم، وإذا بهم عمي لا يبصرون، فجاؤوا الى النبي ﷺ فقالوا: ننشدك الله والرحم يا محمد، فدعا حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ الى قوله ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ قال: فلم يؤمن من ذلك النفر أحد.

﴿فَهِيَ﴾: أي الأيدي مجموعة ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾: جمع ذقن وهي مجتمع اللحيين ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ ٨: رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾: بفتح السين وضمها في الموضعين ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ٩: تمثيل أيضاً لسد طرق الإيمان عليهم ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٠ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾: ينفع إنذارك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن

وقل لقلبك إذا زادت وساوسه إبليس لما طغى من كان إبليسه

قوله: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ قيل: نزلت في أبي جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين، وذلك أن أبا جهل حلف، لئن رأى محمداً يصلي، ليرضخن رأسه بحجر، فلما رآه ذهب فرفع حجراً ليرميه، فلما أومأ إليه رجعت يداه إلى عنقه، والتصق الحجر بيديه، فلما عاد إلى أصحابه أخبرهم بما رأى، فقال الرجل الثاني، وهو الوليد بن المغيرة: أنا أرضخ رأسه، فأتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر، فأعمى الله بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه، فقال الثالث: والله لأشدخن رأسه، ثم أخذ الحجر وانطلق، فرجع القهقرى ينكص على عقبيه، حتى خر على قفاه مغشياً عليه، فقيل له: ما شأنك؟ قال: شأني عظيم، رأيت الرجل فلما دنوت منه، فإذا فحل يخطر بذنبه، ما رأيت قط فحلاً أعظم منه حال بيني وبينه، فواللات والعزى لو دنوت منه لأكلني، فأنزل الله تلك الآية، وفيها إشارة إلى ما يحصل لهم في جهنم من السلاسل والأغلال وعمى أبصارهم، وفيها أيضاً استعارة تمثيلية، حيث شبه حالهم في امتناعهم من الهدى والإيمان، بحال من غلت يده في عنقه وعمي بصره، بجامع أن كلاً ممنوع من الوصول إلى المقصود، فتحصل أن الآية دالة على الأمور الثلاثة: سبب النزول، وما يحصل لهم في الآخرة، وتمثيل لمنعهم من الهدى. قوله: [بأن تضم إليها الأيدي] جعل المفسر هذا، توطئة لإرجاع الضمير للأيدي في قوله: ﴿فهي إلى الأذقان﴾ كأنه قال: الأيدي، وإن لم يتقدم لها ذكر صراحة، فهي مذكورة ضمناً في قوله الأغلال، لأن الغل تدل عليها. قوله: [مجموعة] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿إلى الأذقان﴾ متعلق بمحذوف، ولو قدره مرفوعة لكان أظهر، وذلك أن اليد ترفع تحت الذقن، ويلبس الغل في العنق، فتضم اليد إليها تحت الذقن، فحينئذ لا يستطيعون خفض رأس ولا التفاتاً. قوله: [وهذا تمثيل] أي استعارة تمثيلية للمعنى المذكور، وفيه إشارة إلى سبب النزول، وإلى ما يحصل لهم في الآخرة كما علمت. قوله: [بفتح السين وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿فأغشيناهم﴾ هو بالغين المعجمة في قراءة العامة، أي غطينا أبصارهم، وقرئ شذوذاً بالعين المهملة من العشا، وهو عدم الإبصار ليلاً. والمعنى: أضعفنا أبصارهم عن الهدى كعين الأعشى. قوله: [تمثيل] أي استعارة مثيلية، حيث شبه حالهم في سد طرق الإيمان عليهم ومنعهم منه، بحال من سدت عليه الطرق، وأخذ بصره بجامع أن كلاً لا يهتدي لمقصوده. قوله: ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم﴾ الخ، هذا نتيجة ما قبله، وقوله: ﴿لا يؤمنون﴾ بيان للاستواء، والمعنى إنذارك وعدمه سواء في عدم إيمانهم، وهو تسلية له ﷺ، وكشف لحقيقة أمرهم وعاقبتها. قوله: [بتحقيق الهمزتين] أي مع إدخال ألف بينهما وتركه، فالقراءات خمس لا أربع كما توهمه عبارته، فالتحقيق فيه قراءتان، والتسهيل كذلك، والإبدال فيه قراءة واحدة وهي سبعيات. قوله: [ينفع إنذارك] جواب عما يقال: إن ظاهر

---

* أسباب نزول الآية ٨: وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن، فأنزل الله: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ الى قوله ﴿لا يبصرون﴾، فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو؟ أين هو؟ ولا يبصر.

﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[١١]: هو الجنة ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾: في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُوا۟﴾: في حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾: ما استن به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾: نصبه بفعل يفسره ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾: ضبطناه ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[١٢]: كتاب بين هو اللوح المحفوظ ﴿وَٱضْرِبْ﴾: اجعل ﴿لَهُم مَّثَلًا﴾: مفعول أول ﴿أَصْحَٰبَ﴾: مفعول ثان ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾: أنطاكية ﴿إِذْ جَآءَهَا﴾: إلى آخره بدل اشتمال من أصحاب القرية ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[١٣]: أي رسل عيسى

الآية يقتضي أن رسالته ﷺ غير عامة، بل هي لقوم مخصوصين، وهم ﴿مَنِ اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب﴾ ويخالف قوله سابقاً ﴿لتنذر قوماً﴾، الخ فأجاب المفسر عن ذلك، بأن محط الحصر الإنذار النافع، فلا ينافي وجود غيره لمن لم ينتفع به. قوله: ﴿بالغيب﴾ يصح أن يكون حالاً من الفاعل أو المفعول، وتقدم نظيره. قوله: ﴿فبشره بمغفرة﴾ الخ تفريع على ما قبله، إشارة لبيان عاقبة أمرهم.

قوله: ﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾ أي نبعثهم في الآخرة للمجازاة على أعمالهم. قوله: ﴿ونكتب ما قدموا﴾ إن قلت: إن الكتابة متقدمة قبل الإحياء، إذ هي في الدنيا والإحياء يكون في الآخرة. أجيب: بأنه قدم الإحياء اعتناء بشأنه، إذ لولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة. قوله: [في اللوح المحفوظ] المناسب أن يقول في صحف الملائكة لأن الكتابة التي تكون في حياة العباد، إنما هي في صحف الملائكة، وأما اللوح، فقد كتب فيه ذلك قبل وجود الخلق. قوله: [ما استن به بعدهم] أي من خير: كعلم علموه، أو كتاب صنفوه، أو نخل غرسوه، أو وقف حبسوه، أو غير ذلك، أو شر: كمكس رتبوه، أو ضلالة أحدثوها، أو غير ذلك كما في الحديث: «من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده، كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». قوله: [نصبه بفعل يفسره] الخ، أي فهو من باب الاشتغال.

قوله: ﴿واضرب لهم مثلاً﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ أن يضرب لقومه مثلاً، لعلهم يتعظون فيؤمنوا. قوله: ﴿أصحاب﴾ [مفعول ثان] الأوضح أن يجعله مفعولاً أول. قوله: [أنطاكية] بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وتخفيف الياء المفتوحة، وهي مدينة بأرض الروم، ذات سور عظيم من صخر، وهي بين خمسة جبال، دورها اثنا عشر ميلاً. وحاصل تلك القصة: أن عيسى عليه السلام، بعث رسولين من الحواريين إلى أهل أنطاكية، اسم أحدهما صادق، والثاني مصدوق، فلما قربا من المدينة، رأيا شيخاً يرعى غنيمات له، وهو حبيب النجار صاحب يس، فسلما عليه، فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ فقالا: رسولا عيسى ﷺ، ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم، نشفي المريض، ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وذلك كرامة لهما، ومعجزة لنبيهما، لأنه لما أرسلهما أيدهما بمعجزاته، قال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً منذ سنين، قالا: فانطلق بنا ننظر حاله، فأتى به، فمسحا ابنه، فقام في الوقت بإذن الله تعالى صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة، وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى. وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه انطيخا، فدعا بهما وقال: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى عليه السلام، قال: وفيم جئتما؟ قالا: ندعوك من عبادة من لا يسمع ولا يبصر، إلى عبادة من يسمع ويبصر، قال: وهل لنا إله دون

---

* أسباب نزول الآية ١٢: وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة الى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾، فقال النبي ﷺ: إن آثاركم تكتب فلا تنتقلوا، وأخرج الطبراني عن ابن عباس مثله.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾: إلى آخره بدل من إذ الأولى ﴿فَعَزَّزْنَا﴾: بالتخفيف والتشديد قوينا الاثنين ﴿بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ ١٤ ﴿قَالُوا مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ ١٥ ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾: جار مجرى القسم وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار في ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ ١٦ ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ١٧: التبليغ البين الظاهر بالأدلة الواضحة وهي إبراء الأكمه والأبرص والمريض وإحياء الميت ﴿قَالُوٓا إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾: تشاءمنا ﴿بِكُمْ﴾: لانقطاع المطر عنا بسببكم ﴿لَئِن﴾: لام قسم ﴿لَّمْ

آلهتنا؟ قالا: نعم الذي أوجدك وآلهتك، قال لهما: قوما حتى أنظر في أمركما، فتبعهما الناس، فأخذوهما وجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ووضعوهما في السجن، فلما كذبا وضربا، بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفي على أثرهما لينصرهما، فدخل شمعون البلد متنكراً، فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته، فقال للملك ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين في السجن، وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال: حال الغضب بيني وبين ذلك، قال: فإني أرى أيها الملك، أن تدعوهما حتى نطلع على ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال شمعون: من أرسلكما إلى ههنا؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال شمعون: فصفاه وأوجزا، قالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال شمعون: وما آيتكما؟ قالا: ما تتمناه، فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين، وموضع عينيه كالجبهة، فما زالا يدعوان ربهما، حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من طين، فوضعاهما في حدقتيه، فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: إن أنت سألت آلهتك حتى يصنعوا مثل هذا، كان لك الشرف ولآلهتك، فقال له الملك: ليس لي عنك سر مكتوم، فإن إلهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم، ويصلي ويتضرع، حتى ظنوا أنه على ملتهم، فقال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما الذي تعبدانه، على إحياء ميت آمنا به وبكما، قالا: إلهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام، وهو ابن دهقان، وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه، وكان غائباً وقد تغير، فجعلا يدعوان ربهما علانية، وشمعون يدعو ربه سراً، فقام الميت وقال: إني ميت منذ سبعة أيام، وكنت مشركاً، فأدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم عليه، فآمنوا بالله، ثم قال: فتحت أبواب السماء، فنظرت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة: شمعون وهذين، وأشار بيده إلى صاحبيه، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله وكلمته، فعجب الملك من ذلك، فلما علم شمعون أن قوله قد أثر في الملك، أخبره بالحال وأنه رسول عيسى، ودعاه فآمن الملك، وآمن معه قوم وكفر آخرون، وقيل: بل كفر الملك، وأجمع على قتل الرسل هو وقومه، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة، فجاء يسعى إليهم ويذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين. قوله: [إلى آخره] أي آخر القصة وهو قوله: ﴿إلا كانوا به يستهزئون﴾.

قوله: ﴿لمرسلون﴾ جمع باعتبار الثالث. قوله: [أي رسل عيسى] هذا هو المشهور، وقيل: إنهم رسل من الله من غير واسطة عيسى؛ أرسلوا إلى أصحاب هذه القرية. قوله: [بدل من إذ الأولى] أي بدل مفصل من مجمل. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾ أكدوا كلامهم بأن لتقدم إنكارهم بتكذيب الاثنين، وتكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد مقالتهم. قوله: قالوا ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ أي فلا مزية لكم علينا. قوله: [جار مجرى القسم] أي فيؤكد به كالقسم، ويجاب كما يجاب به القسم. قوله: لزيادة الإنكار أي حيث تعددت ثلاث مرات. قوله: [وهي إبراء الأكمه] أي الأعمى.

قوله: ﴿قالوا إنا تطيرنا بكم﴾ التطير التفاؤل، سمي بذلك لأنهم كانوا يتفاءلون بالطير إذا أرادوا سفراً أو غيره،

تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾: بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٨: مؤلم ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ﴾: شؤمكم ﴿مَعَكُمْ﴾: بكفركم ﴿أَئِن﴾: همزة استفهام دخلت على إن الشرطية وفي همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى ﴿ذُكِّرْتُم﴾: وعظتم وخوفتم وجواب الشرط محذوف أي تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ١٩: متجاوزون الحد بشرككم ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾: هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسل ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسْعَىٰ﴾: يشتد عدواً لما سمع بتكذيب القوم الرسل ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ٢٠ ﴿اتَّبِعُوا﴾: تأكيد للأول ﴿مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾: على رسالته ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ٢١: فقيل له أنت على دينهم فقال ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾: خلقني أي لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها وأنتم

فإن ذهب ميمنة قالوا خير، وإن ذهب ميسرة قالوا شر. قوله: [لانقطاع المطر عنا بسببكم] قيل: حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا: هذا بشؤمكم. قوله: [لام قسم] أي وقد حنثوا فيه، لأن الله أهلكهم قبل أن يفعلوا بهم ما حلفوا عليه.

قوله: [بكفركم] الباء سببية أي طائركم حاصل معكم، بسبب كفركم وعنادكم. قوله: [وإدخال ألف] أي وتركه، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: [وجواب الشرط محذوف] أي على القاعدة، وهي أنه إذا اجتمع استفهام وشرط أتي بجواب الاستفهام، وحذف جواب الشرط، وهو مذهب سيبويه، وعند يونس بالعكس. قوله: [وهو محل الاستفهام] أي هو المستفهم عنه، والمعنى لا ينبغي ولا يليق بكم التطاير والكفر حيث وعظتم، بل آمنوا وانقادوا.

قوله: ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ إضراب عما تقتضيه الشرطية، من كون التذكير سبباً للشؤم، أي ليس الأمر كذلك، بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان، فشؤمكم لذلك. قوله: [متجاوزون الحد بشرككم] أي بعد ظهور المعجزات، وهذا الخطاب لمن بقي على الكفر منهم، وهم الذين رجموا حبيباً النجار، وأهلكهم الله كما يأتي.

قوله: ﴿وجاء من أقصى المدينة﴾ هي إنطاكية المعبر عنها أولاً بالقرية، وعبر عنها بالمدينة إشارة إلى عظمها وكبرها. قوله: [هو حبيب النجار] أي ابن إسرائيل، كان يصنع لهم الأصنام، وهو ممن آمن بالنبي ﷺ قبل وجوده، كما آمن به تبع الأكبر، وورقة بن نوفل وغيرهما، وفي الحقيقة: كل نبي آمن بالنبي ﷺ قبل ظهوره، بمصداق قوله تعالى: ﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبيين﴾ الآية، وهذا من خصوصياته ﷺ، وأما غيره من الأنبياء، فلم يؤمن به أحد إلا بعد ظهوره. قوله: [كان قد آمن بالرسل] أي رسل عيسى، وسبب إيمانه ما تقدم من شفاء ولده المريض، وقيل: إنه هو كان مجذوماً، وعبد الأصنام سبعين سنة لكشف ضره فلم يكشف، فلما دعاه الرسل إلى عبادة الله قال لهم: هل من آية؟ قالوا له: ندعو ربنا القادر، يفرج عنك ما بك، فقال: إن هذا عجيب، قد عبدت هذه الأصنام سبعين سنة، فلم تستطع تفريجه، فهل يستطيع ربكم تفريجه في غداة واحدة؟ قالوا: نعم، ربنا على كل شيء قدير، فدعوا ربهم فكشف ما به فآمن. قوله: [يشتد عدواً] أي يسرع في مشيته، حرصاً على نصح قومه، والدفع عن الرسل. قوله: [تأكيد للأول] أي تأكيد لفظي، فلفظ اتبعوا تأكيد للفظ اتبعوا الأول، من توكيد الفعل بالفعل.

قوله: ﴿من لا يسألكم أجراً﴾ بدل من المرسلين، والمعنى اتبعوا الصادقين المخلصين، الذين لم يريدوا منكم العرض الفاني، إذ لو كانوا غير مخلصين، لطلبوا منكم المال، ونازعوكم على الرياسة. قوله: ﴿وهم مهتدون﴾ الجملة حالية، وهو تعريض لهم بالاتباع، أي فاهتدوا أنتم تبعاً لهم. قوله: [أنت على دينهم] فيه حذف همزة الاستفهام.

قوله: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ تلطف في ارشادهم، وفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم، والأحسن أن

كذلك ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٢٢: بعد الموت فيجازيكم بكفركم ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾: في الهمزتين منه ما تقدم في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ وهو استفهام بمعنى النفي ﴿مِن دُونِهِ﴾: أي غيره ﴿ءَالِهَةً﴾: أصناماً ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ﴾: التي زعمتموها ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ ٢٣: صفة آلهة ﴿إِنِّيٓ إِذًا﴾: أي إن عبدتُ غيرَ الله ﴿لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ٢٤: بيّن ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ ٢٥: أي اسمعوا قولي فرجموه فمات ﴿قِيلَ﴾: له عند موته ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾: وقيل دخلها حيّاً ﴿قَالَ يَٰ﴾: حرف تنبيه ﴿لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ٢٦ ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾: بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ ٢٧ ﴿وَمَآ﴾: نافية ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾: أي حبيب ﴿مِنۢ بَعْدِهِ﴾: بعد موته ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أي ملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ٢٨: ملائكة لإهلاك أحدٍ ﴿إِن﴾: ما ﴿كَانَتْ﴾: عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: صاح بهم

في الآية احتباكاً، حيث حذف من الأول نظير ما أثبته في الآخر، والأصل ومالي لا أعبد الذي فطرني وفطركم، وإليه ترجعون وأرجع. قوله: [الموجود مقتضيها] أي وهو كون الله فطره وخلقه. قوله: [في الهمزتين منه ما تقدم] أي من القراءات الأربع، وتقدم أنها خمسة: التحقيق، وتسهيل الثانية بألف، ودونها، وإبدال الثانية ألفاً، وهي سبعيات. قوله: [وهو استفهام بمعنى النفي] أي وهو إنكاري. قوله: ﴿من دونه﴾ يصح أن يكون مفعولاً ثانياً مقدماً لأتخذوا، على أنها متعدية لاثنين، و﴿آلهة﴾ مفعول أول مؤخر، ويصح أن يكون حالاً من آلهة، أو متعلقاً باتخذوا، على أنها متعدية لواحد. قوله: ﴿لا تغن عني شفاعتهم﴾ أي لا تنفعني شفاعتهم، فهو من الغناء بالفتح وهو النفع، ومنه قول البوصيري: قلن ما في اليتيم عنا غناء. قوله: [صفة آلهة] أي جملة ﴿إن يردن الرحمن﴾ الخ، فهو في محل نصب، والأوضح أن تكون مستأنفة، سيقت لتعليل النفي المذكور، لأن جعلها صفة، يوهم أن هناك آلهة ليست كذلك. قوله: [إن عبدت غير الله] أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن جملة.

قوله: ﴿في ضلال مبين﴾ أي لثبوت الأدلة على بطلان ذلك. قوله: ﴿فاسمعون﴾ بكسر النون في قراءة العامة وهي نون الوقاية، حذفت بعدها ياء الإضافة، وقرىء شذوذاً بفتحها، ولا وجه له في العربية، لأن فعل الأمر يبنى على حذف النون. قوله: [أي اسمعوا قولي] أي ما قلته لكم وهو ﴿اتبعوا المرسلين﴾ الخ. قوله: [فرجموه فمات] أي وهو يقول: اللهم اهد قومي، وقيل: حرقوه وجعلوه في سور المدينة، وقبره في أنطاكية، وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه، فوالله ما خرجت روحه إلا في الجنة، وفي رواية: أنهم قتلوا معه الرسل الثلاثة، ووضعوهم في بئر وهو الرس. قوله: ﴿وقيل﴾ [له عند موته] هذا أحد أقوال ثلاثة، اقتصر المفسر على اثنين منها، والثالث: أن هذا القول، كناية عن البشرى بأنه يدخل الجنة. قوله: [وقيل دخلها حياً] أي فحين هموا بقتله، رفعه الله من بينهم وأدخله الجنة حياً إكراماً له، كما وقع لعيسى أنه رفع إلى السماء.

قوله: ﴿قال يا ليت قومي﴾ أي وهم الذين نصحهم أولاً، فقد نصحهم حياً وميتاً. قوله: [بغفرانه] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف، أي بالذي غفره لي، ويصح أن تكون استفهامية، أي بأي شيء غفر لي، أي بأمر عظيم، وهو توحيدي وصدعي بالحق. قوله: ﴿وما أنزلنا على قومه﴾ الخ. هذا تحقير لهم وتصغير لشأنهم، والمعنى: لم يحتج في إهلاكهم إلى إرسال جنود من الملائكة، بل نهلكهم بصيحة واحدة مثلاً، وقوله: ﴿وما كنا منزلين﴾ أي لم يكن شأننا وعادتنا، إرسال جنود لإهلاك أحد من الأمم قبلهم، بل إذا أردنا إهلاكاً عاماً، يكون بغير الملائكة، كصيحة أو رجفة أو غير ذلك. إن قلت: إن الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر للقتال مع النبي ﷺ وأصحابه. أجيب: بأن إنزالهم تكرمة للنبي وأصحابه لا للإهلاك العام، وقيل: نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته ﷺ. قوله: [بعد موته] أي أو بعد رفعه حياً على القول الآخر. قوله: [لإهلاك أحد] أي من الأمم

جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [٢٩]: ساكنون ميتون ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾: هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فأهلكوا وهي شدة التألم ونداؤها مجاز أي هذا أوانك فاحضري ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [٣٠]: مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدي إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾: أي أهل مكة القائلون للنبي لست مرسلاً والاستفهام للتقرير أي علموا ﴿كَمْ﴾: خبرية بمعنى كثيراً معمولة لما بعدها معلقة لما قبلها عن العمل والمعنى أنا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾: كثيراً ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾: الأمم ﴿أَنَّهُمْ﴾: أي المهلكين ﴿إِلَيْهِمْ﴾: أي المكذبين ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ [٣١]: أفلا يعتبرون بهم وأنهم الخ بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور ﴿وَإِنْ﴾: نافية أو مخففة ﴿كُلٌّ﴾: أي كل الخلائق مبتدأ ﴿لَمَّا﴾: بالتشديد بمعنى إلا أو بالتخفيف فاللام فارقة وما زائدة ﴿جَمِيعٌ﴾: خبر المبتدأ أي مجموعون ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحْضَرُونَ﴾ [٣٢]: للحساب خبر

السابقة. قوله: [صاح بهم جبريل] أي صاح عليهم. قوله: [ميتون] أي فشبهوا بالنار الخامدة، لانقطاع النفع في كل.

قوله: ﴿يا حسرة على العباد﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله، أو الملائكة، أو المؤمنين، والمراد بالعباد جميع الكفار، فأل للجنس، وقيل: المراد بالعباد نفس الرسل، و﴿على﴾ بمعنى من، والقائل ذلك الكفار، والتقدير: يا حسرة علينا من مخالفة العباد، والأوجه الأول الذي مشى عليه المفسر. قوله: ﴿إلا كانوا به يستهزئون﴾ الجملة حالية من مفعول ﴿يأتيهم﴾. قوله: [مسوق] الخ، أي فهو استئناف واقع في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ما وجه التحسر عليهم؟ قيل: ﴿ما يأتيهم﴾ الخ. قوله: [لبيان سببها] أي بواسطة، فإن الاستهزاء سبب لإهلاكهم، وهو سبب للحسرة. قوله: [لاشتماله] أي دلالته.

قوله: ﴿ألم يروا﴾ الخ رأى علمية، و﴿كم﴾ خبرية مفعول لأهلكنا مقدم، و﴿قبلهم﴾ ظرف لأهلكنا، و﴿من القرون﴾ بيان لكم. قوله: [والاستفهام للتقرير] أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بما بعد النفي. قوله: [معمولة لما بعدها] أي وليست معمولة ليروا لأن ﴿كم﴾ الخبرية لها الصدارة، فلا يعمل ما قبلها فيها. قوله: [معلقة ما قبلها عن العمل]. إن قلت: إن ﴿كم﴾ الخبرية لا تعلق، وإنما التعلق للاستفهامية، قال ابن مالك:

وإنْ ولاَ لامُ ابتداءٍ أو قسم   كذا والاستفهام ذا له انحتم

أجيب: بأن الخبرية أجريت مجرى الاستفهامية في التعليق. قوله: [والمعنى أنا] ﴿أهلكنا﴾ أي وقد علموا ذلك. قوله: [بدل مما قبله] أي بدل اشتمال لأن إهلاكهم مشتمل ومستلزم لعدم رجوعهم، أو بدل كل من كل بناء على تنزيل التلازم منزلة التماثل، كأن إهلاكهم غير رجوعهم. قوله: [برعاية المعنى المذكور] أي وهو قوله: [أنا] ﴿أهلكنا﴾ الخ، والمعنى: قد علموا إهلاكنا كثيراً من القرون السابقة، المشتمل على عدم عودهم إلى هؤلاء الباقين وهم أهل مكة، فينبغي أن يعتبروا بهم. قوله: [نافية] أي و﴿لما﴾ بالتشديد بمعنى إلا، وقوله: [أو مخففة] أي مهملة، ولما بالتخفيف واللام فارقة. قوله: [وما زائدة] للتأكيد، فقد أغنت عن الحصر المستفاد من قراءة التشديد، فتحصل أن من شدد ﴿لما﴾ جعلها بمعنى إلا، و﴿إن﴾ نافية، وهذا باتفاق البصريين والكوفيين، ومن خفف ﴿لما﴾ فالبصريون على أن ﴿إن﴾ مخففة، واللام فارقة، وما زائدة، وجوز الكوفيون جعل ﴿لما﴾ بمعنى إلا، و﴿إن﴾ نافية، والقراءتان سبعيتان. قوله: [أي كل الخلائق] أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه. قوله: [أي مجموعون] دفع بذلك ما يتوهم من ذكر كل الاستغناء بها عن الجميع، فأجاب: بأن ﴿كل﴾ أشير بها لاستغراق الأفراد، و﴿جميع﴾ أشير بها لاجتماع الكل في مكان واحد للحشر.

ثان ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ﴾: على البعث خبر مقدم ﴿الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾: بالماء مبتدأ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾: كالحنطة ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ٣٤﴾: أي بعضها ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾: بفتحتين وبضمتين أي ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: أي لم تعمل الثمر ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ٣٥﴾: أنعمه تعالى عليهم ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾: الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾: من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ٣٦﴾: من المخلوقات العجيبة الغريبة ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ﴾: على القدرة العظيمة ﴿اللَّيْلُ نَسْلَخُ﴾: نفصل ﴿مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم

قوله: ﴿وآية لهم﴾ أي علامة ظاهرة ودالة على الإحياء بعد الموت. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [مبتدأ] أخره بعد قوله: ﴿أحييناها﴾ إشارة إلى أنه صفة للأرض، والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد. قوله: ﴿وجعلنا﴾ عطف على ﴿أحييناها﴾ قوله: ﴿من نخيل﴾ هو والنخل بمعنى واحد، لكن النخل اسم جمع واحده نخلة يؤنث عند أهل الحجاز، ويذكر عند تميم ونجد، والنخيل مؤنث بلا خلاف، وإذا علمت ذلك، فقول المفسر فيما يأتي [من النخيل وغيره] ليس بجيد، بل المناسب وغيرها.

قوله: ﴿وفجرنا﴾ بالتشديد في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بالتخفيف. قوله: [أي بعضها] أشار بذلك إلى أن ﴿من﴾ تبعيضية، ويصح أن تكون زائدة. قوله: [بفتحتين وبضمتين] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي ثمر المذكور] دفع بذلك ما يقال: إن الضمير عائد على شيئين فحقه التثنية، فأجاب: بأنه أفرد باعتبار ما ذكر. قوله: [أي لم تعمل الثمر] أشار بذلك إلى أن ﴿ما﴾ نافية، والمعنى أنه ليس لها إيجاد شيء، بل الفاعل والمثبت هو الله تعالى، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ ويصح أن تكون موصولة، أي ومن الذي عملته أيديهم، أو نكرة موصوفة، أو مصدرية، أي ومن عمل أيديهم، وإثبات العمل للأيدي من حيث الكسب. قوله: ﴿أفلا يشكرون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير: أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها؟ أي بحيث لا يصرفونها في مصارفها. قوله: [أنعمه] جمع نعمة بالكسر، ونعماء بالمد والفتح.

قوله: ﴿سبحان الذي خلق الأزواج﴾ أي تنزه في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به. قوله: [الأصناف] ﴿كلها﴾ أي فكل زوج صنف لأنه مختلف في الألوان والطعوم والأشكال، والصغر والكبر، فاختلافها هو ازدواجها. قوله: ﴿مما تنبت الأرض﴾ بيان للأزواج، وكذا ما بعده، فتحصل أن هذه الأمور الثلاثة لا يخرج عنها شيء من أصناف المخلوقات. قوله: [الغريبة] أي كالتي في السماوات والتي تحت الأرضين، وكل ما لم يكن مشاهداً لنا عادة.

قوله: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ ذكر الله تعالى في هذه الآية، ما يتضمن علم الميقات الذي تجب معرفته، وقد ذكر أستاذنا الشيخ الدردير رضي الله عنه، مقدمة لطيفة في هذا الشأن كافية من اقتصر عليها فيما فرض الله تعالى. وحاصلها بحروفها: فائدة: أسماء الشهور القبطية: توت، بابه، هاتور، كيهك، طوبه، أمشير، برمهات، برمده، بشنس، بؤنه، أبيب، مسرى. أسماء البروج: ميزان، عقرب، قوس، جدي، دلو، حوت، حمل، ثور، جوزاء، سرطان، أسد، سنبلة. ولا يدخل توت، الذي هو أول السنة القبطية، إلا بعد خمسة أيام أو ستة، بعد مسرى، وتسمى أيام النسيء. وفصول السنة أربعة: فصل الخريف، وفصل الشتاء، وفصل الربيع، وفصل الصيف. وأول فصل الخريف انتقال الشمس إلى برج الميزان، وذلك في نصف توت، وفي تلك الليلة يستوي الليل والنهار، ثم كل ليلة يزيد الليل نصف درجة ثلاثين ليلة بخمس عشرة درجة، إلى نصف بابه، تنتقل الشمس إلى برج العقرب، فنزيد الليل كل

مُظْلِمُونَ﴾٣٧: داخلون في الظلام ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي﴾: إلى آخره من جملة الآية لهم أو آية أخرى والقمر كذلك

ليلة ثلث درجة إلى نصف هاتور، تنتقل الشمس إلى برج القوس، فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة بخمس درج، فقد تمت زيادة الليل ثلاثين درجة بعد الاعتدال بساعتين، فيصير الليل من غروب الشمس إلى طلوعها أربع عشرة ساعة، فيصلي الفجر على اثنتي عشرة ساعة وست درج، ومن طلوعه إلى الشمس أربع وعشرون درجة، وذلك في آخر يوم من فصل الخريف، منتصف كيهك، ثم تنتقل الشمس إلى برج الجدي، وهو أول فصل الشتاء، فيأخذ الليل في النقص، والنهار في الزيادة، فيزيد النهار كل يوم سدس درجة، ثلاثين يوماً بخمس درج إلى نصف طوبة، فتنتقل الشمس إلى برج الدلو، فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة إلى نصف أمشير، فتنتقل إلى برج الحوت، فتسميها العامة بالشمس الصغيرة، فيزيد النهار كل يوم نصف درجة بخمس عشرة درجة إلى نصف برمهات، فتنتقل الشمس إلى برج الحمل، ويسميها العامة بالشمس الكبيرة، وهو أول فصل الربيع، وفيه الاعتدال الربيعي، يستوي الليل في تلك الليلة والنهار، يزيد كل يوم نصف درجة، كما في برج الحوت الذي قبله إلى منتصف برموده، فتنتقل الشمس إلى برج الثور، فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة إلى منتصف بشنس، فتنتقل الشمس للجوزاء، ويزيد النهار كل يوم سدس درجة بخمسة إلى نصف بؤنة، فتنتقل إلى برج السرطان، وهو أول فصل الصيف، وبه ينتهي طول النهار، فيكون النهار من طلوع الشمس إلى غروبها أربع عشرة ساعة، وينتهي قصر الليل، فيكون من الغروب إلى طلوع الشمس عشرة، وحصة المغرب للعشاء اثنتان وعشرون درجة، ومن المغرب للفجر ثمان ساعات وخمس درج، ومنه للشمس خمس وعشرون درجة، ثم ينقص النهار، ويأخذ الليل في الزيادة، فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة إلى خامس عشر أبيب، فتنتقل الشمس إلى برج الأسد، فيزيد كل يوم ثلث درجة إلى نصف مسرى، فتنتقل إلى السنبلة، فيزيد النهار كل يوم نصف درجة إلى نصف توت أول السنة، فقد علمت أن الدرج الذي يأخذها النهار من الليل، والليل من النهار ستون درجة بأربع ساعات، وأن الاعتدال يكون في السنة مرتين، مرة في نصف توت، الذي هو أول السنة القبطية، وهو فصل الخريف، والمرة الثانية في نصف برمهات أول فصل الربيع، وأن مبدأ زيادة النهار من الفصل الذي قبله، وهو فصل الشتاء ثلاثين يوماً بالأسداس، ثم ثلاثين بالأثلاث، ثم ثلاثين بالأنصاف، لأول فصل الربيع، فيحصل الاعتدال، ثم ثلاثين بالأنصاف أيضاً إلى نصف برمودة، ودخول الشمس في الثور، فمدة زيادة الأنصاف ستون من نصف أمشير، ودخول الشمس في الحوت إلى نصف برموده، ثم ثلاثين بالأثلاث إلى نصف بشنس، ودخول الشمس في الجوزاء، ثم ثلاثين بالأسداس إلى نصف بؤنة، ودخول الشمس في السرطان، فيأخذ الليل في الزيادة بالأسداس ثلاثين ليلة إلى نصف أبيب ودخولها في الأسد، ثم ثلاثين بالأثلاث إلى نصف مسرى، ثم بالأنصاف إلى نصف توت، ثم بالأنصاف أيضاً إلى نصف بابه، ثم بالأثلاث إلى نصف هاتور، ثم بالأسداس إلى نصف كيهك، ثم يعدو النهار على الليل، فسبحان الله المقدر للأمور، القادر على كل شيء، العليم الحكيم.

قوله: ﴿وآية﴾ خبر مقدم، و﴿الليل﴾ مبتدأ مؤخر كما تقدم نظيره. قوله: ﴿نسلخ﴾ إلخ، بيان لكيفية كونه آية.

قوله: [نفصل] ﴿منه النهار﴾ أي نزيله عنه لكونه كالساتر له، فإذا زال الساتر ظهر الأصل، فالليل أصل متقدم في الوجود، والنهار طارىء عليه بدليل قوله: ﴿فإذا هم مظلمون﴾ هذا لا ينافي ما يأتي في قوله: ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ لأن معناه لا يأتي الليل قبل وقته المقدر له، بأن يأتي في وقت الظهر مثلاً، وهذا غير ما هنا، فتحصل أن معنى السلخ الفصل والإزالة، وليس المراد به الكشف، وإلا لقال فإذا هم مبصرون، لأنه يصير المعنى: وآية لهم الليل نكشف ونظهر منه النهار. قوله: [داخلون في الظلام] أي فيقال: أظلم القوم إذا دخلوا في الظلام، وأصبحوا إذا دخلوا في

﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾: إليه أي لا تتجاوزه ﴿ذَلِكَ﴾: أي جريها ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾: في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ ٣٨: بخلقه ﴿وَالْقَمَرَ﴾: بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾: من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾: ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً وليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿حَتَّى عَادَ﴾: في آخر منازله في رأي العين ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ ٣٩: أي كعود الشماريخ إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويصفر ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي﴾: يسهل ويصح ﴿لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾: فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾: فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلٌّ﴾: تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي

الصباح. قوله: [من جملة الآية] أي فهو عطف مفردات على قوله: ﴿الأرض﴾، وقوله: [أو آية أخرى] أي فيكون عطف جمل.

قوله: ﴿لمستقر لها﴾ أي مكان تستقر فيه، وهو مكانها تحت العرش، فتسجد فيه كل ليلة عند غروبها، فتستمر ساجدة فيه طول الليل، فعند ظهور النهار، يؤذن لها في أن تطلع من مطلعها، فإذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها في الطلوع من المشرق، بل يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من المغرب، وهذا هو الصحيح عند أهل السنة، ويؤيده قوله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس أتدري أين ذهبت الشمس؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ وقيل: إن الشمس في الليل تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الأرض، وإن كنا لا نعرفه، وهذا قول الحكماء، ويؤيده ما قاله الفقهاء: إن الأوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحي، فقد يكون المغرب عندنا، عصراً عند آخرين، وقد يكون الليل عندهم ساعة فقط، واختلف في العشاء حينئذ، فقالت الحنفية بسقوطها، وقالت الشافعية ووافقهم المالكية: يقدر لهم بأقرب البلاد إليهم، ويصلونها ولو بعد طلوع الشمس عندهم، وتسمى أداء، ولا حرمة عليهم في ذلك، وعلى ما قالته الحكماء، فاختلف في مستقر الشمس، فقيل: هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة، وقيل: مستقرها هو سيرها في منازلها، حتى تنتهي إلى مستقرها التي لا تجاوزه، ثم ترجع إلى أول منازلها، وقيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء.

قوله: ﴿والقمر﴾ اختلف فيه، هل لكل شهر قمر جديد؟ أو هو قمر واحد لكل شهر؟ فقال الرملي من أئمة الشافعية: إن لكل شهر قمراً جديداً، ولكن المتبادر من كلام الحكماء ومن غالب الأحاديث أنه متحد. قوله: [بالرفع] أي على أنه مبتدأ خبره ﴿قدرناه﴾. قوله: [والنصب يفسره ما بعده] أي فهو من باب الاشتغال. قوله: [من حيث سيره] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿منازل﴾ ظرف لقوله: ﴿قدرناه﴾ والتقدير قدرنا سيره في منازل، ويصح جعله حالاً على حذف مضاف، والتقدير ذا منازل. قوله: [أي كعود الشماريخ] جمع شمراخ، وهو عيدان العنقود الذي عليه الرطب. قوله: [إذا عتق] من باب ظرف وقعد. قوله: [فإنه يدق ويتقوس ويصفر] أي فوجه الشبه فيه مركب من ثلاثة أشياء.

قوله: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ أي بحيث تأتي في وسط الليل، لأن ذلك يخل بتلوين النبات ونفع الحيوان، ويفسد النظام، ولم يقل سبحانه وتعالى: ولا القمر يدرك الشمس، لأن سير القمر أسرع، لأنه يقطع الفلك في شهر، والشمس لا تقطع فلكها في سنة، فالشمس قطعاً لا تدرك القمر، والقمر قد يدرك الشمس في سيرها، ولكن لا سلطنة له. قوله: ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ أي لا يأتي الليل في أثناء النهار قبل أن ينقضي، كأن يأتي في وقت الظهر

فَلَكٍ﴾: مستدير ﴿يَسْبَحُونَ﴾ ٤٠: يسيرون نزلوا منزلة العقلاء ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ﴾: على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة ذرياتهم أي آباءهم الأصول ﴿فِي الْفُلْكِ﴾: أي سفينة نوح ﴿الْمَشْحُونِ﴾ ٤١: المملوء ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾: أي مثل فلك نوح وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ ٤٢: فيه ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾: مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾: مغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ ٤٣: ينجون ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ ٤٤: أي لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: من عذاب الدنيا كغيرهم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ٤٥: أعرضوا ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ٤٦ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾: أي قال فقراء الصحابة ﴿لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾: علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: من الأموال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: استهزاء بهم ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ

مثلاً. قوله: ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ قال ابن عباس: يدورون في فلكة كفلكة المغزل. قوله: [والنجوم] أي المدلول عليها بذكر الشمس والقمر. قوله: [نزلوا منزلة العقلاء] أي حيث عبر عنهم بضمير جمع الذكور، والذي سوغ ذلك، وصفهم بالسباحة التي هي من أوصاف العقلاء.

قوله: ﴿وآية لهم﴾ خبر مقدم ﴿وأنا حملنا﴾ في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، أي حملنا ذريتهم في الفلك، آية دالة على باهر قدرتنا. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [أي آباءهم الأصول] أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية، كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول لأنه من الذرء وهو الخلق، فاندفع ما يقال: إن الذي حمل في سفينة نوح، أصول أهل مكة لا فروعهم، وهذا أوضح ما قررت به هذه الآية. قوله: [المملوء] أي لأن نوحاً جعله ثلاث طبقات: السفلى وضع فيها السباع والهوام، والوسطى جعل فيها الدواب والأنعام، والعليا وضع فيها الآدميين والطير.

قوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ هذا امتنان آخر مرتب على ما قبله، والمعنى: جعلنا سفينة نوح آية عظيمة على قدرتنا، ونعمة للخلق، وعلمناهم صنعة السفينة، فعملوا سفناً كباراً وصغاراً لينتفعوا بها. قوله: ﴿من مثله﴾ ﴿من﴾ إما زائدة أو تبعيضية، وعلى كل فمدخولها حال من قوله: ﴿ما يركبون﴾. قوله: [وهو ما عملوه] هذا أحد أقوال ثلاثة في تفسير المثل، الثاني إنه خصوص الإبل، والثالث إنه مطلق الدواب التي تركب. قوله: [بتعليم الله] دفع بهذا ما يقال: عادة الله تعالى إضافة صفة العبيد لأنفسهم، وإن كان هو الخالق لها حقيقة، فلم أضافها لنفسه؟ فأجاب: بأن التعليم والهداية لما كانتا منه أضاف الخلق له لأن سفينة نوح التي هي أصل السفن كانت بمحض تعليم الله وإلهامه له. قوله: [مع إيجاد السفن] أي ومع ركوبهم لها. قوله: ﴿فلا صريخ لهم﴾ الصريخ بمعنى الصارخ، يطلق على المستغيث وعلى المغيث، فهو من تسمية الأضداد، والمراد الثاني.

قوله: ﴿إلا رحمة منا﴾ ﴿إلا﴾ أداة استثناء، و ﴿رحمة﴾ مفعول لأجله، وهو استثناء مفرغ من عموم الأحوال، والمعنى: لا ننجيهم لشيء من الأشياء، إلا لأجل رحمتنا بهم وتمتيعهم الأمد الذي سبق في علمنا. قوله: [كغيركم] أي وهم المؤمنون. قوله: [من عذاب الآخرة] أشار بذلك إلى أن لفظ الخلف، كما يطلق على ما مضى يطلق على ما يأتي، فهو من تسمية الأضداد، وسمي ما يأتي خلفاً لغيبته عنا. قوله: [أعرضوا] قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، دل عليه قوله: ﴿وما تأتيهم من آية﴾ الخ. قوله: ﴿من آية﴾ ﴿من﴾ زائدة، وقوله: ﴿من آيات ربهم﴾ ﴿من﴾ تبعيضية. قوله: ﴿إلا كانوا﴾ الخ الجملة حالية.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا﴾ الخ أشار بذلك إلى أنهم كما تركوا حقوق الخالق، وهذه الآية نزلت حكاية عن

﴿يَشَاءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾: في معتقدكم هذا ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ﴾: في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٤٧: بين وللتصريح بكفرهم موقع عظيم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: بالبعث ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ٤٨: فيه قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾: أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: وهي نفخة إسرافيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ٤٩: بالتشديد أصله يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد أي وهم في غفلة عنها بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك وفي قراءة يخصمون كيضربون أي يخصم بعضهم بعضاً ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾: أي أن يوصوا ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٥٠: من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: هو قرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين أربعون سنة ﴿فَإِذَا هُم﴾: أي المقبورون ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾:

بعض جبابرة مكة، كالعاص بن وائل السهمي وغيره، كان إذا سأله المسكين قال له: اذهب إلى ربك فهو أولى مني بك، قد منعك الله، أفأطعمك أنا؟ وقد تمسك بهذا بعض بخلاء المسلمين حيث يقولون: لا نعطي من حرمه الله، ولم يعلموا أن الفقراء يحملون زاد الأغنياء للآخرة، ولولا الفقراء ما انتفع الغني بغناه.

قوله: ﴿قال الذين كفروا﴾ أي بالصانع، أي ينكرون وجوده، وهم فرقة من جبابرة مكة. قوله: ﴿من لو يشاء الله أطعمه﴾ مفعول ﴿أنطعم﴾ وقوله: ﴿أطعمه﴾ جواب ﴿لو﴾. قوله: [في معتقدكم] أي أيها الفقراء المؤمنون، لا في معتقد الكفار الأغنياء، فإنهم ينكرون الصانع كما علمت. قوله: [في قولكم لنا ذلك] أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الكفار للمؤمنين. ويؤيده ما روي: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين، فلقيه أبو جهل فقال: يا أبا بكر، أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء؟ قال: نعم، قال: فما باله لم يطعمهم؟ قال: ابتلى قوماً بالفقر، وقوماً بالغنى، وأمر الفقراء بالصوم، والأغنياء بالإعطاء، فقال أبو جهل: والله يا أبا بكر، إن أنت إلا في ضلال، أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء، وهو لا يطعمهم، ثم تطعمهم أنت؟ وقيل: إنه من كلام المؤمنين للكفار، وقيل: من كلام الله تعالى رداً عليهم. قوله: [موقع عظيم] أي وهو التبكيت والتقبيح عليهم.

قوله: ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ رجوع للكلام مع الكفار المعترفين بوجوده تعالى. قوله: [أي ما ينتظرون] هذا مجاراة لأول كلامهم، لأن شأن من يسأل عن الشيء، أن يكون معترفاً بوجوده، وإلا فهم جازمون بعدمها. قوله: [الأولى] أي وهي التي يموت عندها من كان موجوداً على وجه الأرض. قوله: [نقلت حركت التاء إلى الخاء] أي بتمامها أو بعضها، فهما قراءتان. قوله: [وأدغمت] أي بعد قلبها صاداً، وحذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بتحريك الخاء، وقوله: [وفي قراءة] الخ، تلخص من كلامه أن القراءات هنا ثلاث، وبقي رابعة وهي فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة، وعلى هذه القراءة، فحركة الخاء ليست حركة نقل، وإنما هي لما حذفت حركة التاء صارت ساكنة، فالتقت ساكنة مع الخاء، فحركت الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين، وكل تلك القراءات سبعية. قوله: [أي وهم في غفلة عنها] أشار بهذا، إلى أن المراد من الاختصام لازمه، وهو الغفلة التي ينشأ عنها الاختصام وغيره، وفي الحديث: «ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمها، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» أخرجه البخاري. قوله: [أي يخصم بعضهم بعضاً] بيان لحاصل المعنى، والمفعول محذوف على القراءة الأخيرة. قوله: [أن يوصوا] أي على أولادهم وأموالهم. قوله: ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ معطوف على ﴿يستطيعون﴾. قوله: [وبين النفختين أربعون سنة] هذا هو الصحيح، وقيل: أربعون يوماً، وقيل: غير

القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ ٥١: يخرجون بسرعة ﴿قَالُوا﴾: أي الكفار منهم ﴿يَا﴾: للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾: هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَٰذَا﴾: أي البعث ﴿مَا﴾: أي الذي ﴿وَعَدَ﴾: به ﴿الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ﴾: فيه ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ ٥٢: أقروا حين لا ينفعهم الإقرار وقيل يقال لهم ذلك ﴿إِن﴾: ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا﴾: عندنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾ ٥٣ ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾: جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٥٤ ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾: بسكون الغين وضمها عما فيه أهل النار مما يتلذذون به كافتضاض الأبكار لا شغل يتعبون فيه لأن الجنة لا نصب فيها ﴿فَاكِهُونَ﴾ ٥٥: ناعمون

ذلك. قوله: [أي المقبورون] أي من شأنه أن يقبر، وقبر كل ميت بحسبه، فيشمل من أكلته السباع ونحوه. قوله: ﴿من الأجداث﴾ جمع جدث كفرس وأفراس، وقرىء شذوذاً الأجداف بالفاء، وهي لغة في الأجداث. قوله: [يخرجون بسرعة] أي يسرعون في مشيهم قهراً لا اختياراً. قوله: [أي الكفار] أي لا كل الخلائق، إذ المؤمنون يفرحون بالقيامة، ليذهبوا للنعيم الدائم، ورؤية وجه الله الكريم. قوله: [للتنبيه] دفع بذلك ما يقال: إن النداء مختص بالعقلاء، فكيف ينادي الويل وهو لا يعقل فأجاب: بأن ﴿يا﴾ للتنبيه، والمعنى: تنبهوا فإن الويل قد حضر.

قوله: ﴿ويلنا﴾ قرأ العامة بإضافته إلى ضمير المتكلم، ومعه غيره دون تأنيث، وقرىء شذوذاً يا ويلتنا بتاء التأنيث، ويا ويلتي بإبدال الياء ألفاً، وعلى قراءة الإفراد، يكون حكاية عن مقالة كل واحد. قوله: [لا فعل له من لفظه] أي بل معناه وهو هلك. قوله: ﴿من بعثنا﴾ قرأ العامة بفتح ميم ﴿مَنْ﴾ على أنها استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿بعثنا﴾ خبره؛ وقرىء شذوذاً بكسر الميم على أنها حرف جر، و﴿بعثنا﴾ مصدر مجرور بمن؛ والجار والمجرور متعلق بويلنا، وقوله: ﴿من مرقدنا﴾ متعلق بالبعث، والمرقد يصح أن يكون مصدراً أو اسم مكان، اي من رقادنا أو من مكان رقادنا. قوله: [لأنهم كانوا بين النفختين نائمين] أي حين يرفع الله عنهم العذاب، فيرقدون قبيل النفخة الثانية، فيذوقون طعم النوم، فإذا بعثوا وعاينوا أهوال يوم القيامة، دعوا بالويل. قوله: ﴿ما وعد الرحمن﴾ الخ مفعول ﴿وعد﴾ و ﴿صدق﴾ محذوف والتقدير: ما وعدنا به الرحمن وصدقنا فيه المرسلون. قوله: [أقروا] الخ، أشار بذلك إلى أن هذه الجملة من كلام الكفار، فهي في محل نصب بقول القول، كأنهم لما سألوا فلم يجابوا، أجابوا أنفسهم. قوله: [وقيل يقال لهم ذلك] أي من جانب المؤمنين، أو الملائكة، أو الله تعالى، وإنما عدلوا عن جواب سؤالهم، لأن الباعث لهم معلوم، وإنما لهم السؤال عن البعث.

قوله: ﴿إن كانت﴾ أي النفخة الثانية. قوله: ﴿إلا صيحة واحدة﴾ أي وهي قول إسرافيل أيتها العظام النخرة، والأوصال المتقطعة، والعظام المتفرقة، والشعور المتمزقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. قوله: ﴿فإذا هم جميع لدنيا محضرون﴾ أي مجموعون في موقف الحساب. قوله: ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً﴾ هذه حكاية عما يقال لهم حين يرون العذاب. قوله: ﴿إن أصحاب الجنة﴾ الخ، جرت عادة الله سبحانه وتعالى في كتابه، إذا ذكر أحوال أهل النار، أتبعه بذكر أحوال أهل الجنة. قوله: ﴿في شغل﴾ أبهمه ونكره، إشارة إلى تعظيمه ورفعة شأنه، والمراد به ما هم فيه من أنواع الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية، كالتفكه بالأكل والشرب والسماع وضرب الأوتار والتزاور، وأعظم ذلك سماع كلام الله تعالى ورؤية ذاته. قوله: [بسكون الغين وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [كافتضاض الأبكار] أي لما روي: أن أهل الجنة كلما أرادوا القرب من نسائهم وجدوهن أبكاراً، فيفتضونهن من غير قذر ولا ألم. قوله: ﴿فاكهون﴾ من الفكاهة بفتح الفاء، وهي التنعم والتلذذ.

خبر ثانٍ لإنّ والأول في شغل ﴿هُمْ﴾: مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾: جمع ظلة أو ظل خبر أي لا تصيبهم الشمس ﴿عَلَى ٱلْأَرَائِكِ﴾: جمع أريكة وهو السرير في الحجلة أو الفرش فيها ﴿مُتَّكِئُونَ﴾ ٥٦: خبر ثانٍ متعلق على ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم﴾: فيها ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾ ٥٧: يتمنون ﴿سَلَامٌ﴾: مبتدأ ﴿قَوْلًا﴾: أي بالقول خبره ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ٥٨: بهم أي يقول لهم سلام عليكم ﴿وَ﴾: يقول ﴿وَٱمْتَازُوا ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ٥٩: أي انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾: آمركم ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾: على لسان رسلي ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَانَ﴾: لا تطيعوه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ٦٠: بيّن العداوة ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِي﴾: وحّدوني وأطيعوني ﴿هَٰذَا

قوله: ﴿هم وازواجهم﴾ هذا بيان لكيفية شغلهم وتفكههم. قوله: [جمع ظلة] أي كقباب جمع قبة، وزناً ومعنى. قوله: [أو ظل] أي كشعاب جمع شعب. قوله: [أي لا تصيبهم الشمس] أي لعدم وجودها. قوله: [في الحجلة] بفتحتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرها، وهي قبة تعلق على السرير وتزين به العروس. قوله: [أو الفرش فيها] أي في الحجلة، فالأريكة فيها قولان: قيل هي السرير الكائن في الحجلة، أو الفرش الكائن فيها. قوله: [متعلق على] أي قوله: ﴿على الأرائك﴾ فتحصل أن ﴿هم﴾ مبتدأ، و﴿أزواجهم﴾ عطف عليه، و﴿في ضلال﴾ خبر أول، و﴿متكئون﴾ خبر ثان، و﴿على الأرائك﴾ متعلق بمتكئون، قدم عليه رعاية للفاصلة.

قوله: ﴿لهم فيها فاكهة﴾ أي من كل نوع من أنواع الفواكه، لا مقطوع ولا ممنوع، قال تعالى: ﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾. قوله: ﴿ولهم ما يدعون﴾ أصله يدتعيون بوزن يفتعلون، استثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى ما قبلها، فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما، ثم أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، والمعنى: يعطى أهل الجنة، جميع ما يتمنونه ويشتهونه حالاً من غير بطء.

قوله: ﴿سلام﴾ [مبتدأ] الخ هذا أحسن الأعاريب، وقيل: إنه بدل من قوله: ﴿ما يدعون﴾، أو صفة لما، أو خبر لمبتدأ محذوف. قوله: [أي بالقول] أشار بذلك إلى أن ﴿قولاً﴾ منصوب بنزع الخافض، ويصح أن يكون مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة، وهو مع عامله معترض بين المبتدإ والخبر. قوله: [أي يقول لهم سلام عليكم] أشار بذلك إلى أن الجملة معمولة لمحذوف، والمعنى أن الله تعالى يتجلى لأهل الجنة ويقرئهم السلام لما في الحديث: «بينما أهل الجنة في نعيم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم، السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم؛ فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم». قوله: ﴿و﴾ [يقول] ﴿امتازوا﴾ الخ أشار بذلك إلى أن هذه الجملة معمولة لمحذوف أيضاً. قوله: [عند اختلاطهم بهم] أي حين يسار بهم إلى الجنة؛ لما ورد في الحديث ما معناه: «إذا كان يوم القيامة، ينادي مناد: كل أمة تتبع معبودها؛ فتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها يقولون: لا نذهب حتى ننظر معبودنا؛ فيظهر لهم عن يمين العرش ملك؛ لو وضعت البحار السبع وجميع الخلائق ومثلهم معهم في نقرة إبهامه لوسعهم؛ فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لست ربنا، ثم يأتي عن يسار العرش فيقول مثل ذلك؛ فيقولون: نعوذ بالله منك لست ربنا، ثم يتجلى الله تعالى لهم فيخرون سجداً، فيريد المنافقون أن يسجدوا؛ فيصير ظهرهم طبقاً، فلا يستطيعون السجود، فعند ذلك يقال: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾».

قوله: ﴿ألم أعهد إليكم﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، والمراد بالعهد، ما كلفهم الله به على ألسنة رسله من الأوامر والنواهي. قوله: [آمركم] أي وأنهاكم ففيه اكتفاء. قوله: ﴿أن لا تعبدوا الشيطان﴾ ﴿أن﴾ تفسيرية لتقدم

﴿صِرَاطٌ﴾: طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ ٦١ ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾: خلقاً جمع جبيل كقديم وفي قراءة: بضم الباء. ﴿كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ ٦٢: عداوته وإضلاله أو ما حلّ بهم من العذاب فتؤمنون ويقال لهم في الآخرة ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ٦٣: بها ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ٦٤ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾: أي الكفار لقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾: وغيرها ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٦٥: فكل عضو ينطق بما صدر منه ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾: لأعميناها طمساً ﴿فَاسْتَبَقُوا﴾: ابتدروا ﴿الصِّرَاطَ﴾: الطريق ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّىٰ﴾: فكيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾ ٦٦: حينئذ أي لا يبصرون ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾: قردة وخنازير أو حجارة ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾: وفي قراءة مكاناتهم جمع مكانة بمعنى مكان أي في منازلهم ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ٦٧: أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾: بإطالة أجله ﴿نُنَكِّسْهُ﴾: وفي قراءة بالتشديد من التنكيس ﴿فِي الْخَلْقِ﴾: أي خلقه فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفاً وهرماً ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ٦٨: أن القادر على ذلك

جملة فيها معنى القول دون حروفه، و﴿لا﴾ ناهية؛ والفعل مجزوم بها. قوله: ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ تعليل لوجوب الانتهاء. قوله: ﴿ولقد أضل منكم﴾ تأكيد للتعليل. قوله: ﴿جبلاً﴾ بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام. قوله: [وفي قراءة بضم الباء] أي مع ضم الجيم، وبقي قراءة ثالثة سبعية أيضاً وهي بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كسجل. قوله: ﴿هذه جهنم﴾ هذا خطاب لهم وهم على شفير جهنم، والمقصود منه زيادة التبكيت والتقريع. قوله: ﴿اصلوها﴾ أي ذوقوا حرارتها. قوله: ﴿بما كنتم تكفرون﴾ أي بسبب كفركم.

قوله: ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ أي ختماً يمنعها عن الكلام النافع، فلا ينافي قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ وهذا مرتبط بقوله: ﴿اصلوها اليوم﴾ روي أنهم حين يقال لهم ذلك، يجحدون ما صدر عنهم في الدنيا ويتخاصمون، فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم، فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين ويقولون: لا نجيز علينا شاهداً إلا من أنفسنا؛ فيختم على أفواههم، ويقال لأركانهم: انطقوا فتنطق بما صدر منهم، وحكمة إسناد الختم لنفسه، والشهادة للأيدي والأرجل، دفع توهم أن نطقها جبر، والمجبور غير مقبول الشهادة، فأفاد أن نطقها اختياري. قوله: ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ الخ مفعول المشيئة محذوف، أي لو نشاء طمسها لفعلنا. قوله: ﴿فاستبقوا الصراط﴾ أي أرادوا أن يستبقوا الطريق المحسوس ذاهبين في حوائجهم، وهو عطف على قوله: ﴿طمسنا﴾. وقوله: ﴿فأنى يبصرون﴾ استفهام إنكاري مرتب على ما قبله، أي فلا يبصرونه.

قوله: ﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾ الخ يقال فيها ما قيل فيما قبلها، والمسخ تغيير الصور، و﴿على﴾ بمعنى في، والمقصود من هاتين الآيتين تسليته ﷺ، وتوبيخ الكفار وإعلامهم بأن الله قادر على إذهاب ما بهم من النعم في الدنيا، وأنهم مستحقون ذلك لولا حلمه تعالى، فهاتان الآيتان بمعنى قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم﴾ الآية. قوله: ﴿ومن نعمره﴾ أي من يكون في سابق علمنا طويل العمر. قوله: [وفي قراءة بالتشديد] أي وهما قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد، والمعنى نقلبه، فلا يزال يتزايد ضعفه وتنقص قواه؛ عكس ما كان عليه أول أمره. قوله: [أي خلقه] أي خلق جسده وقواه. قوله: [ضعيفاً] مقابل قوته؛ وقوله: [وهرماً] مقابل شبابه، فهو لف ونشر مرتب، وهذا في غير الأنبياء عليهم السلام، وأما هم فلا يعتريهم الضعف في العقل والبدن، وإن طال عمرهم جداً، واستعاذته ﷺ من الرد لأرذل العمر تعليم لأمته، ويلحق بالأنبياء العلماء العاملون، فلا يهرمون ولا يضعفون بطول العمر، بل يكونون على

المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون وفي قراءة بالتاء ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: أي النبي ﴿ٱلشِّعْرَ﴾: رد لقولهم أن ما أتى به من القرآن شعر ﴿وَمَا يَنبَغِي﴾: يسهل ﴿لَهُ﴾: الشعر ﴿إِنْ هُوَ﴾: ليس الذي أتى به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة ﴿وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ ٦٩: مظهر للأحكام وغيرها ﴿لِّيُنذِرَ﴾: بالياء والتاء به ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾: يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾: بالعذاب ﴿عَلَى ٱلْكَافِرِينَ﴾ ٧٠: وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾: في جملة الناس ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾: أي

أحسن ما كانوا عليه. قوله: ﴿أفلا يعقلون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير أتركوا التفكر فلا يعقلون. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿وما علمناه الشعر﴾ هذا تنزيه من الله تعالى لنبيه ﷺ عن آلهتهم فيما أوحاه الله إليه، إذ لو كان للعقل فيه بعض إتهام، لبطل الاحتجاج به. قوله: [رد لقولهم أن ما أتى به من القرآن شعر] أي وحينئذ فقصير المعنى: ليس القرآن بشعر، لأن الشعر كلام مزخرف موزون مقفى قصداً مبني على خيالات وأوهام واهية، وأين ذلك من القرآن العزيز، الذي تنزه عن مماثلة كلام البشر. قوله: ﴿وما ينبغي له﴾ أي لا يصح ولا يليق منه، لأن الشعر شأنه الأكاذيب، وهي عليه مستحيلة، ولذا قيل: أعذبه أكذبه، فتحصل أن النبي لا ينبغي له الشعر، ولا يليق منه. إن قلت: إنه تمثل بقول ابن رواحة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وأنشأ من نفسه قوله:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله:

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

قلت: أحسن ما أجيب به: أن انشاده بيت ابن رواحة، وإنشاء البيتين المقدمين، لم يكن عن قصد، وإنما وافق وزن الشعر، كما في بعض الآيات القرآنية، فليس كل من قال قولاً موزوناً، لا يقصد به الشعر شاعراً، وإنما وافق وزن الشعر. قوله: ﴿لينذر﴾ متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [وهم المؤمنون] أي وخصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون به. قوله: [وهم كالميتين] أخذ هذا من المقابلة في قوله: ﴿من كان حياً﴾. قوله: [والاستفهام للتقرير] أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بالحكم. قوله: [والواو الداخلة عليها للعطف] هذه العبارة تحتمل التقريرين السابقين في نظير هذه الآية، وهما أن الهمزة إما مقدمة من تأخير لأن لها الصدارة، والواو عاطفة على قوله فيما تقدم ﴿أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أو داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: ألم يتفكروا ولم يروا.

قوله: ﴿أنا خلقنا لهم﴾ اللام للحكمة، أي حكمة خلقنا ذلك انتفاعهم. قوله: [في جملة الناس] أشار بذلك إلى أن هذه النعم ليست مقصورة عليهم، بل لهم ولغيرهم. قوله: ﴿مما عملت أيدينا﴾ هذا كناية عن الحصر فيه سبحانه وتعالى، وهذا كقول الإنسان: كتبته بيدي مثلاً، بمعنى أني انفردت به ولم يشاركني فيه غيري، فهو كناية عرفية. قوله:

عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَامًا﴾: هي الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾٧١: ضابطون ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾: سخرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾٧٢ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾: من لبنها جمع مَشْرَب بمعنى شُرْب أو مَوْضِعه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾٧٣: المنعم عليهم بها فيؤمنون أي ما فعلوا ذلك ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿آلِهَةً﴾: أصناماً يعبدونها ﴿لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾٧٤: يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: أي آلهتهم نزلوا منزلة العقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾: أي آلهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُنْدٌ﴾: بزعمهم نصرهم ﴿مُحْضَرُونَ﴾٧٥: في النار معهم ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾: لك لست مرسلاً وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾٧٦: من ذلك وغيره فنجازيهم عليه ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ﴾: يعلم وهو العاصي بن وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: مني إلى أن صيرناه شديداً قوياً ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شديد الخصومة لنا ﴿مُبِينٌ﴾٧٧: بينها في نفي البعث ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾: في ذلك ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾: من المني وهو

﴿أنعاماً﴾ خصها بالذكر؛ لأن منافعها أكثر من غيرها. قوله: [ضابطون] أي قاهرون مذللون، والأحسن أن يفسر قوله: ﴿مالكون﴾ بالملك الشرعي، أي يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات الشرعية ليكون قوله: ﴿وذللناها لهم﴾ تأسيساً لنعمة أخرى، لا تتميماً لما قبله. قوله: [كأصوافها] أي وجلودها ونسلها وغير ذلك. قوله: [أو موضعه] أي وهو الضروع. قوله: [أي ما فعلوا ذلك] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري، وأن قوله: ﴿واتخذوا﴾ الخ عطف على محذوف. قوله: [يعبدونها] تفسير للاتخاذ.

قوله: ﴿لعلهم ينصرون﴾ الجملة حالية، والمعنى حال كونهم راجين النصرة منهم. قوله: [نزلوا منزلة العقلاء] أي لمشاكلة عبادتهم، فعبر عنهم بصيغة جمع الذكور. قوله: ﴿وهم لهم جند﴾ الخ ﴿هم﴾ مبتدأ، و﴿جند﴾ خبر أول، و﴿لهم﴾ متعلق بجند، و﴿محضرون﴾ خبر ثان. قوله: [أي آلهتهم من الأصنام] هذا أحد وجهين، والآخر أنه عائد على الكفار، والمعنى: يقومون بمصالحها، فهم لها بمنزلة الجند، وهي لا تستطيع أن تنصرهم. قوله: ﴿محضرون﴾ [في النار] أي ليعذبوا بها. قوله: ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ هذا تسلية له ﷺ، والمعنى: لا تحزن من قولهم، بل اتركه ولا تلتفت له. قوله: ﴿إنا نعلم﴾ الخ تعليل للنهي قبله. قوله: [فيجازيهم عليه] أي على ما صدر منهم سراً وعلانية، خيراً أو شراً.

قوله: ﴿أو لم ير الإنسان﴾ في الهمزة التقريران السابقان، وهما كونها مقدمة من تأخير، أو عاطفة على محذوف، والتقدير: أعمي ولم ير؟ قوله: [وهو العاصي بن وائل] وقيل: نزلت في أبي بن خلف الجمحي، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿أنا خلقناه من نطفة﴾ أي قذرة خسيسة، والمقصود التعجب من جهله، حيث تصدى لمخاصمة العزيز الجبار، ولم يتفكر في بدء خلقه، وأنه من نطفة. قوله: ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ عطف على جملة النفي. قوله: [في نفي البعث] متعلق بخصيم.

قوله: ﴿وضرب لنا مثلاً﴾ أي أورد كلاماً عجيباً في الغرابة كالمثل، حيث قاس قدرتنا على قدرة الخلق. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٧٧: وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: جاء العاصي بن وائل الى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته، فقال يا محمد: أيبعث هذا بعد ما أرم؟ قال: نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم، فنزلت الآية ﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة﴾ الى آخر السورة، وأخرج ابن أبي حاتم من طرق عن مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي نحوه، وسموا الإنسان: أبي بن خلف.

أغرب من مثله ﴿وَقَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ٧٨: أي بالية ولم يقل بالتاء لأنه إسم لا صفة وروي أنه أخذ عظماً رميماً ففتته وقال للنبي ﷺ أترى يحيي الله هذا بعد ما بلي ورم فقال ﷺ: «ويدخلك النار» ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾: مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ ٧٩: مجملاً ومفصلاً قبل خلقه وبعد خلقه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾: في جملة الناس ﴿مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾: المرخ والعفار أو كل شجر إلا العناب ﴿نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ ٨٠: تقدحون وهذا دال على القدرة على البعث فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء يطفىء النار ولا النار تحرق الخشب ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: مع عظمهما ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: أي الأناسي في الصغر ﴿بَلَى﴾: أي هو قادر على ذلك أجاب نفسه ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾: الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ ٨١: بكل شيء ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾: شأنه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئاً﴾: أي خلق شيء ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٨٢: أي

﴿ونسي خلقه﴾ أي ذهل عنه، وهذا عطف على ﴿ضرب﴾ داخل حيز الإنكار، وإضافة خلق للضمير، من إضافة المصدر لمفعوله، أي خلق الله إياه. قوله: ﴿قال من يحيي العظام﴾ الخ بيان لضرب المثل. قوله: [ولم يقل بالتاء] الخ، أشار بذلك إلى سؤال حاصله أن فعيلاً بمعنى فاعل، يفرق بين المذكر والمؤنث بالتاء، فكان مقتضى القاعدة أن يقال رميمة، فأجاب المفسر: بأن محل ذلك إذا لم تغلب عليه الإسمية، فإذا صار اسماً بالغلبة لما بلي من العظام، فلا تلحقه التاء في مؤنثه. قوله: [فقال ﷺ نعم ويدخلك النار] أخذ من هذا أنه مقطوع بكفره وخلوده في النار، وزيادة ذلك في الجواب لأنه متعنت لا متفهم، وجزاء المتعنت المنكر أن يجاب بما يكره، وبضد ما يترقب، ويسمى عند علماء البلاغة الأسلوب الحكيم. قوله: ﴿الذي أنشأها﴾ أي أوجدها من العدم. قوله: ﴿وهو بكل خلق عليم﴾ أي بكيفية خلقها، وبأجزاء الأشخاص تفصيلاً.

قوله: ﴿الذي جعل لكم﴾ الخ بدل من الموصول قبله. قوله: [في جملة الناس] أشار بذلك إلى أنه ليس مخصصاً بالكفار، بل لجميع الخلق. قوله: [المرخ] بفتح الميم وسكون الراء وبالخاء المعجمة، شجر سريع القدح، وقوله: [والعفار] بفتح العين المهملة، بعدها فاء مفتوحة فألف فراء، وكيفية إيقاد النار منهما، أن يجعل العفار كالزند، يضرب به على المرخ، وقيل: يؤخذ منهما غصنان خضراوان، ويسحق المرخ على العفار، فتخرج منهما النار بإذن الله. قوله: [أو كل شجر] أي وقد شوهد في بعضه كالبرسيم، إذا وضع بعضه على بعض وهو أخضر مدة، فإنه يحرق نفسه وما حوله. قوله: [إلا العناب] أي ولذلك تؤخذ منه مطارق القصارين. قوله: [والخشب] بفتحتين وضمتين أو ضم فسكون.

قوله: ﴿أو ليس الذي﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، تقديره: أليس الذي أنشأها أول مرة، وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً، وليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر؟ قوله: [أي الأناسي] تفسير للضمير. قوله: ﴿بلى﴾ جواب تقرير النفي، وهو صادر منه تعالى، إشارة إلى تعيينه قالوه أولاً. قوله: ﴿وهو الخلاق العليم﴾ عطف على مقدر تقديره بلى هو قادر وهو الخلاق العليم. قوله: ﴿أن يقول له كن﴾ في الكلام استعارة تمثيلية، وتقريرها أن يقال: شبه سرعة تأثير قدرته ونفاذها فيما يريده، بأمر المطاع للمطيع، في حصول المأمور به، من غير امتناع ولا توقف، وحينئذ فمعنى أن يقول له كن، أن تتعلق به قدرته تعلقاً تنجيزياً.

فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفاً على يقول ﴿فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾: مَلِكُ زِيدت الواو والتاء للمبالغة أي القدرة على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٨٣: تُرَدّون في الآخرة.

قوله: ﴿فسبحان الذي﴾ الخ، أي تنزيهه عما لا يليق به. قوله: ﴿وإليه ترجعون﴾ قرأ العامة ببنائه للمفعول، وقرىء شذوذاً ببنائه للفاعل.

ـ تتمة ـ تقدم في فضل يس أنها قلب القرآن، ووجه ذلك: أنها اشتملت على الوحدانية والرسالة والحشر، والإيمان بذلك متعلق بالقلب، فلذلك سميت قلباً، ومن هنا أمر بقراءتها عند المحتضر وعلى الميت، ليكون القلب قد أقبل على الله تعالى، ورجع عما سواه، فيقرأ عنده ما يزداد به قوة ويقيناً.

* * *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٣٧] ـ سورة والصافات

[مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية]

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾[١]: الملائكة تصف نفوسها في العبادة أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾[٢]: الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾: أي قراء القرآن يتلونه ﴿ذِكْرًا﴾[٣]: مصدر من معنى التاليات ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ﴾: يا أهل مكة ﴿لَوَاحِدٌ﴾[٤] ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾[٥]: أي

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة والصافات مكية

وهي مائة واثنتان وثمانون آية

أي بالإجماع، وسميت باسم أول كلمة منها، من باب تسمية الشيء باسم بعضه، على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه. قوله: ﴿والصافات﴾ الخ الواو حرف قسم وجر، و﴿الصافات﴾ مقسم به مجرور، وما بعده عطف عليه، وقوله: ﴿إن إلهكم لواحد﴾ جواب القسم، وهو المقسم عليه، والمعنى: وحق الصافات، وحق الزاجرات، وحق التاليات، وإنما خص ما ذكر لعظم قدرها عنده، ولا يعكر عليه ما ورد من النهي عن الحلف بغير الله لأن النهي للمخلوق، حذراً من تعظيم غير الله، وأما هو سبحانه وتعالى، فيقسم ببعض مخلوقاته للتعظيم، كقوله: والشمس، والليل، والضحى، والنجم، وغير ذلك. قوله: [الملائكة تصف نفوسها] الخ إشار بذلك إلى أن المفعول محذوف، إن قلت: إن التاء في الصافات وما بعدها للتأنيث، والملائكة منزهون عن الاتصاف بالأنوثة كالذكورة. أجيب: بأنها للتأنيث اللفظي، والمنزهون عنه التأنيث المعنوي، وقوله: [الملائكة] هو أحد أقوال في تفسير الصافات، وقيل: المراد المجاهدون، أو المصلون، أو الطير تصف أجنحتها. قوله: [في العبادة] أي في مقاماتها المعلومة. قوله: [وأجنحتها في الهواء] أي ومعنى صفها بسطها. قوله: [تنتظر ما تؤمر به] أي من صعود وهبوط.

قوله: ﴿فالزاجرات زجراً﴾ الفاء للترتيب باعتبار الوجود الخارجي لأن مبدأ الصلاة الاصطفاف، ثم يعقبه زجر النفس، ثم يعقبه التلاوة، وهكذا، ويحتمل أنها للترتيب في المزايا، ثم هو إما باعتبار الترقي، فالصافات ذوات فضل، فالزاجرات أفضل، فالتاليات أكثر فضلاً. أو باعتبار التدلي: فالصافات أعلى، ثم الزاجرات، ثم التاليات، وكل صحيح. قوله: [الملائكة تزجر السحاب] وقيل: المراد بهم العلماء تزجر العصاة. قوله: [مصدر من معنى التاليات]

والمَغارب للشمس لها كُل يوم مشرق ومغرب ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ ٦: أي بضوئها أو بها والإضافة للبيان كقراءة تنوين زينة المبينة بالكواكب ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بفعل مقدر أي حفظناها بالشهب ﴿مِّن كُلِّ﴾ متعلق بالمقدر ﴿شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ ٧: عاتٍ خارج عن الطاعة ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾: أي الشياطين مستأنف وسماعهم هو في المعنى المحفوظ عنه ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الملائكة في السماء وعدي السماع بإلى لتضمنه معنى الإصغاء وفي قراءة بتشديد الميم والسين أصله يتسمعون أدغمت التاء في السين ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾: أي الشياطين

ويصح أن يكون مفعولاً للتاليات، والمراد بالذكر: القرآن وغيره من تسبيح وتحميد، والمراد بهم هنا كل ذاكر من ملائكة وغيرهم.

قوله: ﴿إن إلهكم لواحد﴾ إن قلت: ما حكمة ذكر القسم هنا؛ لأنه إن كان المقصود المؤمنين فلا حاجة له، لأنهم مصدقون ولو من غير قسم، وإن كان المقصود الكفار، فلا حاجة له أيضاً لأنهم غير مصدقين على كل حال؟ أجيب: بأن المقصود منه، تأكيد الأدلة التي تقدم تفصيلها في سورة يس، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ويزداد الكافر طرداً وبعداً.

قوله: ﴿رب السموات والأرض﴾ إما بدل من واحد، أو خبر ثان، أو خبر لمحذوف. قوله: [أي والمغارب] أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء على حد: سرابيل تقيكم الحر، وإنما اقتصر على المشارق لأن نفعها أعم من الغروب، إن قلت: إنه تعالى جمع المشارق هنا، وحذف مقابله، وجمعهما في سأل، وثناهما في الرحمن، وأفردهما في المزمل، فما وجه الجمع بين هذه الآيات؟ أجيب: بأن الجمع باعتبار مشرق كل يوم ومغربه، لأن الشمس لها في السنة ثلاثمائة وستون مشرقاً، وثلاثمائة وستون مغرباً، فتشرق كل يوم من مشرق منها، وتغرب كل يوم في مقابله من تلك المغارب، والتثنية باعتبار مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربهما، والإفراد باعتبار مشرق كل سنة ومغربها، وخص الجمع بهذه السورة لمناسبة جموع أولها.

قوله: ﴿السماء الدنيا﴾ أي القربى من الأرض. قوله: ﴿بزينة الكواكب﴾ اختلف العلماء، هل الكواكب في سماء الدنيا، أو ثوابت في العرش وضوؤها يصل لسماء الدنيا لأن السماوات شفافة لا تحجب ما وراءها؟ قوله: [بضوئها] أي نورها، ولولاه لكانت السماء شديدة الظلمة عند غروب الشمس. وقوله: [أو بها] أي أن ذات الكواكب زينة لسماء الدنيا، فإن الإنسان إذا نظر في الليلة المظلمة إلى السماء، ورأى هذه الكواكب مشرقة على سطح أزرق، وجدها في غاية الزينة. قوله: [المبينة بالكواكب] أي فعلى قراءة التنوين مع جر الكواكب، تكون الكواكب عطفاً عليها، وبقي قراءة ثالثة سبعية وهي تنوين، ونصب الكواكب على أنه مفعول لمحذوف تقديره أعني الكواكب. قوله: [بفعل مقدر] أي معطوف على ﴿زينا﴾.

قوله: ﴿من كل شيطان مارد﴾ وكانوا لا يحجبون عن السماوات، وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها، فيلقونها على الكهنة، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سماوات، فلما ولد محمد عليه الصلاة والسلام، منعوا من السماوات كلها، فما منهم أحد يريد استراق السمع، إلا رمي بشهاب، وهو الشعلة من النار، فلا يخطئه أبداً، فمنهم من يقتله، ومنهم من يحرق وجهه، ومنهم من يخبله فيصير غولاً يضل الناس في البراري. قوله: [مستأنف] أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وما يعتريهم من العذاب. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [أدغمت

بالشهب ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [٨]: من آفاق السماء ﴿دُحُوراً﴾: مصدر دَحَره أي طرده وأبعده وهو مفعول له ﴿وَلَهُمْ﴾: في الآخرة ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [٩]: دائم ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾: مصدر أي المرة والاستثناء من ضمير يسمعون أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾: كوكب مضيء ﴿ثَاقِبٌ﴾ [١٠]: يثقبه أو يحرقه أو يخبله ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾: من الملائكة والسماوات والأرضين وما فيهما وفي الإتيان بمن تغليب العقلاء ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾: أي أصلهم آدم ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [١١]: لازم يلصق باليد المعنى: أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بإنكار النبي والقرآن المؤدي إلى هلاكهم اليسير ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر وهو الإخبار بحاله وحالهم ﴿عَجِبْتَ﴾: بفتح التاء خطاباً

التاء في السين] أي بعد قلبها سيناً وإسكانها. قوله: [من آفاق السماء] أي نواحيها وجهاتها. قوله: [والاستثناء من ضمير يسمعون] أي و[من] في محل رفع بدل من الواو، أو في محل نصب على الاستثناء، والاستثناء على كلٍّ متصل، ويجوز أن تكون [من] شرطية، وجوابها ﴿فأتبعه﴾ أو موصولة مبتدأ، وخبرها ﴿فأتبعه﴾ وهو استثناء منقطع كقوله تعالى: ﴿لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر﴾.

قوله: ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾ إن قلت: تقدم أن الكواكب ثابتة في السماء أو في العرش زينة، ومقتضى كونها رجوماً للشياطين أنها تنفصل وتزول، فكيف الجمع بين ذلك؟ أجيب: بأنه ليس المراد أن الشياطين يرجمون بذات الكواكب، بل تنفصل منها شهب تنزل على الشياطين، والكواكب باقية بحالها. إن قلت: إن الشياطين خلقوا من النار، فكيف يحترقون؟ أجيب: بأن الأقوى يحرق الأضعف، كالحديد يقطع بعضه بعضاً. إن قلت: إذا كان الشيطان يعلم أنه لا يصل لمقصوده بل يصاب، فكيف يعود مرة أخرى؟ أجيب: بأنه يرجو وصوله لمقصوده وسلامته، كراكب البحر، فإنه يشاهد الغرق، المرة بعد المرة، ويعود طمعاً في السلامة. قوله: [يثقبه] أي بحيث يموت من ثقبه، وقوله: [أو يحرقه] أي ويموت أيضاً، وأو في كلام المفسر للتنويع، وهو لا ينافي وصف الشهاب بالثاقب؛ لأن معنى الثاقب المضيء، أي الذي يثقب الظلام، خلافاً لما يوهمه المفسر. قوله: [أو يخبله] الخبل بسكون الباء وفتحها، الجنون والبله، ويطلق أيضاً على من فسدت أعضاؤه.

قوله: ﴿فاستفتهم﴾ الخ، المقصود من هذا الكلام، الرد على منكري البعث، حيث ادعوا أنه مستحيل، وحاصل الرد أن يقال لهم: إن استحالته التي تدعونها، إما لعدم المادة، وهو مردود بأن غاية الأمر تصير الأجزاء تراباً، وهو قادر على أن ينزل عليه ماء فيصير طيناً، وقد خلق أباهم آدم من طين، أو لعدم القدرة وهو مردود، بأن القادر على هذه الأشياء العظام من السماوات الأرض وغيرهما، قادر على إعادتهم ثانياً، وقدرته ذاتية لا تتغير، فهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾ الخ. قوله: ﴿أهم أشد خلقاً﴾ أي أقوى خلقاً، أو أصعب أو أشق إيجاداً. قوله: ﴿أم من خلقنا﴾ قرأ العامة بتشديد الميم، وقرئ شذوذاً بفتحها، وهو استفهام ثان، و﴿من﴾ مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أي ﴿أشد خلقاً﴾. قوله: ﴿لازب﴾ من باب دخل. وقوله: [يلصق باليد] أي أنه لضعفه لا قوام له بنفسه. قوله: [المعنى أن خلقهم] الخ، التفت المفسر إلى أنه توبيخ لهم على التكبر والعناد الذي منه إنكار البعث.

قوله: ﴿بل عجبت﴾ إضراب عن الأمر بالاستفتاء كأنه قال: لا تستفتهم فإنهم جاهلون معاندون، لا منفعة في استفتائهم، بل انظر إلى حالك وحالهم، والمقصود منه تسليته ﷺ. قوله: [بفتح التاء] أي وبضمها، قراءتان سبعيتان، وعلى الضم فالمتعجب الله تعالى، ومعناه في حقه الغضب والمؤاخذة على حد ﴿ومكروا ومكر الله﴾ والمعنى فيجازيهم

للنبي ﷺ أي من تكذيبهم إياك ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾¹² : من تعجبك ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ : وعظوا بالقرآن ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾¹³ : لا يتعظون ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ : كانشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾¹⁴ : يستهزؤون بها ﴿وَقَالُوا﴾ : فيها ﴿إِنْ﴾ : ما ﴿هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾¹⁵ : بين وقالوا منكرين البعث ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾¹⁶ : في الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾¹⁷ : بسكون الواو عطفاً بأو وبفتحها والهمزة للاستفهام والعطف بالواو والمعطوف عليه محل إنّ واسمها أو الضمير في لمبعوثون والفاصل همزة الاستفهام ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ : تبعثون ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾¹⁸ : صاغرون ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ ضمير مبهم يفسّره ﴿زَجْرَةٌ﴾ : أي صيحة ﴿وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ : أي الخلائق أحياء ﴿يَنْظُرُونَ﴾¹⁹ : ما يفعل بهم ﴿وَقَالُوا﴾ : أي الكفار ﴿يَا﴾ : للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ : هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه وتقول لهم الملائكة ﴿هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾²⁰ : أي الحساب والجزاء ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ : بين الخلائق ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾²¹ : ويقال للملائكة ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ : أنفسهم بالشرك ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ : قرناءهم من الشياطين ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾²² ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ : أي

على تكذيبهم إياك، وقد يطلق التعجب في حق الله تعالى على الرضا والمحبة كما في الحديث: «عجب ربك من شاب ليس له صبوة». قوله: ﴿و﴾ [هم] ﴿يسخرون﴾ [من تعجبك] أي أو من تعجبي، أي غضبي عليهم ومجازاتي لهم على كفرهم. قوله: [لا يتعظون] أي لقيام الغفلة بهم.

قوله: ﴿أئذا متنا﴾ الخ، أصل الكلام: أنبعث إذا متنا، وكنا تراباً وعظاماً؟ قدموا الظرف، وكرروا الهمزة، وأخروا العامل، وعدلوا به إلى الجملة الإسمية، لقصد الدوام والاستمرار، إشعاراً بأنهم مبالغون في الإنكار. قوله: [وادخال ألف بينهما] أي وتركه، فالقراءات أربع في كل موضع، وبقي قراءتان سبعيتان أيضاً: الأولى بالفين، والثانية بواحدة، والعكس، وبسط تلك القراءات يعلم من كتبها. قوله: [وبفتحها] أي والقراءتان سبعيتان هنا، وفي الواقعة، وتقدم في الإعراف ﴿أو أمن أهل القرى﴾. قوله: [للاستفهام] أي الإنكاري. قوله: [أو الضمير في لمبعوثون] أي على القراءة الثانية، فيكون مبعوثون عاملاً فيه أيضاً، إن قلت: إن ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ما قبلها، فكان الأولى أن يجعل مبتدأ خبره محذوف تقديره أو آباؤنا يبعثون. أجيب: بأنها مؤكدة للأولى، لا مقصودة بالاستقبال، فالعبرة بتقديم المؤكد لا المؤكد. قوله: [والفاصل] أي بين المعطوف عليه، وهو ضمير الرفع المستتر، وبين المعطوف وهو ﴿آباؤنا﴾، فتحصل أنه على قراءة سكون الواو، يتعين العطف على محل إن واسمها لا غير، وعلى قراءة فتحها يجوز هذا الوجه، ويجوز كونه معطوفاً على الضمير المستتر في ﴿لمبعوثون﴾ ويكفي الفصل بهمزة الاستفهام، على حد قول ابن مالك: أو فاصل ما. قوله: ﴿وأنتم داخرون﴾ الجملة حالية، والعامل فيها معنى ﴿نعم﴾ كأنه قيل [تبعثون] والحال أنكم صاغرون لخروجهم من قبورهم، حاملين أوزارهم على ظهورهم.

قوله: ﴿فإنما هي زجرة﴾ الخ، هذه الجملة جواب شرط مقدر، أو تعليل لنهي مقدر تقديره إذا كان الأمر كذلك فإنما هي الخ، أو لا تستصعبوه فإنما هي الخ. قوله: [أي صيحة] ﴿واحدة﴾ أي وهي النفخة الثانية. قوله: ﴿فإذا هم ينظرون﴾ أي ينتظرون. قوله: [لا فعل له من لفظه] أي بل من معناه وهو هلك. قوله: [وتقول لهم الملائكة] أشار بذلك إلى أن الوقف تم عند قوله: ﴿يا ويلنا﴾ وما بعده كلام مستقبل، وهذا أحد احتمالات، ويحتمل أنه من كلام بعضهم لبعض، ويحتمل أنه من كلام الله تعالى تبكيتاً لهم، ويحتمل أنه من كلام المؤمنين لهم.

قوله: ﴿احشروا الذين ظلموا﴾ أي من مقامهم إلى الموقف، أو من الموقف إلى النار. قوله: [قرناءهم من

غيره من الأوثان ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾: دلّوهم وسوقوهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾٢٣: طريق النار ﴿وَقِفُوهُمْ﴾: احبسوهم عند الصراط ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾٢٤: عن جميع أقوالهم وأفعالهم ويقال لهم توبيخاً ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾٢٥: لا ينصر بعضكم بعضاً كحالكم في الدنيا ويقال عنهم ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾٢٦: منقادون أذلاء ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾٢٧: يتلاومون ويتخاصمون ﴿قَالُوٓاْ﴾: أي الأتباع منهم للمتبوعين ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾٢٨: عن الجهة التي كنا نأمنكم منها لحلفكم أنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم المعنى إنكم أضللتمونا ﴿قَالُواْ﴾: أي المتبوعون لهم ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾٢٩: وإنما يصدق الإضلال منا أن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إلينا ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: قوة وقدرة نقهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾٣٠: ضالين مثلنا ﴿فَحَقَّ﴾: وجب ﴿عَلَيْنَا﴾: جميعاً ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾: بالعذاب أي قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿إِنَّا﴾: جميعاً ﴿لَذَآئِقُونَ﴾٣١: العذاب بذلك القول ونشأ عنه قولهم ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾: المعلل بقوله ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾٣٢: قال تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾٣٣: أي لاشتراكهم في الغواية ﴿إِنَّا

الشياطين] هذا أحد أقوال، وقيل: المراد أزواجهم نساؤهم اللاتي على دينهم، وقيل: أشباههم وأخلاؤهم من الإنس، لأن زوج الشيء على مقاربه ومجانسه، فيقال لمجموع فردتي الخف، ولأحداهما زوج. قوله: [من الأوثان] أي كالأصنام والشمس والقمر. قوله: ﴿إنهم مسؤولون﴾ بكسر الهمزة في قراءة العامة على الاستئناف، وفيه معنى التعليل، وقرىء بفتحها على حذف لام العلة، والمعنى قفوهم لأجل سؤال الله إياهم. قوله: [عن جميع أقوالهم وأفعالهم] أي لما في الحديث: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به». قوله: [ويقال لهم] أي والقائل خزنة جهنم. قوله: [كحالكم في الدنيا] تشبيه في المنفي. قوله: [ويقال عنهم] أي في شأنهم على سبيل التوبيخ.

قوله: ﴿وأقبل بعضهم﴾ أي بعض الكفار يوم القيامة، وهذا بمعنى ما تقدم في سورة سبأ في قوله: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾. قوله: [يتلاومون ويتخاصمون] أي يلوم بعضهم بعضاً، ويخاصم بعضهم بعضاً، كما قال تعالى في شأنهم ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ بخلاف تساؤل المؤمنين في الجنة، فهو شكر وتحدث بنعم الله عليهم. قوله: ﴿عن اليمين﴾ يطلق على الحلف والجارحة المعلومة والقوة والدين والخير، والآية محتملة لتلك المعاني، والمفسر اختار الأول، وعليه فعن بمعنى من، والمعنى: كنتم تأتوننا من الجهة التي كنا نأمنكم منها، فتلك الجهة مصورة بحلفكم أنكم على الحق؛ الخ. قوله: [المعنى أنكم أضللتمونا] هذا المعنى هو المراد على جميع الاحتمالات، لا على ما قاله المفسر فقط.

قوله: ﴿قالوا بل لم تكونوا مؤمنين﴾ الخ، أجابوا بأجوبة خمسة آخرها ﴿فأغويناكم إنا كنا غاوين﴾ والمعنى إنكم لم تتصفوا بالإيمان في حال من الأحوال. قوله: [أن لو كنتم مؤمنين] أي أن لو اتصفتم بالإيمان. قوله: [فرجعتم عن الإيمان إلينا] أي بإضلالنا وإغوائنا، كأنهم قالوا لهم: إن من آمن لا يطيعنا لثبات الإيمان في قلبه، فلو حصل منكم الإيمان لما أطعتمونا. قوله: ﴿قول ربنا﴾ أي وعيده، ومفعول القول محذوف قدره بقوله: ﴿لأملأن جهنم﴾ الخ.

قوله: ﴿إنا لذائقون﴾ إخبار منهم عن جميع الرؤساء والأتباع بإذاقة العذاب.

قوله: ﴿فأغويناكم﴾ أي تسببنا لكم في الغواية من غير إكراه، فلا ينافي ما قبله. قوله: ﴿إنا كنا غاوين﴾ أي فأحببنا لكم ما قام بأنفسنا، لأن من كان متصفاً بصفة شنيعة، يحب أن يتصف بها غيره، لتهون المصيبة عليه. قوله:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾٣٤: غير هؤلاء أي نعذبهم التابع منهم والمتبوع ﴿إِنَّهُمْ﴾: أي هؤلاء بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا﴾: في همزتيه ما تقدم ﴿لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾٣٦: أي لأجل قول محمد قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾٣٧: الجائين به وهو أن لا إله إلا الله ﴿إِنَّكُمْ﴾: فيه التفات ﴿لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ٣٨ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾: جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ٣٩ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾٤٠: أي المؤمنين استثناء منقطع أي ذكر جزاؤهم في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾: في الجنة ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾٤١: بكرة وعشياً ﴿فَوَاكِهُ﴾: بدل أو بيان للرزق وهو ما يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق للأبد ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾٤٢: بثواب الله سبحانه وتعالى ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾٤٤: لا يرى بعضهم قفا بعض ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾: على كل منهم ﴿بِكَأْسٍ﴾: هو الإناء بشرابه ﴿مِن مَّعِينٍ﴾٤٥: من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء ﴿بَيْضَاءَ﴾: أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٍ﴾: لذيذة

[يوم القيامة] أي حين التحاور والتخاصم. قوله: [كما يفعل بهؤلاء] أي عبدة الأصنام، وقوله: [غير هؤلاء] أي كالنصارى واليهود. قوله: ﴿إنهم كانوا﴾ الخ، أي عبدة الأصنام، وسبب ذلك: أن النبي ﷺ دخل على أبي طالب عند موته، وقريش مجتمعون عنده فقال: قولوا لا إله إلا الله، تملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فأبوا وأنفوا من ذلك وقالوا: ﴿أئنا لتاركو آلهتنا﴾ الخ. قوله: ﴿يستكبرون﴾ أي يتكبرون عن قولها، وعن من يدعوهم إليها. قوله: [في همزتيه ما تقدم] أي من التحقيق فيهما، وتسهيل الثانية، بألف ودونها، فالقراءات أربع. قوله: ﴿لتاركو آلهتنا﴾ من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، أي لتاركون آلهتنا، والمعنى لتاركون عبادتها. قوله: ﴿بل جاء بالحق﴾ الخ، رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق، موافق فيه المرسلين قبله. قوله: [فيه التفات] أي من الغيبة إلى الخطاب زيادة في التقبيح عليهم. قوله: ﴿إلا ما كنتم تعملون﴾ أي فالشر يكون جزاؤه بقدره، بخلاف الخير، فجزاؤه بأضعاف مضاعفة. قوله: [استثناء منقطع] أي من الواو في ﴿تجزون﴾.

قوله: ﴿أولئك﴾ أي عباد الله المخلصين. قوله: [إلى آخره] أي وهو قوله: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾. قوله: ﴿لهم رزق معلوم﴾ أي أوقاته وصفاته، فلا ينافي آية ﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾ فإن المراد غير معلوم المقدار. قوله: [بدل] أي كل من كل، لأن جميع ما يؤكل في الجنة، إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ، فلا فرق بين الرزق والفواكه. قوله: [لا لحفظ صحة] المناسب أن يقول: لا لحفظ بنية. قوله: [بخلق أجسادهم للأبد] أي فهم يدومون بدوام الله، لا يفنون أبداً. قوله: ﴿وهم مكرمون﴾ أي معظمون مبجلون بالتحية والكلام اللين.

قوله: ﴿في جنات النعيم﴾ إما متعلق بمكرمون، أو خبر ثان، أو حال. قوله: ﴿على سرر﴾ قال ابن عباس: على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد، والسرير ما بين صنعاء إلى الجابية، وما بين عدن إلى إيليا. قوله: ﴿متقابلين﴾ أي تواصلا وتحابباً، وقيل: الأسرة تدور كيف شاؤوا، فلا يرى أحد قفا أحد.

قوله: ﴿يطاف عليهم﴾ أي والطائف الولدان كما في آية ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾. قوله: [هو الإناء بشرابه] أي فإن لم يكن فيه شراب، فإنه يسمى قدحاً، ويطلق الكأس على الخمر نفسه، من باب تسمية الشيء باسم محله. قوله: ﴿من معين﴾ أي ظاهر العيون، أو خارج من العيون، فعلى الأول اسم مفعول كمبيع، وعلى الثاني اسم فاعل من عان بمعنى نبع، وصف به خمر الجنة، لأنه يجري كالماء النابع.

قوله: ﴿بيضاء﴾ إما صفة لكأس أو للخمر. قوله: ﴿لذة﴾ إما صفة مشبهة، كصعب وسهل، فتكون مشتقة،

﴿لِلشَّارِبِينَ﴾٤٦ : بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ : ما يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾٤٧ : بفتح الزاي وكسرها من نزف الشارب وأنزف أي يسكرون بخلاف خمر الدنيا ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ : حابسات الأعين على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لحسنهم عندهن ﴿عِينٌ﴾٤٨ : ضخام الأعين حسانها ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ : في اللون ﴿بَيْضٌ﴾ : للنعام ﴿مَّكْنُونٌ﴾٤٩ : مستور بريشه لا يصل إليه غبار ولونه وهو البياض في صفرة أحسن ألوان النساء ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ : بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾٥٠ : عما مر بهم في الدنيا ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾٥١ : صاحب ينكر البعث ﴿يَقُولُ﴾ : لي تبكيتاً ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾٥٢ : بالبعث ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا﴾ : في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم ﴿لَمَدِينُونَ﴾٥٣ : مجزيون ومحاسبون أنكر ذلك أيضاً ﴿قَالَ﴾ : ذلك القائل لإخوانه ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾٥٤ : معي إلى النار لننظر حاله فيقولون لا ﴿فَاطَّلَعَ﴾ : ذلك القائل من بعض كوى الجنة ﴿فَرَآهُ﴾ : أي رأى قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾٥٥ : أي وسط النار ﴿قَالَ﴾ : له تشميتاً ﴿تَاللَّهِ إِن﴾ : مخففة من الثقيلة ﴿كِدتَّ﴾ : قاربت ﴿لَتُرْدِينِ﴾٥٦ : لتهلكني بإغوائك ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ : علي بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾٥٧ : معك في النار وتقول أهل الجنة ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾٥٨ ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ : أي التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾٥٩ : هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى

فالوصف بها ظاهر، أو مصدر فالوصف بها مبالغة، أو على حذف مضاف أي ذات لذة. قوله : [ما يغتال عقولهم] أي يفسدها، وقيل : الغول صداع في الرأس، وعليه فيكون ما بعده تأسيساً. قوله : ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ عن سببية، أي ولا هم ينزفون بسببها. قوله : [بفتح الزاي] أي مع ضم الياء، فهو مبني للمفعول، وقوله : [وكسرها] أي مع ضم الياء أيضاً، فهو مبني للفاعل فقراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بالفتح والكسر وبالفتح والضم. قوله : [من نزف الشارب] الخ، أي فهو مأخوذ من الثلاثي أو الرباعي، والقراءتان السبعيتان على مقتضى أخذه من الرباعي فتدبر. قوله : ﴿عين﴾ جمع عيناء، وهي الواسعة العين اتساعاً غير مفرط، بل مع الحسن والجمال قوله : ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ شبههن هنا ببيض النعام، وفي سورة الواقعة باللؤلؤ المكنون لصفائه، وكون بياضه مشوباً ببعض صفرة مع لمعان، لأن هذه الأوصاف جمال أهل الجنة. قوله : [عما مر بهم في الدنيا] أي من الفضائل والمعارف، وما عملوه في الدنيا.

قوله : ﴿قال قائل منهم﴾ أي من أهل الجنة لإخوانه في الجنة، وهذا من جملة ما يتحدثون به. قوله : [تبكيتاً] أي توبيخاً على عدم إنكار البعث. قوله : [ما تقدم] أي من القراءات الأربع، وهي تحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه. قوله : [مجزيون] أي فهو من الدين بمعنى الجزاء. قوله : [أنكر ذلك] أي الجزاء والحساب، وقوله : [أيضاً] أي كما أنكر البعث. قوله : [لإخوانه] أي من أهل الجنة. قوله : [من بعض كوى الجنة] بضم الكاف مع القصر، وبكسرها مع القصر والمد، جمع كوة بفتح الكاف وضمها أي طبقاتها. قوله : [تشميتاً] أي فرحاً بمصيبته، لأن الله نزع رحمة الكفار من قلوب المؤمنين. قوله : [مخففة من الثقيلة] أي واللام فارقة، ويصح أن تكون نافية، واللام بمعنى إلا، وعلى كل فهي جواب القسم.

قوله : ﴿أفما نحن بميتين﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه تقديره : أنحن مخلدون ومنعمون؟ فما نحن بميتين، الخ. قوله : ﴿إلا موتتنا الأولى﴾ ﴿إلا﴾ أداة حصر، و﴿موتتنا﴾ منصوب على المصدر، والعامل فيه قوله ميتين، ويكون استثناء مفرغاً، وهو بمعنى قوله تعالى : ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾. قوله : [هو

من تأبيد الحياة وعدم التعذيب ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: الذي ذكر لأهل الجنة ﴿لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٦٠ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ٦١: قيل يُقال لهم ذلك وقيل هم يقولونه ﴿أَذَٰلِكَ﴾: المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾: وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ٦٢: المعدة لأهل النار وهي من أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله في الجحيم كما سيأتي ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾: بذلك ﴿فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ ٦٣: أي الكافرين من أهل مكة إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبته ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ ٦٤: أي قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها ﴿طَلْعُهَا﴾: المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ ٦٥: أي الحيات القبيحة المنظر ﴿فَإِنَّهُمْ﴾: أي الكفار ﴿لَآكِلُونَ

استفهام تلذذ] أي فهو من كلام بعضهم لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت، ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت. قوله: [من تأبيد الحياة] الخ لف ونشر مرتب. قوله: [الذي ذكر لأهل الجنة] أي من قوله: ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ الخ. قوله: ﴿لمثل هذا﴾ أي لا للحظوظ الدنيوية الفانية التي تزول ولا تبقى. قوله: ﴿فليعمل العاملون﴾ أي ليجتهد المجتهدون في الأعمال الصالحة، فإن جزاءها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فإذا كان كذلك، فلو أفنى الإنسان عمره في خدمة ربه، ولم يشتغل بشيء سواها، لكان ذلك قليلاً بالنسبة لما يلقاه من النعيم الدائم، جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه. قوله: [قيل يقال لهم ذلك] أي ما ذكر من الجملتين من قبل الله تعالى، وقوله: [وقيل هم يقولونه] أي يقول بعضهم لبعض، ويبعد كلا من الاحتمالين قوله: ﴿فليعمل العاملون﴾ فإن العمل والترغيب فيه، إنما يكون في الدنيا، فالأولى أنه جملة مستأنفة من كلام الله تعالى ترغيباً للمكلفين في عمل الطاعات.

قوله: ﴿أذلك﴾ معمول لمحذوف تقديره: قل يا محمد لقومك، على سبيل التوبيخ والتبكيت ﴿أذلك خير﴾ الخ. قوله: [المذكور لهم] أي لأهل الجنة من قوله: ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ الخ. قوله: ﴿نزلاً﴾ تمييز لخير، وقوله: ﴿أم شجرة الزقوم﴾ ﴿أم﴾ حرف عطف، و﴿شجرة الزقوم﴾ معطوف على اسم الإشارة، وهو مبتدأ حذف خبره لدلالة ما قبله عليه، والتقدير أم شجرة الزقوم خير نزلاً، والتعبير بخير، و﴿نزلاً﴾ تهكم بهم وللمشاكلة. قوله: [من ضيف وغيره] الضيف من يأتي بدعوة، وغيره من يأتي زائراً للمحبة والألفة، وربما كان أعز من الضيف. قوله: ﴿أم شجرة الزقوم﴾ من التزقم، وهو البلع بشدة وإكراه للأشياء الكريهة، سميت بذلك، لأن أهل النار يكرهون على الأكل منها، وهي شجرة مسمومة، متى مست جسد أحد تورّم فمات، وهي خبيثة مرة كريهة الطعم. قوله: [وهي من أخبث الشجر] أي وهي صغيرة الورق منتنة.

قوله: ﴿إنا جعلناها﴾ [بذلك] أي بسبب إخبار الله تعالى بذلك. قوله: ﴿فتنة للظالمين﴾ أي امتحاناً واختباراً، هل يصدقون أم لا؟ قوله: [إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته] أي ولم يعلموا أن القادر لا يعجزه شيء. قوله: ﴿تخرج في أصل الجحيم﴾ أي تنبت في أسفلها. قوله: [إلى دركاتها] أي منازلها، وذلك نظير شجرة طوبى لأهل الجنة، فإن أصلها في عليين، وما من بيت في الجنة إلا وفيه غصن منها.

قوله: ﴿طلعها﴾ الطلع في الأصل، اسم لثمر النخل أول بروزه، فتسميته طلعاً تهكم بهم. قوله: [أي الحياة القبيحة المنظر] أي ووجه الشبه الشناعة والسم في كل، وما مشى عليه المفسر أحد أقوال ثلاثة، وقيل: شبه طلعها برؤوس الشياطين حقيقة، ووجه الشبه القباحة ونفور النفس من كل، لكن يرد عليه أنه تشبيه بغير معلوم للمخاطبين،

* أسباب نزول الآية ٦٤: أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قال أبو جهل: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد، فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرة ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ الآية. وأخرج نحوه عن السدي.

﴿مِنْهَا﴾: مع قبحها لشدة جوعهم ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ٦٦: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ﴾ ٦٧: أي ماء حار يشربونه فيختلط بالمأكول منها فيصير شوباً له ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ ٦٨: يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم وأنه خارجها ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾: وجدوا ﴿آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ ٦٩ ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ ٧٠: يزعجون[1] إلى اتباعهم فيسرعون إليه ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ٧١: من الأمم الماضية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ٧٢: من الرسل مخوفين ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ٧٣: الكافرين أي عاقبتهم العذاب ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ٧٤: أي المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة أو لأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾: بقوله: رب إني مغلوب فانتصر ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ ٧٥: له نحن أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ ٧٦: أي الغرق ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ ٧٧: فالناس كلهم من نسله عليه السلام وكان له ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو

وأجيب: بأن الشيطان وإن كان غير معلوم في الخارج، فهو معروف في الأذهان والخيالات، كالغول فإنه مرسوم في خيال كل أحد بصورة قبيحة، وقيل: الشياطين شجر في البادية معروف للمخاطبين. قوله: [لشدة جوعهم] أي ولقهرهم على الأكل منها زيادة في عذابهم.

قوله: ﴿ثم إن لهم عليها﴾ أي على ما يأكلونه منها، إذا شبعوا وغلبهم العطش. قوله: ﴿لشوباً﴾ بفتح الشين في قراءة العامة مصدر على أصله، وقرىء شذوذاً بضم الشين اسم بمعنى المشوب. قوله: [يفيد أنهم يخرجون منها] هذا أحد قولين، والآخر وهو قول الجمهور، أنهم لا يخرجون أصلاً، لقوله تعالى: ﴿وما هم بخارجين منها﴾ وحينئذ فالمعنى أنه ينوع عذابهم وهم في النار، فتارة يكون عذابهم بأكل الزقوم، وتارة بشرب الحميم، وتارة بالزمهرير، وغير ذلك من أنواع العذاب، فإذا كانوا مشغولين بأكل الزقوم وفرغوا منه، يردون إلى الاشتغال بعذاب غيره، والحال أنهم في النار لا يخرجون منها، ويمكن التوفيق بين القولين، بأنه يحمل القول بأنه خارجها، على أنه في محل خارج عن المحل الذي يعذبون فيه، وليس المراد أنه خارج النار بالكلية، لمعارضته صريح النص؛ فيخرجون إلى ذلك المحل للأكل والشرب، ثم يردون إلى محل العذاب الذي كانوا فيه أولاً.

قوله: ﴿إنهم ألفوا آباءهم﴾ هذا تعليل لاستحقاقهم العذاب، والمعنى: أن سبب استحقاقهم للعذاب، تقليد آبائهم في الضلال، في غير شيء يتمسكون به سوى التقليد. قوله: ﴿يهرعون﴾ أي من غير تأمل ولا تدبر. قوله ﴿ولقد ضل قبلهم﴾ الخ اللام فيه وفيما بعده موطئة لقسم محذوف، وكل من الجملتين سيق لتسليته ﷺ. قوله: ﴿فانظر﴾ خطاب للنبي أو لكل من يتأتى منه النظر. قوله: ﴿إلا عباد الله﴾ استثناء منقطع، لأن ما قبله وعيد، وهم لم يدخلوا فيه. قوله: [لإخلاصهم في العبادة] أي على قراءة كسر اللام. قوله: [على قراءة فتح اللام] أي والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿ولقد نادانا نوح﴾ شروع في تفصيل ما أجمله في قوله: ﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ وقد ذكر في هذه السورة سبع قصص: قصة نوح، وقصة إبراهيم، وقصة الذبيح، وقصة موسى وهارون، وقصة إلياس، وقصة لوط، وقصة يونس، وذلك تسلية له ﷺ وتحذير لمن كفر من أمته. قوله: [رب إني مغلوب] أي مقهور، وقوله: [فانتصر] أي انتقم منهم. قوله: ﴿فلنعم المجيبون﴾ الواو للتعظيم. وقوله: [نحن] هو المخصوص بالمدح. قوله: ﴿وأهله﴾ أي من آمن به، ومنهم زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة وزوجاتهم. قوله: [فالناس كلهم من نسله] هذا هو المعتمد، وقيل كان

---

(١) هكذا في كل النسخ المطبوعة من تفسير الجلالين التي بين أيدينا ولعله تصحيف عن كلمة يسرعون، الأهراع: الأسراع: وقال أبو عبيدة: يُستحثون إليه أما قول الشارح يزعجون: يقال: أزعجه أي أقلقه وقلعه من مكانه. وقول أبي عبيدة يوافق المعنى وأقرب للصواب والله أعلم.

أبو السودان ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك ﴿وَتَرَكْنَا﴾: أبقينا ﴿عَلَيْهِ﴾: ثناءً حسناً ﴿فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ ٧٨ من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة ﴿سَلَامٌ﴾: منا ﴿عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَالَمِينَ﴾ ٧٩ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: كما جزيناهم ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ٨٠ ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨١ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ ٨٢: كفار قومه ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾: أي ممن تبعه في أصل الدين ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ ٨٣ وإن طال الزمان بينهما وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة وكان بينهما هود وصالح ﴿إِذْ جَآءَ﴾: أي تابعه وقت مجيئه ﴿رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ٨٤: من الشك وغيره ﴿إِذْ قَالَ﴾: في هذه الحالة

لغير ولد نوح أيضاً نسل. قوله: [سام] الخ الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجمة، وفارس كذلك للعلمية والتأنيث، لأنه علم على قبيلة. قوله: [والخزر] بفتح الخاء والزاي بعدهما راء مهملة، وهكذا في النسخ الصحيحة وهو الصواب، وفي بعض النسخ: والخزرج، وهو تحريف فاحش، لأن الخزرج من جملة العرب، والخزر صنف من الترك صغار الأعين، يعرفون الآن بالططر. قوله: [وما هنالك] أي وهم قوم عند يأجوج ومأجوج إذا طلعت عليهم الشمس، دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض، فإذا زالت عنهم، خرجوا إلى معايشهم وحروثهم، وقيل: هم قوم عراة، يفرش بعضهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى. قوله: [ثناء حسناً] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿تركنا﴾ محذوف، وقوله: ﴿سلام على نوح﴾ كلام مستقل إنشائي، ثناء من الله تعالى على نوح، فالأول ثناء الخلق، والثاني ثناء الخالق، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «من قال حين يمسي: سلام على نوح في العالمين، لم تلدغه عقرب». قوله: ﴿العالمين﴾ متعلق بما تعلق به الجار قبله، والمراد بالعالمين الملائكة والثقلان.

قوله: ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ تعليل لما فعل بنوح من الكرامة، في إجابة دعائه، وإبقاء ذريته، وذكره الجميل، وتسليم الله عليه في العالمين، أي فهذا الجزاء سنتنا في كل من اتصف بالإحسان كنوح. قوله: ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ علة لكونه محسناً، وفيه إجلال لشأن الإيمان، وإظهار لفضله، وترغيب في تحصيله والثبات عليه والازدياد منه. قوله: ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ معطوف على ﴿نجيناه وأهله﴾ فالترتيب حقيقي، لأن نجاتهم بركوب السفينة، حصلت قبل غرق الباقين فتدبر.

قوله: ﴿وإن من شيعته﴾ الخ عطف على قوله: ﴿ولقد نادانا نوح﴾ عطف قصة على قصة. قوله: [أي ممن تبعه] الخ، أي فالشيعة الأتباع والحزب. قوله: [في أصل الدين] أي وإن اختلفت فروع شرائعهما، فالاتباع في أصول الدين وهو التوحيد، لا في الفروع كالصلاة مثلاً. قوله: [وإن طال الزمان] الخ فالجملة حالية، والمعنى أنه من أتباعه على عهده، والحال أن الزمان طال بينهما، فطول المدة لم ينسه العهد. قوله: [وهو ألفان] الخ، هذا أحد قولين، والآخر أن بينهما ألف سنة ومائة واثنتين وأربعين سنة. قوله: [وكان بينهما هود وصالح] أي وكان قبل نوح ثلاثة: إدريس وشيث وآدم، فجملة من قبل إبراهيم من الأنبياء ستة.

قوله: ﴿إذ جاء ربه﴾ الخ معنى مجيئه توجهه بقلبه مخلصاً لربه، وفي الكلام استعارة تبعية تقريرها أن تقول: شبه إقباله على ربه مخلصاً قلبه بمجيئه بتحفة جميلة، والجامع بينهما طلب الفوز بالرضا، واشتق من المجيء جاء بمعنى أقبل بقلبه. قوله: [أي تابعه وقت مجيئه] أشار بذلك إلى أن الظرف متعلق بمحذوف دل عليه قوله: ﴿شيعته﴾ ويصح جعله متعلقاً بشيعته، لما فيها من معنى المشايعة، لكن فيه أنه يلزم عليه الفصل بينه وبين معموله بأجنبي وهو قوله: ﴿لإبراهيم﴾ وأيضاً يلزم عليه عمل ما قبل اللام الابتدائية فيما بعدها، وأجيب: بأنه يتوسع في الظروف، بما لا يتوسع في غيرها. قوله: [من الشك وغيره] أي من الآفات والعلائق التي تشغل القلب عن شهود الرب تعالى.

المستمرة له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾: موبخاً ﴿مَاذَا﴾: ما الذي ﴿تَعْبُدُونَ ٨٥ أَئِفْكًا﴾: في همزتيه ما تقدم ﴿آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦﴾: وإفكاً مفعول له وآلهة مفعول به لتريدون والإفك أسوأ الكذب أي أتعبدون غير الله ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٨٧﴾: إذ عبدتم غيره إنه يترككم بلا عقاب؟ لا وكانوا نجامين فخرجوا إلى عيد لهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه فإذا رجعوا أكلوه وقالوا للسيد إبراهيم: أخرج معنا ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ٨٨﴾: إيهاماً لهم أنه يعتمد عليها ليعتمدوه ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ٨٩﴾: عليل أي سأسقم ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: إلى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ ٩٠ فَرَاغَ﴾: مال في خفية ﴿إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ﴾: وهي الأصنام وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾: استهزاء ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ٩١﴾: فلم ينطقوا فقال ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ٩٢﴾: فلم تجب ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ٩٣﴾: بالقوة فكسرها فبلغ قومه ممن رآه ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ٩٤﴾: أي يسرعون المشي فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها ﴿قَالَ﴾: لهم موبخاً ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ٩٥﴾: من الحجارة وغيرها أصناماً ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦﴾: من نحتكم ومنحوتكم

قوله: ﴿لأبيه وقومه﴾ تقدم الخلاف في كونه أباه حقيقة أو عمه، وإنما عبر بالأب، لأن العم أب، والمراد بقومه النمرود وجماعته. قوله: [في همزتيه ما تقدم] أي وهو تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها. قوله: [وإفكاً مفعول له] أي وقدم على المفعول به، لأجل التقبيح عليهم بأنهم على إفك وباطل. قوله: [أي تعبدون غير الله] كان عليه أن يزيد قوله لأجل الإفك، ليوفي بالمفعول لأجله. قوله: [إذ عبدتم غيره] أي وقت عبادتكم غيره. قوله: [أنه يترككم بلا عقاب] معمول للظن، والمعنى: أي سبب حملكم على ظنكم أنه تعالى يترككم بلا عقاب حين عبدتم غيره، وأشار بقوله: [لا] إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي ليس لكم سبب ولا عذر يحملكم على الظن المذكور، وإذا انتفى السبب انتفى المسبب بالأولى. قوله: [وكانوا نجامين] ذكر هذا توطئة لقوله تعالى ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾. قوله: [فخرجوا إلى عيد لهم] أي وكانوا في قرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمز. قوله: [زعموا التبرك عليه] أي أنها تنزل عليه البركة.

قوله: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ أي في علم النجوم، متفكراً في أمر يعذرونه بسببه فيتركونه قوله: [أي سأسقم] جواب عما يقال: كيف قال: ﴿إني سقيم﴾ والحال أنه لم يكن سقيماً؟ وأجيب أيضاً: بأن المعنى سقيم القلب، من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع، وقد أشار بقوله: ﴿إني سقيم﴾ إلى سقم مخصوص وهو الطاعون، وكان الطاعون أغلب الأسقام عليهم، وكانوا يخافون منه العدوى، فتفرقوا عن إبراهيم خوفاً منها، فهربوا إلى عيدهم، وتركوه في بيت الأصنام. قوله: [وهي الأصنام] أي وكانت اثنين وسبعين صنماً، بعضها من حجر، وبعضها من خشب، وبعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من نحاس، وبعضها من حديد، وبعضها من رصاص، وكان كبيرها من ذهب مكللاً بالجواهر، وكان في عينيه ياقوتتان تتقدان نوراً. قوله: [وعندها الطعام] الجملة حالية.

قوله: ﴿فقال﴾ [استهزاء بهم] إن قلت: أي فائدة في خطاب ما لا يعقل؟ أجيب: بأنه لعل عنده من يسمع كلامه من خدمتها أو غيرهم. قوله: ﴿فراغ عليهم﴾ أي مال في خفية، من قولهم: راغ الثعلب روغاناً: تردد وأخذ الشيء خفية. قوله: [بالقوة] أي القدرة. قوله: ﴿فأقبلوا إليه﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: [فبلغ قومه] الخ. قوله: ﴿يزفون﴾ بكسر الزاي مع فتح الياء أو ضمها قراءتان سبعيتان. قوله: [فقالوا نحن نعبدها] الخ، أي بعد أن سألوه وأجابهم، فلما تحققوا أنه هو الذي كسرها قالوا: [نحن نعبدها] الخ، وقد تقدم بسط ذلك في الأنبياء. قوله: [موبخاً] أي على ما وقع منهم، حيث يأتون للخشب مثلاً، فيصنعون منه صورة ويتخذونها إلهاً، مع أنها قبل ذلك لم تكن معبودة

فاعبدوه وحده ومَا مصدرية وقيل موصولة وقيل موصوفة ﴿قَالُوا﴾: بينهم ﴿ٱبْنُوا لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾: فاملؤوه حطباً وأضرموه بالنار فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ ٩٧ النار الشديدة ﴿فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا﴾: بإلقائه في النار لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ ٩٨: المقهورين فخرج من النار سالماً ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾: مهاجر إليه من دار الكفر ﴿سَيَهْدِينِ﴾ ٩٩: إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه وهو الشام فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾: ولداً ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ١٠٠ ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ ١٠١: أي ذي حلم كثير ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾: أي أن يسعى معه ويعينه قيل بلغ سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾: أي رأيت ﴿فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّى

لهم، ولا تضر ولا تنفع. قوله: [وما مصدرية] الخ، ذكر فيها ثلاثة أوجه، وبقي اثنان كونها استفهامية، والمعنى: وأي شيء تعلمونه وكونها نافية؟ والمعنى: ليس العمل في الحقيقة لكم، وإنما هو لله تعالى. قوله: ﴿بنياناً﴾ قيل بنوا له حائطاً من الحجر، طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وملأوه من الحطب، وأوقدوا عليه النار، ثم تحيروا في كيفية رميه، فعلمهم إبليس المنجنيق، فصنعوه ووضعوه فيه ورموه فيها، فصارت عليه برداً وسلاماً. قوله: [وأضرموه بالنار] أي أوقدوه بها. قوله: [النار الشديدة] أي فكل نار بعضها فوق بعض تسمى جحيماً من الجحمة، وهي شدة التأجج. قوله: [المقهورين] أي بإبطال كيدهم، حيث جعلت عليه برداً وسلاماً.

قوله: ﴿وقال إني ذاهب﴾ الخ، عطف على محذوف قدره بقوله: [فخرج] الخ، والمعنى: لما خرج من النار سالماً، ولم يهتد من قومه أحد، هاجر هو ولوط ابن أخيه، وسارة زوجته إلى أرض الشام، وهو أول من هاجر من الخلق في طاعة الله، وقوله: ﴿إلى ربي﴾ أي إلى عبادة ربي وطاعته. قوله: ﴿سيهدين﴾ أي إلى ما فيه صلاح ديني وبلوغ مطالبي. قوله: [إلى حيث أمرني ربي] أي إلى مكان أمرني الخ، وهذا متعلق بكل من ﴿ذاهب﴾ ويهدين. قوله: [فلما وصل إلى الأرض المقدسة] قدره توطئة لقوله: ﴿رب هب لي﴾ الخ. قوله: ﴿من الصالحين﴾ أي بعض الصالحين، يكون خليفة لي ويرث حالي.

قوله: ﴿فبشرناه﴾ مرتب على محذوف تقديره فاستجبنا له فبشرناه، وتلك البشارة على لسان الملائكة الذين جاؤوا له في صورة أضياف، فبشروه بالغلام، ثم انتقلوا من قريته وهي فلسطين، إلى قرية لوط وهي سذوم لإهلاك قومه، كما تقدم ذلك في سورة هود، ويأتي في الذاريات. قوله: ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ أشار المفسر إلى أن قوله: [معه] ظرف متعلق بالسعي، وفيه أنه يلزم عليه تقدم صلة المصدر المؤول من [أن] والفعل عليه وهو لا يجوز، وأجيب: بأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها، ويصح جعله متعلقاً بمحذوف على سبيل البيان، كأن قائلاً قال: مع من بلغ السعي؟ فقيل: بلغ معه، ولا يصح جعله متعلقاً ببلغ، ولا حالاً من ضميره، لأنه يوهم اقترانهما في بلوغ السعي، لأن المصاحبة تقتضي المشاركة، مع أن المقصود، وصف الصغير بذلك فقط.

قوله: ﴿قال يا بني﴾ جواب لما، والحكمة في ذلك: أن إبراهيم اتخذه الله تعالى خليلاً، والخلة هي صفاء المودة، ومن شأنها عدم مشاركة الغير مع الخليل، وكان قد سأل ربه الولد، فلما وهبه له، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، فجاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل، فأمر بذبح المحبوب، لتظهر صفاء الخلة وعدم المشاركة فيها، حيث امتثل أمر ربه، وقدم محبته على محبة ولده. قوله: [أي رأيت] أشار بذلك إلى أن الرؤيا وقعت بالفعل، لما روي: أنه رأى ليلة التروية، أن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك، فلما أصبح فكر في نفسه أنه من الله، فلما أمسى رأى مثل ذلك في الليلة الثانية، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة، فهم بنحره فقال له: ﴿يا بني﴾ الخ، ولذلك سميت الأيام الثلاثة بالتروية، وعرفة، والنحر، لأنه في اليوم الأول تروى، وفي الثاني عرف، وفي الثالث نحر.

﴿أذبحك﴾: ورؤيا الأنبياء حق وأفعالهم بأمر الله تعالى ﴿فانظر ماذا ترى﴾: من الرأي شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به ﴿قال يا أبت﴾: التاء عوض عن ياء الإضافة ﴿افعل ما تؤمر﴾: به ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ ١٠٢: على ذلك ﴿فلما أسلما﴾: خضعا وانقادا لأمر الله تعالى ﴿وتله للجبين﴾: صرعه عليه، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمنى وأمر السكين على حلقه فلم تعمل شيئاً بمانع من القدرة الإلهية ﴿وناديناه أن يا إبراهيم﴾ ١٠٤ ﴿قد صدقت الرؤيا﴾: بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح أي يكفيك ذلك فجملة ناديناه جواب لما بزيادة الواو ﴿إنا كذلك﴾: كما جزيناك ﴿نجزي المحسنين﴾ ١٠٥: لأنفسهم بامتثال الأمر بإفراج

قوله: ﴿أني أذبحك﴾ أي أفعل الذبح، أو أمرت به، احتمالان: ويشير للأول قوله: ﴿قد صدقت الرؤيا﴾، وللثاني قوله: ﴿افعل ما تؤمر﴾. قوله: ﴿ماذا ترى﴾ يصح أن تكون ﴿ماذا﴾ مركبة، وحينئذ فهي منصوبة بترى، وما بعدها في محل نصب بانظر، لأنها معلقة له، ويصح أن تكون ما استفهامية، وذا موصولة، فتكون ﴿ماذا﴾ مبتدأ وخبراً، قوله: ﴿ترى﴾ بفتحتين من الرأي، وفي قراءة سبعية ترى بالضم والكسر، والمفعولان محذوفان، أي تريني إياه من صبرك واحتمالك، وقرئ شذوذاً بضم ففتح، أي ما يخيل لك. قوله: [شاوره ليأنس] الخ، أي وليعلم صبره وعزيمته على طاعة الله.

قوله: ﴿قال يا أبت﴾ أي بفتح التاء وكسرها، قراءتان سبعيتان. قوله: [التاء عوض عن ياء الإضافة] أي فهي في محل جر، كما كانت الياء في محل جر. قوله: ﴿افعل ما تؤمر﴾ قال ابن إسحاق وغيره: لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني، خذ هذا الحبل والمدية، وانطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب، فلما خلا بابنه في الشعب، أخبره بما أمره الله به، فقال: ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾. قوله: ﴿إن شاء الله﴾ أتى بها تبركاً وإشارة إلى أنه لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله، ولا قوة على الطاعة إلا بمعونة الله.

قوله: ﴿فلما أسلما﴾ أي الوالد والولد. قوله: ﴿وتله للجبين﴾ أي صرعه ورماه على شقه فوق التل الذي هو المكان المرتفع، قال ابن عباس: لما فعل ذلك قال الابن: يا أبت أشدد رباطي كي لا أضطرب، واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء، فينقص أجري، وتراه أمي فتحزن، واستحد شفرتك، وأسرع بها على حلقي، ليكون أهون علي، وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني، وإن رأيت أن ترد قميصي عليها فافعل، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني، فقال إبراهيم: نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ففعل إبراهيم ما أمر به ابنه، ثم أقبل عليه وهو يبكي، والابن يبكي، فلما وضع السكين على حلقه لم تؤثر شيئاً، فاشتدها بالحجر مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك لا تستطيع أن تقطع شيئاً، فمنعت بقدرة الله تعالى، وقيل: ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه، والأول أبلغ في القدرة الإلهية، وهو منع الحديد عن اللحم، فعند ذلك قال الابن: يا أبت كبني لوجهي على جبيني، فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني، فأدركتك رأفة تحول بينك وبين أمر الله، وأنا أنظر إلى الشفرة فأجزع منها، ففعل ذلك إبراهيم، ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت، فنودي ﴿يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ الخ. قوله: [بمنى] يذكر ويؤنث ويصرف ويمنع من الصرف باعتبار المكان والبقعة. قوله: [وأمر السكين] هذا أحد قولين مشهورين، وهو ما تقدم عن ابن عباس، والآخر أنه لم يمر السكين، بل لما أضجعه وأراد أن يمر السكين جاءه النداء، وبالأول استدل أهل السنة، على أن الأمور العادية لا تؤثر شيئاً، لا بنفسها، ولا بقوة أودعها الله فيها، وإنما المؤثر هو الله تعالى، فتخلف القطع في ولد إبراهيم، وتخلف الإحراق في إبراهيم. قوله: [فجملة ناديناه جواب لما] الخ، هذا أحد أوجه ثلاثة، والثاني أنه محذوف تقديره ظهر

الشدة عنهم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: الذبح المأمور به ﴿لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾١٠٦: أي الاختبار الظاهر ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾: أي المأمور بذبحه وهو إسماعيل أو إسحاق قولان ﴿بِذِبْحٍ﴾: بكبش ﴿عَظِيمٍ﴾١٠٧: من الجنة هو الذي قربه هابيل جاء به جبريل عليه السلام فذبحه السيد إبراهيم مكبراً ﴿وَتَرَكْنَا﴾: أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ﴾١٠٨: ثناء حسناً ﴿سَلَٰمٌ﴾: منا ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾١٠٩ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما جزيناه ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾١١٠: لأنفسهم ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾١١١ ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾: استدل بذلك على أن الذبيح غيره ﴿نَبِيًّا﴾: حال مقدرة أي يوجد مقدراً نبوته ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾١١٢ ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾: بتكثير ذريته ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾: ولده بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾: مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: كافر ﴿مُبِينٌ﴾١١٣: بيِّن الكفر ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾١١٤: بالنبوة ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾: بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾١١٥: أي استعباد فرعون إياهم ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾: على

صبرهما، أو أجزلنا لهما الأجر، والثالث أن قوله: ﴿وتله للجبين﴾ بزيادة الواو. قوله: [بإفراج الشدة] المناسب أن يقول: بتفريج الشدة أو بفرجها، لأن الفعل فرّج بالتخفيف والتشديد، فمصدره إما التفريج أو الفرج.

قوله: ﴿وفديناه﴾ عطف على قوله: ﴿وناديناه﴾. قوله: [قولان] أي وهما مبنيان على قولين آخرين: هل إسماعيل أكبر أو إسحاق؟ فمن قال بالأول قال إن الذبيح إسماعيل، ومن قال بالثاني قال إن الذبيح إسحاق، واعلم أن كلاً من القولين قال به جماعة من الصحابة والتابعين، لكن القول بأن الذبيح إسحاق أقوى في النقل عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، حتى قال سعيد بن جبير: أري إبراهيم ذبح إسحاق في المنام، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة، حتى أتى به المنحر بمنى، فلما صرف الله عنه الذبح، أمره أن يذبح به الكبش فذبحه، وسار إلى الشام مسيرة شهر في روحة واحدة، وطويت له الأودية والجبال. وبقي قول ثالث، وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين، وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى. قوله: [كبش] ﴿عظيم﴾ وقيل: إنه كان تيساً جبلياً أهبط عليه من ثبير. قوله: [وهو الذي قربه هابيل] أي ووصفه بالعظم لكونه تقبل مرتين. قوله: [فذبحه السيد إبراهيم] أي وبقي قرناه معلقين على الكعبة، إلى أن احترق البيت في زمن ابن الزبير، وما بقي من الكبش أكلته السباع والطيور، لأن النار لا تؤثر فيما هو من الجنة. قوله: [مكبراً] روي أنه لما ذبحه قال جبريل: الله أكبر، الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلا الله والله أكبر، فقال إبراهيم: الله أكبر ولله الحمد، فصار سنة. قوله: [استدل بذلك] الخ، أي وهو مذهب الشافعي، وقال مالك وأبو حنيفة: لا دليل فيها، لأن إسحاق وقعت البشارة به مرتين، مرة بوجوده، ومرة بنبوته، فمعنى قوله: ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً﴾ بشرنا بنبوة إسحاق بعد البشارة بوجوده. قوله: ﴿من الصالحين﴾ إما صفة لنبياً، أو حال من ضميره. قوله: ﴿ومن ذريتهما﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿محسن﴾ الخ، مبتدأ مؤخر، وفيه إشارة إلى أن النسب لا مدخل له في الهدى ولا في الضلال.

قوله: ﴿ولقد مننا﴾ معطوف على ما قبله، عطف قصة على قصة، واللام موطئة لقسم محذوف تقديره: وعزتنا وجلالنا لقد أنعمنا الخ، وتحدث الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم، وقوله: [بالنبوة] أي المصاحبة للرسالة، لأنهما كانا رسولين، ولا مفهوم للنبوة، بل أعطاهما الله تعالى نعماً جمة دينية ودنيوية، وإنما خصها لأنها أشرف النعم. قوله: [بني إسرائيل] أي أولاد يعقوب. قوله: [أي استعباد فرعون إياهم] وسبب استيلائه عليهم أن أصولهم قدموا مصر مع أبيهم يعقوب ليوسف حين كان ملكاً، فاستمروا بها، فلما ظهر فرعون وتكبر، استعبد ذريتهم وجعلهم خدماً للقبط.

القبط ﴿فَكَانُوا هُمُ ٱلْغَالِبِينَ١١٦ وَآتَيْنَاهُمَا ٱلْكِتَابَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾١١٧: البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرهما وهو التوراة ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا ٱلصِّرَاطَ﴾: الطريق ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾١١٨ ﴿وَتَرَكْنَا﴾: أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ﴾١١٩: ثناء حسناً ﴿سَلَامٌ﴾: منا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: كما جزيناهما ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ١٢١ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ١٢٢ وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾: بالهمز أوله وتركه ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾١٢٣: قيل هو ابن أخي هرون أخي موسى وقيل غيره أرسل إلى قوم ببعلبك ونواحيها ﴿إِذْ﴾: منصوب باذكر مقدراً ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾١٢٤: الله ﴿أَتَدْعُونَ

قوله: ﴿ونصرناهم﴾ الضمير عائد على موسى وهارون وقومهما. قوله: ﴿فكانوا هم الغالبين﴾ يصح أن يكون ﴿هم﴾ ضمير فصل أو بدلاً من الواو في كانوا، والأول أظهر. قوله: [وغيرهما] أي كالقصص والمواعظ. قوله: ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ أي وصلناهما للدين الحق. قوله: ﴿سلام﴾ مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله: [منا] وقوله: ﴿على موسى وهارون﴾ متعلق بسلام، والمسوغ للابتداء بالنكرة قصد التعظيم، وعملها في الجار والمجرور بعدها. قوله: [كما جزيناهما] أي مما تقدم، من الإنجاء والنصر وإيتاء الكتاب وإبقاء الثناء. قوله: ﴿نجزي المحسنين﴾ في مثل هذه الآيات، ترغيب للمؤمنين، وإشعار بأن كل مؤمن قابل لكل خير وصالح له. قوله: ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ أي الكاملين في الإيمان، البالغين الغاية فيه.

قوله: ﴿وإن إلياس﴾ معطوف على ما قبله، عطف قصة على قصة. قوله: [بالهمز أوله وتركه] أي بناء على أنها همزة قطع أو وصل قراءتان سبعيتان، وسبب جواز الأمرين أنه اسم أعجمي استعملته العرب، فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل. قوله: ﴿لمن المرسلين﴾ خبر ﴿إن﴾. قوله: [قيل هو ابن أخي هارون] الخ الصحيح أنه من ذرية هارون لقول محمد بن إسحاق هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن معيزار بن هارون بن عمران وإلياس ابن عم اليسع. قوله: [وقيل غيره] من جملة ذلك، أنه هو إدريس، وقيل هو اليسع. قوله: [أرسل إلى قوم ببعلبك] حاصل قصته كما قال محمد بن إسحاق وعلماء السير والأخبار: لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي ﷺ، عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وظهر فيهم الفساد والشرك، ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل، فبعث الله إليهم إلياس نبياً، وكانت الأنبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني إسرائيل، بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة، وكان يوشع لما فتح الشام، قسمها على بني إسرائيل، وإن سبطاً منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها، وهم الذين بعث إليهم إلياس، وعليهم يومئذ ملك اسمه أرحب، وكان قد أضل قومه، وجبرهم على عبادة الأصنام، وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعاً، وله أربعة وجوه، وكان اسمه بعلاً، وكانوا قد فتنوا به وعظموه، وجعلوا له أربعمائة سادن، وجعلوهم أبناءه، وكان الشيطان يدخل في جوف بعل، ويتكلم بشريعة الضلال، والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس، وهم أهل بعلبك، وكان إلياس يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل، وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به، إلا ما كان من أمر الملك، فإنه آمن به وصدقه، فكان إلياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده؛ ثم إن الملك ارتد واشتد غضبه على إلياس وقال: يا إلياس ما أرى ما تدعونا إليه إلا باطلاً، وهم بتعذيب إلياس وقتله، فلما أحس إلياس بالشر رفضه وخرج عنه هارباً، ورجع الملك إلى عبادة بعل، ولحق إلياس بشواهق الجبال، فكان يأوي إلى الشعاب والكهوف، فبقي سبع سنين على ذلك خائفاً مستخفياً، يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر، وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون، والله يستره منهم، فلما طال الأمر على إلياس، وسئم الكمون في الجبال، وطال عصيان قومه، وضاق بذلك ذرعاً دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم، فقيل: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج إلى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه، فخرج إلياس ومعه اليسع، حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به، إذا أقبل فرس من نار، وقيل لونه كالنار، حتى وقف بين يدي إلياس،

﴿بَعْلاً﴾: اسم صنم لهم من ذهب وبه سمي البلد أيضاً مضافاً إلى بك أي أتعبدونه ﴿وتذرون﴾: تتركون ﴿أحسن الخالقين﴾ ١٢٥: فلا تعبدونه ﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ ١٢٦: برفع الثلاثة على إضمار هو وبنصبها على البدل من أحسن ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ ١٢٧: في النار ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ ١٢٨: أي المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ ١٢٩: ثناء حسناً ﴿سلام﴾: منا ﴿على إل ياسين﴾ ١٣٠: قيل هو إلياس المتقدم ذكره وقيل: هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليباً كقولهم للمهلب وقومه المهلبون وعلى قراءة: آل ياسين بالمد أي أهله المراد به إلياس أيضاً ﴿إنا كذلك﴾: كما جزيناه ﴿نجزي المحسنين﴾ ١٣١ ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ ١٣٢

فوثب عليه، فانطلق به الفرس، فناداه اليسع: يا إلياس ما تأمرني؟ فقذف إليه إلياس بكسائه من الجو الأعلى، فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل، وكان ذلك آخر العهد به، ورفع الله إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وكساه الريش، فصار إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً، ونبأ الله تعالى اليسع، وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل، وأوحى الله إليه وأيده، فآمنت به بنو إسرائيل، وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم، إلى أن فارقهم اليسع، وقد أعطى الله إلياس معجزات جمة منها: تسخير الجبال له، والأسود وغيرهما، وأعطاه الله قوة سبعين نبياً، وكان على صفة موسى في الغضب والقوة. روي أن إلياس والخضر يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس، ويحضران موسم الحج كل عام، ويفترقان عن أربع كلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، وقيل في الرواية غير ذلك، وإلياس موكل بالفيافي والقفار، والخضر موكل بالبحار، ولا يموتان إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن. وعن أنس قال: غزونا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا عند فج الناقة، فسمعت صوتاً يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة، المغفور لها، المستجاب لها، فقال النبي ﷺ: يا أنس انظر ما هذا الصوت؟ فدخلت الجبل، فإذا رجل عليه ثياب بيض، أبيض الرأس واللحية، طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع، فلما رآني قال: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقلت: نعم، قال: فارجع إليه فأقرئه السلام وقل له: هذا أخوك إلياس يريد أن يلقاك، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فجاء يمشي وأنا معه، حتى إذا كنا قريباً منه، تقدم النبي وتأخرت أنا، فتحدثا طويلاً، فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة، ودعواني فأكلت معهما، وإذا فيها كمأة ورمان وحوت وكرنسف، فلما أكلت قمت فتنحيت، فجاءت سحابة فحملته، وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوي قبل السماء، انتهى.

قوله: ﴿ألا تتقون الله﴾ أي تمتثلون أوامره وتجتنبون نواهيه. قوله: [وبه سمي البلد] أي ثانياً، وأما أولاً فاسمها بك فقط، فلما عبد بعل سميت بعلبك. قوله: [مضافاً إلى بك] أي مضموماً إليه، فالتركيب مزجي لا إضافي. قوله: ﴿وتذرون﴾ عطف على ﴿تدعون﴾ فهو داخل في حيز الإنكار. قوله: ﴿أحسن الخالقين﴾ أي المصورين، لأنه سبحانه وتعالى يصور الصورة ويلبسها الروح، وغيره يصور من غير روح. قوله: [برفع الثلاثة] الخ أي فالقراءتان سبعيتان. قوله: [فإنهم نجوا منها] أشار بذلك إلى أن الاستثناء من الواو في ﴿لمحضرون﴾ كأنه قال: فكذبوه فإنهم لمحضرون، إلا الذين تابوا من تكذيبهم وأخلصوا، فإنهم غير محضرين. قوله: [قيل هو إلياس المتقدم] أي وعليه فهو مفرد مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة، وهي لغة ثانية فيه. قوله: [وقيل هو] الخ، أي وعليه، فهو مجرور بالياء لكونه جمعاً مذكراً سالماً. قوله: [المراد به إلياس أيضاً] أي فأطلق الأول وأراد به ما يشمله وقومه المؤمنين به، فتحصل أن في الآية ثلاث عبارات: إلياس في أولها، وإلياسين وآل ياسين في آخرها، وكلها سبعية.

﴿وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٣٣ : اذكر ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ١٣٤ إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾ ١٣٥ : أي الباقين في
العذاب ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ : أهلكنا ﴿الْآخَرِينَ﴾ ١٣٦ : كفار قومه ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ﴾ : على آثارهم ومنازلهم في
أسفاركم ﴿مُصْبِحِينَ﴾ ١٣٧ : أي وقت الصباح يعني بالنهار ﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ١٣٨ : يا أهل مكة ما حل بهم
فتعتبرون به ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ١٣٩ إِذْ أَبَقَ﴾ : هرب ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ ١٤٠ : السفينة المملوءة حين
غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به فركب السفينة فوقفت في لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد
أبق من سيده تظهره القرعة ﴿فَسَاهَمَ﴾ : قارع أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ ١٤١ : المغلوبين بالقرعة فألقوه
في البحر ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ : ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ١٤٢ : أي آتٍ بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة
بلا إذن من ربه ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ ١٤٣ : الذاكرين بقوله كثيراً في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك

قوله: ﴿وإن لوطاً لمن المرسلين﴾ عطف على ما قبله أيضاً، عطف قصة على قصة. قوله: [اذكر] ﴿إذ نجيناه﴾ الخ، قدر المفسر [اذكر] إشارة إلى أن الظرف متعلق بمحذوف، ولم يجعله متعلقاً بقوله: ﴿المرسلين﴾ لأنه يوهم أنه قبل النجاة لم يكن رسولاً، مع أنه رسول قبل النجاة وبعدها. قوله: ﴿وأهله﴾ المراد بهم بنتاه. قوله: ﴿إلا عجوزاً﴾ هي امرأته. قوله: [أي وقت الصباح] بيان لمعناه في الأصل، وقوله: [يعني بالنهار] بيان للمراد منه، وقوله: ﴿بالليل﴾ عطف على ﴿مصبحين﴾ وهو حال أخرى. قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أتشاهدون ذلك فلا تعقلون؟

قوله: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ هو ابن متى، وهو ابن العجوز التي نزل عليها إلياس، فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر، ويونس صبي يرضع، وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه، ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها، ثم إن إلياس أذن له في السياحة فلحق بالجبال، ومات يونس ابن المرأة، فخرجت في أثر إلياس تطوف وراءه في الجبال حتى وجدته، فسألته أن يدعو الله لها، لعله يحيي لها ولدها، فجاء إلياس إلى الصبي بعد أربعة عشر يوماً مضت من موته، فتوضأ وصلى ودعا الله، فأحيا الله تعالى يونس بن متى بدعوة إلياس عليه السلام، وأرسل الله يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل، وكانوا يعبدون الأصنام.

قوله: ﴿إذ أبق﴾ ظرف لمحذوف تقديره اذكر، كما تقدم نظيره، وقوله: أبق بابه فتح، والإباق في الأصل: الهروب من السيد، وإطلاقه على هروب يونس، استعارة تصريحية، فشبه خروجه بغير إذن ربه، بإباق العبد من سيده. قوله: [حين غاضب قومه] المفاعلة على بابها، لأنهم غاضبوه بعدم الانقياد له والإيمان به، وهو غضب عليهم. قوله: [فركب السفينة] أي باجتهاد منه لظنه أنه إن بقي بينهم قتلوه، لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب، فركوب السفينة ليس معصية لربه، لا صغيرة ولا كبيرة، ومؤاخذته بحبسه في بطن الحوت على مخالفته الأولى، فإن الأولى له انتظار الإذن من الله تعالى، هذا هو الصواب في تحقيق المقام، وهنالك أقوال أخر، اعتقادها يضر في العقيدة، والعياذ بالله تعالى. قوله: [فوقفت] أي من غير سبب، وقوله: [في لجة البحر] المراد به الدجلة. قوله: [فقال الملاحون] الخ، أي وكان من عادتهم أن السفينة إذا كان فيها آبق أو مذنب لم تسر. قوله: [قارع أهل السفينة] أي غالبهم، قيل مرة واحدة، وقيل ثلاثاً. قوله: [فألقوه في البحر] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فالتقمه الحوت﴾ مترتب على محذوف. قوله: [أي آت بما يلام عليه] أي أو المعنى وهو مليم نفسه. قوله: [بقوله كثيراً] استفيدت الكثرة من جعله من المسبحين. قوله: [قبراً له] أي بأن يموت فيبقى في بطنه ميتاً، وقيل بأن يبقى على حياته.

أني كنت من الظالمين ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ١١٤: لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾: أي ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: بوجه الأرض أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوماً ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ١٤٥: عليل كالفرخ الممعط ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ ١٤٦: وهي القرع تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له وكانت تأتيه وعلة صباحاً ومساء يشرب من لبنها حتى قوي ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾: بعد ذلك كقبله إلى قوم بنينوى من أرض الموصل ﴿إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾: بل ﴿يَزِيدُونَ﴾ ١٤٧: عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفاً ﴿فَآمَنُوا﴾: عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾: أي أبقيناهم ممتعين بمالهم ﴿إِلَى حِينٍ﴾ ١٤٨: تنقضي آجالهم فيه ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: استخبر كفار مكة توبيخاً لهم ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾: بزعمهم أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ ١٤٩: فيختصون بالأسنى ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ ١٥٠: خلقنا

قوله: ﴿فنبذناه﴾ أي أمرنا الحوت بنبذه فنبذه. قوله: ﴿بالعراء﴾ أي الأرض المتسعة التي لا نبات بها. قوله: [من يومه] أي فالتقمه ضحى ونبذه عشية، وما ذكره المفسر خمسة أقوال: الأول للشعبي، والثاني لمقاتل، والثالث لعطاء، والرابع للضحاك، والخامس للسدي. قوله: [الممعط] بضم الميم الأولى، وتشديد الثانية مفتوحة، بعدها عين مهملة، بعدها طاء مهملة أيضاً أي المنتوف الشعر. قوله: [وهي القرع] خص بذلك، لأنه بارد الظل، لين الملمس، كبير الورق، لا يعلوه الذباب، وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير اليقطين، وقيل: كانت شجرة التين، وقيل: شجرة الموز، تغطي بورقه، واستظل بأغصانه، وأفطر على ثماره. قوله: [وعلة] إما بفتح الواو والعين، أو بكسر الواو وسكون العين، هي الغزالة. قوله: [كقبله] جواب عما توهم أنه قبل خروجه لم يكن مرسلاً. قوله: [بنينوى] بكسر النون الأولى، وياء ساكنة، ونون مضمومة، وألف مقصورة بعد الواو.

قوله: ﴿أو يزيدون﴾ جعل المفسر ﴿أو﴾ للإضراب بمعنى بل، ويصح أن تكون للشك بالنسبة للمخاطبين، أي أن الرائي يشك عند رؤيتهم، أو للإبهام بمعنى أن الله أبهم أمرهم، أو الإباحة، أو التخيير بمعنى أن الناظر يباح له، أو يخير بين أن يحذرهم بكذا أو كذا. قوله: [عند معاينة العذاب] أي عند حضور إمارته، ولذا نفعهم إيمانهم، وأما مثل فرعون، فلم يؤمن إلا بعد حصول العذاب بالفعل، وأيضاً قوم يونس أخلصوا في إيمانهم، وفرعون لم يخلص، وإنما إيمانه عند الغرغرة لدفع الشدق، ولو ردوا لعادوا. قوله: [بما لهم] بفتح اللام، أي بالذي ثبت لهم من النعم، وتقدم بسط قصة يونس في سورة يونس، فراجعها إن شئت.

قوله: ﴿فاستفتهم﴾ الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: إذا علمت ما تقدم للأمم من شركهم ومخالفتهم لأنبيائهم فاستفتهم، أي اطلب من أهل مكة الخبر، لأجل توبيخهم وإقامة الحجة عليهم. قوله: [توبيخاً لهم] أي فليس الاستفتاء على سبيل الاستعلام والإفادة، بل هو على سبيل التقريع والتوبيخ لهم. قوله: ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾ أي ألهذه القسمة الجائرة وجه؟ فإنهم كفروا من وجهين: الأول: نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو. الثاني: كونه خصوص الأنثى فإنهم لا يرضون بنسبتها لأنفسهم، بل إما أن يمسكوها على الهوان، أو يدفنوها حية، فكيف يرضونها لله عز وجل، ويختصون بالبنين؟ قوله: [فيختصون بالأسنى] أي الأشرف وهو الذكور، وفي نسخة بالأبناء.

قوله: ﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً﴾ ﴿أم﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، فهو إضراب عما زعموا، ورد عليهم، وهذا بمعنى قوله تعالى ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم﴾ الآية. قوله: ﴿وهم شاهدون﴾

فيقولون ذلك؟ ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾: كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ﴾ ١٥١ ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾: بقولهم الملائكة بنات الله ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ١٥٢ فيه ﴿أَصْطَفَى﴾: بفتح الهمزة للإستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل فحذفت أي اختار ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ ١٥٣ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ١٥٤: هذا الحكم الفاسد ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ١٥٥: بإدغام التاء في الذال أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ ١٥٦: حجة واضحة أن لله ولداً ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾: التوراة فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٥٧: في قولكم ذلك ﴿وَجَعَلُوا﴾: أي المشركون ﴿بَيْنَهُ﴾: تعالى ﴿وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾: أي الملائكة لاجتنانهم عن الأبصار ﴿نَسَباً﴾: بقولهم إنها بنات الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾: أي قائلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ ١٥٨: للنار يعذبون فيها ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾: تنزيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ١٥٩: بأن لله ولداً ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ١٦٠: أي المؤمنين استثناء منقطع أي فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ١٦١: من الأصنام ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: أي على معبودكم وعليه متعلق بقوله ﴿بِفَاتِنِينَ﴾ ١٦٢: أي أحداً ﴿إِلَّا

الجملة حالية، أي والحال أنهم معاينون لخلقهم. قوله: ﴿ألا إنهم من إفكهم﴾ استئناف لبيان إبطال ما هم عليه، كأنه قيل: ليس لهم مستند، إلا الكذب الصريح والافتراء القبيح. قوله: ﴿وإنهم لكاذبون فيه﴾ أي في قولهم: الملائكة بنات الله. قوله: [واستغنى بها] أي بهمزة الاستفهام في التوصل للنطق بالساكن، والاستفهام للتوبيخ والتقريع. قوله: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ أي أي شيء ثبت واستقر لكم، من حكمكم بهذا الحكم الجائر، حيث تثبتون أخس الجنسين في زعمكم لله سبحانه وتعالى؟ قوله: [بإدغام التاء في الذال] أي أو بتاء واحدة من غير إدغام، قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ انتقال من توبيخهم إلى إلزامهم الحجة بما لا وجود له، ولا يقدرون على إثباته. قوله: [التوراة] الصواب إسقاطه لأن الخطاب مع المشركين، والتوراة ليست لهم. قوله: ﴿وجعلوا بينه﴾ التفات من الخطاب للغيبة إشارة إلى أنهم بعيدون من رحمة الله، وليسوا أهلاً لخطابه. قوله: [لاجتنانهم عن الأبصار] أي استتارهم عنها.

قوله: ﴿ولقد علمت الجنة﴾ هذا زيادة في تبكيتهم وتكذيبهم كأنه قيل: هؤلاء الملائكة الذين عظمتموهم وجعلتموهم بنات الله أعلم بحالكم، وما يؤول إليه أمركم ويحكمون بتعذيبكم، على سبيل التأبيد. قوله: ﴿سبحان﴾ الخ، هذا من كلام الملائكة، تنزيه لله تعالى عما وصفه به المشركون بعد تكذيبهم لهم، فكأنه قيل: ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون بقولهم ذلك، وقالوا سبحان الله عما يصفونه به، ولكن عباد الله المخلصين الذين نحن من جملتهم، برآء من هذا الوصف، وقوله: ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين، ببيان عجزهم عن إغوائهم. قوله: [استثناء منقطع] أي من الواو في ﴿يصفون﴾ وهو في قوة الاستدراك، دفع به ما يتوهم ثبوته أو نفيه، كأنه قال: تنزه الله عن وصف الكفار له تعالى، وأما وصف المؤمنين المخلصين له فلا يتنزه عنه لأنهم لا يصفونه تعالى إلا بالكمالات. قوله: [أي على معبودكم] أشار بذلك إلى أن الضمير في [عليه] عائد على ﴿ما﴾ وعلى هذا، فالواو للمعية، و﴿ما﴾ مفعول معه سادة مسد خبر إن. قوله: ﴿بفاتنين﴾ مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله: [أحداً]

---

* أسباب نزول الآية ١٥٨: وأخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية في ثلاثة أحياء من قريش: سليم، وخزاعة، وجهينة ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ الآية. وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد قال: قال كبار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا: بنات سراة الجن، فأنزل الله ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ الآية.

مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ١٦٣: في علم الله تعالى قال جبريل للنبي ﷺ: ﴿وَمَا مِنَّآ﴾: معشر الملائكة أحد ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ١٦٤: في السماوات يعبد الله فيه لا يتجاوزه ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ ١٦٥: أقدامنا في الصلاة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ ١٦٦: المنزهون الله عما لا يليق به ﴿وَإِن﴾: مخففة من الثقيلة ﴿كَانُواْ﴾: أي كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾ ١٦٧ ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾: كتاباً ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ١٦٨: أي من كتب الأمم الماضية ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ١٦٩: العبادة له قال تعالى: ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾: أي الكتاب الذي جاءهم وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ١٧٠: عاقبة كفرهم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾: بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ١٧١: وهي لأغلبن أنا ورسلي أو هي قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ ١٧٢ ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾: أي المؤمنين ﴿لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ﴾ ١٧٣: الكفار بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي أعرض

والمعنى: إنكم مع معبودكم لستم بمفسدين أحداً، إلا من سبقت له الشقاوة في علم الله. قوله: [إلا من هو صال الجحيم] استثناء من المفعول الذي قدره المفسر، و[صال] مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، فهو معتل كقاض. قوله: [في علم الله تعالى] أي من علم الله أنه من أهل الجحيم، فإنه يميل إلى الكفر وأهله.

قوله: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ هذا حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية رداً على عبدتهم والمعنى: ليس منا أحد، إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة، وامتثال ما يأمرنا الله تعالى به. قال ابن عباس: ما في السماوات موضع شبر، إلا وعليه ملك يصلي ويسبح، قيل: إن هذه الثلاث آيات نزلت ورسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى، فتأخر جبريل، فقال النبي ﷺ: أهنا تفارقني؟ فقال جبريل: ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني هذا، وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ الآيات، وفي الحديث: «ما في السماوات موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم». قوله: [أحد] قدره إشارة إلى أن في الآية حذف الموصوف وإبقاء صفته وهو مبتدأ، والخبر جملة قوله: ﴿إلا له مقام معلوم﴾ والتقدير: ما أحد منا إلا له مقام معلوم. قوله: [أقدامنا في الصلاة] أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف.

قوله: [مخففة من الثقيلة] أي واللام فارقة، والمعنى: أن قريشاً كانت تقول قبل بعثة النبي ﷺ: لو أن لنا كتاباً مثل كتاب الأولين، لأخلصنا العبادة لله تعالى، وهذا نظير قوله تعالى ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾. قوله: ﴿فكفروا به﴾ الفاء للفصيحة مرتب على ما قبله. قوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ أي في الدنيا والآخرة، والتعبير بسوف تهديد لهم، كقولك لمن تريد ضربه مثلاً: سوف ترى ما توعد به وأنت شارع فيه، ﴿فسوف﴾ للوعيد لا للتعبير.

قوله: ﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾ الخ هذا تسلية له ﷺ، وإنما صدرت هذه الجملة بالقسم، لتأكيد الإعتناء بتحقيق مضمونها. قوله: ﴿كلمتنا﴾ [بالنصر] إنما سمي الوعد بالنصر كلمة، مع أنه كلمات لكون معنى الكل واحداً. قوله: [وهي لأغلبن أنا ورسلي] أي فيكون قوله: ﴿إنهم لهم المنصورون﴾ جملة مستأنفة، وقوله: [أو هي قوله] ﴿إنهم﴾ الخ أي وعليه فيكون بدلاً من ﴿كلمتنا﴾ أو تفسيراً لها. قوله: ﴿وإن جندنا﴾ الجند في الأصل الأنصار والأعوان، والمراد منه أنصار دين الله، وهم المؤمنون، كما قال المفسر. قوله: [وإن لم ينتصر بعض منهم] الخ، دفع بهذا ما يقال: قد شوهدت غلبة الكفار على المؤمنين في بعض الأزمان، فأجاب: بأن النصر إما في الآخرة للجميع، أو في

---

* أسباب نزول الآية ١٦٥: وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي مالك قال: كان الناس يصلون متبددين، فأنزل الله ﴿وانا لنحن الصافون﴾ الآية، فأمرهم أن يصفوا، وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: حدثت، فذكر نحوه.

عن كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ١٧٤: تؤمر فيه بقتالهم ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾: إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ١٧٥: عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء متى نزول هذا العذاب؟ قال تعالى تهديداً لهم: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ١٧٦ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾: بفنائهم قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ﴿فَسَاءَ﴾: بئس صباحاً ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ ١٧٧: فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ١٧٨ ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ١٧٩: كرر تأكيداً لتهديدهم وتسلية له ﷺ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ١٨٠: بأن له ولداً ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٨١: المبلغين عن الله التوحيد والشرائع ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٨٢: على نصرهم وهلاك الكافرين.

الدنيا للبعض، فالمؤمنون منصورون على كل حال. أجيب أيضاً: بأن الأنبياء المأذون لهم في القتال، لا بد لهم من النصر في الدنيا، ولا تقع لهم هزيمة أبداً، وإنما إن وقع للكفار بعض غلبة، كما في أحد، فهو لحكم عظيمة، ولا تبيت على المؤمنين، بل ينصرون عليهم بصريح قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ الآية، وأما غيرهم فتارة ينصرون في الدنيا، وتارة لا، وإنما ينصرون في الآخرة. قوله: [تؤمر فيه بقتالهم] أي فكان أولاً مأموراً بالتبليغ والصبر، ثم لما كان في السنة الثانية من الهجرة، أمر ﷺ بالجهاد، وغزواته سبع وعشرون غزوة، قاتل في ثمان منها بنفسه: بدر وأحد والمصطلق والخندق وقريظة وخيبر وحنين والطائف.

قوله: ﴿وأبصرهم﴾ [إذا نزل بهم العذاب] أي من القتل والأسر، والمراد بالأمر الدلالة على أن ذلك قريب كأنه واقع مشاهدة. قوله: [عاقبة كفرهم] أي من نزول العذاب بساحتهم. قوله: [تهديداً لهم] أي فليس الاستفهام على حقيقته، بل المقصود تهديدهم. قوله: [تكتفي بذكر الساحة] أي تستغني على سبيل الكفاية، فالمعنى: فإذا نزل بهم العذاب، فشبه العذاب بجيش هجم عليهم، فأناخ بفنائهم بغتة وهم في ديارهم، ففي ضمير العذاب استعارة بالكناية، والنزول تخييل. قوله: [بئس صباحاً] أشار بهذا إلى أن الفاعل ضمير، والتمييز محذوف، والمذكور مخصوص، والأوضح ما قاله غيره، من أن المذكور هو الفاعل، والمخصوص محذوف، وعليه فالتقدير: بئس صباح المنذرين صباحهم. قوله: [فيه إقامة الظاهر مقام المضمر] أي في التعبير بالمنذرين، وكان مقتضى الظاهر أن يقال صباحهم.

قوله: ﴿سبحان ربك﴾ الخ، الغرض منه تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يغفلوا عنه، لما روي عن علي كرم الله وجهه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ الخ، وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾.

قوله: ﴿رب العزة﴾ أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها، كأنه قيل: ذي العزة، وقيل: المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه، ويترتب على كل من القولين مسألة اليمين، فعلى الأولى ينعقد بها اليمين، لأنها من صفات الله تعالى، وعلى الثاني لا ينعقد، لأنها من صفات المخلوق. قوله: ﴿وسلام على المرسلين﴾ تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم.

* * *

---

* أسباب نزول الآية ١٧٦: وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: قالوا: يا محمد، أرنا العذاب الذي تخوفنا به، عجله لنا، فنزلت ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ الآية، صحيح على شرط الشيخين.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٣٨] ـ سورة ص

[مكية وهي ست أو ثمان وثمانون آية]

﴿ص﴾: الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[١]: أي البيان أو الشرف وجواب هذا القسم محذوف أي ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أهل مكة ﴿فِي عِزَّةٍ﴾: حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾[٢]: خلاف وعداوة للنبي ﷺ ﴿كَم﴾: أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾: أي أمة من الأمم الماضية

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة ص مكية

وهي ست أو ثمان وثمانون آية

أي ويقال لها سورة داود. قوله: [مكية] أي كلها. قوله: [أو ثمان] أو لحكاية الخلاف. قوله: [الله أعلم به] تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم، لأن تفويض الأمر المتشابه لعلم الله تعالى هو غاية الأدب، واعلم أن في لفظ ص قراءات خمسة السبعة على السكون لا غير، والباقي شاذ، وهو الضم والفتح من غير تنوين، والكسر بتنوين وبدونه، فالضم على أنه خبر لمحذوف، على أنه اسم للسورة، أي هذه ص، ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث، والفتح إما على أنه مفعول لمحذوف تقديره اقرأ ونحوه، أو مبني على الفتح كأين وكيف، والأول أقرب، والكسر بغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين، وبالتنوين مجرور بحرف قسم محذوف، وصرف بالنظر إلى اللفظ. قوله: [أي البيان] أي لما يحتاج إليه في أمر الدين، وقوله: [أو الشرف] أي أن من آمن به كان شريفاً في الدنيا، والآخرة؛ قال تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ أي شرفكم، وأيضاً القرآن شريف في ذاته، من حيث اشتماله على المواعظ والأحكام وغيرهما، فهو شريف في نفسه مشرف لغيره، وقيل: المراد بالذكر ذكر أسماء الله تعالى وتمجيده، وقيل: المراد به الموعظة، وقيل: غير ذلك. قوله: [وجواب هذا القسم محذوف] الخ، هذا أحد الأقوال وهو أحسنها، وقيل تقديره ﴿إنك لمن المرسلين﴾ كما في يس، وقيل: هو قوله: ﴿كم أهلكنا﴾ وفيه حذف اللام، والأصل لكم أهلكنا، وإنما حذفت لطول الكلام، نظير حذفها في قوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ بعد قوله: ﴿والشمس﴾، وقيل: غير ذلك.

قوله: ﴿بل الذين كفروا﴾ اضراب وانتقال من قصة إلى قصة. قوله: [من أهل مكة] خصهم بالذكر لأنهم سبب النزول، وإلا فالمراد كل كافر. قوله: [أي كثيراً] أشار بذلك إلى أن ﴿كم﴾ خبرية بمعنى كثيراً مفعول ﴿أهلكنا﴾

﴿فَنَادَوْا﴾: حين نزول العذاب بهم ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[٣]: أي ليس الحين حين فرار والتاء زائدة والجملة حال من فاعل نادوا أي استغاثوا والحال أنه لا مهرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾: فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ[٤] أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾: حيث قال لهم: قولوا لا إله إلا الله أي كيف يسع الخلق كلهم إله واحد ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٥]: أي عجيب ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾: من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ قولوا: لا إله إلا الله ﴿أَنِ امْشُوا﴾: أي يقول بعضهم لبعض امشوا ﴿وَاصْبِرُوا

و﴿من قرن﴾ تمييز لها. قوله: ﴿ولات حين﴾ اختلفت المصاحف في رسم التاء، فبعضهم رسمها مفصولة، وبعضهم رسمها متصلة بحين، وينبني على هذا الاختلاف الوقف، فبعضهم يقف على التاء، وبعضهم على لا، ومن يقف على التاء، فجمهور السبعة يقفون على التاء المجرورة، إتباعاً لمرسوم الخط الشريف، والأقل منهم يقف بالهاء، وهذا الوقف للاختيار، لا أنه من جملة الأوقاف الجائزة. قوله: ﴿مناص﴾ المناص يطلق على المنجى والمفر والتقدم والتأخر، وكل هنا يناسب المقام. قوله: [أي ليس الحين] الخ، أشار بذلك إلى مذهب الخليل وسيبويه في لات، من حيث إنها تعمل عمل ليس، وإن اسمها محذوف، وهو وخبرها لفظ الحين، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله:

وما للات في سوى حين عمل   وحذف ذي الرفع فشا والعكس قل

قوله: [والتاء زائدة] أي لتأكيد النفي. قوله: [من فاعل نادوا] أي وهو الواو. قوله: [وما اعتبر] معطوف على ﴿كم أهلكنا﴾. قوله: ﴿وعجبوا﴾ الخ أي جعلوا مجيء رسول من جنسهم أمراً خارجاً عن طوق العقل فيتعجب منه. قوله: [من أنفسهم] أي من جنسهم. قوله: [فيه وضع الظاهر] الخ أي زيادة في التقبيح عليهم، وإشعاراً بأن كفرهم جسرهم على هذا القول. قوله: ﴿ساحر﴾ أي فيما يظهره من الخوارق. قوله: ﴿كذاب﴾، أي فيما يسنده إلى الله من الإرسال والإنزال.

قوله: ﴿أجعل الآلهة﴾ الخ، الاستفهام تعجبي، أي كيف يعلم الجميع، ويقدر على التصرف فيهم إله واحد؟ وسبب هذا التعجب، قياسهم للقديم على الحادث، ولم يعلموا أنه واحد لا من قلة، بل وحدته تعزز وانفراد، تنزه الله عن مماثلة الحوادث له. قوله: [عجيب] أشار بذلك إلى أن ﴿عجاب﴾ مبالغة في [عجيب]. قوله: [عند أبي طالب] روي أنه لما أسلم عمر، شق ذلك على قريش، فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم، فأتوا أبا طالب فقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فأحضره وقال له: يا ابن أخي، هؤلاء قومك يسألونك السواء والإنصاف، فلا تمل كل الميل على قومك، فقال النبي ﷺ: ماذا تسألونني؟ فقالوا: ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا، وندعك وإلهك، فقال: أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم، أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها رقاب العرب، وتدين لكم العجم، فقالوا: نعم وعشر أمثالها، فقال: قولوا لا إله إلا الله، فقاموا وانطلقوا قائلين: امشوا واصبروا على آلهتكم. قوله: [أي يقول بعضهم] الخ، أشار بذلك إلى أن ﴿أن﴾ تفسيرية، وضابطها موجود، وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه.

---

* أسباب نزول الآية ٥: أخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاءه النبي ﷺ فشكوه الى أبي طالب فقال: يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟ قال: أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب، وتؤدي اليهم العجم الجزية، كلمة واحدة، قال: ما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فقالوا: الهاً واحداً أن هذا لشيء عجاب، فنزل فيهم ﴿ص والقرآن﴾ الى قوله ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ الآية.

﴿عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾: اثبتوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: المذكور من التوحيد ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[٦]: منا ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾: أي ملة عيسى ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[٧]: كذب ﴿أَأُنزِلَ﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿عَلَيْهِ﴾: على محمد ﴿الذِّكْرُ﴾: القرآن ﴿مِن بَيْنِنَا﴾: وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؟ أي لم ينزل عليه قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾: وحيي أي القرآن حيث كذبوا الجائي به ﴿بَل لَّمَّا﴾: لم ﴿يَذُوقُوا عَذَابِ﴾[٨]: ولو ذاقوه لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾: الغالب ﴿الْوَهَّابِ﴾[٩]: من النبوة وغيرها فيعطونها من شاؤوا ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: إن زعموا ذلك ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾[١٠]: الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاؤوا وأم في الموضعين بمعنى همزة الإنكار ﴿جُندٌ مَّا﴾: أي هم جند حقير ﴿هُنَالِكَ﴾: أي في تكذيبهم لك ﴿مَهْزُومٌ﴾: صفة جند ﴿مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾[١١]: صفة جند أيضاً أي كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك وأولئك قد قهروا وأهلكوا فكذا نهلك هؤلاء ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾: تأنيث قوم باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾[١٢]: كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه ﴿وَثَمُودُ

قوله: ﴿واصبروا على آلهتكم﴾ أي استمروا على عبادتها. قوله: ﴿إن هذا﴾ تعليل للأمر بالصبر. قوله: ﴿يراد﴾ [منا] أي يقصد منا تنفيذه فلا إنفكاك لنا عنه. قوله: ﴿ما سمعنا بهذا﴾ الخ، أي وإنما سمعنا فيها التثليث. قوله: [بتحقيق الهمزتين] أي فالقراءات أربع سبعيات. قوله: [أي لم ينزل عليه] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿بل هم في شك﴾ اضراب عن مقدر تقديره إنكارهم للذكر ليس عن علم، بل هم في شك منه. قوله: ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ اضراب انتقالي لبيان سبب الشك، والمعنى حسبة أنهم لم يذوقوا العذاب إلى الآن، ولو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به. قوله: ﴿يذوقوا﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿لما﴾ بمعنى لم، فالمعنى لم يذوقوه إلى الآن، وذوقهم له متوقع، فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا، وتصديقهم حينئذ لا ينفعهم. قوله: [حينئذ] أي حين ذاقوه.

قوله: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ المعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده فلا مانع له. قوله: [الغالب] أي الذي لا يغلبه شيء، بل هو الغالب لكل شيء. قوله: ﴿الوهاب﴾ أي الذي يهب من يشاء لمن يشاء. قوله: ﴿أم لهم ملك السماوات والأرض﴾ المعنى: ليس لهم تصرف في العالم الذي هو من جملة خزائن رحمته، فمن أين لهم التصرف فيها. قوله: ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ الفاء واقعة في جواب شرط مقدر قدره بقوله: [إن زعموا ذلك] أي المذكور من العندية والملكية، والمعنى: فليصعدوا في المعاريج التي يتوصل بها إلى العرش، حتى يستووا عليه، ويدبروا أمر العالم، وينزلوا الوحي على من يختارون. قوله: [بمعنى همزة الإنكار] أي وبعضهم قدرها ببل والهمزة. قوله: [أي وهم جند] أشار بذلك إلى أن ﴿جند﴾ خبر لمحذوف، والتنوين للتقليل والتحقير، و﴿ما﴾ لتأكيد القلة. قوله: ﴿هنالك﴾ ظرف لجند أو لمهزوم. قوله: ﴿مهزوم﴾ أي مقهور ومغلوب، والمعنى: إن قريشاً جند حقير قليل من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عن قريب، فلا تكترث بهم، وتسل عنهم. قوله: [صفة جند أيضاً] أي فقد وصف ﴿جند﴾ بصفات ثلاث: الأولى ﴿ما﴾ والثانية ﴿مهزوم﴾ والثالثة ﴿من الأحزاب﴾. قوله: [وأولئك] أي الأحزاب.

قوله: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ الخ، استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان تفاصيل الأحزاب. قوله: [باعتبار المعنى] أي وهو أنهم أمة. قوله: [كان يتد] من باب وعد، أي يدق ويغرز، و﴿الأوتاد﴾ جمع وتد، بفتح الواو وكسر

﴿وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: أي الغيضة وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ ١٣ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿كُلٌّ﴾: من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم لأن دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾: وجب ﴿عِقَابِ﴾ ١٤ ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾: ينتظر ﴿هَؤُلَاءِ﴾: أي كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: هي نفخة القيامة تحل بهم العذاب ﴿مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ ١٥: بفتح الفاء وضمها رجوع ﴿وَقَالُوا﴾: لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ الخ ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾: أي كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ١٦: قالوا ذلك استهزاء قال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾: أي القوة في العبادة كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ١٧: رجاع إلى مرضاة الله ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾: بتسبيحه

التاء على الأفصح. قوله: [يشد إليها يديه] الخ، أي ويضجعه مستلقياً على ظهره. قوله: [يعذبه] قيل: يتركه حتى يموت، وقيل: يرسل عليه العقارب والحيات، وقيل: معنى ذو الأوتاد: ذو الملك الثابت، أو ذو الجموع الكثيرة، وفي ﴿الأوتاد﴾ استعارة بليغة، حيث شبه الملك ببيت الشعر، وهو لا يثبت إلا بأوتاد. قوله: [أي الغيضة] أي الأشجار الملتفة المجتمعة، وتقدم أنهم أهلكوا بالظلة.

قوله: ﴿أولئك الأحزاب﴾ بدل من الطوائف المذكورة، وقوله: ﴿إن كل﴾ الخ، استئناف جيء به تقريراً لتكذيبهم، وبياناً لكيفيته، وتمهيداً لما يعقبه، و﴿إن﴾ نافية لا عمل لها لانتقاض النفي بإلا. قوله: [لأنهم] الخ، جواب سؤال كيف يقال: إن كلاً كذب الرسل، مع أن كل أمة كذبت رسولاً واحداً. قوله: ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ شروع في بيان عقاب كفار مكة، إثر بيان عقاب إخوانهم الأحزاب. قوله: [هي نفخة القيامة] أي الثانية. قوله: ﴿ما لها من فواق﴾ الجملة في محل صفة لصيحة، و﴿من﴾ مزيدة في المبتدأ. قوله: [بفتح الفاء وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد، هو الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع، والمعنى: ما لها من توقف قدر فواق ناقة، وقال ابن عباس: ما لها من رجوع، من أفاق المريض إذا رجع إلى صحته، وقد مشى عليه المفسر، وكل صحيح. قوله: [لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه﴾] الخ أي الذي في سورة الحاقة. قوله: ﴿قطنا﴾ أي نصيبنا وحظنا، وأصله من قط الشيء أي قطعه. قوله: [أي كتاب أعمالنا] سمي قطاً لأنه مقطوط أي مقطوع، لأن صحيفة الأعمال قطعة ورق مقطوعة من غيرها. قوله: ﴿قبل يوم الحساب﴾ أي في الدنيا.

قوله: ﴿اصبر على ما يقولون﴾ فيه تهديد للكفار، وتسلية لرسول الله ﷺ. قوله: ﴿واذكر عبدنا داود﴾ الخ، المقصود من ذكر تلك القصص إظهار فضل المتقدمين، وتسليته ﷺ على أذى قومه، فيقتدي بمن قبله لكونه سيد الجميع، فهو أولى بالصبر، والإضافة في عبدنا لتشريف المضاف. قوله: ﴿ذا الأيد﴾ مصدر مفرد بوزن البيع، من آد يئيد، إذا قوي واشتد، وليس جمع يد. قوله: [كان يصوم يوماً ويفطر يوماً] أي وهو جهاد للنفس، دليل على قوة داود، لأن النفس كالطفل، فإذا فطمها عن شهوتها بالصوم يوماً، أطلقها في اليوم الثاني، ثم يعود لفطمها، ولا شك أنه جهاد عظيم. قوله: [ويقوم نصف الليل] الخ، هكذا في بعض النسخ موافقة لما في القرطبي والبيضاوي وأبي السعود، وفي بعض النسخ: كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وهو الموافق لما في الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه». ولما في الجامع الصغير من قوله عليه الصلاة والسلام: «أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام

﴿بِالْعَشِيِّ﴾: وقت صلاة العشاء ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾[١٨]: وقت صلاة الضحى وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها ﴿وَ﴾: سخرنا ﴿الطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾: مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ﴾: من الجبال والطير ﴿لَهُ أَوَّابٌ﴾[١٩]: رجاع إلى طاعته بالتسبيح ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾: قويناه بالحرس والجنود وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾: النبوة والإصابة في الأمور ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[٢٠]: البيان الشافي في كل قصد ﴿وَهَلْ﴾: معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَتَاكَ﴾: يا محمد ﴿نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[٢١]: محراب داود أي مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة أي خبرهم وقصتهم ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ﴾: نحن ﴿خَصْمَانِ﴾: قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل اثنان والضمير

شدّسه». ولعله كان أحياناً هكذا، وأحياناً هكذا. قوله: ﴿إنه أواب﴾ تعليل لكونه ذا قوة في الدين. قوله: [إلى مرضاة الله] المرضاة بمعنى الرضا.

قوله: ﴿إنا سخرنا الجبال﴾ تعليل آخر لقوته في الدين. قوله: ﴿يسبحن﴾ أي بلسان المقال ويسرن معه في السياحة، والجملة حالية من مفعول سخرنا. قوله: [وقت صلاة العشاء] ظاهره أن المراد بها العشاء الآخرة، والذي يفهم من كلام غيره، أنها المغرب حيث قال: فكان داود يسبح إثر صلاته، عند طلوع الشمس وعند غروبها. قوله: [ويتناهى ضوؤها] أي وهو ربع النهار. قوله: ﴿والطير محشورة﴾ بالنصب في قراءة العامة معطوف على الجبال، وقرئ شذوذاً بالرفع مبتدأ وخبر.

قوله: ﴿كل له أواب﴾ أشار المفسر إلى أن الضمير في ﴿له﴾ عائد على ﴿داود﴾، وحينئذ فالمعنى كل من الجبال والطير مطيع لداود في تسبيحه إن رفع رفعوا، وإن خفض خفضوا، وهو أحد قولين، والآخر أنه عائد على الله تعالى، والمعنى كل من داود والجبال والطير مطيع لله تعالى. قوله: [بالحرس] بفتحتين اسم جمع كخدم، أو بضم الحاء وفتح الراء المشددة جمع حارس. قوله: [ثلاثون ألف رجل] في رواية ابن عباس ستة وثلاثون ألفاً. قوله: [النبوة والإصابة في الأمور] هذا أحد أقوال في تفسير الحكمة، وقيل: هي العلم بكتاب الله تعالى، وقيل: العلم والفقه، وقيل: السنة. قوله: [البيان الشافي] أي الإظهار المنبه للمخاطب من غير التباس، وهو أحد أقوال في تفسير فصل الخطاب، وقيل: الفصل في القضاء، وقيل: هو البينة على المدعي واليمين على من أنكر، وقيل: هو ما بعد، وقيل: غير ذلك. قوله: [التعجيب] أي حمل المخاطب على التعجب، أو إيقاعه في العجب. قوله: [إلى استماع ما بعده] أي لكونه أمراً غريباً، كقولك لجليسك: هل تعلم ما وقع اليوم؟ تريد أن يستمع لكلامك، ثم تذكر له ما وقع.

قوله: ﴿إذ تسوروا﴾ ظرف لمضاف محذوف تقديره نبأ تخاصم الخصم، ولا يصح أن يكون ظرفاً لأتاك؛ لأن إتيان النبأ كائن في عهد رسول الله، لا في عهد داود، ولا لنبأ؛ لأن النبأ واقع في عهد داود، فلا يصح إتيانه رسول الله ﷺ. قوله: [أي مسجده] أي الذي كان يدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة. قوله: [حيث منعوا الدخول عليه من الباب] أي لكونهم أتوه في اليوم الذي كان يشتغل فيه بالعبادة، فمنعهم الحرس الدخول عليه من الباب. قوله: ﴿ففزع منهم﴾ أي لأنهم نزلوا من أعلى، على خلاف العادة والحرس حوله.

قوله: ﴿قالوا لا تخف﴾ جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا قالوا لما شاهدوا فزعه؟ فقال: قالوا: لا تخف. قوله: [قيل فريقان] هذا هو مبني على أن الداخل فيه كان أزيد من اثنين، فكان المتخاصمين والشاهدين والمزكين.

بمعناهما والخصم يطلق على الواحد وأكثر وهما ملكان جاءا في صورة خصمين وقع لهما ما ذكر على سبيل الفرض لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها ﴿بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾: تجر ﴿واهدنا﴾: أرشدنا ﴿إلى سواء الصراط﴾ ٢٢: وسط الطريق الصواب ﴿إن هذا أخي﴾: أي على ديني ﴿له تسع وتسعون نعجة﴾: يعبر بها عن المرأة ﴿ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها﴾: أي اجعلني كافلها ﴿وعزني﴾: غلبني ﴿في الخطاب﴾ ٢٣: أي الجدال وأقره الآخر على ذلك ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك﴾ ليضمها ﴿إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء﴾: الشركاء ﴿ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾: ما لتأكيد القلة فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء قضى الرجل على نفسه فتنبه داود قال تعالى ﴿وظن﴾: أي أيقن ﴿داود أنما فتناه﴾: أوقعناه في فتنة أي

قوله: [وقيل اثنان] أي شخصان، وهو مبني على أن الداخل المتداعيان فقط. قوله: [والخصم يطلق] الخ، أي لأنه في الأصل مصدر. قوله: [وهما ملكان] قيل هما جبريل وميكائيل. قوله: [على سبيل العرض] بالعين المهملة أي التعريض، وهو جواب عما يقال: إن الملائكة معصومون، فكيف يتصور منهم البغي أو الكذب؟ فأجاب: بأن هذا على سبيل التعريض للمخاطب، فلا بغي فيه ولا كذب. قوله: [لتنبيه داود] أي إيقاظه على ما صدر منه. قوله: [وكان له تسع] الخ، بيان لما وقع منه. قوله: [وطلب امرأة شخص] هو وزيره أوريا بن حان لسر عظيم، وهو كما قيل: إنها أم سليمان عليه السلام. قوله: [وتزوجها ودخل بها] مشى المفسر على أن داود سأل أوريا طلاق زوجته، ثم بعد وفاء عدتها، تزوجها داود ودخل بها، وهو أحد أقوال ثلاثة، والثاني: أن داود لما تعلق بها قلبه، أمر أوريا ليذهب للجهاد ليقتل فيتزوجها ففعل، فلما قتل في الجهاد تزوجها داود، والثالث: أن أوريا لم يكن متزوجاً بها، وإنما خطبها فقط، فخطبها داود على خطبته وتزوجها، وكان ذلك كله جائزاً في شرعه، وإنما عاتبه الله لرفعة قدره، وللسيد أن يعاقب عبده على ما يقع منه، وإن كان جائزاً، من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: ﴿ولا تشطط﴾ العامة على ضم التاء من أشطط إذا تجاوز الحد، وقرىء شذوذاً تشطط بفتح التاء وضم الطاء، وتشط من أشط رباعياً، إلا أنه أدغم، وتشطط من شطط وتشاطط. قوله: ﴿إن هذا أخي﴾ الخ، مرتب على مقدر تقديره: فقال لهما داود تكلما، فقال أحدهما: إن هذا أخي، الخ. قوله: [أي على ديني] أي فليس المراد إخوة النسب، لأن الملائكة لا يلدون، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة. قوله: [يعبر بها عن المرأة] أي يكنى بها عن المرأة لسكونها وعجزها، وقد يكنى عنها بالبقرة والناقة. قوله: [أي اجعلني كافلها] هذا هو معناه الأصلي، والمراد هنا ملكنيها وانزل لي عنها. قوله: ﴿وعزني في الخطاب﴾ أي فهو أفصح مني في الكلام، فالغلبة له علي لضعفي. قوله: [وأقره الآخر] أي المدعى عليه، وهو جواب عما يقال: كيف حكم داود، ولم يسمع شيئاً من المدعى عليه؟ فأجيب: بأنه سمع منه الإقرار والإعتراف. قوله: ﴿بسؤال نعجتك﴾ من إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف، أي بأن سألك نعجتك. قوله: [ليضمها] أشار بذلك إلى أنه ضمن السؤال معنى الإضافة والضم. قوله: ﴿الخلطاء﴾ [الشركاء] أي الذين خلطوا أموالهم، وفيه إشارة إلى أن داودساير ظاهر دعواهم.

قوله: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ استثناء متصل. قوله: [فتنبه داود] أي علم أنهما يريدانه بهذا التعريض. قوله: ﴿أنما فتناه﴾ ما زائدة، والمعنى وظن داود أنا فتناه فتنبه ولاحظ، والظن هنا بمعنى اليقين كما أشار له المفسر. قوله:

بلية بمحبته تلك المرأة ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً﴾: أي ساجداً ﴿وَأَنَابَ ٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: أي زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ ٢٥﴾: مرجع في الآخرة ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾: تدبر أمر

﴿فاستغفر ربه﴾ أي طلب منه المغفرة، وتقدم أنه ليس بذنب، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

قوله: [أي ساجداً] عبر بالركوع عنه لأن كلاً منهما فيه انحناء.

قوله: ﴿وأناب﴾ أي رجع إلى مولاه، قال المفسرون: سجد داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة، أو لوقت صلاة مكتوبة، ثم يعود ساجداً إلى تمام الأربعين يوماً، لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي، حتى نبت العشب حول رأسه، وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة، وكان من دعائه في سجوده: سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء، سبحان خالق النور، سبحان الحائل بين القلوب، سبحان خالق النور، إلهي خليت بيني وبين عدوي إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي، سبحان خالق النور، إلهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا إليه صائر، سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطىء، سبحان خالق النور، إلهي بأي عين أنظر إليك يوم القيامة، وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي، سبحان خالق النور، إلهي بأي قدم أقدم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين، سبحان خالق النور، إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده، سبحان خالق النور، إلهي أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك، سبحان خالق النور، إلهي أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم، سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصابه، سبحان خالق النور، إلهي كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا، سبحان خالق النور، إلهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي، سبحان خالق النور، إلهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني، سبحان خالق النور، إلهي أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني، سبحان خالق النور، إلهي فررت إليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين، سبحان خالق النور، قيل: مكث داود أربعين يوماً، لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه، فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم؟ أظمآن أنت فتسقى؟ أمظلوم أنت فتنصر؟ فأجيب في غير ما طلب، ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء، فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حرارة جوفه، ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة بقوله: ﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ وقد ورد أنه لما قبل الله توبته، بكى على خطيئته ثلاثين سنة، لا يرقأ دمعه ليلاً ولا نهاراً، وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة، فقسم الدهر على أربعة أيام: يوم للقضاء، ويوم لنسائه، ويوم يسيح في الجبال والفيافي والسياحة، ويوم يخلو في دار لها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان، ينوح معهم على نفسه، فإذا كان يوم سياحته يخرج إلى الفيافي ويرفع صوته بالبكاء، فتبكي معه الأشجار والرمال والطيور والوحوش، حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالبكاء، فتبكي معه دواب البحر وطير الماء، فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه: إن اليوم يوم نوح داود على نفسه، فليحضره من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب، فيبسط فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها، ويجيء أربعة آلاف راهب فيجلسون في تلك المحاريب، ثم يرفع داود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه، ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب، فيجيء ابنه سليمان فيحمله، وقد ورد أيضاً أنه لما تاب الله على داود قال: يا رب غفرت لي فكيف لي أن أنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة، فوسم الله خطيئته في يده اليمنى، فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس إلا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته، وكان يبدأ إذا دعا واستغفر للخاطئين قبل نفسه، وكان قبل الخطيئة يقوم

الناس ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ولا تتبع الْهَوَىٰ﴾: أي هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا﴾: بنسيانهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾: المرتب عليه تركهم الإيمان ولو أيقنوا بيوم الحساب[٢٦] لآمنوا في الدنيا ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾: أي عبثاً ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي خلق ما ذكر لا لشيء ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ﴾: واد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ[٢٧] أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[٢٨]: نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين إنا نعطى في الآخرة مثل ما تعطون وأم بمعنى همزة الإنكار ﴿كِتَابٌ﴾: خبر مبتدإ محذوف أي هذا ﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا﴾: أصله يتدبروا أدغمت التاء في الدال

نصف الليل، ويصوم نصف الدهر، فلما كان من خطيئته ما كان، صام الدهر كله، وقام الليل كله، وكان إذا ذكر عقاب الله تعالى انخلعت أوصاله، وإذا ذكر رحمة الله تراجعت اهـ ملخصاً.

قوله: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ يحتمل أنه كلام مستانف، بيان للزلفى في قوله: ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ يحتمل أن مقول القول محذوف معطوف على قوله: ﴿فغفرنا له﴾ كأنه قيل: فغفرنا له وقلنا يا داود الخ، وفي هذه الآية دليل على أن خلافته التي كانت قبل الفتنة، باقية مستمرة بعد التوبة. قوله: [تدبر أمر الناس] أي لكونك ملكاً وسلطاناً عليهم، فقد جمع لداود بين النبوة والسلطنة، وكان فيمن قبله النبوة مع شخص والسلطنة مع آخر، فيحكم السلطان بما يأمره به النبي. قوله: ﴿بالحق﴾ أي العدل لأن الأحكام إذا كانت موافقة لما أمر الله به، صلحت الخلق واستقام نظامهم، بخلاف ما إذا كانت موافقة لهوى النفس، فإن ذلك يؤدي إلى فساد النظام، ووقوع الهرج والمرج المؤدي للهلاك، وهو معنى قولهم: العدل إن دام عمر، والظلم إن دام دمر.

قوله: ﴿ولا تتبع الهوى﴾ المقصود من نهيه إعلام أمته بأنه معصوم، ولتتبعه فيما أمر به، لأنه إذا كان هذا الخطاب للمعصوم فغيره أولى. قوله: ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ بالنصب في جواب النهي، وهو أولى من جعله مجزوماً عطفاً على النهي، وفتح للتخلص من التقاء الساكنين. قوله: [أي عن الدلائل الدالة على توحيده] إنما فسر السبيل بذلك وإن كان شاملاً لفروع الدين الموصلة إلى الله تعالى، ليوافق قوله: ﴿لهم عذاب شديد﴾ الخ. قوله: [بنسيانهم] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والباء سببية، وقوله: ﴿يوم الحساب﴾ إما ظرف لقوله: ﴿لهم عذاب شديد﴾ أو مفعول لنسوا. قوله: [المرتب عليه] الخ، أي فالسبب الحقيقي في حصول العذاب لهم، هو ترك الإيمان، ونسيان يوم الحساب سبب في ترك الإيمان، فاكتفى بذكر السبب.

قوله: ﴿وما خلقنا السماء والأرض﴾ الخ، استئناف لتقرير ما قبله من البعث والحساب. قوله: ﴿باطلاً﴾ نعت لمصدر محذوف، أي خلقنا باطلاً، أو حال من ضمير الخلق. قوله: ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ أي مظنونهم. قوله: ﴿فويل﴾ هو في الأصل معناه الهلاك، أي هلاك ودمار للذين كفروا، وعبر بالظاهر تقبيحاً عليهم، وإشارة إلى أن ظنهم إنما نشأ من أجل كفرهم. قوله: ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ ﴿أم﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، وهو إضراب انتقالي من أمر البعث والحساب، إلى بيان عدم استواء المؤمنين والكافرين في العواقب، وهو نظير قوله تعالى ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الآية.

قوله: ﴿أم نجعل المتقين﴾ الخ، تنويع آخر في الإضراب، والمعنى واحد. قوله: [بمعنى همزة الإنكار] أي مع بل التي للإضراب. قوله: [خبر مبتدإ محذوف] أي و﴿أنزلناه﴾ صفة ﴿كتاب﴾ و﴿مبارك﴾ خبر مبتدإ محذوف، أو

﴿آيَاتِهِ﴾: ينظروا في معانيها فيؤمنوا ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾: يتعظ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٢٩]: أصحاب العقول ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ﴾: ابنه ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾: أي سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[٣٠]: رجاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾: هو ما بعد الزوال ﴿الصَّافِنَاتُ﴾: الخيل جمع صافنة وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفوناً ﴿الْجِيَادُ﴾[٣١]: جمع جواد وهو السابق المعنى أنها إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لإرادته الجهاد عليها لعدو فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتم ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾: أي أردت ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾: أي الخيل ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾: أي صلاة العصر ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾: أي الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴾[٣٢]: أي استترت بما يحجبها عن الأبصار ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾: أي الخيل المعروضة فردوها ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً﴾: بالسيف ﴿بِالسُّوقِ﴾: جمع ساق ﴿وَالْأَعْنَاقِ﴾[٣٣]: أي ذبحها وقطع أرجلها تقرباً إلى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة

خبر ثان لا صفة ثانية للكتاب، لأنه يلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد، وفيه خلاف. قوله: [ينظروا في معانيها] أي يتأملوا فيها، فيزدادوا معرفة ونوراً على حسب مشاربهم، فإن التالين للقرآن على مراتب، فالعامة يقرؤونه مرتلاً مجوداً مراعي بعض معانيه على حسب الطاقة، والخاصة يقرؤونه ملاحظين أنهم في حضرة الله تعالى يقرؤون كلامه عليه، وخاصة الخاصة يقرؤون فانين عن أنفسهم مشاهدين أن لسانهم ترجمان عن الله تعالى، رضي الله عنهم وعنا بهم. قوله: ﴿أولو الألباب﴾ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بالذكر.

قوله: ﴿ووهبنا لداود﴾ أي من المرأة التي أخذها من أوريا، وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة. قوله: [أي سليمان] تفسير للمخصوص بالمدح. قوله: ﴿إذ عرض عليه﴾ ظرف لمحذوف تقديره: اذكر يا محمد لقومك وقت أن عرض الخ، والمعنى اذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت. قوله: [ما بعد الزوال] أي إلى الغروب. قوله: [وهي القائمة] أي الواقفة على ثلاثة قوائم. قوله: [على طرف الحافر] أي من رجل أو يد. قوله: [وهو من صفن] أي مأخوذ منه، والصافن من الآدميين الذي يصف قدميه ويقرن بينهما، وجمعه صفون. قوله: [جمع جواد] وقيل: جمع جيد يطلق على كل من الذكر والأنثى، مأخوذ من الجودة أو الجيد وهو العنق، والمعنى طويلة العنق لفراهتها. قوله: [المعنى] أي معنى الصافنات الجياد. قوله: [وكانت ألف فرس] روي أنه غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب منهم ألف فرس، وقيل: أصابها أبوه من العمالقة فوضع يده عليها لبيت المال، وقيل: خرجت له من البحر ولها أجنحة. قوله: [لإرادة الجهاد] أي ليختبرها.

قوله: ﴿فقال إني أحببت﴾ الخ، أي على وجه الاعتذار عما صدر منه وندماً عليه، وضمن أحببت معنى آثرت فعداه بعن. قوله: [أي الخيل] إنما سماها خيراً لتعلق الخير بها كما في الحديث: «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة». قوله: ﴿بالحجاب﴾ أي وهو جبل دون جبل ق بمسيرة سنة تغرب من ورائه. قوله: ﴿ردوها علي﴾ الخطاب لأتباعه المتولين أمر الخيل، والضمير عائد على التي شغلته وهي التسعمائة، وأما المائة الأخرى فلم يذبحها، وما في أيدي الناس من الخيل الجياد فمن نسل تلك المائة. قوله: [أي ذبحها وقطع أرجلها] أي وكان مباحاً له، ولذا لم يعاتبه الله عليه، وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين، وقيل: الضمير في قوله: ﴿ردوها﴾ عائد على الشمس، والخطاب للملائكة الموكلين بها فردوها، فصلى العصر في وقتها، وقال الفخر الرازي: معنى قوله: ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ أي يمسحها حقيقة بيده ليختبر عيوبها وأمراضها، لكونه كان أعلم بأحوال الخيل، وإشارة إلى أنه بلغ من

وتصدق بلحمها فعوضه الله تعالى خيراً منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف شاء ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾:

التواضع، إلى أنه يباشر الأمور بنفسه، ولم يحصل منه ذبح ولا عقر، ولم تفوت عليه صلاة، ومعنى ﴿إني أحببت الخير عن ذكر ربي﴾ أي لأجل طاعة ربي لا لهوى نفسي، ومعنى ﴿توارت بالحجاب﴾ أي الخيل غابت عن بصره حين أمر بإجرائها ليختبرها للغزو فقال: ردوها علي، فردوها، فصار يمسح في أعناقها وسوقها كما تقدم، وليس في الآية ما يدل على ثبوت ذبح ولا عقر ولا فوات صلاة اهـ بالمعنى.

قوله: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ الخ أجمل المفسر في القصة. وحاصل تفصيلها على ما رواه وهب بن منبه قال: سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون، وبها ملك عظيم الشأن، ولم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر، وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر، وإنما يركب إليه الريح، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء، حتى نزل بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها وسبى ما فيها، وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها جرادة، لم ير مثلها حسناً ولا جمالاً، فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه، وأحبها حباً لم يحب مثله أحداً من نسائه، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها، فشق ذلك على سليمان فقال لها: ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ؟ قالت: إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك، فقال سليمان، فقد أبدلك الله به ملكاً هو أعظم من ذلك؟ قالت: إن ذلك كذلك، ولكنني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين، فصوروا لي صورته في داري التي أنا فيها، أراها بكرة وعشية، لرجوت أن يذهب ذلك حزني، وأن يسلي عني بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين فقال: مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً، فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه، إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه، فألبسته ثياباً مثل ثيابه التي كان يلبسها، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو إليه في ولائدها أي جواريها، فتسجد له ويسجدن له، كما كانت تصنع في ملكه أي أبيها، وتروح في كل عشية بمثل ذلك، وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً، وبلغ ذلك إلى آصف بن برخيا، وكان صديقاً له، وكان لا يرد عن أبواب سليمان أية ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل سواء، كان سليمان حاضراً أو غائباً، فأتاه وقال: يا نبي الله، إن غير الله يعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال سليمان: في داري؟ قال في دارك، قال: فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم رجع سليمان إلى داره، فكسر ذلك الصنم وعاتب تلك المرأة وولائدها، ثم أمر بثياب الطهيرة فأتي بها، وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار، ولا ينسجها إلا الأبكار، ولا يغسلها إلا الأبكار، لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده، وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى، حتى جلس على ذلك الرماد، وتمعك به في ثيابه تذللاً إلى الله تعالى، وتضرعاً إليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره، فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى، ثم رجع إلى داره، وكانت له أم ولد يقال لها الأمينة، كان إذا دخل الخلاء، أو أراد إصابة امرأة من نسائه، وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر، وكان ملكه في خاتمه، فوضعه يوماً عندها ثم دخل مذهبه، فأتاها شيطان اسمه صخر المارد بن عمير في صورة سليمان، لا تنكر منه شيئاً، فقال: هات خاتمي يا أمينة، فناولته إياه فجعله في يده، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والوحش والجن والإنس، وخرج سليمان فأتى أمينة، وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال: يا أمينة خاتمي، قالت: من أنت؟ قال: سليمان بن داود، فقالت: كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه، وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته أدركته، فخرج وجعل يقف على دار من دور بني إسرائيل ويقول: أنا

ابتليناه بسلب ملكه وذلك لتزوجه بامرأة هواها وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه وكان ملكه في خاتمه فنزعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته فجاءها جني في صورة سليمان فأخذه منها ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ : هو ذلك الجني وهو صخر أو غيره جلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيه وقال للناس أنا سليمان فأنكروه ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ ٣٤ : رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَّ يَنبَغِي﴾ : لا

سليمان بن داود، فيحثون عليه التراب ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون يزعم أنه سليمان، فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة، ويشوي الأخرى فيأكلها، فمكث على ذلك أربعين صباحاً، عدة ما كان يعبد الوثن في داره، ثم إن آصف وعظماء بني إسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة، فقال آصف: يا معشر بني إسرائيل، هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم؟ فقالوا: نعم، فلما مضى أربعون صباحاً، طار الشيطان عن مجلسه، ثم مرّ بالبحر فقذف الخاتم فيه، فأخذته سمكة فأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه، فلما أمسى أعطاه سمكتيه، فباع سليمان إحداهما بأرغفة، وبقر بطن الأخرى ليشويها، فاستقبله خاتمه في جوفها، فأخذه وجعله في يده وخر لله ساجداً، وعكفت عليه الطير والجن، وأقبل الناس عليه، وعرف أن الذي دخل عليه من أجل ما حدث في داره، فرجع إلى ملكه، وأظهر التوبة من ذنبه، وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر المارد، فأتي به فأدخله في جوف صخرة وسد عليه بأخرى، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، ثم أمر به فقذف في البحر، فهو باق فيها إلى النفخة، وسيأتي رد تلك القصة، وأنها من موضوعات الأخباريين. قوله: [لتزوجه بامرأة] أي واسمها جرادة. قوله: [هواها] قياسه هويها بمعنى أحبها من باب صدي، وأما هوى كرمى فهو بمعنى سقط، وفي نسخة بهواها وهي ظاهرة. قوله: [وكانت تعبد الصنم] أي وهو صورة أبيها، ومدة ذلك أربعون يوماً. قوله: [وكان ملكه في خاتمه] أي كان ملكه مترتباً على لبسه إياه، فإذا لبسه سخرت له الريح والجن والشياطين وغيرها، وإذا نزعه زال عنه ذلك وكان خاتمه من الجنة، وهو من جملة الأشياء التي نزل بها آدم من الجنة، وقد نظمها بعضهم بقوله:

وآدم معه أنزل العود والعصا ... لموسى من الآس النبات المكرم
وأوراق تين واليمين بمكة ... وختم سليمان النبي المعظم

وقوله العود: المراد به عود البخور، وقوله واليمين بمكة: المراد الحجر الأسود، وورد في الحديث: «أن نقش خاتم سليمان: لا إله إلا الله محمد رسول الله». قوله: [ووضعه عند امرأته] في عبارة غيره أم ولده المسماة بالأمينة. قوله: [هو ذلك الجني] أي وسمي جسداً لأنه ليس فيه روح سليمان، وإن كان فيه روحه هو، لأن الجسد هو الجسم الذي لا روح فيه. قوله: [وهو صخر] أي ابن عمير المارد. قوله: [في غير هيئته] أي المعتادة التي كانوا يعرفونه بها. قوله: [رجع سليمان إلى ملكه] هذا التفسير مبني على أن قوله: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ مرتبط بقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ وقال غيره: إنه مرتبط بقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ومعنى إنابته: رجوعه إلى الله تعالى وتوبته. قوله: [بعد أيام] أي أربعين، قال القاضي عياض وغيره من المحققين: لا يصح ما نقله الإخباريون، من تشبه الشيطان بسليمان، وتسلطه على ملكه، وتصرفه في أمته بالجور في حكمه، وإن الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا، وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا، والذي ذهب إليه المحققون، أن سبب فتنته، ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة، وفي رواية على مائة امرأة، كلهن يأتي

يكون ﴿لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾: أي سواي نحو فمن يهديه من بعد الله أي سوى الله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ٣٥ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾: لينة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أراد ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ﴾: يبني الأبنية العجيبة ﴿وَغَوَّاصٍ﴾ ٣٧: في البحر يستخرج اللؤلؤ ﴿وَآخَرِينَ﴾: منهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مشدودين ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ ٣٨: القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم وقلنا له ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾: أعط منه من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾: عن الإعطاء ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٣٩: أي لا حساب عليك في ذلك ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ٤٠: تقدم مثله ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾

بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وايم الله الذي نفسي بيده، لو قال إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون» قال العلماء: والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه، وفتنته من نسيان المشيئة، فامتحن بهذا، فتاب ورجع، وقيل: إن المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه، أنه ولد له ولد، فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لم ننفك من البلاء، فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله، فعلم بذلك سليمان، فأمر السحاب فحمله، فكان يربيه في السحاب خوفاً من الشياطين، فبينما هو مشتغل في بعض مهماته، إذ ألقي ذلك الولد ميتاً على كرسيه، فعاتبه الله على خوفه من الشياطين، حيث لم يتوكل عليه في ذلك، فتنبه واستغفر ربه إذا علمت ذلك، فالمناسب أن يعرج على ما في الصحيحين، ويترك تلك القصة البشعة.

قوله: ﴿قال رب اغفر لي﴾ إنما قال ذلك تواضعاً وإظهاراً للخضوع للمولى عز وجل، وإلا فهو لم يحصل منه ذنب، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: ﴿وهب لي ملكاً﴾ الخ قدم طلب المغفرة اهتماماً بأمر الدين. قوله: ﴿لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ أي ليكون معجزة لي، فليس طلبه للمفاخرة بأمور الدنيا، وإنما كان هو من بيت النبوة والملك، وكان في زمن الجبارين وتفاخرهم بالملك، فطلب ما يكون معجزة لقوله، ومعجزة كل نبي ما اشتهر في عصره. قوله: ﴿إنك أنت الوهاب﴾ تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة.

قوله: ﴿فسخرنا له الريح﴾ أي أعدنا له تسخير الريح، بعد ما كان قد ذهب بزوال ملكه، وهذا على ما مشى عليه المفسر، وعلى ما مشى عليه المحققون، فيقال: أدمنا تسخيرها. قوله: ﴿تجري بأمره﴾ بيان لتسخيرها له. قوله: ﴿رخاء﴾ حال من ﴿الريح﴾. قوله: [لينة] أي غير عاصفة، وهذا في أثناء سيرها وأما في أوله فهي عاصفة، فكانت العاصفة تقلع البساط والرخاء تسيره. قوله: ﴿بأمره﴾ أي إياها، فالمصدر مضاف لفاعله. قوله: ﴿كل بناء﴾ بدل من الشياطين. ﴿وآخرين﴾ عطف على ﴿كل بناء﴾ وذلك أن سليمان قسم الشياطين إلى عملة، استخدمهم في الأعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك، وإلى مقرنين في السلاسل كالمردة والعتاة. قوله: [القيود] من المعلوم أن القيد يكون في الرجل، فلا يلتئم مع قوله: [بجمع أيديهم] الخ، فلو فسر الأصفاد بالأغلال لكان أولى لأنها تطلق عليها، كما تطلق على القيود. قوله: [وقلنا له] ﴿هذا﴾ أي هذا الملك عطاؤنا. قوله: ﴿بغير حساب﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها أنه متعلق بعطاؤنا، أي أعطيناك بغير حساب وبغير حصر. الثاني أنه حال من عطاؤنا، أي في حال كون عطائنا غير محاسب عليه. والثالث أنه متعلق بامنن أو أمسك، والمعنى أعط من شئت، وامنع من شئت، لا حساب عليك في إعطاء ولا منع. قال الحسن: ما أنعم الله نعمة على أحد، إلا عليه فيها تبعة، إلا سليمان، فإنه إن أعطى أجر، وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة. قوله: ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ أي زيادة خير في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ عطف على قوله: ﴿واذكر عبدنا داود﴾ عطف قصة على قصة، وليس معطوفاً على

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي﴾: أي بأني ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾: ضر ﴿وَعَذَابٍ﴾ ٤١: ألم ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدباً معه تعالى وقيل له: ﴿ٱرْكُضْ﴾: اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾: الأرض فضرب فنبعت عين ماء فقيل ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ﴾: ماء تغتسل به ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ ٤٢ تشرب منه فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: أي أحيا الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾: نعمة ﴿مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾: عظة ﴿لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ٤٣: لأصحاب العقول ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾: هو حزمة من حشيش أو قضبان ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾: زوجتك وكان قد حلف ليضربنها مائة ضربة لإبطائها عليه يوماً ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾: بترك ضربها فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾: أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ٤٤:

قصة سليمان، لأنه لكمال الاتصال بينه وبين أبيه، ثم يصدر في قصته بقوله واذكر عبدنا سليمان مثلاً، بل كانا كأنهما قصة واحدة، وتقدم لنا في الأنبياء، أن أيوب ابن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وقيل: إنه ابن عيصو بن إسحاق، وقيل هو ابن أموص بن رعيل بن عيص بن إسحاق، وتقدمت قصته مفصلة في سورة الأنبياء.

قوله: ﴿إذ نادى ربه﴾ بدل من ﴿عبدنا﴾ أو عطف بيان له. قوله: ﴿أني مسني الشيطان﴾ أي حين ابتلي بفقد ماله وولده وتمزيق جسده، وهجر جميع الناس له إلا زوجته، وكانت مدة بلائه ثلاث سنين، وقيل سبعاً، وقيل عشراً، وقيل ثماني عشرة. قوله: ﴿بنصب﴾ بضم فسكون، التعب والمشقة، وقوله: ﴿وعذاب﴾ عطف سبب على مسبب. قوله: [تأدباً معه تعالى] أي لأن الشيطان هو السبب في ذلك، لأنه نفخ في أنفه، فمرض جسده ظاهراً وباطناً، إلا قلبه ولسانه. قوله: [وقيل له] أي حين رجا وقت شفائه. قوله: [فنبعت عين ماء] ظاهره أنها عين واحدة، وهو أحد قولين، وقيل: كانتا عينين بأرض الشام في أرض الجابية، فاغتسل من احداهما، فأذهب الله تعالى ظاهر دائه، وشرب من الأخرى، فأذهب الله باطن دائه، وكانت إحدى العينين حارة، والأخرى باردة، فاغتسل من الحارة، وشرب من الأخرى.

قوله: ﴿ووهبنا له أهله﴾ عطف على محذوف قدره المفسر بقوله: [فاغتسل] الخ. قوله: [من مات من أولاده] أي وكانوا ثلاثة ذكور وثلاث أناث، وقيل كل صنف سبع. قوله: [ورزقه مثلهم] أي من زوجته وزيد في شبابها، واسمها، قيل رحمة بنت أفراثيم بن يوسف، وقيل ليا بنت يعقوب. قوله: ﴿رحمة﴾ الخ مفعول لأجله، أي لأجل رحمتنا إياه، وليتذكر بحالة أولو الألباب. قوله: ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ عطف على محذوف قدره المفسر بعد بقوله: [وكان قد حلف] الخ. قوله: [هو حزمة] أي ملء الكف. قوله: [لإبطائها عليه يوماً] واختلف في سبب بطئها المتسبب عنه حلفه، فقيل: إن الشيطان تمثل في طريقها في صورة حكيم يداوي المرضى، فمرت عليه فوجدت الناس منكبين عليه، فقالت له: عندي مريض، فقال: أداويه على أنه إذا برئ قال أنت شفيتني، لا أريد جزاء سواه، قالت: نعم، فأشارت على أيوب بذلك، فحلف ليضربنها وقال: ويحك ذلك الشيطان، وقيل: إنها باعت ذوائبها برغيفين، حين لم تجد شيئاً تحمله إلى أيوب، وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام، فلهذا حلف ليضربنها، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿ولا تحنث﴾ أي لا تقع في يمينك بحيث تلزمك كفارته، وهذا الحكم من خصوصيات أيوب رفقاً بزوجته، وأما في شرعنا فلا يبر إلا بضرب المائة، وضربه بأعواد مجتمعة لا يعد واحدة منها، إلا إذا حصل منه ألم الضربة المنفردة. قوله: ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ أي علمناه، والمعنى أظهرنا صبره للناس. قوله: [أيوب] تفسير للمخصوص بالمدح.

رَجَّاع إلى الله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي﴾: أصحاب القوى في العبادة ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ٤٥: البصائر في الدين وفي قراءة عبدنا وإبراهيم بيان له وما بعده عطف على عبدنا ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾: هي ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ ٤٦: الآخرة أي ذكرها والعمل لها وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾: المختارين ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ ٤٧: جمع خيِّر بالتشديد ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾: هو نبي واللام زائدة ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾: اختلف في نبوته قيل كفل مائة نبي فروا إليه من القتل ﴿وَكُلٌّ﴾: أي كلهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ ٤٨: جمع خيِّر بالتثقيل ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾: لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾: الشاملين لهم ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ٤٩: مرجع في الآخرة ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: بدل أو عطف بيان لحسن مآب ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ ٥٠: منها ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾: على الأرائك ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ ٥١ ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: حابسات الأعين على أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾ ٥٢: أسنانهن واحدة وهي بنات ثلاث وثلاثين سنة جمع ترب ﴿هَٰذَا﴾: المذكور ﴿مَا

قوله: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم﴾ الخ: اذكر صبرهم على ما امتحنوا به. قوله: ﴿أولي الأيدي﴾ العامة على ثبوت الياء، وهو جمع يد، فكنى بذلك عن الأعمال لأن أكثر الأعمال إنما يزاول بها، وقيل: المراد بالأيدي النعم، وفسرها المفسر بالقوة في العبادة، وكلها معان متقاربة، وقرئ شذوذاً بحذف الياء تخفيفاً.

قوله: ﴿إنا أخلصناهم﴾ تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل. قوله: ﴿بخالصة﴾ صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة خالصة. قوله: [هي] ﴿ذكرى الدار﴾ جعلها المفسر خبر المحذوف. قوله: [وفي قراءة] الخ: مقابل لما قدره المفسر، وهما قراءتان سبعيتان، فعلى القراءة الأولى يكون ﴿ذكرى﴾ مرفوعاً على إضمار مبتدأ، وعلى الثاني يكون مجروراً بالإضافة، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة، والإضافة بيانية كما قال المفسر.

قوله: ﴿واذكر إسماعيل﴾ فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه، للإشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بذكر مناقبهم. قوله: ﴿واليسع﴾ هو ابن أخطوب بن العجوز، استخلفه إلياس على بني إسرائيل، ثم نبأه الله عليهم كما تقدم. قوله: [اختلف في نبوته] روى الحاكم عن وهب، أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشراً وسماه ذا الكفل، فهو بشر بن أيوب، اختلف في نبوته ولقبه، والصحيح أنه نبي، وسمي ذا الكفل، إما لما قاله المفسر، أو لأنه تكفل بصيام النهار وقيام الليل، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى بما التزم، وتقدمت قصته في الأنبياء. قوله: [أي كلهم] أي المتقدمين من داود إلى هنا. قوله: ﴿هذا ذكر﴾ جملة من مبتدإ وخبر، قصد بها الفصل بين ما قبلها وما بعدها، فهي للانتقال من غرض إلى آخر، ففيها تخلص من قصة، وكذا يقال في قوله هذا: وإن للطاغين الخ. قوله: ﴿وإن للمتقين﴾ الخ: شروع في بيان أجرهم الجزيل بعد ذكرهم الجميل. قوله: [الشاملين لهم] أي فالمتقين يشملهم وغيرهم. قوله: ﴿مفتحة﴾ حال من جنات عدن، والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل، و﴿الأبواب﴾ مرفوعة باسم المفعول، وأل عوض عن الضمير.

قوله: ﴿متكئين﴾ حال من الهاء في لهم، والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي، لأنه لا جوع فيها. قوله: [حابسات الأعين] أي لا ينظرن إلى غيرهم نظر شهوة وميل. قوله: [أسنانهن واحدة] أي فقد استوين في السن والجمال، وقيل: معنى ﴿أتراب﴾ متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا

﴿توعدون﴾: بالغيبة وبالخطاب التفاتاً ﴿ليوم الحساب﴾ ٥٣: أي لأجله ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ ٥٤: أي انقطاع والجملة حال من رزقنا أو خبر ثانٍ لإنّ أي دائماً أو دائم ﴿هذا﴾: المذكور للمؤمنين ﴿وإن للطاغين﴾: مستأنف ﴿لشر مآب﴾ ٥٥ ﴿جهنم يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المهاد﴾ ٥٦: الفراش ﴿هذا﴾: أي العذاب المفهوم مما بعده ﴿فليذوقوه حميم﴾: أي ماء حار محرق ﴿وغساق﴾ ٥٧: بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار ﴿وآخر﴾: بالجمع والإفراد ﴿من شكله﴾: أي مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أزواج﴾ ٥٨: أصناف أي عذابهم من أنواع مختلفة ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم ﴿هذا فوج﴾: جمع ﴿مقتحم﴾: داخل ﴿معكم﴾: النار بشدة فيقول المتبوعون ﴿لا مرحباً بهم﴾: أي لا سعة عليهم ﴿إنهم صالوا النار﴾ ٥٩ ﴿قالوا﴾: أي الأتباع ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه﴾: أي الكفر ﴿لنا فبئس القرار﴾ ٦٠: لنا ولكم النار ﴿قالوا﴾: أيضاً ﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً﴾: أي مثل عذابه على كفره ﴿في النار﴾ ٦١ ﴿وقالوا﴾: أي كفار مكة وهم في النار ﴿ما لنا لا

يتحاسدن، وكل صحيح. قوله: [لأجله] أي لأجل وقوعه فيه، فوقوعه وانجازه فيه علة للوعد به في الدنيا. قوله: ﴿إن هذا لرزقنا﴾ من كلام الله تعالى، والمعنى أن هذا أي ما ذكر من الجنات وأوصافها لرزقنا، أي لهو الرزق الذي نتفضل به على عبادنا ﴿ماله من نفاد﴾ أي انقطاع أبداً. قوله: [أي دائماً] الخ، لف ونشر مرتب. قوله: ﴿هذا﴾ مبتدأ حذف خبره قدره بقوله [المذكور] وهو تخلص من مآل المتقين لمآل المجرمين، فهو بمنزلة أما بعد.

قوله: ﴿وإن للطاغين﴾ أي الكافرين. قوله: ﴿لشر مآب﴾ مقابل قوله في حق المتقين ﴿لحسن مآب﴾. قوله: ﴿يصلونها﴾ أي يكونون بها على سبيل التأبيد، وهو لازم للدخول. قوله: [الفراش] أي الغطاء والوطاء. قوله: ﴿هذا﴾ مبتدأ، و﴿حميم﴾ و﴿غساق﴾ و﴿آخر﴾ خبره، و﴿من شكله﴾ صفة أولى لآخر، و﴿أزواج﴾ صفة ثانية له، وقوله: ﴿فليذوقوه﴾ جملة معترضة بين المبتدإ والخبر، وهذا أحسن ما يقال. قوله: [محرق] أي للأمعاء لقوله في الآية الأخرى ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [من صديد] الخ بيان لما، كأنه قال: وهو صديد أهل النار الذي يسيل من جلودهم وفروجهم. قوله: [بالجمع والإفراد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي مثل المذكور] أي في كونه حاراً يقطع الأمعاء. قوله: [من أنواع مختلفة] أي كالحيات والعقارب والضرب بالمطارق والزمهرير، وغير ذلك من أنواع العذاب، أجارنا الله منه. قوله: [ويقال لهم] أي من خزنة النار. قوله: ﴿مقتحم﴾ الاقتحام: الإلقاء في الشيء بشدة، فإنهم يضربون بمقامع من حديد، حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع. قوله: [فيقول المتبعون] أي جواباً للخزنة كأنهم يقولون: أنحسد على كثرة أتباعنا، مع كوننا وإياهم في النار؟

قوله: ﴿لا مرحباً بهم﴾ مفعول لفعل محذوف تقديره لا أتيتم مرحباً، أي مكاناً واسعاً. قوله: ﴿إنهم صالوا النار﴾ هو من كلام الرؤساء، أي إنهم صالوا النار كما صليناها. قوله: ﴿قالوا﴾ أي الأتباع، أي جواباً للرؤساء. قوله: ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ أي أنتم أحق بما قلتم لنا، فدأبهم أنه ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾. قوله: ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ أي دللتمونا عليه، بتزيين الأعمال السيئة لنا وأغويتمونا عليها. قوله: [النار] هذا هو المخصوص بالذم. قوله: ﴿قالوا﴾ [أيضاً] أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الأتباع. قوله: [أي مثل عذابه على كفره] أي وهو عذاب الدلالة على الكفر، فإن الدال على الشر كفاعله. قوله: [أي كفار مكة] أي كأبي جهل وأبيّ بن خلف وغيرهما. قوله: [وهم في النار] الجملة حالية.

نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾: في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ٦٢ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾: بضم السين وكسرها أي كنا نسخر بهم في الدنيا والياء للنسب أي أمفقودون هم ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾: مالت ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَارُ﴾ ٦٣: فلم نرهم وهم فقراء المسلمين كعمار وبلال وصهيب وسلمان ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾: واجب وقوعه وهو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ ٦٤: كما تقدم ﴿قُلْ﴾: يا محمد لكفار مكة ﴿إِنَّمَا أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾: مخوف بالنار ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ ٦٥: لخلقه ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ ٦٦: لأوليائه ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ٦٨: أي القرآن الذي أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحي وهو قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾: أي الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ٦٩: في شأن آدم حين قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خليفة﴾ الخ ﴿إِن﴾: ما ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠﴾: أي أني ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ٧٠: بين الإنذار اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ

قوله: ﴿ما لنا لا نرى رجالاً﴾ أي أيّ شيء ثبت لنا لا نبصر رجالاً، الخ. قوله: ﴿من الأشرار﴾ إنما سموهم أشراراً لأنهم خالفوا دينهم. قوله: ﴿اتخذناهم﴾ إمّا بوصل الهمز مكسورة، أو قطعها مفتوحة، قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى تكون الجملة صفة لرجالاً، أي رجالاً موصوفين بكوننا عددناهم من الأشرار، وبكوننا نسخر بهم في الدنيا، وعلى الثانية فالجملة استفهامية، حذفت همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام عنها، والمعنى ما لنا لا نرى رجالاً موصوفين، بكوننا عددناهم من الأشرار أتخذناهم سخرياً، فهم مفقودون من النار، أم زاغت عنهم الأبصار، أي هم معنا في النار، لكن زاغت أبصارنا عنهم فلم نرهم. قوله: [بضم السين وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي كنا نسخر بهم] راجع لقراءة الوصل. قوله: [والياء للنسب] أي على كل من القراءتين.

قوله: ﴿أم زاغت﴾ على قراءة الوصل تكون ﴿أم﴾ بمعنى بل، وعلى قراءة القطع تكون معادلة للهمزة. قوله: [وهم فقراء المسلمين] تفسير لقوله: ﴿رجالاً﴾. قوله: [وسلمان] المناسب إسقاطه، لأن الكلام في أهل مكة، وهو إنما أسلم في المدينة. قوله: ﴿إن ذلك﴾ أي المحكي عنهم من أقوالهم وأحوالهم. قوله: [وهو] ﴿تخاصم﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿تخاصم﴾ خبر لمحذوف، والجملة بيان لاسم الإشارة. قوله: ﴿إنما أنا منذر﴾ أي لا ساحر ولا شاعر، ولا كاهن، واقتصر على الإنذار لأن كلامه مع الكفار، وهم إنما يناسبهم الإنذار فقط، وإن كان مبشراً أيضاً. قوله: ﴿الواحد﴾ أي المعدوم المثيل في ذاته وصفاته وأفعاله، وقد ذكر أوصافاً خمسة، كل واحد منها يدل على انفراده تعالى بالألوهية.

قوله: ﴿رب السموات والأرض﴾ أي مالكهما. قوله: ﴿قل هو نبأ عظيم﴾ كرر الأمر إشارة إلى الاهتمام به. قوله: [أي القرآن] تفسير لهو. قوله: [بما يعلم] أي من القصص والأخبار وغيرهما. قوله: [وهو] أي ما لا يعلم إلا بوحي، وفيه أن ما لا يعلم إلا بوحي هو قوله: ﴿إذ قال ربك للملائكة﴾ الخ، لا قوله: ﴿ما كان لي من علم﴾ الخ، إلا أن يقال إنه ذكر توطئة وتمهيداً لما لا يعلم إلا بالوحي. قوله: [أي الملائكة] أي وابليس. قوله: ﴿إذ يختصمون﴾ منصوب إما بعلم أو بمحذوف، والتقدير: ما كان لي من علم بالملأ الأعلى وقت اختصامهم، أو ما كان لي من علم بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم. قوله: ﴿إلا أنما أنا نذير مبين﴾ ﴿إلا﴾ أداة حصر، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل يوحى، والتقدير: ما يوحى إلي إلا كوني نذيراً مبيناً، والحصر فيه وفي قوله: ﴿إنما أنا منذر﴾ اضافي، والمعنى لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم.

﴿لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ ٧١: هو آدم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾: أجريت ﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾: فصار حياً وإضافة الروح إليه تشريف لآدم والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ٧٢: سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ٧٣: فيه تأكيدان ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ٧٤: في علم الله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: أي توليت خلقه، وهذا تشريف لآدم فإن كل مخلوق تولى الله خلقه ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾: الآن عن السجود استفهام توبيخ ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ٧٥: المتكبرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي

قوله: ﴿إذ قال ربك﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [اذكر] ويصح أن يكون بدلاً من قوله: ﴿إذ يختصمون﴾ إن حمل الاختصام على ما حصل في شأن آدم فقط، وأما إن جعل عاماً، فلا يصح جعله بدلاً منه، بل ظرف لمحذوف. قوله: ﴿إني خالق بشراً﴾ أي انساناً ظاهر البشرة أي الجلد، ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر. قوله: [أجريت] ﴿فيه من روحي﴾ أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالنفخ حقيقته لاستحالته على الله تعالى، وإنما هو تمثيل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها. قوله: [والروح جسم لطيف] الخ هذا هو قول جمهور المتكلمين وهو الأصح، وقيل: إن الروح عرض، وهي الحياة التي صار الجسم بها حياً، وقيل: إنها ليست بجسم ولا عرض، بل هي جوهر مجرد قائم بنفسه، له تعلق بالبدن للتدبير والتحريك، غير داخل فيه ولا خارج عنه، وهو قول بعض الفلاسفة. قوله: [بنفوذه فيه] أي سريانه فيه، كسريان الماء في العود الأخضر. قوله: ﴿فقعوا﴾ الفاء واقعة في جواب إذا. قوله: [سجود تحية بالانحناء] جواب عما يقال: كيف جاز السجود لغير الله تعالى؟ وتقدم قول بأنه كان سجوداً حقيقة بالجباه. وتقدم الجواب عنه، بأن محل كون السجود لغير الله غير جائز، ما لم يأمر به المولى تعالى، أو يقال: إن السجود لله تعالى، وآدم جعل كالقبلة.

قوله: ﴿فسجد الملائكة﴾ الخ قيل: أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر، وقيل مائة سنة، وقيل خمسمائة سنة. قوله: [فيه تأكيدان] أي فكل منهما يفيد ما أفاده الآخر، وقيل: إن كل للإحاطة، و﴿أجمعون﴾ للاجتماع، فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم، وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرقين في أوقات. قوله: [كان بين الملائكة] أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وهو الحق، وتقدم تحقيق ذلك. قوله: [في علم الله] أي أن الله تعالى علم في الأزل أنه يكفر فيما لا يزال، وكان مسلماً عابداً، طاف بالبيت أربعة عشر ألف عام، وعبد الله ثمانين ألف عام. قوله: [أي توليت خلقه] أي بذاتي من غير واسطة أب وأم، وتثنية اليد لإظهار لكمال الاعتناء بخلقه عليه السلام. قوله: ﴿أستكبرت﴾ [الآن] الخ، أشار المفسر إلى جواب سؤال وارد وهو أن قوله: ﴿من العالين﴾ معناه المتكبرين، فيلزم عليه التكرار، فأجاب: بأن المعنى أتركت السجود لاستكبارك الحادث، أم لاستكبارك القديم.

قوله: ﴿قال أنا خير منه﴾ هذا جواب من إبليس لم يطابق الاستفهام السابق، لأنه أجاب بأنه إنما ترك السجود، لكونه خيراً منه، وبين ذلك بأن أصله من النار، وأصل آدم من الطين، والنار أشرف من الطين، لكون النار نورانية، والطين من الأرض وهي ظلمانية، والنوراني أشرف من الظلماني، وهذه شبهته، وقد أخطأ فيها، لأن مآل النار إلى الرماد الذي لا ينتفع به، والطين أصل لكل نام ثابت، كالإنسان والشجرة، ومن المعلوم أن الإنسان والشجرة خير من الرماد، وزيادة على ذلك، أن النوع الإنساني تشرف بأمور: الأول من جهة الفاعل المشار إليه بقوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾ والثاني

مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ٧٦ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾: أي من الجنة وقيل من السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ٧٧: مطرود ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ٧٨: الجزاء ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ٧٩: أي الناس ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ ٨١: وقت النفخة الأولى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ٨٣: أي المؤمنين ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ ٨٤: بنصبهما ورفع الأول ونصب الثاني فنصبه بالفعل بعده ونصب الأول قيل بالفعل المذكور وقيل على المصدر أي أحق الحق وقيل على نزع حرف القسم ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر أي فالحق مني وقيل فالحق قسمي وجواب القسم ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾: بذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾: أي الناس ﴿أَجْمَعِينَ ٨٥ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الرسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: جعل ﴿وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ٨٦: المتقولين القرآن من تلقاء نفسي ﴿إِنْ هُوَ﴾: أي ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ ٨٧: للإنس والجن والعقلاء دون الملائكة ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾: يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُ﴾: خبر صدقه بعد

من جهة الصورة المشار إليها بقوله: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ ومن جهة الغاية المشار إليها بقوله: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾؛ ولم يحصل ذلك لغير النوع الإنساني، فدل على أفضليته. قوله: [أي من الجنة] الخ هذا الخلاف مبني على الخلاف الواقع في أمر الملائكة بالسجود لآدم، هل كان بعد دخوله الجنة أو قبله؟ فقوله: [أي من الجنة] مبني على الأول، وقوله: [أو من السماوات] مبني على الثاني، وقيل: المعنى اخرج من الخلقة التي كنت عليها أولاً لما روي أن ابليس كان يفتخر بخلقته، فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض، وقبح بعد ما كان حسناً، وأظلم بعد ما كان نورانياً، وروي أن ابليس كان رئيساً على اثني عشر ألف ملك، وكان له جناحان من زمرد أخضر، فلما طرد غيرت صورته، وجعله الله معكوساً على مثال الخنازير، ووجهه كالقردة، وهو شيخ أعور، وفي لحيته سبع شعرات، مثل شعر الفرس، وعيناه مشقوقتان في طول وجهه، وأنيابه خارجة كأنياب الخنازير، ورأسه كرأس البعير، وصدره كسنام الجمل الكبير، وشفتاه كشفتي الثور، ومنخراه مفتوحتان مثل كوز الحجام. قوله: ﴿فإنك رجيم﴾ الخ، فإن قلت: إذا كان الرجم بمعنى الطرد، فاللعنة بمعناه ولزم التكرار. أجيب: بأن الرجم الطرد من الجنة أو السماء، واللعنة والطرد من الرحمة وهو أبلغ.

قوله: ﴿وإن عليك لعنتي﴾ ذكرها هنا بالإضافة وفي غيرها بالتعريف تفنناً. قوله: ﴿إلى يوم الدين﴾ فإن قلت: كلمة ﴿إلى﴾ لانتهاء الغاية، فتقتضي انقضاء اللعنة عند مجيء يوم الدين، مع أنها لا تنقطع؟ أجيب: أن اللعنة قبل يوم الدين من الله وعبيده بخلوده في العذاب، ومن العبيد طلب ذلك، وفي يوم الدين تحقق الوعيد والمطلوب. قوله: ﴿قال رب فأنظرني﴾ أي أمهلني وأخرني، والفاء متعلقة بمحذوف تقديرها إذ جعلتني رجيماً فأمهلني ولا تمتني إلى يوم يبعثون، أي آدم وذريته، وأراد بذلك أن يجد فسحة لإغوائهم، ويأخذ منهم ثأره، وينجو من الموت بالكلية، إذ لا موت بعد البعث. فأجابه الله تعالى بالإمهال مدة الدنيا لأجل الإغواء، لا بالنجاة من الموت.

قوله: ﴿قال فبعزتك﴾ الباء للقسم، ولا ينافيه قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿قال فبما أغويتني﴾ فإن إغواء الله تعالى له من آثار عزته التي أقسم بها هنا. قوله: [بنصبهما ورفع الأول] الخ أي فالقراءتان سبعيتان. قوله: [وجواب القسم] أي المذكور في بعض الأعاريب المتقدمة أو المحذوفة. قوله: ﴿أجمعين﴾ توكيد للضمير في ﴿منك﴾ وما عطف عليه. قوله: [دون الملائكة] إنما أخرجهم من العالمين، وإن كان لفظ العالمين يشملهم لأجل قوله: ﴿إن هو إلا ذكر﴾

حِينِۭ﴾٨٨: أي يوم القيامة وعلم بمعنى عرف واللام قبلها لام قسم مقدر أي والله.

والذكر معناه الموعظة والتخويف، وهو لا يناسب إلا الإنس والجن. قوله: [خبر صدقه] أي من ذكر الوعد والوعيد. قوله: [أي يوم القيامة] تفسير لـ﴿بعد حين﴾ والحين مدة الدنيا، وقال ابن عباس: بعد الموت، وقيل من طال عمره علم ذلك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾. قوله: [بمعنى عرف] أي فهو متعد لمفعول واحد وهو نبأه، وقيل: إن علم على بابها فتنصب مفعولين، والثاني قوله: ﴿بعد حين﴾.

***

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[٣٩] - سورة الزّمر

[مكية إلا ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية مدنية وهي خمس وسبعون آية]

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ﴾: القرآن مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾[١]: في صنعه ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق بأنزل ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[٢]: من الشرك أي موحداً له

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزمر مكية

إلا ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية مدنية

وهي خمس وسبعون آية

سميت بذلك لذكر لفظ الزمر فيها في قوله: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً، وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ وسيأتي أن الزمر جمع زمرة وهي الطائفة، وتسمى أيضاً سورة الغرف لذكر الغرف فيها، قال تعالى ﴿لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾ وروي من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه، فليقرأ سورة الغرف، وورد أنه ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني اسرائيل. قوله: [إلا قل يا عبادي] الخ، أي فإنها نزلت في وحشي قاتل حمزة عم النبي ﷺ، فإنه أسلم بالمدينة، وظاهره أنها آية واحدة، وقيل: إن الذي نزل بالمدينة سبع آيات، هذه الآية وست بعدها، وقيل: إنهما آيتان، هذه الآية، وقوله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ الآية، فتحصل أن فيها ثلاثة أقوال: قيل مكية إلا آية، وقيل إلا آيتين، وقيل إلا سبعاً. قوله: [وهي خمس وسبعون] وقيل: اثنتان وسبعون.

قوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله﴾ أي انزال القرآن كائن وحاصل من الله لا من غيره، نزل رداً لقول المشركين ﴿إنما يعلمه بشر﴾ ولقولهم ﴿إن به جنة﴾. قوله: ﴿إنا أنزلنا﴾ الخ، شروع في بيان تشريف المنزل عليه، اثر بيان شأن المنزل، من حيث كونه من عند الله. قوله: ﴿الكتاب﴾ هو عين الكتاب الأول، لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عيناً. قوله: [متعلق بأنزل] أي والباء سببية، والمعنى: بسبب الحق الذي أنت عليه واثباته واظهاره. قوله: ﴿فاعبد الله﴾ تفريع على قوله: ﴿انا أنزلنا إليك﴾ الخ، والخطاب له، والمراد ما يشمل جميع أمته. قوله: ﴿مخلصاً﴾ حال من فاعل أعبد، و﴿الدين﴾ مفعول لاسم فاعل. قوله: [أي موحداً له] أي مفرداً له بالعبادة والإخلاص، بأن لا تقصد بعملك

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾: لا يستحقه غيره ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾: الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: وهم كفار مكة قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾: قربى مصدر بمعنى تقريباً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: وبين المسلمين ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: من أمر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾: في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾[٣]: بعبادته غير الله ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: كما قالوا اتخذ الرحمن ولداً ﴿لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: واتخذه ولداً غير من قالوا الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهاً له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٤]: لخلقه ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: متعلق بخلق

ونيتك غير ربك. قوله: ﴿ألا لله الدين﴾ الخ، ﴿ألا﴾ أداة استفتاح، والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإخلاص.

قوله: ﴿والذين اتخذوا﴾ الخ، اسم الموصول مبتدأ، و﴿اتخذوا﴾ صلته، والخبر محذوف قدره المفسر بقوله: [قالوا] وقوله: ﴿ما نعبدهم﴾ الخ مقول لذلك القول، وقوله: ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ الخ استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يحصل لهم؟ وهذا هو الأحسن، وقيل: إن خبر المبتدأ هو قوله: ﴿إن الله يحكم﴾ الخ، وقوله: ﴿ما نعبدهم﴾ حال من فاعل ﴿اتخذوا﴾ على تقدير القول، أي قائلين ﴿ما نعبدهم﴾ الخ. قوله: [الأصنام] قدره اشارة إلى أن ﴿اتخذوا﴾ تنصب مفعولين، الأول محذوف. قوله: [وهم كفار مكة] تفسير للموصول. قوله: [قالوا] ﴿ما نعبدهم﴾ الخ، أي فكانوا إذا قيل لهم: من خلقكم، ومن خلق السماوات والأرض، ومن ربكم؟ فيقولون: الله، فيقال لهم: وما معنى عبادتكم الأصنام؟ فيقولون لتقربنا إلى الله زلفى، تشفع لنا عنده. قوله: [مصدر] أي مؤكد ملاق لعامله في المعنى، والتقدير ليزلفونا زلفى، أو ليقربونا قربى. قوله: [وبين المسلمين] أشار بذلك إلى أن المقابل محذوف. قوله: [فيدخل المؤمنين الجنة] أي فالمراد بالحكم تمييز كل فريق عن الآخر. قوله: ﴿إن الله لا يهدي﴾ أي لا يوفق للهدى من هو كاذب كفار، أي مجبول على الكذب والكفر في علمه تعالى. قوله: [في نسبة الولد إليه] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿إن الله لا يهدي﴾ الخ، توطئة لقوله: ﴿لو أراد الله﴾ الخ، ويصح أن يكون من تتمة ما قبله، وحينئذ فيقال كاذب في نسبة الألوهية لغيره تعالى.

قوله: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾ أي لو تعلقت ارادته باتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير، والآية اشارة إلى قياس استثنائي حذفت صغراه، ونتيجته وتقريره أن يقال: لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء، لكنه لم يصطف من خلقه شيئاً، فلم يرد أن يتخذ ولداً. قوله: [غير من قالوا] أي غير المخلوق الذي قالوا في شأنه، انه ابن الله. قوله: [تنزيهاً له عن اتخاذ الولد] أي لأنه ممتنع عقلاً ونقلاً، أما عقلاً فلأنه يلزم أن يكون الولد من جنس خالقه، وكونه جنساً منه، يستلزم حدوث الخالق وهو باطل، وأما نقلاً فقد تواترت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والكتب السماوية، على أن الله تعالى لم يتخذ ولداً.

قوله: ﴿هو الله الواحد القهار﴾ هذا بيان لتنزهه في الصفات، اثر بيان تنزهه في الذات، لأن الوحدة تنافي المماثلة فضلاً عن الولد، والقهارية تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد، وإلا لكان مقهوراً، تعالى الله عن ذلك. قوله: ﴿خلق السموات والأرض﴾ تفصيل لبعض أفعاله الدالة على انفراده بالألوهية، واتصافه بالصفات الجليلة. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٣: قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا﴾ الآية. أخرج جويبر عن ابن عباس في هذه الآية قال: أنزلت في ثلاثة أحياء: عامر، وكنانة، وبني سلمة، كانوا يعبدون الأوثان، ويقولون: الملائكة بناته، فقالوا: ﴿ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾.

﴿يُكَوِّرُ﴾: يدخل ﴿ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾: فيزيد ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ﴾: يُدخله ﴿عَلَى ٱلَّيْلِ﴾: فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾: في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾: لأوليائه ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: أي آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حوَّاء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبل والبقر والغنم والضأن والمعز ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: من كل زوجان ذكر وأنثى كما بيّن في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾: أي نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾: هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: عن عبادته

﴿يكور الليل﴾ من التكوير، وهو في الأصل اللف والليّ، يقال كوّر العمّامة على رأسه، أي لفّها ولوّاها، ثم استعمل في الادخال والاغشاء، فكأن الليل يغشي النهار، والنهار يغشي الليل. قوله: [فيزيد] تقدم أن منتهى الزيادة أربع عشرة ساعة، ومنتهى النقص عشر ساعات، فالزيادة أربع ساعات، تارة تكون في الليل، وتارة تكون في النهار. قوله: [ليوم القيامة] أي ثم ينقطع جريانه لانتقال العالم من الدنيا، فإن تسخير الشمس والقمر إنما كان في الدنيا لمصالح العالم، فلما انتقل العالم، فقد فرغت مصالحه. قوله: ﴿ألا هو العزيز الغفار﴾ إنما صدرت الجملة بحرف التنبيه، للدلالة على كمال الاعتناء بمضمونها، كأنه قال: تنبهوا يا عبادي، فإني الغالب على أمري، الستار لذنوب خلقي، فلا تشركوا بي شيئاً، وأخصلوا عبادتكم لي.

قوله: ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ هذا من جملة أدلة توحيده وانفراده بالعزة والقهر، وجميع صفات الألوهية. قوله: ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ إن قلت: إن ﴿ثم﴾ للترتيب، فيقتضي أن خلق الذرية قبل خلق حواء، وهو خلاف المعروف المشاهد. وأجيب بثلاثة أجوبة: الأول: أن ﴿ثم﴾ لمجرد الأخبار، لا لترتيب الإيجاد. الثاني: أن المعطوف متعلق بمعنى واحدة، و﴿ثم﴾ عاطفة عليه، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت متوحدة لم يخلق نظيرها، ثم شفعت بزوج. الثالث: أن معنى ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ أخرجكم منها يوم أخذ الميثاق في دفعة واحدة، لأن الله تعالى خلق آدم، وأودع في صلبه أولاده كالذر، ثم أخرجهم وأخذ عليهم الميثاق، ثم ردهم إلى ظهره، ثم خلق منهم حواء.

قوله: ﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾ الخ إنما عبر عنها بالنزول، لأنها تكونت بالنبات، وهو غذاء لها، والنبات بالماء المنزل، فهو يسمى عندهم بالتدريج، ومنه قوله تعالى ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً﴾ الآية، وقيل: إن الأنزال حقيقة لما روي أن الله خلق الأنعام في الجنة، ثم أنزلها في الأرض، كما قيل في قوله تعالى ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ فإن آدم لما هبط إلى الأرض نزل معه الحديد. قوله: ﴿ثمانية أزواج﴾ الزوج ما معه آخر من جنسه، ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر. قوله: [كما بين في سورة الأنعام] أي في قوله: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين﴾ الآيات.

قوله: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم﴾ هذا بيان لكيفية الخلق الدالة على باهر قدرته تعالى. قوله: ﴿خلقاً﴾ مصدر ليخلقكم. وقوله: ﴿من بعد خلق﴾ صفة لخلقاً. قوله: [أي نطفاً] الخ فيه قصور، وعكس ترتيب الإيجاد، فالمناسب أن يقول: أي حيواناً سوياً، من بعد عظام مكسوة لحماً، من بعد عظام عارية، من بعد مضغ، من بعد علق، من بعد نطف. قوله: ﴿في ظلمات﴾ بدل اشتمال من بطون أمهاتكم بإعادة الجار، ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه بالمصدر، لأنه من تتمة العامل فليس بأجنبي. قوله: [وظلمة المشيمة] أي فهي داخل الرحم، وهو داخل البطن، والمشيمة بوزن كريمة، وأصلها مشيمة بسكون الشين وكسر الياء، نقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها، وهي غشاء ولد الإنسان، ويقال لها الغلاف والكيس، ويقال لها من غير ولد الإنسان السلا.

إلى عبادة غيره ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾: وإن أراده من بعضهم ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾: الله فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾: بسكون الهاء وضمها مع إشباع ودونه أي الشكر ﴿لَكُمْ وَلَا تَزِرُ﴾: نفس ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾: نفس ﴿أُخْرَىٰ﴾: أي لا تحمله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾٧: بما في القلوب ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ﴾: أي الكافر ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾: تضرع ﴿مُنِيبًا﴾: راجعاً ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً﴾: أعطاه إنعاماً ﴿مِنْهُ نَسِيَ﴾: ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُوا﴾: يتضرع ﴿إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾: وهو الله فما في موضع من ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾: شركاء ﴿لِيُضِلَّ﴾: بفتح الياء وضمها ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: دين الإسلام ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾: بقية أجلك

قوله: ﴿ذلكم﴾ مبتدأ، و﴿الله ربكم﴾ خبران له وجملة ﴿له الملك﴾ خبر ثالث. قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ جملة مستأنفة نتيجة ما قبله، أي فحيث ثبت أنه ربنا وله الملك، نتج منه لا إله إلا هو. قوله: ﴿فأنى تصرفون﴾ أي تمنعون.

قوله: ﴿فإن الله غني عنكم﴾ أي له الغنى المطلق، فلا يفتقر إلى ما سواه. قوله: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ أي لا يفعل فعل الراضي، بأن يثيب فاعله ويمدحه، بل يفعل فعل الساخط، بأن ينهى عنه، ويعاقب فاعله ويذمه عليه. قوله: [وإن أراده من بعضهم] أشار بهذا إلى أنه لا تلازم بين الرضا والإرادة، بل قد يرضى ولا يريد، وقد يريد ولا يرضى، وإنما التلازم بين الأمر والرضا، خلافاً للمعتزلة القائلين بالتلازم بين الرضا والإرادة، وبنوا على ذلك أموراً فاسدة، ومن هنا قال العلماء: إن الأمور أربعة: تارة يأمر ويريد وهو الايمان من المؤمنين، وتارة لا يأمر ولا يريد وهو الكفر منهم، وتارة يأمر ولا يريد وهو الإيمان من الكفار، وتارة يريد ولا يأمر وهو الكفر من الكفار. وحكي أن رجلاً من المعتزلة تناظر مع رجل من أهل السنة، فقال المعتزلي: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال السني: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال المعتزلي: أيريد ربك أن يعصى؟ فقال السني: أيعصى ربنا قهراً؟ فقال المعتزلي: أرأيت إن منعني الهدى، وحكم علي بالردى، أحسن إلي أم أساء؟ فقال: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له، فالمالك يفعل في ملكه كيف يشاء، فبهت المعتزلي. قوله: ﴿يرضه لكم﴾ أي لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين، لا لانتفاعه به، تعالى الله عن ذلك. قوله: [بسكون الهاء] الخ أي فالقراءات ثلاث سبعيات.

قوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي لا يحمل شخص إثم كفر شخص آخر، وما ورد من أن الدال على الشر كفاعله، فمعناه أن عليه إثم فعله وإثم دلالته، ولا شك أن دلالته من فعله، فآل الأمر إلى أن عقابه على فعله، لا على فعل غيره، وقوله: ﴿وازرة﴾ أي وأما غير الوازرة فتحمل وزر غيرها، بمعنى أن من كان ناجياً، وأذن له في الشفاعة يشفع في غيره، فينتفع المشفوع له بتلك الشفاعة إن كان مسلماً، وأما الكافر فلا ينتفع بشفاعة مسلم ولا كافر. قوله: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ علة لقوله: ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ أي يخبركم بأعمالكم، لأنه عليم بما في القلوب، فضلاً عن غيرها. قوله: [أي الكافر] أشار بهذا إلى أن أل في الانسان للعهد. قوله: ﴿ضر﴾ المراد به جميع المكاره، كانت في نفسه أو ماله أو أهله. قوله: ﴿منيباً إليه﴾ أي تاركاً عبادة الأصنام لعلمه بأنها لا تقدر على كشف ما نزل به.

قوله: [أعطاه انعاماً] أي أعطاه على سبيل الانعام والاحسان، فانعاماً مفعول لأجله، لأن التحويل هو اعطاء النعم على سبيل التفضل والاحسان من غير مقتض لها. قوله: [وهو الله] أشار بذلك إلى أن ﴿ما﴾ موصولة بمعنى الذي مراداً بها الله تعالى، ويصح أن يراد بها الضر، والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو لكشفه، ويصح أن يكون ﴿ما﴾ مصدرية، والمعنى نسي كونه داعياً من قبل تخويل النعمة، والأظهر ما قاله المفسر. قوله: ﴿ليضل﴾ اللام للعاقبة والصيرورة. قوله: [بفتح الياء وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿قل تمتع بكفرك﴾ الأمر للتهديد، وفيه إشعار بقنوطه من التمتع في الآخرة. قوله: [بقية أجلك] أشار

﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ﴾[٨] ﴿أَمَّنْ﴾: بتخفيف الميم ﴿هُوَ قَانِتٌ﴾: قائم بوظائف الطاعات ﴿آنَاءَ ٱللَّيْلِ﴾: ساعاته ﴿سَاجِداً وَقَائِماً﴾: في الصلاة ﴿يَحْذَرُ ٱلآخِرَةَ﴾: أي يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ﴾: جنة ﴿رَبِّهِ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة: أم من فأم بمعنى بل والهمزة ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلأَلْبَابِ﴾[٩]: أصحاب العقول ﴿قُلْ يَا عِبَادِ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾: أي عذابه بأن تطيعوه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾: بالطاعة ﴿حَسَنَةٌ﴾: هي الجنة ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾: فهاجروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى

بذلك إلى أن ﴿قليلاً﴾ صفة لموصوف محذوف، أي زماناً قليلاً. قوله: ﴿إنك من أصحاب النار﴾ أي ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام. قوله: ﴿أم من هو قانت﴾ هذا من تمام الكلام المأمور بقوله، وحينئذ فالمعنى قل للكافر ﴿أم من هو قانت﴾ الخ. قوله: [بتخفيف الميم] أي والهمزة للاستفهام الانكاري و﴿من﴾ موصولة مبتدأ، خبره محذوف قدره بقوله: [كمن هو عاص]. قوله: ﴿آناء الليل﴾ جمع إني بالكسر والقصر، كمعي وامعاء. قوله: [ساعاته] أي أوله ولوسطه وآخره، وفي الآية دليل على أفضلية قيام الليل على النهار، لما في الحديث: «ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتي لا ينامون». وقال ابن عباس: من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة، فليره الله في ظلمة الليل. قوله: [وفي قراءة أمن] أي بالتشديد، وعليها فأم داخلة على من الموصولة، فأدغمت الميم في الميم، وترسم على هذه القراءة ميماً واحدة متصلة بالنون كقراءة التخفيف اتباعاً لرسم المصحف، والاعراب على كل من القراءتين واحد لا يتغير، وقوله: [بمعنى بل] أي التي للاضراب الانتقالي، وقوله: [والهمزة] أي التي للاستفهام الانكاري، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿الذين يعلمون﴾ أي وهم المؤمنون العارفون بربهم، وقوله: ﴿والذين لا يعلمون﴾ أي وهم الكفار. قوله: [أي لا يستويان] أشار به إلى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ أي أصحاب القلوب الصافية والآراء السديدة، وخصهم لأنهم المنتفعون بالتذكر.

قوله: ﴿قل يا عبادي﴾ الخ، أمر الله سبحانه وتعالى رسول الله ﷺ بأوامر لنفسه ولأمته، زيادة في الحث لهم على التجرد لطاعة الله تعالى، واجتناب الشكوك والأوهام. قوله: [بأن تطيعوه] أي تتمثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه، وهو تفسير للتقوى التي هي جعل العبد بينه وبين العذاب وقاية. قوله: ﴿للذين﴾ خبر مقدم و﴿أحسنوا﴾ صلته، و﴿في هذه الدنيا﴾ متعلق بأحسنوا، ﴿حسنة﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: [هي الجنة] أي بجميع ما فيها من النعيم المقيم، فهي بمعنى قوله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾.

قوله: ﴿وأرض الله واسعة﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وهي حالية. قوله: [فهاجروا إليها] الخ، أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض أرض الدنيا، والمعنى من تعسرت عليه التقوى في محل، فليهاجر إلى محل آخر يتمكن فيه من ذلك، إذ لا عذر في التفريط أصلاً، وكانت الهجرة قبل فتح مكة شرطاً في صحة الاسلام، فلما فتحت مكة نسخ كونه شرطاً، وصارت تعتريها الأحكام، فتارة تكون واجبة، كما إذا هاجر من أرض لا يتيسر له فيها اقامة دينه، لأرض يتعلم فيها دينه

---

* أسباب نزول الآية ٩: قوله تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر في قوله تعالى ﴿أمن هو قانت﴾ الآية، قال: نزلت في عثمان بن عفان؛ وأخرج ابن سعد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت في عمار بن ياسر، وأخرج جويبر عن ابن عباس قال: نزلت في ابن مسعود، وعمار بن ياسر، وسالم مولى أبي حذيفة. وأخرج جويبر عن عكرمة قال: نزلت في عمار بن ياسر.

ٱلصَّٰبِرُونَ﴾: عن الطاعة وما يبتلون به ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾١٠: بغير مكيال ولا ميزان ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾١١: من الشرك ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ﴾: أي بأن ﴿أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾١٢: من هذه الأمة ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾١٣ قُلِ ﴿ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾١٤: من الشرك ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾: غيره فيه تهديد لهم وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: بتخليد الأنفس في النار وبعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾١٥: البين ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾: طباق ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾: من النار ﴿ذَٰلِكَ

ويقيم شعائره، وتارة تكون مندوبة، كما إذا هاجر من أرض لا أخيار بها، لأرض بها أخيار، يجتمع عليهم للإرشاد، وتكون مكروهة، كما إذا هاجر من أرض بها الأخيار وأهل العلم والصلاح، لأرض لا أخيار بها ولا علم ولا عمل، وتارة تكون محرمة، كما إذا هاجر من أرض يأمن فيها على دينه، لأرض لا يأمن فيها عليه.

قوله: ﴿إنما يوفى الصابرون﴾ هذا ترغيب في التقوى المأمور بها. قوله: [على الطاعات] أي أو عن المعاصي. قوله: [وما يبتلون] أي ومن جملته مفارقة الوطن المأمور بها في قوله ﴿وأرض الله واسعة﴾. قوله: ﴿بغير حساب﴾ أي لما ورد: «تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج؛ فيوفون بها أجورهم، ولا تنصب لأهل البلاء، بل يصب عليهم الأجر صباً حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا، أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل».

قوله: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله﴾ الخ الحكمة في هذا الإخبار، اعلام الأمة بأن يتصفوا به ويلزموه، فإن العادة أن المتصف بخلق، ثم يأمر به، أو يعرض بالأمر به، يؤثر في غيره كما قيل: حال رجل في ألف رجل، أنفع من حال ألف رجل في رجل. قوله: [من هذه الأمة] جواب عما يقال: إن رسول الله ﷺ ليس أول المسلمين مطلقاً، فأجاب: بأن الأولية بحسب سبق الدعوة. قوله: ﴿قل إني أخاف﴾ سبب نزولها: أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ما حملك على هذا الذي أتيتنا به، ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها؟ فنزلت، فالمقصود منها زجر الغير عن المعاصي، لأنه ﷺ إذا كان خائفاً مع كمال طهارته وعصمته، فغيره أولى، وذلك سنة الأنبياء والصالحين؛ حيث يخبرون غيرهم بما هم متصفون به ليكونوا مثلهم، لا الملوك والمتجبرين، حيث يأمرون غيرهم بما لم يتصفوا به. قوله: [فيه تهديد لهم] أي من حيث الأمر. قوله: [وإيذان] أي اعلام.

قوله: ﴿الذين خسروا﴾ خبر ﴿إن﴾. قوله: ﴿وأهليهم﴾ أي أزواجهم وخدمهم يوم القيامة، لما ورد: أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلاً وأهلاً في الجنة، فمن عمل بطاعة الله، كان ذلك المنزل والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله، فخسر نفسه وأهله ومنزله، وقيل: المراد أهلهم في الدنيا؛ لأنهم إن كانوا من أهل النار، فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة، فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده. قوله: ﴿يوم القيامة﴾ أي حين يدخلون النار. قوله: [بتخليد الأنفس] راجع لقوله: ﴿أنفسهم﴾. قوله: [بعدم وصولهم إلى الحور العين] الخ، راجع لقوله: ﴿وأهليهم﴾ على سبيل اللف والنشر المرتب. قوله: ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ أي الذي لا خفاء فيه، وتصدير الجملة بأداة التنبيه، إشارة إلى فظاعته وشناعته.

قوله: ﴿لهم من فوقهم ظلل﴾ ﴿لهم﴾ خبر مقدم، و﴿ظلل﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿من فوقهم﴾ حال. قوله: [طباق] أي قطع كبار، وإطلاق الظلل عليها تهكم، وإلا فهي محرقة، والظلة تقي من الحر. قوله: ﴿ومن تحتهم ظلل﴾ أي

﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾: أي المؤمنين ليتقوه يدل عليه ﴿يَا عِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾١٦ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا ٱلطَّاغُوتَ﴾: الأوثان ﴿أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا﴾: أقبلوا ﴿إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾: بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾١٧ ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾: وهو ما فيه صلاحهم ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾١٨: أصحاب العقول ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾: أي لأملأن جهنم الآية ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾: تخرج ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾١٩: جواب الشرط وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر والهمزة للإنكار والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾: بأن أطاعوه

لغيرهم وإن كان فراشاً لهم، لأن النار دركات، فما كان فراشاً لجماعة، يكون ظلة لآخرين. قوله: ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ أي فالحكمة في ذكر أحوال أهل النار، تخويف المؤمنين منها ليتقوها بطاعة ربهم. قوله: [يدل عليه] أي على الوصف المقدر وهو قوله: [المؤمنين].

قوله: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ الخ، قيل: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم، سألوا أبا بكر رضي الله عنه، فأخبرهم بإيمانه فآمنوا. قوله: [الأوثان] هذا أحد أقوال في تفسيره، وقيل هو الشيطان، وقيل: كل ما عبد من دون الله تعالى، وقيل: غير ذلك. قوله: ﴿لهم البشرى﴾ [بالجنة] أي على ألسنة الرسل، أو على ألسنة الملائكة، عند حضور الموت، وفي الحقيقة البشرى تحصل لهم في الدنيا، بالثناء عليهم بصالح أعمالهم، وعند الموت وعند الوضع في القبر، وعند الخروج من القبور، وعند الوقوف للحساب، وعند المرور على الصراط، ففي كل موقف من هذه المواقف، تحصل لهم البشارة بالروح والريحان.

قوله: ﴿فبشر عباد﴾ أي الموصوفين باجتناب الأوثان، والانابة إلى الله تعالى، والإضافة لتشريف المضاف. قوله: ﴿الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ قيل: المراد يسمعون الحسن والقبيح، فيتحدثون بالحسن ويكفون عن القبيح، وقيل: يسمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن، وقيل: يسمعون القرآن وأقوال الرسول، فيتبعون المحكم ويعملون به، ويتركون المتشابه ويفوضون علمه لله تعالى، وقيل: يسمعون العزيمة والرخصة، فيأخذون العزيمة ويتركون الرخصة، وكل صحيح. قوله: ﴿أولئك الذين هداهم الله﴾ أي الموصوفون بتلك الأوصاف.

قوله: ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾ الخ، يحتمل أن من شرطية، وجوابها قوله: ﴿أفأنت تنقذ من في النار﴾ كما قال المفسر، وأعيدت الهمزة لتأكيد معنى الانكار ولطول الكلام، وأقيم الظاهر مقام المضمر، أي أفأنت تنقذه، ويحتمل أنها موصولة مبتدأ، والخبر محذوف تقديره أنت لا تنفعه فجملة قوله: ﴿أفأنت تنقذ من في النار﴾ مستقلة مؤكدة لما قبلها، وهذه الآية نزلت في حق أبي لهب وولده، ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الايمان، وقد كان حريصاً على إيمانهم. قوله: [والهمزة] أي الأولى والثانية توكيد لها. قوله: [للإنكار] أي الاستفهام الانكاري. قوله: [والمعنى لا تقدر على هدايته] الخ، أشار بهذه إلى أن قوله: ﴿أفأنت تنقذ من في النار﴾ مجاز مرسل، حيث أطلق المسبب وأراد السبب، لأن الادخال في النار مسبب عن الضلال وترك الهدى، كأنه قال: أنت تهدي من أضله الله، وجعل له النار بسبب ضلاله، وجعلها السمرقندي في حواشي رسالته استعارة بالكناية، حيث شبه استحقاقهم العذاب

---

* أسباب نزول الآية ١٧: قوله تعالى: ﴿فبشر عباد﴾ الآية، أخرج جويبر بسنده عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت ﴿لها سبعة أبواب﴾ الآية، أتى رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ان لي سبعة مماليك وإني قد أعتقت لكل باب منها مملوكاً، فنزلت فيه هذه الآية ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ قوله تعالى: ﴿والذين اجتنبوا الطاغات﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أن هذه الآية نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.

﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾: منصوب بفعله المقدر ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ ٢٠ وعده ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ﴾: أدخله أمكنة نبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييبس ﴿فَتَرَاهُ﴾: بعد الخضرة مثلا ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾: فتاتاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾: تذكيراً ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ٢١: يتذكرون به لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾: فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: كمن طبع على قلبه دل على هذا ﴿فَوَيْلٌ﴾: كلمة عذاب ﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾: أي عن قبول القرآن ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٢٢: بيّن ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾: بدل من أحسن أي قرآناً ﴿مُّتَشَابِهًا﴾: أي يشبه بعضه

بالدخول في النار، على طريق المكنية في المركب، وحذف المركب الدال على المشبه به، ورمز له بذكر شيء من لوازمه وهو الانقاذ، وفيه إشكال، انظر بسطه في حاشيتنا على رسالة البيان، لأستاذنا الشيخ الدردير.

قوله: ﴿لكن الذين اتقوا﴾ أي وهم الموصوفون بالصفات الجميلة السابقة المخاطبون بقوله: ﴿يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ الآية، ولكن ليست للاستدراك، وإنما هي للإضراب عن قصة إلى قصة مخالفة للأولى. قوله: ﴿لهم غرف من فوقها غرف﴾ مقابل قوله في حق أهل النار ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾. قوله: [بفعله المقدر] أي وتقديره وعدهم الله وعداً. قوله: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ الخ، استئناف مسوق لبيان تمثيل الحياة الدنيا في سرعة زوالها وقرب اضمحلالها، بما ذكر من أحوال الزرع تحذيراً عن زخارفها والاغترار بها. قوله: [أدخله أمكنة نبع] أي فمراده بالينابيع الأمكنة التي أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد، بحيث تكون قريبة من وجه الأرض، وتطلق الينابيع على نفس الماء الجاري على وجه الأرض، وكل صحيح. قوله: ﴿ثم يخرج به زرعاً﴾ صيغة المضارع لاستحضار الصورة واستمرارها. قوله: ﴿مختلفاً ألوانه﴾ أي من أحمر وأخضر وأصفر وأبيض، واختلاف تلك الألوان، إما ثماره أو عوده، ومراده بالزرع كل ما يستنبت. قوله: [فتاتاً] أي متفتتاً ومتمزقاً.

قوله: ﴿أفمن شرح الله صدره﴾ الخ، الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أكل الناس سواء؟ فمن شرح الله صدره الخ، والاستفهام إنكاري، ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله: [كمن طبع] الخ، وهذه الآية مرتبة على قوله ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾. قوله: ﴿فهو على نور من ربه﴾ أي نور المعرفة والاهتداء، وفي الحديث: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح، فقيل: ما علامة ذلك؟ قال: الانابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزوله». قوله: [دل على هذا] أي المقدر. قوله: [كلمة العذاب] أي كلمة تفيد العذاب للمخاطب بها. قوله: [أي عن قبول القرآن] أشار بذلك إلى أن ﴿من﴾ بمعنى عن، وفي الكلام مضاف محذوف، ويصح أن تبقى من على بابها للتعليل، أي قست قلوبهم من أجل ذكر الله، لفساد قلوبهم وخسرانها. ومن المعلوم المشاهد، أن الأطعمة الفاخرة، تكون داء لبعض المرضى، ومن هنا قول بعض العارفين: ألا بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب.

قوله: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ الخ، سبب نزولها*: أن أصحاب رسول الله ﷺ حصل لهم بعض ملل، فقالوا

---

* أسباب نزول الآية ٢٣: قوله تعالى: ﴿الله نزل﴾ الآية. تقدم سببها في سورة يوسف.

بعضاً في النظم وغيره ﴿مَثَانِيَ﴾: ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرهما ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾: ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾: يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾: تطمئن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾: أي عند ذكر وعده ﴿ذَلِكَ﴾: أي الكتاب ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ٢٣ ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي﴾: يلقى ﴿بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي أشده بأن يلقى في النار مغلولة يداه إلى عنقه كمن أمن منه بدخول الجنة ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾: أي كفار مكة ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ٢٤: أي جزاءه ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: رسلهم في إتيان العذاب ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٥: من جهة لا تخطر ببالهم ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾: الذل

لرسول الله ﷺ: حدثنا حديثاً حسناً، فنزلت. قوله: [في النظم] أي اللفظ، وقوله: [وغيره] أي المعنى كالبلاغة والدلالة على المنافع. قال البوصيري رضي الله عنه في هذا المعنى:

ردّت بلاغتها دعوى معارضها ... ردّ الغيور يد الجاني عن الحرم
فما تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام من الإكثار بالسأم

واعلم أنه في هذه الآية أثبت أن القرآن متشابه، وفي آية أخرى أثبت أنه محكم، وفي آية أخرى أن بعضه محكم وبعضه متشابه، ووجه الجمع بينها أن المراد بالمتشابه في آية الاقتصار عليه، ما أشبه بعضه بعضاً في اللفظ والمعنى من حيث البلاغة وحسن الترتيب، وبالمحكم في آية الاقتصار عليه ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبالمتشابه في آية الجمع ما خفي معناه، وبالمحكم ما ظهر معناه، وتقدم هذا الجمع. قوله: ﴿مثاني﴾ جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير، ووصف به المفرد وهو الكتاب، لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل تثنى وتكرر، نظير قولك: الإنسان عروق وعظام وأعصاب. قوله: [وغيرهما] أي كالقصص والأحكام.

قوله: ﴿وتقشعر منه﴾ أي تنقبض وتتجمع من الخوف. قوله: [عند ذكر وعيده] أشار بهذا إلى أن ﴿إلى﴾ بمعنى عند. قوله: [تطمئن] أي تسكن وتستقر. قوله: [أي عند ذكر وعده] أشار إلى أن ﴿إلى﴾ بمعنى عند، فالتضمين في الحرف وهو أحد وجهين، والآخر أنه ضمن ﴿تلين﴾ معنى تسكن، فعداه بإلى، والمفسر قد جمع بينهما. والحاصل: أن الله تعالى بين حال المؤمن عند سماع القرآن، ففي حال ذكر الوعيد يغلب عليه الخوف فيتصاغر، وفي حال ذكر الوعد، يغلب عليه الرجاء، فيتسع صدره، وتطمئن نفسه لأن الخوف والرجاء مصحوبان للعبد، كجناحي الطائر إن عدم أحدهما سقط. قوله: [أي الكتاب] أي الموصوف بتلك الصفات. قوله: ﴿هدى الله﴾ أي سبب في الهدى أو بولغ فيه، حتى جعل نفس الهدى.

قوله: ﴿أفمن يتقي﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أكل الناس سواء فمن يتقي الخ، ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله كمن أمن منه. قوله: [مغلولة يداه] أي وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة، فتشتعل النار فيها، وهي في عنقه، فحرها ووهجها على وجهه، لا يطيق دفعها عنه للأغلال التي في يده وعنقه. قوله: ﴿وقيل للظالمين﴾ التعبير بالماضي لتحقق الحصول. قوله: [أي كفار مكة] الأوضح أن يقول: أي الكفار من هذه الأمة. قوله: [أي جزاؤه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ بيان لحال المكذبين قبلهم، وما حصل لهم في الدنيا من العذاب. قوله: [لا تخطر ببالهم] المراد بالجهة السبب، أي أتاهم العذاب بسبب لا يخطر ببالهم، كاللواط في قوم لوط مثلاً. قوله:

والهوان من المَسْخ والقَتْل وغيره ﴿فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا﴾: أي المكذّبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ٢٦: عذابها ما كذبوا ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾: جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢٧: يتعظون ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: حال مؤكدة ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾: أي لبس واختلاف ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ٢٨: الكفر ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾: للمشرك والموحّد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾: بدل من مثلاً ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾: متنازعون سيئة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾: خالصاً ﴿لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: تمييز أي لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد فإن الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم وهذا مثل للمشرك والثاني مثل للموحد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾: أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٩: ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون ﴿إِنَّكَ﴾: خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ٣٠: ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت نزلت لما استبطؤوا موته ﷺ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾: أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ ٣١ ﴿فَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ

﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي يصدقون ويوقنون، وقوله: [ما كذبوا] جواب ﴿لو﴾. قوله: ﴿ولقد ضربنا﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، ومعنى ﴿ضربنا﴾ بيّنا ووضحنا. قوله: [حال مؤكدة] أي لفظ قرآناً، وكما تسمى [مؤكدة] بالنسبة لما قبلها، تسمى موطّئة بالنسبة لما بعدها، كما تقول: جاء زيد رجلاً صالحاً. قوله: ﴿غير ذي عوج﴾ نعت لقرآناً أو حال أخرى. قوله: [أي لبس واختلاف] أي فمعناه صحيح لا لبس ولا تناقض فيه. قوله: ﴿لعلهم يتقون﴾ علة لقوله: ﴿لعلهم يتذكرون﴾.

قوله: ﴿ضرب الله مثلاً﴾ الخ، والمعنى: اضرب يا محمد لقومك هذا المثل، واذكره لهم لعلهم يؤمنون. قوله: ﴿متشاكسون﴾ التشاكس التخالف والتشاجر مع سوء الخلق، ومثله التشاخس بخاء معجمة بدل الكاف. قوله: ﴿ورجلا سالماً﴾ بألف بعد السين مع كسر اللام، وتركها مع فتح السين واللام، قراءتان سبعيتان، فالأولى اسم فاعل، والثانية مصدر وصف به على سبيل المبالغة، وقرئ شذوذاً بكسر السين وسكون اللام. قوله: ﴿هل يستويان﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: [تمييز] أي محول عن الفاعل، والمعنى لا يستوي مثلهما وصفتهما. قوله: [أي لا يستوي العبد لجماعة] هذا هو المثل المحسوس للمشرك الذي يعبد غير الله، وقوله: [لجماعة] أي سيئة أخلاقهم، وقوله: [والعبد لواحد] هذا هو المثل المحسوس للموحد الذي يعبد الله وحده، وقوله: [فإن الأول] الخ، تقرير للمثل الأول، ولم يتعرض للثاني لوضوحه.

قوله: ﴿الحمد لله﴾ أي على عدم استواء هذين الرجلين. قوله: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي مع بيان ظهوره، وهو اضراب إنتقالي من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور، إلى بيان أن أكثر الناس لا يعلمون ذلك. قوله: ﴿إنك ميت﴾ العامة على التشديد وهو من سيموت، وأما الميت بالتخفيف فهو من فارقته الروح بالفعل. قوله: [فلا شماتة بالموت] الشماتة الفرح ببلية العدو. قوله: [نزلت لما استبطؤوا موته] الخ، أي وذلك أنهم كانوا ينتظرون موته، فأخبر الله تعالى بأن الموت يعمهم، فلا معنى لشماتة الفاني بالفاني. قوله: [أيها الناس] أي مؤمنكم وكافركم، وقوله: ﴿تختصمون﴾ أي يخاصم بعضكم بعضاً، فيقتص للمظلوم من الظالم، لما روي أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم ولا متاع له، فقال رسول الله ﷺ: إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار». قوله:

﴿كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾: بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾: بالقرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مأوى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ ٣٢ بلى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾: هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾: هم المؤمنون فالذي بمعنى الذين ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ٣٣: الشرك ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٣٤: لأنفسهم بإيمانهم ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٣٥ أسوأ وأحسن بمعنى السيء والحسن ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾: أي النبي بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾: الخطاب له ﴿بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾: أي الأصنام أي تقتله أو تخبله ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ٣٦ ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾: غالب على أمره ﴿ذِي انتِقَامٍ﴾ ٣٧: من أعدائه؟ بلى ﴿وَلَئِن﴾: لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: أي الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾: لا

[أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿ممن كذب على الله﴾ أي ومن جملة الكذب على الله، الكذب على رسوله، بأن يقول مثلاً: قال رسول الله كذا، أو هذا شرعه، والحال أنه لم يكن قاله، ولم يكن شرعه.

قوله: ﴿إذ جاءه﴾ ظرف لكذب بالصدق، والمعنى كذب بالصدق وقت مجيئه. قوله: [بلى] أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريري، والمعنى ﴿في جهنم مثوى للكافرين﴾ لأن [بلى] يجاب بها النفي ويصيره إثباتاً كما تقدم. قوله: [فالذي بمعنى الذين] أي بالنسبة للصلة الثانية، ولذا روعي معناه، فجمع في قوله: ﴿أولئك هم المتقون﴾ وروعي لفظه في قوله: ﴿جاء﴾ و﴿صدق﴾. قوله: ﴿لهم ما يشاؤون﴾ أي كل ما يشتهون من وقت حضور الموت، كالأمن من الفتانات عنده، ومن فتنة القبر وعذابه، ومن هول الموقف إلى غير ذلك. قوله: [لأنفسهم] متعلق بالمحسنين، وفيه إشارة إلى أن إحسان الإنسان لنفسه، وثمرته عائدة عليها، فلا يعود على الله نفع محسن، ولا ضر مسيء، تعالى الله عنه، والإحسان للنفس، يكون بطاعة الله والالتجاء إليه وبذل المعروف للخلق محبة في الخالق، وبهذا تكون النفس عزيزة: ومن أعز نفسه أعزه الله. وبضدها تتميز الأشياء.

قوله: ﴿ليكفر الله عنهم﴾ متعلق بمحذوف، أي يسر الله لهم ذلك ليكفر الخ، واللام للعاقبة والصيرورة، وهو تفصيل لقوله: ﴿لهم ما يشاؤون﴾. قوله: [بمعنى السيء والحسن] أي فأفعل التفضيل ليس على بابه، وهو جواب عما يقال: مقتضاه أنه يكفر عنهم الأسوأ فقط، ويجازون على الأحسن فقط، ولا يكفر عنهم السيء، ولا يجازون على الحسن. قوله: ﴿عبده﴾ أي رسول الله ﷺ، وقيل: المراد به الخالص في العبودية لله وهو الأتم، ويؤيده قراءة عباده بالجمع، وهي سبعية أيضاً، والمعنى أن من أخلص لله في عبادته كفاه ما أهمه في دينه ودنياه وآخرته.

قوله: ﴿ويخوفونك﴾ يصح أن تكون الجملة حالية، والمعنى أن الله كافيك في كل حال تخويفهم لك، ويصح أن تكون مستأنفة. قوله: [أو تخبله] أي تفسد أعضاءه وتذهب عقله. قوله: ﴿ذي انتقام﴾ أي ينتقم من أعدائه لأوليائه، وتأخير قوله: [بلى] للإشارة إلى أنه راجع لقوله: ﴿ذي انتقام﴾ أيضاً. قوله: ﴿ليقولن الله﴾ أي فلا جواب لهم غيره، لقيام البراهين الواضحة على أنه المنفرد بالخلق والإيجاد. قوله: ﴿قل أفرأيتم﴾ الخ رأى متعدية لمفعولين: الأول

---

* أسباب نزول الآية ٣٦: قوله تعالى: ﴿ويخوفونك﴾ الآية، أخرج عبد الرزاق عن معمر: قال لي رجل: قالوا للنبي ﷺ: لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فلتخبلنك، فنزلت ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ الآية.

﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾: لا، وفي قراءة بالإضافة فيهما ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ
الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ٣٨: يثق الواثقون ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: على حالتي ﴿فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ﴾ ٣٩ ﴿مَنْ﴾: موصولة مفعولة العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾: ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ ٤٠: دائم هو
عذاب النار وقد أخزاهم الله ببدر ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾: متعلق بأنزل ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾:
اهتداؤه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ٤١: فتجبرهم على الهدى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ
مَوْتِهَا وَ﴾: يتوفى ﴿الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾: أي يتوفاها وقت النوم ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ
الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أي وقت موتها والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس ﴿إِنَّ

قوله: ﴿ما تدعون﴾، والثاني قوله: ﴿هل هن كاشفات ضره﴾ الخ، وقوله: ﴿إن أرادني﴾ الخ، جملة شرطية معترضة بين المفعول الأول والثاني، وجوابها محذوف لدلالة المفعول الثاني عليه، وتقديره لا كاشف له غيره. قوله: ﴿إن أرادني الله بضر﴾ قدمه لأن دفعه أهم، وخص نفسه لأنه جواب لتخويفه من الأصنام. قوله: ﴿هل هن﴾ عبر عنها بضمير الإناث تحقيراً لها، ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث، كاللات والعزى ومناة. قوله: [وفي قراءة بالاضافة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿قل حسبي الله﴾ أي كافي فلا ألتفت لغيره. قوله: [يثق الواثقون] أي يعتمد المعتمدون.

قوله: ﴿قل يا قوم اعملوا﴾ الخ، هذا الأمر للتهديد. قوله: [حالتكم] أي وهي الكفر والعناد، وفيه تشبيه الحال بالمكان، بجامع الثبوت والاستقرار في كل. قوله: [مفعولة العلم] أي لأنها بمعنى عرف، فتنصب مفعولاً واحداً. قوله: ﴿يخزيه﴾ أي يهينه ويذله. قوله: ﴿للناس﴾ أي لمصالح الناس في معاشهم ومعادهم. قوله: [متعلق بأنزل] ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف حال، إما من فاعل أنزل، أو من مفعوله. قوله: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ هذا تسلية له ﷺ، والمعنى ليس هداهم بيدك ولا في ضمانتك، حتى تقهرهم وتجبرهم عليه، وإنما هو بيدنا، فإن شئنا أبقيناهم على ما هم عليه من الضلال.

قوله: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ أي يقبض الأرواح عند حضور آجالها، فالنفس والروح شيء واحد على التحقيق، وذلك القبض ظاهر، بحيث ينعدم التمييز والاحساس، وباطناً بحيث تنعدم الحياة والنفس والحركة. قوله: ﴿و﴾ [يتوفى] ﴿التي لم تمت في منامها﴾ أشار بذلك إلى أن الموصول معطوف على ﴿الأنفس﴾ مسلط عليه ﴿يتوفى﴾ والمعنى يقبض الأرواح التي لم تحضر آجالها عند نومها ظاهراً، بحيث ينعدم التمييز والاحساس لا باطناً، فإن الحياة والنفس والحركة باقية، ولذا عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية، تهجم على الشخص قهراً عليه، تمنع حواسه الحركة، وعقله الادراك، وأما في حالة اليقظة فالروح سارية في الجسد ظاهراً وباطناً، لأنها جسم لطيف شفاف، مشتبك بالأجسام الكثيفة، اشتباك الماء بالعود الأخضر على هيئة جسد صاحبها، وقيل مقرها القلب، وشعاعها مقوم للجسد، كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج، فأصلها في وسطه، ونورها سار في جميع أجزائه.

قوله: ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ أي لا يردها إلى جسدها، وتحيا حياة دنيوية. قوله: [أي وقت موتها] ظاهره أن قوله: ﴿إلى أجل مسمى﴾ راجع لقوله: ﴿ويرسل الأخرى﴾ فقط، ويصح رجوعه له وللذي قبله، ويراد بالأجل المسمى في الممسوكة النفخة الثانية. قوله: [نفس التمييز] أي والاحساس. قوله: [نفس الحياة] أي والحركة والنفس. قوله: [بخلاف العكس] أي فمتى ذهبت نفس الحياة، لا تبقى نفس التمييز والاحساس، واعلم أنه اختلف، هل في الإنسان روح واحدة والتعدد باعتبار أوصافها وهو التحقيق، أو روحان: إحداهما روح اليقظة، التي أجرى الله

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾: دلالات ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٤٢: فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث وقريش لم يتفكروا في ذلك ﴿أَمِ﴾: بل ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾: أي الأصنام آلهة ﴿شُفَعَاءَ﴾: عند الله بزعمهم ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿أَ﴾: يشفعون ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾: من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ٤٣: أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾: أي هو مختص بها فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٤٤ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾: أي دون آلهتهم ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾: نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾: أي الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ٤٥ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾: بمعنى يا الله ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مبدعهما ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: ما غاب وما شوهد ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ٤٦: من أمر الدين اهدني لما اختلفوا فيه من الحق ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا﴾: ظهر ﴿لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ٤٧: يظنون ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٤٨: أي العذاب ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾: الجنس ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾: أعطيناه ﴿نِعْمَةً﴾: إنعاماً ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: من

العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان الانسان متيقظاً، فإذا خرجت منه، نام الانسان ورأت تلك الروح المنامات، والأخرى: روح الحياة، التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان حياً، فإذا فارقته مات، فإذا رجعت إليه حيي، وكلام المفسر محتمل للقولين. قوله: [المذكور] أي من التوفي والامساك والارسال. قوله: [وقريش لم يتفكروا] قدره ليكون قوله: ﴿أم اتخذوا﴾ إضراباً انتقالياً. قوله: [أي الأصنام] بيان للمفعول الأول. قوله: ﴿أ﴾ [يشفعون] أشار بهذا إلى أن الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه. قوله: ﴿لا﴾ أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: [أي هو مختص بها] جواب عما يقال: مقتضى الآية نفي الشفاعة عن غيره تعالى، مع أنه قد جاء في الأخبار: إن للأنبياء والعلماء والشهداء شفاعات، فأجاب: بأن المعنى لا يملك الشفاعة إلا الله، وشفاعات هؤلاء بإذن الله ورضاه، قال تعالى ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾. قوله: ﴿ثم إليه ترجعون﴾ أي تردون فيجازيكم بأعمالكم.

قوله: ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾ ﴿إذا﴾ معمولة لقوله ﴿اشمأزت﴾ قوله: ﴿إذا هم يستبشرون﴾ أي لنسيانهم حق الله تعالى، وهذه الآية تجر بذيلها على أهل اللهو والفسوق، الذين يختارون مجالس اللهو ويفرحون بها، على مجالس الطاعات. قوله: ﴿قل اللهم﴾ أي التجىء إلى ربك بالدعاء والتضرع، فإنه القادر على كل شيء. قوله: [أي يا الله] أي فحذفت ياء النداء، وعوض عنها الميم وشددت، لتكون على حرفين كالمعوض عنه. قوله: [اهدني] هذا هو المقصود بالدعاء، وتمام تلك الدعوة النبوية على ما ورد: اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

قوله: ﴿ولو أن للذين ظلموا﴾ الخ، بيان لغاية شدة ما ينزل بهم. قوله: ﴿لافتدوا به﴾ أي بالمذكور من الأمرين. قوله: ﴿يوم القيامة﴾ ظرف ﴿لافتدوا﴾. قوله: ﴿وبدا لهم﴾ الخ، كلام مستأنف أو معطوف على قوله: ﴿ولو أن للذين ظلموا﴾ الخ. قوله: ﴿سيئات ما كسبوا﴾ أي الأعمال السيئة حين تعرض عليهم صحائفهم. قوله: [الجنس] أي فهو

---

* أسباب نزول الآية ٤٥؛ قوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الله﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن مجاهد: أنها نزلت في قراءة النبي ﷺ النجم عند الكعبة وفرحهم عند ذكر الآلهة.

الله يأتي له أهل ﴿بَلْ هِيَ﴾: أي القولة ﴿فِتْنَةٌ﴾: بلية يبتلى بها العبد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾٤٩: أن التخويل استدراج وامتحان ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم كقارون وقومه الراضين بها ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾٥٠ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: أي جزاؤها ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾: أي قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾٥١: بفائتين عذابنا فقحطوا سبع سنين ثم وسع عليهم ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾: امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾٥٢: به ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾: بكسر النون وفتحها وقرىء بضمها تيأسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾: لمن تاب من الشرك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾٥٣ ﴿وَأَنِيبُوا﴾: ارجعوا

إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفراده. قوله: [إنعاماً] أي تفضلاً وإحساناً. قوله: ﴿على علم﴾ [من الله] الخ أي أو مني بوجود سببه، أو أني أعطيته بسبب محبة الله لي وفلاحي. قوله: [أي القولة] أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على [القولة] وقيل عائد على النعمة، والمعنى أن النعمة فتنة، أي امتحان واختبار، هل يشكر عليها أو يكفرها. قوله: [أن التخويل] أي إعطاء النعم تفضلاً وإحساناً. قوله: [الراضين بها] أشار بذلك إلى أن قومه لم يقولوها بالفعل، وإنما نسبت لهم من حيث رضاهم بها. قوله: ﴿سيئات ما كسبوا﴾ أي جزاء أعمالهم السيئة. قوله: ﴿من هؤلاء﴾ بيان للذين ظلموا. قوله: [فقحطوا سبع سنين] أي أوائل سني الهجرة، حتى أكلوا الجيف والعظم المحرق. قوله: [ثم وسع عليهم] أي استدراجاً لهم، لا رضاً عليهم.

قوله: ﴿أو لم يعلموا﴾ أي القائلون: إنما أوتيته على علم عندي. قوله: ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أي وإن كان لا حيلة له ولا قوة، طائعاً أو عاصياً. وقوله: ﴿ويقدر﴾ أي لمن يشاء، وإن كان قوياً شديداً، طائعاً أو عاصياً، فليس لبسط الرزق الدنيوي ولا لقبضه، مدخل في محبة الله ولا بغضه، بل بحكمته تعالى. قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور.

قوله: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا﴾ الخ سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ بعث إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الاسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني إلى دينك، وأنت تزعم أنه من قتل أو اشرك أو زنى يلق أثاماً يضاعف له العذاب، وأنا فعلت ذلك كله؟ فأنزل الله ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ فقال وحشي: هذا شرط شديد، لعلي لا أقدر عليه، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ قال وحشي: اراني بعد في شبهة، أيغفر لي أم لا؟ فنزلت هذه الآية، فقال وحشي: نعم، الآن لا أرى شرطاً فأسلم، وهذه الآية عامة لكل كافر وعاص، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومن ثم قيل: إنها أرجى آية في كتاب الله تعالى، وفيها من أنواع المعاني والبيان أمور حسان، منها: إقباله تعالى على خلقه ونداؤه إياهم. ومنها: إضافتهم إليه إضافة

---

* أسباب نزول الآية ٥٣: قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا﴾ الآية، تقدم حديث الشيخين في سورة الفرقان، وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية في مشركي أهل مكة. وأخرج الحاكم والطبراني عن ابن عمر قال: كنا نقول ما لمفتتن توبة إذا ترك دينه بعد اسلامه ومعرفته، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل فيهم ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا﴾ الآية.

وأخرج الطبراني بسند فيه ضعف عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ الى وحشي قاتل حمزة يدعوه الى الإسلام فأرسل اليه كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو زنى أو أشرك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً، وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ الآية، فقال وحشي: هذا شرط شديد ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل الله ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فقال وحشي: هذا أرى بعده مشيئة فلا أدري أيغفر لي أم لا؟ فهل غير هذا؟ فأنزل الله ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ الآية، قال وحشي: هذا نعم، فأسلم.

﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾: أخلصوا العمل ﴿لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ٥٤: بمنعه إن لم تتوبوا ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾: هو القرآن ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ٥٥:

تشريف، ومنها: التفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿من رحمة الله﴾. ومنها: إضافة الرحمة لأجل اسمائه، الجامع لجميع الأسماء والصفات، وهو لفظ الجلالة. ومنها: الاتيان بالجملة المعرفة الطرفين المؤكدة بأن وضمير الفصل في قوله: ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ للاشارة إلى أنه تعالى لا وصف له مع عباده إلا الغفران والرحمة، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما شدد على الكفار التشديد العظيم في قوله ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً﴾ الآية، أتبعها بذكر عظيم غفرانه ورحمته لمن آمن، ليجمع العبد بين الرجاء والخوف. قوله: ﴿الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ أي فرطوا في الأعمال الصالحة، وارتكبوا سيىء الأعمال، وأكثروا منه. قوله: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ إن قلت: إن في هذا إغراء بالمعاصي، واتكالاً على غفرانه تعالى، وهو لا يليق. أجيب: بأن المقصود تنبيه العاصي على أنه ينبغي له ان يقدم على التوبة، ولا يقنط من رحمة الله، وليس ذلك إغراء بالمعاصي، بل هو تطمين للعصاة، وترغيب لهم في الإقبال على ربهم. قوله: [بكسر النون وفتحها] أي من باب جلس وسلم وهما سبعيتان. قوله: [وقرىء بضمها] أي من باب دخل، وهي شاذة.

قوله: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ أي إشراكاً أو غيره، وهو مقيد بالتوبة كما قال المفسر لأن بها يخرج العاصي من ذنوبه كيوم ولدته أمه لما في الحديث: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» وأما من مات مسلماً ولم يتب من ذنوبه فأمره مفوض لربه، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر جرمه، ثم يدخله الجنة، وأما من مات مشركاً، فلا يغفر له بنص قوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ ومن هنا قيل: رحمة الله غلبت غضبه لأن دار الغضب مخصوصة بمن مات مشركاً، بخلاف دار الرحمة، فهي لمن عدا ذلك. قوله: [لمن تاب من الشرك] إنما خص الشرك، لأن التوبة منه مقبولة قطعاً بنص قوله تعالى ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ بخلاف التوبة من غير الشرك، ففيها قولان: قيل مقبولة ظناً، وقيل قطعاً، والفرق أن تعذيب العاصي تطهير، وتعذيب الكافر غضب، فمآل العاصي للجنة، وإن طالت مدته في النار لأن معاملته بالفضل والرحمة بخلاف الكافر، فمعاملته بالعدل. قوله: ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ تعليل لما قبله، وهذان الوصفان يكونان لمن تاب، فالغفران له دخوله الجنة.

قوله: ﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾ أتى بهذه الآية عقب التي قبلها لئلا يتكل العاصي على الغفران، ويترك التوبة والرجوع إلى الله، فأفاد أن الرجوع إلى الله والإقبال عليه مطلوب، ومن ترك ذلك فله الوعيد العظيم. قوله: [إن لم تتوبوا] راجع لقوله: ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب﴾. قوله: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ أي على لسان أحسن نبي وهو محمد ﷺ، وهذا معطوف على قوله: ﴿وأنيبوا﴾ والمعنى: ارجعوا إلى ربكم، والزموا أوامر أحسن كتاب أنزل إليكم ونواهيه، وهذا الخطاب عام للأولين والآخرين من لدن آدم إلى يوم القيامة، ولكن من أدركه التكليف كلف باتباعه، ومن لم يدركه بأن كان متقدماً عليه، يلزمه اتباعه لو فرض أنه أدركه، ومن هنا أخذ الميثاق على الأنبياء وأممهم، إن ظهر محمد ﷺ وأحدهم حي يلزمه اتباعه، وفي الحديث: «لو أدركني موسى ما وسعه إلا اتباعي». وحينئذ فالمعنى: اتبعوا يا عبادي من أول الزمان لآخره، أحسن كتاب أنزل إليكم من ربكم، فالمكلف بهذا الخطاب من أدركه ومن لم يدركه، لكن من لم يدركه مكلف به لولا مانع الموت، ولذا كلف به من بقي حياً حتى أدركه، كالخضر وإلياس وعيسى عليهم السلام. قوله: [القرآن] تفسير لأحسن، فإن ما أنزل إلينا من ربنا كتب كثيرة، وأحسنها القرآن، وهذا كله على ما فهم المفسر، وقيل: معنى ﴿أحسن ما أنزل إليكم﴾ الخ، أي من القرآن وهو أوامره دون نواهيه، أو عزائمه دون رخصه، أو ناسخه دون منسوخه، أو ما هو أعم، والخطاب لخصوص هذه الأمة فتدبر.

قبل إتيانه بوقته فبادروا قبل ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى﴾: أصله يا حسرتي أي ندامتي ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾: أي طاعته ﴿وَإِنْ﴾: مخففة من الثقيلة أي وإني ﴿كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ ٥٦: بدينه وكتابه ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾: بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ٥٧: عذابه ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٥٨: المؤمنين فيقال له من قبل الله ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾: القرآن وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾: تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٩ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾: بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مأوى ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ٦٠: عن الإيمان؟ بلى ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ﴾: من جهنم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: الشرك ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: أي بمكان فوزهم من الجنة بأن

قوله: ﴿أن تقول نفس﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [بادروا قبل] ﴿أن تقول﴾ الخ، وقدره غيره كراهة أو مخافة ﴿أن تقول نفس﴾ الخ، وحينئذ فيكون مفعولاً لأجله، وهو أسهل مما قدره المفسر، والمراد نفس الكافر، ونكرها للتحقير. قوله: [أصله يا حسرتي] أي فقلبت الياء ألفاً، وهي في محل جر، ونداؤها مجاز، أي هذا أوانك فاحضري. قوله: [أي طاعته] أشار بذلك إلى أن المراد بالجنب الطاعة مجازاً، لأن الجنب في الأصل الجهة المحسوسة، ويرادفه الجانب، فشبهت الطاعة بالجهة بجامع تعلق كل بصاحبه، لأن الطاعة لها تعلق بالله تعالى، والجهة لها تعلق بصاحبها. قوله: ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ الجملة حالية، والمعنى فرطت في جنب الله وأنا ساخر. قوله: ﴿أو تقول﴾ الخ ﴿أو﴾ للتنويع في مقالة الكافر. قوله: [بالطاعة] وفي نسخة بألطافه أي إسعافه، ولو قال بآياته لكان أظهر.

قوله: ﴿فأكون من المحسنين﴾ إما معطوف على ﴿كرة﴾ فيكون من جملة التمني، والفاء عاطفة للفعل على الاسم الخالص، نظير قول الشاعر:

لولا توقع معتر فأرضيه ... ما كنت أوثر أتراباً على ترب

ويكون إضمار ﴿إن﴾ جائزاً لا واجباً، قال ابن مالك:

وإن على اسم خالص فعل عطف ... تنصبه إن ثابتاً أو منحذف

أو منصوب في جواب التمني، ويكون مرتباً على التمني، والفاء للسببية، وإضمار ﴿إن﴾ واجب. قوله: [فيقال له] الخ، أي جواباً لمقالته الثانية، وأخر عن الثالثة، ليتصل كلام الكافر بعضه ببعض، ولم تؤخر المقالة الثانية عن الثالثة، لئلا يكون مخالفاً للترتيب الوجودي، فإن الكافر أولاً يتحسر، ثم يحتج بحجج واهية، ثم يتمنى الرجوع إلى الدنيا، إن قلت: إن ﴿بلى﴾ يجاب بها النفي ولا نفي في الآية، أجيب: بأن الآية متضمنة للنفي، لأن معنى قوله: ﴿لو أن الله هداني﴾ لم يهدني. قوله: [وهي سبب الهداية] أشار بذلك إلى أن المراد بالهداية الوصول بالفعل، وأما إن أريد بها مطلق الدلالة، فالآيات نفسها دالة. قوله: [بنسبة الشريك] الخ أشار بذلك إلى أن المراد كذب يؤدي للكفر، وإلا فظاهر الآية يعم كل كذب على الله تعالى، وحينئذ ففيها تحذير وتخويف لمن يتعمد الكذب على الله تعالى، كالافتاء بغير الشرع، ورواية الحديث بالكذب.

قوله: ﴿وجوههم مسودة﴾ الجملة حالية إن جعلت الرؤية بصرية، أو مفعول ثان إن جعلت علمية. قوله: ﴿أليس في جهنم﴾ الخ هذا تقرير لاسوداد وجوههم. قوله: ﴿اتقوا﴾ [الشرك] أي جعلوا بينهم وبينه وقاية وهو الإيمان، وهذه تقوى العامة، وتقوى الخواص فعل الطاعات وترك المعاصي، وتقوى خواص الخواص عدم خطور الغير ببالهم. قوله: ﴿بمفازتهم﴾ الباء سببية متعلقة بينجي، وفي قراءة سبعية أيضاً بمفازاتهم جمعاً باعتبار الأشخاص. قوله: [أي بمكان

يجعلوا فيه ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦١ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ ٦٢: متصرف فيه كيف يشاء ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ٦٣: متصل بقوله ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الخ وما بينهما اعتراض ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ ٦٤: غير منصوب بأعبد المعمول لتأمروني بتقدير أن بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾: والله ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾: يا محمد فرضاً ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٦٥ بَلِ ٱللَّهَ﴾: وحده ﴿فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ٦٦: إنعامه ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ

فوزهم] أي بمكان ظفرهم بمقصودهم، والمعنى ينجي الله المتقين بسبب دخولهم في مكان ظفرهم بمقصودهم وهو الجنة. قوله: ﴿لا يمسهم السوء﴾ يحتمل أن تكون هذه الجملة مستأنفة مفسرة لمفازتهم، فلا محل لها من الاعراب، ويحتمل أن تكون حالية من قوله: ﴿الذين اتقوا﴾.

قوله: ﴿الله خالق كل شيء﴾ هذا دليل لما قبله، ودخل في الشيء الجنة وما فيها، والنار وما فيها، وحينئذ فلا مشارك لله في خلقه. قوله: ﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ المقاليد جمع مقلاد أو مقليد، والكلام كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء في السماوات أو الأرض، وروي عن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن المقاليد فقال: تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، فهذه الكلمات مفاتيح خزائن السماوات والأرض، من تكلم بها فتحت له. قوله: [من المطر] الخ، بيان للخزائن. قوله: [متصل بقوله وينجي] أي فهو معطوف عليه، من عطف جملة اسمية على فعلية ولا مانع منه. قوله: [المعمول لتأمروني] أي والأصل أتأمرونني بأن أعبد غير الله، قدم مفعول ﴿أعبد﴾ على تأمروني العامل في عامله وحذفت. قوله: [بنون واحدة] أي مخففة مع فتح الياء لا غير، وهذه نون الرفع، كسرت للمناسبة، واستغني بها عن نون الوقاية. قوله: [بإدغام] أي مع فتح الياء وسكونها وقوله: [وفك] أي مع سكون الياء لا غير، فالقراءات أربع سبعيات.

قوله: ﴿ولقد أوحي إليك﴾ الخ، اللام موطئة لقسم محذوف، أي والله لقد أوحي الخ، ونائب الفاعل قوله: ﴿لئن أشركت﴾ الخ، والمعنى أوحي إليك هذا الكلام. قوله: [فرضاً] أي على سبيل التقدير وفرض المحال، وهو جواب عن سؤال مقدر: كيف يقع الشرك من الأنبياء مع عصمتهم؟ وقيل: المقصود بالخطاب أممهم لعصمتهم من ذلك، إن قلت: كان مقتضى الظاهر لئن أشركتم، فما وجه إفراد الخطاب؟ أجيب: بأن المعنى أوحي إلى كل واحد منهم لئن أشركت الخ، كما يقال: كسانا الأمير حلة، أي كسا كل واحد منا حلة. قوله: ﴿ليحبطن عملك﴾ من باب تعب، وقرىء شذوذاً من باب ضرب. قوله: ﴿ولتكونن من الخاسرين﴾ عطف مسبب على سبب وجملة المعطوف والمعطوف عليه جواب القسم الثاني وهو ﴿لئن أشركت﴾، والقسم الثاني وجوابه جواب عن القسم الأول ﴿ولقد أوحي﴾ وحذف جواب الشرط وهو إن أشركت للقاعدة. قوله: ﴿بل الله فاعبد﴾ عطف على محذوف، والتقدير فلا تشرك بل الله الخ. قوله: ﴿وكن من الشاكرين﴾ أي على ما أعطاك من التوفيق لطاعته وعبادته، لأن الشكر على ذلك أفضل من الشكر على باقي النعم.

---

* أسباب نزول الآية ٦٤: قوله تعالى: ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد﴾ الآية. سيأتي سبب نزولها في سورة الكافرين. وأخرج البيهقي في الدلائل عن الحسن البصري قال: قال المشركون للنبي ﷺ: أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد فأنزل الله ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد﴾ الى قوله ﴿من الشاكرين﴾.

﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما عرفوه حق معرفته أو ما عظّموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً﴾: حال أي السبع ﴿قَبْضَتُهُ﴾: أي مقبوضة له أي في مُلكه وتصرفه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾: مجموعات ﴿بِيَمِينِهِ﴾: بقدرته ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٦٧ : معه ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾: مات ﴿مَن فِي

قوله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ إن قلت: إن مفهوم الآية يقتضي أن المؤمنين يعرفون الله حق معرفته، ومقتضى قوله ﷺ: «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك». وقوله: «سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته، إنه لا يعلم الله إلا الله» فكيف الجمع بينهما؟ أجيب: بأن الآية محمولة على المعرفة المأمور بها المكلف بتحصيلها، ولا شك أن المؤمنين عرفوه حق معرفته التي فرضت عليهم، وهي تنزيهه عن النقائص، ووصفه بالكمالات، والحديث محمول على المعرفة التي لم تفرض على العباد، وهي معرفة الحقيقة والكنه فتدبر، فتحصل أن العجز عن الإدراك ادراك، والبحث عن الذات اشراك، ولم يكلفنا الله إلا بأن ننزهه عما سواه سبحانه وتعالى. قوله: [أو ما عظموه حق عظمته] مفهومه أنهم عظموه ولا حق تعظيمه وهو كذلك، لأنهم معترفون بأنه الإله الأكبر، الخالق لكل شيء.

قوله: ﴿والأرض جميعاً﴾ الخ، الجملة حالية من لفظ الجلالة والمعنى ما عظموه حق تعظيمه، والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة، وقدم الأرض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها. قوله: [أي في ملكه وتصرفه] أشار بذلك الى أنه ليس المراد حقيقة القبض، بل المراد التصرف والملك ظاهراً وباطناً، بخلاف أمور الدنيا، فإن للعبيد فيها أملاكاً ظاهرية، وقيل إنه كناية عن انعدامها بالمرة وهو ظاهر، ويقال في الطي مثل ذلك له.

قوله: ﴿ونفخ في الصور﴾ الخ التعبير في هذا وما بعده بالماضي لتحقق وقوعه، أي لكونه واقعاً في علم الله تعالى أزلاً لأن كل ما ظهر فهو جار في سابق علمه تعالى، والنافخ اسرافيل وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره عليهم السلام، والصور بسكون الواو في قراءة العامة وهو القرن فيه ثقب بعدد جميع الأرواح، وله ثلاث شعب: شعبة تحت الثرى تخرج منها الأرواح وتتصل بأجسادها، وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح الى الموتى، وشعبة في فم اسرافيل وهو ملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، والعرش على كاهله، وقدماه قد نزلتا عن الأرض السفلى مسيرة مائة عام. قوله: [النفخة الأولى] ظاهر المفسر أن النفخ مرتان: نفخة الصعق، ونفخة البعث، وهو ظاهر الآية، وقيل: إن النفخ ثلاث مرات: فالنفخة الأولى تطول وتكون بها الزلزلة وتسيير الجبال وتكوير الشمس وانكدار النجوم وتسخير البحار، والناس أحياء والهون ينظرون إليها، فتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وهي المعنية بقوله تعالى ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ والنفخة الثانية يكون بها الصعق، وعندها يموت كل من كان حياً حياة دنيوية، وأما من كان حياً حياة برزخية فإنه يغشى عليه، والنفخة الثالثة نفخة القيام، وبين هاتين النفختين أربعون سنة على الصحيح، لتستريح الأرض من الهول الذي حصل لها، وفي تلك المدة تمطر السماء وتنبت الأرض، ولا حي على ظهرها من سائر المخلوقات. قوله: [مات] أي من كان

---

* أسباب نزول الآية ٦٧: وأخرج الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: مر يهودي بالنبي ﷺ فقال: كيف تقول يا أبا القاسم اذا وضع الله السماوات على ذه والأرضين على ذه والماء على ذه والجبال على ذه، فأنزل الله ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية، والحديث في الصحيح بلفظ فتلا دون فأنزل. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: غدت اليهود فنظروا في خلق السماوات والأرض والملائكة، فلما فرغوا أخذوا يقدرونه، فأنزل الله ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾. وأخرج عن سعيد بن جبير قال: تكلمت اليهود في صفة الرب، فقالوا بما لم يعلموا ولم يروا، فأنزل الله الآية، وأخرج ابن المنذر عن الربيع بن أنس قال: لما نزلت ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾ قالوا: يا رسول الله، هذا الكرسي هكذا فكيف العرش؟ فأنزل الله ﴿وما قدروا الله﴾ الآية.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ : من الحور والولدان وغيرهما ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ﴾ : أي جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ ٦٨ : ينتظرون ما يفعل بهم ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ : أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ : حين يتجلى لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ : كتاب الأعمال للحساب ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ : أي

حياً في الدنيا، ويغشى على من كان ميتاً من قبل، لكنه حي في قبره، كالأنبياء والشهداء. قوله: [من الحور] الخ أي فهو استثناء من الصعق بمعنى الموت، ويستثنى منه بمعنى الغشي والدهش موسى عليه السلام، فإنه لا يغشى عليه، بل يبقى متيقظاً ثابتاً لأنه صعق في الدنيا في قصة الجبل، فلا يصعق مرة أخرى. قوله: [وغيرهما] أي كجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت، فإنهم لا يموتون بالنفخة الأولى، وإنما يموتون بين النفختين، لما روي: أن رسول الله ﷺ تلا ﴿ونفخ في الصور﴾ الآية فقالوا: يا نبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى؟ قال: «هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت، فيقول الله لملك الموت: يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو أعلم، فيقول: يا رب بقي جبريل وميكائيل واسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت، فيقول الله تعالى: خذ نفس اسرافيل وميكائيل، فيخران ميتين كالطودين العظيمين، فيقول: مت يا ملك الموت، فيموت، فيقول الله لجبريل: يا جبريل من بقي؟ فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، وجهك الباقي الدائم، وجبريل الميت الفاني، فيقول الله تعالى: يا جبريل لا بد من موتك، فيقع ساجداً يخفق بجناحيه يقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت، يا ذا الجلال والإكرام».

قوله: ﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ أي بعد أربعين سنة على الصحيح، وقرب نفخة القيام، تأتي سحابة من تحت العرش، فتمطر ماء خاثراً كالمني، فتنبت أجسام الخلائق كما تنبت البقل فتتكامل أجسامهم، وكل ابن آدم تأكله الأرض، إلا عجب الذنب، فإنه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف، فتركب عليه أجزاؤه، فاذا تم وتكامل نفخ فيه الروح، ثم انشق عنه القبر، ثم قام خلقاً سوياً، وفي النفخة الثانية يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، والأعضاء المتمزقة، والشعور المنتثرة، إن الله المصور الخالق يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، فيجتمعن، ثم ينادي: قوموا للعرض على الجبار فيقومون، كما قال تعالى ﴿يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾ الآية، فإذ خرجوا من قبورهم تتلقى المؤمنون بمراكب من رحمة الله، كما قال تعالى ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً﴾ ويمشي المجرمون على أقدامهم حاملين أوزارهم، كما قال تعالى ﴿ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً﴾ وفي الآية الأخرى ﴿يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾. قوله: ﴿فإذا هم قيام﴾ بالرفع في قراءة العامة خبر عن الضمير، وقرىء شذوذاً بالنصب على الحال، وخبر الضمير قوله: ﴿ينظرون﴾. قوله: [ما يفعل بهم] أي من الحساب والمرور على الصراط، وإدخالهم الجنة أو النار.

قوله: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ المراد بالأرض: الأرض الجديدة المبدلة التي يحشر الناس عليها. قوله: [حين يتجلى] أي حين يكشف الحجاب عن الخلائق فيرونه حقيقة لما في الحديث: «سترون ربكم لا تمارون فيه كما لا تمارون في الشمس في اليوم الصحو». وهذا النور يخلقه الله تعالى فتضيء به الأرض، وليس من نور الشمس والقمر، وهو مخصوص بمن يرى الله تعالى في القيامة وهم المؤمنون. قوله: ﴿ووضع الكتاب﴾ أي أعطي كل واحد من الخلائق كتابه بيمينه أو شماله.

قوله: ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ أي وذلك أن الله تعالى يجمع الخلائق الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم: ألم يأتكم نذير؟ فينكرون ويقولون: ما جاءنا من نذير، فيسأل الله تعالى الأنبياء عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم، فيسألهم البينة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيقولون: أمة محمد تشهد لنا، فيؤتى بأمة محمد ﷺ

بمحمد ﷺ وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾: أي العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ٦٩: شيئاً ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: أي جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾: أي عالم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ٧٠: فلا يحتاج إلى شاهد ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بعنف ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: جماعات متفرقة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: جواب إذا ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾: القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾: أي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ٧١ ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: مقدرين الخلود ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ٧٢: جهنم ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾:

فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا، فتقول الأمم الماضية: من أين علموا، وإنما كانوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلت الينا رسولاً، وأنزلت علينا كتاباً، أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل، وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد ﷺ فيسأله الله تعالى عن أمته، فيزكيهم ويشهد بصدقهم. قوله: [أي العدل] أي بالنسبة للكافرين، وأما المؤمنون فحكمه فيهم بالفضل. قوله: [أي جزاءه] إشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [أي عالم] أشار بذلك الى أن اسم التفضيل ليس على بابه، إذ لا مشاركة بين القديم والحادث. قوله: [فلا يحتاج الى شاهد] أي لأنه عالم بمقادير أفعالهم وكيفياتها، وإنما الشهود وكتابة الأعمال لحكم عظيمة، منها إقامة الحجة على من عاند، وقد أشار صاحب الجوهرة لهذا بقوله:

والعرش والكرسي ثم القلم ... والكاتبون اللوح كل حكم
لا لاحتياج وبها الإيمان ... يجب عليك أيها الإنسان

قوله: ﴿وسيق الذين كفروا﴾ الخ، هذه الآية وما بعدها تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾. قوله: [بعنف] أي شدة، لأنهم يضربون من خلف بالمقامع، ويسحبون من أمام بالسلاسل والأغلال. قوله: ﴿الى جهنم﴾ المراد دار العذاب بجميع طبقاتها. قوله: ﴿زمراً﴾ جمع زمرة من الزمر وهو الصوت، سموا بذلك لأن الجماعة لا تخلو غالباً عنه. قوله: [جماعات متفرقة] أي فوجاً فوجاً كما في آية ﴿كلما ألقي فيها فوج﴾ والمعنى كل أمة على حدة. قوله: ﴿حتى إذا جاؤوها﴾ ﴿حتى﴾ ابتدائية تبتدأ بعدها الجمل. قوله: ﴿فتحت أبوابها﴾ أي ليتلقوا حرارتها بأنفسهم. قوله: [جواب إذا] أي باتفاق. قوله: ﴿رسل منكم﴾ أي من جنسكم. قوله: [القرآن] أي بالنسبة لأمة محمد ﷺ، وقوله: [وغيره] أي بالنسبة لبقية الأمم. قوله: ﴿لقاء يومكم هذا﴾ أضاف اليوم لهم باعتبار انحصار شدته فيهم، وليس المراد به يوم القيامة جميعه، فإنه مختلف باعتبار الاشخاص، فيكون نعيماً وسروراً للمؤمنين، وشدة وعذاباً للكافرين.

قوله: ﴿قالوا بلى﴾ إقرار بما وقع منهم، وإنما أنكروا حين سألهم الله تعالى طمعاً في النجاة، فلما قامت الحجج عليهم، وتحتم الأمر بعذابهم، رأوا أن الإنكار لا فائدة فيه فأقروا، وبالجملة فالقيامة مواطن، تارة ينكرون وتارة تقر أعضاؤهم، وتارة يقرون بألسنتهم. قوله: ﴿على الكافرين﴾ أظهر في محل الإضمار اشارة لسبب استحقاقهم العذاب وهو الكفر. قوله: [مقدرين الخلود] أشار بذلك الى أن قوله: ﴿خالدين﴾ حال مقدرة، وذلك لأنهم عند الدخول ليسوا خالدين، وإنما هم منتظرون ومقدرون الخلود. قوله: ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ أظهر في محل الإضمار اشارة الى بيان سبب كفرهم الذي استحقوا به العذاب، وقوله: [جهنم] هو المخصوص بالذم.

قوله: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم﴾ آخر وعد المؤمنين ليحسن اختتام السورة به، ليكون آخر الكلام بشرى

بلطف ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: الواو فيه للحال بتقدير قد ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾: حال ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ٧٣: مقدرين الخلود فيها وجواب إذا مقدر أي دخلوها وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكرمة لهم وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم ﴿وَقَالُوا﴾: عطف على دخلوها المقدر ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾: بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾: أي أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ﴾: ننزل ﴿مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾: لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ٧٤: الجنة ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ﴾: حال ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾: من كل جانب منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾:

قوله: [بلطف] أشار بذلك الى أن السوق في الموضعين مختلف، فسوق الكفار سوق إهانة وانتقام، وسوق المؤمنين سوق تشريف واكرام، وفي المعنى: سوق المؤمنين سوق مراكبهم، لأنهم يذهبون راكبين، فيسرع بهم الى دار الكرامة والرضوان، فشتان ما بين السوقين، وهذا من بديع الكلام، وهو أن يؤتى بكلمة واحدة تدل على الهوان في حق جماعة، وعلى العز والرضوان في حق آخرين. قوله: ﴿زمراً﴾ أي جماعات على حسب قربهم ومراتبهم.

قوله: ﴿حتى إذا جاؤوها﴾ ﴿حتى﴾ ابتدائية. قوله: [الواو فيه للحال] والحكمة في زيادة الواو هنا دون التي قبلها: أن أبواب السجن مغلقة، إلى أن يجيئها صاحب الجريمة، فتفتح له ثم تغلق عليه، فناسب ذلك عدم الواو فيها، بخلاف أبواب السرور والفرح، فإنها تفتح انتظاراً لمن يدخلها. قوله: ﴿وقال لهم خزنتها﴾ عطف على قوله: ﴿جاؤوها﴾. قوله: ﴿سلام عليكم﴾ أي سلمتم من كل مكروه، وقوله: ﴿طبتم﴾ أي طهرتم من دنس المعاصي، لما ورد: أنه على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان، يشرب المؤمنون من احداهما، فتطهر أجوافهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ ثم يغتسلون من الأخرى فتطيب أجسادهم، فعندها يقول لهم خزنتها ﴿السلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾. قوله: [وجواب إذا مقدر] هذا أحد أقوال ثلاثة، وقيل: إن جوابها قوله: ﴿وفتحت﴾ والواو زائدة، وقيل: هو قوله: ﴿وقال لهم خزنتها﴾ والواو زائدة. قوله: [وسوقهم] مبتدأ و[تكرمة] خبره، وكذا ما بعده.

قوله: ﴿وقالوا﴾ أي بعد استقرارهم في الجنة. قوله: ﴿الذي صدقنا وعده﴾ أي حققه لنا في قوله: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾. قوله: ﴿وأورثنا الأرض﴾ أي ملكها لنا نتصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه، وقد كانت لآدم وحده، فأخذها أولاده إرثاً لها منه، وقيل: المراد أورثنا أرض الجنة التي كانت للكفار لو آمنوا، والأقرب أن المراد ملكنا إياها كالميراث، فإنه ملك بلا ثمن، ولا شبهة لأحد فيه، فكذلك منازل الجنة. قوله: [لا يختار فيها مكان على مكان] أي بل يرى كل إنسان بمكانه الذي أعد له، بحيث لو أطلق الاختيار لا يختار غيره، لزوال الحقد والحسد، من القلوب، وهذا جواب عما قيل: كيف ذلك، مع أن كل إنسان له محل معد لا سبيل له إلى غيره؟ وأجيب أيضاً: بأن المعنى يختار من منازله ما يشاء، لما ورد: أن كل واحد له جنة لا توصف سعة ولا حسناً، فيتبوأ من جنته حيث يشاء، ولا يخطر بباله غيرها. قوله: ﴿فنعم أجر العاملين﴾ هذا من كلام الله تعالى، زيادة في سرور أهل الجنة، وقوله: [الجنة] هو المخصوص بالمدح.

قوله: ﴿وترى الملائكة﴾ الخطاب للنبي ﷺ، بل ولكل مؤمن زيادة في السرور، لأن رؤية الملائكة في الآخرة من النعيم، لاتحاد روحانيتهم مع الإنس، وأما في الدنيا فمفزع، لأن النوع الإنساني في الدنيا ضعيف مكبل بأنواع الشهوات، والحجب، فلا يستطيع رؤية المقربين. قوله: [حافين] أي محيطين مصطفين بحافته وجوانبه. قوله: [أي

حَالٌ من ضمير حافِّين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: مُلابسين للحَمْدِ أي يقولون سُبْحانَ الله وبحَمْدِهِ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بَيْن جميع الخَلائق ﴿بِالْحَقِّ﴾: أي العَدْلِ فيدخلُ المؤمنون الجنة والكافرون النار ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٧٥: ختم استِقرار الفريقين بالحَمْدِ من الملائكة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

يقولون سبحان الله وبحمده] أي تلذذاً، لأن منتهى درجاتهم الاستغراق في تسبيحه تعالى وتقديسه. قوله: **[ختم استقرار الفريقين]** الخ، أي كما ابتدأ ذكر الخلق بالحمد في قوله: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ ففيه تنبيه على أنه تعالى ينبغي حَمْدُهُ في مبدإ كل أمر ونهايته. قوله: **[من الملائكة]** أي بل ومن جميع الخَلْق، فإن جميع أهل الجنة، يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة ويجدون لذلك الحمد لذة عظيمة لزوال الحجاب عنهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

***

بعونه تعالى تم الجزء الثالث من حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ويليه الجزء الرابع وأوله سورة غافر

فهرس الجزء الثالث من حاشية الصاوي على تفسير الجلالين